جواهر الكلام

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الجزء الحادي عشر

تحقيق

الشيخ عباس القوچاني

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR
32101 032385732

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.
JUN 1 2008

تفسير

كنز الدقائق

للمفسر الكبير والمحقق النحرير

العالم العارف

الميرزا محمد المشهدي

ابن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي المتوفى في حدود عام ١١٢٥هـ

الجزء الأول

تحقيق

الشيخ مجتبى العراقي

2273
.8772
1988
juz' 1

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
32101 032385732

1503
9700044783
R2245177

هويّة الكتاب

الاسم :	كنز الدقايق و بحر الغرائب (ج ١)
المؤلّف :	المحدّث : الميرزا محمّد المشهدي
تحقيق و نشر :	آية الله الحاج آقا مجتبى العراقي
الطبعة الأولى :	عام ١٤١٦ هـ . ق
المطبعة :	المطبعة العلميّة ـ قم المشرّفة
الألواح الحسّاسة :	ليتوغرافي ـ مطبعة سيّد الشهداء
الكميّة :	٥٠٠ نسخة
السعر :	ألف تومان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأوّل قبل الإنشاء و الإحياء و الآخر بعد فناء الأشياء، الّذي كلّت الألسن عن غاية صفته و العقول عن كنه معرفته و تواضعت الجبابرة لهيبته و انقاد كلّ عظيم لعظمته و الصلاة و السلام على أشرف سفراءه المقرّبين و مقتدى أنبيائه المرسلين سيّدنا و نبيّنا أبي القاسم محمّد و على أهل بيته مصادر العلم و منابع الحكمة و هداة الدين و أئمّة المسلمين، اللّهمّ اخذل من عاداهم و العن من جحدهم و غصب حقّهم إلى يوم الدين.

و بعد فيقول العبد المذنب الخاطي، خادم أهل العلم و العمل (مجتبى العراقي) إنّي صرفت شطراً وافراً من عمري في خدمة الطلاب و المحصّلين و دفع الأذى و حلّ المشاكيل عنهم في حكومة الطاغوت و التوسّل بأنواع الحيل و التمويهات لدفع شرورهم و فتنتهم حتّى صرت غرضاً للبلايا و هجمة للآفات.

و من جملة خدماتي للحوزة العلميّة و الطلاب: أنّ بعد ارتحال السيّد العلّامة آية الله البروجرديّ ـ تغمّده الله بغفرانه ـ و تصميم الهيئة الحاكمة

الظالمة بإعزام الطلاب للخدمة العسكريّة سافرت إلى العراق و صحبت الأخ الأعزّ آية الله الفقيد الشيخ مرتضى الحائريّ ﵀ و كان المقصد مضافاً إلى زيارة الأعتاب المقدّسة، ملاقاة آية الله السيّد الحكيم قدس ـ الله نفسه ـ لوساطته مع الحكومة الإيرانيّة في صرفها عن إعزام الطلاب إلى الخدمة العسكريّة، و في هذه السفرة و إن لم أُنجح بالمقصود كما هو حقّه مع تكرّر التلاقي بيننا و بين السيّد الحكيم و لكن حصل لي في ليلة الأربعاء في مسجد السهلة و قدمضى من الليل قريب ساعتين و لم يبق في المسجد إلّا أشخاص معدودة حين قرائتي ركعتي الزيارة بالفتح و النصر في مقابل المقام المنتسب إلى مولانا صاحب الأمر ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ حالة و عناية مخصوصة، و بعد الصلاة و الزيارة حينما عزمت على الخروج و كان الأخ العزيز الحائريّ منتظراً لي صاح: يا فلان ابن المهديّ، انقلبت و لم أملك نفسي...

و الحاصل بعد عروض أمراض عديدة جسماً و روحاً عزمت على الاشتغال التامّ بالأمور العلميّة و التفصّي عن الاشتغال بتلك المشاغل و الحمد للّه على التوفيق و الهداية و في الحال الحاضر مشتغل بتحقيق التفسير المنيف (كنز الدقايق و بحر الغرائب) و خرج منه مجلّدات و أسأل الله تعالى أن يوفّقني لإكماله.

فيا أيّها الإخوان و الأخلّاء الروحانيّون نستدعي من جنابكم سؤال خادم ضعيف و ناصح شفيق أن لا يكون هذا السفر الجليل عطلة بين أيديكم، و الله تعالى عالم بأنّي ربّما سهرت الليالي في التصحيح و التنميق لهذا التفسير، فنرجو منكم المراجعة و المطالعة منه و طلب المغفرة من الله الجليل لهذا العبد الذليل.

كتبه في سحر ليلة الجمعة السادس عشر من شهر جمادي الثاني من عام ١٤١٦هـ. ق و أنا الأحقر مجتبى العراقيّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم الشيعة في فنون التفسير:

أوّل من حاز قصب السبق في هذا المضمار الخطير هم أصحابنا الإماميّة من شيعة أهل البيت عليهم السّلام تأسّياً بسيّدهم الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام، فقدكان أوّل من جمع القرآن وعلى هامشه الكثير من تفسير مجمله وتبيين معضله.

كان عليه السّلام قدشرح أسباب النزول وبيّن مواقعه وتواريخه والأفراد أوالجماعات الذين نزلت فيهم الآيات كماكان قد أشار الى مواقع عموم الآيات من خصوصها و مطلقاتها ومقيّداتها وناسخها و منسوخها ومجملها ومبيّنها، بل وجميع مايحتاج إليه المراجع عند فهم الآيات. كلّ ذلك على الهامش تتميماً للفائدة.

قال ابن جزي: ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير(١).

قال ابن سيرين: حدّثني عكرمة عن مصحفه، قال: لواجتمعت الإنس والجنّ على أن يألفوه هذاالتأليف ما استطاعوا فتتبّعته وكتبت فيه الى المدينة فلم أقدر عليه، فلو أصبت ذلك لكان فيه علم(٢).

وقد قال هو عليه السّلام عن مصحفه الذي جمعه بعدوفاة الرسول صلّى الله عليه وآله و بوصيّةٍ منه: ولقد جئتهم بالكتاب مشتملاً على التنزيل والتأويل(٣).

والمراد من التنزيل بيان شأن النزول والمناسبة الداعية للنزول، وهوالمعبّر عنه

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ج١ ص٤.

(٢) طبقات ابن سعد: ج٢ ق٢ ص١٠١.

(٣) آلاءالرحمان: ج١ ص١٨.

بالتفسير الظاهري المتوافق مع ظاهر اللفظ. و أمّا التأويل فهي الجهة العامّة المقصودة من الآية، حيث خصوصية المورد لا توجب تخصيصاً في عموم اللفظ، فكان عليه السّلام قد بيّن مواضع استفادة العموم من أحكام الآيات التي تجري كما تجري الشمس والقمر.

قال الإمام الباقر عليه السّلام: بطن القرآن تأويله، منه ماقد مضى ومنه مالم يجيء، يجري كما تجري الشمس والقمر، كلّما جاء تأويل شيء يكون على الأموات كمايكون على الأحياء. (وقال:) ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوّله على آخره مادامت السماوات والأرض. ولكلّ قوم آية يتلونها هم منها من خير أوشر.

وقال الإمام الصادق عليه السّلام: نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي ياجارة(١).

هذه هي عمدة مهنة المفسّرالخبير يستخرج عمومات الأحكام الجارية من مواردها الخاصّة التي نزل بها القرآن الكريم، فيعلم بطن القرآن من ظهره وتأويله من تفسيره. الأمر المستصعب الذي لايقوم به سوى المضطلعين بأسرار كلامه تعالى، وهم الأئمّة من أهل البيت الذين هم أدرى بما في البيت. قال تعالى: «ومايعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم»(٢). قال الصادق عليه السّلام: إنّ الله علم نبيّه التنزيل والتأويل فعلّمه رسول الله عليّاً. قال علي عليه السّلام: مانزلت آية إلّا وأنا علمت فيمن أُنزلت وأين أُنزلت وعلى من أُنزلت، إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً(٣).

نعم لايهتدي الى ذلك سوى أولئك الذين هداهم الله الى منابع فيضه وأبواب رحمته ممّن تمسّكوا بعُرى أهل بيت الرسول صلّى الله عليه وآله وهم الأخصّاء من شيعتهم ومواليهم. قال الصادق عليه السّلام: إنّا أهل بيت لم يزل الله يبعث منّا من يعلم كتابه من أوّله الى آخره. (وقال:) نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله. وهذا هوالمعنى بقوله صلّى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي

---

(١) تفسيرالبرهان: ج١ ص١٩ و٢١ و٢٢.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) البرهان: ج١ ص١٧.

وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض. إذ لايعرف الكتاب سوى أُولٰئِك الّذين نزل في بيتهم. قال تعالى: «وإنّه لقرآن كريم، في كتاب مكنون، لايمسّه إلّا المطهّرون»(١).

إذن فلا غرو إذا ماوجدنا من أصحاب أئمّة الهدى أُسوة لأرباب التفسير وسائر علوم القرآن منذ العهد الأوّل فإلى القرون التالية ولايزال.

هذا ابن عبّاس حبر الأُمّة وترجمان القرآن، معروف باضطلاعه بالتفسير والقرآن وقد كان المرجع الأوّل على عهد الخلفاء الأوّلين، فن بعدهم في فهم القرآن وتأويل آياته، كان مرجعه في التفسير هو الأخذ عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام. كان يقول: ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب(٢).

وآثاره في التفسير هو الجمّ الغفير في المجاميع التفسيريّة المدوّنة كجامع البيان للطبري والدرّ المنثور للسيوطي وتفسير القرطبي وابن كثير وغيرها من نوع التفسير بالمأثور.

أمّا التفسير المنسوب اليه المعروف به «تنوير المقباس» فهو من تأليف الفيروزآبادي صاحب القاموس، نعم يسند ما يرويه من روايات التفسير في مبدأ كلّ سورة الى ابن عبّاس، عن طريق السدّي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس. وهذا الطريق من أضعف الطرق الى ابن عبّاس. قال جلال الدين السيوطي: و أوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عنه. (قال:) فإن انضمّ الى ذلك رواية السدّي الصغير فهي سلسلة الكذب (٣).

ومن التابعين سعيد بن جبير ـ الذي قتله الحجّاج صبراً سنة ٩٥هـ كان قدوة في التفسير والقراءة. قال الطبري: هو الثقة الحجّة إمام المسلمين. وقال ابن حبّان: كان مجمعاً عليه، عبداً فاضلاً ورعاً. قال الذهبي: كان من كبار التابعين ومتقدّميهم في التفسير والحديث والفقة(٤). وقال السيوطي: كان أعلم التابعين بالتفسير(٥).

---

(١) الواقعة: ٧٧ـ٧٩.

(٢) التفسير والمفسّرون للذهبي: ج١ ص٩٠.

(٣) الإتقان: ج٢ ص١٨٩.

(٤) التفسير والمفسّرون: ج١ ص١٠٢.

(٥) الإتقان: ج:٢ ص١٨٩.

ثم محمّد بن السائب الكلبي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام -توفّي سنة ١٤٦هـ- له تفسير كبير معروف بـ«أحكام القرآن» وهو أوّل من دوّن في آيات الأحكام كتاباً وكان قدوة لغيره في هذا الفنّ، وقدسار الشافعي في كتابه أحكام القرآن على مناهجه.

ومثله أبان بن تغلب بن رباح المتوفّى سنة ١٤١هـ. كان من خواصّ الإمامين عليهما السلام، له كتاب معاني القرآن والقراءات والغريب من ألفاظ القرآن وغيرها.

وهكذا ابن أبي شعبة -المتوفّى سنة ١٣٥هـ ومقاتل بن سليمان وأبوبصير وأبوالجارود وأبوحمزة الثمالي كانت وفياتهم عام ١٥٠هـ، لهم قدم وسبق تأليف في التفسير. والسدّي الكبير -المتوفّى سنة ١٢٧هـ- من أصحاب الإمام السجّاد والإمام الباقر عليهما السلام.

وللفرّاء -المتوفّى عام ٢٠٨هـ- كتاب معروف بـ«معاني القرآن» طبع أخيراً في ثلاث مجلّدات ضخام. كان قد أملاه على أصحابه في المسجد عن حفظه، كان أبوطلحة الناقط يقرأ عشراً من القرآن ثم يقول له: أمسك، فيملي من حفظه المجلس. وعن أبي بديل: أردنا أن نعدّ الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب المعاني فلم يضبط قال: فعددنا القُضاة فكانوا ثمانين قاضياً. يقول السمريّ في صدر الكتاب: هذا كتاب فيه معاني القرآن أملاه علينا أبوزكريا يحيى بن زياد الفرّاء عن حفظه من غير نسخة في مجالسه أوّل النهار من أيام الثلاثاوات والجُمَع في شهر رمضان وما بعده من سنة اثنتين وفي شهور سنة ثلاث وشهور من سنة أربع ومائتين(١).

ولمجاهد بن جبر المكان السامي في التفسير، كان أحد الأعلام الأثبات، مات سنة ١٠٤هـ، وقد اعتمده البخاري كثيراً. وعن الفضل أنّه سمع مجاهداً يقول: عرضت القرآن على ابن عبّاس ثلاثين مرّة. وعنه أيضاً: عرضت القرآن عليه أقف عند كلّ آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت. وعن مصعب قال: كان أعلمهم بالتفسير مجاهد.

وهكذا عكرمة مولى ابن عبّاس كان على مكانة عالية من التفسير. قال ابن حبّان: كان من علماء زمانه بالفقة والقرآن. وغيرهم من أقطاب العلم في مكّة والمدينة

---

(١) راجع مقدّمة المعاني، ص١٣ و١٤.

كانوا مراجع الأمّة.

وإذا كان أبوجعفر الطبري وجلال الدين السيوطي وغيرهما من أصحاب التفاسير المعروفة قد أخذوا رواياتهم في التفسير عن هؤلاء الأقطاب وهم إنّما يسندون علومهم الى كبار أئمّة أهل البيت عليّ وبنيه عليهم السلام تعرف مبلغ تأثير مكانة أهل بيت الرسول صلّى الله عليه وآله في بثّ العلوم والمعارف بين المسلمين.

وهكذا أصحاب التفاسير العقليّة كالفخر الرازي جعل أساس تفسيره الكبير على تفسير أبي الفتوح الرازي، فكان هذا اصلاً له يرجع إليه وأساساً بني عليه بنيانه، وبذلك تعرف مبلغ تأثر التفاسير المعروفة عند أهل السنّة بتفاسير علماء الإمامية سواء المنقول منها والمعقول.

إذن فكما كانت الشيعة الإمامية قدوة لسائر المسلمين في سائر العلوم الإسلاميّة، كذلك في علم التفسير الذي هو أهم العلوم وأخطرها وأعظمها شأناً.

ولا مجال لتعداد ما كتب في التفسير على يد علماء الإماميّة حسب القرون، نعم يجدر بالذكر تفسير أبي النضر محمّد بن مسعود العيّاشي ـ من علماء القرن الرابع الهجري ـ الذي فقد منه أكثره، ولاسيّما وقد حذفت أسانيده لغاية الإختصار فيما بعد. فقد حُرمنا من كمال فيض هذا التفسير القيّم العظيم.

وتفسير علي بن إبراهيم القمّي ـ من علماء القرن الثالث ـ وهو تفسير بالمأثور كامل.

ولكن الأهمّ من ذلك تفسير التبيان، ذلك التفسير الضخم القيّم الذي قام بتأليفه شيخ الطائفة أبوجعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى عام ٤٦٠هـ وهو أوّل تفسير مدوّن جمع فيه من علوم القرآن أشتاته، وتوفّرت فيه من صنوف التفسير أفنانه.

ثم قام الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ـ المتوفّى عام ٥٥٢هـ ـ بتهذيبه وترتيبه مع إضافات في مجموعة باسم «مجمع البيان» تفسيراً جامعاً رائعاً.

وفي هذا الأوان قام المفسّر المضطلع الشيخ أبو الفتوح الحسين بن علي بن أحمد الخزاعي الرازي بتدوين مجموعة كبرى في علوم التفسير باسم «روض الجنان وروح الجنان» باللغة الفارسيّة القديمة خدمةً لأبناء عقيدته من أمّة الفرس الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

وهكذا استمرّ ظهور تفاسير قيّمة عبر القرون المتتالية قد يطول الكلام بذكر

جميعها، وإنّما نذكر مايرتبط وموضوع تفسيرنا الحاضر.

مذاهب تفسيرتة:

هناك نجد تنوّعاً في وجه التفاسير حسب تنوّع الإختصاصات التي كان يحملها أرباب التفسير في مختلف العلوم والمعارف. فصاحب العلوم العقليّة يبدو على تفسيره كثير من لمحات البراهين الفلسفيّة والإستدلالات العقليّة منطبقاً عليها وجوه الآيات المختلفة. وصاحب الحديث كان يهمّه تفسير القرآن بالمأثور من روايات السلف. وصاحب الأدب إنّما أعجبته أساليب القرآن البلاغيّة في فنون المعاني والبيان والبديع، ورعاية قواعد اللغة والنحو والتصريف. وهكذا أصحاب القراءات وغيرهم في مختلف شؤون القرآن وهي كثيرة.

و من التفسير بالمأثور -بعد تفسير العيّاشي والقمّي- تفسير الصافي للمولىٰ محمّد المحسن الفيض الكاشاني المتوفّى سنة١٠٩١هـوكان صاحب تفسيرنا الحاضر «كنزالدقائق» تلميذاً له ومتأثراً باسلوبه في التفسير كثيراً، ونجد هذا التأثير جليّاً في تفسيره.

كان الفيض قدمزج في تفسيره بين العقل والنقل حسبما عبّر، فأتى بالمنقول من أحاديث أهل البيت عليهم السّلام مردفاً لها بما راقه من تأويلات عقليّة قريبة أو بعيدة. الأمر الذي نلمسه في تفسير الكنزبوضوح.

وهكذا تأثّر صاحبنا بتفسير آخر لم يحد عن طريقة المنقول وهو تفسير «نورالثقلين» لعبدالعلي بن جمعة الحويزي المتوفّى سنة ١٠٥٣هـ. ولعلّه تتلمذعنده أيضاً.

ونظيره البرهان في تفسير القرآن للمحدّث الشهير السيّدهاشم البحراني المتوفى عام ١١٠٧هـ،جمع فيه من شتات الأحاديث المرويّة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام حول لفيف من آيات القرآن.

تفسير كنزالدقايق وبحرالغرائب:

أمّا تفسيرنا الحاضر فهو حصيلة ماسبقه من اُمّهات تفاسير

أصحابنا الإماميّة، جمع فيه من لباب البيان وعباب التعبير أينما وجده طيّ الكتب والتاليف السالفة. فقد اختار حسن تعبير أبي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي في تفسيره «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» كما فعله أُستاذه وشيخه المقدّم ـ المولى الفيض الكاشاني في الصافي ـ من قبل. كما انتخب من اسلوب الطبرسي في المجمع ترتيبه وتبويبه، مضيفاً إليه ما استحسنه من كشّاف الزمخشري وحواشي العلّامة الشيخ البهائي، كما صرّح هو في مقدّمة تفسيره. فصار تأليفه مجموعة خير الأقوال وأحسن الآثار، حسبماجاء في تقريظ العلمين «المجلسي والخوانساري» على الكتاب.

قال السيّد الأمين: وجدنا من كتاب كنزالدقائق مجلّداً كبيراً مخطوطاً وعلى ظهر النسخة تقريظ بخطّ آقا جمال الدين الخوانساري قال فيه: أمّا بعد، فقد أيّدالله تعالى بفضله الكامل، جناب المولى العالم العارف الألمعي الفاضل، مجمع فضائل الشيم، جامع جوامع العلوم والحكم، عالم معالم التنزيل و أنواره، عارف معارف التأويل وأسراره، حلّال كلّ شبهة عارضة، كشّاف كلّ مسألة دقيقه غامضة، الذي أحرق بشواظ طبعه الوقاد شوك الشكوك والشبهات، ونقد بلحاظ ذهنه النقّاد نقود الأحكام الشرعيّة المستفادة من الآيات والروايات، أعني المكرّم بكرامة الله الأحد الصمد، مولانا ميرزا محمّد، أعانه الله في كلّ باب، وأثابه جزيل الثواب، إذ وفّقه الله لتأليف هذاالكتاب الكريم في تفسير القرآن، وجمعه من التفاسير المعتبرة، وسائر كتب الأخبار المشتهرة، فهوكاسمه «**كنزالدقائق وبحرالغرائب**» الذي يصادف بغوص النظرفيه أصداف درر الحقائق، فنفع الله به الطالبين، وجعله ذخراً لمؤلّفة الفاضل يوم الدين. وأنا العبد المفتقر الى عفو ربّه الباري، جمال الدين محمّد بن حسين الخوانساري، أعانهما الله تعالى يوم الحساب، وأوتيا فيه بيمينهما الكتاب. وقد كتب ذلك في شهر محرّم الحرام من شهور سنة ١١٠٧.

وكتب المجلسي عليه أيضاً ـ بعد البسملة ماصورته ـ: لله درّالمولى الاولى الفاضل الكامل المحقّق المدقّق البدل النحرير، كشّاف دقائق المعاني بفكره الثاقب، ومخرج جواهر الحقائق برأيه الصائب، أعني الخبير الأسعد الأرشد مولانا ميرزا محمد، مؤلّف هذا التفسير، لازال مؤيّداً بتأييدات الربّ القدير. فلقد أحسن وأتقن، وأفادوأجادفسّرالآيات

البيّنات بالآثار المرويّة عن الأئمة الأطياب، فامتاز من القشر اللباب، وجمع بين السنّة والكتاب، وبذل جهده في استخراج ما تعلّق بذلك من الأخبار، وضمّ إليها لطائف المعاني والأسرار، جزاه الله عن الايمان وأهله خير جزاء المحسنين، وحشره مع الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين. كتب بيمناه الوازرة الداثرة أفقر العباد الى عفو ربّه الغني محمّد باقربن محمّد تقي، أوتيا كتابها بيمناهما، وحوسبا حساباً يسيراً، في يوم عيد الغدير المبارك من سنة ألف ومائة واثنتين، والحمدالله أولاً وآخراً، والصلاة على سيّدالمرسلين محمّد وعترته الأكرمين الأطهرين(١).

ومن هذين التقريظين من هذين العلمين تعرف قيمة هذاالتفسير ومحلّه الأرقى من التحقيق والجمع والتدقيق. كما يبدو منهما جلالة مؤلّفه ومكانته السامية من العلم والأدب والفضيلة. والأمر كذلك بعد مراجعة التفسير نفسه فإنّه ـ رحمه الله ـ وان جهد في مراجعة اُمّهات كتب التفسير والحديث مضافاً الى الأدب والبيان، لكنّه بفضل تضلّعه في فنون الأدب واللغة والفقه والتفسير والحديث والكلام والحكمة المتعالية نراه قد أخذ ولكن أخذ تحقيق، ونقل ولكن نقل تمحيص، مصداقاً لقوله تعالى: «الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه»(٢) وهذا هو عين التحقيق وليس تقليداً مقيتاً كمازعم.

وعليه فبحقّ أقول: إنّ هذاالتفسير جامع كامل وكاف شاف، يغني عناء مراجعة كثير من التفاسير المعتبرة بعد هذاالغناء والكفاية، فللّه درّ مؤلّفه وجزاه الله عن الإسلام والقرآن خير جزاء.

واليك ماذكره العلّامة المتتبّع الشيخ آغا بزرگ الطهراني بشأن هذاالتفسير، قال: وهذاالتفسير مقصورعلى ماورد عن أهل البيت عليهم السلام نظير تفسير «نورالثقلين» لكنّه أحسن منه بجهات: لذكره الأسانيد، وبيان ربط الآيات وذكر الإعراب، وكأنّه مقتبس منه لكنّه بزيادات فصار أكبر حجماً. وقد يتكلّم بما هو مخالف لمافي

---

(١) أعيان الشيعة: ج٩ ص٤٠٨ ط دارالتعارف، بيروت.

(٢) الزمر: ١٨

نورالثقلين(١).

وقال المحقق النوري: هو من أحسن التفاسير وأجمعها وأتمّها وهو أنفع من الصافي ونورالثقلين(٢).

شخصيّة المؤلّف:

عنون نفسه في مقدّمة تفسيره بأنّه: ميرزامحمّد المشهدي ابن محمّد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمّي.

و«ميرزا» كلمة مخفّفة من «ميرزاده» أي ولد الأمير. و«مير» يرادف كلمة «السيّد» أو «الرئيس» أو«صاحب الولاية» تقريباً. وقداصطلح على تلقيب من انتمى الى سلالة السادة العلويّة من جهة أمّه بـ«ميرزا»، وإن اشتهر إطلاقه على صاحب مهنة الكتابة، ولاسيّما لدى الأمراء والأشراف. وكان قد تداول إطلاقه على أولاد السلاطين وأصحاب الشرف في العهد الصفوي وفي عهد القاجار خصوصاً(٣).

والنسبة الى «مشهد» باعتبار ولادته بها واتّخاذها موطناً أصليّاً لحياته العلميّة والدراسيّة. أمّا النسبة الى «قم» فلعلّها موطن أسلافه. ومن ثمّ جعل النسبة الاولى قرينة باسمه، والثانية قرينة جدّه الأعلى. وهكذا استنبط السيّد الأمين، حيث قال: المشهديّ المولد والمسكن القمّي الأصل(٤).

على أنّ المؤلّف يصرّح في كثير من تآليفه أنّه تمّ تأليفه في مشهد، قال بشأن كتابه «إنجاح الطالب» ـ شرح منظومة في البلاغة ـ: وكان تأليفه في ٢٩ شهر رمضان بمدينة مشهد سنة١٠٧٥هـ. وفي شرحه للمنظومة الصرفيّة: إنّه درّسها لولده إسماعيل وكتب عليها شرحه المسمّى بـ«الفوائد الشارحة» سنة ١٠٩٠هـ في مدينة مشهد. والظاهر أنّ تقريظ العلامة المجلسي للتفسير مؤرّخاً بيوم الغدير سنة ١١٠٢ كان أيضاً بمشهد في

(١) الذريعة: ج١٨ ص١٥٢.

(٢) الفيض القدسي: ص١٠٠.

(٣) راجع «لغت نامه دهخدا» حرف «مير»

(٤) أعيان الشيعة: ج٩ ص٤٠٨.

زيارة زارها الإمام الرضا عليه السّلام بتلك المناسبة. وقدصادف فراغه من الجزء الرابع كما أرّخه بأنّه فرغ من تأليف هذاالجزء سنة ١١٠٢هـ في مشهد، كما جاء في تاريخ الفراغ من الجزء الثالث سنة ١٠٩٧هـ يوم الغدير.

ويبدو من كلام صاحب الروضات أنّ والد المترجم كان قد تتلمذ على العلّامة المتبحّر الشيخ البهائي ـ المتوفّى سنة ١٠٣١هـ ـ قال في عرض كلامه عن كتاب «الفهرس» تأليف الشيخ منتجب الدين: ورأيت في تبريز نسخة منه بخطّ بعض الأفاضل، ولعلّه المولى محمّدرضا المشهدي تلميذ الشيخ البهائي. وقد نقلت عن نسخة والد البهائي (١). و ظاهر هذاالكلام أنّ والد المترجم أيضاً كان مشهدياً، وبذلك يقرب القول بأنّ ولادة المترجم كانت في مدينة مشهد.

وللشيخ البهائي إقامة طويلة في مشهد بصحبة والده أيّام تصدّيه لشيخوخة الإسلام في منطقة خراسان في عهد الشاه طهماسب الصفوي، حيث عرض عليه تصدّيه لبثّ دعوة التشيّع في تلك الديار فقبل، وكان له الأثر البالغ في استبصار أهل تلك البلاد، وكانت دارالشيخ معروفة بجوار مشهدالرضا عليه السلام وهي التي دفن فيها بعد نقل جثّته الكريمة من اصفهان، وأُلحقت أخيراً بأروقة الحرم الرضوي.

ثناء العلماء له ولتفسيره:

مرّ ثناء مثل العلّامة المجلسي للمترجم ولتفسيره في التقريظ الذي تقدّم نقله، قال فيه: الفاضل الكامل المحقّق البدل النحرير كشّاف دائق المعاني بفكره الثاقب، ومخرج جواهر الحقائق برأيه الصائب...

وهذا الإطراء من مثل العلّامة المجلسي ليس جزافاً لولا أنّه عرفه بالعلم والفضيلة والدقّة والتحقيق الصائب.

وهكذا ماورد في تقريظ المحقّق الخوانساري: مجمع فضائل الشيم، جامع جوامع العلوم والحكم... حلّال كلّ شبهة عارضة، كشّاف كلّ مسألة دقيقة غامضة...

فلولا أنّهم لمسوا من شخصيّته الفذّة دقّةً وتحقيقاً في المسائل العلميّة لما أثنوا

---

(١) روضات الجنات: ج٤ ص٣١٩.

هذا الثناء البالغ.

وقال صاحب الروضات: كان فاضلاً عالماً عاملاً جامعاً أديباً محدّثاً فقيهاً مفسّراً نبيهاً، وله كتاب كبير في التفسير بأحاديث أهل بيت العصمة لم يسبقه الى وضع مثله أحد ممّن سبقه، فقد فاق تفسير نورالثقلين بذكرالأسانيد والكلام عن صلة الآيات بعضها مع بعض، وحلّ مشكلات ألفاظها ووجوه إعرابها وبيان اللغة والقراءات... إنتهى ملخّصاً(١).

وهذا الوصف عن تفسيره هوالحق، فإنّه تفسير جامع يحتوي على ذكر ما ورد من روايات أهل البيت عليه السّلام ثمّ على سائر الجهات ممّا يرتبط بشأن القراءات والتنزيل ووجوه الإعراب واللغة ودقائق الأدب الى جنب رقائق الفلسفة والحكمة والعرفان، ممّا لايستغني عنه طالب التفسير في المعاهد العلميّة، ولاسيّما الطلبة الأفاضل عند درس الآيات الكريمة.

ويذكر صاحب الروضات أنّه من معاصري المولىٰ محمّد باقر المجلسي والمولىٰ محمّد باقر الخوانساري والمولىٰ محمّد محسن الفيض الكاشاني. ويذكر المحقّق النوري أنّه من تلامذة المجلسي الثاني صاحب البحار(٢). ولم يستبعد صاحب الروضات كونه من تلامذة الفيض الكاشاني أيضاً.

و تقدم كلام النوري عن تفسيره: من أحسن التفاسير وأجمعها وأتمّها، وهو أنفع من الصافي ونورالثقلين.

سائر تآليفه وتاريخ حياته:

لشيخنا المترجم -سوى التفسير المذكور- تآليف أُخرمنها: «التحفة الحسينيّة» -بالفارسيّة- في الأعمال والآداب والأدعية والأذكار. وهو المعروف عنه بكتاب «أعمال السنة» وقد وصفه صاحب الروضات بأنّه لطيف الوضع كثير الفائدة.

ورسالة في أحكام الصيد والذباحة، قال السيّد الأمين: إنّه كتاب استدلالي

---

(١) روضات الجنّات: ج٧ ص١١٠و١١١.

(٢) الفيض القدسي. بحارالأنوار ج١٠٢ ص١٠٠،مؤسسة الوفاء، ط بيروت.

كبير.

ورسالة في تواريخ الأئمة المعصومين عليهم السلام في ١٤ مقالة سمّاها «كاشف الغمّة».

وشرح كامل على منظومة في البلاغة لابن شحنة الحنفي شرحها شرحاً وافياً وسمّاها «إنجاح المطالب في الفوز بالمآرب».

ورسالة في فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام سمّاها «سُلَّم درجات الجنّة» كتبها بالفارسيّة.

وشرح موجز على الصحيفة السجّاديّة، وشرح على الزيارة الرجبيّة، وشرح على المنظومة الصرفيّة، وحواش على الكشّاف، و على حواشي البهائي على البيضاوي، وغير ذلك.

ويجدر بالذكر إنّه رحمه الله قد أرّخ أكثر تآليفه وتتراوح هذه التواريخ مابين عام ١٠٧٤هـ حيث شرح منظومة البلاغة، وعام ١١٠٢هـ حيث فرغ من الجزء الرابع من تفسيره، ولعلّه من أُخريات تآليفه، ولم نجد له كتاباً مؤرّخاً بعد هذا التاريخ، ولعلّ هذه الفترة -الربع الأخير من القرن الحادي عشر- كانت أوفر أيّام حياته النابضة بالحركة العلمية الناتجة، ولكن كتابة كتاب «سُلَّم الدرجات» وكذا تأليف «التحفة الحسينيّة» في زمان الشاه حسين الصفوي يعطي أنّ حياته التأليفيّة استمرّت حتّى بعد عام ١١٠٦هـ لأنّ الشاه المذكور قد تصدّر عرش الحكم من ١١٠٦هـ الى ١١٣٥هـ. فمن المحتمل القريب أنّ شيخنا المترجم عاش من حوالي منتصف القرن الحادي عشر فإلى حوالي نهاية الربع الأوّل من القرن الثاني عشر.

فلعلّه من العقد الخامس من القرن ١٢، لواعتبرنا متوسّط الأعمار سبعين عاماً.

هذا ماعثرت عليه من تاريخ حياة المؤلّف وعن آثاره العلميّة على قلّة المصادر المترجمة له، وقصورها عن الوفاء بذكر جوانب حياته المتنوّعة. وكم له في خمول الذكر من نظير، ولاسيّما أرباب الأدب والكمال. والحمدلله على كلّ حال، وصلّى على محمّد وآله الطاهرين.

قم - محمّدهادي معرفة

الجمعة ٩ شهرالصيام المبارك ١٤٠٧

المصادف ١٣٦٦/٢/١٨

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

[illegible]

الصفحة الاولى من نسخة مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي دام ظله

الصفحة الأخيرة من آخر سورة البقرة من نسخة مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي دام ظله

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين

الحمدلله الذي أنزل على عبده الكتاب وجعله للناس بشيراً و نذيراً و بيّن فيه لأولي الألباب بيّنات، وجعله تبيان كلّ شيء و سراجاً منيراً، أنزله بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه من الكتب، و أنطقه بالصدق لما يعوّل عليه من الرب، يقضي له بصفة القدم كلّ شيء بجوهر ذاته، يفضي إلى الحكم بسرمديّته حدوث معلولاته وسمائه، فياله من حكيم بماله من قدرته في كل ما دبّر و أتقن من أفعاله، أبت حكمته أن يرضى لخلقه السوء والفحشاء، و ارتفعت قدرته أن يجري شيء إلّا ماشاءالله.

والصلاة والسلام والتحيّة من كلّ الأنام، على خيرالأنبياء و نيّرالأصفياء، المدعو مجيب الله في الأرض والسماء محمّدالمصطفى على البريّة بالخلق والفضائل المرضيّة، المبعوث بكتاب أزعج بفصاحته مصاقع(١) الخطباء، و أبكم ببلاغته شقاشق(٢) البلغاء، وعلى الأئمّة الهادين من عترته الراشدين، صلاةً تامةً دائمةً توازي غناءهم و تجازي تمناءهم، و سلّم تسليماً كثيراً كثيراً.

أما بعد: فيقول الفقير الى رحمة الله ربّه الغني ميرزا محمد المشهدي بن محمدرضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي: إنّ أولى ما صرفت فى تحصيله كنوز الأعمار،

---

(١) المصقع: أي البليغ الماهر فى خطبته، وهو مفعل من الصقع، أي رفع الصوت ومتابعته، ومفعل من أبنية المبالغة. النهاية لابن الأثير: ج٣، ص٤٢.

(٢) الشقاشق: جمع شقشقة، الجلدة الحمراء التي يخرجها الجمل العربي من جوفه ينفخ فيها فتظهر من شدقه ولا تكون إلّا للعربي. شبّه الفصيح المنطيق بالفحل الهادر و لسانه بشقشقته. النهاية لابن الأثير: ج٢، ص٤٨٩ - ٤٩٠.

و أنفقت في نيله المهج والأفكار، علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينيّة و رأسها، ومبنى قواعد الشرع و أساسها، الذي لا يتمّ لتعاطيه و إجالة النظر فيه، إلا من فاق في العلوم الدينيّة كلّها، والصناعات الأدبيّة بأنواعها.

وقد كنت فيما مضى قد رقمت تعليقات على التفسير المشهور للعلّامة الزمخشري(١) و أجلت النظر فيه، ثم على الحاشية للعلّامة النحرير والفاضل المهرير(٢) الشيخ الكامل(٣) بهاء الدين العاملي(٤) ثم سنح لي أن أؤلف تفسيراً يحتوي على دقائق أسرار التنزيل و نكات أبكار التأويل، مع نقل ما روي في التفسير والتأويل عن الأئمة الأطهار والهداة الأبرار، إلّا أنّ قصور بضاعتي يمنعني عن

---

(١) هو جارالله أبوالقاسم، محمودبن عمربن محمّدالخوارزمي الزمخشري وكان متضلّعاً في التفسير والنحو واللغة، له تصانيف مشهورة معروفة. منها: الكشاف عن حقائق التنزيل، و أساس البلاغة، والانموذج، والفائق،و ربيع الأبرار.

ولد سنه ٤٦٧ هجرّية بزمخشر، و توفى سنه ٥٣٨ هجرية بجرجانيّة خوارزم.

الكنى والالقاب: ج٢، ص٢٦٧.

(٢) مَهَر في العلم وغيره يَمْهَرُ بفتحتين مُهوراً و مهارة فهو ماهر: اي حاذق عالم بذلك. المصباح المنير: ص٥٨٢.

(٣) الكامل: من تمّت صفاته. المنجد ص ٦٩٨ في مادة «كمل».

(٤) هو شيخ الاسلام والمسلمين بهاء الملّة والدين محمدبن الحسين بن عبدالصمد الجبعي العاملي الحارثي.

ولد ببعلبك سنة ٩٥٣ هجرية، وانتقل مع والده الى اصفهان، و تتلمذ على يد والده وجهابذة العلم حتى صارفي بلادايران شيخ الاسلام و فوّضت إليه أمور الشريعة.

له مصنّفات فائقه مشهورة أكثرها مطبوعة منها: حبل المتين، ومشرق الشمسين، والأربعين، والجامع العبّاسي، والكشكول، والمخلاة، والعروة الوثقىٰ، و نان وحلوا، والزبدة، والصمديّة، وخلاصة الحساب، و تشريح الأفلاك، والرسالة الهلاليّة، ومفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة وغير ذلك من الكتب الاخرى التي تكشف عن تضلّعه بمختلف العلوم والفنون.

هذا مضافاً الى مخترعاته الكثيرة التي لا تزال بعضها موجودة لحدالآن في ايران.و توفى (قدس سره) سنه ١٠٣١ هجريّة باصفهان، و دفن في مشهد المقدس قريباً من الحضرة الرضويّة على ساكنها آلاف التحيّة والسلام.

الإقدام، ويثبطني عن الانتصاب في هذا المقام، حتى وفّقني ربّي للشروع فيما قصدته والإتيان بما أردته، ومن نيّتي أن أسمّيه بعد إتمامه بـ (كنزالدقائق و بحرالغرائب) ليطابق اسمه ما احتواه ولفظه معناه.

فرات بن إبراهيم الكوفي(١) أستاذ المحدّثين في زمانه قال في تفسيره: حدّثنا أحمدبن موسى، قال: حدّثني الحسن بن ثابت، قال: حدّثني أبي، عن شعبة بن الحجاج، عن الحكم، عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: أخذ النبي (صلّى الله عليه وآله) يد علي (عليه السلام) فقال: إن القرآن أربعة أرباع: ربع فينا ـ أهل البيت ـ خاصة، و ربع في أعدائنا، و ربع حلال وحرام، و ربع فرائض و أحكام، ولنا كرائم القرآن(٢).

وقال أيضاً: حدّثنا أحمدبن الحسن بن إسماعيل بن صبيح، والحسن بن علي بن الحسن بن عبيدة بن عقبة بن نزاربن سالم السلولي، قالا: حدّثنا محمدبن الحسن بن مطهّر، قال: حدّثنا صالح-يعني ابن الأسود ـ عن جميل بن عبدالله النخعي، عن زكريابن ميسرة، عن أصبغ بن نباتة قال: قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): أقول: القرآن أربعة أرباع؛ فربع فينا، و ربع في أعدائنا، و ربع سنن و أمثال، و ربع فرائض و أحكام، ولنا كرائم القرآن(٣).

و قال أيضاً: حدّثنا أبوالخير مقدادبن علي الحجازي المدني، قال حدّثنا أبوالقاسم عبدالرحمن العلوي الحسني قال: حدّثنا محمدبن سعيدبن رحيم الهمداني، ومحمدبن عيسى بن زكريا قالا: حدّثنا عبدالرحمن بن سراج قال: حدّثنا حمادبن أعين، عن الحسن بن عبدالرحمن، عن الأصبغ بن نباتة، عن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: القرآن أربعة أرباع؛ ربع فينا، و ربع في أعدائنا، و ربع فرائض و أحكام، و ربع حلال وحرام، ولنا كرائم القرآن(٤).

(١) هو فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، أحد علماء الحديث في القرن الثالث، عاش في عصر الإمام جواد عليه الصلاة والسلام.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص٣.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ص٣.

(٤) تفسير فرات الكوفي: ص٢.

واعلم أنّ للقرآن بطناً و للبطن بطن، وله ظهر و للظهر ظهر، فإذا جاءك عنهم صلوات الله عليهم شيء وله باطن فلا تنكره، لأنّهم أعلم به.

يدل على هذا ما رواه صاحب شرح الآيات الباهرة عن علي بن محمد، عن محمدبن الفضيل، عن شريس، عن جابربن يزيد قال: سألت أباجعفر (عليه السلام) عن شيء من تفسيرالقرآن، فأجابني، ثم سألته ثانيةً فأجابني بجواب آخر! فقلت: جعلت فداك ، أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا. فقال لي: يا جابر، إنّ للقرآن بطناً وللبطن بطن، وله ظهروللظهرظهر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسيرالقرآن، و إنّ الآية أوّلها في شيء و آخرها في شيء، وهو كلام متصل يتصرف عن وجوه(١).

و يؤيّده ما رواه عن الشيخ أبي جعفرالطوسي بإسناده إلى الفضل بن شاذان، عن داود بن كثير قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): أنتم الصلاة في كتاب الله عزّوجلّ، و أنتم الزكاة، و أنتم الحج؟ فقال: يا داود، نحن الصلاة في كتاب الله عزّوجلّ، ونحن الزكاة، و نحن الصيام، ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام، و نحن كعبة الله، ونحن قبلة الله، ونحن وجه الله. قال الله تعالى: «فَأَيْنَما تُوَلّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله»(٢) و نحن الآيات ونحن البيّنات، وعدوّنا في كتاب الله عزّوجلّ الفحشاء، والمنكر، والبغي، والخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، والأصنام، والأوثان، والجبت، والطاغوت، والميتة، والدم، ولحم الخنزير،ياداود إن الله خلقنا و أكرم خلقنا، و فضّلنا وجعلنا اُمناءه وحفظته و خزّانه علىٰ ما في السماوات وما في الأرض، وجعل لنا أضداداً و أعداءً، فسمّانا في كتابه، وكنّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء و أحبّها إليه و إلى عباده المتّقين(٣).

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١١، ح٢. وفيه: يتصرّف على وجوه.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٥.

(٣) بحارالانوار: ج٢٤، باب ٦٦، ص٣٠٣، ح١٤. وفيه زيادة بعد قوله: و أحبّها إليه، وإليك نصّه: «و سمّى أضدادنا و أعداءنا في كتابه وكنّى عن أسمائهم، وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء اليه»

سورة الفاتحة

في مجمع البيان: روى جعفربن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن النبي (عليهم السلام): لما أراد الله عزّوجلّ أن ينزّل فاتحة الكتاب، و آية الكرسي، و شهدالله، وقل اللّهم مالك الملك - إلى قوله - بغير حساب؛ تعلّقن بالعرش وليس بينهنّ و بين الله حجاب، وقلن: يارب، تهبطنا إلى دار الذنوب، و إلى من يعصيك، و نحن معلّقات بالطهور والقدس؟ فقال: و عزّتي وجلالي، ما من عبد قرأكنّ في دبر كلّ صلاة إلّا أسكنه حظيرة القدس على ما كان فيه، و نظرت إليه بعيني المكنونة في كلّ يوم سبعين نظرة، و إلّا قضيت له في كلّ يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة، و إلّا أعذته من كلّ عدو و نصرته عليه، ولا يمنعه من دخول الجنّة إلّا الموت(١).

وفي كتاب ثواب الأعمال: بإسناده: قال أبوعبدالله (عليه السلام): اسم الله الأعظم مقطّع في أمّ الكتاب(٢).

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: رنّ إبليس أربع رنّات: أولهنّ يوم لُعن، وحين أُهبط إلى الأرض، وحين بُعث محمّد على حين فترة من الرسل، وحين أُنزلت أمّ الكتاب(٣).

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٤٢٦ ذيل الآية: ٢٦ من سورة آل عمران، «قل اللهم مالك الملك».

(٢) ثواب الأعمال: ص١٣٠، ح١.

(٣) الخصال: ص٢٦٣.

وعن الحسن بن علي (عليهما السلام) ـ في حديث طويل ـ قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسأله أعلمهم عن أشياء، فكان فيما سأله: أخبرنا عن سبع خصال أعطاك الله من بين النبيّين، و أعطى اُمّتك من بين الأُمم، فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): أعطاني الله فاتحة الكتاب. إلى قوله: صدقت يا محمد، فما جزاء من قرأ فاتحة الكتاب؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من قرأ فاتحة الكتاب أعطاه الله بعدد كلّ آية نزلت من السّماء ثواب تلاوتها(١).

و عن جابر، عن النبي (صلّى الله عليه وآله) ـ حديث طويل يقول فيه حاكياً عن الله تعالى ـ : و أعطيت اُمّتك كنزاً من كنوز عرشي فاتحة الكتاب(٢).

وفي اُصول الكافي: محمدبن يحيى عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن محمدبن إسماعيل بن بزيع، عن عبدالله بن فضل النوفلي ـ رفعه ـ قال: ما قرأت الحمد على وَجَع سبعين مرّة إلّا سكن(٣).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لو قرءت الحمد على ميّتٍ سبعين مرّةً ثمّ ردّت فيه الرُّوح ما كان عجباً(٤).

و في عيون الأخبار: حدّثنا محمدبن القاسم المفسّر، المعروف بـ أبي الحسن الجرجاني (رضي الله عنه) قال: حدّثنا يوسف بن محمدبن زياد، و علي بن محمدبن سيّار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي، عن أبيه علي بن محمد، عن أبيه محمدبن علي، عن أبيه الرضا علي بن موسى، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام) قال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: إنّ الله تبارك و تعالى قال لي: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرآنِ الْعَظِيمِ» فأفرد عليّ الإمتنان بفاتحة

---

(١) الخصال: ص٣٥٥.

(٢) علل الشرائع: باب ١٠٦، ص١٢٧ ـ ١٢٨ ، ح٣. قطعة منه

(٣) الكافي: ج٢، باب فضل القرآن، ص٦٢٣، ح١٥.

(٤) الكافي: ج٢، باب فضل القرآن، ص٦٢٣، ح ١٦.

الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم، و إن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، و إنّ الله عزّوجل خصّ محمداً وشرّف بها ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه، ما خلا سليمان (عليه السلام) فإنه أعطاه منها «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ» ألا ترى أنّه يحكي عن بلقيس حين قالت:«إني أُلقيَ إليَّ كتاب كريم، إنّه من سليمان و إنّه بسم الله الرّحمن الرحيم» ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمّد و آله الطيبين، منقاداً لأمرهما مؤمناً بظاهرهما و باطنهما أعطاه الله تعالى بكلّ حرفٍ منها حسنة، كلّ واحدة منها أفضل له من الدنيا وما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع الى قارئ يقرؤها كان له بقدرما للقارئ، فليستكثر أحدكم من هذاالخير المعرض لكم، فإنّه غنيمة لا يذهبنّ أو انه فتبقى في قلوبكم الحسرة(١).

وفي تفسير العياشي: عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني عن أبيه قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): اسم الله الأعظم مقطّع في اُمّ الكتاب(٢).

عن محمدبن سنان، عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه (عليهم السلام) قال: قال لأبي حنيفة: ما سورة أوّلها تحميد، و أوسطها إخلاص، و آخرها دعاء؟ فبقي متحيّراً ثم قال: لا أدري، فقال أبوعبدالله (عليه السلام): السورة التي أوّلها تحميد، و أوسطها إخلاص، و آخرها دعاء، سورة الحمد(٣).

عن إسماعيل بن أبان ـ يرفعه إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ـ قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لجابربن عبدالله: يا جابر ألا أُعلّمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه؟ قال: فقال جابر: بلى بأبي أنت و أُمي ـ يا رسول الله

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١، ص٣٠١، ح٦٠، وصدر الحديث هكذا «عن أبيه الرضا علي بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفربن محمد، عن أبيه محمدبن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أخيه الحسن بن علي (عليهم السلام) قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): إنّ بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات تمامها بسم الله الرحمن الرحيم، سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: إلى آخره.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٩، ح١، وقد تقدّم سابقاً.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٩، ح٢.

علّمنيها، قال: فعلّمه الحمدلله أُم الكتاب، قال: ثم قال له: يا جابر، ألا اُخبرك عنها؟ قال: بلىٰ بأبي أنت و امُي فأخبرني، قال: هي شفاء من كلّ داء إلّا السام، يعني الموت(١).

عن أبي بكر الحضرمي، قال أبو عبدالله (عليه السلام): إذا كانت لك حاجة فاقرأ المثاني، و سورة أُخرى وصلّ ركعتين و ادع الله، قلت: أصلحك الله وما المثاني؟ قال: فاتحة الكتاب(٢).

ooo

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٢٠، ح٩، وفي الوسائل: ج٤، باب ٣٧، من أبواب قراءة القرآن، ح٨.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص٢١، ح١١، وتمام الحديث (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمدلله رب العالمين).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾
مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ: مكية، قيل: ومدنية أيضاً، لأنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة، و بالمدينة لمّا حوّلت القبلة إليها.

سبع آيات بالإتفاق، إلّا أنّ بعضهم عدّ «بِسْمِ الله الرَّحْمٰنِ الرَّحيم» آية، دون «انعمت عليهم» وهم: الإماميّة، و قرّاء مكة والكوفة، وفقهاؤهما، و ابن المبارك، والشافعي.

ومنهم: من عكس وعليه قرّاء المدينة والبصرة والشام و فقهاؤها، ومالك، والأوزاعي.

واستدلّت الإماميّة بما روي في تفسير أبي محمد العسكري (عليه السلام)، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إن «بِسْمِ الله الرّحمن الرّحيم» آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات، تمامها «بِسْمِ الله الرّحمن

الرّحيم»(١).

وفي تفسيرالعياشي: عن يونس‌بن عبدالرحمان، عمّن رفعه قال: سألت أباعبدالله (عليه السلام) عن قول الله تعالى «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ»، قال: هي سورة الحمد، وهي سبع آيات، منها «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» و إنّما سمّيت المثاني، لأنّها تثنّى في الركعتين(٢).

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سرقوا أكرم آية في كتاب الله «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ»(٣).

وفي تهذيب الأحكام: محمدبن علي بن محبوب، عن العباس، عن محمدبن أبي عُمير، عن أبي ايوب، عن محمدبن مسلم قال: سألت أباعبدالله (عليه السلام) عن السبع المثاني والقران العظيم، هي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» من السبع المثاني؟ قال: نعم، هي أفضلهنّ(٤).

وفي عيون الأخبار بإسناده إلى أميرالمؤمنين (عليه السلام)، حديث طويل، وفيه قيل لأميرالمؤمنين: أخبرنا عن «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ» أهي آية مِنْ فاتحة الكتاب؟ قال: نعم، كان رَسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقرؤها و يعدّها منه، و يقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني(٥).

و بإسناده عن الرضا، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام) قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات، تمامها «بسم الله الرحمن الرحيم»(٦).

وفيه عن الرضا (عليه السلام) قال: والإجهار بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في

---

(١) تفسير العسكري: ص١٠.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٩، ح٣.

(٣) تفسير البرهان: ج١، ص٤٢، ح١٥.

(٤) التهذيب: ج٢، باب ١٥، ص٢٨٩، ح١٣.

(٥) عيون أخبارالرضا: ج١، ص٣٠١، ذيل ح ٥٩.

(٦) الوسائل: ج٤، باب ١١، باب أنّ البسملة آية من الفاتحة ومن كل سورة، ص٧٤٧، ح٩.

جميع الصلاة سنّة(١).

و عن الرضا (عليه السلام): أنه كان يجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في جميع صلاته بالليل والنهار(٢).

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): إذا قمت للصلاة أقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» في فاتحة الكتاب؟ قال: نعم، قلت: فإذا قرأت فاتحة الكتاب أقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» مع السورة؟ قال: نعم(٣).

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن مهزيار، عن يحيى بن أبي عمران الهمداني قال: كتبت إلى أبي جعفر (عليه السلام): جعلت فداك، ما تقول في رجل إبتدأ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في صلاته وحده في أُمّ الكتاب، فلما صار إلى غير أُمّ الكتاب من السورة تركها، فقال العباسي: ليس بذلك بأس. فكتب (عليه السلام) بخطه: يعيدها مرّتين، على رغم أنفه، يعني العباسي(٤).

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن صفوان الجمّال، قال: صلّيت خلف أبي عبدالله (عليه السلام) أيّاماً، فكان إذا كانت صلاة لا يجهر فيها، جهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» وكان يجهر في السورتين جميعاً(٥).

وفي تفسير علي بن إبراهيم عن ابن اذينة، قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) «بسم الله الرحمن الرحيم» أحقّ ما جهر به، وهي الولاية التي قال الله عزوجل: «وإذا ذكرت ربك في القرآن ولّوا على أدبارهم نفوراً»(٦).

---

(١) الوسائل: ج٤، باب ٢١، باب استحباب الجهر بالبسملة في محل الاخفات، ص٧٥٨، ح٦.

(٢) الوسائل: ج٤، باب ٢١، باب استحباب الجهر بالبسملة في محل الاخفات ص٧٥٨، ح٧.

(٣) الكافي: ج٣، باب قراءة القرآن، ص٣١٢، ح١.

(٤) الكافي: ج٣، باب قراءة القرآن، ص٣١٣، ح٢، والعباسي، هو هشام بن ابراهيم العباسي، وكان يعارض الرضا، والجواد (عليهما السلام)، نقلاً عن هامش الكافي نفس المصدر السابق.

(٥) الكافي: ج٣، باب قراءة القرآن، ص٣١٥، ح٢٠.

(٦) تفسير القمي: ج١، ص٢٨.

وفي مجمع البيان: عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إنّ الله تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب من كنزالجنّة، فيها «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» الآية التي يقول الله تعالى: «وإذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ في القرآنِ وَحْدَهُ وَلّوا عَلىٰ أدْبارِهِمْ نُفُوراً»(١).

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان رسول الله يجهر بـ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» ويرفع بها صوته، فإذا سمعها المشركون وَلّوا مدبرين، فأنزل الله: «إذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ في القُرْآنِ وَحْدَه وَلّوا عَلىٰ أدْبارِهِمْ نُفُوراً»(٢).

وفيه عن عيسى بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه، عن علي (عليه السلام) قال: بلغه أن اُناساً ينزعون «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال: هي آية من كتاب الله أنساهم إيّاها الشيطان(٣).

عن خالد المختار قال: سمعت جعفربن محمد يقول: ما لهم ـ قاتلهم الله ـ عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله، فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها، وهي «بسم الله الرحمن الرحيم»(٤).

وفي كتاب الخصال: عن الأعمش، عن جعفربن محمد (عليه السلام) أنّه قال: والإجهار بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة واجب(٥).

واعلم أنّ بعض تلك الأخبار يدلّ على أنّها آية، و بعضها يؤيّده.

° ° °

(١) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص٣١، عند قوله: «المعنى واللغة».

(٢) تفسيرالعيّاشي: ج١، ص٢٠، ح٦، والحديث عن أبي حمزه.

(٣) تفسيرالعيّاشي: ج١، ص٢١، ح١٢.

(٤) تفسيرالعيّاشي: ج١، ص٢١، ح١٦.

(٥) الخصال: باب المائة فما فوقه: ص٦٠٣، ح٩.

و أما فضلها

في تفسير العياشي: عن صفوان الجمّال قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): ما أنزل الله من السماء كتاباً إلّا و فاتحته «بسم الله الرحمن الرحيم» و إنّما كان يعرف إنقضاء السورة بنزول «بسم الله الرحمن الرحيم» إبتداءً للأُخرى(١).

و في الكافي: محمدبن يحيى، عن علي بن الحسن بن علي، عن عبّادبن يعقوب، عن عمروبن مصعب، عن فرات بن أحنف، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سمعته يقول: أوّل كلّ كتاب نزل من السماء «بسم الله الرحمن الرحيم» فإذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» فلا تبال أن لا تستعيذ، و إذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» سترتك فيما بين السماء والأرض(٢).

و يمكن الجمع بين هذين الخبرين وخبر سليمان السابق: أنّ غير سليمان أُعطي البسملة بغير العربيّة، و سليمان اُعطيها بالعربيّة.

وفي اُصول الكافي: محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن عمربن عبدالعزيز، عن جميل بن دراج قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): لا تدع «بسم الله الرحمن الرحيم» و إن كان بعده شعر(٣).

عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمدبن خالد، عن محمدبن علي، عن الحسن بن علي، عن يوسف بن عبدالسلام، عن سيف بن هارون ـ مولى آل جعدة ـ قال: قال

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٩، ح٥.

(٢) الكافي: ج٣، باب قراءة القرآن، ص٣١٣، ح٣.

(٣) الكافي: ج٢، كتاب العشرة، ص٤٩٣، ح١.

أبوعبدالله (عليه السلام): اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» من أجود كتابك، ولا تمدّ الباء حتّى ترفع السين(١).

عنه،عن علي بن الحكم،عن الحسن بن سري، أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لا تكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم» لفلان، ولا بأس أن تكتب على ظهرالكتاب، لفلان(٢).

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن إدريس الحارثي، عن محمدبن سنان، عن مفضل بن عمر قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): يا مفضّل، إحتجبوا من الناس كلهم بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» و بـ «قل هوالله احد» اقرأها عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك ومن فوقك ومن تحتك. و إذا دخلت على سلطان جائر فاقرأها حين تنظر إليه، ثلاث مرات، و اعقد بيدك اليسرى، ثم لا تفارقها حتى تخرج من عنده(٣).

وفي كتاب التوحيد: بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام)، حديث طويل، وفيه: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من حزنه أمر يتعاطاه، فقال «بسم الله الرحمن الرحيم» وهو يخلص لله و يقبل بقلبه إليه، لم ينفكّ من إحدى اثنتين، إما بلوغ حاجته في الدنيا، و إما يُعَدّ له عند ربّه و يُدَّخر لديه، وما عندالله خير و أبقى للمؤمنين(٤).

وفيه: عن الصادق (عليه السلام)، حديث طويل، وفيه: و لربّما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره «بسم الله الرحمن الرحيم» فيمتحنه الله عزّوجلّ بمكروه، لينبهه على شكرالله تبارك وتعالى والثناء عليه، و يمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قول «بسم الله الرحمن الرحيم»(٥).

---

(١) الكافي: ج٢، كتاب العشرة، باب النوادر، ص٦٧٢، ح٢.

(٢) الكافي: ج٢، كتاب العشرة، باب النوادر، ص٦٧٢، ح٣.

(٣) الكافي: ج٢، كتاب فضل القرآن، ص ٦٢٤، ح ٢٠، وفيه يا مفضل احتجز من الناس.

(٤) التوحيد: باب معنى بسم الله الرحمن الرحيم، ص٢٣١، قطعة من ح٥.

(٥) كتاب التوحيد: باب معنى بسم الله الرحمن الرحيم،ص٢٣٢،قطعة من حديث ٥.

وفي تهذيب الأحكام: محمدبن علي بن محبوب، عن محمدبن الحسين، عن محمدبن حماد، بن زيد، عن عبدالله بن يحيى الكاهلي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها(١).

وفي مهج الدعوات: باسناده إلى محمدبن الحسن الصفّار، من كتاب فضل الدعاء، بإسناده إلى معاوية بن عمّار، عن الصادق (عليه السلام) قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» اسم الله الأكبر، أو قال: الأعظم(٢).

و برواية ابن عباس قال (صلّى الله عليه وآله): «بسم الله الرحمن الرحيم» اسم من أسماء الله الأكبر، وما بينه و بين اسم الله الأكبر إلا كما بين سوادالعين و بياضها(٣).

وفي عيون الأخبار: بإسناده إلى محمدبن سنان، عن الرضا (عليه السلام) قال: إنّ «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها(٤).

وفي كتاب علل الشرايع: بإسناده إلى الصادق (عليه السلام)، حديث طويل يقول فيه (عليه السلام)، بعد أن حكى عن النبي (صلّى الله عليه وآله) ما رأى إذ عرج به، و علة الأذان والإفتتاح: فلما فرغ من التكبير والإفتتاح قال الله عزوجل: الآن وصلت إليّ فسمّ باسمي، فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فمن ذلك جعل «بسم الله الرحمن الرحيم» في أول السورة، ثم قال: احمدني، فقال: «الحمدلله رب العالمين» وقال النبي (صلّى الله عليه وآله) في نفسه: شكراً، فقال الله: يا محمد: قطعت حمدي فسمّ باسمي، فمن ذلك جعل في الحمد لله «الرحمن الرحيم»

---

(١) التهذيب: ج٢، باب ١٥، من كيفية الصلاة وصفتها والمفروض من ذلك، ص٢٨٩، ح١٥.

(٢) مهج الدعوات: ص٣١٦.

(٣) مهج الدعوات: ص٣١٩.

(٤) عيون اخبار الرضا: ج٢، باب ٣٠، فيما جاء عن الرضا (عليه السلام) في الأخبار المنثورة، ص٥، ح١١.

مرتين، فلما بلغ «ولا الضالّين» قال النبي (صلّى الله عليه وآله): الحمد لله ربّ العالمين شكراً، فقال العزيز الجبار: قطعت ذكري فسمّ باسمي، فمن ذلك جعل «بسم الله الرحمن الرحيم» بعد الحمد في استقبال السورة الاُخرى(١).

و في تفسير العياشي: قال الحسن بن حرزا: و روى عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إذا أمّ الرجل القوم جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قريب الإمام فيقول: هل ذكرالله؟ يعني هل قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» فإن قال: نعم، هرب منه، و إن قال: لا، ركب عنق الإمام و دلّى رجليه في صدره، فلم يزل الشيطان إمام القوم حتى يفرغوا من صلاتهم(٢).

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمدبن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن ابي عمير، وصفوان بن يحيى جميعاً ـ عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: فإذا جعلت رجلك في الركاب فقل: «بسم الله الرحمن الرحيم» بسم الله والله اكبر(٣).

بِسْمِ اللَّهِ:الباء: متعلّقه بمحذوف، تقديره، بسم الله أقرأ، لأن الذي يتلوه مقروء، وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له، دون أبدأ، لعدم ما يطابقه، أو إبتدائي لزيادة إضمار فيه. و تقديم المفعول هنا كما في «بسم الله مجراها ومرساها» لأنه أهم، لكونه أدلّ على الإختصاص، و أدْخَلُ في التعظيم، و أوْفَقُ للوجود، فإنّ اسمه تعالى متقدّم على القراءة من حيث أنه جعل آلة لها، من أجل أنّ الفعل لا يتمّ ولا يعتدّ به شرعاً مالم يصدّر باسمه تعالى.

والباء للإستعانة، وقيل: للمصاحبة، والمعنى: متبرّكاً باسم الله أقرأ، وهو أحسن لرعاية الأدب.

ولم يزد في هذاالمقام على هذين الإحتمالين، وهذا وما بعده مقول على ألسنة

---

(١) علل الشرائع: ص٣١٥، باب ١، من علل الوضوء والاذان والصلاة.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص٢٠، ح٧.

(٣) الكافي: ج٤، باب القول إذا خرج الرجل من بيته، ص٢٨٥، قطعة من ح٢.

العباد ليعلموا كيف يتبرّك باسمه و يحمد على نعمه.

و يحتمل أنّه تعال صدّر كتابه به، للإشعار بأنّ التصدير به في كلّ فعل و تأليف أمر واجب، و إن كان مؤلّفه هوالله سبحانه.

والتعبير بلفظ الغائب للتعظيم، كقول بعض الخلفاء: الأمير يأمرك بكذا.

وكسر الباء، ولام الأمر، و لام الإضافة داخلاً على المظهر، وحقّ الحروف المفردة الفتح، لإختصاصها بلزوم الجر و الإمتياز عن لام الإبتداء، و إنّما كان حقّها ذلك لأنّها اُخت السكون في الخفّة.

والاسم عند أهل البصرة من الأسماء المحذوفة الإعجاز، لكثرة الإستعمال، المبنيّة أوائلها على السكون، وهى عشرة: اسم و است، و ابن و ابنة وابنم، و اثنان و اثنتان، و امرؤ وامرأة و ايمن في القسم عندالبصريّة، اُدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل، لأنّ من رأيهم أن يبتدؤا بالمتحرّك و يقفوا على الساكن، و منهم من ابتدأ بتحريك الساكن، فقال: سِمٌ وسمٌ فقال:

بسم الذي في كل سورة سمه

و اشتقاقه من السموّ، لأنّه رفعة للمسمّى و إشارة إليه، و يدلّ عليه تصريفه على أسماء و أسامي، وسمّي و سمّيت، و مجيء سُمىً كهدىً، قال:

والله أسماك سُمىً مباركاً آثرك الله به تباركا(١)

ومن المقلوبة الأوائل عندالكوفيين، أصله (وسم) قلبت واوه همزة.

وقيل: حذفت واوه و عوّضت عنها همزة الوصل، ليقلّ إعلاله.

و ردّ بأنّ الهمزة لم تُعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم.

و ردّ بأنّ كلمة اتصر قد حذفت منها التاء و اُدخلت عليها الهمزة.

و ردّ ذلك بأنّ غير المعهود ما حذف صدره و اُدخلت عليه الهمزة، وهو ليس كذلك.

---

(١) لسان العرب: ج١٤، ص٤٠١، في مادة «سما» وفيه أربع لغات: إسمٌ و أُسم بالضم، و سِمٌ و سُمٌ وينشد:

والله أسماك سماً مباركا آثرك الله به إيثاركا

و أُجيب بكلمة (اكرم) فإنه حذف منه الهمزة التي [هي] صدره و أدخل عليه همزة المتكلم، فتأمل.

والمراد منه اللفظ المغاير للمسمّى، الغير المتألّف من الأصوات، المتّحد باختلاف الأمم والأعصار، و إرادة المسمّى منه بعيد، لعدم اشتهاره بهذاالمعنى، وقوله تعالى: «سبح اسم ربك الأعلى»(١). المراد منه تنزيه اللفظ، أو هو مفحم فيه، كقوله:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما .... (٢)

و رأي أبي‌الحسن الأشعري، أنّ المراد بالاسم الصفة، وهو ينقسم عنده إلى ما هونفس المسمّى، و إلى ما هو غيره، و إلى ما ليس هو ولا غيره.

قيل: وهو عند أهل الظاهر من الألفاظ، فعلى هذا لا يصحّ قولهم: الاسم عين المسمّى.

و عند الصوفيّة عبارة عن ذات الحقّ والوجود المطلق، إذا اعتبرت مع صفة معيّنة و تجلّ خاص، فالرحمن مثلاً، هوالذات الإلهيّة مع صفة الرحمة، والقهّار مع صفة القهر، فعلى هذاالاسم عين المسمّى بحسب التحقّق والوجود و إن كان غيره بحسب التعقّل، والأسماء الملفوظة هي أسماء هذه الأسامي، و إضافته إلى الله على التقديرين لاميّة، والمراد به بعض أفراده التي من جملتها الله والرحمن والرحيم.

ويمكن أن تراد به هذه الاسماء بخصوصها بقرينة التصريح بها.

و يحتمل أن تكون الإضافة بيانية، أما على التقدير الثاني فظاهرة، و أما على الأول فبأن يراد بالأسماء الثلاثة أنفسها لا معانيها، و يكون الرحمن الرحيم جاريين على الله على سبيل الحكاية عمّا أُريد به من المعنى، و الإستعانة والتبرّك بالألفاظ بإجرائها على اللسان و إخطار معانيها بالبال، و بالمعاني بإخطارها بالبال و إجراء ما

---

(١) سورة الاعلى: الآية ١.

(٢) قاله: لبيد، مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٠ و إليك تمام البيت:

.... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

ناسبها على اللسان. و اقحم الاسم لكون التبرّك والاستعانه باسمه،والفرق بين اليمين واليُمن، ولم يكتب الألف لكثرة الإستعمال، و تطويل الباء عوض عنه.

«والله»:أصله الإله ـ فحذفت الهمزة وعوّض عنها حرف التعريف، ولذلك قيل (يا الله) بالقطع ـ علم الذات الواجب المستحقّ لجميع المحامد، وقد يستعمل في المعبود بالحق مجازاً.

والدليل على الأول أن كلمة (لا إله إلا الله) يفيد التوحيد من غير اعتبار عهد و غلبة ضرورة، و بالإتفاق من الثقات، فلو لم يكن علماً لم يكن مفيداً، وهو ظاهر.

و على الثاني قوله تعالى: «وهوالله في السموات»(١) قيل: لولم يكن علماً.

فالمراد بكلمة (إله) الواقعة اسم (لا) أما مطلق المعبود، فيلزم الكذب، أوالمعبود بالحقّ فيلزم استثناء الشيء عن نفسه.

و ردّ، بأنّ المراد المعبود بالحق، ولا يلزم إستثناء الشيء عنه، لأن كلمة (الله) صارت بالغلبة مختصّة بفرد من مفهومها.

وقيل: لأنّه يوصف ولا يوصف به، و لأنّه لابد له من اسم يجري عليه صفاته ولا يصلح له ممّا يطلق عليه سواه.

و ردّ بأنّه يمكن أن يقال: إنّه كان في الأصل وصفاً لكنه لمّا غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره، صار كالعلم، مثل: الثريا والصَّعِق، أُجري مجراه في إجراء الوصف عليه.

و استدل الذاهبون إلى أنّه كان في الأصل وصفاً فغلب، بأنّ ذاته من حيث هو بلا اعتبار أمر حقيقي أو غيره غير معقول للبشر، فلا يمكن أن يدلّ عليه بلفظ، و بأنّه لو دلّ على مجرّد ذاته المخصوصة لما أفاد ظاهر قوله تعالى: «وهو الله في السموات» معنىً صحيحاً، و بأنّ معنى الإشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركاً للآخر في المعنى والتركيب، وهو حاصل بينه و بين بعض الألفاظ.

والجواب عن الأول: أنه يكفي في الوضع ملاحظة الذات المخصوصة بوجه، وهو

---

(١) سورة الانعام: الآية ٣.

معقول للبشر.

وعن الثاني: بأنّا قد بيّنا أنّه يطلق على مفهوم المعبود مجازاً.

وعن الثالث: بأنّ اشتقاقه من لفظ آخر لا ينافي علميته، لجواز اشتقاق لفظ من لفظ ثم وضعه لشيء مخصوص.

و اشتقاقه من أله الهة و ألوهة و ألوهية بمعنى عبد، و منه تَألّه و استألَه، فالإله المعبود. أو من أله إذا تحيّر، إذالعقول تحير في معرفته. أو من ألهت فلاناً أي سكنت إليه، لأن القلوب تطمئنّ بذكره والأرواح تسكن إلى معرفته. أو من أله إذا فزع من أمر نزل عليه. أو ألهه أجاره، إذالعابد يفزع إليه، أو هو يجيره حقيقة، أو بزعمه إذا اُطلق على غيرالله كاطلاقهم الإله على الصبح. أو من أله الفصيل إذا ولع بأُمه، إذالعباد يولعون بالتضرّع إليه في الشدائد. أو من وله إذا تحيّر و تخبّط عقله.

وكان أصله (ولاه) فقلبت الواو همزة، لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة، في وجوه، فقيل: أله كأعاء و أشاح. و يردّه الجمع على آلهة دون أولهة. و قيل: أصله (لاه) مصدر لاه يليه ليهاً ولاهاً إذا احتجب أو ارتفع، لأنّه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار ومرتفع على كلّ شيء وعمّا لا يليق به، و يشهد له قول الشاعر:

كحلفة من أبي رباح   يسمعها لاهه الكبار(١)

وقيل: أصله (لاها) بالسريانيّة، فعرّب بحذف الألف الأخيرة و إدخال اللام عليه، قيل: تفخيم لامه إذا انفتح ما قبله أو انضم سنّة، وقيل: مطلقاً، وحذف ألفه

---

(١) لسان العرب: ج١٣، ص٤٧٠، في لغة (أله). وقد خففها الاعشى وقال:

كحلفة من أبي رباح   يسمعها لاهم الكبار

و إنشاد العامة: يَسْمَعُها لاهُهُ الكُبارُ

قال: و انشده الكسائي يسمعها الله والله كبار

وقال في الهامش: قوله (من أبي رباح) كذا بالأصل بفتح الراء والباء الموحدة، ومثله في البيضاوي، إلا أنّ فيه حلقة بالقاف، والذي في المحكم والتهذيب: كحلفة من أبي رباح بكسر الراء وبياء مثناة تحتيّة، و بالجملة فالبيت رواياته كثيرة.

لحن تفسد به الصلاة، ولا ينعقد به صريح اليمين، و قدجاء لضرورة الشعر.

ألا لا بارك الله في سهيل إذا ما الله بارك في الرجال (١)

هذا أصله، ثم وضع علماً للذات المخصوصة.

قيل: وهو اسم الله الأعظم، لأنّه لا يخرج بالتصرّف فيه ما أمكن عن معنى.

وفي تهذيب الأحكام: محمدبن علي بن محبوب، عن محمدبن الحسين، عن محمدبن حمادبن زيد، عن عبدالله يحيى الكاهلي، عن أبي عبدالله، عن أبيه (عليهما السلام) قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها(٢).

و في مهج الدعوات: بإسنادنا إلى محمدبن الحسن الصفار، من كتاب فضل الدعاء بإسناده إلى معاوية بن عمّار، عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» من اسم الله الأكبر، أو قال: الأعظم(٣).

و برواية ابن عباس قال (صلّى الله عليه وآله): «بسم الله الرحمن الرحيم» اسم من أسماء الله الأكبر، و ما بينه و بين اسم الله الأكبر، إلّا كما بين سواد العين و بياضها(٤).

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: صفتان للمبالغة، من رحُم بالضم، كالغضبان من غضب، والعليم من علم، بعد نقله إلى فعل. وهي انعطاف للقلب يصير سبب الإحسان. و منه الرحم، لا نعطافها على ما فيها. و أسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي الأفعال، دون المبادئ التي هي الإنفعالات.

وفي نهج البلاغة: رحيم لا يوصف بالرّقة(٥).

---

(١) لسان العرب: ج١٣، ص٤٧١، في لغة (أله) وفيه: انما أرادالله فقصر ضرورة.

(٢) التهذيب: ج٢، باب ١٥، باب كيفية الصلاة وصفتها والمفروض من ذلك والمسنون، ص٢٨٩، ح١٥.

(٣) مهج الدعوات: ص٣١٦.

(٤) مهج الدعوات: ص٣١٩.

(٥) نهج البلاغة: ص٢٥٨، خطبة ١٧٩.

و في كتاب الإهليلجة، قال الصادق (عليه السلام): إنّ الرحمة وما يحدث لنا، منها شفقة، ومنها جود، و إنّ رحمة الله ثوابه لخلقه، والرحمة من العباد شيئان، أحدهما يحدث في القلب الرأفة والرقّة لما نرى بالمرحوم من الضرر والحاجة وضروب البلاء، والآخر ما بعد الرقّة واللطف على المرحوم، والرحمة منّا ما نزل به، وقد يقول القائل: اُنظر إلى رحمة فلان، و إنّما يريد الفعل الذي حدث عن الرقّة التي في قلب فلان، و إنّما يضاف إلى الله عزّوجلّ من فعل ما حدث عنّا من هذه الأشياء، و أمّا المعنى الذي هو في القلب فهو منفي عن الله كما وصف عن نفسه، فهو رحيم لا رحمة رقّة(١).

وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم، لأنّ زيادة البناء يكون لزيادة المعنى، كما يكون للإلحاق والتزيين، و يكون ذلك باعتبار الكمّية أوالكيفيّة.

فعلى الأول يقال: رحمن الدنيا، لانّه يعمّ المؤمن والكافر، و رحيم الآخرة لأنّه يخصّ المؤمن.

و على الثاني رحمن الدنيا و الآخرة و رحيم الدنيا، لأنّ النعم الاُخرويّة كلّها جسام، و أما الدنيويّة فجليلة وحقيرة. وقدّم ـ والقياس يقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلى ـ لأنّه صار كالعَلَم من حيث إنّه لا يوصف به غيره، أو لأنّ الرحمن لمّا دلّ على اُصول النعم، ذكر الرحيم ليشمل ما يخرج منها فيكون كالتتمّة له، أو للمحافظة على رؤوس الآي، أو لتقدّم نعم الدنيا، أو لما ذهب إليه الصوفيّة من أنّ الرحمة هي الوجود، فإن اعتبرت من حيث وحدتها و إطلاقها نظراً إلى محتدها، اشتق منه الرحمن، و إن اعتبرت من حيث تخصّصها و تخصيصها باعتبار متعلّقاتها، اشتق منه الرحيم، ولا شك أنّ الحيثيّة الاُولى متقدّمة على الثانية.

و هو غير منصرف حملاً على نظيره في بابه، و إن منع اختصاصه بالله أن يكون له مؤنث على فعلى أو فعلانة.

وفي الحديث: إذا قال العبد «بسم الله الرحمن الرحيم» قال الله عزوجل: بدأ

(١) البحار: ج٣، كتاب التوحيد، ص١٩٦، وصدره (قال: فأخبرني عن قوله: رؤوف رحيم، وعن رضاه ومحبّته وغضبه وسخطه، قلت: إنّ الرحمة وما يحدث لنا...).

عبدي باسمي، حق عليّ أن أُتمّم أموره، و أُبارك له في أحواله(١).

و في الكافي: محمدبن يحيى، عن علي بن الحسين بن علي، عن عبّادبن يعقوب، عن عمروبن مصعب، عن فرات بن أحنف، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سمعته يقول: أول كلّ كتاب نزل من السماء «بسم الله الرحمن الرحيم» فإذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» فلا تبالي أن لا تستعيذ، و إذا قرأت «بسم الله الرحمن الرحيم» سترك فيما بين السماء والأرض (٢).

و في أُصول الكافي: محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن عمربن عبدالعزيز، عن جميل بن دراج قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): لا تدع «بسم الله الرحمن الرحيم» و إن كان بعده شعر(٣).

عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمدبن خالد، عن محمدبن علي، عن الحسن بن علي، عن يوسف بن عبدالسلام، عن سيف بن هارون ـ مولى آل جعدة ـ قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): اُكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» من أجود كتابك، ولا تمدّ الباء حتى ترفع السين(٤).

عنه، عن علي بن حكم، عن الحسن بن السري، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لا تكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» لفلان، ولا بأس أن تكتب على ظهر الكتاب: لفلان(٥).

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن إدريس الحارثي، عن محمدبن سنان، عن مفضل بن عمر قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): احتجبوا من الناس كلّهم بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» و بـ «قل هوالله أحد» اقرأها عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك، ومن فوقك، ومن تحتك. فإذا دخلت على

---

(١) بحارالانوار: ج٨٩، باب ٢٩، باب فضائل سورة الفاتحة، ص٢٢٧.

(٢) الكافي: ج٣، باب قراءة القرآن، ص٣١٣، ح٣.

(٣) الكافي: ج٢، كتاب العشرة، باب النوادر، ص ٦٧٢، ح١.

(٤) الكافي: ج٢، كتاب العشرة، باب النوادر، ص٦٧٢، ح٢.

(٥) الكافي: ج٢، كتاب العشرة، باب النوادر، ص٦٧٢، ح٣.

سلطان جائر، فاقرأها حين تنظر إليه ثلاث مرات، و اعقد بيدك اليسرى، ثم لا تفارقها حتى تخرج من عنده(١).

وفي كتاب التوحيد بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام)، في حديث طويل فيه: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من حزنه أمر يتعاطاه فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم» وهو مخلص لله ويقبل بقلبه إليه، لم ينفكّ من إحدى اثنتين: إما بلوغ حاجته في الدنيا، وإما يُعدّله ويدخّر لديه، وما عندالله خير وأبقى للمؤمنين(٢).

و فيه عن الصادق (عليه السلام) في حديث طويل، فيه: ولربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره «بسم الله الرحمن الرحيم» فيمتحنه الله عزوجل بمكروه، لينبّهه على شكرالله تبارك وتعالى والثناء عليه، ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قول: بسم الله(٣).

وفي عيون الاخبار، في تأويل «بسم الله الرحمن الرحيم» بإسناده إلى الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه قال: سألت الرضا (عليه السلام) عن «بسم الله الرحمن الرحيم»، قال: معنى قول القائل: بسم الله، أسِمُ على نفسي بسمة من سمات الله عزّوجلّ، وهي العبادة قال:فقلت له: ما السمة؟ قال: العلامة(٤).

و بالإسناد إلى عبدالله بن سنان قال: سألت أباعبدالله (عليه السلام) عن «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال: الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مجدالله(٥).

و روى بعضهم: الميم ملك الله، والله إله كل شيء، الرحمن بجميع خلقه،

---

(١) الكافي: ج٢، باب فضل القرآن، ص٦٢٤، ح٢٠.

(٢) كتاب التوحيد: باب معنى بسم الله الرحمن الرحيم، ص٢٣١، قطعة من ح٥.

(٣) كتاب التوحيد: باب معنى بسم الله الرحمن الرحيم، ص٢٣٢، قطعة من ح٥.

(٤) عيون أخبارالرضا: ج١، باب ٢٦، ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار النادرة، في فنون شتى، ص٢٦٠، ح١٩.

(٥) الكافي: ج١، كتاب التوحيد، باب معاني الأسماء واشتقاقها، ص١١٤، ح١.

والرحيم بالمؤمنين خاصة(١).

وفي كتاب التوحيد بإسناده الى صفوان بن يحيى، عمّن حدّثه، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، أنّه سئل عن «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال: الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم ملك الله، قال: قلت: (الله) قال: الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا، واللام إلزام الله خلقه ولايتنا، قلت: (فالهاء)؟ قال: هوان لمن خاف محمداً و آل محمد (صلوات الله عليهم)، قلت: (الرحمن)؟ قال: بجميع العالم، قلت: (الرحيم)؟ قال: بالمؤمنين خاصة(٢).

و بإسناده إلى الحسن بن راشد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال: سألته عن معنى (الله)، قال: استولى على مادقّ وجلّ(٣).

و خصّ التسمية بهذه الأسماء، ليعلم العارف أنّ الحقيق لأن يستعان به في جميع الأمور هوالمعبود الحقيق الذي هو مولى النعم كلّها عاجلها و آجلها، جليلها و حقيرها، فيتوجه بشراشره إلى جنابه.

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ: الحمد هوالثناء باللسان على الجميل الإختياري من نعمة أو غيرها. والمدح هوالثناء على الجميل مطلقاً. وفي الكشاف: أنهما أخوان(٤)، لتخصيصه المدح أيضاً بالجميل الإختياري، وقد صرّح به في تفسير قوله تعالى: «ولكن الله حبّب إليكم الايمان»(٥).

لا يقال: إذا خصّ الحمد بالجميل الإختياري، لزم أن لا يحمد الله تعالى على صفاته الذاتيّة كالعلم والقدرة والإرادة، بل اختصّ بأفعاله الصادرة عنه باختياره.

لأنا نقول: تُجعل تلك الصفات لكون ذاته كافية فيها، بمنزلة أفعال اختياريّة يستقلّ بها فاعلها.

---

(١) الكافي: ج١، كتاب التوحيد، باب معاني الأسماء و اشتقاقها، ص١١٤، ح١.

(٢) كتاب التوحيد: ص٢٣٠، ح٣.

(٣) كتاب التوحيد: ص٢٣٠، ح٤.

(٤) الكشاف: ج١، ص٨.

(٥) سورة الحجرات: الآية ٧.

ولا يخفى على المتأمّل أنّ ذلك الجعل لا يقتضي صحة الحمل على الصفات الذاتيّة، بل يقتضي صحّة إطلاق لفظ الحمد على الثناء على صفاته تجوّزاً، و أين أحدهما عن الآخر.

وحقيقته عند العارفين إظهار كمال المحمود قولاً أو فعلاً أو حالاً، سواء كان ذلك الكمال اختيارياً أو غير اختياري، والشكرمقابلة النعمة قولاً و عملاً و اعتقاداً، قال:

أفادتكم النعماء منّي ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

فهو أعمّ منها من وجه، و أخصّ من آخر.

ولمّا كان الحمد من شعب الشكر أشيع للنعمة و أدل على مكانها، لخفاء الإعتقاد وما في آداب الجوارح من الإحتمال، جعل رأس الشكر والعمدة فيه، فقال (عليه السلام): الحمدلله رأس الشكر، ما شكرالله من لم يحمده(١).

والذمّ نقيض الشكر، و رفعه بالإبتداء وخبره لله، و أصله النصب وقدقرئ به. و إنما عدل به إلى الرفع دلالة على الدوام والثبات. و قرئ «الحمدُ لِلّهِ» باتّباع الدال اللام و بالعكس، تنزيلاً لها لكثرة استعمالها معاً بمنزلة كلمة واحدة، كقولهم: مُنحدرُ الجبل ومِغيِره.

واللام فيه لتعريف الجنس، وهو الإشارة إلى ما يعرفه كلّ أحد من معنى الحمد، بناءً على أنّ الإختصاص يكون حينئذٍ مستفاداً من جوهر الكلام من غير استعانة بالأُمور الخارجة، و يكون مستلزماً لاختصاص جميع الأفراد، و للإستغراق بناءً على أنّ المتبادر إلى الذهن من المحلّى بلام الجنس في المقامات الخطابيّة هوالإستغراق، وهوالشائع في الاستعمال، وحينئذٍ يكون إختصاص الأفراد مصرّحاً به.

فإن قلت: لا يصحّ تخصيص جنس الحمد ولا تخصيص أفراده به، فإن خلق

---

(١) الجامع الصغير: ج١، ص١٥٢، ولفظ الحديث فيه «الحمد رأس الشكر، ما شكرالله عبد لايحمده».

الأفعال إن كان من عندالله فللكسب فيه مدخل، فرجع إليه بهذاالاعتبار، و أما عندالمعتزلة فلأن خالق الأفعال هوالعبد، و بمجرد تمكين الله و إقداره عليها لا يختص الحمد به، بل يرجع إليه سبحانه أيضاً كلّ باعتبار، وهولايفيد التخصيص بل الاشتراك.

قلت: لا يبعد أن يقال: إنّه جعل الجنس في المقام الخطابي منصرفاً إلى الكامل، كأنّه كلّ الحقيقة، فاختص الجنس من حيث هو أو أفراده به سبحانه.

فإن قلت: كيف يصحّ قصد تخصيص الجنس أو أفراده والحال أنّ قوله تعالى: الحمدلله، كان في الأصل: أحمد الله حمداً، أو نحمده حمداً، فلا يكون المراد إلّا الحمد المستند إلى المتكلّم الواحد، أو مع الغير، فبعد إفادة الكلام التخصيص لا يفيد إلّا تخصيص المخصوص لا مطلقاً.

قلت: كما أنّه في صورة الرفع يتجرّد الكلام عن التجدّد والحدوث، كذلك يتجرّد من النسبة إلى فاعل مخصوص، و أيضاً يمكن أن يكون صيغة المتكلّم مع الغير على ألسنة جميع الحامدين حقاً وخلقاً.

ثم قيل: إعلم أنّه إذا كان الحامد في مقام الجمع، فالمناسب أن يحمل اللاّم على الجنس، و إن كان في مقام الفرق قبل الجمع فالمناسب الاستغراق ولكن بالتأويل، و إن كان في مقام الفرق بعد الجمع فالمناسب الاستغراق ولكن بلا تأويل، و إن كان في مقام جمع الجمع فالمناسب الجنس والاستغراق معاً من غير احتجاب بأحدهما عن الآخر.

ثم اعلم أنّه يمكن أن يراد بالحمد الحامديّة والمحموديّة جميعاً بناءً على أنّه مشترك معنوي، فإنّه فعل واحد بين الحامد والمحمود، و إذا اعتبرت نسبته إلى الحامد يكون حامديّة، و إن اعتبرت إلى المحمود يكون محموديّة. أو لفظي و يجوز إستعمال المشترك في معنييه أو معانيه كما ذهب إليه المحققون، أو يكون مجازاً عن معنى مشترك بين المعنيين.

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ: الرّب في الأصل: هوالمالك، فهو إما صفة مشبهة من فعل متعد لكن بعد جعله لازماً من (ربه يربه) بفتح العين في الماضي و ضمّها في الغابر،

و إما وصف بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل، وهو مفرد لا يطلق على غيرالله إلا نادراً، و قرىء بالنصب على المدح أوالنداء، أو بالفعل الذى دلّ عليه الحمد.

قيل: هذاالاسم يفيد إثبات خمسة أحكام للحقّ سبحانه وتعالى، وهي:الثبات، والسيادة، والإصلاح، والملك، والتربية. لأنّ الرب في اللغة هوالمصلح، والسيد، والمالك، و الثابت، والمربّي، ففيه دليل على أنّ الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها، مفتقرة إلى المبقي حال بقائها.

و العالم: اسم لما يعلم به، كالخاتم لما يختم به، غلب فيما يعلم به الصانع ممّا سوى الله من الجواهر والأعراض، فإنّها لإمكانها و افتقارها إلى مؤثّر واجب لذاته تدلّ على وجوده.

وقيل: اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين، و تناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع.

وقيل: عنى به الناس هنا، فإنّ كلّ واحد منهم عالم من حيث أنّه يشمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والأعراض، يعلم بها الصانع كما يعلم بما أبدعه في العالم، ولذلك سوّى بين النظر فيهما، وقال: «وفي أنفسكم أفلا تبصرون»(١).

و إنما جمع لئلّا يتوهم أنّ القصد إلى استغراق أفراد جنس واحد ممّا سمي به، أو إلى حقيقة القدر المشترك ، فلما جمع، و أُشير بصيغة الجمع إلى تعدد الأجناس، و بالتعريف إلى استغراق أفرادها، أزال التوهم بلا شبهة.

و إنما جمعه بالواو والنون،مع أنّه مختصّ بصفات العقلاء أو ما في حكمها من أعلامهم، لمشابهته الصفة في دلالته على الذات، باعتبار معنى هو كونه يعلم أو يعلم به، و اختصاصه بأُولي العلم حقيقةً أو تغليباً.

وقيل: وصفيّته العالمين إنما هي بتقدير ياء النسبة، يعني العالميين، كالأعجمين بمعنى الأعجميين، و اختصاصه بأُولي العلم على سبيل التغليب.

و يمكن أن يجعل جمعه بالواو والنون إشارة إلى سريان الصفات الكمالية

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٢١.

من العلم والحياة وغيرهما في كلّ موجود من الموجودات، فالكل أُولوالعلم، وقد ذهب إليه بعض، كما يعلم من عبارة بعض.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث طويل، وفيه: لعلّك ترى أنّ الله إنما خلق هذاالعالم الواحد أو ترى أنّ الله لم يخلق بشراً غيركم، بلى ـ والله ـ لقد خلق ألف ألف عالم، و ألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم و أولئك الآدميين(١).

وفي كتاب الخصال بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال في حديث طويل: إنّ علم عالم المدينة ينتهي إلى حيث لايقفو الأثر و يزجر الطير، و يعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر بروجاً و اثني عشر براً و اثني عشر بحراً، و اثني عشر عالماً(٢).

و بإسناده إلى العبّاد بن عبدالخالق، عمّن حدّثه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ لله عزّوجلّ اثني عشر ألف عالم، كلّ عالم منهم أكبر من سبع سماوات و سبع أرضين، ما يرى عالم منهم أنّ لله عزوجل عالماً غيرهم، و أنا الحجة عليهم(٣).

وفي عيون الأخبار: حدّثنا محمدبن القاسم الاسترابادي المفسّر (رضي الله عنه) قال: حدّثني يوسف بن محمدبن زياد، وعلي بن محمدبن سيّار،عن أبويهما،عن الحسن بن علي بن محمدبن علي بن موسى بن جعفربن محمدبن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: جاء رجل إلى الرضا (عليه السلام) فقال: يابن رسول الله، أخبرني عن قول الله تعالى: «الحمد لله رب العالمين» ما تفسيره؟ فقال: لقد حدّثني أبي عن جدي، عن الباقر،عن زين العابدين،عن أبيه(عليهم السلام)، أنّ رجلاً جاء إلى أميرالمؤمنين (عليه السلام) فقال: أخبرني عن قول الله تعالى: «الحمد لله رب العالمين» ما تفسيره؟ فقال: الحمدلله، هو أن عرّف عباده بعض نعمه عليهم جُملاً، إذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل، لأنّها أكثر من أن تحصى أو

---

(١) كتاب التوحيد: باب ٣٨، ذكر عظمة الله جلّ جلاله، ص٢٧٧، قطعة من ح٢.

(٢) الخصال: أبواب الاثنى عشر، ص٤٩٠، قطعة من حديث ٦٨.

(٣) الخصال: باب من روى أنّ لله عزوجل اثنى عشر الف عالم، ص٦٣٩، ح١٤.

تعرف، فقال لهم: قولوا: الحمد لله على ما أنعم به علينا ربّ العالمين، وهم الجماعات من كلّ مخلوق من الجمادات والحيوانات. فأمّا الحيوانات فهو يقلّبها في قدرته، ويغذوها من رزقه، و يحوطها بكنفه، و يدبّر كلاًّ منها بمصلحته، و أمّا الجمادات فهو يمسكها بقدرته، و يمسك المتّصل منها أن يتهافت، و يمسك المتهافت منها أن يتلاصق، و يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، و يمسك الأرض أن تنخسف إلّا بأمره، إنّه بعباده رؤوف رحيم.

قال (عليه السلام): و ربّ العالمين: مالكهم وخالقهم و سائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون، فالرزق مقسوم، وهو يأتي ابن آدم على أيّ سيرة سارها من الدنيا، ليس تقوى متّقٍ بزائده، ولا فجور فاجر بناقصه، و بينه و بينه ستر وهو طالبه، فلو أنّ أحدكم يفرّ من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت، فقال الله جلّ جلاله: قولوا: الحمد لله على ما أنعم به علينا و ذكّرنا به من خير، في كتب الأولين قبل أن نكون، ففي هذا إيجاب على محمد و آل محمد (صلوات الله عليهم) وعلى شيعتهم أن يشكروه بما فضّلهم، و ذلك أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: لما بعث الله عزّوجل موسى بن عمران (عليه السلام) و اصطفاه نجيّاً و فلق له البحر و نجّى بني إسرائيل و أعطاه التوراة والألواح، رأى مكانه من ربّه عزّوجلّ فقال: يا ربّ أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي. فقال الله جلّ جلاله: يا موسى، أما علمت أنّ محمداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي؟ قال موسى: يا ربّ، فإن كان محمّد أكرم عندك من جميع خلقك، فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟

قال الله جلّ جلاله: يا موسى، أما علمت أنّ فضل آل محمد على جميع آل النبيّين كفضل محمد على جميع المرسلين؟ فقال موسى: يا ربّ، فإن كان آل محمد كذلك، فهل في اُمم الأنبياء أفضل عندك من اُمّتي، ظلّلت عليهم الغمام، و أنزلت عليهم المنّ والسّلوى، و فلقت لهم البحر؟ فقال الله جلّ جلاله: يا موسى أما علمت أنّ فضل اُمّة محمّد على جميع الاُمم كفضله على جميع خلقي؟ فقال موسى: ياربّ، ليتني كنت أراهم. فأوحى الله عزّوجلّ إليه يا موسى، إنّك لن

تراهم، وليس هذا أوان ظهورهم، ولكن سوف تراهم في الجنّات جنات عدن والفردوس بحضرة محمّد في نعيمها يتقلّبون، و في خيراتها يتبجبجون، أفتحبّ أن أُسمعك كلامهم؟ قال: نعم إلهي.قال الله جلّ جلاله: قم بين يدي و اشدد مئزرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل. ففعل ذلك موسى (عليه السلام)، فنادى ربّنا عزّوجلّ يا اُمّة محمّد فأجابوه كلّهم وهم في أصلاب آبائهم و أرحام اُمهاتهم: لبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك. قال: فجعل الله عزّوجلّ تلك الإجابة شعار الحاج، ثم نادى ربّنا عزّوجلّ: يا اُمة محمد، إنّ قضائي عليكم أنّ رحمتي سبقت غضبي، و عفوي قبل عقابي، فقد استجبت لكم من قبل أن تدعوني، و أعطيتكم من قبل أن تسألوني، من لقيني منكم بشهادة (أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، و أنّ محمداً عبده و رسوله، صادق في أقواله، محقّ في أفعاله، و أنّ علي بن أبي طالب أخوه و وصيّه من بعده ووليّه، و يلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمد، و أنّ أولياءه المصطفين الطاهرين المطهّرين المنبئين بعجائب آيات الله و دلائل حجج الله من بعدهما أولياؤه أدخلته جنتي و إن كانت ذنوبه مثل زبد البحر قال: فلمّا بعث الله عزّوجلّ نبيّنا محمّداً (صلّى الله عليه وآله) قال: يا محمّد، وما كنت بجانب الطور إذ نادينا اُمّتك بهذه الكرامة، ثم قال الله عزّوجلّ لمحمّد (صلّى الله عليه وآله): قل: الحمد لله ربّ العالمين على ما اختصّني به من هذه الفضيلة، وقال لاُمّته: قولوا أنتم: الحمد لله ربّ العالمين على ما اختصّنا به من هذه الفضائل(١).

و في الحديث: إذا قال العبد: الحمد لله ربّ العالمين، قال الله: حمدني عبدي وعلم أنّ النعم التي له من عندي، و أنّ البلايا التي اندفعت عنه بتطوّلي، اُشهدكم أني اُضيف له إلى نعم الدنيا نعم الاخرة، و أدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا(٢).

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١، باب ٢٨، فيما جاء عن الإمام علي بن موسى (عليهما السلام) من الأخبار المتفرقة، ص٢٨٢، ح٣٠.

(٢) المستدرك: ج١، كتاب الصلاة، باب ٥٧، من أبواب القراءة في الصلاة، قطعة من حديث ٣، ←

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: قد مرّ تفسيرهما و كرّره للتفصيل.

و يحتمل أن يكون المراد بـ (الرحمن الرحيم) في البسملة، هوالمتجلّي بصور الأعيان الثابتة بفيضه الأقدس، فإنّه تعالى باعتبار عموم هذاالفيض و إطلاقه هوالرحمن، و باعتبار تخصّصه و تخصيصه هوالرحيم.

والمراد بهما فيما بعدها هوالمتجلّي بصور الأعيان الوجوديّة بالاعتبارين المذكورين.

وقيل: ذكرالرحمة بعد ذكر العالمين وقبل ذكر (ملك يوم الدين) ينطوي على فائدتين عظيمتين في تفصيل مجاري الرحمة.

إحداهما تنظر إلى الرحمة في خلق العالمين، و أنّه خلقها على أكمل أنواعها و آتاها كلّما احتاجت إليه.

و أُخراهما يشير إلى الرحمة في المعاد يوم الجزاء، عندالإنعام بالملك المؤبد في مقابلة كلمة و عبادة، وهو يلائم ما ورد من قولهم: يا رحمن الدنيا و رحيم الآخرة، حيث قورن الرحمن بـ (ربّ العالمين) المشير إلى المبدأ، والرحيم بـ (ملك يوم الدين) المشير إلى المعاد.

وفي من لا يحضره الفقيه فيما ذكره الفضل من العلل عن الرضا (عليه السلام) أنّه قال، بعد أن شرح رب العالمين: «الرحمن الرحيم» استعطاف و ذكر لالائه و نعمائه على جميع خلقه(١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم في الموثق عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال بعد أن شرح الحمدلله رب العالمين: الرحمن بجميع خلقه، الرحيم بالمؤمنين خاصة(٢).

و في الحديث: إذا قال العبد: «الرّحمن الرّحيم» قال الله تعالى: شهد لي بأني الرّحمن الرّحيم، أُشهدكم لأُوفرنّ من رحمتي حظّه، و لأُجزلنّ من عطائي نصيبه.

نقلاً عن تفسير العسكري (عليه السلام).

(١) من لا يحضره الفقيه: ج١، باب ٤٥، وصف الصلاة، من فاتحتها الى خاتمتها، ص ٢٠٣، قطعة من ح١٢.

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٢٨.

مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ: و قرئ مالك وملك بتخفيف اللام، و مَلَكَ بصيغة الفعل و نصب اليوم، وملك ومالك بالنصب على المدح والحال. و يحتمل النداء، و مالك بالرفع منوناً و مضافاً على أنه خبر مبتدأ محذوف، و يعضد قراءته على اسم الفاعل قوله تعالى: «يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً و الأمر يومئذٍ لله»(١). و على الصفة المشبّهة قوله تعالى: «لمن المُلك»(٢)، وهي أولى لأنّها قراءة أهل الحرمين، و لأنّ بعض معاني الرّب هوالمالك فذكره ثانياً لا يخلوعن تكرار. و لأنّ الآخر وهو سورة الناس نظير الأول، والمذكور فيها بعد ذكر الرّب، هوالملك لا المالك. و لأنّ للملك زيادة عموم ليست للمالك، لأنّ ما تحت حياطة الملك، من حيث أنه ملك أكثر ممّا تحت حياطة المالك، فإنّ الشخص يوصف بالمالكيّة نظراً إلى أقلّ قليل، ولا يوصف بالملكيّة إلّا بالنظر إلى أكثر كثير، و للتناسب الحاصل بينه و بين الآيتين الأوّلتين.

و يوم الدين: يوم الجزاء، وقيل: زمان الجزاء، ومنه: «كما تدين تدان»(٣). و بيت الحماسة:

ولم يَبْقَ سِوَى العدوا نِ دنّاهم كما دانوا(٤)

و في اختياره على سائر الأسامي رعاية للفواصل، و إفادته للعموم، فإنّ الجزاء يتناول جميع أحوال القيامة إلى السرمد.

و للدين معان أُخر، مثل العبادة والطاعة والشريعة والشأن.

و دانه في اللغة: أذلّه و استعبده و ساسه وملكه(٥).

---

(١) سورة الانفطار: الآية ١٩.

(٢) سورة غافر: الآية ١٦.

(٣) نهج البلاغة: ص٢١٤، الخطبة ١٥٣.

(٤) قبله: صفحنا عن بني ذهل... وقلنا القوم إخوان

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان

لشهل بن شيبان بن ربيعة. الكشاف: ج١، ص١٢.

(٥) صحاح اللغة للجوهري: ج٥، ص٢١١٨.

و يمكن حمله على كلّ واحد، بل على الكلّ بالمرّة، وقد يظهر وجهه بصدق التأمّل.

و أما إضافة «ملك يوم الدين» من قبيل إضافة الصفة المشبّهة إلى غير معمولها كما في ربّ العالمين فتكون حقيقيّة لا لفظيّة فانّ اللفظيّة إضافتها إلى الفاعل لاغير، فيصحّ جعله صفة لله.

وأمّا إضافة «مالك يوم الدين» فمن قبيل إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على سبيل التجوّز، وهي أيضاً حقيقيّة، لأنّ المراد به الاستمرار أوالماضي، لا الحال والاستقبال.

و يصحّ جعل مالكيّته اليوم مستمرّة، مع أنّ يوم الدّين وما فيه ليس مستمرّاً في جميع الأزمنة، لكونه لتحقّق وقوعه و بقائه أبداً كالمتحقّق المستمرّ، كما يصحّ جعله لتحقّق وقوعه كالماضي.

و تخصيص اليوم بالإضافة إمّا لتعظيمه، أو لتفرّده تعالى بنفوذ الأمر فيه.

و لمّا دلّ بلامي التعريف والاختصاص على أنّ جنس الحمد مختصّ به وحقّ له، أجرى عليه تلك الأوصاف العظام، ليكون حجة قاطعة على انحصار الحمد فيه و استحقاقه إياه.

فذكر أوّلاً: ما يتعلّق بالإبداء من كونه ربّاً مالكاً للأشياء كلّها بإفاضة الوجود عليها و أسباب الكمالات لها.

و ثانياً: ما يتعلّق بالبقاء، من إسباغه عليها نعماً ظاهرة و باطنة، جليلة و دقيقة.

و ثالثاً: ما يتعلّق بالإعادة، من كونه مالكاً للأمر كلّه يوم الجزاء، فلا يستأهل غيره أن يحمد فضلاً من أن يعبد.

قال الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): قال أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه): يوم الدين، هويوم الحساب، سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: ألا أُخبركم بأكيس الكيّسين و أحمق الحمق؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أكيس الكيّسين من حاسب نفسه وعمل لما بعدالموت، و إنّ أحمق الحمق من اتبع نفسه هواها و تمنّى على الله تعالى الأماني. فقال الرجل: يا أميرالمؤمنين، فكيف

يحاسب الرجل نفسه؟ قال: إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه فقال: يا نفس، إنّ هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً، والله تعالى يسألك منه بما أفنيته، وما الّذى عملت فيه؟ أذكرت الله، أحمدته، أقضيت حوائج مؤمن، أنفست عنه كربته، أحفظته بظهر الغيب في أهله و ولده، أحفظته بعد الموت في مخلّفيه، أكففت عن غيبة أخ مؤمن بفضل جاهك، أأعنت مسلماً، ما الذى صنعت فيه؟؟؟ فيذكر ما كان منه، فإن ذكر أنّه جرى منه خيرٌ حمدالله تعالى و شكره على توفيقه، و إن ذكر معصيةً أو تقصيراً استغفرالله تعالى و عزم على ترك معاودته، و محى ذلك عن نفسه بتجديد الصلاة على محمد و آله الطيّبين، و عرض بيعة أميرالمؤمنين علي (عليه السلام) على نفسه و قبولها لها، و إعادته لعن أعداءه و شانئيه و دافعيه عن حقوقه، فإذا فعل ذلك قال الله تعالى: لست اُناقشك في شيء من الذنوب مع موالاتك أوليائي و معاداتك أعدائي(١).

و في الحديث: إذا قال العبد «مالك يوم الدين» قال الله تعالى: اُشهدكم كما اعترف بأنيّ مالك يوم الدين لأُسهلنّ يوم الحساب حسابه، ولأُثقلنّ حسناته، و لأتجاوزنّ عن سيئاته(٢).

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ: ذهب الزّجاج إلى أنّ (إيّامظهر مبهم أضيف إلى الشيء بعده إزالة لإبهامه، وكان إيّاك نفسك(٣).

والخليل: إلى أنّه مضمر مضاف إلى ما بعده، و احتج بما حكاه من بعض العرب: إذا بلغ الرجل الستين فإيّاه و إيّا الشَوابّ(٤).

و ردّ، بأنّ الضمير لا يضاف، وما نقل عن بعض العرب شاذ لا يعتمد عليه.

و ابن كيسان و بعض الكوفية: إلى أنّ الكاف و أخواته هي الضمائر التي كانت متّصلة و (إيّا) دعامة لها لتصير منفصلة(٥).

---

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص١٣، وهكذا في بحارالانوار: ج٨٩، كتاب القرآن، باب ٢٩، فضل سورة الفاتحة، ص٢٥٠.

(٢) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) : ص٢١.

(٣و٤و٥)الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري: ج٢، ص٦٩٥.

و قوم من الكوفة إلى أنّ (إيّاك) بكماله هوالضمير(١).

والأخفش إلى أنّ (إيّـا) ضمير منفصل، و لـواحقـه حروف لا محل لها من الإعراب، تـدلّ على أحوال مـا أُريد بـه مـن الخطـاب والتـذكير والإفـراد وما يقابلها(٢).

و قرئ (إيـاك) بتخفيـف اليـاء، و (أيّاك) بفتـح الهمزة و تشديد اليـاء و (هيّاك) بقلبها هاءً.

والعبادة هي أقصى غاية الخضوع والتذلل، ومنه طريق معبد أي مذلّل، و ثوب ذو عبدة: إذا كان في غاية الصفاقة، ولذلك لا يستعمل إلّا في الخضوع لله.

والاستعانـة:طلب المعونة، وهي إمّا ضرورية لا يتأتّى الفعل بدونها كاقتدار الفاعل و تصوّره، وحصـول آلة ومادة يفعل بها فيها، وعنـد استجماعها يوصف الرجل بـالاستطاعة و يصح أن يكلّف بالفعل، و غير ضـرورية يسهل الفعل بها كالراحلة في السفر للقادر على المشي، أو يقرّب الفاعل إلى الفعل و يحثّه عليه، و هذاالقسم لا يتوقّف عليه صحّة التكليف، هكذا قيل.

يقـال: استعانـه و استعـان بـه، بمعنى، و إنّما أُختير استعمـاله بـلا واسطة الحرف، إشارة إلى أنّ العبد ينبغي أن لا يرى بينه و بين الحق سبحانـه واسطة في الاستعانة، بأن يقصر نظره إليه، أو يرى الوسائط منه.

و تقـديم المفعول لقصـد الاختصاص. و تكريره ليـكون نصّاً في اختصاص كلّ من العبادة والاستعانة به سبحانه.

وفي إيراد (إيّاك) دون (إيّاه) كما هومقتضى الظاهر، التفات من الغيبة إلى الخطاب.

ومـن النكت الخاصة في الالـتفات من الغيبـة إلى الخطـاب في هذاالمقام ـ بعد اشتمـاله على فـائدة عامّة، من جهة المتكلّم وهي التصـرّف والإفتـنان في وجوه

(١) الانصاف في مسائل الخلاف للأنباري: ج٢، ص٦٩٥

(٢) تفسير الكشاف: ج١، ص١٣.

الكلام و إظهار القدرة عليها، ومن جهة المخاطب وهي فطريّة نشاطة في سماع الكلام و إيقاظه للإصغاء إليه ـ أنّه لما قال: (إيّاك) بدل (إيّاه) فقد نزّل الغائب بواسطة أوصافه المذكورة ـ التي أوجبت تمييزه و انكشافه حتّى صار كأنّه تبدّل خفاء غيبته بجلاء ظهوره منزلة المخاطب في التميز والظهور، ثم أطلق عليه ما هو موضوع للمخاطب، ففي إطلاقه ملاحظة لتلك الأوصاف، فصار الحكم مرتّباً على الأوصاف، كأنّه قيل: أيّها الموصوف المتميّز بهذه الأوصاف، نخصّك بالعبادة و الإستعانة، فيفهم منه عرفاً أنّ العبادة والاستعانة لتميزه بتلك الأوصاف.

ومنها: التنبيه على أنّ القراءة إنّما يعتدّ بها إذا صدرت عن قلب حاضر و تأمّل وافر، يجد القارئ في ابتداء قراءته محرّكاً نحو الإقبال على منعمه الذي أجرى حمده على لسانه، ثم تزداد قوّة ذلك المحرّك بجنب إجراء تلك الصفات العظام حتى إذا آل الأمر إلى خاتمتها أوجب إقباله عليه وخطابه بحصر العبادة و الإستعانة فيه.

ومنها: الإعلام بأنّ الحمد والثناء ينبغي أن يكون على وجه يوجب ترقّي الحامد من حضيض بُعد الحجاب والمغايبة إلى ذروة قرب المشاهده والمخاطبة.

ومنها: الإشارة إلى أنّ العبادة المستطابة، و الإستعانة المستجابة فى مقام العبوديّة، إنّما يليق بهما أن تعبد ربك كأنّك تراه و تخاطبه.

ومنها: الإشارة إلى أنّه ينبغي أن يكون تالي كلامه سبحانه بحيث يتجلّى له المتكلّم فيه و يصير مشهوداً له، ليخاطبه بتخصيص العبادة والإستعانة به، كما روى عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: لقد تجلّى الله تعالى لعباده في كلامه ولكن لايبصرون(١).

و عنه أيضاً أنّه خرّ مغشيّاً عليه وهو في الصلاة، فسئل عن ذلك، فقال: ما زلت أُردّد الآية حتّى سمعتها من المتكلم بها(٢).

الضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة، أو حاضري

---

(١) بحارالأنوار: ج٨٩، باب فضل التدبر بالقرآن ص١٠٧، ح٢.

(٢) تفسير القرآن الكريم: ج١، ص٤٠٧.

الجماعة، أو لـه و لسـائر الموحّدين، أو لـه فقط لاستجماعه القوى والحواس فكـأنّ لكلّ منها عبادة و استعانة، أو لوصوله إلى مقام الجمع فيرى العبادات والاستعانات كلّها صادرة عنه.

و تقديم العبادة على الإستعانة لرعاية الفاصلة، أو لأنّ العبادة وسيلة إلى الإستعانة إن كان المراد بها الإستعانة على ما عدا العبادة من المهمّات، ولا شك أنّ تقديم الوسيلة أدْخَلُ في استيجاب الإجابة. و إن كان المراد بها الإستعانة على العبادة، أوالاستعانة مطلقاً بحيث تدخل فيها العبادة أيضاً، فوجه تقديمها ظاهر أيضاً، لأنّها مقصودة بالنسبة إلى الإستعانة و إن كان طلب المعونة على الشيء مقدّماً عليه.

وقيل: لا يبعد أن يجعل العبادة إشارة إلى الفناء في الله، لأنّ غاية الخضوع هي الرجوع إلى العدم الأصلي، والإستعانة إشارة الى طلب البقاء بعد الفناء لتسير السير في الله، و حينئذٍ وجه التقديم ظاهر كما لا يخفى، وفيه ما لا يخفى.

و إنّما أطلق الإستعانة ولم يقيدها بكل مستعان فيه ولا ببعضه، ليحتمل الكلّ و يحمله القارىء على ما يناسب حاله.

و قرىء (نِستعين) بكسرالنون، وهى لغة تميم فإنّهم يكسرون حرف المضارعة سوى اليـاء إذا لم ينضمّ ما بعدها.

وقيل: الواو للحال، والمعنى نعبدك مستعينين بك، فأقول: لمّا نسب المتكلّم العبادة إلى نفسه أو هم ذلك تبجّحاً و اعتداداً منه بما صدر عنه، فعقّبه بقوله: «و إيّاك نستعين» ليدلّ على أنّ العبادة ـ أيضاً ـ ممّا لا يتمّ ولا يستتب إلّا بمعونة الله.

و في الحديث، إذاقال العبد: «إيّاك نعبد» قال الله: صدق عبدي إيّاي يعبد، أُشهدكم لأُثيبه على عبادته ثواباً يغبطه كلّ من خالفه في عبادته لي، فإذا قال: «و إيّاك نستعين» قال الله: بي استعان و إليّ التجأ أُشهدكم لأُعينه في شدائده و لأخذت بيده يوم نوائبه(١).

---

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص٢١.

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝ ﴾

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ: بيان للمعونة المطلوبة، أو إفراد لما هوالمقصودالأعظم.

والهداية دلالة بلطف، و لذلك تستعمل في الخبر، فقوله تعالى: «فاهدوهم إلى صراط الجحيم»(١) على التهكّم، ومنه الهدية، وهوادي الوحش لمقدماتها(٢)، والفعل منه، هدى، و أصله أن يُعدى باللام وإلى، فعومل معه معاملة ـ اختار ـ في قوله تعالى: (واختار موسى قومه)(٣). ومن هذا يظهر أن لا فرق بين المتعدّي بنفسه والمتعدّي بالحرف، لكن نقل(٤) عن صاحب الكشاف: إنّ هداه لكذا و إلى كذا إنما يقال: إذا لم يكن فيه ذلك فيصل بالهداية إليه. وهداه كذا لمن يكون فيه فيزداد أو يثبت ولمن لا يكون فيه فيصل.

وقد يقال: لا نزاع في الاستعمالات الثلاث، إلّا أنّ منهم من فرّق، بأنّ معنى المتعدّي بنفسه هوالإيصال إلى المطلوب، ولا يكون إلّا فعل الله فلا يسند إلّا إليه كقوله: «لنهدينّهم سبلنا»(٥) و معنى المتعدّي بحرف الجرّ هوالدلالة على ما يوصل

---

(١) سورة الصافات: الآية ٢٣.

(٢) هوادي الليل: أوائله، و في الحديث: طلعت هوادي الخيل: يعني أوائلها و هاديات الوحش أوائلها، لسان العرب: ج١٥، ص٣٥٧، في لغة (هدى).

(٣) سورة الاعراف: الآية ١٥٥.

(٤) الناقل: هوالسيد المحقق الشريف الحسيني الجرجاني، قال السيد في شرح ما في الكشاف: «هدى أصله أن يتعدّى باللام أو بالى» ما هذا لفظه: و فيه إشعار بان لا فرق بين المتعدّي بنفسه والمتعدّي بالحرف، لكنه فرّق بين هداه لكذا و إلى كذا، انما يقال: اذا لم يكن فيه ذلك فيصل بالهداية إليه، وهداه كذا لمن يكون فيه... الى آخره. راجع لكشاف: ج١، ص٦٦.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

إليه، فيسند تارة إلى القرآن، و أُخرى إلى النبي (صلّى الله عليه وآله)(١).

و هداية الله تتنوّع أنواعاً لا يحصيها عدّ، لكنها تنحصر في أجناس مترتّبة:

الأول: إفاضة القوىٰ التي تمكّن بها من الإهتداء إلى مصالحه، كالقوى العقليّة، والحواس الباطنيّة، والمشاعر الظاهرة.

والثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحقّ والباطل والصلاح والفساد.

والثالث: بإرسال الرسل و إنزال الكتب.

والرابع: أن يكشف على قلوبهم السرائر، و يريهم الأشياء كما هي بالوحي والإلهام والمنامات الصادقة، و هذاالقسم يختصّ بنيله الأنبياء والأولياء.

وطلب الهداية وغيرها من المطالب، قد يكون بلسان القول، وقد يكون بلسان الاستعداد، فما يكون بلسان الاستعداد لا يتخلّف عنه المطلوب، وما يكون بلسان القول ووافقه الاستعداد استجيب، و إلّا فلا.

فإن قلت: فعلى هذا لا حاجة إلى لسان القول.

قلت: يمكن أن يحصل في بعض استعداد المطلوب من الطلب بلسان القول، فالاحتياط أن لا يترك الطالب الطلب بلسان القول، فبالنسبة إلى بعض المراتب يطلب بلسان الاستعداد، و في بعضها بلسان القول.

وطلب الهداية بعد الاهتداء ـ فإنّ من خصّص الحمد بالله سبحانه و أجرى عليه تلك الصفات العظام، و حصر العبادة والاستعانة فيه كان مهتدياً ـ محمولٌ على طلب زيادة الهداية أوالثبات عليها.

قيل: إذا كان السالك في مقام السير إلى الله ولم يصل إلى مطلوبه، فلا شك أن بينه و بين مطلوبه مسافة ينبغي أن يقطعها حتّى يصل إليه، فلا بدّ له من طلب الهداية ليقطع تلك المسافة. إذا كان في السير في الله، فليس لمطلوبه نهاية ولا ينتهي سيره أبد الآبدين، فلا بدّ له من طلب الهداية.

فبالجملة: لا بدّ من طلبها و إن كانت حاصلة في بعض المراتب.

---

(١) الى هنا كلام السيد المحقق الشريف.

وهذه الصيغة موضوعة لطلب الفعل مطلقاً، لكنه من الأعلى أمرٌ، ومن الأدنى دعاء، ومن المساوي التماس.

و اعتبر بعضهم في الأوامر الاستعلاء، وفي الدعاء التضرّع، وفي الالتماس عدمهما.

و «السراط»: الجادة، سمّي به على ما توهم أنّه يبتلع سالكه، أو يبتلعه سالكه، كما يقال: أكلته المفازة، إذا أضمرته أو أهلكته، و أكل المفازة: إذا قطعها، و لذلك سمّي باللَّقم، لأنّه يلقمهم أو يلتقمونه.

وقيل: يناسب ابتلاع الصراط السالك السير إلى الله، فإنّ هذاالسير ينتهي إلى فناء السالك، و ذلك هو ابتلاع الصراط إيّاه، و ابتلاع السالك الصراط يناسب السير في الله، فإنّ السالك حينئذٍ يبقى ببقاء الله سبحانه و يسير في صفاته و يتحقّق بها، فكأنّه يبتلعها و يتغذّى بها.

و «**الصراط**»: من قلب السين صاداً لأجل الطاء، لأنّها مستعلية، فتوا فقها الصاد، لكونها أيضاً من المستعلية، بخلاف السين فإنّها من المنخفضة، ففي الجمع بينهما بعض الثقل، ويشمّ الصاد صوت الزاي ليكتسي بها نوع جهر فيزداد قربها من الطاء، وقيل: ليكون أقرب إلى المبدل منه، و قرئ بهنّ جميعاً. و الأفصح إخلاص الصاد، وهي لغة قريش، والجمع سرط ككتب. والصراط يذّكر ويؤنّث كالطريق والسبيل. و قرأ ابن مسعود: أرشدنا(١).

قيل: المراد بالمستقيم ما يؤدّي إلى المقصود، سواء كان أقرب الطرق أم لا، أوالمراد به أقرب الطرق، فغير المستقيم على هذا لا يجب أن يكون من طرق الضلال، بل يكون أعم، أوالمراد به أعدل الطرق، وهو غيرالمائل عنه يمنة و يسرة.

قيل: فطلب الهداية إلى الأول يناسب أهل السعادة مطلقاً، و إلى الثاني يناسب المتوجهين إليه بالوجه الخاص، فإنّه أقرب الطرق، و إلى الثالث يناسب طالبي مرتّبة الجمع بين الجمع والفرق، فإنّ طريقهم غير مائل إلى يمين الجمع، ولا إلى يسار الفرق.

---

(١) تفسير الكشاف: ج١، ص١٥.

وفي من لا يحضره الفقيه: وفيما ذكره الفضل من العلل عن الرضا (عليه السلام) أنّه قال: «اهدنا الصراط المستقيم» استرشاد لدينه، و اعتصام بحبله، و استزادة في المعرفة لرّبه عزّوجل ولعظمته وكبريائه(١).

و في مجمع البيان: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إنّ الله تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب إلى قوله: «اهدنا الصراط المستقيم» صراط الأنبياء، وهم الذين أنعم الله عليهم(٢).

و في تفسير علي بن إبراهيم (في الموثق) عن أبي عبدالله (عليه السلام): «اهدنا الصراط المستقيم» قال: الطريق ومعرفة الإمام(٣).

و بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام): قال: والله نحن الصراط المستقيم(٤).

وفي كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عزوجل: «اهدنا الصراط المستقيم» قال: هو أميرالمؤمنين ومعرفته، والدليل على أنّه أميرالمؤمنين قول الله عزّوجل: «وإنّه في أُمّ الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم» و هو أميرالمؤمنين (عليه السلام) في أُمّ الكتاب في قوله: «اهدنا الصراط المستقيم».

و بإسناده إلى المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الصراط؟ فقال: هوالطريق إلى معرفة الله عزّوجلّ، وهما صراطان: صراط في الدنيا و صراط في الآخرة، فأمّا الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا و اقتدى بهداه، مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه على الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنّم(٥).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: بإسناده إلى حفص بن غياث قال: وصف أبو

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج١، باب ٤٥، وصف الصلاة من فاتحتها الى خاتمتها، ص٢٠٤، ح١٢.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص ٣١.

(٣) تفسير القمي: ج١، ص٢٨.

(٤) تفسير نورالثقلين: ج١، ص٢١، ح٨٩.

(٥) معاني الاخبار: ص٣٢، باب معنى الصراط، ح١.

عبدالله (عليه السلام) الصراط، فقال: ألف سنة صعود، و ألف سنة هبوط، و ألف سنة حدال(١)و(٢)

و إلى سعدان بن مسلم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن الصراط، قال: هو أدقّ من الشعر، و أحدّ من السيف، فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، و منهم من يمرّ عليه مثل عدوالفرس، ومنهم من يمرّ عليه ماشياً، ومنهم من يمرّ عليه حبواً، ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً فتأخذ النار منه شيئاً و تترك شيئاً(٣).

و في كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام) قال: الصراط المستقيم أميرالمؤمنين(٤).

حدّثنا محمدبن القاسم الاسترابادي المفسّر قال: حدّثني يوسف بن محمدبن زياد، و علي بن محمدبن يسار، عن أبويها، عن الحسن بن علي بن محمدبن علي بن موسى بن جعفربن محمدبن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) في قوله: «اهدنا الصراط المستقيم» قال: أدم لنا توفيقك الذى به أطعناك فيمامضى من أيامنا، حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا، والصراط المستقيم هوالصراطان، صراط في الدنيا و صراط في الآخرة. فأمّا الطريق المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو و ارتفع عن التقصير و استقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل. والطريق الآخر، طريق أميرالمؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنّة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنّة(٥).

قال: و قال جعفربن محمد الصادق (عليه السلام) في قوله عزّوجلّ: «اهدنا

---

(١) قال الفراء: الأحدل: المائل، وقد حدل حدلاً، وقال أبو زيد: الأحدل: الذي يمشي في شق. لسان العرب: ج١١، ص١٤٧، في لغة (حدل).

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٢٩.

(٣) تفسير القمي: ج١، ص٢٩.

(٤) معاني الاخبار: باب معنى الصراط، ص٣٣، ح٤.

(٥) تفسير الامام العسكري (عليه السلام): ص١٥، في ذيل قوله تعالى: «اهدنا الصراط المستقيم».

الصراط المستقيم» قال: يقول: أرشدنا الطريق المستقيم، أرشدنا للزوم الطريق المؤديّ إلى محبّتك، والمبلغ دينك، والمانع من أن نتّبع هوانا فنعطب، أو نأخذ بآرائنا فنهلك(١).

و بإسناده إلى محمدبن سنان، عن المفضّل بن عمر قال: حدّثني ثابت الثمالي، عن سيد العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: نحن أبواب الله و نحن الصراط المستقيم(٢).

و بإسناده إلى سعدبن طريف، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا علي، إذا كان يوم القيامة أقعد أنا و أنت وجبرئيل على الصراط، فلم يجز أحد إلاّ من كان معه كتاب فيه براءة بولايتك(٣).

و في أُصول الكافي إلى أبي جعفر (عليه السلام) قال: أوحى الله إلى نبيّه (صلّى الله عليه وآله): «فاستمسك بالذي أُوحي إليك إنّك على صراط مستقيم» قال: إنّك على ولاية علي (عليه السلام)، وعلي هوالصراط المستقيم(٤).

علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن ابن محبوب، عن محمدبن الفضل، عن أبي الحسن الماضي (عليه السلام) قال: قلت: «أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى أم من يمشي سويّاً على صراط مستقيم». قال: إنّ الله ضرب مثل الذي حادّ عن ولاية علي كمثل من يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره، وجعل من تبعه سويّاً على صراط مستقيم، والصراط المستقيم أميرالمؤمنين (عليه السلام)(٥).

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ: بدل من الأول بدل الكلّ، لفائدتين.

---

(١) تفسير الامام العسكري (عليه السلام): ص١٥، في ذيل قوله تعالى: «اهدنا الصراط المستقيم».

(٢) معاني الاخبار: باب معنى الصراط، ص٣٥، ح٥.

(٣) معاني الاخبار: باب معنى الصراط، ص٣٥، ح٦.

(٤) الكافي: ج١، كتاب الحجة، باب فيه نكت و نتف من التنزيل في الولاية، ص٤١٦ - ٤١٧ - ح٢٤.

(٥) الكافي: ج١، كتاب الحجة، باب فيه نكت و نتف من التنزيل في الولاية، ص٤٣٣، قطعة من ح ٩١، مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الحديث.

إحداهما: التأكيد بذكر الصراط مرّتين لفظاً، و تكرير العامل تقديراً، و يلزمهما تكرير النسبة.

و ثانيتهما: الإيضاح بتفسير المبهم، و فيه أيضاً نوع تأكيد، فإنّ ذكر الشيء مبهماً و تفسيره يفيد تقريره و تأكيده.

و قرىء «من أنعمت عليهم». و (عليهم) في محل النصب على المفعوليّة.

والإنعام إيصال النعمة، وهي في الأصل الحالة التي يستلذّها الإنسان، فاُطلقت على ما يستلذّه من النعمة، وهي التنعّم.

و نعم الله و إن كانت لا تحصى كماقال:تعالى «و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها»(١)، تنحصر في جنسين، دنيوي و اُخروي، والأول: قسمان، موهبي وكسبي، والموهبي قسمان: روحاني كالروح وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق، و جسماني كالبدن والقوى الحالّة فيه والهيئآت العارضة له من الصحة وكمال الأعضاء،والكسبي تزكية النفس عن الرذائل و تحليتها بالأخلاق والملكات الفاضلة، و تزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة، وحصول الجاه والمال.

والثاني: أن يغفر ما فرط منه، و يرضى عنه، و يبوئه في أعلى علّيّين مع الملائكة المقرّبين أبدالآبدين.

والمراد هوالقسم الأخير، وما يكون وصلة إلى نيله من القسم الآخر، وما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر.

فالمراد بالمنعم عليهم: هم المؤمنون مطلقاً، و أطلق الإنعام ولم يقيّد بنعمة خاصة ليشمل كل إنعام؛ و وجه صحّة الشمول هو إدّعاء أنّ من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلّا أصابته.وقيل: الأنبياء (عليهم السلام).

وقيل: أصحاب موسى و عيسى (عليهما السلام) قبل التحريف والنسخ.

وفي كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى جعفربن محمد (عليهما السلام) قال:

---

(١) سورة إبراهيم: الايه ٣٤.

قول الله عزوجل في الحمد: «صراط الذين أنعمت عليهم» يعني محمداً و ذريّته صلوات الله عليهم(١).

حدّثنا محمدبن القاسم الاسترابادي المفسّرقال: حدّثني يوسف بن [المتوكل، عن] محمدبن زياد، وعلى بن محمدبن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي بن محمدبن علي بن موسى بن جعفربن محمدبن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) في قول الله تعالى «صراط الذين أنعمت عليهم» أي قولوا: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك و طاعتك، وهم الذين قال الله عزوجل: «ومن يطع الله و رسوله فأُولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقا» وحكي هذا بعينه عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: ثم قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحّة البدن، و إن كان كلُّ هذا نعمة من الله ظاهرة، ألا ترون أنَّ هؤلاء قد يكونون كفّاراً أو فسّاقاً، فما ندبتم إلى أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم، و إنّما أُمرتم بالدعاء إلى أن ترشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالإيمان بالله. و تصديق رسوله و بالولاية لمحمّد وآله الطيّبين و أصحابه الخيّرين المنتجبين، و بالتقيّة الحسنة التي يسلم بها من شرّ أعداء الله، ومن الزيادة في آثام أعداء الله وكفرهم، بأن تداريهم ولا تغريهم بأذاك و أذى المؤمنين، و بالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين(٢).

حدّثنا الحسن بن محمدبن سعيد الهاشمي، قال: حدّثنا فرات بن إبراهيم الكوفي، قال: حدّثني عبيدبن كثير، قال: حدّثنا محمدبن مروان، قال: حدّثنا عبيدبن يحيى بن مهران العطار، قال: حدّثنا محمدبن الحسين، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): في قول الله عزّوجلّ «صراط الذين أنعمت عليهم غيرالمغضوب عليهم ولا الضالّين» قال: هم شيعة علي (عليه السلام)

---

(١) معاني الاخبار: باب معنى الصراط، ص٣٦، ح٧.

(٢) معاني الاخبار: باب معنى الصراط، ص ٣٦، ح٩، و تفسير الامام العسكري (عليه السلام): ص٧، في ذيل قوله تعالى: «صراط الذين أنعمت عليهم».

الذين أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)، لم تغضب عليهم ولم يضلّوا(١).

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة: بإسناده إلى خيثمة الجعفي، عن أبي جعفر (عليه السلام)، حديث طويل، وفيه يقول (عليه السلام): و نحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله عزّوجلّ ونحن من نعمة الله على خلقه(٢).

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ: بدل من «الذين أنعمت» أو صفة له مُبَيِّنة بناءً على إجراء الموصول مجرى النكرة، كقوله:

وَ لَقَدْ أَمُرُّ على اللّئيم يسبّني ....(٣)

أو على جعل «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» معرفة، بناءً على اشتهار المنعم عليهم بمغايرة المغضوب عليهم، كما في قولك: عليك غيرالسكون.

أو مقيّدة على معنى إنّ المنعم عليهم هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة ـ وهي نعمة الإيمان ـ و بين السلامة من الغضب والضلال.

و قرئ بالنصب على الحال، و ذوالحال الضمير في عليهم، والعامل أنعمت، أو بإضمار أعني، أو بالإستثناء، إن فسّر النعم بما يعمّ القبيلتين.

والغضب ثوران النفس إرادة الإنتقام، فإذا أُسند إلى الله أُريد الإنتهاء والغاية، و (عليهم) في محل الرفع على الفاعلية. و إنما جاء بالإنعام مبنياً للفاعل، ليدل على ثبوت إنعام الله عليهم. و بالغضب مبنياً للمفعول، لأنّ من طلبت منه الهداية و نسب إليه الإنعام، لا يناسبه نسبة الغضب إليه، لأنّ المقام مقام تلطّف و رفق لطلب الإحسان، فلا يحسن مواجهته بصفة الإنتقام.

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ص٢، ومعاني الاخبار: باب معنى الصراط، ص٣٦، ح٨، وفيه «لم يُغضب».

(٢) كمال الدين و تمام النعمة: ج١، ص٢٠٦، باب الحادى والعشرون، قطعة من ح ٢٠، وفيه «الله عزّوجل».

(٣) و تمامه: فمضيت ثمة قلت لا يعنيني، لرجل من بني سلول، نقلاً عن هامش الكشاف: ج١، ص١٦.

وفي كتاب الإهليلجة: قال الصادق (عليه السلام): و أمّا الغضب فهو منّا إذا غضبنا تغيّرت طبائعنا، و ترتعد أحياناً مفاصلنا، ومالت ألواننا، ثم نجيئ من بعد ذلك بالعقوبات، فسمّي غضباً، فهذا كلام الناس المعروف. والغضب شيئان: أحدهما في القلب، و أما المعنى الذي هو في القلب فهو منفي عن الله جلّ جلاله، و كذلك رضاه و سخطه و رحمته على هذه الصفة(١).

وفي كتاب الإحتجاج للطبرسي رحمه الله: و روينا بالأسانيد المقدّم ذكرها عن أبي الحسن العسكري (عليه السلام)، أنّ أباالحسن الرضا (عليه السلام) قال: إنّ من تجاوز بأميرالمؤمنين (عليه السلام) العبوديّة، فهو من المغضوب عليهم ومن الضالّين(٢).

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ: و قرئ (و غيرالضالين) و (لا) هذه هي المسمّاة بالمزيدة عندالبصريّين، و هي إنّما تقع بعد الواو في سياق النفي للتأكيد، والتصريح بتعلّق النفي بكلّ من المعطوفين لئلّا يتوهم أنّ المنفي هوالمجموع من حيث هو، فيجوز حينئذٍ ثبوت أحدهما، والنفي الذي وقعت (لا) بعد الواو في سياقه، هو ما يتضمّنه غير، تقول: إنا زيداً غير ضارب، مع امتناع قولك: إنا زيداً مثل ضارب، لأنه بمنزلة قولك: إنا زيداً لا ضارب.

وقال الكوفيون: هي بمعنى غير، وهذا قريب من كونها زائدة، فإنه لو صرّح بغير كان للتأكيد أيضاً.

والضلال: العدول عن الطريق السوي عمداً أو خطأً، وله عرض عريض، والتفاوت ما بين أدناه و أقصاه كثير.

قيل: المغضوب عليهم :اليهود لقوله تعالى: (من لعنه الله و غضب عليه)(٣).

---

(١) بحارالانوار: ج٣، كتاب التوحيد، ص١٩٦.

(٢) الاحتجاج: ج٢، ص٢٣٣، باب احتجاج الامام الرضا (عليه السلام) في ذمّ الغلاة.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٠.

والضالين: النصارى لقوله تعالى: (قد ضلّوا من قبل و أضلّوا كثيراً)(١).

وقيل: يتجه أن يقال: المغضوب عليهم: العصاة، والضالّون: الجاهلون بالله، لأنّ المنعم عليه من وفّق للجمع بين معرفة الحقّ لذاته، والخير للعمل به، فكان المقابل له من اختلت إحدى قوتيه العاقلة والعاملة، والمخلّ بالعمل فاسق: فمغضوب عليه، لقوله تعالى في القاتل عمداً: (و غضب الله عليه)(٢). والمخلّ بالعلم جاهل ضالّ لقوله تعالى: (فماذا بعد الحق إلّا الضلال)(٣).

و أقول: يحتمل أن يكون المراد (بالمغضوب عليهم): الكفار الذين غضب عليهم فلم يهتدوا إلى طريق من طرق الحق أصلاً. و بالضالّين: الذين مَنّ الله عليهم بالإسلام و أدخلهم في زمرة أهل الإيمان، فضلّوا الطريق ولم يتفطّنوا لما هوالمرام.

و قرئ «ولا الضالّون» بالرفع، و (لا الضألين) بالهمزة على لغة من جدّ في الهرب عن إلتقاء الساكنين.

وفي الحديث: إذا قال العبد: (إهدنا الصراط المستقيم) إلى آخرها، قال الله: هذا لعبدي، و لعبدي ما سأل، قد استجبت لعبدي و أعطيته ما أمّل و آمنته ما منه وجل(٤).

و روى علي بن إبراهيم بإسناده عن علي بن عقبة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إن إبليس رنّ رنّتين: لما بعث الله نبيّه (صلّى الله عليه وآله) على حين فترة من الرسل، وحين نزلت أُم الكتاب(٥).

و روي عن أبي محمدالعسكري، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إن (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات تمامها (بسم الله الرحمن الرحيم)، سمعت رسول الله

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٣.

(٣) سورة يونس: الآية ٣٢.

(٤) عيون أخبارالرضا: ج١، ص٣٠١، ح٥٩.

(٥) تفسير القمي: ج١، ص٢٩، وفيه: «إنّ إبليس أنّ أنيناً»

(صلّى الله عليه وآله) يقول: إنّ الله عزّوجلّ قال لي: يا محمّد (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) فأفرد الإمتنان عليَّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القران، و إنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، و إنّ الله عزّوجل خصّ محمداً و شرّفه بها، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه، ما خلا سليمان فإنّه أعطاه منها (بسم الله الرحمن الرحيم) ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد و آله الطاهرين، منقاداً لأمرهم، مؤمناً بظاهرهم و باطنهم، أعطاه الله بكل حرف منها حسنة، كلّ حسنة منها أفضل من الدنيا وما فيها من أصناف أموالها و خيراتها، ومن استمع قارئاً يقرؤها كان له ما للقارئ، فليشكر أحدكم من هذاالخير المعرض لكم، فإنه غنيمة لا يذهبن أوانه فيبقي في قلوبكم الحسرة(١).

وأعلم أنّ (آمين) ليس من القرآن، ولا تجوز قراءته بعد فاتحة الكتاب عندالشيعة، لا للإمام ولا للمأموم ولا للمنفرد، وعليه الآثار الواردة عن الأئمة رضوان الله عليهم.

روي في الصحيح عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال: إذا كنت خلف إمام فقرأ الحمد و فرغ من قراءتها، فقل أنت: الحمدلله رب العالمين، ولا تقل: آمين(٢).

و روي أيضاً أنّ محمدبن الحلبي قال: سألت أباعبدالله (عليه السلام): أقول إذا فرغت من فاتحة الكتاب: آمين؟ قال: لا(٣).

لكن المتسنّنة ذهبوا الى أنّ قراءته بعد فاتحة الكتاب للمأموم مستحبّة، لكنه ليس عندهم من القرآن إلّا عند مجاهد، و ذكروا في ذلك أحاديث تدلّ على تأكّد استحبابها، لا نعرفها. قالوا: قال (عليه السلام): علّمني جبرئيل آمين عند فراغي من فاتحة الكتاب، وقال: إنّه كالختم على الكتاب(٤).

---

(١) تفسير الامام العسكري: ص١٠، و أمالي الصدوق: المجلس الثالث والثلاثون: ص١٤٨، وفيه: «فليستكثر أحدكم».

(٢) الوسائل: ج٤، كتاب الصلاة، باب ١٧، من ابواب القراءة في الصلاة، ص٧٥٢، ح١.

(٣) الوسائل: ج٤، كتاب الصلاة، باب ١٧، من أبواب القراءة في الصلاة، ص٧٥٢، ح٣.

(٤) بالرغم من الفحص الشديد لم نعثر في الصحاح والسنن والتفاسير على هذين الحديثين. لاحظ ←

....

ما راجعناه من الموارد المظنونة في الكتب التالية:

١ ـ صحيح مسلم: ج١، كتاب الصلاة، ص٣٠٦، باب ١٨، التسميع والتحميد والتأمين.

٢ ـ صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين، باب فضل التأمين، باب جهر المأموم بالتأمين.

٣ ـ سنن النسائي: ج٢، كتاب الإفتتاح، ص١١٠، جهر الإمام بـ(آمين)، باب الأمر بالتأمين خلف الإمام، فضل التأمين.

٤ ـ سنن ابن ماجة: ج١، كتاب إقامة الصلاة والسنّة فيها، ص٢٧٧، باب ١٤، باب الجهر بـ (آمين).

٥ ـ سنن الترمذي: ج٢، أبواب الصلاة، ص٢٧ باب ١٨٤، باب ما جاء في التأمين و باب ١٨٥، ما جاء في فضل التأمين.

٦ ـ الموطأ: ج١، كتاب الصلاة، ص٨٧، باب ١١، ما جاء في التأمين خلف الإمام.

٧ ـ سنن البيهقي: ج٢، كتاب الصلاة، ص٥٥، باب التأمين.

٨ ـ جامع الأُصول لابن الأثير: ج٦، حرف الصاد، ص٢٢٣، الفرع الثاني في الفاتحة والتأمين.

٩ ـ كنز العمال للمتقي: ج٧، حرف الصاد، كتاب الصلاة، ص٤٤٥، التأمين.

١٠ ـ المصنف للصنعاني: ج٢، ص٩٥، باب آمين.

١١ ـ المغني لابن قدامة: ج١، ص٥٦٤، مسألة ٦٧٦.

١٢ ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر العسقلاني: ج١، ص١٢٣، باب التأمين.

١٣ ـ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٢، ص١١٢، باب التأمين.

١٤ ـ تفسير الثعالبي (جواهر الحسان في تفسير القرآن): ج١، ص٢٦، القول في آمين.

نعم: في تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقّي: ط بيروت، ج١، ص٢٥، س١٣، أورد الحديثين كما في المتن.

و يؤيده ما في الدر المنثور: ج١، ص٤٣، ذكر آمين، قال: و أخرج أبوداود بسند حسن عن أبي زهير النميري، وكان من الصحابة، أنه كان إذا دعا الرجل بدعاء قال: اختمه بـ(آمين) فإن آمين مثل الطابع على الصحيفة، وقال: أخبركم عن ذلك؟ خرجنا مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ذات ليلة، فأتينا على رجل قد ألحّ في المسألة، فوقف النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) يسمع منه، فقال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم): أوجب إن ختم. فقال رجل من القوم: بأي شيء يختم؟ قال: بـ (آمين)، فإنه إن ختم بآمين فقد أوجب.

وفي سنن أبي داود: ج١، باب التأمين وراء الإمام، ص٢٤٧، الحديث ٩٣٨، أورده كما نقله عنه في الدر المنثور، و زاد بعده: فانصرف الرجل الذي سأل النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) فأتى الرجل فقال: اختم يا فلان بآمين و ابشر.

←

وفي معناه قول علي (عليه السلام): آمين خاتم رب العالمين، ختم به دعاء عبده(١) يعني: كما أنّ الختم يحفظ الكتاب عن فساد ظهور مضمونه على غيرالمكتوب إليه، كذلك يحفظ قول آمين دعاء العبد عن فساد ظهور الخيبة وعدم الإجابة فيه.

و عن النبي (صلّى الله عليه وآله) أيضاً قال: إذا قال الإمام (غيرالمغضوب عليهم ولا الضالّين) قال الملائكة: آمين، فقولوا: آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدّم من ذنبه(٢).

و أحاديثنا الصحيحة تدلّ على وضع تلك الأخبار، كما مرّ.

وبالجملة: هو اسم فعل، معناه استجب، مبني على الفتح، و فيها لغتان، المدّ والقصر وقيل: تشديد الميم خطأ، لكنه يجوز التشديد من (أمّ) إذا قصد، أي حال كوننا قاصدين نحوك .

وفي كتاب الترغيب والترهيب لعبدالعظيم المنذري: ج١، ص٣٢٧: (الترغيب في التأمين خلف الإمام)، الحديث ٧، أورده كما في سنن أبي داود.

وفي تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج١، ص١٢٧، قال: الباب الثالث في التأمين وفيه ثمان مسائل. وفي المسألة الثالثة أوردالحديث كما في سنن أبي داود، و زاد بعد ذلك : و في الخبر: لقّنني جبرئيل آمين عند فراغي من فاتحة الكتاب، وقال: إنه كالخاتم على الكتاب، قال الهروي: قال أبوبكر: معناه أنه طابع الله على عباده، لأنه يدفع به عنهم الآفات والبلايا، فكان كخاتم الكتاب الذي يصونه و يمنع من إفساده و إظهاره ما فيه.

(١) كما ذكر في الهامش رقم ٣، من صفحه ٥٢.

(٢) صحيح البخاري: ج٦، كتاب التفسير، باب غير المغضوب عليهم ولا الضالّين، ص٢١.

سورة البقرة

أي سورة تذكر فيها قصة البقرة. و إنّما سمّيت بها لغرابة قصتها، و امتياز هذه السورة بها عن سائر السور.

وهي مدنيّة، بل أوّل سورة نزلت بالمدينة إلاّ آية نزلت يوم النحر بمنى في حجّة الوداع «و اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله» الآية(١).

و آيها مائتان و سبع و ثمانون.

في كتاب ثواب الأعمال بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام) قال: من قرأ سورة البقرة و آل عمران، جاء يوم القيامة تظلاّنه على رأسه مثل الغيابتين(٢)و(٣).

وفيه: عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من قرأ أربع آيات من أول البقرة، و آية الكرسي، و آيتين بعدها، و ثلاث آيات من آخرها، لم ير في نفسه وما له شيئاً يكرهه، ولا يقربه الشيطان، ولا ينسى القرآن(٤).

وفي مجمع البيان: و سئل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أيّ سور القرآن

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨١.

(٢) العرب تسمي مالم تصبه الشمس من النبات كلّه، الغيبان بتخفيف الياء، و الغيابة كالغيبان، لسان العرب: ج١، ص٦٥٥، في لغة (غيب)

(٣) ثواب الأعمال: ص١٣٠، وفيه: جاءتا يوم... مثل الغمامتين أو مثل الغيابتين. وفي بعض النسخ (العبايتين).

(٤) ثواب الاعمال: ص١٣٠.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

أفضل؟ قال: البقرة، قال: أي آيـي القرآن أفضل؟ قال: آية الكرسي(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓ: و سائر الألفاظ التي يتهجّى بها أسماء مسمّياتها الحروف المبسوطة التي ركبت منها، وقد روعيت في التسمية لطيفة، وهي أنّ المسمّيات لما كانت كأساميها، وهي حروف وُحدان، والأسامي عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة، اتّجه لهم طريق إلى أن يدلّوا في التسمية على المسمّى، فلم يغفلوها وجعلوا المسمّى صدر كلّ اسم كما ترى في الألف، فإنّهم استعاروا لهمزة مكان مسمّاها، لأنّه لا يكون إلا ساكناً، و إنّما كانت أسماء لدخولها في حدّ الاسم، و اعتوار ما يختص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير و نحو ذلك عليها، و به صرّح الخليل و أبوعلي(٢).

و ما روى ابن مسعود أنّه (عليه السلام) قال: من قرأ حرفاً من كتاب الله فله

---

(١) مجمع البيان: ج١، ص٣٢ وفيه «آي البقرة»

(٢) تفسير الكشاف: ج١، ص١٩، وفيه: «كما ترى الآ في الألف».

حسنه، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف(١).

فالمراد فيه من الحرف الكلمة، فيحتمل أنّه سبحانه أراد بها الحروف الملفوظة على قصد تعديدها أو تسمية بعض السور، أوالقرآن، أو ذاته سبحانه بقسم أو غير قسم.

فالنكتة في ذلك التعديد أو التسمية على هذاالوجه أمران:

الأوّل: أنّه لما كانت مسمّيات هذه الأسماء بسائط الكلام التي يتركّب منها، افتتحت السور بطائفة منها على وجه التعديد أو التسمية بها، تنبيهاً لمن تحدّى بالقرآن على أنّ المتلوّ عليهم كلام منظوم ممّا ينظمون منه كلامهم، فلو كان من عند غيرالله لما عجزوا عن الإتيان بما يدانيه.

والثاني: أن تكون أوّل ما يقرع الأسماع مستقلاً بنوع من الإعجاز، فإنّ النطق بأسماء الحروف مخصوص بمن خطّ و درس، فأمّا الأُمي الذي لم يخالط أهل الكتاب فستبعد مستغرب خارق للعادة كالتلاوة والكتابة، وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق في فنّه، من إيراد نصف أسماء الحروف بحيث ينطوي على أنصاف مسمّياتها تحقيقاً و تقريباً في تسعة و عشرين سورة على عدد الحروف، مع نكات أُخر.

قيل: و يمكن أن تكون تلك الحروف الملفوظة باعتبار مخارجها إشارة إلى معان دقيقة لطيفة، كما يشيرون بالألف باعتبار مخرجها الذي هو أقصى الحلق إلى مرتبة الغيب، و بالميم باعتبار مخرجها الذي هوالشفة إلى مرتبة الشهادة، و بمخرج اللام الواقع بينهما إلى ما يتوسّط من المراتب، فالمشار إليه (الم) مرتبة الغيب والشهادة وما بينهما، و ذلك المشار إليه هوالكتاب الوجودي الذي لا يخرج منه شيء.

و يمكن حملها على معانيها الحسابيّة إشارة إلى مدد أقوام و اجال أو غير ذلك بحساب ذلك.

---

(١) التاج الجامع للأُصول في أحاديث الرسول: ج٤، ص٦.

و يدلّ عليه ما روي أنّه (عليه السلام) لما أتاه اليهود تلا عليهم (الم) البقرة، فحسبوا وقالوا: كيف ندخل في دين مدته إحدى و سبعون سنة؟ فتبسّم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقالوا: وهل غيره؟ فقال: المص و الر والمر. فقالوا: خلطت علينا فلا ندري بأيّها نأخذ؟!(١).

فإن تلاوته إيّاها بهذاالترتيب و تقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك.

وقيل: يمكن حمله على الإشارة بصورها الكتابية الرقيّة إلى معان أُخر، كما يشيرون بالألف إلى الوجود النازل من علو غيب الإطلاق إلى مراتب التقييد من غير انعطاف. و باللام إليه مع انعطاف من غير أن يتمّ دائرته، و بالميم إلى تمام دائرته، فيعم مراتب الوجود.

و يمكن أن يجعل تلك الحروف إشارة إلى كلمات هي منها اقتصر عليها، فالألف آلاء الله، واللام لطفه، والميم ملكه.

و روي أنّ (الم) معناه أنا الله أعلم(٢).

و أنّ الألف من الله، واللام من جبرئيل، والميم من محمد، أي القرآن منزل من الله على لسان جبرئيل إلى محمد (صلى الله عليه وآله) (٣).

وقال الصادق (عليه السلام): الألف حرف من حروف قولك: (الله) دلّ بالألف على قولك: (الله)، ودلّ باللام على قولك: (الملك العظيم القاهر للخلق أجمعين)، و دلّ بالميم على أنّه (المجيد المحمود في كلّ افعاله)(٤).

و روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمدبن أبي عمير، عن جميل بن صالح،

---

(١) معاني الاخبار: ص٢٣، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن، ح٣، والظاهر أنّ الحديث نقل ملخصاً.

(٢) معاني الأخبار: باب معنى الحروف المقطّعة في أوائل السور من القرآن، ص٢٢، ح١، وفيه: أنا الله الملك.

(٣) مجمع البيان: ج١، ص٣٢، قال: وعنه أيضاً أنّ (الم) الألف منه تدلّ على اسم الله، واللام تدلّ على جبرائيل، والميم تدلّ على اسم محمّد (صلّى الله عليه وآله).

(٤) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص٢٢، والحديث طويل.

عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (الم) وكل حرف في القرآن منقطعة من حروف اسم الله الأعظم الذي يؤلفه الرسول والإمام (عليهما السلام) فيدعو فيجاب(١).

و يحتمل أن يكون الكلّ مع احتمالات أُخر لا تنافي الشرع، ليس هنا موضع ذكرها مراراً، والله أعلم بحقيقة الحال.

وهذه الأسماء معربة، و إنّما سكّنت سكون زيد و عمرو و بكر، حيث لا يمسّها إعراب لفقد مقتضيه.

والدليل على أنّ سكونها وقف آية يقال: (ص) و (ق) و (ن) مجموعاً فيها بين الساكنين، و إذا وقفت على آخرها قصرت، لأنّها في تلك الحالة خليقة بالأخف الأوجز.

ومدّت في حال الإعراب، وهي إمّا مفردة كـ (ص)، أو على زنة مفرد كـ (حم) فإنّه كهابيل، أو لا، الأوّل يجوز فيه الإعراب والحكاية، والثاني ليس فيه إلّا الثاني، فقوله (الم) في محل النصب على حذف حرف القسم و إعمال فعله، أوالجر على تقديمه، أوالرفع على أنّه مبتدأ ما بعده خبره، أو خبر محذوف المبتدأ.

ذَٰلِكَ :اسم إشارة مركّب من اسم وحرفين، فالاسم (ذا) للمذكر الواحد. أمّا ذكورة المشار إليه، فلتأثيره في نفس المخاطب، و إنتاجه فيها معرفة الحق وصفاته سبحانه. و أمّا إفراده فلأنّ المشار إليه و إن كان متعدّداً في نفسه، لكنه ملحوظ من حيث أحدية الجمعية، كما يدلّ عليه الإخبار عنه بالكتاب المنبئ عن الجمعيّة أو توصيفه به.

و أحد الحرفين (اللام) الدالّ بتوسطه بين اسم الإشارة والمخاطب على بعد المسافة بينه و بين المشار إليه، ووجه البعد عدم إمكان إحاطة فهم المخاطب بما

---

(١) معاني الأخبار: باب معنى الحروف المقطّعة في أوائل السور من القرآن، ص٢٣، ح٢، والحديث عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، ولفظ الحديث قال: الم هو حرف من حروف اسم الله الأعظم المقطّع في القرآن الذي يؤلفه النبي (صلّى الله عليه وآله) والإمام، فإذا دعا به أُجيب.

يقصد به.

والآخر (الكاف) الدالّ على ذكورة المخاطب و إفراده. أمّا ذكورة المخاطب فلأنّ المخاطب أولاً هوالنبي (صلّى الله عليه وآله) بحسب حقيقة مرتبة الأُبوة بالنسبة إلى جميع أفراد الآدميين. كما قيل بلسان مرتبته:

و إني و إن كنتُ ابن آدمَ صورةً فلي فيه معنىً شاهدٌ بأُبُوَّتي

و أمّا إفراده فلإمحاء كثرته النسبيّة في الوحدة الحقيقيّة.

اَلْكِتَابُ: الكتب الجمع، يقال: كتبت القربة أي جمعتها، ومنه الكتيبة للجيش، والكتاب بمعناه سمّي به المفعول مبالغة، وقيل: بني للمفعول كاللباس ثم أُطلق على العبارات المنظومة قبل الكتابة، لأنّ من شأنها أن تكتب، والحقائق العلمية إن كانت معتبرة لا بأحوالها تسمّى حروفاً غيبيّة، ومع أحوالها كلمات عينيّة. والوجوديّة بلا أحوالها حروفاً وجوديّة، ومع أحوالها كلمات وجوديّة. والدالّة على جملة مفيدة آية، والبعض الجامع لتلك الجمل سورة، و مجموع تلك المعقولات والموجودات كتاباً و فرقاناً و قرآناً ـ أيضاً ـ باعتباري التفصيل والجمع.

وفي تركيب قوله: (الم) مع ما بعده أوجه:

إن جعلت (الم) اسماً للسورة أو للقرآن، أن يكون (الم) مبتدأ، و (ذلك) مبتدأ ثانياً و (الكتاب) خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول. ومعناه أنّ ذلك الكتاب هوالكتاب الكامل، كأنّ ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، و أنّه الذي يستأهل أن يسمّى كتاباً، كما تقول: هوالرجل، أي الكامل في الرجوليّة، الجامع لما يكون في الرجال من مَرْضيّ الخصال.

و أن يكون (الم) خبر مبتدأ محذوف، أي هذه الم. و يكون (ذلك) خبراً ثانياً، أو بدلاً، على أنّ (الكتاب) صفة.

و أن يكون (هذه الم) جملة، و (ذلك الكتاب) جملة أُخرى.

و إن جعلت (الم) بمنزلة الصوت كان (ذلك) مبتدأ خبره (الكتاب) أي ذلك الكتاب المنزل هوالكتاب الكامل، أو (الكتاب) صفة وما بعده خبره. أو قدّر مبتدأ محذوف، أي هو، يعني المؤلّف من هذه الحروف (ذلك الكتاب).

و قرأ عبدالله: الم تنزيل الكتاب، و تأليف هذا ظاهر.

وليس شيء منها آية عند غيرالكوفيّين. و أمّا عندهم: فـ الم في مواقعها، والمص و كهيعص وطه وطسم و يس وحم آية، و (حم عسق) آيتان والبواقي ليست بآيات.

قيل: إنّ المفسّرين متفقون على أنّ (ذلك) في موضع الرفع، فإمّا أن يكون خبراً عن (الم) أو عن محذوف، أو مبتدأ وخبره (الم)(١).

و أقول: المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين، وجب تقديم المبتدأ، فالخبر في هذه الصورة مع كونه معرفة، كيف يجوز تقديمه.

لَا رَيْبَ فِيهِ: الريب في الأصل مصدر (رابني) الشيء إذا حصل فيه الريبة. وهي قلق النفس و اضطرابها، قال (عليه السلام): «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»(٢)، فإنّ الشك ريبة والصدق طمأنينة، أي يكون الأمر مشكوكاً فيه ممّا تقلق النفس له ولا تستقر، وكونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن له و تسكن، ومنه ريبة الزمان لما يقلق النفوس من نوائبه، فالمراد به الشك، لا معناه المصدري.

وضمير (فيه) راجع إلى الحكم السابق إن كان هناك حكم، أو إلى (الكتاب) أو إلى (ذلك).

و إنما نفي الريب مع كثرة المرتابين، لأنّ الريب مع وضوح مزيحه كلا ريب.

و يحتمل أن يكون المراد أنّ القرآن ليس مظنّة للريب، بمعنى أنّ العاقل إذا رجع إلى عقله و ترك العناد، ظهرت حقيقته وصدقه عليه غاية الظهور، ولم يبق معه شك و ريب أصلاً.

و أن يكون أنّ (لا ريب فيه) (للمتقين) و (هدىً) حالاً عن الضمير المجرور.

---

(١) في هامش بعض النسخ: القائل مولانا محمد مؤمن السبزواري في تفسيره، منه (قدس سره).

(٢) الوسائل: ج١٨، كتاب القضاء، باب ١٢، من أبواب صفات القاضي، ص١٢٢، ح٣٨، نقلاً عن الفضل بن الحسن الطبرسي في تفسيره الصغير، وص١٢٧، ح٥٦، نقلاً عن الشهيد في الذكرى، ومسند أحمد بن حنبل: ج٣، ص١٥٣، والحاكم في المستدرك: ج٢، ص١٣، كتاب البيوع، و تمامه (فإنّ الخير طمأنينة و إنّ الشر ريبة) وفي عوالي اللئالي: ج١، ص٣٩٤، و ج٣، ص٣٣٠.

و أن يكون الريب المنفي هوالريب بمعناه المصدري، أي ليس فيه إيقاع شك، بأن يكون فيه شيء يوقع في الشك، كالاختلاف المذكور في قوله تعالى: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِاللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اِخْتِلَافاً كَثِيراً»(١).

و أن يكون أنّه لا ريب فيه في الواقع، و إن كانوا مظهرين للريب، كما روي عن أبي محمدالعسكري أنّه قال (عليه السلام): لا ريب فيه، لا شك فيه، لظهوره عندهم كما أخبر أنبياؤهم أنّ محمداً ينزل عليه كتاب لا يمحوه الماء، يقرؤه هو و أُمته على سائر أحوالهم(٢).

و لم يقدّم الظرف كما قدّم في قوله: «لا فيها غَوْلٌ»(٣) لأنّه لم يقصد هنا إنحصار نفي الريب فيه، كما قصد هناك إنحصار نفي الغول في خمور الجنة.

و قرأ أبوالشعثاء: لا ريبٌ فيه بالرفع(٤)، والفرق بينها و بين القراءة المشهورة، أن المشهوة توجب الاستغراق، وهذه تجوّزه.

والوقف على (فيه) هوالمشهور. وعن نافع و عاصم أنّهما وقفا على (لا ريب) ولا بدّ للواقف من أن ينوي خبراً ليتم الكلام الأول، ونظيره قوله تعالى: «لاضير»(٥)، و قول العرب: لا بأس، وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز، والتقدير: لا ريب فيه فيه(٦).

فعلى التقدير الأوّل يحتمل أن يكون (فيه) صفة للريبة والخبر محذوفاً، و أن يكون هوالخبر والمجموع جملة وقعت مؤكّدة لـ «ذلك الكتاب» أو جزاء بعد خبر لـ (ذلك) أو لقوله (الم).

و على التقدير الثاني يحتمل أيضاً تلك الإحتمالات، و أن يكون فيه الثاني خبر

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٢) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص٢٢.

(٣) سورة الصافات: الآية ٤٧.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج١، ص١٩.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٥٠.

(٦) التفسير الكبير: ج١، ص١٩.

الهدى مقدّماً عليه.

هُدًى: هو مصدر على فعل كالسرى والبكى. وهو الدلالة الموصلة إلى البُغية، بدليل وقوع الضلالة في مقابله، قال الله تعالى: «أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ»(١) ويقال: مهدي في موضع المدح كمهتد، و لأنّ اهتدى مطاوع هُدى و أن يكون المطاوع في خلاف معناه، ألا ترى إلى نحو غمّه فاغتمّ وكسره فانكسر و أشباه ذلك.

و هو إمّا مبتدأ خبره مقدّم عليه، أو محذوف، و على التقديرين فهو على حقيقته، أو خبر مبتدأ محذوف، أو خبر بعد خبر، أو حال كما سبق، إمّا على المبالغة كأنه نفس الهدى، أو على حذف المضاف أي ذو هداية، أو على وقوع المصدر بمعنى اسم الفاعل.

قال أبو جعفر (عليه السلام): الكتاب أمير المؤمنين، لا شك فيه أنّه إمام هدى(٢).

لِلْمُتَّقِينَ: المتقي: اسم فاعل من قولهم وقاه يقي. والوقاية فرط الصيانة و شدة الاحتراس من المكروه، ومنه فرس واق، إذا يقي حافره أذى شيء يصيبه.

وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عمّا يضرّه في الآخرة، وله ثلاث مراتب:

الأولى: التوقي عن الشرك المفضي إلى العذاب المخلّد، وعليه قوله تعالى: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ)(٣).

والثانية: التجنّب عن كلّ ما يؤثم من فعل أو ترك حتّى الصغائر عند قوم، وقيل: الصحيح أنها لا يتناولها لأنّها تقع مكفّرة عن مجتنب الكبائر.

والثالثة: أن يتنزّه عمّا يشغل سرّه، عن الحقّ و يتبتّل إليه بكلّية، وهو التقوى

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦.

(٢) لم نعثر على حديث بهذه الألفاظ، وممّا يناسبه و يماثله ما رواه أبو بصير عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: الكتاب علي (عليه السلام) لا شك فيه. لاحظ تفسير القمي: ج١، ص٣٠.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٦.

الحقيق المطلوب بقوله تعالى: (وَ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)(١).

قيل: ومن جملة معاني باب الإفتعال، الإتخاذ، فمعنى إتقى على هذا إتخذ الوقاية، ولهذا قال بعض العلماء في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ»(٢): اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربّكم، واجعلوا ما بطن منكم وهو ربّكم وقاية، فإنّ الأمر ذمّ وحمد، فكونوا وقايته في الذم واجعلوه وقايتكم في الحمد تكونوا أُدباء عالمين، فإنّ توحيد الأفعال يقتضي إسناد المحامد والمذام إلى الله، فالسّالك إذا أسندهما إليه قبل ذكاء النفس وطهارتها تقع في الإ باحة و بعد طهارتها يكون مسيئاً للأدب، فعلى هذا المتقون هُم الذين يتّخذون ربّهم وقايةً لأنفسهم و ينسبون الكمالات إلى ربّهم، لا إلى أنفسهم ليكون لهم إخلاص من ظهور أنيّاتهم و أنفسهم، و يتّخذون أنفسهم وقاية لربّهم و ينسبون النقائص إلى أنفسهم لا إلى ربّهم، ولو كانت في حقيقة التوحيد منسوبة إلى الله تعالى، لئلاّ يسيئوا الأدب إليه سبحانه.

و إنّما قال: (هُدىً لِلمتقين) مع أنّ المتقين مهتدون، إمّا بناءً على أنّ المراد بالمتّقين المشارفون على التقوى، أوالمقصود زيادة وقايتهم، بأن يراد بالهدى زيادة الهدى إلى مطلب لهم، أوالتثبت على ما كان حاصلاً لهم.

و يحتمل أن يراد بالمتقي: الموحّد مطلقاً.

روى الصدوق في التوحيد، بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عزوجل: (هُوَ أَهْلُ التَّقوى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَة)(٣) قال: قال الله تبارك و تعالى: أنا أهل أن اُتقى ولا يشرك بي عبدي شيئاً، و أنا أهل إن لم يشرك بي عبدي أن اُدخله الجنة(٤).

قال صاحب الكشف: الأظهر أنّه لا يحتاج إلى أحدالتجوزين، من حمل الهدى على الازدياد، والمتقى على المشارف، لأنّه إذا قيل: السلاح عصمة للمعتصم أو عصاً

---

(١) سورة ال عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة الحج: الآية ١.

(٣) سورة المدثر: الآية ٥٦.

(٤) التوحيد: باب ١، ثواب الموحّدين والعارفين، ص١٩، ح٦.

له، والمال غنىً للمغني، على معنى سبب غنائه، لم يلزم أن يكونا سببي عصمةٍ و غناءٍ حادثين غيرما هما، أي المعتصم والغنى فيه، إذ لا دلالة له على الزمان.

و أُجيب بأنّ المتبادر إلى الفهم من تعلّق الفعل بشيء، هو اتّصاف ذلك المتعلّق بما عبّر عنه عند اعتبار المتعلّق حتّى يقال: فيه شفاء للمريض ومرض للصحيح، ولو عكس لم يصح إلاّ بتأويل.

و عن أبي محمدالعسكري (عليه السلام): أنَّ معناه بيان و شفاءٌ للمتقين من شيعة محمّد و عليّ (عليهما السلام). اتّقوا أنواع الكفر فتركوها، و اتّقوا الذنوب الموبقات فرفضوها، و اتقوا أسرار الله و أسرار أزكياء عباده الأوصياء بعد محمد صلوات الله عليهم فكتموها، و اتّقوا سرّ العلوم عن أهلها المستحقّين لها ففيهم نشروها(١).

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ: يحتمل الرفع والنصب والجر، والظاهر الجر، على أنّه صفة للمتقين كما هوالظاهر، أو بدل أو عطف بيان. فأمّا الرّفع فإمّا على أنّه خبر مبتدأ محذوف، أي هم الّذين يؤمنون، أو مبتدأ خبره (أُولٰئك على هُدىً). و أمّا النصب فعلى المدح بتقدير أعني. و إذا كان صفة فهي إمّا مقيّدة، إن فسر التقوى بترك ما لا ينبغي كما هوالمناسب لمعناه اللغوي، وهوالاحتراز، فحينئذٍ يراد بالمتقي من يحترز عن المعاصي أي فعل القبائح والمنهيّات، سواء يمتثل الأوامر و يأتي بالحسنات أم لا، فعلى هذا تكون الصفة مقيدةً مخصّصةً.

فإن قلت: إجتناب المعاصي كلّها يستلزم الإتيان بالطاعات، لأنّ ترك الطاعة معصية.

قلت: إنّ المراد بالمعاصي كما هوالمتبادر ما يتعلّق به صريح النهي، و ترك المأمور به منهيّ عنه ضمناً أو أنّ مبنى هذا الكلام على أنّ المعصية فعل ما نهي عنه، و أنّ الترك ليس بفعل. وكذا إن أُريد بالتقوى الأُولى من مراتبها الثلاث، فإنّ المراد بالمتقين حينئذٍ من يجتنبون عن الترك، فتوصيفهم بالذين يؤمنون لا يكون

---

(١) تفسير الامام العسكري (عليه السلام): ص٢٤.

إلّا تقييداً أو تخصيصاً، أو كاشفةً إن فسّر بما يعمّ فعل الحسنات و ترك السيئات، وحمل الذين يؤمنون إلى آخره على ما يساويه، والتقوى بهذا المعنى بعينه هي المرتبة الثانية من مراتبه، وهي حقيقة معناه عند الجمهور. و أمّا إذا أُريد بها المرتبة الثالثة التي لا يتحقق بها إلّا الخواص، فيمكن أن تكون أيضاً صفةً كاشفةً، يظهر وجهه للمتأمّل الصادق فيما سيأتي من بعض بطون الآية. أو مادحةً ذكرت لمجرد المدح والثناء، و تخصيص ما ذكر إظهاراً لفضله على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى.

وقد فرّق بين المدح صفةً والمدح اختصاصاً، بأنّ الوصف في الأول أصل والمدح تبع، وفي الثاني بالعكس. و بأنّ المقصود الأصلي من الأول إظهار كمال الممدوح والاستلذاذ بذكره، ومن الثاني إظهار أنّ تلك الصفة أحقّ باستقلال المدح من باقي صفاته الكماليّة، إمّا مطلقاً أو بحسب ذلك المقام.

والإيمان: إفعال من الأمن من المتعدّي إلى مفعول واحد، والهمزة للتعدية الى مفعولين؛ تقول: أمنت عمرواً و أمننيه زيدٌ، أي جعلني آمناً منه. وقيل: الهمزة للصيرورة نحو أعشب المكان، بمعنى صار ذا عشب، فمعنى آمَنَ، صار ذا أمن. وقيل: المطاوعة نحو كبّه فأكبّه، أي أمنه فأمن، ثم نقل إلى التصديق ووضع له لغةً، ثم إنك إذا صدّقت زيداً فقد اعترفت بكلامه فعدّي بالباء على تضمين معنى الإعتراف.

وفي عرف الشرع: هو التصديق بما علم بالضرورة من دين محمد (صلّى الله عليه وآله) كالتوحيد والنبوّة والإمامة والبعث والجزاء كما هو ظاهر.

وقيل: مجموع ثلاثة أُمور، إعتقاد الحق، والإقرار به، والعمل بمقتضاه، وهذا مذهب المعتزلة والخوارج، فمن أخلّ بالاعتقاد وحده فهو منافق، ومن أخلّ بالإقرار فكافر، ومن أخلّ بالعمل ففاسق وفاقاً، وكافر عند الخوارج، خارج من الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة.

واختلف القائلون بأنّ الإيمان هو التصديق وحده، في أنّ مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف في المقصود، أو لابدّ من انضمام الإقرار للمتمكّن منه؟ ولعلّ الحق هو الثاني لأنّه تعالى ذمّ المعاند أكثر من ذمّ الجاهل المقصّر. و للمانع أن يجعل الذم

للإنكار لا لعدم الإقرار.

ولا بأس علينا أن نذكر معنى التضمين هنا فإنّه يناسبه، فنقول: التضمين أن يقصد بفعل معناه الحقيقي و يلاحظ معه فعلاً آخر يناسبه، و يدلّ عليه بذكر شيء من متعلّقات الآخر، كقولك: «أحمد إليك فلاناً»، فإنّك لمّا جعلت فيه مع الحمد معنى الإنهاء و دللت عليه بذكر صلته، أعني كلمة (إلى) كأنّك قلت: أُنهي حمده إليك.

ثم إنهم اختلفوا فذهب بعضهم إلى أنّ اللفظ مستعمل في معناه الحقيقي فقط، والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدلّ عليه ذكر ما هو من متعلّقاته، فتارةً يجعل المذكور أصلاً والمحذوف قيداً على أنّه حال، و تارة يعكس.

و ذهب آخرون إلى أنّ كلا المعنيين مراد بلفظٍ واحدٍ على طريق الكناية، إذ يراد بها معناه الأصلي ليتوصّل بفهمه إلى ما هوالمقصود الحقيقي، فلا حاجة إلى تقدير، إلّا لتصوّر المعنى. وفيه ضعف، لأنّ المعنى المكّنى به في الكناية قد لا يقصد ثبوته، وفي التضمين يجب القصد إلى ثبوت كلّ من المضمن والمضمن فيه.

والأظهر أن يقال: إنّ اللفظ مستعمل في معناه الأصلي، فيكون هوالمقصود أصالة، لكن قصد بتبعية معنى آخر يناسبه من غير أن يستعمل فيه ذلك اللفظ و يقدّر له لفظ آخر، فلا يكون من باب الكناية ولا من الإضمار، بل من قبيل الحقيقة التي قصد بمعناها الحقيقي معنىً آخر يناسبه و يتبعه في الإرادة. فاحفظ هذه المسألة فإنّها مفيدة.

بِٱلْغَيْبِ: الغيب مصدر غاب غيباً، حمل على الغائب مبالغةً، أو على حذف مضافٍ، أو على جعل المصدر بمعنى اسم الفاعل، و إمّا مخفف فيعل كهين وهين و أمثاله.

و ردّ ذلك بأنّ هذا لا يدعى إلّا فيما يسمع مثقلاً كنظائره، و ذلك ليس من هذاالقبيل، والمراد به الخفيّ الذي لا يكون محسوساً ولا في قوة المحسوس كالمعلومات ببديهة العقل، و ذلك كذاته سبحانه و أسمائه الحسنى و صفاته العلى و أحوال الآخرة، إلى غير ذلك من كلّ ما يجب على العبد أن يؤمن به وهو غائب عنه لا

يشاهد ولا يعاينه، فالإيمان لا يكون عن المؤمن إلّا عن غيبه، سواء كان تقليداً أو نظراً أو استدلالاً، فإذا ارتفع عن درجة الإيمان كان عارفاً مشاهداً.

ولهذا فرّق جبرئيل بين درجة الإيمان وما فوقه عند سؤاله النبي (صلّى الله عليه وآله)، حيث قال: يا محمد، أخبرني ما الإيمان وما فوقه؟ قال (عليه السلام): الإيمان أن تؤمن بالله والملائكة والكتب والنبيّين وتؤمن بالقدر كلّه. ثم قال: يا محمد، أخبرني ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك (١)

(١) رواه جل أئمة الحديث بعبائر مختلفة و أسانيد متعددة، ونحن ننقل بعض أحاديثه مبسوطاً من جامع الأصول لابن الأثير، ففيها إشارة إلى الأحاديث الأُخر.

يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقتُ وحميد بن عبدالرحمن الحميري - حاجين أو معتمرين - فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله(صلّى الله عليه(وآله)وسلّم) فسألناه عمّا يقول هؤلاء في القدر؟ فوفق لنا عبدالله بن عمربن الخطاب رضي الله عنه داخل المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ، فقلت: أبا عبدالرحمن، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن و يتفقرون العلم، و ذكر من شأنهم و أنهم يزعمون أن لا قدر و أن الأمر أُنف، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم: أني بريء منهم و أنهم براء مني، والذى يحلف به عبدالله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني أبي عمربن الخطاب قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله (صلّى الله عليه (وآله)وسلم)ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلي النبي (صلّى الله عليه (وآله) وسلم)فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، و قال يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه(وآله)وسلم): الإسلام أن تشهد ألا إله إلّا الله و أنّ محمداً رسول الله، و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة وتصوم رمضان و تحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت فعجبنا له يسأله و يصدّقه قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله و ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر و تؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبدالله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك ، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، و أن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق، فلبث ملياً، ثم قال لي: يا عمر، أتدري من السائل؟ قلت: الله و رسوله أعلم، قال: فإنّه جبرئيل أتاكم يعلّمكم دينكم.

جامع الاصول لابن الأثير: ج١، الفصل الأول من الباب الأول من الكتاب الأول، في الإيمان والإسلام ص١٢٨.

فقوله: «أن تعبد الله كأنّك تراه» أي تعبده، حين تراه بعين بصيرتك و قوّة يقينك كأنّك تراه، فكما أنّ المبصر بعين البصر لا يحتاج إلى الاستدلال، فكذلك بعين البصيرة وقوة اليقين لا يحتاج إليه، فهو بالنسبة إليك بمنزله المشهود المحسوس، فدرجة الإحسان فوق الإيمان.

و إنما سمّي ذلك إحساناً، لأنّه إنعام من الله تعالى و فضل، ليس للعبد فيه تسبب، بخلاف الإيمان فإنه مكتسب.

و يمكن أن يراد بالغيب غيب الغيوب، الذي هو ذاته المطلقة وهويته الغيبية السارية في الكلّ علماً وعيناً.

والباء على هذه التقادير:للتعدية، متعلّقه المتضمن للإيمان، و يمكن أن تكون للمصاحبة متعلّقة بمحذوف يقع حالاً. والغيب بمعناه المصدري، أي يؤمنون حال كونهم متلبسين بغيبتهم عن المؤمن به، أو بغيبة المؤمن به عنهم. أوالمعنى أنّهم يؤمنون غائبين عنكم، لا كالمنافقين الذين (إذا لَقُوا الّذين آمنوا قالُوا آمنّا وَ اذا خَلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا مَعَكم)(١)

و أن تكون للإستعانة أي يؤمنون باستعانة غيوبهم التي هي نفوسهم الناطقة و أرواحهم المجرّدة التي هي غيب وجوداتهم، فإنّ نسبة الحقّ سبحانه إلى العالم كنسبة النفس الناطقة إلى البدن، فبالقياس إليها يعرفون الحقّ سبحانه و يؤمنون به و بصفاته الكماليّة، وعلى هذا حمل بعضهم قوله (عليه السلام): (من عرف نفسه فقد عرف ربه)(٢).

و قيل: المراد بالغيب: القلب، أي يؤمنون بقلوبهم، لا كمن (يقولون بأفواهم ماليس في قلوبهم)(٣) و مفعول يؤمنون على هذه التقادير محذوف يعمّ جميع ما يجب أن يؤمن به.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤.

(٢) عوالي اللئالي: ج٤، ص١٠٢، ح١٤٩، وفي الجواهر السنية في الأحاديث القدسية: ص١١٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٦٧.

و يحتمل أن يكون المراد بالغيب قيام القائم (عليه السلام)، و يدلّ عليه ما روي عن داود الرقي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عزوجل: (هدىً للمتقين الذين يُؤْمِنُون بِالْغَيْب) قال: من أقرّ بقيام القائم (عليه السلام) أنّه حق(١).

و روى ايضاً بإسناده عن يحيى بن أبي القاسم قال: سألت الصادق (عليه السلام) عن قول الله عزوجل: (الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) فقال: المتقون شيعة علي (عليه السلام) والغيب هو الحجّة الغائب(٢).

وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ: القيام في الأصل الإنتصاب، و إقامة الشيء جعله منتصباً، فكأنهم يجعلون الصلاة منتصبة من حضيض ذلّ العدم أو النقصان إلى ذروة عزّ الوجود أو الكمال، أي يحصلونها ـ أو يأتون بها ـ على ما ينبغي، و أيضاً قيام الشيء وجوده، ومنه قولهم: إنّه قائم بنفسه أو بغيره، و قولهم القيّوم: هو القائم بنفسه المقيم لغيره، والقوام: لما يقام به الشيء أي يحصل.

فعلى هذا معنى إقامة الصلاة تحصيلها و إيجادها كما في الوجه الأول من الإقامة بمعنى الإنتصاب، و يلائم الوجه الثاني جعله من أقام العود، إذا قوّمه أي سوّاه، على أن يستعار من تسوية الأجسام كالعود و نحوه لتعديل الأركان، نقلاً من المحسوس إلى المعقول.

و يحتمل أن يجعل من قامت السوق إذا نفقت ـ أي راجت ـ و أقامها أي جعلها نافقة رائجة، و يقصد بها الدوام والمحافظة عليها، لأنّها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجّه إليه الرغبات، و إذا عطلت و أُضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه.

---

(١) كمال الدين و تمام النعمة: باب ٣٣ ما روي عن الصادق (عليه السلام) من النص على القائم (عليه السلام) ص٣٤٠، ح١٩.

(٢) كمال الدين و تمام النعمة: باب ٣٣، ما روي عن الصادق (عليه السلام) من النص على القائم (عليه السلام)، ص٣٤٠، ح٢٠.

و أن يجعل من قولهم: قام بـالأمر، أي تجلّد و تشمّر له، فإقامة الصلاة على هذا جعلها متجلّدة متشمّرة، أي كالمتجلّدة المتشمّرة لإخراج المصلّي عن عهدة أدائها، أو إنقاذها عن تبعة تركها، ولا يتيسّر ذلك إلّا بتجلّد المصلّي و تشمّره لها، فجعل كناية عنه.

و بالجملة: فالمراد بإقامتها تحصيلها الذي هو أداؤها مطلقاً، أو تعديل أركانها الظاهرة، وتقويم حقائقها الباطنة، أو الدوام والمحافظة عليها، أو التجلّد والتشمّر لأدائها.

والصلاة فعلة من صلّى كالزكاة من زكّى، كتبت بالواو على لفظ المفخم اسم الفاعل، و التفخيم هنا إمالتها نحو الواو، وقيل: للدلالة على أنّها و اوية.

والمشهور أنّها في اللغة بمعنى الدعاء، و ورود الصلاة بمعنى الدعاء في كلام العرب قبل شرعيّة الصلاة المشتملة على الأركان المخصوصة، وفي كلام من لا يعرفها دليل على ذلك، ثم نقلت إلى ذات الأركان لاشتمالها على الدعاء، أو لأنّها دعاء بتمامها بالألسنة الثلاثة، القول والفعل والحال، و وجه إطلاق المصلّي على الداعي ظاهر.

وقيل: إنّها من صلّى بمعنى حرّك الصلوين، أي طرفي الأليين(١) و ذلك لأنّ أول ما يشاهد من أحوال الصلاة إنّما هو تحريك الصلوين للركوع، فإنّ القيام لا يختصّ بالصلاة. و إنّما سمّي الداعي مصلّياً تشبيهاً له في تخضّعه بالراكع والساجد.

و إقامة الصلاة أعمّ من المفروضات والمسنونات.

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ: الرزق في الأصل الإخراج، لأنّ التركيب و قلبه أعني زرق يدلّان عليه، و شاع في اللغة أوّلاً على إخراج خط إلى آخر ينتفع به. و هذا يلائم ما يذهب إليه بعضهم حيث يجعلون الرزق عامّاً، بحيث يتناول كلّ غذاء جسمانيّ كالأطعمة والأشربة وغيرهما، و روحاني كالعلوم والمعارف، ثم شاع استعمالاً و شرعاً على إعطاء الحيوان ما ينتفع به، و يستعمل بمعنى المرزوق كثيراً،

---

(١) لسان العرب: ج١٤، ص٤٦٥، قال أهل اللغة في الصلاة: انها من الصلوين، وهما مكتنفا الذنب من الناقة وغيرها و أول موصل الفخذين من الإنسان، فكأنها في الحقيقة مكتنفا العصعص.

والمعتزلة لمّا استحالوا مِن الله أن يمكّن من الحرام ـ لأنّه منع من الإنتفاع به و أمر بالزجر عنه ـ قالوا: الحرام ليس برزق.

و أسند الرزق هنا إلى نفسه إيذاناً بأنّهم ينفقون الحلال، فإنّ إنفاق الحرام لا يوجب المدح. و ذمّ المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله: (قُلْ أَرَأَيْتُم ما أنزَلَ الله لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَ حَلالاً»(١).

والأشعريّة جعلوا الإسنادللتعظيم، والتحريض على الإنفاق، والذم لتحريم ما لم يحرم، و اختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة، و تمسّكوا في شمول الرزق له بقوله (عليه السلام) في حديث عمرو بن قرة: لقد رزقك الله طيّباً فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله(٢). و بأنّه لو يكن رزقاً لم يكن المغتذي به طول عمره مرزوقاً، وليس كذلك لقوله تعالى: «وَمَا من دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إلاّ عَلَى اللهِ رِزْقُها»(٣).

و أنفق الشيء و أنفده أخوان، وكذا كلّ ما كان فاؤه نوناً و عينه فاءً يدل على معنى الذهاب والخروج.

والمراد من إنفاق ما رزقهم الله: صرف المال في سبيل الخيرمن الفرض والنفل. ومن فسر بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه، أو خصصه بها لاقترانه بما

---

(١) سورة يونس: الاية ٥٩.

(٢) البحار: كتاب العدل والمعاد، ج٥، باب ٥، الأرزاق والأسعار، ص١٥٠، ذيل حديث ١٣، ولفظ الحديث: عن صفوان بن اُمية قال: كنّا عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إذ جاء عمربن قرة فقال: يا رسول الله، إنّ الله كتب عليّ الشقوة فلا أراني أُرزق إلّا من دفي بكفيّ، فأذن في الغناء من غير فاحشة.

فقال (صلّى الله عليه وآله): لا آذن لك ولا كرامة ولانعمة، أي عدو الله، لقد رزقك الله طيّباً فاخترت ما حرّم عليك من رزقه، مكان ما أحلّ الله لك من حلاله، أما إنّك لو قلت بعد هذه المقالة ضربتك ضرباً وجيعاً.

و رواه الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير: ج٢، ص٣٠، قال: «و أمّا السنّة فما رواه أبوالحسين في كتاب الغرر بإسناده عن صفوان بن اُمية قال: كنا عند رسول الله إذ جاءه عمروبن قرة» الى آخره.

(٣) سورة هود: الآية ٦.

هو شقيقها.

و تقديم المفعول للاهتمام، أو لتخصيص الإنفاق ببعض المال الحلال، تاكيداً لما يفيده من التبعيضية، أو للمحافظة على رؤوس الآي.

و ما المجرورة موصولة أو موصوفة، والعائد محذوف، والتقدير رزقناهموه، أو رزقناهم إيّاه. و إنّما حذف العائد الذي هوكناية عن الرزق، لا العائد إلى المرزوقين، ليكون الوجود اللفظي على طبق الوجود العيني، لانطواء الرزق في المرزوق و اختفائه فيه.

و يحتمل أن تكون (ما) مصدرية، و يكون المصدربمعنى المفعول، و أن تكون (من) لابتداء الغاية لا للتبعيض.

أقول: إنّما كني بضمير الجمع عن نفسه وهو واحد لا شريك له، لأنّه خطاب الملوك، وهو مالك الملوك.

ووجه ذلك عند بعضهم أنّ ما يصدر عن الله سبحانه من الأفعال إنّما هو بواسطة الأسماء، و للأسماء جهتان: جهة وحدة حقيقيّة من حيث الذات، وجهة كثرة نسبيّة من حيث النسب والاعتبارات، فإذا اقتضى المقام اعتبار الجهة الأولى أتى بما يدلّ على الوحدة، و إذا اقتضى المقام اعتبار الجهة الثانية أتى بما يدلّ على الكثرة. ولمّا اعتبر هنا جانب المرزوقين روعيت الجهة الثانية، فإنّ لكلّ مرزوق استعداداً خاصاً بطلب رزقه من اسم خاص يناسبه.

قيل: ولا يبعد أن يقال: المراد بالإنفاق أنّهم يتصدّقون للفطر حين يصومون، و لأداء الزكاة عند وجود النصاب وحولان الحول، و ينفقون لأداء الحج للزاد والراحلة لأنفسهم و لرفقائهم، فيكون قوله تعالى: (بالغيب) إشارة إلى أول ركن من أركان الاسلام، وقوله: (و يقيمون) إلى ثانيها، و قوله: (و ممّا رزقناهم) إلى الثلاثة الباقية.

و روي في معنى الآية: أنّ (المتقين) هم الشيعة(١).

---

(١) البرهان: ج١، ص٥٣، ح٢، والرواية: عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله: «الم ذلك ←

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ: و هوالبعث والنشور وقيام القائم والرجعة(١).

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ: ممّا علّمناهم من القرآن يتلون(٢).

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ: مرفوع أو منصوب عطفاً على الذين يؤمنون بالغيب، أو مجرور عطفاً عليه أو على المتّقين. فعلى الأول يكون دخوله تحت المتّقين دخول أخصّ تحت أعمّ، إذ المراد بأُولئك: الذين آمنوا عن شرك و إنكار، و بهؤلاء مقابلوهم، فتكون الآيتان تفصيلاً للمتّقين. وعلى الثاني لا يكون مندرجاً تحت المتّقين، والمعنى: هدى للمتّقين عن الشرك والذين آمنوا من أهل الملل، فعلى هذا يكون المراد بالأوّلين: المؤمنين من الشرك، و بالآخرين: المؤمنين من أهل الكتاب كعبدالله بن سلام و أضرابه، وعلى التقديرين يحتمل أن يراد بهم الأوّلون بأعيانهم و وسط العاطف، كما وسط في قوله:

إلى الملكِ القرمِ و ابنِ الهمامِ ... وليثِ الكتيبةِ في المزدحم(٣)

الكتاب لا ريب فيه» قال: «كتاب علي لا ريب فيه هدى للمتقين، قال: المتقون شيعتنا ... الخ».

(١) البرهان: ج١، ص٥٣، ح٥، والرواية عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: «الذين يؤمنون بالغيب» قال: «والغيب فهو الحجة الغائب... الخ». و تفسير القمي: ج١، ص٣٠، والرواية عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: «الذين يؤمنون بالغيب» قال: «يصدقون بالبعث والنشور والوعد والوعيد ... الخ».

(٢) البرهان: ج١، ص٥٣، ح١.

(٣) جامع الشواهد: ص٥٧، باب الألف بعده اللام.

لم سمّ قائله، الجار والمجرور متعلّق بالمحذوف، أي أسوق مطيتي، والملك ككتف: السلطان المقتدر، ←

و قوله:

يـالهـف زَيَّـابـةَ لـلـحـارث　　　الصّابح فالغانم فالآيب(١)

والمعنى أنّهـم الجامعون بين الإيمان بمايدركه العقل جملة، والاتيان بما يصدّقه من العبادات البدنيّة والماليّة، و بين الإيمان بما لا طريق إليه غيرالسمع.

و كرّر الموصول، تنبيهاً على تباين السبيلين، أو طائفة منهم وهو مؤمنو أهل الكتاب ذكرهم مخصّصين عن الجملة، كذكر جبرئيل و ميكائيل بعد الملائكة تعظيماً لشأنهم و ترغيباً لأمثالهم.

و يحتمل أن يكون مع ما عطف عليه مبتدأ و أُولٰئك خبره.

والإنزال تحريك الشيء من العلو إلى السفل، فالمراد بالمنزل إن كان الكلام الذي هو صفته، فإنزاله تحريكه بالحركة المعنويّة إلى مظاهره السفلية بعد ظهوره في المظاهر العلويّة، فإنّه يظهر أوّلاً في المظاهر العقليّة ثم النفسيّة ثم المثاليّة ثم الحسيّة. و إن كان كلامه هوالقرآن المنتظم من الحروف والكلمات، فإنزاله تحريكه من المعاني العلميّة الإلهيّة إلى العقليّة ثم النفسيّة ثم إلى صور الحروف والكلمات المثاليّة ثم الحسيّة، وعلى هذا يكون الإنزال مستعملاً في معناه المجازي، فيكون من قبيل المجاز في المفرد. و لك أن تجعله من قبيل المجاز في الإسناد، بأن يكون الإنزال مستعملاً في معناه الحقيق، و يسند إلى القرآن باعتبار حامله الذي هو جبرئيل

والقرم بالقاف والراء المهملة كفلس: السيد، والهمام كغراب: السيد الشجاع السخي، والليث بالياء والمثلثة كفلس: الأسد، والكتيبة بالمثناة والياء والموحدة كسفينة: الجيش، والمزدحم: اسم مفعول من الازدحام وهو بالزاء المعجمة والدال والهاء المهملتين: الجمعية.

(١) هو من أبيات لابن زيابة، و اسمه مسلمة بن زهل، و زيابة امه، وكان الحارث قد أغار على قوم الشاعر ولم يكن حاضراً، فهو يتأسف من عدم ملاقاته، وقبله:

أنـا ابـن زيـابـة إن تـدعني　　　آتـك والظـنّ على الـكـاذب

و بعده:

والله لـو لاقـيـتـه وحـده　　　لآب سـيـفـانا مـع الـغـالـب

يعني أتاسف للحارث الذي صبّح قومي بالغارة فغنم فرجع صحيحاً بأن لا أكون أصادفه فأقتله، جامع الشواهد: ص٣٧٤، باب الياء بعده الالف.

(صلوات الله عليه).

و إنّما جاء بصيغة الماضي و إن كان بعضه مترقّباً، تغليباً للموجود على ما لم يوجد، أو تنزيلاً للمنتظر منزلة الواقع و نظيره قوله تعالى: «إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى»(١)، فإنّ الجن لم يسمعوا جميعه، ولم يكن الكتاب كلّه حينئذٍ منزلاً، والمعنى الذين يؤمنون بالقرآن الذي أُنزل إليك بعد ظهورك بالوجود الجسماني الشهادي. و إنّما قيّدنا بذلك، لأنّه بحسب الوجود الروحاني العيني مقدّم على الكلّ، قال (صلّى الله عليه وآله): (كنت نبياً) أي مبعوثاً من عندالله في العالم الروحاني إلى الأرواح البشريين والملكيين (و آدم بين الماء والطين)(٢) أي لم يكمل بدنه الجسماني الشهادي بعد، فكيف من دونه من أنبياء أولاده؟

و الإيمان به ـ جملةً ـ فرض عين، و تفصيلاً ـ من حيث أنّا متعبّدون بتفاصيله ـ فرض لكن على الكفاية، لأنّ وجوبه على كلّ أحد يوجب الحرج وفساد المعاش.

وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ : مجرور معطوف على ما أنزل قبله، أي قبل وجودك الجسماني الشهادي، والمراد به التوراة والإنجيل وغيرهما، والإيمان به ـ جملة ـ فرض عين. و قرأ يزيدبن قطيب: بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، على لفظ ما سميّ فاعله(٣).

أقول: من جملة ما أُنزل إلى النبي و إلى الأنبياء قبله (عليهم السلام) ـ بل العمدة والأصل ـ خلافة علي بن أبي طالب (عليه السلام) عنه بلا واسطة أحد غيره.

يدلّ على ذلك ما روي أنّه قد حضر رجل عند علي بن الحسين (عليهما السلام) فقال: ما تقول في رجل يؤمن بما أُنزل على محمد وما أُنزل من قبل، و يؤمن بالآخرة، و يصلّي، و يزكيّ، و يصل الرحم، و يعمل الصالحات، لكنّه يقول مع

---

(١) سورة الاحقاف: الآية ٣٠.

(٢) عوالي اللئالي: ج٤، ص١٢١، ح٢٠٠، ولاحظ أيضاً ما علّقنا عليه.

(٣) الكشاف: ج١، ص٤٢

ذلك: لا أدري الحق لعلي أو لفلان؟ فقال علي بن الحسين (عليهما السلام): ما تقول أنت في رجل يفعل هذه الخيرات كلّها إلّا أنّه يقول: لا أدري النبي محمد أو مسيلمة؟ هل ينتفع بشيء من هذه الأفعال؟ فقال: لا. فقال: فكذلك صاحبك هذا، كيف يكون مؤمناً بهذه الكتب و بالآخرة، أو منتفعاً بشيء، من لا يدري أمحمد النبي أم مسليمة؟ فكذلك، كيف يكون مؤمناً بهذه الكتب و بالآخرة أو منتفعاً بشيء من أفعاله، من لا يدري أعلي المحق أم فلان(١).

وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ: معطوفة على (يؤمنون) أي يوقنون إيقاناً زال معه ما كانوا عليه من أنّ الجنّة لا يدخلها إلّا من كان هوداً أو نصارى، و أنّ النار لن تمسّهم إلّا أيّاماً معدودات، و اختلافهم في نعيم الجنّة أو هو من جنس نعيم الدنيا أو غيره، و في دوامه وانقطاعه؟

والآخر اسم فاعل من (أخر) بالتخفيف، بمعنى تأخّر، إلّا أنّه لم يستعمل، والآخرة تأنيثها، وهي صفة الدار والنشأة، بدليل قوله: (تلك الدار الآخرة)(٢)، و (ينشىء النشأة الآخرة)(٣) وهي صفة غالبة على تلك الدار، والنشأة كالدنيا على هذه، حتى قلّما تُستعملان في غيرهما. وقد جرتا مع تلك الغلبة مجرى الأسماء بترك موصوفيهما حتى كأنّهما ليستا من قبيل الصفات.

و إنّما سمّيت آخرة لتأخّرها عن الدنيا، كما سمّيت الدنيا دنيا لكونها أدنى و أقرب إلينا من الآخرة أو لكونها أقرب النشئات إلى الآخرة، و ذلك لأنّ للنفس الناطقة حالتين: حالة تقلقلها بالبدن و اشتغالها بتدبيره، و الإتيان بواسطته بالأعمال الحسنة والسيّئة؛ و حالة انقطاعها عن البدن و عدم التمكّن من الإشتغال بتدبيره، و ترتّب الأجزية على أعمالها من اللذّات والآلام. ولا شك أنّ الانتقال من الحالة الأُولى التي هي الدنيا إلى الثانية التي هي الآخرة، آنيّ دفعيّ، لا زمانيّ

---

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص٣٢.

(٢) سورة القصص: الآية ٨٣.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٢٠.

تدريجيّ، بخلاف سائر النشئات فإنّه يتخلّل بينها و بين الآخرة النشأة الدنيويّة.

و عن نافع أنّه خفّفها بحذف الهمزة و إلقاء حركتها على اللام.

و الإيقان: إتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالإستدلال، ولهذا لا يوصف به علم الباري تعالى والعلوم الضروريّة، لا يقال: أيقنت أنّ السماء فوقي، يقال: يقنت بالكسر يقيناً و أيقنت و استيقنت و تيقّنت كلّه بمعنى. وهو في أصل اللغة ينبيء عن السكون والظهور. يقال: يقن الماء إذا سكن فظهر ما تحته، و قرئ (يؤقنون) بقلب الواو همزة لضم ما قبلها، إجراءً لها مجرى المضمومة في وجوه ووقنت، ونظيره:

لحب المؤقدان اليّ مؤسى و جعدة إذأضاء هما الوقود(١)

وفي هذاالكلام تقديمان يفيد كل منهما القصر:

أحدهما: تقديم الظرف، أعني (بالآخرة) للقصر عليه، كما في قوله تعالى: (لإلى الله تحشرون) (٢) يعني أنّهم يوقنون بحقيقة الآخرة، لا بما هوعلى خلاف حقيقتها كما يزعم بعض اليهود.

و ثانيهما: تقديم المسند إليه، أعني (هم) و بناء الفعل إليه، كما في قولك: «أنا سعيت في حاجتك». يعني أنّ الإيقان بالآخرة مقصور إليهم لا يتجاوزهم إلى أهل الكتاب.

وفي هذين القصرين التعريض ببعض أهل الكتاب، و بما هم عليه من أمر الآخرة.

أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ: الجملة في محل الرفع إن جعل أحد الموصولين مفصولاً عن المتقين خبر له، و كأنّه لما قيل: (هدى للمتقين) قيل: ما بالهم خصّوا

---

(١) الشعر لجرير على ما في الحواشي، وقيل: لأبي حية النميري، ومؤسى وجعدة ابناه، وقوله: لحب الخ يروى بفتح الحاء وضمها، و أصله حبب على وزن شرف، والمؤقدان أراد إيقاد نارالقرى فإنه المتبادر في استعمالات العرب خصوصاً في مقام المدح، نقلاً عن حاشية الكشاف للسيدشريف الجرجاني.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٨.

بذلك ؟ فأُجيب بقوله: (الذين) إلى آخره، و إلّا فاستئناف لا محل لها، و كأنّه نتيجة الأحكام والصفات المتقدمة، أو جواب سائل قال: ما للموصوفين بهذه الصفات اختصّوا بالهدى؟

و يحتمل أن يكون الموصول الأول موصولاً بالمتقين، والثاني مفصولاً عنه مبتدأ، و (أُولئك) خبره.

و (أُولئك) اسم إشارة يشترك فيه جماعة الذكور والإناث، وهي هنا إشارة إلى المتقين الموصوفين بتلك الصفات، لا إلى ذواتهم المجرّدة، لأنّه مأخوذ في حد اسم الإشارة أن يكون المشار إليه محسوساً أو في حكم المحسوس، و إنّما صار المشار إليه هنا في حكم المحسوس بإجراء هذه الأوصاف عليه و تميّزه بها عمّا عداه، فيجب أن تكون ملحوظة في الإشارة، فإذن يكون قوله: «أُولئك على هدى من ربهم» كالبناء على المشتق، ففيه إعلام بأنّ الأوصاف المذكورة قبل اسم الإشارة، علّة لكون المذكورين على الهدى.

و كلمة (اُولئك) يمد و يقصّر والمدّ أولى.

و كلمة (على) هذه إستعارة تبعيّة، و إنّما كانت إستعارة، لأنّه شبّه تمسّك المتّقين بالهدى باستقلال الراكب على مركوبه في التمكّن والإستقرار، فاستعير له الحرف الموضوع للإستعلاء، كما شبّه إستعلاء المصلوب على الجذع باستقرار المظروف في الظرف الجامع، فاستعير له الحرف الموضوع للظرفية.

و إنّما كانت تبعيّة، لأنّ الاستعارة في الحرف تقع أولاً في متعلّق في معناه، كالاستعلاء والظرفيّة مثلاً ثمّ تسري إليه بتبعيّة كما حقّق في موضعه.

و لك أن تعتبر تشبيه هيئة منتزعة من المتقي والهدى و تمسّكه به، بالهيئة المنتزعة من الراكب والمركوب و اعتلائه عليه، فيكون هناك استعارة تمثيليّة تركّب كلّ من طرفيها؛ أو تعتبر تشبيهه بالمركوب على طريقة الاستعارة بالكناية، و تجعل كلمة (على) قرينة لها.

و تنكير (هدى) للتعظيم، أي هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره، و كيف يبلغ؟ وقد منحوه من عند ربهم و اُتوه من قبيله، أو للنوع.

و(من) للإبتداء، و إنّما قال: (مِنْ رَبِّهِمْ) لا من الله تنبيهاً على أنّ لكلّ أحدٍ اسماً خاصاً من أحديّة جمع الأسماء، هو ربّه، ومنه يصل إليه ما يصل، وليس لأحد أحديّة جمع الأسماء إلّا للإنسان الكامل، فإنّ ربّه الخاص به هوالاسم الجامع، فمعنى قوله: (من ربهم) أنّ لكلّ أحد هدى من ربه الخاص لا من غيره.

والنكتة في إضافة الهدى إلى الكتاب أولاً و إلى ربّهم ثانياً، أنّ المتّقين قبل كشف حجب المظاهر عن نظر شهودهم، كانوا يشاهدون الهدى عن مظاهر الاسم التي كان ذلك الكتاب واحداً منها، فلذلك أُضيف إليه الهدى أولاً، فلمّا تمكّنوا في التقوى و تحقّقوا بالصفات الجارية عليهم كشف عنهم حجب المظاهر و شاهدوا فيها الظاهر، فلهذا أُضيف إليه ثانياً.

وهو، أي قوله: «من ربّهم» إمّا في محل الجر صفة لهدى، أوالنصب على أنّه حال من هدى.

وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ: عطف على الجملة الأُولى، و أصل الفلاح القطع والشق، و منه سمّي الزاع فلّاحاً، لأنه يشقّ الأرض، و الزراعة فلاحة، ومنه المثل الحديد بالحديد يفل(١).

بل كلُ ما يشاركه في الفاء والعين يدلّ على ذلك المعنى، نحو فلق و فلذو فلي و فلج بالجيم. والمفلح هوالفائز بالمطلوب، كأنّه الذي انفتحت له وجوه الفوز والظفر ولم تستغلق عليه.

و كرّر اسم الإشارة، للتنبيه على أنّ كلّ واحد من المسندين على انفراده يكفي في إثبات الفضيلة للمسند إليهم، فلا احتياج إلى انضمام الآخر ليعدّ من الفضائل، بخلاف ما لو اقتصر على واحد منها، فإنّه يمكن أن يتوهم حينئذٍ أنّ الفضيلة

---

(١) مجمع الأمثال: ج١، ص١١، وفيه: الفلح: الشقّ، ومنه الفلاح للحرّاث لأنّه يشق الأرض: أي يستعان في الأمر الشديد بما يشاكله و يقاويه.

وفي لسان العرب: ج٢، ص٥٤٨، في لغة (فلح)، الفلح الشق والقطع، فلح الشيء يفلحه فلحاً: شقّه، قال:

قد علمت خيلك أني الصحيح إنّ الحديد بالحديد يفلح

في الجمع بينهما لا في كلّ واحد.

و «هم»: فصل، و فيه ثلاث فوائد و ثلاث مذاهب:

أما الفوائد:

فالأولى منها: الدلالة ابتداءً على أنّ ما بعده خبر، لانعت، ولذلك سمّي فصلاً.

والثانية: تأكيد الحكم لما فيه من زيادة الربط.

وقيل: تأكيد المحكوم عليه، لأنّه راجع إليه فيكون تكريراً له.

و الثالثة: إفادة قصر المسند على المسند إليه.

فإن قلت: إنّ هذا إنّما يتمّ إذا ثبت القصر في مثل زيد هو أفضل من عمرو ممّا الخبر فيه نكرة، و إلّا فتعريف الخبر بلام الجنس يفيد قصره على المبتدأ، و إن لم يكن هناك ضمير فصل، مثل زيد الأمير.

قلت: ندّعي القصر في صورة النكرة ـ أيضاً ـ فإنّ قولك زيد هو أفضل من عمرو، معناه بالفارسية (زيد او است كه افضل است از عمرو) فعلى هذا قد اجتمع في قولك: زيد هوالأمير، أمران يدلّان على قصر المبتدأ، أحدهما تأكيد للآخر: تعريف المسند و ضميرالفصل.

و نوقش: بأنّ تعريف المبتدأ بلام الجنس، يفيد قصره على الخبر دون قصرالخبر عليه و إن كان مع ضميرالفصل، كقولك: الكرم هوالتقوى، أي لا كرم إلّا التقوى.

و أُجيب: بأنّ القول بإفادة الفصل قصر المسند على المسند عليه، إنّما هو على تقدير أن لا يكون هناك معارض كتعريف المسند إليه، لإفادة قصره على المسند، في هذه الصورة.

و أمّا المذاهب:

فأحدها: أنّ ضمير الفصل حرف لا محلّ له، و فائدته مامرّ.

و ثانيها: أنّه اسم لا محلّ له، وهو سخيف، لأنّه ليس له نظير في كلام العرب من اسم لا يكون له محلّ.

و ثالثها: أنّه اسم مرفوع المحلّ، فعلى هذا يجوز أن يكون (هم) مبتدأ و

(المفلحون) خبره والجملة خبر (أولئك).

و اللام: إمّا للعهد، أي المتّقون هم الذين بلغك أنّهم يفلحون و اشتهروا بذلك، فإنّهم حصة معيّنة من جنس المفلحين مطلقاً.

و إما للجنس، أي جنس المفلحين مقصور على المتّقين لا يُجاوزهم إلى غيرهم، والمبالغة في الثاني، لأنّ قصر الجنس يستلزم قصر الحصّة من غير عكس.

وهاهنا معنى آخر أدق و ألطف ذكره الشيخ(١) في دلائل الإعجاز وهو أن نشير باللام إلى حقيقة، ثم نصوّر تلك الحقيقة في الوهم بصورة تناسب ما يحكم بها عليه، ثم نحكم بالاتّحاد بين تلك الحقيقة المصوّرة بهذه الصورة الوهميّة و بين المبتدأ، من غير ملاحظة الحصر من أحد الجانبين. و إنّما اعتبرت الصورة الوهميّة المناسبة، لأنّ الحقيقة لو تركت على حالها لم يكن إدّعاء كون المبتدأ متحداً بها مستحسناً مقبولاً، فالمراد بالمفلحين على هذاالمعنى جنس المفلحين مصوّراً بصورة و همية تلائم المتّقين، يحكم بالاتّحاد بينها و بين المتّقين(٢).

لا يقال: على هذا التقدير لم يتصوّر هناك حصرٌ أصلاً فكيف يستعمل فيه ضمير الفصل؟

قلنا: يجرّد حينئذٍ لتميز الخبر من النعت و تأكيد الحكم دون القصر.

فإن قلت: قوله: «أُولَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِم و أُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» جملتان مصوغتان لمدح المتّقين، فلِمَ وقعت إحداهما بطريق القصر والحكم بالاتّحاد، والأُخرى بدونه؟

قلنا: لظهور التلازم بين مسنديهما، فقصر إحداهما في قوّة قصر الأُخرى، و كذلك الحكم بالاتّحاد في إحداهما في قوّة الحكم بالاتّحاد في الأُخرى. و إنّما أُختير ذلك في الجملة الأخيرة ليقع خاتمة صفاتهم على وجه أبلغ.

---

(١) هو عبدالقاهربن عبدالرحمن الجرجاني النحوي، كان من كبار أئمة العربية والبيان. صنف كتباً عديدة منها: إعجاز القرآن الكبير، والصغير، والجمل، و دلائل الاعجاز، وغيرها، توفى سنة أربع و سبعين و أربعمائة. بغية الوعاة: ص٣١٠.

(٢) راجع دلائل الاعجاز في المعاني والبيان: ص١٤١ وما بعدها.

وفي التفسير المنسوب إلى أبي محمد العسكري (صلوات الله عليه وعلى آبائه)، قال الإمام (عليه السلام): ثم أخبر عن جلالة هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات الشريفة، فقال: «أُولَـٰئِكَ» أهل هذه الصفات «على هدى» و بيان وصواب «من ربهم» و علم بما أمرهم به «وأُولئك هم المفلحون» الناجون ممّا منه يوجلون الفائزون بما يؤملون، قال: وجاء رجل إلى أميرالمؤمنين (عليه السلام) فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّ بلالاً كان يناظر اليوم فلاناً فجعل يلحن في كلامه و فلان يعرب و يضحك من بلال! فقال أميرالمؤمنين (عليه السلام): يا عبدالله، إنّما يراد إعراب الكلام و تقويمه لتقويم الأعمال و تهذيبها، ماذا ينفع فلاناً إعرابه و تقويمه لكلامه إذا كانت أفعاله ملحونة أقبح لحن! و ماذا يضرّ بلالاً لحنه في كلامه إذا كانت أفعاله مقوّمة أحسن تقويم مهذّبة أحسن تهذيب! قال الرجل: يا أميرالمؤمنين، وكيف ذلك؟ قال (عليه السلام): حسب بلال من التقويم لأفعاله والتهذيب لها أنّه لا يرى أحداً نظيراً لمحمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثم لا يرى أحداً بعد محمد نظيراً لعليّ بن أبي طالب، و يرى أنّ كلّ من عاند عليّاً فقد عاندالله و رسوله، و من أطاعه فقد أطاع الله و رسوله، و حسب فلان من الاعوجاج واللحن في أفعاله التي لا ينتفع معها بإعرابه لكلامه بالعربيّة و تقويمه للسانه، أن يقدّم الأعجاز على الصدور والاستاه على الوجوه، و أن يفضّل الخل في الحلاوة على العسل، والحنظل في الطيب والعذوبة على اللبن، يقدّم على ولي الله الذي لا يناسبه بشيء من الخصال في فضله، هل هو إلّا كمن قدّم مسيلمة على محمّد في النبوة في الفضل، ما هو إلّا من الذين قال الله تعالى: «قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً»(١).

قال بعض الفضلاء: و إذا انتهى الكلام إلى هاهنا فحريّ بنا أن نشير إلى بعض بطون هذه الآيات،

فنقول: هذا كلام من باطن الجمع إلى ظاهر الفرق، يخاطب أكمل صورة

---

(١) تفسير الامام العسكري (عليه السلام): ص٣٣، ذيل قوله تعالى: «أولئك على هدى من ربهم».

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

أولاً (صلّى الله عليه وآله) ومتابعيه آخراً، فيقول: (الم) أي اُقسم بالأول و ذي الأمر والخلق أنّ (ذلك) الموجود المعلوم المشهود، أعني العالم، هو الكتاب، الجامع لحروف وكلمات مخطوطة مرقومة في رق الوجود المنشور، للدلالة على أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ولا تزال الكتابة فيه دائمة أبداً لا ينتهي «لا ريب فيه»، لأنّ تلك الدلالة قطعيّة عقليّة أو كشفيّة لا مجال للشك والريب فيها، (هدى) للمشارفين على التوقّي من الحجب المانعة عن التحقّق بشهود الوحدة والكثرة، (الذين يؤمنون) بغيب الهوية و سريانها: أولاً في الصور العلميّة الباطنة التي هي الأعيان الثابتة ولها الأوّلية، و ثانياً في الصور العينية الظاهرة التي هي أعيان الخارجية، ولها الآخرية، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن. و بعد الإيمان بها يسلكون طريق الوصول إلى شهودها فى تلك الصور بوحدتها، فـ (يقيمون الصلاة) التي هي العبادة التامة الجامعة الموصلة إلى شهود الجمعية الإلهية، بتحريك صلويهم الروحانيّة والجسمانيّة للسير إليها والفناء فيها، و ممّا اُفيض عليهم بعد الفناء من أنوار المعرفة و أسرار الوحدة يفيضون على من سواهم، لجعلهم بالتربية والكمال مستعدّين لفيضانها، والذين يصدّقون لصفاء استعدادهم بما اُنزل اليك و بما اُنزل إلى الأنبياء والمرسلين من تلك الأنوار والأسرار، حيث يفهمونها بلسان الإشارة عنك فيرغبون فيها و يسلكون للوصول إليها. و(بالآخرة) أي بعاقبة سلوكهم و مآل أمرهم إلى فيضان تلك الأنوار والأسرار في أثناء سلوكهم لظهور آثارها، متيقّنون، «اُولئك على هدى من ربهم» الظاهر بالاسم الهادي في مظاهره، لا يحتجبون بالمظاهر عن الظاهر «و اُولئك هم المفلحون» الذين خرقوا حجب المظاهر وشقّوها فيشاهدون مشهودهم كفاحاً.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟: لمّا ذكر خاصة أوليائه و خالصة عباده بصفاتهم التي

أهّلهم لإصابة الزلفى عنده، و بيّن أنّ الكتاب هدى ولطف لهم خاصة، ففي على أثره بذكر أضدادهم، وهم العتاة المردة من الكفّار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف، و سواء عليهم وجود الكتاب وعدمه و إنذار الرسول وسكوته.

و روي عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في معنى الآية: أنّه لما ذكر المؤمنين ومدحهم، ذكر الكافرين المخالفين لهم في كفرهم، فقال: إنّ الذين كفروا بالله و بما آمن به هؤلاء المؤمنون بتوحيد الله تعالى، و بنبوة محمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) و بوصية عليّ أمير المؤمنين ولي الله و وصي رسول الله، و بالأئمة الطيّبين الطاهرين خيار عباده الميامين القوّامين بمصالح خلق الله «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم» أي خوّفتهم أولم تخوّفهم، أخبر عن علم بأنّهم «لا يؤمنون» انتهى كلامه (عليه السلام)(١).

ولم يوسّط العاطف بين الجملتين، لتباينهما في الغرض والأسلوب.

أمّا الغرض: فلأنّ الغرض من الأولى بيان كون الكتاب بالغاً في الهداية حدّ الكمال، ومن الثانية وصف الكفار بأنّه لا يؤثّر فيهم الإنذار.

و أمّا في الأسلوب: فلأنّ طريق الأولى الحكم على الكتاب بجملة محذوفة المبتدأ موصولة بغيرها من ذكر المتّقين و أحوال المؤمنين، و طريق الثانية الحكم على الكافرين قصداً بجملة تامّة، مصدّرة بـ (إنّ) المشعرة بالأخذ في فن آخر لتجرد الأول عنها، بخلاف قوله: «إنّ الأبرار لفي نعيم و إنّ الفجار لفي جحيم»(٢) لتوافقهما في الغرض والأسلوب، وهو ظاهر.

و يحتمل أن يقال: لمّا كانت النسبة بين المؤمنين والكافرين كمال المباينة، و بين الكافرين والمنافقين كمال المناسبة، قطع ما كان في شأن الكافرين عمّا كان في شأن المؤمنين، وعطف ما كان في شأن المنافقين على ما هو في شأن الكافرين، تنبيهاً على تينك النسبتين.

---

(١) تفسير الامام العسكري (عليه السلام): ص٣٣، في ذيل قوله تعالى: «ان الذين كفروا».

(٢) سورة الانفطار: الآية ١٣ و١٤.

و (إنّ) من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف، والبناء على الفتح، و لزوم الأسماء، و إعطاء معانيه، والمتعدّي خاصة في دخولها على اسمين، و لذلك أعملت عمله الفرعي، وهو نصب الجزء الأوّل و رفع الثاني إيذاناً بأنّه فرع في العمل.

وقال الكوفيون: الخبر قبل دخولها كان مرفوعاً بالخبريّة، وهي بعد باقية مقتضيه للرفع، قضية للإستصحاب فلا يرفعه الحرف. وَرُدَّ بأنّ اقتضاء الخبريّة الرفع مشروط بالتجرّد لتخلّفه عنها في خبر كان، وقد زال بدخولها فتعيّن إعمال الحرف. و فائدتها تأكيد النسبة و تحقيقها، و لذلك يتلّق بها القسم، و تُصدر بها الأجوبة، و تذكر في معرض الشك (١).

روي أنّ الكندي(٢) المتفلسف ركب إلى المبرّد(٣)، و قال: إنّي أجد في كلام العرب حشواً، أجد العرب تقول: عبدالله قائم، ثم تقول: إنّ عبدالله قائم، ثم تقول: إنّ عبدالله لقائم!

فقال المبرّد: المعاني مختلفة، فقولهم: عبدالله قائم، إخبار عن قيامه؛ و قولهم: إنّ عبدالله قائم، جواب عن سؤال سائل؛ و قولهم: إنَّ عبدالله قائم، جواب عن إنكار منكر القيام(٤).

والكفر لغة: ستر النعمة، و أصله الكفر بالفتح وهوالستر، ومنه سمّي الليل كافراً لستره الأشياء بظلمته، والزارع كافراً لأنّه يستر الحب في التراب، و كمام الثمرة كافوراً لسترها الثمرة.

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج١، ص٣٦.

(٢) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها، و يسمىٰ فيلسوف العرب، له كتب في علوم مختلفة. توفي سنة ٢٤٦هـ. الكنى والألقاب: ج١، ص١٥٣

(٣) هو أبوالعباس محمدبن يزيد المبرّد البصري، اللغوي ـ الفاضل الامامي، صاحب كتاب الكامل، والروضة، و معاني القرآن، وكتب اخرىٰ نافعة، توفي سنة ٢٨٥ هـ ببغداد. الكنى والألقاب: ج٣، ص١١٠

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج١، ص٣٦.

وفي الشرع: إنكار ما علم بالضرورة مجيئ الرسول (عليه السلام) به، كوجوب الصوم والصلاة والزكاة و غير ذلك. و إنّما عدّ لبس العيار(١) و شد الزنار كفراً؟ لأنهما تدلّان على التكذيب، فإنّ من صدّق الرسول (عليه السلام) لا يجترئ عليهما، لا لأنّهما كفر في أنفسهما.

و احتجّت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه، لإستدعائه سابقة مخبر عنه، وحيث لا يصحّ الحكم على الكافرين مطلقاً باستواء الإنذار و تركه لتحقّق الإيمان من بعضهم، فتعريف الموصول: إمّا للعهد، والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب، و أبي جهل، والوليدبن المغيرة و أحبار اليهود، فإنّ هؤلاء و أضرابهم أعلام الكفرة فهم كالحاضرين في الذهن، فإذا أُطلق اللفظ التفت الخاطر إليهم أو لاستغراق الجنس، وهوالشائع في الاستعمال، إمّا مطلقاً فيستغرق المصرّين و غير المصرّين و خصّ منه المصرّين بقرينة الخبر، و إمّا مقيداً بالإصرار بهذه القرينة، فإنّه أيضاً جنس، فيستغرق أفراد جنس المصرّين فقط، أو لبعض أفراد الجنس من غير عهد و استغراق، و يكون تعيين المصرّين بقرينة الخبر.

أقول: و يحتمل أن يكون المراد به مالك بن الصيف و كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب و تابعي أبي لبابة بن المنذر، يدلّ على إرادة ذلك ما روي عن محمدبن علي الباقر (عليهما السلام) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لما قدم المدينة وظهرت آثار صدقه و آيات حقّه و بيّنات نبوّته، كادته اليهود أشدّ كيد و قصدوه أقبح قصد، يقصدون أنواره ليطمسوها و حجّته ليبطلوها، فكان ممّن قصده للردّ عليه و تكذيبه مالك بن الصيف و كعب بن أشرف وحيي بن أخطب، و أبو لبابة بن المنذر، و شيعته. فقال مالك لرسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا محمد، تزعم أنّك رسول الله؟ قال رسول الله: كذلك قال الله خالق الخلق أجمعين. قال: يا محمد، لن نؤمن أنّك لرسوله حتى يؤمن لك هذا البساط الذي تحتي، ولن نشهد

---

(١) العيار من الرجال: الذي يُخلّي نفسه و هواها، لا يردعها ولا يزجرها. المعجم الوسيط (معجم اللغة العربية بالقاهرة) ج٢، ص٦٣٩.

لك أنك عن الله جئتنا حتى يشهد لك هذا البساط. و قال أبو لبابة بن المنذر: لن نؤمن لك أنّك رسول الله ولا نشهد لك به، حتّى يؤمن لك و يشهد لك هذاالسوط الذي في يدي. وقال كعب بن أشرف: لن نؤمن لك أنّك رسول الله ولن نصدّقك به، حتى يؤمن لك هذا الحمار الذي أركبه. فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ليس للعباد الإقتراح على الله، بل عليهم التسليم لله، والانقياد لأمره والاكتفاء بما جعل كافياً، أما كفاكم أنّ التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم حكم بنبوتي و دلّ على صدقي، و بيّن فيها ذكر أخي و وصيي وخليفتي في أمتي و خير من أتركه على الخلائق من بعدي علي بن أبي طالب، و أنزل عليّ هذاالقرآن الباهر للخلق أجمعين، المعجز لهم عن أن يأتوا بمثله و إن تكلّفوا شبهه، و أمّا الذي اقترحتموه فلست أقترحه على ربّي عزّوجلّ، بل أقول إنّ ما أعطاني ربّي عزّوجلّ من دلالة هو حسبي و حسبكم، فإن فعل عزّوجلّ ما اقترحتموه فذلك زائد في تطوّله علينا و عليكم، و إن منعنا ذلك فلعلمه بأنّ الذي فعله كاف فيما أراده منّا، قال: فلمّا فرغ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من كلامه هذا أنطق الله البساط، والحديث طويل، مضمونه أنّ كلاً من البساط والسوط والحمار شهدوا بالواحدانيّة والنبوّة والولاية، وظهر من كلّ منها آيات عجيبة، ولم يؤمن أحدهم إلّا أبو لبابة فإنّه أظهر الاسلام ولم يحسن إسلامه، ثم قال (عليه السلام): فلمّا انصرف القوم من عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولم يؤمنوا أنزل الله: يا محمد،«إنّ الذين كفروا سواء عليهم» في العظة، «أأنذرتهم» و وعظتهم و خوّفتهم «أم لم تنذرهم لا يؤمنون»، لا يصدّقونك بنبوّتك وهم قد شاهدوا هذه الآيات وكفروا، فكيف يؤمنون(١).

سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ: سواء اسم مصدربمعنى الاستواء، أُجري على مايتصف بالاستواء كما تجري المصادرعلى مايتّصف بها. و هو مرفوع على أنّه خبر (إنّ) وقوله: (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) بتأويل المصدر، مرفوع على الفاعليّة، أي إنّ الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك و عدمه. أو هو مرفوع بالابتداء و سواء خبره مقدّماً

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص٣٣، في ذيل قوله تعالى: (إن الذين كفروا).

عليه، والفعل إنّما يمتنع الإخبار عنه إذا أُريد به تمام ما وضع له، أما لو أُطلق و أُريد به اللفظ، أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمناً على الاتّساع، فلا؛ و إنّما عدل عنه إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدّد، وحسن دخول الهمزة.

قيل: لا يجوز أن يكون سواء خبراً، لأنّ الجملة لمّا كانت مصدّرة بالاستفهام لا يجوز تقديم ما في خبرها عليها.

وَ رُدَّ بأنّ الهمزة ولم دخلتا عليه لتقرير معنى الاستواء و تأكيده، فإنّهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء، كما جردت حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم: اللهم اغفرلنا أيتها العصابة، بل هو أولى من أن يكون فاعلاً للاستواء لأنّه لمّا كان اسما غير صفة فالأصل أن لا يعمل، و إذا جعله بمعنى اسم الفاعل فاتت المبالغة المقصودة من الوصف بالمصادر. و وجه إفراده على الأوّل ظاهر، و على الثاني لجهة مصدريته، ولمّا كان الاستواء المستفاد من الحرفين غير الاستواء المفهوم من سواء فلا تكرار.

و ذهب بعض النحاة إلى أنّ سواء في مثل هذاالمقام خبر مبتدأ محذوف، أي الأمران سواء عليهم؛ و أنّ الهمزة بما بعدها بيان للأمرين، والفعلان في معنى الشرط، على أن تكون الهمزة بمعنى أن الشائع استعمالها في غير المتيقن، و أم بمعنى أو، لأنّ كليهما لأحد الأمرين، والجملة الاسميّة، أعني: الأمران سواء، دالّة على الجزاء، فعلى هذا يكون خبر إنّ هوالجملة الشرطيّة، والمعنى: إنّ الذين كفروا إن أنذرت أو لم تنذرفهما سواء عليهم، و عليهم متعلق بالإستواء.

و الإنذار: التخويف، أُريد به التخويف من عقاب الله. و إنّما اقتصرت عليه دون البشارة، لأنّه أوقع في القلب و أشد تأثيراً في النفس، من حيث أنّ دفع الضرر أهمّ من جلب النفع، فإذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع أولى.

و قرئ: أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين و تخفيف الثانية بين بين و قلبها ألفاً، وهو لحن، لأنّ المتحركة لا تقلب، و لأنّه يؤدي إلى التقاء الساكنين على غير حدّه و بتوسيط ألف بينهما محقّقين، و بتوسيطها والثانية بين بين، و بحذف الاستفهاميّة، و بحذفها و إلقاء حركتها على الساكن قبلها.

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

لَا يُؤْمِنُونَ: تاكيد أو بيان للجملة التي قبلها، أعني سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم، وحينئذٍ يكون محلّه الرفع إن جعل ما قبله جملة من مبتدأ و خبر، لا صفة مع الفاعل، فإنّه على هذاالتقدير لم يكن لقوله (يؤمنون) محل، أو خبر بعد خبر، أو جملة مستأنفة، أو حال من مفعول أنذرتهم.

قيل: أو خبر، و قوله: (سواء) الى آخره إعتراض بين المبتدأ والخبر، و رُدّ بأنّ الإخبار عن المصرّين على الكفر بعدم الإيمان لا فائدة فيه.

و احتجت المجوّزة لتكليف ما لا يطاق بالآية، بأنّه سبحانه أخبر عنهم بانّهم لا يؤمنون و أمرهم بالإيمان، فلو آمنوا إنقلب خبره كذباً، و شمل إيمانهم الإيمان بأنّهم لا يؤمنون فيجتمع الضدّان.

والجواب: أن الإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه، كإخباره تعالى عمّا يفعله هو والعبد باختياره. و فائدة الإنذار بعدالعلم بأنّه لا ينجع إلزام الحجّة، و حيازة الرسول فضل الإبلاغ، و لذلك قال: (سواء عليهم) و لم يقل سواء عليك، كما قال لعبدة الأصنام: «سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون»(١).

وقد حقّق الكلام في هذاالجواب العلّامة النحرير القزويني(٢) في حاشيته الشريفة على العدّة.

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ: بيان و تأكيد

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٣.

(٢) هوالمولى خليل بن الغازي القزويني المولود سنة ١٠٠١ هـ، والمتوفى سنة ١٠٨٩ هـ. انظر الذريعة: ج٦، ص١٤٨.

للحكم السابق، أو تعليل له، والختم قريب من الكتم، لفظاً، لتوافقهما في العين واللام؛ ومعنًى، لأنّ الختم على الشيء يستلزم كتم مافيه، فيناسبه في اللازم.

والغِشَاوَةُ فِعالة من غشاه إذا غطاه، بنيت لما يشتمل على الشيء، كالعصابة والعمامة، ولا ختم ولا تغشية ثَمَّ على الحقيقة، بل على سبيل المجاز والاستعارة.

فإن كان المشبّه به في «ختم الله على قلوبهم» المعنى المصدري الحقيقي للختم، والمشبّه إحداث حالة في قلوبهم مانعة من نفوذ الحق فيها، كان طرفا التشبيه مفردين والاستعارة مصرّحة.

و إن جعل المشبّه به هيئة مركّبة منتزعة من الشيء والختم الوارد عليه، و منعه صاحبه من الانتفاع به، والمشبّه هيئته منتزعة من القلب والحالة الحادثة فيه، و منعها صاحبها من الانتفاع به في الأُمور الدنيويّة، كان طرفا التشبيه مركّبين، والاستعارة تمثيليّة قد اقتصر فيها من ألفاظ المشبّه به على ما معناه عمدة في تصوير تلك الهيئة و اعتبارها، أعني الختم، و باقي الألفاظ منوي مراد و إن لم يكن مقدّراً في نظم الكلام، والاقتصار على بعض الالفاظ للإختصار في العبارة، و تكثير محتملاتها بأن تحمل تارة على التشبيه، و تارة على التمثيلية، و أُخرى على غيرهما، ولوصرّح بالكل تعيّنت التمثيليّة، و إن قصد تشبيه قلوبهم بأشياء مختومة وجعل ذكر الختم الذي هو من روادف المشبّه به المسكوت عنه تنبيهاً عليه و رمزاً، كان من قبيل الاستعارة بالكناية، وقس عليه قوله: «وعلى أبصارهم غشاوة».

والمعتزلة لمّا اضطرّت في معنى ظاهر الآية، ذكروا له وجوهاً من التأويل:

منها: إنّ القوم لما أعرضوا و تمكّن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم، شبّه بالوصف الخلقي المجبول عليه.

ومنها: إنّ المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة، فيبغضونهم و يتنفّرون عنهم.

وعلى هذا يحمل كلّ ما يضاف إلى الله من طبع و إضلال.

يدلّ على هذا التأويل ما روي عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لما دعا هؤلاء المعنيين في الآية المقدّمة، و أظهرهم تلك الآيات فقابلوها بالكفر، أخبر الله عزّوجلّ بأنّه ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ختماً يكون علامة الملائكة المقرّبين القرّاء لما في اللوح المحفوظ من أخبار هؤلاء المذكورين فيه أحوالهم، حتّى إذا نظروا إلى أحوالهم و قلوبهم و أسماعهم و أبصارهم شاهدوا ما هنالك من ختم الله عزّوجلّ عليها ازدادوا بالله معرفة وعلموا ما يكون قبل أن يكون يقيناً.

قال: فقالوا: يا رسول الله، فهل من عبادالله من يشاهد هذاالختم كما يشاهده الملائكة؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): بلى، محمد رسول الله يشاهدها بشهادة الله عزّوجلّ، و يشاهده من اُمّته أطوعهم لله عزّوجلّ و أشدهم في طاعة الله و أفضلهم في دين الله، فقالوا: من هو يا رسول الله؟ وكلّ منهم تمنّى أن يكون هو، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): دعوه يكن من شاءالله، فليس الجلالة في المراتب عندالله عزّوجلّ بالتمنّي ولا بالتظنّي ولا بالاقتراح، ولكنّه فضل من الله عزّوجلّ على من يشاء يوفقه للأعمال الصالحة يكرمه لها، فيبلغه أفضل الدرجات و أشرف المراتب، إن الله سيكرم بذلك من يريكموه في غد، فجدّوا في الأعمال الصالحة فمن وفّق الله له ما يوجب عظيم كرامته، فللّه عليه بذلك الفضل العظيم.

قال: فلمّا أصبح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وغصّ مجلسه بأهله، وقد جدّ بالأمس كلّ من خيارهم في خير عمله و إحسانه إلى ربّه، و قدم يرجو أن يكون هو ذلك الخير الأفضل، قالوا يا رسول الله: من هذا؟ عرّفناه بصفته و إن لم تنص لنا على اسمه، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): هذا الجامع للمكارم الحاوي للفضائل المشتمل على الجميل، ثم بعد ذكر كلام طويل مشتمل على كرامات ومجاهدات وقعت في تلك الليلة من أميرالمؤمنين (عليه السلام) و ذكر أنّه قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): اُنظر إلى عبدالله بن اُبي و إلى سبعة من اليهود، فقال: شاهدت ختم الله على قلوبهم و أسماعهم،

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أنت يا علي أفضل شهداء الله في الارض بعد محمد رسول الله، قال: فذلك قوله: «ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة» تبصرها الملائكة فيعرفونهم بها، و يبصرها رسول الله محمد، و يبصرها خير خلق الله بعده علي بن أبي طالب(١).

وَ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ: يحتمل أن يكون معطوفاً على قلوبهم، و معطوفاً عليه لـ «على أبصارهم».

و رجّح الأول بقوله: «وختم على سمعه و قلبه وجعل على بصره غشاوه» و بالوقف على سمعهم إتفاقاً، و لأنّهما لمّا كان إدراكهما من جميع الجوانب جعل المانع عنه بما يكون كذلك، لظهور أنّ الغشاء يكون بين المرئي والرائي، و كرّر الجار للدلالة على أنّ الختم يتعلّق على كلّ واحد منهما بالإستقلال، فيكون أشد، و لأنّ تعلّق فعل بمجموع أمرين لا يستلزم تعلّقه بكلّ واحد.

و إفراد السمع للأمن من اللبس مع الخفّة والتفنّن، أو لأنّه مصدر وهو لا يجمع، أو على تقدير مضاف أي مواضع سمع، أو لرعاية المناسبة بين المدرك والمدرك، فانّ مدرك السمع واحد وهوالصوت ومدركاتها أنواع. و قرئ «وعلى أسماعهم».

و وجه الترتيب: أنّه تعالى لما ذكر هذه الطائفة بالكفر، و ثانياً باستواء الإنذار عليهم، فالختم على قلوبهم ناظرٌ إلى كفرهم، لأنّ الكفر والإيمان من صفات القلب، والختم على سمعهم ناظر إلى ذلك الاستواء لأنّ محل ورود الإنذار ليس إلّا السمع. ولمّا حكم عليهما بالختم، فصار مكان أن يقال: علمنا وقوع الختم عليهما، ألم تكن لهم أبصار يبصرون بها الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة، فقال: وعلى أبصارهم غشاوة، ولمّا لم يكن في نظم الكلام ما ينظر إليه التغشية، غير الأُسلوب.

والبصر: قوة أُودعت في ملتقى العصبتين المجوّفتين النابتين من مقدّم

(١) تفسير الامام العسكري (عليه السلام): ص٣٦ ـ ٤١ في ذيل قوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم».

الدماغ. وقد يطلق على العضو.

وكذلك السمع، وهو قوة أُودعت في باطن الصماخ.

و غِشَوَةٌ: مرفوع مبتدأ، و «على أبصارهم» خبره عند سيبويه(١)، و فاعل الظرف عند الأخفش(٢) لاعتماده على ما قبله، و يؤيّده العطف على الجملة الفعلية.

و قرئ بالنصب على معنى: و جعل على أبصارهم غشاوة، أو على حذف الجار و إيصال الفعل نفسه إليها. والمعنى: و ختم على أبصارهم بغشاوة.

و قرئ بالضم والرفع، و بالفتح والنصب، و غشوة بالكسر مرفوعة، و بالفتح مرفوعة ومنصوبة.

و عشاوة بالعين الغير المعجمة من العشا مصدر الأعشى، وهوالذي لا يبصر بالليل.

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ: وعيد و بيان لما يستحقّونه. والعذاب كالنكال بناءً ومعنى، يقال: أعذب عن الشيء و نكل إذا امسك عنه، و منه الماء العذب، لأنّه يقمع العطش و يردعه، فسمّي العذاب عذاباً، لانّه يردع الجاني عن المعاودة إلى الجناية، ثم اتّسع فأُطلق على كلّ ألم شديد و إن لم يكن نكالاً، أي عقاباً يرتدع به الجاني عن المعاودة.

وقيل: اشتقاقه من التعذيب الذي هو إزالة العذاب كالتغذية والتمريض، أو من العذبة وهي القذاة، وماء ذو عذب أي كثير القذى، فكما أنّ القذاة تنقص الماء كذلك العذاب ينقص العيش، أو من أعذب حوضك أي أنزع ما فيه من قذى، فكذلك العذاب نزع من الجاني ما فيه من الجناية، أو من العذوبة لأنّ عذاب كلّ أحد يستعذبه ضدّه، فعذاب الكافر مما يستعذبه المؤمنون.

(والعظيم):ضد الحقير، والكبير:ضد الصغير، فالعظيم فوق الكبير، قيل: ومعنى التوصيف به أنّه إذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالإضافة

(١و٢) تفسير أبي السعود: ج١، ص٣٨.

إليه، ومعنى التنكير في الآية: أنّ على أبصارهم غشاوة ليس ممّا يتعارفه الناس، و هوالتعامي عن الآيات، ولهم من الآلام العظام نوع يعلم كنهه الله تعالى أي في الآخرة.

وقال بعضهم: إنّ لهم عذاباً في الدنيا و الآخرة، لأنّ عذابهم الأُخروي ليس إلّا صور اعتقاداتهم و نتائج أعمالهم من دركات النيران وما فيها من الآلام، كان في الدنيا معاني؛ فصار في الآخرة صوراً، فهم دائمون فيها لكنهم لا يتألّمون بها في الدنيا لكثافتهم. والذين صاروا في الدنيا أهل الآخرة يرونهم داخلين في النار وما فيها من أنواع العذاب.

قال بعض الصوفيّة: و إذ قد علمت ما بيّن لك من المعاني الظاهرة فالقِ سمعك تسمع بطناً من بطونها، فنقول: إنّ الذين كفروا أي خرجوا من الإيمان الرسمي المنوط بغيبهم عن المؤمن به، و دخلوا في الكفر الحقيقي بستر وجوداتهم في الفناء في الله، إن أنذرتهم بسوء عاقبة إرتدادهم من هذاالكفر إلى ذلك الإيمان أم لم تنذرهم، فهماسيّان عليهم لأنّهم لا يؤمنون، أي لا يرجعون إلى الإيمان الرسمي أبداً، لأنّ الفاني لا يرد، و كأنّه إلى هذاالإيمان والكفر أشار من قال:

كفرت بدين الله والكفرُ واجب لديَّ وعندَ المسلمينَ قبيحُ(١)

خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ: فلا يدخل فيها شيء ممّاسوى الله، و إن دخل فيها شيء فهو صورة من صور تجلّياته انخلعت من لباس الغيريّة، وختم على أسماعهم فلا يسمعون شيئاً ممّا سواه، فإنّه المتكلّم على ألسنة الموجودات، فكلّما يسمعونه بلسان الحال أوالمقال فهومن صور كلامهم لا غير، وعلى أبصارهم غشاوة مانعة من رؤية غيره سبحانه فكلّما يرونه ليس إلّا من صور تجلّياته، تجلّى به على نظر شهودهم، ولهم عذاب، أي أمر يعدّه المحجوبون عذاباً، وهو استهلاكهم في الوجود الحق، و إمساكهم عن اللّذات العاجلة والراحات الآجلة، عظيم، أي

---

(١) لم نعرف قائله.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

جليل قدره لا يعرفه إلّا من ذاقه.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا: لإنشاء الإيمان أو للإخبار بوقوعه فيما مضى. و إفراد الضمير في (يقول) بالنظر إلى اللفظ وجمعه فيما بعد بالنظر إلى المعنى، لأنهم في قولهم آمنّا بمنزلة شخص واحد لاتّفاقهم عليه من غير اختلاف، و أمّا إتيانهم بما ينافي الإيمان فالتعدّد فيه ممكن، بل واقع، فلذلك لوحظ فيه جهة كثرتهم بإيراد ضمير الجماعة.

و (الناس) اشتقاقه من الأُناس، حذفت همزته تخفيفاً، ومنه إنسان و أناس و إنس. وحذفها مع لام التعريف واجب، لا يكاد يقال: الأُناس. وهو مأخوذ من الأُنس بالضم ضد الوحشة، لأنهم مدنيّون بالطبع يستأنسون بأمثالهم أشد استئناس. أو من الإنس بالكسر بمعنى الإيناس وهو الإبصار. قيل: وهذا أشبه ليناسب المقابل أعني الجن، لأنّهم سمّوا به لاجتنانهم، و يوافق اسمه الآخر أعني البشر، لأنّه من البشرة: ظاهر الجلد.

و ذهب الكسائي إلى أنّه من نون و واو و سين، والأصل نوس، فقلبت الواو ألفا لتحرّكها و انفتاح ما قبلها، والنوس الحركة(١). وقيل: من نسي فقلبت اللام إلى موضع العين فصار نيساً، ثم قلبت الياء ألفاً، سُمّوا بذلك لنسيانهم. فوزنه

---

(١) تفسير القرآن الكريم، للشهيد مصطفى الخميني: ج٣، ص١٢.

على الأوّل: عال، وعلى الثاني: فعل، و على الثالث: فلع.

قيل: لا يجب في كلّ لفظ أن يكون مشتقاً من شيء آخر و إلّا لزم التسلسل، وعلى هذا لاحاجة إلى جعل لفظ الإنسان مشتقاً من شيء آخر.

وَ رُدَّ: بأنّ المقصود من ذلك تقليل اللغات بحسب الوسع، ولا شك، أنّ الألفاظ المتعدّدة إذا رُدّت إلى أصل واحد صارت اللغات أقلّ.

و اللام فيه لتعريف الجنس، أوالعهد، إشارة إلى الذين كفروا، أي المصرّين على الكفر مطلقاً، أو مقيّداً بكونهم غير ماحضين، أو جماعة معهودين منهم، فلها أربع احتمالات.

و (من) في من يقول، إما موصولة أو موصوفة، إمّا لتعريف الجنس، أوالعهد، إشارة إلى جماعة معهودين كابن اُبي و أضرابه، ففيها ثلاث إحتمالات يحصل من ضربها في الأربع إحتمالات، إثنا عشر وجهاً، فعليك بالتأمّل حتى يظهر وجهها.

ثم المراد «بالذين كفروا» إن كان ناساً معهودين ماحضين للكفر غير منافقين، أوالجنس المخصوص مما عدا المنافقين، إمّا بقرينة المقابلة، أو لتبادر الفهم إليه من إطلاق المعرّف بلام الجنس، فالمقصود من هذه الآيات استيفاء الأقسام، حيث ذكر أوّلاً المؤمنين ثم الماحضين ثم المنافقين.

و إن كان المراد بهم ما يعم الماحضين والمنافقين، فذكر المنافقين من قبيل ذكر الخاص بعد العام، لكمال الاهتمام بالنداء على تفاصيل صفاتهم الذمّية و أعمالهم الخبيثة، لكونهم أخبث الكفرة و أبغضهم إليه تعالى. لأنّهم خلطوا الإيمان بالكفر تمويهاً و تدليساً، و بالشرك إستهزاءً و خداعاً.

والقول هوالتلفّظ بما يفيد، و يقال بمعنى المقول، و للمعنى المتصور في النفس، والمعبّر عنه باللفظ والرأي والمذهب مجازاً.

و قصّة المنافقين معطوفة على قصّة الذين كفروا، وليس ذلك من باب عطف جملة على جملة، ليطلب مناسبة الثانية مع السابقة، بل من باب ضمّ جمل مسوقة لغرض إلى اُخرى مسوقة الآخر، و شرطه المناسبة بين الغرضين، فكلّما كانت المناسبة أشدّ و أمكن، كان العطف بينهما أشدّ و أحسن.

قال بعض المفسّرين(١): هـذه الآيـة مع الاثني عشر الآيات التي بعدها اُنـزلت في ذمّ المـنافقين الـذين أظهـروا الإيمان و أبطنوا الـكفر لمصالح دعتهم إلى ذلك، ثم قال: و دخل فيهم مـن كان على صفـة النفاق حالة نزول الآيـة و اشتهر به، أو كان ولم يشتهر و ظهر بعـد ذلك نفاقه و خبثه، أو حدث النـفاق بعد ذلك في زمان النبي عليه و آله السلام أو بعـد زمانه، فإنّ كلّ هؤلاء مصداق هـذه الآيات، ثم قال: ولا يتوهّم أنّه يلزم في الـدخول تحت المخاطبات التي ذكرت في الآيـات الآتية، فيخرج من لم يـتحقّق فيـه تلك الأقوال، فلا يمكن أن يـقال: إنّ الآيـات نزلت فيهم، لأنّ الشرطيّة لا تقتضي وقوع الطرفين.

أقول: يظهر من كلام ذلك الـفاضل أنّ (إذا) الواقعة في تلـك الآيات شرطيّة، و يردّ احتمالها التأمّل الصادق في تلك الآيات.

و يحتمل أن يكون المراد منه الخلفاء الثلاثة مع شيعتهم.

يدلّ على ذلك ما روي عن أبي محـمد العسكري (عـليه السلام): أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لـما أوقف أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في يوم الغدير موقـفه المشهور المعـروف، ثم قال: يا عباد الله انسبوني، فقالوا: أنت محمد بن عـبدالله بن عبدالمطّلـب بـن هاشم بن عبد مـناف، ثم قال: أيها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم و أنا مولاكم و أولى بكم منكم بأنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فنظـر إلى السماء وقال: اللهمّ اشـهد، يـقول ذلك ثلاثاً، و يـقولون ذلك ثـلاثـا، ثم قال: ألا من كنـت مـولاه و أولى به فهذا علي مولاه و أولى به، اللهمّ وال من والاه و عـاد من عاداه، وانصر من نصره و اخـذل من خذله. ثم قال: قم يا أبـابكر فبايع له بإمرة المؤمنين، فقـام فـبايع لـه، ثم قال: قم يا عـمر فـبايع له بإمـرة المؤمنين، فـقام فبايع. ثم قال بعد ذلك لتمام التسعة، ثم لرؤساء المهاجرين والأنصار فبايعوه كلّهم، فقام بين جماعتهم عمر بـن الخطاب فقال: بخ بخ يابن أبي طالب أصبحت مولاي و مـولى كـلّ مؤمـن و مؤمـنة. ثم قـال تـفـرّقـوا عن ذلك وقـد اُكـدت عليـهم العهود

(١) وهو مولانا محمد مؤمن السبزواري، منه (قدّس سرّه) كذا في هامش النسخ التي عندنا.

والمواثيق، ثم إنّ قوماً من متمرّديهم و جبابرتهم وطؤوا بينهم، لئن كانت لمحمد كائنة لندفعن هذا الأمر عن عليّ ولا نتركه له، فعرف الله تعالى من قلوبهم و كانوا يأتون رسول الله (صلّى الله عليه وآله) و يقولون: لقد أقمت عليّاً أحبّ الخلق إلى الله و إليك و إلينا فكفيتنا به مؤونة الظلمة لنا والجبارين في سياستنا، وعلم الله تعالى من قلوبهم خلاف ذلك من مواطأة بعضهم لبعض أنّهم على العداوة مقيمون، و لدفع الأمر عن مستحقّه مؤثرون فأخبر الله عزّوجلّ محمداً عنهم، فقال: يا محمد، ومن الناس من يقول آمنا بالله الذي أمرك بنصب عليّ إماماً و سائساً ولأمّتك مدبّراً، وماهم بمؤمنين بذلك ولكنهم يتواطؤون على هلاكك وهلاكه، و يوطؤون أنفسهم على التمرّد على عليّ إن كانت بك كائنة(١).

بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ: أي بالمبدأ والمعاد الذين هما المقصود الأعظم من الإيمان، ولهذا اختصّا بالذكر.

والمراد باليوم الذي هو اسم لبياض النهار، زمان ممتدّ من وقت الحشر إلى الأبد و إلى زمان استقرار كلّ في مستقرّه من الجنّة والنار، وهذا أشبه باليوم الحقيقي في تحقّق الحدّ من الطرفين.

و أمّا كونه آخراً، فلتأخر هذين الزمانين عن الأيام الدنيويّة المنقضية.

وقيل في الثاني: لأنّه آخر الأوقات المحدودة الذي لا وقت بعده.

و ردّ بأنّه لاشك أنّ في كلّ من الجنّة والنار أحوالاً وحوادث كلّية يمكن تحديد الأوقات بها، وقد شهدت الكلمات النبويّة بوجودها(٢).

اللهمّ إلّا أن يقال: المنفي هو الحدّ المشهور غاية الاشتهار.

وفي تكرير الباء، إدّعاء الإيمان بكلّ واحد على الأصالة والإستحكام.

---

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص٤١، في ذيل قوله تعالى: «ومن الناس من يقول آمنا»

(٢) مسند احمدبن حنبل: ج٣، ص٧٠، عن أبي سعيدالخدري و أبي هريرة، قالا: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) آخر من يخرج من النار رجلان، يقول الله لأحدهما: يابن آدم ما أعددت لهذا اليوم؟ الحديث.

وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ: نفي لما ادّعوا، والأصل يقتضي أن يقول: وما آمنوا، ليطابق قولهم، لكنه قدّم المسند إليه وجعل المسند صفة فصارت الجملة إسميّة غير دالّة على ذات زمان، لأنّ في ذلك سلوكاً لطريق الكناية في ردّ دعواهم الكاذبة، فإنّ انخراطهم في سلك المؤمنين وكونهم طائفة من طوائفهم من لوازم ثبوت الإيمان الحقيقي لهم، و انتفاء اللازم دلّ على انتفاء الملزوم، ففيه من التأكيد والمبالغة ما ليس في نفي الملزوم ابتداءً. و أيضاً فيه مبالغة في نفي اللازم بالدلالة على دوامه المستلزم لانتفاء حدوث الملزوم مطلقاً، و أكّد ذلك النفي بالباء أيضاً، و أطلق الإيمان لزيادة التأكيد، على معنى أنّهم ليسوا من الإيمان في شيء، أو أراد وما هم بمؤمنين بالله واليوم الآخر، بقرينة ما أُجيب به عنه. ولما اعتبر التأكيد والإستمرار بعد ورود النفي لم يفد إلّا تأكيد النفي.

و استدلّ من ذهب إلى أنّ الإيمان ليس هو الإقرار فقط بالآية.

و أقول: الآية تدلّ على أنّ من ادّعى الإيمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمناً، ولا تدلّ على أنّ من تكلّم بالشهادتين بدون الإعتقاد لم يكن مؤمناً، وهو المتنازع فيه.

وقوله: «وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ» جملة متعلّق خبره محذوف، والتقدير وما هم بمؤمنين بالله واليوم الآخر أو بشيء من الأشياء.

فعلى الأوّل: وجهه ظاهر(١).

و على الثاني: توجيه أنّ نفي الإيمان منهم مطلقاً مع أنّ منافقي أهل الكتاب كانوا مؤمنين بالله واليوم الآخر، بناءً على إيمانهم كلا إيمانهم، لاعتقاد التشبيه، و اتخاذ الولد، و أنّ الجنّة لا يدخلها غيرهم، و أنّ النار لن تمسسهم إلّا أيّاماً معدودةً. فلو قالوا ما قالوه لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم هذه، لم يكن

---

(١) في هامش بعض النسخ ما لفظه (لأنّ المراد بهم حينئذٍ من يقول: آمنّا بالله واليوم الآخر ولم يؤمن بهما بقرينة إخباره تعالى عنهم بذلك، و أمّا على التقدير الثاني، فلشموله ذلك وغيرهم ممّن يؤمن بالله واليوم الآخر فقط، فنفي الإيمان عنهم رأساً يحتاج إلى التوجيه، منه).

إيماناً، كيف وقد قالوه تمويهاً على المسلمين و تهكّماً بهم.

فظهر من ذلك أنّ إطلاق رفع الإيجاب الكلّي والسلب الكلّي في هذه الحملية مسامحة ارتكبها العلّامة السبزواري. حيث قال في توجيه التقدير الثاني: إنّ قولهم: هذا كناية عن تصديقهم بجميع الشرائع، فإذا لم يؤمنوا ببعض صدق رفع الإيجاب الكلّي، مع أنّه يمكن أن يقال: عدم الإيمان بالبغض كاشف عن عدم الإيمان بالكلّ فيصحّ السلب الكلّي، على أنّه يرد احتمال أن لا يكون قولهم هذا كناية عن الإيمان بالجميع، و أيضاً لو قدّر المتعلّق خاصّاً بقرينة سابقة كان رفعاً للإيجاب الكلّي، فلا حاجة حينئذٍ إلى تقدير عمومه، فليتأمّل.

و أقول: يحتمل أن يكون قوله: «بِمُؤْمِنِينَ» غير متعدّ إلى شيء أصلاً، والمعنى ليس لهم وجد حقيقة الإيمان.

يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا: الخدع أن توهم صاحبك خلاف ما تريد به من المكروه و تصيبه به مع خوف و استحياء من المخادعة به.

وقيل: للإصابة، لأنّ مجرّد الإرادة لا يكفي في تحقّق الخدع، وقوله: «مع خوف أواستحياء»ليخرج الإستدراج الذي هو من أفعال الله تعالى، لعدم جواز الخوف أوالحياء عليه سبحانه. وهو من قولهم: ضبّ خادع، أو خدع، إذا أحسّ بالحارش(١) أي الصائد على باب جحره أوهمه إقباله عليه من هذاالباب، ثم خرج من باب آخر، و أصله الإخفاء، ومنه المخدع، على صيغة المفعول، للخزانة. والأخدعان لعرقين خفيين فى العنق.

و صيغة المخادعة تقتضي صدور الفعل من كلّ واحد من الجانبين متعلّقاً بالآخر، وخداعهم مع الله ليس على ظاهره، لأنّه لا يخفى عليه خافية، ولأنّهم لم يقصدوا خديعته، بل المراد إمّا مخادعة رسوله على حذف المضاف، أو على أنّ معاملة الرسول

---

(١) وخدع الضب يخدع خدعاً: استروح ريح الانسان فدخل في جحره لئلا يحترش. ومعنى الحرش أن يمسح الرجل على فم جحر الضب يتسمع الصوت فربما أقبل وهو يرى أنّ ذلك حية، و ربما أروح لا ريح الإنسان فخدع في جحره ولم يخرج، لسان العرب: ج٨، ص٦٥، فى لغة (خدع).

معاملة الله من حيث أنّه خليفته، كما قال تعالى: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطاع الله»(١) «إنَّ الذين يُبايِعُونَكَ إنَّما يُبايِعُونَ الله»(٢).

و يدلّ على ذلك ما روي عن موسى بن جعفر (عليهما السلام): لمّا اتصل ذلك من مواطأتهم و قبلهم في علي وسوء تدبيرهم عليه برسول الله (صلّى الله عليه و آله)، دعاهم وعاتبهم فاجتهدوا في الأيمان، فقال أوّلهم: يا رسول الله، والله ما اعتددت بشيء كاعتدادي بهذه البيعة، ولقد رجوت أن يفسح الله بهالي في قصور الجنان، و يجعلني فيها من أفضل النزّال والسكان. وقال ثانيهم: بأبي أنت و أمّي يا رسول الله، ما وثقت بدخول الجنّة والنجاة من النار إلّا بهذه البيعة، والله ما يسرني أن نَقَضْتُها أو نَكَثْتُ بعد ما أعطيت من نفسي ما أعطيت، و لو أنّ لي طلاع ما بين الثرى إلى العرش لآلي رطبة وجواهر فاخرة. وقال ثالثهم: والله يا رسول الله، لقد صرت من الفرح بهذه البيعة والسرور والفسح من الآمال في رضوان الله، و أيقنت أنّه لو كانت ذنوب أهل الأرض كلّها عليّ لمحصت عنّي بهذه البيعة، وحلف على ما قال من ذلك، ولعن من بلغ عنه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خلاف ما حلف عليه، ثم تتابع بمثل هذا الإعتذار من بعدهم من الجبابرة والمتمرّدين، قال الله عزّوجلّ لمحمّد: يخادعون الله، يعني يخادعون رسول الله بأيمانهم خلاف ما في جوانحهم، والذين آمنوا كذلك أيضاً، الذين سيّدهم و فاضلهم علي بن أبي طالب (عليه السلام)(٣)

و يحتمل أن يقال: المقصود أنّ بينهما حالة شبيهة بالمخادعة، لا حقيقة المخادعة. فإنّ صورة صنعهم مع الله من إظهار الإيمان و استبطان الكفر، و صنع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم، وهم عنده أخبث الكفّار استدراجاً لهم، وامتثال الرسول والمؤمنين أمرالله في إخفاء حالهم و إجراء حكم الإسلام عليهم صورة صنع المخادعين، فشبّهت تلك الصورة بهذه الصورة، فاستعمال لفظ هذه فيها إن وقع كان

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٢) سورة الفتح: الآية ١٠.

(٣) تفسيرالامام العسكري (عليه السلام): ص٤٢، ذيل قوله تعالى: «يخادعون الله والذين آمنوا».

استعارة تصريحيّة، و اشتقاق يخادعون منه استعارة تبعيّة.

أو يقال: المخادعة محمولة على حقيقتها، لكنّها ترجمة عن معتقدهم الباطل و ظنّهم الفاسد، كأنّه قيل: يزعمون أنّهم يخدعون، و أنّه يخدعهم، و كذلك المؤمنون يخدعونهم.

أو يقال: المراد يخدعون الذين آمنوا، و ذكرالله ليس لتعليق الخدع به، بل لمجرّد التوطئة، و فائدتها التنبيه على قوّة اختصاص المؤمنين بالله و قربهم منه، حتّى كان الفعل المتعلّق بهم دونه يصح أن يعلّق به أيضاً. وكذا الحال في أعجبني زيد و كرمه، فإنّ ذكر زيد توطئة و تنبيه على أنّ الكرم قد شاع فيه و تمكّن بحيث يصحّ أن يسند إليه أيضاً الإعجاب الذي في كرمه، ومثل هذاالعطف يسمّى جارياً مجرى التفسير.

و وجه العدول عن خدع إلى خادع، قصد المبالغة، لأنّ المفاعلة في الأصل المغالبة، وهي أن يفعل كلّ من الجانبين مثل صاحبه ليغلبه، و حينئذٍ يقوى الداعي إلى الفعل و يجيىء أبلغ و أحكم.

و (يخادعون) بدل أو بيان لـ(يقول) لأنّه و إن كان واضحاً في نفسه، ففيه خفاء بالنسبة إلى الغرض، و لمّا كان خفاؤه باعتبار الغرض منه، اكتفى في بيانه بذكره، وهوالخداع.

و يجوز أن يكون مستأنفاً، كأنّه قيل:ولم يدّعون الإيمان كاذبين؟ فقيل: يخادعون. وكأنّ غرضهم من المخادعة إمّا دفع المضرّة عن أنفسهم كالقتل والأسر، أو جذب المنفعة كأخذ الغنائم، أو إيصال المضرّة إلى المؤمنين كإفشاء أسرارهم إلى أعدائهم من الكفار.

أقول: و يحتمل أن يكون معنى يخادعون، يريدون أن يخدعوا، إمّا لدلالة جوهر الصيغة عليه، و إمّا باعتبار أنّ الأفعال التي من شأنها أن تصدر بالإرادة والاختيار إذا نسبت إلى ذوي الاختيار فهم إرادتها.

وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ: قراءة نافع(١) و ابن كثير(٢) و أبي عمرو(٣).

(١و٢و٣) مجمع البيان: ج١، ص٤٦.

والمعنى أنّ دائرة المخادعة التي سبقت، وهي المخادعة المستعارة للمعاملة الجارية بينهم و بين الله والمؤمنين المشبّهة بمعاملة المخادعين، أوالمخادعة المحمولة على حقيقتها لكن في ظنّهم الفاسد، أوالمخادعة الواقعة بينهم و بين الرسول، أو بينهم و بين المؤمنين، راجعة إليهم و ضررها يحيق بهم لا يعدوهم أو أنّهم في ذلك خدعوا أنفسهم لما غرّوها بذلك، وخدعتهم أنفسهم حيث حدّثتهم بالأماني الفارغة، وحملتهم على مخادعة من لا تخفى عليه خافية.

فعلى الأول: تكون العبارة الدالّة على قصّة المخادعة مجازاً، أو كناية عن إنحصار ضررها فيهم.

و يحتمل أن يجعل لفظ الخداع مجازاً مرسلاً عن ضرره في المرتبة الأولى أوالثانية.

وعلى الثاني: تكون المخادعة مستعملة في معناها حقيقة.

و قرأ الباقون (وما يخدعون) قيل: لأنّ المخادعة لا تتصوّر إلّا بين اثنين.

أقول: نعم، لكن الاثنين أعم من أن يكون اثنين حقيقة أو اعتباراً، اللهمّ إلّا أن يقال: الاثنينية الحقيقيّة مشروطة بحسن المخادعة.

و قرئ (يخدّعون) من خدع. و يخدعون بفتح الياء، والأصل يختدعون، بمعنى يخدعون، كيقتدرون بمعنى يقدرون، فأدغم.

و يخدعون و يخادعون على لفظ مالم يسمّ فاعله، و حينئذٍ يكون (إلّا أنفسهم) معناه إلّا أنفسهم على حذف حرف الجر، يقال: خدعت زيداً نفسه، أي عن نفسه، نحو «واخْتارَ مُوسىٰ قَوْمَهُ»(١).

و يحتمل النصب على التميز عند من يجوّز كونه معرفة، و استعمال الخدع بناءً على تضمينه معنى الصدور، أي ما يخدعون إلّا خدعاً صادراً عن أنفسهم منشىءً عنها.

والنفس:الذات. و يقال للقلب بمعنى العضو الصنوبري: نفس، لأنّ قوام النفس بمعنى الذات، بذلك. ولهذا المعنى أيضاً يقال للروح الدم: نفس، و للماء لفرط حاجتها إليه. و للرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه، أي يشاورها، لأنّه ينبعث عنها،

---

(١) سورة الاعراف: الآية ١٥٥.

تسمية للمسبب باسم السبب، أو يشبه ذاتاً تأمره و تشير عليه، فيكون استعارة مبنيّة على التشبيه.

والمراد بالأنفس هنا ذواتهم. و يحتمل حملها على أرواحهم و آرائهم.

قيل: إنّ المختار عند المحقّقين من الفلاسفة و أهل الاسلام من الصوفيّة وغيرهم، أنّها أي النفس ـ جوهر مجرّد في ذاته، متعلّق بالبدن تعلّق التدبير والتصرّف. و متعلّقه أوّلاً هوالروح الحيواني القلبي المتكون في جوفه الأيسر من بخار الغذاء ولطيفه، و يفيد قوّة لها تسري في جميع البدن فيفيد كلّ عضو قوّة بها يتمّ نفعه.

وقد يطلق على هذاالجوهر المجرّد القلب والروح أيضاً.

فعلى هذا يمكن أن يراد بالأنفس؛ النفوس المتعلّقة بأبدانهم على سبيل الحقيقة، بأن يكون موضوعاً لهذاالجوهر المجرّد، كما للذات.

وعلى تقدير وضعه للذات فقط. إطلاقه عليه إمّا بالحقيقة أوالمجاز، فإنّ الذات لوكانت عبارة من مجموع الجثّة والروح المجرّد، فإطلاق النفس عليها من إطلاق اسم الكلّ على الجزء. و إن كانت عبارة عن الجثّة فقط، فإطلاقه عليها لعلاقة واقعة بينهما. و إن كانت عبارة عن الروح المجرّد فقط، وهوالظاهر، فإنّ الذات في الحقيقة ما يعبر عنه بلفظ (أنا) وهوالباقي من أول العمر إلى آخره، وما عداه كالعوارض بالنسبة إليه، ولا شك أنّ هذاالأمر هوالروح المجرّد، لا الجثّة فإنّها كلُّ يوم تبدّل. فعلى هذا إطلاق النفس بمعنى الذات عليه، حقيقة، و فيما عداه مجاز.

و إذا أريد بـ«أنفسهم» النفوس الناطقة المتعلّقة بأبدانهم، أوالقلوب، أوالأرواح بمعناه، فلا شكّ أنّ ضرر المخادعة الواقعة بينهم و بين الله والمؤمنين، راجع إليها، مقصور عليها، لكن قصراً إضافياً، فإنّ ذلك الضرر يعود إلى جثّتهم و قلوبهم الصنوبريّة و أرواحهم الحيوانيّة أيضاً، فإنّ عذابهم لا يكون روحانياً فقط.

وَمَا يَشْعُرُونَ: معطوف على قوله: «وما يخدعون» أو على قوله «يخادعون».

وقيل: معترضة من الشعور، وهو إدراك الشيء بالحاسّة، مشتقّ من الشعار، وهو ثوب على شعر الجسد، ومنه مشاعر الإنسان، أي حواسّه الخمس التي يشعر بها، لأنّها متلبّسة بجسده كالشعار. أو من الشعر وهو إدراك الشيء من وجه يدق و

يخفى. والأول أبلغ و أنسب بالمقام، لأنّ فيه إشعاراً بانحطاطهم عن مرتبة البهائم حيث لا يدركون أجلى المعلومات، أعني المحسوسات التي تدركها البهائم، و لذلك اختاره على ما يعلمون.

ومفعوله محذوف، فإمّا أن يقدر العلم به، والمعنى وما يشعرون أنّ وبال خداعهم راجع إلى أنفسهم، أو اطلاع الله عليهم. أو ينزل منزلة اللازم ولا يقدر له مفعول، وحينئذٍ إمّا أن لا يجعل كناية عنه متعلّقاً بمفعول خاص، أو يجعل، والثاني أبلغ، والثالث أبلغ منه.

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ: جملة مستأنفة لبيان الموجب لخداعهم وما هم فيه من النفاق.

و يحتمل أن تكون مقرّرة لعدم شعورهم. و قرئ «مرض» بسكون الراء، وهو صفة توجب الخلل في الأفعال الصادرة من موضع تلك الصفة، و يمكن اتّصاف القلب به. و ذلك لأنّ الإنسان إذا صار مبتلياً بالحسد والنفاق ومشاهدة المكروه، فإذا دام به ذلك صار سبباً لتغير مزاج القلب و تألّمه، واتّصاف قلوب المنافقين بهذا التفسير غير معلوم، فالمراد به هنا المعنى المجازي هو آفته كسوء الاعتقاد والكفر، أو هيئة باعثة على ارتكاب الرذائل كالغل والحسد والبغض، أو مانعة عن اكتساب الفضائل كالضعف والجبن والخور(١)، لأنّ قلوبهم كانت متصفة بهذه الأعراض كلّها.

وفي تقديم الخبر فائدتان؛ تخصيص المبتدأ النكرة، و إفادة الحصر إدعاءً.

فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا: معطوف على الجملة السابقة، والمعنى أنّه لمّا كان في قلوبهم مرض و استعداد للمرض، فزيد مرضهم. والمراد بالزيادة الختم على قلوبهم حتّى لا يخرج شيء من هذه النقائص، ولا يدخل شيء ممّا لها من الفضائل، بل و إنّما أتى بالجملة الفعلية في المعطوف دون المعطوف عليه لتجدّد ذلك الزائد يوماً فيوماً، بخلاف أصل المرض، فإنّه كان ثابتاً مستقرّاً في قلوبهم.

---

(١) خار يخور: ضَعُفَ. المصباح المنير: ص١٨٣.

و يمكن أن يراد بالزيادة زيادته بحسب زيادة التكاليف و تكرير الوحي و تضاعف النصر، فحينئذٍ يكون إسناد الزيادة إلى الله من حيث أنّه مسبّب من فعله أو دعائيّة، والمتعيّن حينئذٍ هوالمعنى الأول. والزيادة يجيء لازماً و متعدّياً إلى مفعولين كما في الآية أيضاً، فحينئذٍ يكون مفعوله الثاني مرضاً، أو محذوفاً، أي فزادهم الله مرضهم، وقيل: الأول محذوف، وهو تكلّف.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: قال البيضاوي:(١) أي مؤلم، يقال: ألم فهو أليم، كوجع فهو وجيع، وصف به العذاب للمبالغة، كقوله: تحية بينهم ضرب وجيع(٢).

و ردّ بأنّ فعيل بمعنى مفعل اسم فاعل غير ثابت، على ما سيجيء في قوله: «بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ»(٣) فهو بمعنى المؤلم اسم مفعول، كوجع فهو وجيع بمعنى الموجع. و إنّما أسند إلى العذاب لأنّه من ملابسات فاعله الذي هوالمعذّب، كما أسند الربح إلى التجارة في قوله تعالى: «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ»(٤) لأنّها من ملابسات التاجر. و فيه مبالغة و تنبيه على أنّ الألم بلغ الغاية، بحيث عرض لصفة المعذّب كما عرض له، وعلى هذا يكون المجاز في الإسناد. ولو جعل بمعنى ما يلابسه الألم، لأنّهما متلاقيان في موصوف واحد، فيكون المجاز في المفرد، لكن تفوت المبالغة.

و وجه أنّه تعالى قال في حق المصرّين على الكفر: «ولهم عذاب عظيم» ولم يذكر له سبباً، وفي حق المنافقين «ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون» و بيّن أن سببه الكذب ـ إنّ الكافرين المصرّين هم المطرودون، فينبغي أن يكون عذابهم عظيماً، لكنّهم لا يجدون شدّة ألمه، لعدم صفاء قلوبهم، كحال العضو الميّت

---

(١) هوالقاضي ناصرالدين عبدالله بن عمربن محمد الفارسي الأشعري الشافعي، المفسّر المتكلم الاصولي، صاحب التفسير المسمّى بأنوار التنزيل. توفي بتبريز سنة ٦٨٥ هجرية. الكنى والألقاب: ج٢، ص١٠٠.

(٢) تفسير البيضاوي: ج١، ص٢٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١١٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٦.

أوالمفلوج إذا وقع عليه القطع. والمنافقون لثبوت استعدادهم في الأصل و بقاء إدراكهم في الجملة، يجدون شدّة الألم، فيكون عذابهم مؤلماً مسبّباً من الكذب و لواحقه بخلاف عذاب المصرّين، فإنّه ذاتيّ لهم لا لأمر عارض.

وفي تقديم الخبر هاهنا أيضاً فائدتان: زيادة تخصيص المبتدأ النكرة، و إفادة الحصر إدعاءً.

بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ: قراءة عاصم و حمزة و الكسائي(١).

والكذب: الإخبار عن الشيء بغير ما هو عليه. و قرئ: يكذّبون، من كذّبه، نقيض صدقه، أو من كذّب الذي هو للمبالغة والتكثير، أو من كذّب الوحشي إذا جرى شوطاً و وقف لينظر ما وراءه، فإنّ المنافق متحيّر متردّد.

«والباء» للسببيّة أوالبدليّة متعلّقة بالظرف في قوله: «لهم عذاب أليم»، و «ما» مصدريّة، و يحتمل الموصوليّة والموصوفيّة.

و استدلّ الذاهبون إلى قبح الكذب مطلقاً بالآية، بأنّه جعل عذابهم الأليم مسبّباً لكذبهم. و تخصيصه بالذكر من بين جهات استحقاقهم إيّاه، مع كثرتها، مبالغة في قبح الكذب لينزجر السامعون منه.

وقيل: نمنع قبحه مطلقاً، فإنّه قد يمكن أن يتضمّن عصمة دم مسلم، بل نبيّ، ولا يتيسّر التعريض، فيحسن.

وَ رُدَّ بأنّ الحُسْن العارضي لا يمنع القبح الذاتي، وهوالمراد بالقبح هاهنا، فعلى هذا يحرم الكذب سواء تعلّق به غرض أولم يتعلّق.أمّا إذا لم يتعلّق فظاهر. و أمّا إذا تعلّق فلأنّ في المعاريض لمندوحة عنه، والتعريض: ليس بكذب إذا كان المعرّض به مطابقاً للواقع، فإنّ مرجع الصدق والكذب إلى المراد من الكلام الخبري، لا إلى مطلق مدلوله.

وما ينسب إلى إبراهيم (عليه السلام) من الكذبات الثلاث:

---

(١) تفسير القرآن الكريم: للشهيد مصطفى الخميني: ج٣، ص٧٩، وفيه: عن الكوفيين وهم حمزة و عاصم والكسائي تخفيف الذال يكذبون.

من قوله: «إني سقيم»(١) و أراد سأسقم، وقد علمه بأمارة من النجوم، أو إني سقيم الآن بسبب غيظي وحنقي من اتخاذكم الآلهة.

و قوله: «بل فعله كبيرهم» (٢) والمراد به: أنّه إذا لم يقدر على دفع المضرّة عن نفسه وغيره فكيف يصلح إلهاً، أو أنّ تعظيمه كان هوالحامل له على كسرها.

وقوله لملك الشام: إن سارة أختي، ومراده الإخوّة في الدين.

وقيل: كذباته الثلاث؛ قوله في الكواكب: «هٰذا رَبّي»(٣) ثلاث مرات، وقصد به الحكاية، أوالفرض ليرشدهم إلى عدم صلاحيّتها للألوهيّة.

فمحمول على التعريض، ولكن لمّا كانت صورته صورة الكذب سمّي به.

و وجه إيراد كان «الدالّة» على المضيّ، و يقولون: «و يخادعون و يخدعون» للحال، ووقوع كلام المنافقين قبلها، ليس بمعلوم أنّ كذبهم سبب لثبوت العذاب لهم في الإستقبال، أو للحكم به في الحال، فينبغي أن يكون متقدّماً على ما هو سبب له، فالمراد بالمضي هذا التقدّم سواء كان بالزمان أو بالذات.

قال بعض الفضلاء: و إذ قدأوقعتنا المباحث اللفظيّة في وادي التفرقة، فلابدّ أن نستريح باستشمام روائح الجمعيّة.

فنقول: ومن الناس الناسي اعترافهم في معهد ألست بربّكم بربوبيّة ربّهم بتجلّيه العلمي أولاً بصور أعيانهم الثابتة على نفسه، و تجلّيه الوجودي ثانياً بصور أعيانهم الخارجيّة، و ترتيبه إيّاهم طوراً بعد طور، و مرتبةً بعد مرتبة إلى أنْ وصلوا إلى هذه النشأة الجسمانيّة العنصريّة من يقولون بألسنة أفواههم: آمنّا بالله أحديّة جمع الأسماء الإلهيّة السارية بالكلّ في الكلّ، فلا فاعل، بل لا موجود في الوجود إلّا هو، فهو الفاعل في كلّ عين، إذ لا فعل للعين، بل الفعل له ولكن فيها، وباليوم الآخر، أي بتجلّيه النوري الوجودي آخراً بالاسم المجازي لجزاء الأعمال، فلا

---

(١) سورة الصافات: الآية ٨٩.

(٢) سورة الانبياء: الآية ٦٣.

(٣) سورة الانعام: الآية ٧٦ ـ ٧٧ ـ ٧٨.

مجازي إلّا هو فهوالعامل، وهو المجازي على العمل، فهم و إن كانوا مؤمنين بالقول صورةً، فما هم بمؤمنين بالحال حقيقة، إذ حقيقة الإيمان بالله سبحانه تقتضي أن لا تسند الآثار إلّا إليه، بل لا يرى في الوجود إلّا هو، فحيث قالوا آمنا و ما قالوا تجلّى الحقّ في صورة منوطة باسمه المؤمن، اشتقوا الايمان لأنفسهم، وهذا شركة في التوحيد، «يخادعون الله» أي يظهرون بألسنة أقوالهم الظاهرة ما لم يتحقّقوا به في بواطنهم وهوالإيمان بالله، فلا يوافق ظاهرهم باطنهم. وكذلك يخادعون الذين آمنوا، أي الذين تجلّى عليهم بالإسم المؤمن، فسرى هذا التجلّي في ظاهرهم و باطنهم، فآمنوا صورة وحقيقة. «وما يخدعون إلّا أنفسهم» إذ الأشياء في الحقيقة الوحدة الجمعيّة الإلهيّة متّحدة بعضها مع بعض، ومع تلك الحقيقة أيضاً، فكلّ شيء نفس الأشياء الأُخر، ونفس تلك الحقيقة أيضاً من هذه الحيثيّة، ولكنّهم ما يشعرون بذلك الاتحاد، لاغتشاء مشاعرهم بصورة التعيّنات الحجابيّة، والتعدّدات المظهريّة. في قلوبهم التي من صفتها صحّة التقلّب مع الشؤون الإلهيّة بحيث لا يحجبها شأن من شهوده تعالى، مرض يضاد هذه الصحّة و يمنعها عن الظهور، فزادهم الله مرضاً، على مرض بازدياد أضداد تلك الصحّة و تتابعها، ولهم عذاب أليم بسبب كذبهم في قولهم: آمنا، و تكذيبهم إيّاه بحسب حالهم.

والغرض من نقل أمثال هذه المباحث الإطّلاع على الآراء الكاسدة والأهواء المضلّة، فإنّ الحق يعرف بضدّه.

وقد جاء في هذه الآية منقبة عظيمة و فضيلة جسيمة لمولانا أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) في تفسير الإمام العسكري (عليه السلام)، قال: قال موسى بن جعفر (عليهما السلام): إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لـمّا اعتذر إليه هؤلاء المنافقون بما اعتذروا، و تكرّم عليهم بأن قبل ظواهرهم و أوكل بواطنهم إلى ربّهم، لكنّ جبرئيل أتاه فقال: إنّ العلي الأعلى يقرأ عليك السلام و يقول: أخرج هؤلاء المردة الذين اتّصل بك عنهم في عليّ ونكثهم لبيعته، و توطينهم نفوسهم على مخالفته ما اتصل، حتى يظهر من عجائب ما أكرمه الله به من طاعة الأرض والجبال والسماء له وسائر ما خلق الله لما أوقفه موقفك و أقامه مقامك، ليعلموا أنّ ولي الله

عليّ غني عنهم، و أنّه لا يكف عنهم انتقامه إلّا بأمرالله الذي له فيه وفيهم التدبير الذي هو بالغه، والحكمة التي هو عامل بها و ممض لما يوجبها.

فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الجماعة بالخروج، ثم قال لعلي لمّا استقر عند سفح بعض جبال المدينة: يا علي، إنّ الله عزّوجلّ أمر هؤلاء بنصرتك و مساعدتك والمواظبة على خدمتك والجد في طاعتك، فإن أطاعوك فهو خير لهم يصيرون في جنان الله ملوكاً خالدين ناعمين، و إن خالفوك فهو شرّ لهم يصيرون في جهنّم خالدين معذّبين.

ثم قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لتلك الجماعة: اعلموا أنكم إن أطعتم علياً سعدتم، و إن خالفتموه شقيتم و أغناه الله عنكم بمن سيريكموه.

ثم قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):ياعلي، سل ربّك بجاه محمد و آله الطيبين الذي أنت بعد محمّد سيّدهم، أن يقلب لك هذه الجبال ما شئت، فسأل ربّه فانقلبت الجبال فضّة، و نادته الجبال يا علي يا وصي رسول رب العالمين، إنّ الله قد أعدّنا لك ، فإن أردت إنفاقنا في أمرك فتى دعوتنا أجبناك لتمضي فينا حكمك ، و أنفذ فينا قضاءك . ثم انقلبت ذهباً كلّها، فقالت مثل مقالة الفضّة، ثم انقلبت مسكاً و عنبراً وجواهر و يواقيت، و كلّ شيء ينقلب منها يناديه: يا أباالحسن يا أخا رسول الله، نحن المسخّرات لك إدعنا متى شئت لتنفقنا فيما شئت نجبك و نتحوّل لك إلى ما شئت.

ثم قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):يا علي سل الله بمحمد و آله الطيبين الذين أنت سيّدهم، أن يقلب لك أشجارها رجالاً شاكين الأسلحة، وصخورها أُسوداً و نموراً و أفاعي، فدعا الله علي (عليه السلام) بذلك، فامتلأت الجبال والهضبات و قرار الأرض من الرجال الشاكين الأسلحة الذين لا يفي الواحد منهم عشرة آلاف من الناس المعدودين، ومن الأسود والنمور والأفاعي، وكلّ ينادي يا علي يا وصي رسول الله، ها نحن قد سخّرنا الله لك و أمرنا باجابتك كلّما دعوتنا إلى اصطلام كلّ من سلطتنا عليه، فسمنا ما شئت، و ادعنا نجبك، و أمرنا نطعك، يا علي يا وصي رسول الله، إنّ لك عندالله من الشأن إن سألت الله أن يصيّر لك

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

أطراف الأرض وجوانبها هذه صرّة واحدة كصرّة كيس لفعل، أو يحطّ لك السماء إلى الأرض لفعل، ويرفع لك الأرض إلى السماء لفعل، أو يقلب لك ما في بحارها أُجاجاً، ماءً عذباً، أو زئبقاً أو بـاناً أو ما شئت من أنواع الأشربة والأدهان لفعل، ولو شئت أن يجمّد البحار ويجعل سائر الأرض مثل البحار لفعل. ولا يحزنك تمرّد هؤلاء المتمرّدين وخلاف هؤلاء المخالفين، فكأنّهم بالدنيا وقد انقضت عنهم كأن لم يكونوا فيها، وكأنّهم بالآخرة إذا وردوا عليها كأن لم يزالوا فيها، يا علي، إنّ الذي أمهلهم مع كفرهم وفسقهم في تمرّدهم عن طاعتك، هوالذي أمهل فرعون ذاالأوتاد ونمرود وكنعان، ومن ادّعى الإلهيّة من ذوي الطغيان، وأطغى الطغاة إبليس ورأس الضلالات، وما خُلقت أنت ولاهم لدار الفناء، بل خلقتم لدار البقاء ولكنّكم تنتقلون من دار إلى دار، ولا حاجة لربّك إلى من يسوسهم ويرعاهم، ولكنّه أراد تشريفك عليهم وإبانتك بالفضل فيهم، ولو شاء لهداهم أجمعين.

قال: فمرضت قلوب القوم لمّا شاهدوا من ذلك، مضافاً إلى ما كان في قلوبهم من مرض، فقال الله عند ذلك: «في قلوبهم مرض، فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون»(١).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ: معطوف على (يكذبون) أو على «يقول آمنّا».

---

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص ٤٢، ذيل قوله تعالى: «في قلوبهم مرض».

و رجّح الأول: بقربه، و بإفادته تسبّب الفساد، فيدلّ على وجوب الإحتراز عنه كالكذب.

وفيه بحث، لأنّه يفيد تسبّب هذاالقول منهم في جواب لا تفسدوا للعذاب، لا تسبّب الفساد له.

والثاني: تكون الآيات حينئذٍ على نمط تعديد قبائحهم، و بإفادتها اتصافهم بكلّ من تلك الأوصاف استقلالاً، و بدلالتها على أنّ لحوق العذاب الأليم بسبب كذبهم الذي هو أدنى أحوالهم في كفرهم و نفاقهم، فما ظنّك بسائرها.

و يحتمل أن تكون معطوفة على قوله: «ومن الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر» الى آخره لكنّه بعيد، لعدم دلالته على اندراج هذه الصفة وما بعدها في قصّة المنافقين و بيان أحوالهم، إذ لا يحسن حينئذٍ عودالضمائر التي فيها إليهم.

و يخطر بالبال احتمال أن يكون معطوفاً على قوله: «يخادعون الله» الى آخره.

و «إذا» ظرف زمان، و يلزمها معنى الشرط غالباً، ولا يكون إلاّ في الأمر المحقّق، أوالمرجّح وقوعه. و يختص بالدخول على الجملة الفعليّة، و يكون الفعل بعدها ماضياً كثيراً، ومضارعاً دون ذلك.

والفساد: خروج الشيء عن كونه منتفعاً، والصلاح ضدّه.

وكان من جملة فسادهم في الأرض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين، ومعاونة الكفّار عليهم بإفشاء أسرارهم إليهم.

ومنها: الإخلال بالشرائع التي برعايتها ينتظم العالم، بإظهار المعاصي.

ومنها: الدعوة في السرّ إلى تكذيب المسلمين وجحد الإسلام، و إلغاء السنّة.

والقائل هوالله سبحانه بلسان الرسول، أوالرسول، أو بعض المؤمنين.

قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ: جواب (إذا) وردّ للناصح على سبيل المبالغة، لأنّ (إنّما) هى كلمة (إنّ) التي لإثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها (ما) الكافة لزيادة التأكيد، فقصدوا بها قصر ما دخلته على ما بعده، فهذا من باب قصر المسند إليه على المسند، لكن قصر إفراد. لأنّهم لما سمعوا قول المسلمين لهم: لا تفسدوا في الأرض، توهّموا أنّهم يجعلونهم مصلحين تارة ومفسدين أخرى، لاستبعادهم أن

يجعلوهم مفسدين في جميع الأحوال، فأجابوا بأنّهم مقصورون على الإصطلاح لا يتجاوزونه إلى الإفساد، فإصلاحهم غير مشوب بإفساد.

و كلمة (إنّما) دالّة على أنّ ذلك أمر مكشوف لا ينبغي أن يشك فيه، فإنّ الشرط فيها أن تدخل على حكم يكون بيّناً في نفس الأمر، أو بحسب الإدّعاء. و إنّما قالوا ذلك: لأنّهم ممّن زين له سوء عمله فرآه حسناً.

و روي عن العالم موسى (عليه السلام) في تفسير الآية: إذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة في يوم الغدير: لا تفسدوا في الأرض باظهار نكث البيعة لعباداللہ المستضعفين، فتشوّشون عليهم دينهم و تحيّرونهم في مذاهبهم، قالوا: إنّما نحن مصلحون، لأنّا لا نعتقد دين محمّد ولا غير دين محمّد، و نحن في الدين متحيّرون، فنحن نرضي في الظاهر محمّداً بإظهار قبول دينه و شريعته، و نقضي في الباطن إلى شهوتنا، فنتمتّع و نترفه و نعتق أنفسنا من رقّ محمّد، و نكفها من طاعة ابن عمّه عليّ، لكي إن اُديل في الدنيا كنا قد توجّهنا عنده، و إن اضحمل أمره لنا سلمنا من سبي أعدائه(١).

أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ: (ألا) و (إنّما) مركّبتان من همزة الإستفهام وحرف النفي. لإعطاء معنى التنبيه على تحقّق ما بعدها، فإنّ الإستفهام إذا كان للإنكار و دخل على النفي أفاد تخفيفاً، لأنّ نفي النفي إثبات و تحقيق، كقوله: «أليس ذلك بقادر»(٢).

والأكثرون على أنّهما حرفان موضوعان لذلك المعنى لا تركيب فيهما، و يدخلان على الجملتين. و يشاركها في الدلالة على معنى التنبيه «الهاء» لكنّها تختصّ بالدخول على أسماء الإشارة والضمائر غالباً.

ولمّا بالغ المنافقون في إظهار الإصلاح، بُولغ في إفسادهم من جهات متعدّدة:

---

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص٥٦، في تفسير الآية ١٢ من سورة البقرة، و تفسير البرهان: ج١، ص٦١، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) سورة القيامة: الآية ٤٠.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

الاستئناف، فإنّه يقصد به زيادة تمكّن الحكم في ذهن السامع، لوروده عليه بعدالسؤال والطلب. وما في كلّ واحدة من كلمتي (ألا) و (إنّ) من تأكيد الحكم و تحقيقه.

و تعريف الخبر المفيد حصر المسند على المسند إليه قصر قلب. وتوسيط الفصل المؤكّد لهذاالحصر.

وقوله: «لا يشعرون» لدلالته على أنّ كونهم مفسدين، قد ظهر ظهورالمحسوس، لكن لا حسّ لهم ليدركوه.

وقيل: المبالغة في تعريف المفسدين على قياس ما مرّ في المفلحين، أنّه إن حصلت صفة المفسدين و تحقّقوا و تصوّروا بصورتهم الحقيقيّة فالمنافقون هم لا يعدّون تلك الحقيقة، فيكون الفصل مؤكداً لنسبة الاتحاد الذي هو أقوى من القصر في إفادة المطلوب.

و روي في تفسير تلك الآية: ألا إنّهم هم المفسدون بما يفعلون أُمور أنفسهم، لأنّ الله يعرّف نبيّه نفاقهم فهو يلعنهم و يأمر المسلمين بلعنهم، ولا يثق بهم، فهم أعداء المؤمنين، لأنّهم يظنون أنّهم ينافقونهم كما ينافقون أصحاب محمّد، فلا يرفع لهم عندهم منزلة ولا يحلّ لهم عندهم محلّ أهل الثقة(١).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ : هذا من تمام النصح والإرشاد، فإنّ الإيمان مجموع

---

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص٤٤، ذيل قوله تعالى: «و اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض».

الأمرين: الإعراض عمّا لا ينبغي، وهوالمقصود بقوله: «لا تفسدوا» والإتيان بما ينبغي، وهوالمطلوب بقوله: «آمِنُوا». و أمرهم بالإيمان بعد نهيهم عن الإفساد، لأنّ التحلية لا تتيسّر إلّا بعد التخلية.

كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ :(ما) في (كما) إمّا كافة كما في قوله تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ»(١) أو مصدريّة كما في قوله تعالى: «وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ»(٢) فإن كانت كافة للكاف عن العمل مصحّحة لدخولها على الجملة، كان التشبيه بين مضمونتي الجملتين، أي حققوا إيمانكم كما حقّق الناس إيمانهم. و إن كانت مصدرية، فالمعنى آمنوا إيماناً كإيمانهم.

و على التقديرين قوله: «كما آمَنَ الناسُ» في موضع النصب على المصدريّة، واللام للعهد، أي كما آمن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومن معه، وهم ناس معهودون على الإطلاق عندهم، أو مَن آمَنَ مِن أهل بلدتهم كابن سلام و أصحابه، وهم ناس معهودون عندهم، أو للجنس. والمراد به الكاملون عندهم في الإنسانيّة العاملون بقضية العقل. فإن اسم الجنس كما يستعمل لمسمّاه مطلقاً، يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه، و لذلك يسلب عن غيره، فيقال: زيد ليس بإنسان.

وقد جمع الإستعمالين قول الشاعر: إذ الناس ناس والزمان زمان(٣).

و استدلّ به على مطلبين:

أحدهما: أنّ توبة الزنديق مقبولة.

ثانيهما: أنّ الإقرار باللسان إيمان.

تقرير الأول: إنّ الكافرين مأمورون بالإيمان، فلولم تكن توبتهم مقبولة لم

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٨.

(٣) لم أظفر بقائله، و وجدت أصحاب التفاسير يستشهدون به، لاحظ منهج الصادقين: ج١، ص٨٤، و تفسير أبي السعود: المسمّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ج١، ص٤٤.

يكونوا مكلّفين، ضرورة أنّ كونهم مكلّفين مع عدم قبول توبتهم جبر. و هذا إنّما يتم لو كان دعوة بعض المؤمنين إلى الايمان تكليفاً، ولو سلّم فإنّما يدلّ على ذلك لو كان قولهم ذلك بطريق الدعوة.

والحق أنّ توبة الزنديق عن غير فطرة مقبولة، وعن الفطرة غير مقبولة ظاهراً، لكن لا بدلالة الآية(١)، بل بدلالة الآيات الأُخر و الأحاديث المرويّة(٢).

و تقرير الثاني: إنّه لولم يكن إيماناً لم يفد التقييد بقوله: (كما آمن الناس) والتالي باطل فالمقدّم مثله، والملازمة ممنوعة.

والمستند أنّ ذلك مبني على أن يكون المراد من الناس، المنافقين المذكورين سابقاً، وليس كذلك، بل المراد المؤمنين، و فائدة التقييد التحريض، و نظيره قوله: أكرم أخاك كما أكرمه عمرو.

و بعض استدلّ من قوله: «ومن الناس من يقول آمنّا وما هم بمؤمنين» على أن الإقرار فقط ليس بإيمان. وهو أيضاً باطل، لجواز أن يكون قولهم (آمنا) لإخبار الإيمان لا إنشاءه.

قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ: الهمزة فيه للإنكار مجازاً، إذالأصل فيه الإستفهام، استعملت فيه لعلاقة عدم اعتقاد الثبوت فيها. و إذا كان للإستفهام يطلب به التصوّر والتصديق، كما يطلب بـ «هل» التصديق، و بباقي أدوات الاستفهام التصوّر.

والحق أنّ الكلّ لطلب التصوّر في المآل.

و معنى الإنكار فيه: أنّ ذلك لا يكون أصلاً. واللام للعهد، إشارة إلى الناس المذكور سابقاً، أوالجنس، وهم مندرجون تحت مفهومه على زعمهم. و لتسفيههم، إمّا لجعل الإيمان سفهاً، أو لجعل المؤمنين المشهورين به، أو ليجعلونهم مشهورين به، أو لاعتقادهم فساد رأيهم، أو لتحقير شأنهم. فإنّ أكثر المؤمنين كانوا فقراء، ومنهم موال

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٠.

(٢) لا حظ الوسائل: ج١٨، باب ١و٣، من أبواب حدّ المرتد، ص٥٤٥ - ٥٤٩.

كصهيب و بلال، أو للتجلّد وعدم المبالاة لهم بمن آمن منهم، إن فسّر الناس بعبدالله بن سلام و أشياعه.

والسفة: خفّة العقل و قلّته، و يقابله الحلم بالكسر: وهوالأناءة.

وكان هذاالكلام مقولاً فيما بينهم، لا في وجوه المؤمنين، لأنّهم كانوا منافقين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فأخبر سبحانه بذلك نبيّه، و ردّ عليهم بأبلغ ردّ، وقال:

أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ: تفصيل هذه الآية بـ (لا يعلمون) والتي قبلها بـ (لا يشعرون) لأنّه أكثر طباقاً لذكر السفه، و لأنّ الوقوف على أمرالدين والتميز بين الحقّ والباطل ممّا يفتقر إلى نظر و تفكّر، و أمّا النفاق وما فيه من النقص والفساد فممّا يدرك بأدنى تفطّن و تأمّل فيما يشاهد من أقوالهم و أفعالهم.

و روي في تفسير تلك الآية عن موسى (عليه السلام): إذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة، قال لهم خيارهم المؤمنون كسلمان والمقداد و أبي ذر و عمّار: آمنوا برسول الله وعلي (عليهما السلام) الذي أوقفه موقفه و أقامه مقامه و ناط مصالح الدين والدنيا كلّها به، و آمنوا بهذاالنبي و سلّموا لهذا الإمام و سلّموا له ظاهرة و باطنة كما آمن الناس المتقدّمون. قالوا في الجواب: ولكنّهم يذكرون لمن يفيضون إليهم من أهليهم الذين يثقون بهم، يقولون لهم: أنؤمن كما آمن السفهاء ـ يعنون سلمان و أصحابه ـ لما أعطوا عليّاً خالص دينهم و ودّهم ومحض طاعتهم وكشفوا رؤوسهم بموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه؟ فردّ الله عليهم الذين لم ينظروا في أمر محمد حقّ النظر، فيعرفوا نبوته و يعرفوا به صحّة ما ناطه بعلي (عليه السلام) من أمر الدين والدنيا، حتى بقوا لتركهم تأمّل حجج الله جاهلين و صاروا خائفين وجلين من محمّد و دوامه (عليه السلام)، ولكن لا يعلمون أنّ الأمر كذلك و أنّ الله يطلع نبيّه (صلّى الله عليه وآله) على أسرارهم، فيخسئهم و يلعنهم و يسقّههم(١).

قال بعض الفضلاء: و إذا سمعت شطراً من الأحكام اللفظيّة، فاسمع نبذاً

---

(١) تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص٥٦، في ذيل قوله تعالى: «و إذا لقوا الذين آمنوا».

وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾

من المعاني البطنيّة، فنقول: و إذا قيل لهؤلاء المتوسّمين بالإيمان الرسمي المدّعين التوحيد الحقيقي: لا تفسدوا في أرض استعدادكم لذلك التوحيد، ولا تبذروا فيها بذر الشرك بإضافة الأفعال إلى أنفسكم. قالوا: إنّما نحن مصلحون لها بارتكاب الأعمال الصالحة، واكتساب الأفعال الحسنة لتترتب عليها الأجزية الأُخروية من الجنّات وما فيها من أنواع النعيم المقيم، فقيل في ردّهم: ألا إنّهم هم المفسدون لها، فإن ترتب تلك الأجزية لا يتوقف إلّا على نفس الأعمال، لا على إضافتها إلى أنفسهم، بل بهذه الإضافة يبقون محرومين عن التوحيد ولا يتحقّقون به أصلاً، وكيف يتحقّقون وهم لا يصلون إلى توحيد الأفعال، فكيف بتوحيد الصفات والذات! فلا يحظّون بما يترتّب عليه ممّالا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، و لكنّهم لا يشعرون بذلك الإفساد، لأنّه من قبيل الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل. و إذا قيل لهم آمنوا إيماناً حقيقياً كما آمن الناس المتحقّقون بحقائق الحقيقة الإنسانيّة الكماليّة، الباذلون وجودهم بالفناء في الله. قالوا: أنؤمن كما آمن السفهاء؟ فإنّ من السفه بذل الوجود الذي هو رأس مال الحُظوظ العاجلة و الآجلة، فقيل في ردّهم: ألا إنّهم هم السفهاء، فإنّ من يبذل وجوده الفاني يبقى ببقاء الحقّ سبحانه، و أين الوجود الفاني من البقاء بالحق!؟ ولكنّهم لا يعلمون ذلك، لأنّ هذا العلم لا يحصل بالحجّة والبرهان، بل بالذوق والوجدان.

وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا: و قرئ «ولاقوا» هذه الجملة مع ما عطفت عليها في حكم كلام واحد، مساقة لبيان معاملتهم مع المؤمنين و أهل دينهم،

و تنافي قولهم لهما بخلاف صدر قصّتهم، فإنّه مسوق لبيان أصل نفاقهم من غير تعرّض للقائهم المؤمنين وقولهم معهم، ولخلوّهم مع شياطينهم وقولهم لهم، فما يتوهّم في أجزاء الشرطيّة الأولى من التكرار مضمحلّ بالكليّة.

تقول لقيته ولاقيته: إذا استقبلته قريباً منه، ومنه ألقيته إذا طرحته، لأنّك بطرحه جعلته بحيث يلقى.

وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ: من خلوت بفلان و إليه إذا انفردت معه. أي إذا انفردوا مع شياطينهم، أو من خلاك ذم، أي عداك ومضى عنك، ومنه القرون الخالية أي الماضية. أي إذا مضوا عن المؤمنين إلى شياطينهم. و استعمال (خلا) بـ (إلى) على هذين المعنيين ظاهر. أو خلوت به إذا سخرت منه، و حينئذٍ يحتاج في استعماله بـ(إلى) إلى تضمين معنى الإنهاء. أي إذا سخروا من المؤمنين منهين هذه السخرية إلى شياطينهم. وهذا كما تقول: أحمد إليك فلاناً، أي أحمده منهياً ذلك الحمد إليك.

و شياطينهم: أصحابهم الذين مايلوا الشياطين في تمرّدهم منافقين كانوا أو مشركين، فيكون من قبيل الإستعارة. وجعل سيبويه تارة نونه أصليّة على أنّه من شطن إذا بعد، فهو بعيد عن الصلاح، ويشهد له قولهم: تشيطن. و اُخرى زائدة على أنّه من شاط إذا بطل، ومن أسمائه الباطل(١).

قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ: في عدم الإيمان بمحمد (صلّى الله عليه وآله) و خاطبوا المؤمنين المنكرين بالفعليّة مجرّدة عن التأكيد، و شياطينهم الذين لا يذكرون بالاسميّة مؤكّدة، والقياس العكس، لأنّهم كانوا مع المؤمنين بصددالأخبار بحدوث الإيمان منهم، و تركوا التأكيد لعدم الباعث عليه من بواطنهم من صدق و نيّة و وفور اعتقاد، أو لعدم رواجه عنهم عند المخاطبين الذين هم أرباب فهم وكياسة بلفظ التأكيد، بخلاف مخاطبتهم مع شياطينهم، فإنّهم فيما أخبروهم به على صدق رغبة و وفور نشاط، وهو رائج عنهم متقبّل منهم على لفظ التأكيد.

---

(١) تفسير البيضاوي: ج١، ص٢٥.

﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ۝١٦ ﴾

إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ: تأكيد لسابقه، إذ معنى «إنّا معكم» هو الثبات على اليهوديّة، وقوله: «إنّما نحن مستهزؤن» و إن لم يكن بظاهره تأكيداً لهذا المعنى، لكن له لازم، وهو أنّه ردّ ونفي للإسلام يؤكّده، لأنّ دفع نقيض الشيء تأكيد لثباته، أو بدل.

و تقريره: أنّه لما كان قصدهم إلى إظهار تصلّبهم في دينهم، وكان في الكلام الأول قصوراً عن إفادته، إذ كانوا يوافقون المؤمنين في بعض الأحوال، فاستأنفوا القصد إلى ذلك بأنّهم يعظّمون كفرهم بتحقير الإسلام و أهله، فهم أرسخ قدماً من شياطينهم. أو إستيناف، كأنّ الشياطين قالوا: إن صحّ ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين؟ فأجابوا بذلك. وهو أوجه لزيادة الفائدة، وقوّة المحرّك للسؤال.

وهذه الوجود الثلاثة بيان لترك العاطف في كلامهم. و أمّا تركه في حكايته، فللموافقة فيما هو بمنزلة كلام واحد.

الإستهزاء: السُخرية والإستخفاف، يقال: هزأت و استهزأت بمعنى، كأجبت و استجبت، و أصله الخفّة من الهزء بالفتح، وهوالقتل السريع. وهزأ يهزأ بالفتح فيهما، مات على المكان، و ناقته تهزأ به أي تسرع و تخف.

ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ: المراد باستهزاء الله: مجازاته إيّاهم على استهزائهم بالمؤمنين، لما بين الفعل وجزائه من ملابسة قويّة، و نوع سببيّة، مع المشاكلة المحسنة من مقابلة اللّفظ باللّفظ والمماثلة في القدر، فيكون من قبيل المجاز المرسل.

وقد روى رئيس المحدّثين في كتاب التوحيد بإسناده، عن علي بن الحسين بن

فضّال، عن أبيه، عن الرضا علي بن موسى (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: «سخرالله منهم»(١) وعن قوله: «الله يستهزئ بهم»(٢) وعن قوله: «مكروا و مكرالله»(٣) وعن قوله: «يخادعون الله وهو خادعهم»(٤)، فقال: إنّ الله تبارك و تعالى لا يسخر ولا يستهزئ، ولا يمكر، ولا يخادع، ولكنّه عزّوجلّ يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء، و جزاء المكر والخديعة، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً. انتهى(٥).

و إنزال الهوان والحقارة بهم، لأنّه الغرض من الاستهزاء، فهذا أيضاً من المجاز المرسل، لعلاقة السببيّة في التصوّر والمسببيّة في الوجود. وفي هذاالتوجيه تنبيه على أنّ مذهبهم حقيق بأن يسخرمنه و يستهزأ به لأجله. أو معاملته سبحانه معهم معاملة المستهزئ بمن يستهزىء به. و استعمل لفظ المشبّه به في المشبّه، فيكون استعارة.

وهي في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم و استدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة، مع تماديهم في الطغيان. و في الآخرة فبأن يفتح و هم في النار باب إلى الجنة فيسرعون إليه، فإذا قربوا منه سُدّ عليهم. أو إرجاع و بال الاستهزاء إليهم، فيكون كالمستهزئ بهم، فيكون استعارة أيضاً.

أو لازم معناه، وهي إظهاره خفّة عقل المستهزأ به و قلّته، فيكون سبحانه مستهزءبهم في عين استهزائهم بالمؤمنين، فإنّ من استهزائهم بهم مع ظهور أمرهم، يظهر خفّة عقولهم و قلّتها.

وهو استئناف. فإنّهم لمّا بالغوا في استهزاء المؤمنين مبالغة تامّة، ظهر بها شناعة ما ارتكبوه و تعاظمه على الأسماع على وجه يحرّك السامع أن يقول: هؤلاء الذين هذا شأنهم ما مصير أمرهم؟ وعقبى حالهم؟ وكيف معاملة الله والمؤمنين إيّاهم؟

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧٩

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٤.

(٤) سورة النساء: الآية ١٤٢.

(٥) كتاب التوحيد: باب ٢١، ص١٦٣، ح١.

وفي تصدير الاستئناف بذكر الله: دلالة أولاً: على أنّ الاستهزاء بالمنافقين، هوالاستهزاء الأبلغ الذي لا اعتداد معه باستهزائهم، و ذلك لصدوره عمّن يضمحلّ علمهم و قدرتهم في جنب علمه و قدرته.

و ثانياً: على أنّه تعالى يكفي مؤونة عباده المؤمنين، ولا ينتقم لهم، ولا يحوجهم إلى معارضة المنافقين تعظيماً لشأنهم.

و إنّما قال: «يستهزئ» ولم يوافق لقولهم، ليفيد حدوث الإستهزاء، و تجدّده وقتاً بعد وقت. أمّا إفادته الحدوث فلكونه فعلاً. و أمّا إفادة تجدّده وقتاً بعد وقت، فلأنّ المضارع لمّا كان دالاً على الزمان المستقبل الذي يحدث شيئاً بعد شيء على الاستمرار، ناسب أن يقصد به إذا وقع موقع غيره، أنّ معنى مصدره المقارن لذلك الزمان يحدث مستمراً استمراراً تجديدياً، لا ثبوتياً كما في الجملة الاسمية. و إنّما أُفيد ذلك ليكون على طبق نكايات الله فيهم و بلاياه النازلة أفلا يرون أنّهم يفتنون في كلّ عام مرّة أو مرّتين.

وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ: من مدّ الجيش و أمدّه، إذا زاده و قوّاه. و مددت السراج والأرض إذا استصلحتها بالزيت والسماد. ومنه مدّ الدواة و أمدّها إذا أراد أن يصلحها. لا من مدّ العمر بمعنى الإملاء والإمهال، فإنّه يعدّى باللام كأملى له. والحذف والإيصال خلاف الأصل، فلا يصار إليه إلّا بدليل.

و يؤيّده قراءة ابن كثير (و يُمِدُّهُم) بضم الياء من الإمداد، بمعنى إعطاء المدد، وليس من المدّفي العمر والإمهال في شيء(١).

والأصل في الطغيان ـ بالضم والكسر كـ (لُقيان) ولِقيان ـ تجاوز الشيء عن مكانه، والمراد تجاوز الحدّ في الكفر والغلوّ في العصيان. والمراد زيادة طغيانهم بسبب تمكين الشيطان من إغوائهم، أو أنّه لمّا منعهم الطاقة التي يمنحها المؤمنون وخذلهم بسبب كفرهم و إصرارهم وسدّهم طرق التوحيد على أنفسهم، فتزايدت بسببه قلوبهم ريناً و ظلمة، تزايد قلوب المؤمنين انشراحاً ونواراً، فإسناد الفعل إلى الله

---

(١) تفسير الكشاف: ج١، ص٦٧.

إسناد إلى المسبب، و إضافة الطغيان إليهم لئلّا يتوهم أن إسناد الفعل إليه على الحقيقة.

والعمه، قيل: مثل العمى إلاّ أنّ العمى عام في البصر والرأي، والعمه في الرأي خاصة.

وقيل: العمى في العين، والعمه في القلب.

وهوالتحيّر والتردّد لا يدري أين يتوجّه، يقال: رجل عامه وعمه، و أرض عمهاء، لا مناربها، ولعلّ التخصيص يكون حيث تكون المقابلة.

و «في طغيانهم» إمّا متعلّق بـ (يمدّهم) و حينئذٍ يكون (يعمهون) حالاً من مفعول يمدّهم، أو فاعل الطغيان. و إمّا متعلّق بـ (يعمهون) قدّم عليه لرعاية الفاصلة، وحينئذٍ يتعيّن أن يكون حالاً من الأول.

قال بعض الفضلاء: و إذ وقع الفراغ من حلّ ظاهر عباراته، فاسمع بطناً من بطون إشاراته، فنقول: إذا لاقى المتوسّمون بالإيمان الرسمي الذين آمنوا إيماناً حقيقياً و تحقّقوا بحقيقة التوحيد، و انعكست إليهم أنوارهم الإيمانيّة، فتوهّموا أنّها من أنفسهم وملك لهم، قالوا بلسان حالهم: آمنّا إيماناً كإيمانهم. و إذا فارقوا وخلوا إلى شياطينهم المبعدين، و انفصلت منهم تلك الأنوار، و رجعوا إلى ظلمتهم الأصليّة الحجابيّة، و تضاعفت به ظلمتهم لاجتماعهم مع هؤلاء الشياطين، قالوا لهم: إنّا معكم متفقون بكم فيما أنتم فيه من إثبات ذواتكم و إسناد الصفات والأفعال إليها، مستهزؤون بالذين لا يثبتون إلاّ وجوداً واحداً، و يسندون إليه الأفعال والصفات كلّها، فإنّ ذلك لا يحكم بصحّة العقل، الله يستهزئ بهم في عين استهزائهم بهم، فإنّ ذلك الاستهزاء فعل الحق فيهم انصبغ بصبغ الاستهزاء، لإلحاق الهوان والحقارة بهم في عيون أرباب البصيرة، فيكون استهزاءً بهم، و يمدّهم في طغيانهم، أي غلوّهم في نفي التوحيد الحقيقي، متردّدين متحيّرين بين المؤمنين إيماناً حقيقياً و بين شياطينهم الجاحدين ذلك الإيمان، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ: معلّلة للجملة الدالّة على استحقاقهم الاستهزاء على سبيل الاستئناف، أو مقرّرة لقوله: (يمدّهم في طُغْيانِهم) على سبيل

التوكيد.

و أصل الاشتراء: بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأعيان، فإن كان أحد العوضين ناضّاً تعين من حيث أنّه لا يطلب بعينه أن يكون ثمناً، و بذله اشتراءٌ و أخذه بيع، و لذلك عُدّت الكلمتان من الأضداد.

والنضّ والناضّ: الدنانير والدراهم عندأهل الحجاز، و إلّا فأي العوضين تصورته بصورة الثمن، فباذله مشترٍ و آخذه بائع.

ثم استعير للإعراض عمّا في يده محصلاًبه غيره سواء كان من المعاني أوالأعيان، ثم اتسع فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعاً في غيره فإن اكتفى بجعل الطرفين أعمّ من أن تكون الأعيان أوالمعاني أومختلفين، و بقي الإستبدال محفوظاً، والإستبدال موقوف على تملّك ما هو كالثمن. فاحتيج في اشتراء الضلالة بالهدى إلى أن نزل التمكّن من الهدى بحسب الفطرة منزلة تملكه، فيكون التجوّز في نسبة الهدى بالتملّك إليهم لا في نفسه، أو أُريد بالهدى ما جبلوا عليه من تمكّنهم منه، وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها، فيكون التجوّز في نفس الهدى لا في نسبته إليهم بالتملّك، فإنّ التمكّن من الهدى ثابت لهم من غير تجوّز و إن لم يبق الإستدلال أيضاً محفوظاً، كما إذا استعمل للرغبة عن الشيء طمعاً في غيره، فلا حاجة إلى ذلك التنزيل أوالتجوّز.

فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ: و قرأ ابن عَبْلَة (تجاراتهم) بصيغة الجمع(١).

و ذكر الربح ترشيح للمجاز الواقع في «إشترى» وهو أن يقرن بالمجاز ما يلائم المعنى الحقيقي، فإنّه لمّا استعمل الإشتراء في معاملتهم أتبعه بما يشاكله، تمثيلاً لخسارهم، والمعنى ضرّت تجارتهم، لأنّ عدم الربح و إن كان أعم من الخسران، لوجود الواسطة بينهما، لكنّ المقام يخصّه به. لأنّ المقصود ذمّ المنافقين والذمّ في الخسران آكد من عدم الربح.

و إنما عبّر عن الخسران بنفي الربح، للتصريح أولاً بانتفاء ما هو مقصود من التجارة، والدلالة ثانياً على إثبات ضدّه، والإفادة ثالثاً المبالغة بأنّ نفي الربح بالبيع

---

(١) تفسير الكشاف: ج١، ص٧٠.

والشراء.

والربح: الفضل على رأس المال، و إسناده إلى التجارة نفياً و إثباتاً، لتلبّسه بالتجارة مجاز عقلي، و هو إسناد شيء إلى غير ما هو له نفياً أو إثباتاً، كما أنّ الحقيقة العقليّة إسناده إلى ما هو له كذلك، لكن في الحقيقة الموجبة صادقة، والسالبة كاذبة، و في المجاز بالعكس، فلا حاجة في كونه من المجاز العقلي إلى تأويل «ما ربحت» بـ «خسرت» ولا إلى أن يفرّق بين إسناد النفي و نفي الإسناد. هكذا قيل.

وفيه نظر يظهر بالتأمل.

والتحقيق: ما ذكره السكاكي من أن المراد بالتجارة المشترون مجازاً والإسناد حقيقة فتأمّل.

وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ: عطف على (ما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ) أي ما كانوا مهتدين لطرق التجارة، فحذف المفعول لدلالة الكلام عليه. ويمكن حمله على العموم، و إنْ اشتمل على تكرار ما، فالحمل على الأوّل أولى، لأنّهم لمّا وصفوا بالخسارة في هذه التجارة أُشير إلى عدم اهتدائهم لطرق التجارة، كما يهتدي إليه التجار البصراء بالأمور التي يربح فيها و يخسر، فهو راجع إلى الترشيح.

و يحتمل عطفه على (اشتَرَوْا) بل هو أولى، لأنّ عطفه على (ما رَبِحَتْ) يوجب ترتّبه على ما تقدّم بالفاء، فيلزم تأخّره عنه، لكنّ الأمر بالعكس.

و يحتمل أن يكون حالاً من فاعل اشترُوْا، أو ربحت، أو ضمير تجارتهم.

و إنّما حُكِمَ بانتفاء الربح عن تجارتهم و عدم اهتدائهم لطرق التجارة، لأنّ مقصود التجّار منها سلامة رأس المال والربح، وهؤلاء قد أضاعوا رأس المال، فكيف يفوزون بالربح الذي هوالفضل عليه!

و روي أنّه قد حضر قوم عند رسول الله (صلّ الله عليه وآله) وقالوا: سبحان الرازق! كان فلان في ضنك و شدّة، فسافر ببضاعة جماعة و ربح الواحد عشرة، فهو اليوم من مياسير أهل المدينة، وقال جماعة أُخرى بحضرته: إنّ فلاناً كان في سعةٍ و دعةٍ وكثرة مال، فسافر في البحر فغرقت سفينته و تلفت أمواله و نجى بنفسه في

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

كمال الفقروالفاقة والحيرة، فقال لهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ألا أخبركم بالأحسن من الأول، والأسوء من الثاني؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال: أمّا الأوّل فرجل اعتقد في علي بن أبي طالب ما يجب اعتقاده، من كونه وصي رسول الله و أخاه ووليّه وخليفته ومفروض الطاعة، فشكر له ربّه و نبيّه ووصي نبيّه، فجمع الله له بذلك خيرالدنيا و الآخرة، فكانت تجارته أربح وغنيمته أكثر و أعظم. و أمّا الثاني فرجل أعطى عليّاً بيعته و أظهر له موافقته، ثم نكث بعد ذلك و خالفه ووالى أعداءه فختم له سوء أعماله فصار إلى عذاب لا يبيد ولا ينفد، ذلك هوالخسران المبين(١).

قال بعض الفضلاء: إن تأويل الآية بالإشارة إلى بطن من بطونها، أن يقال: أولئك المتوسّمون بالإيمان الرسمي، هم الذين اشتروا ضلالة ظلمة حجر أنّياتهم بهدى نور إستعدادهم الفطري لكشف حقائق التوحيد الحقيقي واختاروها عليه، فما ربحت تجارتهم هذه، لأنّهم أضاعوا رأس مالهم الذي هو هدى ذوي الإستعداد، فكيف تربح تجارتهم بعد إضاعتهم إيّاه! والحال أنّهم ما كانوا مهتدين لطرق تلك التجارة سالكين سبيل الفوز بها على وجه يربحون ولا يخسرون.

مَثَلُهُمْ: لمّا بيّن حقيقة صفة المنافقين، أراد أن يكشف عنها كشفاً تامّاً.

---

(١) تفسيرالإمام العسكري (عليه السلام): ص٤٨، ذيل قوله تعالى: «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى».

ويبرز لها في معرض المحسوس المشاهد. ففيها يضرب المثل مبالغة في البيان. و لأمرٍ ما أكثر الله في كتبه الأمثال، وكثر في كلام الأنبياء والحكماء. ومن سور الإنجيل سورة الأمثال(١).

والمثَل في الأصل بمعنى الْمِثْل، وهوالنظير، يقال: مَثَل و مِثْل و مَثيل كَشَبَهَ وَ شِبْه وَ شَبيه، ثم قيل: مَثَل، للقول السائر. و يعتبر فيه أن يكون تشبيهاً تمثيلياً على سبيل الإستعارة، ومن ثَمّ حوفظ عليه ولم يغيّر، فيكون بعينه لفظ المشبّه به، فإن وقع تغيير لم يكن مثلاً، بل مأخوذاً منه و إشارة إليه، كما في قولك: بالصيف ضيّعت اللبن، بالفتح(٢).

و قيل: لم يغيّر، لأنّه ينبغي أن يكون فيه غرابة من بعض الوجوه، فلو غيّر لرّبما انتفت تلك الغرابة.

و إنّما سمّي مثلاً، لأنّه جعل مضربه، وهو ما يضرب فيه ثانياً مثلاً لمورده، وهو ماورد فيه أوّلاً، ثمّ استعير لكلّ حال أو قصّة أو صفة لها فيه بيان أو غرابة. و يمكن حمله هناك على كلّ واحد من تلك المعاني.

كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا: معناه حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد ناراً.

و «الذي» بمعنى الذين، كما في قوله: «وَ خُضْتُمْ كَالَّذى خاضُوا»(٣) إن

---

(١) الكتاب المقدس: الأمثال، ص٦٤١، و كتاب مقدس: كتاب أمثال سليمان نبي، ص٩٤٨.

(٢) و يروى (الصيف ضيّعتِ اللبن) والتاء من ضيّعت مكسورة في كل حال، إذا خوطب المذكر والمؤنث والاثنان والجمع، لأن المثل في الاصل خوطبت به امرأة وهي (ختنوس) بنت لقيط بن زرارة، كانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس،وكان شيخاً كبيراً ففركته فطلقها، ثم تزوجها فتى جميل الوجه، و أجدبت فبعثت إلى عمرو تطلب منه حلوبة فقال عمرو: في الصيف...الخ فلمارجع الرسول وقال لها ماقال عمرو ضربت يدها على منكب زوجها وقالت: (هذا ومذقه خير) تعني أن هذاالزوج مع عدم اللبن خير من عمرو، فذهبت كلتاهما مثلاً. مجمع الأمثال للميداني. ط بيروت ١٣٧٤، ج٢، الباب العشرون فيما أوله فاء تحت رقم (٢٧٢٥).

(٣) سورة التوبة: الآية ٦٩.

جعل مرجع الضمير في «بنورهم».

و إنّما جاز ذلك، ولم يجز وضع القائم موضع القائمين، لأنّه غير مقصود بالوصف، بل الجملة التي هي صلته، وهو وصلة إلى وصف المعرفة بجملة موصولة بها. ولأنّه ليس باسم تام، بل هو كالجزء منه، فحقه أن لا يجمع كما لا يجمع أخواتها.

و يستوي فيه الواحد والجمع. وليس «الذين» جمعه المصحّح، بل ذو زيادته، زيدت لزيادة المعنى، ولذلك جاء بالياء أبداً على اللغة الفصيحة التي جاء التنزيل عليها، ولكونه مستطالاً بصلته استحقّ التخفيف، و لذلك بولغ فيه، فحذف ياؤه، ثم كسرته، ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين، أو قصد به جنس المستوقدين، أوالفوج الذي استوقدوا.

و إن لم يجعل مرجعاً لذلك الضمير فلا حاجة إلى ذلك، لأنّ المقصود تشبيه الحال بالحال، وهما متطابقان، إلّا أن يقصد رعاية المطابقة بين الحالين في كونهما بالواحد أوالجماعة أيضاً، فإنّ المماثلة حينئذٍ أقوى والتشبيه إلى القبول أقرب.

والاستيقاد: طلب الوقود والسعي في تحصيله، وهو سطوع النار و ارتفاع لهبها.

واشتقاق النار: من نار ينور إذا نفر، لأنّ فيها حركة و اضطراباً، والنور مشتق منها، فإنّ الحركة والاضطراب توجد في النار أولاً و بالذات، وفي نورها ثانياً و بالعرض، فاشتقاق النور منها أولى من اشتقاقها منه.

فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ: عطف على الصلة، فيكون التشبيه بحال المستوقد الموصوف بمضمون الشرطيّة، أعني «لمّا» مع جوابه، و «لمّا» تدل على وقوع الشيء، لوقوع غيره بمعنى الظرف، والعامل فيه جوابه.

والإضاءة: فرط الإنارة، كما أنّ الضوء فرط النور، ومصداق ذلك قوله تعالى «هوالذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً»(١).

و بناسبه ما اصطلح عليه الحكماء من أنّ الضوء ما يكون للشيء من ذاته كما للشمس، والنور ما يكون من غيره كما للقمر.

---

(١) سورة يونس: الآية ٥.

و أضاء في الآية إمّا متعدد، فيكون «ما حوله» مفعولاً به، أي جعلت النار ما حول المستوقد مضيئاً، و إمّا لازم فيكون مسنداً إلى ما حوله، أي صارت الأماكن والأشياء التي حوله مضيئة بالنار، أو إلى ضمير النار و حينئذٍ إمّا أن تكون كلمة «ما» زائدة و «حوله» ظرفاً لغواً لأضاءت، و إمّا موصولة وقعت عبارة عن الأمكنة، فتكون مع صلتها مفعولاً فيه لأضاءت.

و يردّ على الأوّل، أن إضاءة النار حول المستوقد يقتضي دورانها حوله و هو خلاف المعهود.

و أُجيب بأنّ المراد دوران ضوئها، لكنّه جعل دوران الضوء بمنزلة دوران النار، إستناداً إلى السبب.

و على الثاني، أنّه كان ينبغي أن يصرّح بكلمة «في» لأنّ حذفها في لفظ مكان إنّما كان لكثرة الاستعمال، ولا كثرة في الموصول الذي عبّر به عن الأمكنة، اللهم إلّا أن يحمل على أنّه من قبيل (عسل الطريق الثعلب)(١) وعلى هذاالتوجيه يلزم دوران مكان النار، وهو لا يستدعي استيعاب النار جميعه، بل بعضه.

و (حوله) نصب على الظرفيّة، و تأليف حروفه على هذاالترتيب للدوران والإطافة.

وقيل: للعام، حول، لأنّه يدور، ومنه حال الشيء و استحال إذا تغيّر، وحال

---

(١) وقد تمثل به الشعراء في أبياتهم، منها ما لساعدة بن جؤية الهذلي يصف فيها الرمح:

لدن بهز الكف يعسل متنه فيه، كما عسل الطريق الثعلب

أراد: عسل في الطريق فحذف وأوصل. لسان العرب، ج١١، ط بيروت، ص٤٤٦، في عسل. قوله (لدن) خبر مبتدأ محذوف، أي هو لدن، أي الرمح الخطي. واللدن بالدال المهملة والنون كفلس اللين الناعم، والباء سببيّة، و (الهزة) بفتح الهاء و تشديد الزاء المعجمة، الإضطراب، و (يعسل) بالمهلتين كيضرب مضارع من عسل الرمح عسلاناً، إذا اهتزّ و اضطرب، ومنه عسل السيف بصيغة الماضي و (المتن) بالمثناة والنون كفلس من الرمح صدره و جمهوره، أي ما بين مقبضه إلى كل واحد من طرفيه، و (في) بمعنى مع، والكاف للتشبيه، و (ما) مصدرية، و (الطريق) السبيل (و الثعلب) كجعفر معروف، وعسلانه في الطريق خببته، وهو أن يراوح بين يديه و رجليه، بأن يضع رجليه في المشي موضع يديه. جامع الشواهد باب اللام بعده الدال.

الإنسان وهي عوارضه التي تتغيّر عليه، والحوالة وهي اسم من أحال عليه بدينه.

ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ: جواب لـ «ما» كما هوالظاهر.

وفيه مانعان: لفظي ومعنوي.

الأوّل: توحيد الضمير في «استوقد» و «حوله» وجمعه في «بنورهم».

والثاني: أنّ المستوقد لم يفعل ما يستحقّ به إذهاب نوره، بخلاف المنافق، فجعله جواباً غير مناسب.

والجواب عن الأوّل: أنّ توحيد الضمير بالنظر إلى لفظ الموصول، وجمعه بالنظر إلى معناه، على أحد الوجوه المذكورة فيما سبق.

وعن الثاني: أنّه يمكن أن يكون إذهاب نوره بسبب سماوي، ريح أو مطر، لا بسبب فعل المستوقد، ولذلك. أسند إلى الله سبحانه أو يكون المراد بالمستوقد، مستوقد نار لا يوضئها الله كما أو قدها الغواة ليتوصّلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي، فأطفأها الله.

و يحتمل أن يكون جواباً لما محذوف، أو قوله: «ذهب الله» استئنافاً، والمصحّح لهذا الحذف قرينة المقام، والمرجّح المبالغة في سوء حال المستوقد بإيهام أنّ الجواب ممّا تقصر العبارة عنه.

و تقدير الاستئناف أنّه لمّا شبهت حالهم بحال المستوقد الذي خمدت نارة، سأل سائل و قال: ما بالهم قد شبّهت حالهم بحال هذاالمستوقد؟ فقيل له: ذهب الله بنورهم، وحينئذٍ يكون ضمير الجماعة للمنافقين.

و يحتمل أن يكون بدلاً من الجملة التمثيليّة و بياناً له، كأنّه قيل: كمثل الذي ذهب الله بنورهم، و حينئذٍ يكون مرجع الضمير الذي استوقد على أحد الوجوه التي سبقت.

و إنّما قال «بنورهم» ولم يقل بنارهم، لأنّه المقصود من إيقادها. ولم يقل بضوئهم كما هو مقتضى اللفظ لأنّ في الضوء دلالة على الزيادة، فلو علّق الذهاب به، لأوهم الذهاب بالزيادة و بقاء ما يسمّى نوراً، والمقصود إزالة النور عنهم رأساً.

و إنّما اختير أوّلاً أضاءت على أنارت، تنبيهاً على مزيد الحيرة والخيبة، و إشعاراً

بالبطلان لما تقرّر في الأذهان من قوّة أمرالباطل في بدء الحال واضمحلاله سريعاً في المآل.

و إنّما قال: «ذهب الله بنورهم» ولم يقل: أذهب الله نورهم كما قرأ بعضهم، لأنّ معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً، ويقال: ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه، فإنّ الباء و إن كانت للتعدية كالهمزة، إلّا أنّ فيها معنى المصاحبة واللصوق، و ذهب السلطان بماله؛ أخذه، فالمعنى أخذالله نورهم و أمسكه، وما يمسك فلا مرسل له، وهو أبلغ من الإذهاب لما فيه من معنى الأخذ والإمساك . أمّا الأخذ فظاهر، و أمّا الامساك فلما تقتضيه المصاحبة واللصوق.

قال بعض الفضلاء: و عندالعارفين النكتة فيه غيرما ذكر. فإنّ مجيء الله سبحانه بالنور ليس إلّا بتجلّيه باسم النورعلى المتجلّى له، فهوعند تجلّيه بالنور متلبّس به غيرمنفصل عنه، و كذلك ذهابه بالنور ليس إلّا امتناعه من هذاالتجلّي، فهو يذهب مكتسياً بالنور لا منفصلاً عنه، فهو المتلبّس بالنور في الحالين، بل هوالنور في العلم، لا نور سواه.

ثم أكّد ذلك و قرّره بقوله:

وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ : ففيه زيادة على ما يدلّ عليه إذهاب نورهم، من وقوعهم في الظلمة كمّاً و كيفاً: أمّا كمّاً، فلما في الظلمات من الجمعيّة، و أمّا كيفاً، فلما فيها من تنوين التعظيم و إردافها بقوله «لا يبصرون» فإنّه يدلّ على أنّها بحيث لا يتراءىٰ فيها شبحان.

والظلمة: عدم النور مطلقاً، وقيل: ما من شأنه ذلك، وقال بعض المتكلّمين: هي عرض ينافي النور، فعلى الأوّل التقابل بينهما تقابل الإيجاب والسلب، وعلى الثاني تقابل العدم والملكة، و على الثالث تقابل التضاد. و هي مأخوذة من قولهم: ما ظلمك أن تفعل كذا، أي ما منعك، لأنّها تسدّ البصر و تمنع الرؤية.

و قرئ في ظُلمة بالتوحيد، و توحيدها ظاهر، و أمّا جمعها فباعتبار انضمام ظلمة الليل إلى ظلمتي الغمام و تطبيقه مثلاً. هذا على تقدير أن يكون ضمير الجماعة كناية عن المستوقدين كما هوالظاهر. و أمّا إذا كان كناية عن المنافقين، فقيل: ظلماتهم:

ظلمة الكفر، و ظلمة النفاق، و ظلمة يوم القيامة. أو ظلمة الضلال، و ظلمة سخط الله، و ظلمة العقاب السرمدي.

وقيل: المراد بها على التقديرين ظلمة شديدة كأنّها ظلمات متراكمة، فتكون الجمعية أيضاً لزيادتها في الكيف.

لا يبصرون: نزل منزلة اللازم و قطع النظر عن مفعوله المتروك ، و قصد إلى نفس الفعل كأنّه قيل: ليس لهم أبصار. وهو أبلغ من أن يقدّر المفعول، أي لا يبصرون شيئاً، لأنّ الأول يستلزم الثاني دون العكس.

وفي الاصل بمعنى خلّى وطرح وله مفعول واحد، وقد يضمن معنى صَيَّر فيقتضي مفعولين، فعلى هذا قوله: «في ظُلُمَاتٍ» مفعوله الثاني، وقوله: «لا يبصرون» فعال من مفعوله الأول.

و يحتمل أن يترك على معناه الأصلي، و يكون «في ظلمات لا يبصرون» حالين مترادفين أو متداخلين.

وفي آخر روضة الكافي بإسناده عن أبي جعفر (عليه السلام) في تفسير الآية ما مضمونه: أنه أضاءت الأرض بنور محمّد (صلّى الله عليه وآله) كما تضيئ الشمس، فلمّا قبض الله محمداً ظهرت الظلمة فلم يبصروا أفضل أهل بيته (عليهم السلام)(١).

«صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ: خبر مبتدأ محذوف، والضمير المحذوف إن كان كناية عن المستوقدين فإطلاق هذه الصفات عليهم على سبيل الحقيقة، والمعنى أنّهم أوقدوا ناراً ذهب الله بنورهم و تركهم في ظلمات هائله أدهشتهم بحيث اختلت حواسّهم و انتقصت قواهم، فصاروا صماً بكماً عمياً.

و إن كان عبارة عن المنافقين فإطلاقها عليهم على طريق التشبيه، لأنّهم لمّا سدّوا آذانهم عن إصغاء الحق،و ألسنتهم عن النطق به، و أبصارهم عن مشاهدة آياته، جعلوا كأنّها أيفت مشاعرهم وانتفت، لا على سبيل الاستعارة، إذ من شرطها أن يطوى ذكر المستعار له، أي لا يكون مذكوراً على وجه ينبيء عن التشبيه، وهو أن

(١) الروضة من الكافي: ج٨، ص٣٨٠، قطعة من ح ٥٧٤.

يكون بين طرفيه حمل وما في معناه، كذا في الكشاف(١).

قيل: وهنا بحث، وهو أنّه لا نزاع في أن تقدير الآية، هم صمّ، لكن مع ذلك ليس المستعار له مذكوراً هاهنا، لأنّه أحوال مشاعر المنافقين و حواسهم، لا ذواتهم، ففي هذه الصفات استعارة تبعيّة مصرّحة، لأنّها استعير مصادرها لتلك الأحوال، ثم اشتقت هي منها.

أقول: فعلى هذا «الصمّ» جمع الأصم و «البكم» جمع الأبكم و «العمي» جمع الأعمى وقد صرّح به بعض أهل اللغة، فحينئذٍ ما ذكره بعض المفسّرين: من أن الحمل على سبيل المبالغة، في غاية السقوط.

و غاية ما يتكلّف عمّا في الكشاف أن يقال: تشبيه ذوات المنافقين بذوات الأشخاص الصم، متفرع على تشبيه حالهم بالصم، لكن القصد إلى إثبات هذاالفرع أقوى و أبلغ إشارة إلى أن المشابهة بين الحالين قويت حتى كأنّها تعدّت إلى الذاتين، فحمل الآية على هذاالتشبيه إنّما هو لرعاية المبالغة في إثبات الآفة، و إلّا فقتضى ظاهر الصناعة الحمل على الإستعارة بتبعيّة المصادر.

و قرئ في الكلّ بالنصب على الحال من مفعول (تركهم):

والصم: الانسداد، تقول: قناة صمّاء، إذا لم تكن مجوّفة، و صممت القارورة إذا سددتها، والصمام لما تسدّها به، فالأصم من انسدت مسامعه فلا يدخلها هواء يسمع الصوت بتموّجه.

و البكم: الخرس، والعمى: عدم البصر عمّا من شأنه أن يبصر، وقد استعير لعدم البصيرة.

فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ : يقال: رجع عن كذا إلى كذا، يعني أنّهم لا يرجعون عن الضلالة التي اشتروها إلى الهدى الذي باعوه. فيندفع ما قاله بعض المفسّرين: من أنّ المراد به لا يرجعون إلى الهدى أو عن الضلالة.

وليعلم أن توضيح تمثيل المنافقين بالمستوقدين الموصوفين بما ذكر، و تشبيه

---

(١) الكشاف: ج١، ص٧٧.

حالهم العجيبة بحالهم، موقوف على تحقيق طرفي التشبيه و وجه الشبه.

فنقول: أمّا المشبّه به، فهو صفة المستوقدين ناراً كلّما أضاءت ما حولهم من الأماكن والأشياء أذهب الله نورهم عندالإضاءة و أمسكه وتركهم في ظلمات متعدّدة شديدة أدهشتهم بحيث اختلت مشاعرهم وقواهم، فهم لا يقدرون على الرجوع إلى ما كانوا عليه من قبل.

أمّا المشبّه فهو صفة المنافقين الذين إظهارهم الإيمان باللسان بمنزلة إيقاد النار العظيمة، وانتفاعهم به بسلامة الأموال والأولاد وغير ذلك كإضاءتها ما حولهم، و زوال ذلك الانتفاع منهم على القرب بإهلاكهم، و إفشاء نفاقهم على النبي (صلّى الله عليه وآله) هو ذهاب نورهم والقاؤهم في أحيان ظهور النفاق والوعيد بالعذاب السرمد، أوالوقوع فيه على مراتبه، تركهم في الظلمات المتعدّدة الشديدة، وعدم استعمالهم قواهم فيما خلقت له بمنزلة إخلالها، و رسوخهم و تمكينهم فيما أوقعهم فيه بما يخالف فطرتهم كعدم القدرة من المستوقدين على الرجوع إلى ما كانوا عليه.

و أمّا وجه الشبه فإن اعتبرته بين مفردين من مفردات طرفي التشبيه كما سبقت الإشارة إليه، فذلك من قبيل التشبيه المفرد، وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله:

كأنّ قُلُوبَ الطَّيْر رَطْباً و يابساً لَدَى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي(١)

وإن اعتبرته، بأن تنزع من مفردات أحد الطرفين هيئة اجتماعيّة وحدانيّة، وشبّهتها بهيئة، انتزعتها من مفردات الطرف الآخر، من غير ملاحظة تفاصيل

---

(١) لامرئ القيس، يصف العقاب، وهي تأكل صغار الطير إلّا قلوبها. فلذلك كثرت عندها. و يصف نفسه بالشجاعة حيث وصل إلى رؤية ذلك، فقال: كأن قلوب الطير حال كونها رطباً بعضها و يابساً بعضها، حال كونها عند وكرالعقاب ـ أي عشها ـ: العنّاب وهو ثمر أحمر رطب، فهو راجع للبعض الرطب، والحشف: الجاف الرديّ من التمر، البالي: الهالك، فهو راجع للبعض اليابس، ففيه لف ونشر مرتب، وفيه طباق التضاد بين الرطب واليابس. و يجوز أن رطباً و يابساً نصب على البدل من قلوب الطير، أي كأن الرطب واليابس منها: العنّاب والحشف. هامش الكشاف، ج١، ص٨٠.

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ١٩

مفردات الطرفين، و مشابهة بعضها مع بعض، فذلك من قبَيل التشبيه المركّب المسمّى عند أرباب البيان بالتمثيل، وهوالذي يهتم به أرباب البلاغة، وكلّ كلام يحتملها. فذكرهم الأوّل احتمال لفظي ولا مساغ للذهاب إلّا إلى الثاني، و ذلك لأنّه يحصل في النفس من تشبيه الهيئة المركّبة ما لا يحصل من تشبيه مفرداتها.

ولعبد القاهر كلام مشهورفي أن اعتبار التركيب في قول الشاعر:

وَ كَأنَّ أجرامَ النُّجُومُ لَوامِعاً ... دُرَرٌ نُثِرنَ على بَساطٍ أزرَقِ(١)

أحق و أولى و إن صحّ التشبيه بين مفرداته.

قال بعض الفضلاء: تأويل الآية ببعض بطونها أن يقال: مثل المتوسّمين بالإيمان الرسمي كمثل المستوقدين الذين سبق ذكرهم، حيث تنوّرت بواطنهم بارتكاب بعض العبادات في بعض الأوقات فتسبّبوا لما في أنفسهم من النقائص والكمالات، ولم ينفذ فيهم ذلك النور بحيث يتعدّى من معرفة أنفسهم إلى معرفة ربّهم، بل تنقص ببعض الغفلات، فبقوا متروكين في ظلمات حجب أنياتهم،لا يبصرون ما في الآفاق وما في أنفسهم من لوائح الوحدانيّة، فهم صمّ عن سماع ما تنطق به دلائلها، بُكم لا يسألونه بلسان استعدادهم، عُمي لا يرونه ببعض بصيرتهم، فهم لا يرجعون عمّا هم فيه من أسباب الشقاوة إلى ما فاتهم من موجبات السعادة.

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ: ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون

---

(١) هو من أبيات لأبي طالب الرقي. الأجرام جمع جرم كحبر: الجسم، واللوامع جمع لامعة من لمع ←

تحقيقاً لحالهم بعد كشف، و إيضاحاً غب إيضاح. وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل و يوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصّل و يشبع.

وهو عطف على قوله: «كمثل الذي استوقد» أي مثلهم كمثل الذي استوقد، أو كمثل ذوي صيب. و إنّما قدّر كذلك، لتعيين مرجع الضمائر الآتية، و تحصل كمال الملاءمة مع المعطوف عليه، ومع المشبّه أيضاً، أي مثلهم. و أمّا نفس التشبيه فلا يقتضي تقدير شيء إذ لا يلزم في التشبيه المركّب أن يكون ما يلي الكاف هوالمشبّه به، كما في قوله تعالى: «إنما مثل الحياة الدنيا كماء»(١). و ممّا سمّي من التمثيل في التنزيل قوله: «وما يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النور ولا الظلّ ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات»(٢)

و (أوْ) موضوعة في أصلها للتساوي، و لذلك اشتهرت بأنّها كلمة شك، فتكون مخصوصة بالخبر، ثم استعيرت للتساوي في غيرالشك، فاستعمل في غيرالخبر بالمعنى المجازي فقط، كالتساوي في استصواب المجالسة في قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين. و في الخبر بكلا المعنيين أعني الحقيقي الذي هوالشك، والمجازي كالتساوي في الاستقلال بوجه التمثيل، كما في هذه الآية. فيستفاد صحّة التشبيه بكل واحدة من هاتين القصّتين صريحاً، و بهما معاً بالطريق الأولى.

و هذا بناءً على تبادر معنى الشك فيه، وهوالمفهوم من الكشاف(٣).

والمفهوم من المفصّل: أنّ كلمة «أو» لأحد الأمرين. ولا شك أنّ هذا معنى يعم مواردها من الإنشاء والاخبار كلّها. و أمّا الشك والتشكيك والإبهام والتخيير

البرق إذا أضاء، والدرر كصرد جع در وهو اللؤلؤالنفيس، و نثرن من نثر الشيء أي رماه متفرقاً، والبساط ككتاب الفرش، والأزرق كأحمد أفعل من الزرقة وهو لون معروف.جامع الشواهد، باب الواو بعده الكاف، ص٣٢٣.

(١) سورة يونس، الآية ٢٤.

(٢) سورة فاطر: الآية ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢.

(٣) راجع الكشاف: ج١، ص٨١.

والإ باحة، فليس شيء منها داخلاً في مفهومها، بل يستفاد من مواقعها في الكلام.

والصَيِّب، فيعل، من الصوب، وهو فرط الانسكاب والوقوع، يقال على المطر وعلى السحاب، والآية تحتملهما.

و تنكيره، لأنّه أُريد به نوع شديد هائل. و قرئ (كصائب) والأول أبلغ.

والسماء، هوالمظلّة، أوجهة العلوّ، و تعريفها للجنس، للدلالة على أن الصيّب منطبق، آخذ بآفاق السماء كلّها، فإنّ كلّ أُفق ككلّ طبقة منها يسمى سماء فتعريف الجنس من غير قرينة البعضيّة، يدلّ على أنّه منطبق آخذ بكلّها لا يختص بسماء دون سماء. و في الدلالة على التطبيق إمداد لسائر المبالغات التي في الصيب من جهة مادته الأُولى، أي الحروف، فإنّ الصاد من المستعلية، والياء مشدّدة، والباء من الشديدة. ومادته الثانية، أي الصوب، فإنّه فرط الانسكاب كما مرّ. ومن جهة البناء أعني الصورة، فإنّ فيعلاً صفة مشبّهة دالّة على الثبوت. ومن جهة التنكير العارض، لأنّه للتهويل والتعظيم، كتنكير النار في الآية الأُولى.

وإن أُريد بالصيّب المطر، فيحتمل أن يراد بالسماء السحاب، و يجعل اللام لاستغراق جميع ما يمكن أن يظلّ قطعة من وجه الأرض، فإنّه يصلح أن يطلق عليه اسم الحساب.

و إن أُريد بالصيّب السحاب وبالسماء أيضاً،فالمعنى هذاالنوع من السحاب، وليس فيه كثير فائدة. والتمثيل الثاني أبلغ، لأنّه أدلّ على فرط الحيرة وشدّة الأمر و فظاعته. و لذلك أخّروهم يتدرّجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ.

فِيهِ ظُلُمَٰتٌ : بضمّ الفاءوالعين. وقرىء بفتح اللام وسكونه، جمع ظلمة بضم الفاء و سكون العين فاعل الظرف لاعتماده على الموصوف. و من المتّفق عليه بينهم أنّ الظرف إذا اعتمد على موصوف، أو موصول، أو حرف استفهام، أو حرف نفي فإنّه يجوز أن يرفع الظاهر، بخلاف ما إذا لم يعتمد، فإنّه لا يجوز إعماله عند سيبويه، و يجوز في جميع ذلك أنّ الظرف خبر متقدّم على مبتدئه.

فعلى هذا يظهر فساد ما قاله البيضاوي، من أنّ ارتفاعها بالظرف وفاقاً(١).

---

(١) تفسير البيضاوي: ج١، ص٢٩.

و إن أُريد بالصيّب المطر فظلماته ظلمات تكاثفه و تتابع قطراته، لأنّ تقارب القطرات ومتابعتها يقتضي قلّة الهواء المتخلّل المنير، و ظلمته إظلام غمامه.

و ظلمة الليل المستفادة من قوله: (كلما أضاء لهم) والمراد بها ما يتوزّع على الأجرام من ظلمته، لا ظلمته كلّها حتى يُرَدَّ أنّ المطر في ظلمة الليل، لا ظلمة الليل فيه. ولا شك أنّ نسبة الظلمة المتوزّعة عليه إليه، كنسبة العرض إلى موضوعه، والصفة إلى موصوفها فيصح انتسابها إليه.

و إن أُريد به السحاب، فظلماته ظلمة سخمته، أي سواده المسبّب عن تراكمه و كثرة مائه وظلمة تطبيقه و إحاطته بجميع الآفاق، و ظلمة الليل.

وعلى ما حقّقناه يندفع ما قاله بعض المفسّرين، من أنّ الظرفية هنا باعتبار الملابسة، لأنّه يكون بناءً عليه انتساب الظرف إلى مظروفه بفي جائزاً، وهو غير جائز.

وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ: الرعد من الرعدة بالكسر، وهو صوت يسمع من السحاب، و سببها ـ على المشهور ـ اضطراب أجرام السحاب و اصطكاكها إذا ساقتها الريح.

والبرق: الأحسن فيه أن يكون معطوفاً على رعد، و يكون المجموع معطوفاً على الظلمات بعاطف واحد، من برق الشيء بريقاً إذا لمع، وهو ما يلمع من السحاب بواسطة اصطكاكها.

وقيل: الرعد ملك موكّل بالسّحاب، يسبّح .

وقيل: صوت ملك يزجر السّحاب.

وقيل: هو ريح تختبس تحت السّماء.

ولم يجمعا كالظلمات، لمصدريّتها في الأصل. و يحتمل أن يكون المراد بهما معنييها المصدريّة أيضاً، أعني الإرعاد والإبراق. و لأنّها ليسا أنواعاً مختلفة بالنظر إلى أسبابها كالظلمة. و كينونتها في السحاب ظاهرة، و أمّا في المطر فلأنّها لمّا كانا في محلّ يتصلّ به أعلاه و مصبّه أعني السحاب، جعلا كأنّها فيه، أو لأنّ المطر كما ينزل من أسفل السحاب ينزل من أعلاه أيضاً، فهو شامل للفضاء الذي فيه السحاب، فهما في جزء من المطر يتّصل بالسحاب.

و إنّما جاءت الأشياء نكرة، لأنّ المراد أنواع منها، كأنّه قيل: فيه ظلمات واجبة، و رعد قاصف، و برق خاطف.

والأصل في كلمة «في» أن تستعمل في ظرفيّة الأجسام للأجسام، ثمّ اتسع فيها فاستعمل في ظرفيّة الزمان للأحداث، ولمحلّية المعروضات لأعراضها، والموصوفات لصفاتها، إلى غير ذلك.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾: الضمائر ترجع إلى أصحاب الصيّب. و لفظ الأصحاب و إن حذف و أقيم الصيّب مقامه، ولكن معناه باق، فيجوز أن يُعوّل عليه.

وهو استئناف لا محلّ له من الإعراب، فكأنّه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل: فكيف حالهم مع ذلك؟ فأُجيب بأنّهم يجعلون أصابعهم في آذانهم.

فإن قلت: الجواب حينئذٍ لا يكون مطابقاً للسؤال، فإنّه بيّن حينئذٍ حالهم مع الصواعق دون الرعد.

قلت: لمّا كانت الصاعقة قصفة رعد تَنْقَضُّ معها شقّة من نار، كان الجواب مطابقاً، كأنّه قيل: يجعلون أصابعهم في آذانهم من شدّة صوت الرعد و انقضاض قطعة نار معها.

و يحتمل أن يكون حالاً من المضاف إلى الصيّب المحذوف.

و «جعل» جاء متعدّياً إلى مفعولين نحو جعلت الطين خزفاً، أي صَيّرت، و إلى مفعول واحد كقوله: «وجعل الظلمات والنور»(١) أي صنع، و بمعنى التسمية كقوله «وجعلوا لله أنداداً»(٢)، أي سمّوا له، و بمعنى أفعال المقاربة، نحو جعل زيد يفعل.

واليد تتجزأ إلى الأنملة والإصبع والكف والساعد والعضد، والمتعيّن منها لسد الآذان أنملة السبابة، فإطلاق الأصابع موضع الأنامل - بل بعضها - من

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٠.

اتّساعات اللغة.

والنكتة، المبالغة، التي ليس في ذكر الأنامل و بعضها، وهي أنّهم لشدّة الأمر عليهم وخوفهم من تقصيف الرعد، يجعلون أصابعهم بالكليّة في آذانهم لئلّا يسمعوه أصلاً، أو لفرط دهشتهم و حيرتهم يفعلون ذلك ولا يدرون ما يفعلون.

وعدم تخصيص ما هو متعيّن لسد الآذان من الأصابع، أعني السبابة، للإشارة إلى أنّه لم يبق لهم من فرط الدهشة والحيرة قوّة التميز بينها، أو لما في السبابة من معنى السبّ، و لذلك استكرهوها، فكنّوا عنها بالمسبّحة والسبّاحة وغيرهما ممّا طوى ذكرها، إذ لم يكن لها اسم وراءها يتعارفه الناس في ذلك العهد.

مِنَ الصَّوَاعِقِ: متعلّق بـ «يجعلون» و لفظة «من» في أمثال ذلك إبتدائيّة على سبيل العلّية، فيقال: قعد من الجبن. وقد يكون ما بعدها غرضاً مطلوباً ممّا وقع قبلها إذا صرّح بما يدلّ على ذلك، كقولك: ضربت من أجل التأديب، بخلاف اللام فإنّها وحدها تستعمل في كلّ منها. و يشاركها في التعليل «في» كما في قوله (عليه السلام): «إنّ امرأة دخلت النار في هرّة ربطتها ولم تدعها حتى تأكل من خشاش الأرض»(١).

والصواعق: جمع الصاعقة، وهي قصفة رعد، أي شدة صوت منه ينقضّ معها شقة - أي قطعة - من نار، وهي في الأصل إمّا صفة لقصفة الرعد والتاء للتأنيث، أو للرعد و التاء للمبالغة كما في الرواية، أو مصدر كالعافية والكاذبة.

وقرئ (من الصواقع) وليس بقلب من الصواعق، لأنّ كلّاً من البنائين سواء في التصرف، يبنى على كلّ منها كثير من الأمثلة، تقول: صقع الديك، إذا صاح، وصقعه على رأسه وصقع رأسه، أي ضرب صوقعته، وهي موضع البياض في وسط الرأس، وخطيب مصقع أي مجهر بكسر الميم، وهو الذي من عادته أن يجهر بكلامه.

---

(١) سنن ابن ماجه: ج١، كتاب إقامة الصلاة والسنّة فيها، باب ١٥٢، ما جاء في صلاة الكسوف، ص٤٠٢، حديث ١٢٦٥، ولفظ الحديث (و رأيت امرأة تخدشها هرّة لها، فقلت: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعاً. لا هي اطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض).

أقول: الصاعقة والصاقعة إذا كانتا اسمي صفتين فجمعهما على القوابل مطّرد، أمّا إذا كانتا مصدرين، فلا، لكن ذلك شيء ذكره صاحب الكشاف والبيضاوي(١)و(٢).

﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ : وقرأ ابن أبي ليلى حذار الموت، فقد جاء حذر يحذر حذراً، وحذاراً، منصوب على أنّه مفعول له لـ (يجعلون) فهو علّة للجعل المعلّل، أي جعلهم أصابعهم في آذانهم لأجل الصواعق واقع الأجل الحذر من الموت المتوهّم، لشدّة الصوت(٣).

والموت عدم الحياة عمّا من شأنه ذلك، فالتقابل بينه و بين الحياة تقابل العدم والملكة. وقيل: عرض يمنع الاحساس يعرض عقيب الحياة، أي لا يجمعها، فيكون التقابل بينهما تقابل التضاد، و استدلّ عليه بقوله تعالى: «خلق الموت والحياة»(٤) فإنّ الخلق والإيجاد لا يتعلّق إلّا بالأمور الوجوديّة.

و أُجيب بأنّ المقصود من الخلق التقدير، ولو سلّم فالعدم يمكن أن يخلق باعتبار استمراره، ولو سلّم فالذي لا يخلق هوالعدم بمعنى السلب، والموت ليس كذلك ، كما مرّ.

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ : أمال أبوعمرو الكاف من الكافرين في موضع الخفض والنصب(٥)، و روي ذلك عن الكسائي، والباقي لا يميلون(٦). و وجه حسنه لزوم كسرة الراء التي تجري مجرى الكسرتين بعد الفاء المكسورة.

و تلك اعتراضيّة لا محلّ لها من الإعراب، و فائدتها أنّ الحذر من الموت لا يفيد.

و وضع الكافرين موضع المضمر للدلالة على أنّ أصحاب الصيّب كفّار، ليظهر

---

(١) تفسير الكشاف: ج١، ص٢١٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ج١، ص٩٩.

(٣) تفسير القرآن الكريم: ج٣، ص٣١٩.

(٤) سورة الملك : الآية ٢.

(٥و٦) مجمع البيان: ج١ ـ ٢ ص ٥٦.

يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

استحقاقهم شدة الأمر.

وقيل: هذه المعترضة لبيان أحوال المشبّه على أنّ المراد بالكافرين المنافقون، دلّ بها على أنّهم لا مدفع لهم من عذاب الله في الدنيا والآخرة. و وسطت بين أحوال المشبّه به، مع أنّ القياس يقتضي تقديمها أو تأخيرها، تنبيهاً على شدّة الاتّصال بين المشبّه والمشبّه به، و دلالة على فرط الإهتمام بشأن المشبّه.

و إحاطة الله مجاز، فإنّ شبه شمول قدرته تعالى بإحاطة المحيط مع المحاط ـ أي شبّه هيئة منتزعة من عدّة أمور بأُخرى مثلها ـ كان هنا استعارة تبعيّة تمثيليّة لا تصرف شيء من ألفاظ مفرداتها، إلّا أنّه لم يصرّح إلّا بلفظ ما هو العمدة في الهيئة المشبّه بها، أعني الإحاطة، والبواقي من الألفاظ منويّة في الإرادة.

و إحاطة الله سبحانه عند الصوفية بالكافرين ـ بل بالموجودات كلّها ـ عبارة عن تجلّيه بصور الموجودات، فهو سبحانه بأحديّة جميع أسمائه سارٍ في الموجودات كلّها ذاتاً وعلماً وقدرة،، إلى غير ذلك من الصفات. والمراد بإحاطته تعالى هذه السراية، أنّه لا يعزب عنه ذرّة في السماوات والأرض، إذ كلّ ما يغرب عنه يلتحق بالعدم. وقالوا: هذه الإحاطة ليست كإحاطة الظرف بالمظروف، ولا كإحاطة الكلّ باجزائه، ولا كإحاطة الكلّي بجزئياته، بل كإحاطة الملزوم بلوازمه، فإنّ التعينات اللاحقة لذاته المطلقة، إنّما هي لوازم له بواسطة أو بغير واسطة و بشرط أو بغير شرط، ولا تقدح كثرة اللوازم في وحدة الملزوم ولا تنافيها.

يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ : استئناف ثانٍ، كأنّه قيل: ما حالهم مع

تلك الصواعق؟ فأُجيب.

و «يكاد» مضارع كاد، وهو من كدت تكاد كيداً ومكادةً. وحكى الأصمعي كوداً، فيكون كخفت تخاف خوفاً، والأوّل أشهر(١).

وكاد من أفعال المقاربة، وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه، لكنّه لم يوجد، إمّا لفقد شرط أو لعروض مانع. والشرط في خبره أن يكون فعلاً مضارعاً بدون (أن) وقد يكون معها، بخلاف (عسى) فإنّه لرجائه، وقد يدخل على خبرها (إن)

و قرئ (يخطِف) بكسر الطاء، و يختطف و يخطف بفتح الياء والخاء. و أصله (يختطف) نقلت حركة الطاء إلى الخاء ثم أُدغمت في الطاء، و يخطف بكسرهما بحذف حركة الطاء للإدغام، و بتحريك الخاء بالكسر إمّا لالتقاء الساكنين، و إمّا لمتابعة الطاء، و يجعل حرف المضارعة تابعاً للخاء، و (يخطف) مضارع خطف من باب التفعيل، و (يتخطّف) مضارع تخطّف من باب التفعّل.

كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ : استئناف ثالث، جواب لمن يقول: كيف يصنعون عند خطوف البرق وخفيته؟. و كلمة (كلّ) في (كلّما) منصوب على الظرفيّة باتفاق، و ناصبها الفعل الذي هو جوابها، أعني (مشوا)

و إفادتها الظرفيّة من جهة (ما) فإنّها محتمله لوجهين:

أحدهما: أن تكون حرفاً مصدريّاً، والجملة صلة له، فلا محلّ لها، فالأصل كلّ وقت اضاءته، ثم عبّر عن المصدر بـ (ما) والفعل، ثم أُبينا عن الزمان بتقدير الوقت.

والثاني: أن تكون اسماً نكرة بمعنى وقت، فلا يحتاج على هذا إلى تقدير وقت، والجملة بعده في موضع خفض على الصفة، فيحتاج إلى تقدير عائد منها، أي كلّ وقت أضاء لهم البرق فيه. هكذا قيل.

و أقول: (ما) المصدريّة قسمان: مصدريّة صرفة، و مصدريّة ظرفيّة، وكلمة (ما) المركّبة مع كلّ مصدريّة ظرفيّة، فعلى هذا لاحاجة إلى تقدير، ولا إلى حذف

---

(١) لم نعثر عليه.

عائد.

و (أضاء) إمّا متعدّد والمفعول محذوف، والتقدير: كلّما أضاء طريقاً لهم مشوا فيه، وضمير (فيه) حينئذٍ إمّا عائد إلى المفعول المحذوف، و إليه ذهب المبرّد، أو إلى البرق، وعليه الجمهور.

و إمّا لازم بمعنى كلّما لمع لهم مشوا فيه، و يتعيّن عود الضمير إليه. و إذا عاد الضمير إلى البرق على التقديرين، فلابدّ من (في) الظرفية، أو تقدير مضاف، أي في ضوئه.

و كذلك (أظلم) إمّا لازم أو متعدّ، من ظلم الليل بالكسر، و يؤيّده قراءة (أظلم) على البناء للمفعول.

وَ رُدَّ باحتمال أن يكون (عليهم) قائماً مقام الفاعل، فيكون تعدية أظلم بعلى إلّا بنفسه.

و أُجيب بأنّ (عليهم) يقابل (لهم) في أضاء لهم، فإنّ جعلا مستقرّين لم يصلح (عليهم) أن يقوم مقام الفاعل، و إن جعلا صلتين للفعل على تضمين معنى النفع والضر، لم يصلح (عليهم) لأن يقوم مقام الفاعل المضمن ولا المضمن فيه، وعلى تقدير صلوحه فعطف (إذا أظلم) على (كلّما أضاء) مع كونها جواباً للسؤال عمّا يصنعون في تارتي خطوف البرق و خفيته، يقتضي أن يكون (أظلم) مسنداً إلى ضمير البرق كأضاء، على معنى كلّما نفعهم البرق باضاءته افترصوه، و إذ أضرّهم بإظلاله و اختفائه دهشوا.

وقد يجاب ـ أيضاً ـ بأنّ بناء الفعل للمفعول من المتعدّي بنفسه أكثر، فالحمل عليه أولى و أنسب.

و إنّما قال في الإضاءة (كلّما) و في الإظلام (إذا) لأنّهم حرّاص على المشي، فكلّما صادفوا فرصة انتهزوها، ولا كذلك التوقّف، ومعنى (قاموا) وقفوا، بدليل وقوعه في مقابلة مشوا، ومنه قام الماء؛ جمد، وقام السوق اذا كسد، و قد مرّ استعماله بمعنى نفق، مأخوذاً من القيام بمعنى الإنتصاب، فهو من الأضداد.

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ: معطوفة إمّا على الجملة الإستئنافية

أعني (يجعلون) و إمّا على جملة (كلّما أضاء لهم مشوا فيه).

و كلمة «لو» عند المحقّقين تدلّ على ثلاثة أمور: عقد السببيّة والمسببيّة بين الجملتين بعدها، وكونها في الماضي، و انتفاء السبب. ولا دلالة لها على امتناع الجواب، ولكنّه إن كان مساوياً للشرط الواقع، أو عند المتكلّم كما في قولك: لوكانت الشمس طالعة لكان النهار موجوداً، وقولك: لو جئتني لأكرمتك، لزم انتفاؤه. و إن كان أعم كما في قولك: لو كانت الشمس طالعة لكان الضوء موجوداً،فلاوإنّما يلزم انتفاء القدر المساوي منه للشرط، يعني الضوء المستفاد من الطلوع في المثال المذكور مثلاً.

ثم إنّه يحتمل أن يكون المقصود هنا بيان مسبّبيه ذهاب سمعهم و أبصارهم لمشيئة الحق سبحانه كما هو شأن الحوادث كلّها، لا الدلالة على انتفاء أحدهما لانتفاء الآخر، فلذلك قال بعضهم: (لو) هنا مستعمل لربط جزائها بشرطها مجرّدة عن الدلالة على انتفاء أحدهما لانتفاء الآخر، فهو بمنزلة (إن) و قد يقال: إنّها باقية على أصلها.

وقصد بها التنبيه على أن مشقّتهم بسبب الرعد والبرق وصلت غايتها، و قاربت إزالة الحواس، بحيث لو تعلّقت بها المشيئة لأزالت بلاحاجة إلى زيادة في وصف الرعد وضوء البرق كما ذكر أوّلاً.

وانكتة في اختيار ذهب بسمعهم و أبصارهم على أذهب سمعهم و أبصارهم قد مرّ بيانها في ذهب الله بنورهم بلسان أهل الظاهر والباطن.

والمعنى: لو شاء الله أن يذهب بسمعهم بشدّة صوت الرعد و أبصارهم بقوّة لمعان البرق لذهب بها، فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه. ولهذا تكاثر حذف المفعول في (شاء) و (أراد) و متصرفاتها إذا وقعتا في حيّزالشرط، لدلالة الجواب على ذلك المحذوف مع وقوعه في محلّه لفظاً، و لأنّ في ذلك نوعاً من التفسير بعد الإبهام، لا في الشيء المستغرب، فإنّه لايكتفي فيه بدلالة الجواب عليه، بل يصرّح به اعتناءً بتعيينه، و دفعاً لذهاب الوهم إلى غيره، بناءً على استبعاد تعلّق الفعل به و استغرابه، كقوله:

ولو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتُه عليه ولكن ساحةَ الصبر أوسعُ(١)

وقرئ: لأذهب بسمعهم وأبصارهم، بزيادة الباء، كقوله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)(٢).

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ: تقرير لما قبلها.

و (الشيء) يختصّ بالموجود في الأصل، مصدر شاء، أُطلق بمعنى شاء تارة، و حينئذٍ يتناول الباري كما قال: (أيّ شيء أكبر شهادة قل الله شهيد)(٣)، و بمعنى شيئاً أخرى، أي مشيء وجوده، وما شاء الله وجوده، فهو موجود في الجملة.

قال المعتزلة: الشيء ما يصحّ أن يعلم و يخبر عنه.

وقيل: والمشيئة على قسمين:

ثبوتيّة وهي ثبوت المعلومات في علم الله تعالى متميّزاً بعضها عن بعض. وهي على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يجب وجوده في العين كذات الواجب.

و ثانيها: ما يمكن بروزه من العلم إلى العين، وهو الممكنات.

و ثالثها: ما لا يمكن وهو الممتنعات.

والثبوتيّة في الأول، والثالث باعتبار الوجود العلمي، و في الثاني باعتباره و باعتبار الثبوت العيني أيضاً، فإنّهم قسّموا الكون في الخارج إلى ما تترتب عليه الآثار الخارجيّة وسمّوه وجوداً عينياً، وما لا تترتب عليه الآثار الخارجيّة وسمّوه ثبوتاً خارجياً. ومتعلّق قدرة الله من تلك الأقسام هو الثاني دون الأوّل والثالث.

و مشيئة وجودها، هي وجودها خارج العلم والموجودات الخارجيّة من حيث

---

(١) لأبي يعقوب إسحاق بن حسان الخذيمي، وقبله.

ملكت دموع العين حين رددتها إلى ناظري والعين كالقلب تدمع

ذكر مفعول المشية مع أنّه صار في استعمالهم نسياً منسياً، لأنه شيء مستغرب، فحسن ذكره. نقلاً عن هامش الكشاف: ج١، ص٨٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٥.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٩.

تعلّق القدرة بإخراجها من العلم إلى العين، لا تتعلّق بها قدرة أُخرى، لاستحالة تحصيل الحاصل، فإن تعلّقت قدرة بها فباعتبار إعدامها، فذات الواجب تعالى وصفاته والممتنعات والموجودات الممكنة من حيث أنّها تعلّقت القدرة بها، مستثناة عقلاً من الحكم على الله تعالى، بأنّه على كلّ شيء قدير.

والقدرة في اللغة: التمكّن، وقدرة الله عندالحكيم بمعنى أنّه إن شاء فعل و إن لم يشأ لم يفعل، لكن شاء ففعل بالمشيئة القديمة.

وحاصله، إمكان الفعل والترك بالنظر إلى الذات، و وجوب الفعل و امتناع الترك بالنظر إلى الإرادة.

وعند الأشاعرة: صفة يقتضي التمكّن.

وقيل: قدرة الإنسان: هيئةٌ بها يتمكّن من الفعل، و قدرة الله: نفيُ العجز عنه.

والقدير: الفعّال لما يشاء، و لذلك قلّما يوصف به غير الباري تعالى.

و إنّما سمّي القدير قديراً، لأنّه يوقع الفعل على مقدار قوته، أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته، أو على مقدار علمه.

وعلى ما حقّقناه في الآية دليل على أنّ الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران، و أنّ مقدور العبد مقدور الله، لأنّه شيء وكلّ شيء مقدور.

وهذا التمثيل كالتمثيل الأول، يحتمل أن يكون من قبيل تشبيه المفرد، و أن يكون من قبيل تشبيه المركّب. فشبّه على الأول ذوات المنافقين بأصحاب الصيّب في اشتمال كلّ منهما على أمر كثير النفع؛ و شبّه إسلام المنافقين من حيث مطلق الأقسام، لامن حيث أنّه مضاف إليهم بالصيّب، في أنّ كلّ واحد منهما سبب للحياة، فالأوّل سبب لحياة القلوب، والثاني سبب لحياة الأرض. و شبّهت شبههم التي يتمسّكون بها في الاستمرار على كفرهم ونفاقهم بالظلمات، و رعدهم في الظاهر على إسلامهم بالرعد، فإنّه صياح بلا طائل، و وعيدهم فى نفس الأمر بالبرق فإنّه نار محرقة، وما يصيبهم من الأفزاع والبلايا من جهة المسلمين بالصواعق، و إظهارهم الإيمان حذراً عن إصابة هذه المصيبات بجعل الأصابع في الآذان من الصواعق حذرالموت، واحتيارهم لما يلمع لهم رشد يدركونه بمشيهم في مطرح ضوء

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا
وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ
رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

البرق كلّما أضاء لهم، و تحيّرهم و توقفهم من الأمر حين تعن لهم مصيبته يتوقفهم إذا أظلم عليهم.

و شبّه على الثاني ما وقع المنافقون فيه من الضلالة وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة، بحال من أخذتهم السماء في ليلة تكاثفت ظلمتها بتراكم السحب واتصال قطراتها، و تواترت فيها الرعود الهائلة والبروق المخيفة والصواعق المهلكة؛ وهم في أثناء ذلك يزاولون غمرات الموت، ولا شك أنك إذا تصوّرت حالهم بهذه المثابة حصل في نفسك هيئة عجيبة، توصلك إلى معرفة حال المنافقين على وجه يتقاصر عنه تشبيهك إسلام المنافقين والشبهات.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ : لما عدّد فرق المكلّفين و ذكر خواصهم، أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الإلتفات، تنشيطاً للسامع، و تفخيماً لشأن العبادة.

و (يا) حرف وضع لنداء البعيد، وقد ينادى بها القريب تنزيلاً له منزلة البعيد، إمّا لعظمته، أو لغفلته، أو للإعتناء بالمدعو و زيادة الحثّ عليه.

و إنّما قال (ربّكم) تنبيهاً على أنّ الموجب القريب للعبادة، هي التربية.

ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ : صفة جرت عليه للتعظيم.

وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ : منصوب معطوف على الضمير المنصوب في (خلقكم) و قرئ (من قبلكم) على إقحام الموصول الثاني بين الأوّل وصلته تأكيداً.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ : حال من الضمير في (أُعبدوا) كأنّه قال: أُعبدوا ربّكم

راجين أن تنخرطوا في سلك المتّقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوارالله.

أو من مفعول خلقكم، والمعطوف عليه، على معنى أنّه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى، لترجح أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعي إليه.

وقيل: تعليل للخلق، أي خلقكم لكي تتقوا.

قال بعض الفضلاء: المنادىٰ بـ(يا أيهاالناس) هوالناس الناسي وطن الوحدة، الآنس بأحكام الكثرة، الواصل إلى غاية الحركة النزوليّة، و ذلك أبعد مسافة تكون في الوجود، و لذلك استعمل فيه ما وضع لنداء البعيد، وحيث كان المنادى الحصة الوجوديّة المتعيّنة من الحقيقة المطلقة الغالب عليها في مبدأ حالها الإطلاق والإبهام، ثم يتخصّص ويتحصّص بالمرور على المراتب والاتّصاف بأحكامها، حتى يصل إلى المرتبة الإنسانيّة الوجوديّة الشهاديّة العنصريّة، عبّر عنه أوّلاً بكلمة (أي) الدلالة على الإبهام، و وصف ثانياً بـ (الناس) الدالّ على كمال تخصصها. ولمّا كان وصولها إلى هذه المرتبة بتوسّط مراتب كثيرة ـ منبعثة من باطن الغيب إلى أقصى مراتب الشهادة ـ أُشير إليها بحرفي التنبيه، المنبعث أوّلها من باطن القلب، أعني (الهاء) و ثانيها من ساذج مارّ على المراتب كلّها أعني الألف.

ومعنى قوله: (أُعبدوا ربكم) تحقّقوا بعبوديّته المحضة التي لا تشوبها عبوديّة السوىٰ، بأنّ تتوّهموا أنّ فيكم ربوبيّته بالنسبة إلى غيره سبحانه (الذي خلقكم) أي ظهر بظهوركم، فهوالظاهر فيكم و أنتم المظاهر له، فما ظهر فيكم من خصائص الربوبيّة فهو من الربّ الظاهر فيكم لا أنتم «وخلق الذين من قبلكم» أي ظهر بصورة من تقدّمكم بوصول آثار الربوبيّة منهم إليكم، فهوالظاهر فيهم وهم المظاهر له، فما وصل منهم إليكم من آثار الربوبيّة فهو من الربّ الظاهر لا منهم، ما انقطعت نسبة عبوديّتكم عنه، وحيث وصلتم إلى شهود هذا المعنى، فأنتم عبيد متّصفون بمحض العبوديّة، لم يبق فيكم عبوديّة ولا ربوبيّة بالنسبة إلى غيره سبحانه (لعلكم تتقون) أي عمّا يخرجكم عن العبوديّة المحضة.

ولمّا كان كلامه سبحانه ـ بصورة الصوت والحرف المثاليين أوالحسيين ـ لا يصدر إلّا بواسطة مظاهره المثالية أوالحسية، فلا يبعد أن يتحقّق معنى الترجّي

بالنسبة إلى بعض هذه المظاهر، و يكون إيراد كلمة (لعلّ) بالنظر إليه، فإنّ نسبة مظاهر التكلّم إلى المتكلّم أقوى ممّا سواه إليه، كما لا يخفى على ذوي البصائر، والله سبحانه يتولّى السرائر.

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا : منصوب المحل على الوصفيّة، كـ (الذي خلقكم) أو على المدح بتقدير أعني، أو أخصّ أو أمدح.

في كلام بعض النحاة ما يشعر بأنّ القطع بالنصب إنّما يجوز فيما إذا كان الموصوف مرفوعاً أو مجروراً، وهو الأظهر، لأنّ الإشعار بالمدح إنّما يكون حيث يكون في التابع مخالفة للمتبوع، وفي الصورة المفروضة و إن كان مخالفة حكميّة، لكنّه لا يظهر بالنسبة إلى المخاطب حتّى يشعر بقصد المدح.

أو على أنّه مفعول (تتقون) أو مرفوع على الخبريّة، وفيه ما في النصب من المدح، أو على الإ بتداء بأن يكون خبره (فلا تجعلوا).

و (جعل) من أفعال الغاية يجيء على ثلا ثة أوجه:

بمعنى طفق من أفعال القلوب، فلا يتعدّى.

و بمعنى أوجد، فيتعدّى إلى مفعول واحد كقوله تعالى: (وجعل الظلمات والنور)(١).

و بمعنى صيّر، فيتعدّى إلى مفعولين كما في الآية.

والتصيير يكون بالفعل تارة، و بالقول والعقد أُخرى، فـ (الأرض) مفعوله الأول و (فراشاً) مفعوله الثاني.

و يحتمل أن يكون من قبيل الإستعمال الثاني، أي خلق الأرض حال كونه مقدِّراً، بكسر الدال، إيّاها فراشاً، إذا كان فراشاً حالاً من الفاعل، أو حال كون الأرض مقدَّرة، بفتح الدال فراشاً، إذا كان حالاً من المفعول.

و (لكم) متعلّق بـ (جعل) و اللام للإنتفاع، أي لإنتفاعكم.

وقد جاء ناقصاً بمعنى صار في قول الشاعر:

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١.

فَقَدْ جَعَلَتْ قُلُوصُ بَني سُهَيْلٍ مِنَ الأَكْوارِ مَرْتَعُها قَريبُ(١)

و قرئ و (جعل لكم) بالإدغام، لاجتماع حرفين من جنس واحد، وكثرة الحركات.

و (الأرض) هي المفروشة، و قوائم الدابة، و عليه قول الشاعر:

و أحمرُ كالديباج أمّا سماؤه فَرِيّاً وَ أمّا أرضه فَمحولُ(٢)

والرعدة: وعليه كلام ابن عباس: «أزلزالت الأرض أم بي أرض»(٣).

و (الفراش) ما يفترش و يستقرّ عليه و قرأ يزيد الشامي (بساطاً) و طلحة (مهاداً).

قال الجوهري في الصحاح: المهد مهد الصبي، والمهاد الفراش(٤)، ومعنى جعلها فراشاً، أو بساطاً، أو مهاداً أنّه جعل بعض جوانبها على خلاف طبعها بارزاً من الماء، متوسّطاً بين الصلابة و اللطافة، حتّى صارت مهيأة لأن يقعدوا و يناموا عليها كالفراش المبسوط، ولا يدلّ الإفتراش على التسطيح، لأنّ الكرَة إذا عظم جرمها غير مانعة عن الإفتراش.

وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً: معطوفان على ما قبلهما بعاطف واحد. و إن أبيت فقدّر فعلاً معطوفاً على الفعل الذي قبله.

---

(١) هو من أبيات الحماسة، وقبله:

ولست بنازلي إلّا ألمت برحلي أو خيالتها الكذوب

الواو للحال، وجملة (وقد جعلت) حال من الضمير في (رحلي) المذكور فيما قبله، و بتاء التأنيث بمعنى شرعت، و (القلوص) الشابة من النوق، و (الاكوار) جمع كور، الرحيل بأداته، و (المرتع) كمقصد اسم مكان. جامع الشواهد: باب الواو بعد القاف، ص٣١٩.

(٢) والأرض قوائم الدابة، ومنه قول الشاعر:

و أحمر كالديباج أمّا سماؤه فريا و أمّا ارضه فحول

مجمع البيان: ج١، ص٦٠، في تفسير قوله تعالى: «الذي جعل لكم الأرض فراشاً».

(٣) والأرض النفضة والرعدة، ومنه قول ابن عباس: أزلزلت الأرض أم بي أرض؟ كما في الصحاح، يعني الرعدة وقيل: يعنى الدوار، تاج العروس: ج١، ص٤، فصل الهمزة من باب الضاد، في (أرض).

(٤) الصحاح: ج٢، ص٥٤١، في مادة مهد.

والسماء اسم جنس، أو جمع سماة، والبناء مصدر بمعنى المفعول، أي جعل السماء قُبّة، أو قباباً مبنيّة، أي مضروبة عليكم. فإنّ المبنيّ و إن كان أعم من القبّة، ولا دلالة للعام على الخاص، لكنّه أشبه بالسماء لاستدارتها، و منه بنى على امرأته، لأنّهم كانوا إذا تزوّجوا ضربوا عليها خباءً جديداً.

وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً : عطف على (جعل) أي أنزل من جهة العلوّ، أو من أسباب سماويّة تثير الأجزاء الرطبة إلى جوّ الهواء، فتنعقد سحاباً ماطراً، أو من السحاب، فإنّ ما علاك سماء.

و لفظة (من) لابتداء الغاية، فإنّ ابتداء نزول المطر إنّما هو من السماء بكلّ واحد من هذه المعاني.

و وضع هنا (أنزل) مكان نزل، للمناسبة مع ما عطف عليه.

فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ : الباء فيه للسببيّة، أي جعل الماء سبباً في خروج الثمرات و مادّة لها، وهو قادر على إيجاد الأشياء كلّها بلا أسباب ومواد، كما أبدع نفس الأسباب والمواد، إلّا أنّ له تعالى في إنشاء الأشياء بأسبابها و موادّها تدريجاً، حكماً ليست في إنشائها مبادهة و بغتة.

و (من) فيه تبعيضيّة، بشهادة قوله تعالى: «فأخرجنا به ثمرات»(١) فإنّ تنكير ثمرات يدلّ على البعضيّة، لتبادرها منه سيّما في جموع القلّة. و بشهادة أن ما قبله وما بعده، أعني (ماءً) و (رزقاً) محمولان على البعض، فليكن هو موافقاً لهما. و بشهادة الواقع، فإنّ الله سبحانه لم ينزل من السماء كلّ الماء بل بعضه، إذ ربّ ماء بعد في السماء؛ ولم يخرج بالماء المنزل منها كلّ الثمرات بل بعضها، فكم من ثمرة هي غير مخرجة، ولم يجعل المخرج كلّ الرزق، بل بعضه.

والثمرات المخرجة بماء السماء كثيرة، فالتعبير عنها بجمع القلّة، إمّا بناءً على أنّ الثمرات هنا جمع الثمرة التي يراد بها الكثرة ـ كالثمار ـ لا الوحدة، كما في قولك: أدركت ثمرة بستانه، و يؤيّده قراءة من قرأ (الثمرة) على التوحيد، فيكون أبلغ ولا

---

(١) سورة فاطر: الآية ٢٧.

أقلّ من المساواة.

أو على أنّها جمع قلّة وقعت موقع جمع الكثرة، كجنّات في قوله: (كم تركوا من جنّات)(١).

على أنّ المشهور أنّ الفرق بين الجمعين في القلّة والكثرة إنّما هو إذا كانا منكرين، و إذا عرّف بلام الجنس في مقام المبالغة فكلّ منهما للإستغراق بلا فرق.

والرزق إن كان بمعناه المصدري، فنصبه إمّا على أنّه مفعول له، والمعنى أخرج شيئاً من الثمرات لأن يرزقكم، أو على المصدريّة، فإنّ في إخراج الثمرات معنى الرزق، وعلى التقديرين يكون قوله (لكم) ظرفاً لغواً، مفعولاً به لرزق، و اللام إما زائدة،أو للتقوية. و إن كان بمعنى المرزوق، فانتصابه على أنّه حال من مفعول (أخرج) أي من الثمرات، أو على أنّه مفعول به لأخرج، و (من الثمرات) بيان له فقدّم عليه، فصارحالاًمنه، ولكن تكون (من) بيانيّة لا تبعيضيّة، وعلى هذين التقديرين، يكون (لكم) ظرفاً مستقراً، صفة لرزق، و يحتمل على التقادير أن يكون متعلّقاً بـ (أخرج).

وفي تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): قوله عزّوجلّ: «جعل لكم الأرض فراشاً» تفرشونها لمنامكم ومقيلكم، و السماءَ بناءً، سقفاً محفوظاً، ارتفع من الأرض، تجري شمسها و قمرها وكواكبها مسخرّة لمنافع عباده و إمائه، ثم قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لأصحابه: لا تعجبوا لحفظه السماء أن تقع على الأرض، فإنّ الله عزّوجلّ يحفظ ما هو أعظم من ذلك، قالوا: وما هو؟ قال: من ذلك ثواب طاعة المحبّين لمحمد وآله، ثم قال: و أنزل من السماء ماءً، يعني المطر ينزل مع كل قطرة ملك يضعها في موضعها الذي يأمر به ربّه عزّوجلّ فعجبوا من ذلك، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أو تستكثرون عدد هؤلاء؟ إنّ الملائكة المستغفرين لمحبّي علي بن أبي طالب أكثر من عدد هؤلاء، و إنّ الملائكة اللاعنين لمبغضيه أكثر من عدد هؤلاء، ثم قال عزّوجلّ: «فأخرج به

---

(١) سورة الدخان: الآية ٢٥.

من الثمرات رزقاً لكم» ألا ترون كثرة هذه الأوراق والحبوب والحشائش؟ قالوا: بلى يا رسول الله ما أكثر عددها، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أكثر عدداً منها ملائكة يتبذّلون في حمل أطباق النور، عليها التحف من عند ربّهم، و فوقها مناديل النور، و يخدمونهم في حمل ما يحمل منها إلى شيعتهم و محبّيهم، و إنّ طبقاً من تلك الأطباق يشمل من الخيرات على ما لايفي بأقلّ جزء منه جميع أموال الدنيا(١).

فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا: متفرّع على الأمر بالعبادة. والمعنى إذا استحق ربّكم الذي خلقكم العبادة وكنتم مأمورين بها، فلا تشركوا به أحداً، لتكون عبادتكم مبنيّة على ما هو أصل العبادة و أساسها، أعني توحيده، و أن لا تجعلوا له أنداداً، أو معطوف على الأمر قبله. و فيه أنّ الأولى حينئذٍ العطف بالواو كقوله: «أُعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً»(٢).

أو منصوب بإضمار (إن) في جواب الأمر، كما في «زرني فأكرمك»، وفيه أنّ الشرط في ذلك كون الأوّل سبباً للثاني، والعبادة لا تكون سبباً للتوحيد الذي هو معناه.

أو منصوب بتقدير (أن) في جواب لعلّ نصب فاطّلع في قوله تعالى: «لعلّي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطّلع»(٣) بناءً على تشبيه (لعلّ) بـ (ليت) و إلحاقاً بالأشياء الستّة التي تحذف (أن) عن الفعل المضارع بعد الفاء الواقعة بعدها.

أو متعلّق بـ «الذي جعل» إذا كان مرفوعاً على أنه خبر مبتدأ محذوف، فيكون نهياً مترتّباً على ما تتضمّنه هذه الجملة، أي هوالذي خلقكم بدلائل التوحيد فلا تشركوا به شيئاً.

أو على أنّه مبتدأ، و (لاتجعلوا) نهي وقع خبراً عنه على تأويل مقول فيه (لا

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص ٥٨، ذيل قوله تعالى: «الذي جعل لكم الأرض فراشاً».

(٢) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٣) سورة غافر: الآية ٣٦.

تجعلوا).

والفاء للسببيّة، أُدخلت عليه لتضمّن المبتدأ معنى الشرط. والمعنى أنّ من حفّكم بهذه النعم الجسام ينبغي أن لا يشرك به.

والجعل هنا بمعنى التصيير، فيتعدّى إلى مفعولين، أولهما أنداداً، و ثانيهما الجار والمجرور قبله.

أو بمعنى الخلق والإيجاد، والمعنى لا توجدوا له في إعتقادكم وقولكم أنداداً.

والفائدة في تقديم المفعول الثاني، أوالجار والمجرور، إفادة الحصر، والإشارة إلى أنّ المنهي عنه جعل النّد لله تعالى.

و أمّا بالنسبة إلى الفاعلين فجعل النّد والشريك واجب، لئلّا يلزم التفويض، كما قال (عليه السلام): لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين(١).

وقرئ (فلا تجعلوا لله نداً). والند: المثل المناوئ أي المخالف، من ندّ ندوداً، إذا نفر، وفي تسميته ما يعبدونه نداً، لما عظّموه و سمّوه إلهاً، و إن لم يزعموا أنّه يماثله أو يخالفه تهكّم به.

وفي إيراد صيغة الجمع، حيث دلّت على أنّهم جعلوا أنداداً لمن يمتنع أن يكون له ندّ واحد، زيادة تهكم.

وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ: حال من فاعل (فلا تجعلوا) والمقصود منه التوبيخ، لا تقييد الحكم به، فإنّ العالم والجاهل المتمكّن من العلم سواء في التكاليف.

و مفعول (تعلمون) متروك ، لتنزيله منزلة اللازم مبالغة، أي وحالكم وصفتكم أنّكم من أهل العلم والتميز بين الصحيح والفاسد، ثم أنّ ما أنتم عليه من أمر دينكم من جعل الأصنام لله أنداداً، هو غاية الجهل و نهاية سخافة العقل، أو مقدّر بوجود القرينة المقاليّة أوالحاليّة، أي و أنتم تعلمون أنّه تعالى لا مثل له ولا ضدّ. أو و أنتم تعلمون ما بينه و ما بينها من التفاوت، أو وأنتم تعلمون أنّها لا تفعل مثل

---

(١) الكافي: ج١، ص١٦٠، كتاب التوحيد، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، قطعة من حديث ١٣، وعوالي اللئالي: ج٤، ص١٠٩، ح١٦٤.

أفعاله، إلى غير ذلك ممّا يناسب المقام.

وفي كتاب التوحيد، في باب أنّ الله تعالى لا يفعل بعباده إلّا الأصلح روي بإسناده عن أبي محمد العسكري، عن آبائه، عن علي بن الحسين (عليهم السلام) في قول الله عزّوجلّ «الذي جعل لكم الأرض فراشاً» جعلها ملائمة لطبائعكم موافقةً لأجسامكم، لم يجعل شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم و أبنيتكم و قبور موتاكم، ولكنه ـ عزّوجلّ ـ جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به و تتماسكون، و تتماسك عليها أبدانكم و بنيانكم، وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لدوركم و قبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم، ثم قال عزّوجلّ: «والسماء بناءً» سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها شمسها و قمرها و نجومها لمنافعكم، ثم قال عزّوجلّ: «و أنزل من السماء ماءً» يعني المطر ينزل من علوّ، ليبلغ قلل جبالكم و تلالكم وهضابكم(١) و أوهادكم(٢)، ثم فرّقه رذاذاً(٣) و وابلاً(٤) و هطلاً(٥) وطلاً(٦) لتنشفه أرضوكم. ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة، فيفسد أرضيكم و أشجاركم و زروعكم و ثماركم، ثم قال عزّوجل: «فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً» أي أشباهاً و أمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر و لا تقدر على شيء، (و أنتم تعلمون) أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم تبارك و

---

(١) الهضب: الجبل المنبسط على الأرض. لسان العرب: ج١، ص٧٨٤، حرف الباء، فصل الهاء.

(٢) الوهدة بالفتح فالسكون: المنخفض من الأرض. مجمع البحرين: ج٣، ص١٦٧، في (وهدة)

(٣) الرذاذ: المطر الضعيف، مجمع البحرين: ج٣، ص١٨١، في (رذذ).

(٤) الوابل: المطر الشديد، مجمع البحرين: ج٥، ص٤٩٠، في (وبل)

(٥) الهطل: تتابع المطر، مجمع البحرين: ج٥، ص٤٩٩، في (هطل).

(٦) الطلّ: المطر الصغار القطر الدائم، وهو أرسخ المطر ندى، لسان العرب: ج١١، ص٤٠٥، حرف اللام، فصل الطاء.

تعالى. انتهى(١).

و ذكر هذا الحديث بعينه في عيون أخبار الرضا في باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار في التوحيد(٢).

وقد ذكر بعض المفسّرين هذا الحديث في تفسيره.

ثم قال: ففي التفسير المنسوب إلى مولانا العسكري (عليه السلام) قال: قال علي بن الحسين (عليهما السلام) في قوله تعالى: «يا أيها الناس اعبدوا ربكم» يعني سائر المكلّفين من ولد آدم (عليه السلام)، اعبدوا ربكم، أطيعوا ربّكم من حيث أمركم أن تعتقدوا أن لا إله إلّا هو وحده لا شريك له، ولا شبيه له، ولا مثل له، عدل لا يجور، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حكيم لا يخطل، و أن محمداً عبده و رسوله (صلّى الله عليه وآله الطيّبين)، و أنّ آل محمد أفضل آل النبيّين، و أنّ علياً أفضل أصحاب محمد، المؤمنين منهم أفضل صحابة المرسلين، و أنّ أمّة محمّد أفضل أُمم المرسلين. انتهى(٣)

ثم قال: و يفهم من هذاالكلام أنّ الأُمم الماضية كانوا مأمورين بتلك الإعتقادات، وهذا هوالحقّ كما هو مذكور في كثير من الروايات.

أقول: كأنّ العلّامة ـ رحمه الله ـ فهم ذلك من تفسيره (عليه السلام): «يا أيها الناس»، بسائر المكلّفين، يعني جميع المكلّفين، وهو غلط فاحش، فإن السائر بمعنى الباقي مبتذل في اللغة متعارف في العرف، قال بعض أهل اللغة: السائر مشتق من السؤر، وهو بقية ما يشرب، ولا يستعمل بمعنى الجميع لا في اللغة ولا في العرف، وقد وقع ذلك في كلام بعض المفسّرين.

قال بعض الفضلاء: و تأويل الآية في بعض بطونها أن يقال: هو، أي ربّكم الذي أُمرتم أن تعبدوه و تتحقّقوا بعبوديّته المحضة، هوالذي جعل لكم أرض العبوديّة

---

(١) كتاب التوحيد: ص٤٠٣، باب ٦٢، أن الله تعالى لا يفعل بعباده إلا الأصلح، ح١١.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج١، ص١١٢، باب١١، ما جاء عن الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) من الأخبار في التوحيد، ح٣٦.

(٣) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص٥٢، ذيل قوله تعالى: «يا أيها الناس اعبدوا ربكم».

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

فراشاً تتقلّبون فيها بأنواع العبادات، و سماء الأسماء الربوبيّة فيه مضروبة عليكم محيطة بكم، بحيث لا يمكنكم الخروج عن إحاطتها بشمول آثارها، و أنزل من هذه السماء ماء العلوم والمعارف على تلك الأرض، فأخرج ثمرات الأحوال والأذواق والمواجيد، رزقاً لكم تغتذون و تتقون به بقلوبكم و أرواحكم، فلا تجعلوا لله أنداداً تعبدونها كما تعبدونه، والحال أنكم تعلمون أنّه لا معبود سواه، و لا ينبغي أن يجعل أحد قبلة عبادته إلّا إيّاه.

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ: لمّا كانت العبادة المأمور بها موقوفة على أمرين: أحدهما: إثبات الوحدانيّة و إبطال الإشراك، وقد أشير إليه بالأوصاف المجراة على ربّهم الذي أمروا بعبادته. والثاني: إثبات النبوّة التي يقع بها الترغيب والترهيب، و تعريف طرق العبادة و تعيينها، فلذلك أشار اليه بإزاحة الشبهة عن كون القرآن معجزاً دالّاً على نبوّة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وهو معطوف على قوله: «يا أيها الناس» والظرف مستقرّ في موضع خبر كان.

والمعنى: و إن كنتم في ريب يحيط بكم إحاطة الظرف بالمظروف.

مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا: أي من شيء، أو من الذي نزّلناه، و يحتمل مرجوحاً أن يكون المعنى من تنزيلنا.

و إنّما أتى بكلمة (إن) الدالّة على عدم الجزم بالوقوع، والريب متحقّق من هؤلاء الكفّار، تنبيهاً على أنّه لا ينبغي حصول هذا الريب من العقلاء، فكيف يجزم

به، بل لوجوّزه مجوّز فإنّما يكون بمحض الإحتمال العقلي. ولهذا السبب بعينه قال: «في ريب» و إن كان أكثرهم يتكرون.

و إنّما أتى بالتنزيل المنبئ عن التدريج، لأنّ النزول التدريجي كان أحد أسباب طعنهم و ارتيابهم في القرآن، فإنّهم كانوا يطعنون في القرآن و يرتابون فيه، من حيث أنّه كان مدرجاً على قانون الخطابة والشعر، فإنّ الناثر لا يرمي بمجموع خطبه أو رسائله دفعة، والناظم لا يلقي ديوان شعره ضربة، بل مفرّقاً حيناً فحيناً و شيئاً فشيئاً، فكانوا يقولون: لولا أُنزل عليه القرآن خلاف هذه العادة جملة واحدة! فقيل لهم: إن ارتبتم في هذا الذي أُنزل تدريجاً، فهاتوا أنتم بنجم من نجومه و سورة من سوره، فإنّه أيسر عليكم من أن ينزّل الجملة دفعة واحدة.

قيل: التدريج هوالذي يعبّر عنه بالتكثير، أي يفعل مرّة بعد مرّة، والتضعيف الدالّ على ذلك من شرطه أن يكون في الأفعال المتعدّية قبل التضعيف غالباً، نحو فتحت الباب، ولا يقال: جلّس زيد لإرادة التدريج والتكثير، لأنّه لم يكن متعدّياً قبل التضعيف، و إنّما جعله تضعيفه متعدّياً. وقولنا غالباً، لأنّه قد جاء التضعيف دالاً على الكثرة في اللازم، نحو موّت المال. و يعلم من ذلك أن التضعيف الدالّ على الكثرة لا يجعل اللازم متعدّياً. فظهر من ذلك أن تضعيف (نزل) للتعدية دون التدريج.

و أيضاً يحتاج قوله تعالى: «لولا نزّل عليه القرآن جلة واحدة»(١) و قوله: «لولا نزّل عليه آية» (٢) و قوله: «لنزّلنا عليهم ملكاً رسولاً»(٣) إلى تأويل.

وفي (نزّلنا) التفات من الغيبة إلى التكلّم، لأن قبله «اعبدوا ربّكم» فلو جاء الكلام عليه لقيل: ممّا نزل على عبده، لكنّه التفت للتفخيم.

وعبّر عنه بالعبد، لأنّ أعلى المقامات مقام العبديّة، فإن المطلق لا ينصرف إلّا

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٣٢.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٧.

(٣) سورة الاسراء: الآية ٩٥.

على الكامل.

و قرئ «على عبادنا» والمراد به نبيّنا (صلّى الله عليه وآله) و أُمّته، فإنّه كما نزل عليه بواسطة جبرئيل نزل على بعض أُمّته بواسطته، و ينزل على بعضهم بواسطة البعض إلى يوم القيامة، أو جميع الأنبياء (عليهم السلام).

فَأْتُواْ بِسُورَةٍ: جزاء للشرط، والأمر تعجيزي ليظهر عجزهم، و يزول ريبهم.

والسورة طائفة من القرآن مترجمة، لا تكون أقلّ من ثلاث آيات، فخرج بقولنا: مترجمة، الآيات المتعدّدة من سورة واحدة، أو متفرّقه، وما هو أكثر منها واحدة كمجموع سورتين. و بقولنا: لا تكون أقلّ من ثلاث آيات، تخرج آية الكرسي، و آية المداينة، من غير حاجة إلى أن يتكلّف و يقال: هذا مجرّد إضافة لم تصل إلى حدّ التسمية.

و واوها إن كانت أصليّة، فهي إمّا منقولة من سور المدينة، وهو حائطها، على وجهين:

أحدهما: أن تجعل السورة بمعنى المسورة، كما يراد بالحائط المحوطة، وهوالبستان، ثم ينقل إلى طائفة محدودة من القرآن، وهو نقل مرتّب على تجوّز.

و ثانيهما: أن ينقل من سورة المدينة إليها بغير واسطة، لأنّها يحيط بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على انفرادها، أو محتوية على أنواع من العلم، إحاطة سورة المدينة بما فيها واحتواءها عليه.

و جمع سورة القرآن: السُوَر بفتح الواو، و جمع سورة المدينة على سوْر بسكونها، أو من السورة بمعنى المرتبة، قال النابغة:

أَلم تَرَ أنّ الله أعطاك سُورَةً تَرَى كُلّ مُلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ(١)

ثم إنّ الرتبة إن جعلت حسّيّة، فلأنّ السور كالمراتب والمنازل يتقلّب فيها القارئ و يقف عند بعضها، أو لأنّها في أنفسها منازل مفصّلة بعضها من بعض، متفاوتة في الطول والقصر والتوسّط. و إن جعلت معنويّة، فلتفاوتها في الفضل

---

(١) مجمع البيان: ج١، ص٦١.

والشرف والبلاغة.

و إن كانت واوها مبدّلة عن الهمزة، فمن السؤرة التي هي البقيّة والقطعة من الشيء.

وضعّف هذا الوجه من حيث اللفظ، إذا لم تستعمل مهموزة في السعة ولا في الشاذة المنقولة في كتاب مشهور، و إن أشعر به كلام الأزهري حيث قال: و أكثر القرّاء على ترك الهمزة في لفظ السورة(١). و أمّا من حيث المعنى فلأنّها اسم ينبئ عن قلّة وحقارة. و أيضاً استعماله فيما فضل بعد ذهاب الأكثر، ولا ذهاب هنا إلّا تقديراً باعتبار النظر إليها نفسها، فكأنّها قد ذهب ما عداها.

﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: إما ظرف مستقرّ صفة لسورة، أو ظرف لغو لـ (فأتوا)، والضمير على كل من التقديرين إمّا عائد إلى (ما نزّلنا) أو إلى (عبدنا).

فهذه أربع صور:

أوّلها: أن يكون الظرف صفة لـ (سورة)، والضمير عائد إلى ما (نزّلنا) وكلمة (من) بيانيّة، لأنّ السورة المفروضة التي بها الأمر التعجيزي مثل المنزل في حسن النظم والغرابة في البيان. والعجز إنّما هو عن الإتيان بالمثل الذي هو المأمور به، و إن جعلت تبعيضيّة أوهمت أنّ للمنزل مثلاً عجزوا من الإتيان ببعضه، كأنّه قيل: فأتوا ببعض ما هو مثل للمنزل، فالمماثلة المصرّح بها ليست من تتمّة المعجوز منه حتّى يفهم أنّها منشأ العجز. وكذا الحال إن جعلت ابتدائيّة، فإنّها توهّم أنّ للمنزل مثلاً عجزوا عن الإتيان بسورة مبتدأة منه، فالمماثلة من تتمّة المعجوز منه، مع أن في مبدئيّة الكل للجزء خفاء، و ذهب الأخفش إلى أنّها زائدة(٢).

و ثانيها: أن يكون الظرف صفة لسورة، والضمير عائد إلى عبدنا، و حينئذٍ يتعيّن أن تكون (من) ابتدائيّة، فإنّ السورة مبتدأة، ناشئة من مثل العبد. ولا وجه لسائر المعاني.

---

(١) تفسير القرآن الكريم للشهيد مصطفى الخميني: ج٤، ص١١.

(٢) تفسير البيضاوي: ج١، ص٣٥.

ولا يذهب عليك أنّ الإتيان بسورة من مثل هذا العبد، ليس بمعجوز عنه مالم يعتبر مثليّة سورة للسور القرآنيّة في حسن النظم وغرابة البيان.

و ثالثها: أن يكون الظرف متعلقاً بـ (فأتوا) والضمير عائد إلى (ما نزّلنا). وهجر هذا الوجه، فإنّ (فأتوا) أمر قصد به تعجيزهم باعتبار المأتي به، فلو تعلّق به (من مثله) وكان الضمير للمنزل تبادر منه أنّ له مثلاً محقّقاً جامعاً لأمثال السور القرآنيّة، و أنّ عجزهم إنّما هو عن الإتيان بسورة منه، بخلاف ما إذا كان صفة للسورة، فإنّ المعجوز عنه حينئذٍ هو الإتيان بسورة مماثلة للقرآن في حسن النظم وغرابة البيان، وهذا لا يقتضي وجود مثل ذلك.

وحاصله أنّ قولنا: إئت من مثل الحماسة ببيت، يقتضي وجود المثل لها، بأن يكون هناك كتاب محقّق جامع لكثير من أشعار بلغاء العرب و يؤتى ببيت منه، بخلاف ائت ببيت من مثل الحماسة إذا كانت (من) بيانيّة، و يكون حاصل المعنى: ببيت يماثل الحماسة في الفصاحة والبلاغة، فإنّ ذلك لا يقتضي تحقق كتاب جامع مثلها، نعم إذا كانت (من) ابتدائيّة أو تبعيضيّة، يقتضي ذلك من غير فرق.

رابعها: أن يكون الضمير عائداً إلى (عبدنا) و حينئذٍ يكون (من) ابتدائيّة، وهذا لا يقتضي إلّا أن يكون للعبد مثل في كونه بشراً عربيّاً أميّاً لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء، ولا محذور في ذلك، لكن ينبغي أن يعتبر مثليّة سورة للسور القرآنيّة، كما في الصورة الثانية.

و ردالضمير إلى المنزل أوجه من ستّة وجوه:

الأول: الموافقة لقوله تعالى: «فأتوا بسورة من مثله» و نظائره، لأنّ المماثلة فيها صفة للمأتي به، فكذا هاهنا إذ جعل الظرف صفة للسورة والضمير عائداً إلى المنزل، و (من) بيانيّة أو زائدة.

والثاني: أنّ الكلام واقع في المنزل، لأنّ ارتيابهم المفروض إنّما وقع فيه، ولو ردّ الضمير إلى العبد، كان حقّ الترتيب أن يقال: إن كان لكم ريب في عبدنا المنزل عليه القرآن فأتوا بسورة من مثله.

والثالث: أن الضمير إذا ردّ إلى المنزل، يكون طلب المعارضة من الجميع، و إذا كان للمنزل عليه يكون طلب المعارضة من واحد منهم، إذ لا معنى لخطاب الجماعة بأن ائتوا بسورة من واحد منكم، بل الطلب بالحقيقة من واحد منهم، كأنّه قال: فليأت واحد منكم بسورة. ولا شك أنّ طلب المعارضة من الجميع أبلغ من طلب المعارضة من واحد، لجواز عجز واحد و إتيان الجميع بها.

والرابع: أنّه معجز في نفسه، لا بالنسبة إلى مثله، لقوله تعالى: «قُلْ لَئِن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذاالقرآن لا يأتون بمثله»(١).

والخامس: أنّه لوكان رجع الضمير إلى العبد، لكان ذلك يوهم أن صدور القرآن عمّن لم يكن مثل العبد في كونه أُمّياً ممكن.

والسادس: أنّ ردّ الضمير إلى المنزل هوالملائم لقوله:

وَٱدْعُواْشُهَدَآءَكُم: لأنّ معناه على الوجوه المذكورة فيما بعد راجع إلى (ادعوا شهداء كم) ليعاونوكم أو يشهدوا لكم. وهذا المعنى لا يلائم إلّا ردّ الضمير في (مثله) إلى المنزل.

ولمّا ترجّح عود الضمير إلى المنزل بهذه الوجوه، ترجح أيضاً كون الظرف صفة للسورة، لأنّه إذا تعلّق بـ (فأتوا) عاد الضمير إلى العبد، لماتحقّقته.

و «الشهداء» جمع شهيد، كالظرفاء جمع ظريف، بمعنى الحاضر أوالقائم بالشهادة، أوالامام، فكأنّه سمّي به لأنّه يحضر النوادي و تبرم بمحضره الأُمور، ومنه قيل للمقتول في سبيل الله: شهيد، لأنّه حضر ما كان يرجوه، أوالملائكة حضروه. قال الجوهري في الصحاح: الشهادة الخبر القاطع، تقول منه: شهدالرجل على كذا، أو شهد له بكذا، أي أدّى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد، و يقال: شهده شهوداً، أي حضره، فهو شاهد. والشهيد: الشاهد، والجمع: الشهداء(٢).

فالمراد بـ (الشهداء) إمّا المقيمون للشهادة، والمعنى أُدعوا من دون الله شهداء

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

(٢) الصحاح: ج٢، ص٤٩٤.

يشهدون لكم بأنّ ما أتيتم به مثله، أوالحاضرون الناصرون، والمعنى: أُدعوا أعوانكم و أنصاركم حتّى يعينوكم على إتيان مثله. أو آلهتهم الذين عبدوهم و أطاعوهم، والمعنى: أُدعوا آلهتكم الذين تعبدونهم حتّى يعينوكم بإتيان سورة واحدة من جنس ما أتى به عبدنا.

مِّن دُونِ ٱللَّهِ: دون في أصله للتفاوت في الأمكنة، يقال لمن هو أنزل مكاناً من الآخر: هو دون الأوّل، فهو ظرف مكان مثل عند، إلاّ أنّه ينبئ عن دنوّ أكثر وانحطاط قليل، ومنه تدوين الكتب، لأنّه إدناء البعض من البعض، و دونك هذا، أي خذه من أدنى منك مكان، ثم اتسع فيه و استعمل في انحطاط لا يكون في المكان كقصر القامة مثلاً، ثم استعير منه للتفاوت في المراتب المعنويّة تشبيهاً بالمراتب المحسوسة، و شاع استعماله أكثر من استعماله في الأصل نحو زيد دون عمرو، أي في الشرف، ومنه الشيء الدون، ثم اتسع في هذا المستعار فاستعمل في كلّ تجاوز حدّ إلى حدّ و إن لم يكن هناك تفاوت و انحطاط، فهو في هذا المعنى مجاز في المرتبة الثالثة، قال تعالى: «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين»(١) أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين، وقال أُميّة:

يا نفس مالك دون الله من واق(٢).

أي إذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره، وهو بهذا المعنى قريب من أن يكون بمعنى غير، كأنّه أداة استثناء.

والأحسن هنا أن يكون بمنزلة أداة استثناء، أو بمعنى أدنى مكان من شيء، فيستعار لمعنى قدّام الشيء و بين يديه، وكلمة (من) إذا كان دون بمعنى القدّام تبعيضيّة، لأنّ الفعل يقع في بعض الجهة؛ وهو ظرف لغو معمول لـ (شهداءكم) إذ يكفيه رائحة الفعل، فلا حاجة إلى اعتماد ولا إلى تقدير يشهد، و إذا كان بمعنى

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٩.

(٢) و تمامه: ولا للسع بنات الدهر من راق. لأميّة بن أبي الصلت يقول: يا نفس ليس لك حافظ دون الله، أي متجاوز الله، و استعار البنات للحوادث، ثم شبّه الحوادث بالأفاعي بجامع إيذاء كل لغيره، أي لا حافظ لك إلاّ الله ولا جابر إلاّ هو. تلخيص من حاشية الكشاف: ج١، ص٩٩

أدنى مكان من شيء ابتدائيّة متعلّقة بـ (ادعوا) وكذا إن كان بمعنى التجاوز عن حدٍّ إلى حدّ، لكنه ظرف مستقرّ وقع حالاً، والعامل فيها (ادعوا) أو (شهداء كم).

وقد يقال: كلمة «من» الداخلة على «دون» في جميع مواضعها بمعنى «في» كما في سائر الظروف غير المتصرّفة، أي التي تكون منصوبة على الظرفيّة أبداً، ولا تنجز إلّا بـ «من» خاصة، قال الشيخ الرضي: «من» في الظرف كثيراً ما تقع بمعنى «في» نحو جئت من قبل زيد ومن عنده، ومن بيننا و بينك حجاباً مستوراً (١) وكنت من قدّامك.

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ: في موضع الحال من فاعل (فأتوا) و لهذا لا يحتاج إلى الجزاء، أو جوابه محذوف دلّ عليه ما قبله ومفعوله محذوف، والمعنى: إن كنتم صادقين أنّه من كلام البشر.

والصدق: الإخبار المطابق، وقيل: مع اعتقاد المخبر أنّه كذلك عن دلالة أو امارة، لأنّه تعالى كذّب المنافقين في قولهم: «إنّك لرسول الله»(٢) لما لم يعتقدوا مطابقته.

و ردّ بصرف التكذيب إلى قولهم «نشهد» لأنّ الشهادة إخبار عمّا علمه، وهم ما كانوا عالمين، أو «إن كنتم صادقين» في ريبكم، والصدق في الريب أن يكون ناشئاً عن شبهة، لا عن الجحود والإنكار. والمعنى: إن كنتم في ريب ممّا نزّلنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا الشهداء للمعاونة ليظهر عجزكم و عجزهم فيزول ريبكم، و ذلك بشرط أن تكونوا من الصادقين في ريبكم، و ذلك إذا نشأ عن شبهة، و أمّا إذا كان من الجحود والإنكار فلا يمكن زواله.

وفي الآية دلالة على نبوّته (صلّى الله عليه وآله)، فإنّه كان موفور العقل والمعرفة بالعواقب، فلو تطرّقت تهمة إلى ما ادّعاه من النبوّة لما استجاز أن يتحدّاهم و يبلغ في التحدّي إلى نهايته، بل كان ينبغي أن يكون خائفاً من أن يعارض فتدحض

---

(١) شرح الكافية: ج٢، ص٣٢١.

(٢) سوره المنافقون: الآية ٦٣.

حجّته، حاشاه من ذلك (صلّى الله عليه وآله).

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾: ولمّا بيّن لهم ما يتعرّفون به أمرالرسول وما جاء به و ميّزلهم الحق عن الباطل، رتّب عليه ما هو كالنتيجة له، وهو أنكم إذا اجتهدتم في معارضة وعجزتم جميعاً عن الإتيان بما يساويه أو يدانيه، ظهر أنّه معجز والتصديق به واجب، فآمنوا و اتّقوا العذاب المعدّ لمن كذّب، فعبّر عن الإتيان المكنف بالفعل الذي يعمّ الإتيان به وغيره إيجازاً، و لزم لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية، تقريراً للمكنى عنه و تهويلاً لشأن العناد، و تصريحاً بالوعيد مع الإيجاز.

و إنّما أتى بـ (إن) الذي للشكّ دون (إذا) الذي للوجوب مع أن ظاهر الحال يقتضي ذلك، تهكّماً بهم تهكّم الواثق بغلبته على من يعاديه، حيث يقول له: إن غلبتك لم أُبق عليك، أو خطاباً معهم على حسب ظنّهم، فإنّ العجز قبل لم يكن محقّقاً عندهم، أو حفظاً لمشاكلة صدر الآية السابقة.

والمعنى: فإن لم تفعلوا، أي لم تقدروا على الفعل الذي هو الإتيان المكيف، بقرينة ماسبق، و محقّق أنّكم لا تقدرون، بناءً على أنّه اعتراض، فاتقوا النارإلى آخره.

و بما قرّرناه ظهرفساد ما قاله العلامة السبزواري في تفسيره، قال: و يخطر بالبال أنّ الحالية في كمال الإستقامة، و إن أطبق المفسّرون على أنّهااعتراضيّة. والمعنى: أنّكم لم تأتوا بسورة حال كونكم غيرقادرين على الإتيان بها، و حينئذٍ ترتّب الجزاء على الشرط، إذ بمجرّد عدم الفعل لا يعلم عدم صحة القدرة حتّى يترتّب عليه اتقاء النار، بل يمكن أن لا يعتنوا بشأنه، وعدم القدرة من تأييد النفي، إذ لو تحقّق القدرة منهم لأتى واحد من هؤلاء بما طلبوا في زمان من الأزمنة، ليتخلّصوا من القتل والغارة وذلّ إعطاء الجزية.

ثم كتب في الحاشية: قال الشيخ الرضي في شرح الكافية: ويشترط في المضارع الواقع حالاً خلوّه عن حرف الاستقبال، كالسين ولن ونحوهما. و ذلك لأنّ الحال الذي نحن في بابه والحال الذي يدلّ عليه المضارع و إن تباينا حقيقة، لأنّ في قولك

مثلاً: إضرب زيداً غداً يركب، لفظ يركب حال بأحد المعنيين غير حال بالآخر، لأنّه ليس في زمان التكلّم، لكنّهم التزموا تجريد صدر هذه الجملة - أي المصدّرة بالمضارع - عن علم الإستقبال لتناقض الحال والإستقبال في الظاهر، و إن لم يكن التناقض هنا حقيقياً. و لمثله التزموا لفظة (قد) إمّا ظاهرة أو مقدّرة في الماضي إذا كان حالاً مع أن حاليته بالنظر إلى عامله، ولفظة (قد) تقرّب الماضي من حال التكلّم فقط، و ذلك لأنّه كان يتنافى في الظاهر لفظ الماضي والحاليّة فقالوا: جاء زيد العام الأوّل وقد ركب، فالمجيء بلفظ (قد) هنا لظاهر الحالية، كما أنّ التجريد عن حرف الإستقبال في المضارع لذلك .(١) انتهى.

والعلّامة التفتازاني: اقتفى أثره في المطوّل(٢).

والمحقّق الشريف في حاشية المطوّل ردّ عليه وقال: وهذا الوجه و إن كان منقولاً في الموضعين عن كلام الرضي، لكنّه غير مرضي كما ترى. والصواب أن يقال: إنّ الأفعال إذا وقعت قيوداً لما له اختصاص بأحد الأزمنة فهم منها استقباليّتها وحاليّتها وماضويّتها بالقياس إلى ذلك المقيّد لا إلى زمان التكلّم كما في معانيها الحقيقيّة، وليس ذلك بمستبعد، انتهى(٣).

و ابن هشام في مغني اللبيب في تمييز الجمل المعترضة عن الحالية صرّح بأنّ المصدّرة بحروف الإستقبال اعتراضيّة، و شنّع على من جعلها حالية، لكن لم ينقل الوجه هنا(٤).

و أنا أقول: إن كان يعلم من تتبع كلام الفصحاء من العرب العرباء، أنّ أمثال هذه اعتراضيّة وليست بحالية و أنّهم لم يستعملوها حالاً، لكان لكلام النحاة وجه، و يحسن منهم ارتكاب ما ارتكبوا في هذا الباب، ومعلوم أنّ الأمر ليس كذلك. وعدم شيوع دخول الحرف والإستقبال على الجمل الحالية لا يوجب الحكم

---

(١) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(٢و٣) المطوّل: ص٢٧٧، الباب السابع الفصل والوصل تذنيب في البحث عن الجملة الحالية.

(٤) مغني اللبيب: ص١٦٦.

بالإمتناع ووجوب خلوّ الحال عنها إذا لم يكن يلزم المفارقة في الزمان بينها و بين صاحبها، و بمحض قول جماعة إذا علم مأخذ قولهم لا تجب متابعتهم و إن كانوا مشاهير، خصوصاً إذا لم يوجد ذلك الإشتراط في كلام من هو أشهر منهم، انتهى كلام ذلك العلّامة.

فلينظر إلى ما في هذا الكلام من الخبط.

ثم قال: وعلى التقديرين. هذا الكلام معجزة أُخرى له (عليه السلام)، إذ أخبر وكان كما أخبر.

أقول: على تقدير كونه اعتراضاً معجزة، وعلى تقدير كونه حالاً ـ كما قال ـ فلا، فإنّ الجمل التي لها محلّ من الإعراب وقعت موقع المفردات، فتكون نسبها ملحوظة اجمالاً، و لا يصحّ اتّصافها بالصدق والكذب.

والوقود بالفتح: الحطب ترفع به النار، و أمّا المصدر فضموم، وقد جاء فيه الفتح. و قرئ بالضم على أنّه مصدر مستعمل بمعنى المفعول مجازاً لغويّاً، فأُريد بالوقود ما يتوقّد به، كما يراد بفخر قومه ما يفتخرون به، و بزين بلده ما يتزيّن به بلده أو على أنّه حقيقة، والمجاز إسناد الناس إليه وحمل عليه، كما في قولك: حياة المصباح السليط، أي الزيت الجيد، فقد جعل السليط الذي به قوام حياته عينها و محمولاً لها.

وفي قراءة فتح الواو على تقدير المصدريّة، يجري هذان الوجهان.

ووجه بتقدير مضاف، إمّا في جانب المبتدأ والخبر، كما يقال: أصحاب وقودها الناس والحجارة، أو وقودها إحراق الناس والحجارة.

والحجارة جمع حجر، كجمالة جمع جمل، وهو قليل غير منقاس. والمراد بها إمّا أصنامهم التي نحتوها وعبدوها، كما يدلّ عليه قوله تعالى: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم»(١).

و إنّما قرنوا بها، لأنّهم قرنوا بها أنفسهم بالعبادة لها، أو لأنّها كانت منشأ

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٨.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾

جرمهم فعذّبوا بها كما عذّب الكافرون بما يكنزونه، أو لزيادة تحيّرهم حيث ظهر منها خلاف ما توقّعوا منها من الإنتفاع بشفاعتها و استدفاع المضار بمكانتها، أو مطلق الأحجار لما فيه من الدلالة على شدّة إيقاد النار وقوّته، أوالذهب والفضّة اللذان كانوا يكنزونها و يغترون بها، أو حجارة الكبريت، و خصّت بذلك لاختصاصها من بين الأحجار بسرعة الإتقاد و بطء الخمود، ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، و شدّة الإلتصاق بالأبدان، وقوّة حرّها إذا حميت، هكذا ذكروا.

وفي كتاب الإحتجاج للطبرسي رحمه الله: و روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي (عليهم السلام) قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): ولقد مررنا مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بجبل، و إذا الدموع تخرج من بعضه، فقال له: ما يبكيك يا جبل؟ فقال: يا رسول الله، كان المسيح مرّ بي وهو يخوّف الناس بنار وقودها الناس والحجارة، فأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة، قال: لا تخف تلك الحجارة الكبريت، فقرّ الجبل وسكن وهدأ و أجاب(١) و مضمون الجملة يجب أن يكون قصّة معلومة للمخاطب، وهنا كذلك إمّا بالسماع من أهل الكتاب أو من النبي (صلّى الله عليه وآله)، أوبسماع آية سورة

---

(١) الإحتجاج للطبرسي: ج١، ص٢٢٠، إحتجاجه على اليهود من أحبارهم ممن قرأ الصحف والكتب في معجزات النبيّ (صلّى الله عليه وآله) والإحتجاج طويل، لاحظ.

التحريم، ولا يرد أنّ سماعهم على هذه الوجوه لا يفيدهم العلم إذ لا يعتقدون صدق ما يسمعونه، لأنّ المراد بالعلم معناه الأعم.

أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ: أي هيّئت لهم وجعلت عدة لعذابهم، وقرئ (أعتدت) من العتاد بمعنى العدّة.

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ: عطف على الجملة السابقة. والمقصود عطف حال من آمن ووصف ثوابه على حال من كفر وكيفيّة عقابه، على ما جرت به العادة الإلهيّة من أن يشفع الترغيب بالترهيب، تنشيطاً لارتكاب ما ينجي، وتثبيطاً عن اقتراف ما يردي، لا عطف الفعل نفسه حتّى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي فيعطف عليه.

والجنّة المرّة من الجن، وهو مصدر جنّه إذا ستره، ومدار التركيب على الستره بها الشجر المظلل لالتفاف أغصانه للمبالغة، كأنّه يستر ما تحته سترة واحدة.

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ: صفة لجنّات، أي من تحت أشجارها على حذف المضاف، أو أراد الأشجار بالجنّات مجازاً، أو من ضميرها على سبيل الإستخدام. و (من) ابتدائيّة أو تبعيضيّة، فإنّ الماء لا يجري في جميع أسافل الأشجار بل في بعضها. و يحتمل أن يكون المراد في تحتها، على ما مرّ.

والأنهار: جمع نهر بالسكون أو بالفتح، وهوالأفصح. وجاز في ما عينه أو لامه حرف حلق أربعة أوجه: فتح الفاء والعين، وفتح الأوّل وكسر الثاني، وكسرهما، وكسرالأوّل مع سكون الثاني. لكن لم يسمع من هذه الوجوه في النهر إلا إثنان.

وهوالمجرى الواسع فوق الجدول و دون البحر كالنيل والفرات. والتركيب للسعة، والمراد ماؤها على الإضمار، أوالمجاري أنفسها، و اسناد الجري إليها مجاز كما في قوله تعالى: «و أخرجَتْ ٱلأرض أثقالها»(١) أو على التجوّز في المفرد بإطلاق اسم المكان على المتمكّن. واللام فيها إمّا للجنس من غير قصد إلى العموم والإستغراق، كما في قولك: لفلان بستان فيه الماء الجاري، أو بدله من الاضافة، أي أنهارها، أو

---

(١) سورة الزلزلة: الآية ٢.

للعهد، إشارة إلى الأنهار المذكورة في قوله تعالى: «أنهار من ماء غير آسن»(١) والأول أحسن، والثاني مذهب كوفي مرجوح، وقد منعه صاحب الكشاف حيث قال في قوله تعالى: «فإن الجحيم هي المأوى»(٢) المعنى فإنّ الجحيم هي مأواه، وليس الألف واللام بدلاً من الإضافة، لكن لمّا علم أنّ الطاغي هو صاحب المأوى، ولأنّه لا يغضّ الرجل طرف غيره تركت الإضافة(٣)، والثالث مع توقّفه على سبق ذكر المنكر على المعروف، فيه بعد لا يخفى.

و إنّما نعت الجنان بجري الأنهار تحتها، لأنّ الرياض و إن كانت أحسن شيء إذا لم يجر فيها الماء كانت كتماثيل لا أرواح فيها، و صور لا حياة فيها، ولهذا قدّمها على سائر نعوتها. وعن مسروق: أنّ أنهار الجنّة تجري في غير أُخدود(٤)، والأُخدود: الشق المستطيل في الأرض، والمعنى: أنّ تلك الجنّات تجري من تحتها أنهار من ماء و لبن وعسل.

كُلَّمَا رُزِقُوا: صفة ثانية لجنّات، و ترك العاطف بينها تنبيهاً على أنّ كلّ واحد منها صفة على الاستقلال، أو استئناف، كأنّه لمّا قيل: أنّ لهم جنّات، وقع في قلب السامع، أثمارها مثل ثمار الدنيا، أم أجناس أُخر، فأُزيح بذلك، أو خبر مبتدأ محذوف والتقدير: هي أو هم.

و ردّ ذلك الأخير: أنّ تلك الجملة المحذوفة المبتدأ، إن جعلت صفة أو استئنافاً كان تقدير الضمير مستدركاً، و إن جعلت ابتداء كلام لا يكون صفة ولا استئنافاً، فلتكن كذلك بلاحذف.

---

(١) سورة محمد: الآية ١٥.

(٢) سورة النازعات: الآية ٣٩.

(٣) تفسير الكشاف: ج٤، ص٦٩٨.

(٤) الدرالمنثور: ج١، ص٣٨، ولفظ الحديث (... و أخرج ابن المبارك و ابن ابي شيبه وهناد و ابن جرير و ابن أبي حاتم و أبوالشيخ والبيهقي في البعث عن مسروق قال: أنهار الجنة تجري في غير أُخدود، و نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها، و ثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانهاأخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعاً).

و أُجيب: بأنّ تقدير (هي) يظهر معنى الوصفيّة، و بتقدير(هم) يقوى شأن الاستئناف، فلا استدراك.

وفيه ضعف لا يخفى.

مِنْهَا: متعلّق بـ (رزقوا).

مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا: متعلّق به أيضاً، وكلمة (من) فيهما لابتداء الغاية.

فإن قلت: لا يصحّ أن يتعلّق بفعل واحد حرفا جرٍ يتحدان في المعنى عندالنحاة إلّا على قصد الإبدال والتبعيّة.

قلت: لامجال لذلك في الآية الكريمة، فإنّهما ليستا متعلّقتين بفعل واحد، بل بفعلين مختلفين بالإطلاق والتقييد، فالمطلق أعني (رزقوا) جعل مبتدأ من الجنّات و بعد تقييده بالابتداء منها جعل مبتدءً من الثمرة. مع أنّه لقائل أن يمنع عدم صحة الإبدال هاهنا، فإنّه يجوز أن يكون بدلاً من الأُولى بتقدير صفة، أي من ثمرة كائنة منها، وكلا الظرفين لغو لـ (رزقوا)، فلا حاجة إلى أن يجعل الأول حالاً من (رزْقاً) والثاني من ضميره فيها.

قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا: أي هذا الظاهر المحسوس من المرزوق كالمرزوق الذي رزقناه في الشكل واللون، لا في الطعم، فحذف أداة التشبيه، ووجهه للمبالغة كما في زيد أسد.

و يحتمل أن يجعل (هذا) إشارة إلى نوع ما رزقوا، فلا حاجة إلى اعتبار التشبيه، فإنّ نوع المرزوق في الآخرة هونوع المرزوق في الدنيا.

مِن قَبْلُ: أي من قبل هذا في الدنيا. و إنّما جعل الثمران متشابهين، لأنّ الطبع إلى المألوف أميل و إلى تناوله أسرع، و وجود المزيّة أظهر، إذ لو كان جنساً لم يعهد ظنّ أنّه لا يكون إلّا كذلك، و إعجاب النفس به واستغرابه له أشدّ، أو في الجنّة لما روي أن ثمار الجنّة إذا جنيت بدّل الله مكانها مثلها فقالوا: «هذا الذي رزقنا من قبل» لاشتباه الأمر عليهم أو لاستغرابهم إيّاه و ابتهاجهم به. و فيه أن قول ذلك في المرّة الأولى لا معنى له كما يقتضيه عموم (كلّما).

وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا: جملة معترضة بين أوصاف الجنّة لتقرير ما قالوا، أوحال من

فاعل (قالوا) بتقدير «قد» عندالبصرية، كقوله تعالى: «جاؤكم حصرت صدورهم»(١)و بدونه عندالكوفية، وللمرزوق والرزق من حيث وحدتها الجنسية توحّد، ومن حيث أثنينيتهما النوعية تعدّد، فإفراد الضمير للجهة الأُولى، وجعل متشابهاً المقتضي تعدّد الفاعل حالاً عنه بالإعتبار الثاني. والمعنى و أُتوا به متشابهاً به، أي بهذا الجنس حال كونه متشابهاً في كلّ من نوعيه نفسه في الآخر، فرجعه على الوجه الأول هو جنس المرزوق الشامل لكلّ من مرزوق الدنيا و الآخرة، فإنّه يفهم من مضمون ما تقدّم، وعلى الوجه الثاني هوالرزق.

قال علي بن إبراهيم: يؤتون من فاكهة واحدة على ألوان متشابهة(٢).

وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ: الزوج يقال للذكر والأُنثى، وهو في الأصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف. فالذين آمنوا إن كان شاملاً للمؤمنين والمؤمنات تغليباً، فمعنى «لهم فيها أزواج» أنّ للذكور أزواجاً من جنس الإناث، والمراد به إمّا الحور العين، أو نساء الدنيا سلبت عنها القذرات، و إرادة الأعمّ أولى، و للإناث أزواجاً من جنس الذكور. و إن كان خاصاً بالمؤمنين إكتفاء بهم، لأنّه يعرف حال المؤمنات بالقياس إلى حالهم، فعناه أنّ للمؤمنين أزواجاً مطهرّة.

و قرئ مطّهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى مطهّرة و مطهّرات، وهي تؤيّد الإحتمال الثاني، لأنّ القياس على الأول مطهرون، فإنّه لم يعهد تغليب النساء على الرجال. و مطهّرة أبلغ من طاهرة و مطِهّرة، لأنّها تنبيء من أنّ مطهّراً طهرها، وليس هو إلّا الله عزّوجلّ.

والمراد بتطهّرها أن طهرت ممّا يختصّ بالنساء من الحيض والإستحاضة وما لا يختص من الأقذار والأدناس، و يجوز أن يدخل تحته الطهر من ذمائم الأخلاق و قبائح الأفعال.

و إنّما لم يجمع الصفة كالموصوف إذا أتى بها على قاعدة الرجال والنساء فعلت

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٠.

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٣٤.

للتأويل بالجماعة، وهي لغة فصيحة.

وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ: دائمون، والخلد والخلود: يطلق على الثبات المديد الدائم و على غير الدائم بالإشتراك المعنوي أواللفظي أوالحقيقة والمجاز، والأوّل أولى نفياً للتجوّز والإشتراك اللذين هما خلاف الأصل، ومنه قيل للأثافي والأحجار خوالد، و للجزء الذي يبقى من الإنسان على حاله مادام حيّا خلداً. وقيل: و إلّا يلزم أن يكون التقييد بالتأبيد في قوله تعالى «خالدين فيها أبداً»(١) لغواً. و بالجملة المراد به الدوام هنا عندالجمهور، لما يشهد له من الآيات والسنن.

ثم إنّ مجامع اللّذات المسكن والمطعم والمنكح، فوصف الله تعالى المسكن بقوله: «جنّات تجري من تحتها الأنهار» والمطعم بقوله: «كلّما رزقوا منها من ثمرة» والمنكح بقوله: «ولهم فيها أزواج مطهرّة».

ثم إن هذه الأشياء إذا حصلت وقارنها خوف الزوال كان التنعّم بها منقصاً، فأزال تعالى هذا الخوف عنهم بقوله: «وهم فيها خالدون» فصارت الآية دالة على كمال التنعمّ والسرور.

فإن قلت: فائدة المطعوم هوالتغذّي و دفع ضرر الجوع، و فائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع.

قلت: مطاعم الجنّة ومناكحها و سائر أحوالها إنّما تشارك نظائرها الدنيويّة في بعض الصفات والإعتبارات، و تسمّى بأسمائها على سبيل الإستعارة والتمثيل، ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتّى تستلزم جميع ما يلزمها و تفيد عين فائدتها.

فإن قيل: الأبدان مركّبة من أجزاء متضادة الكيفيّة معرضة للاستحالة المؤدّية إلى الإنفكاك والإنحلال، فكيف يعقل خلودها في الجنان؟

قلت: إنّ الله تعالى يعيدها بحيث لا تعتورها الإستحالة، بأن يجعل أجزاءها مثلاً متفاوتة في الكيفيّة، متساوية في القوّة لا يقوى شيء منها على إحالة الآخر، متعانقة متلازمة لا ينفكّ بعضها عن بعض، كما في بعض المعادن.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٧، ١٢٢، ١٦٩، وغيرها من السور.

وفي أُصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن أحمدبن يونس، عن أبي هاشم قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): إنّما خلّد أهل النار في النار، لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، و إنّما خلّد أهل الجنة في الجنّة، لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خُلّد هؤلاء و هؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: «قل كل يعمل على شاكلته» قال: على نيّته(١).

والطائفة الإماميّة هي المقصودة من الآية، فإنّ من لم يؤمن بخلافة علي (عليه السلام) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بلاواسطة لم يؤمن بالقرآن، فهو خارج عن ربقة الإسلام.

يدلّ على ما ذكرناه ما رواه ثقة الإسلام في الكافي عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: نزل جبرئيل بهذه الآية على محمّد (صلّى الله عليه وآله) هكذا «و إن كنتم في ريب ممّا نزلّنا على عبدنا في علّي فأتوا بسورة من مثله» (٢)

قال بعض الفضلاء: و إن أردت تأويل الآية في بعض بطونها، فاعلم أنّ الجنّات ثلاثة:

جنّة الإختصاص الإلهي: وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا، والمجانين الذين ما عقلوا، و أهل الفترات، ومن لم تصل إليه دعوة عن رسول.

والجنّة الثانية: جنّة ميراث ينالها كلّ من دخل الجنة ممّن ذكرنا ومن المؤمنين، وهي الأماكن التي كانت معيّنة لأهل النار لو دخلوها.

والجنّة الثالثة: جنّة الأعمال، وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم، فمن كان له من الأعمال أكثر كان له من الجنّات أكثر، وفي شأن هذه الجنّة ورد ما عن النبي (صلّى الله عليه وآله): إنّ الجنّة قاع صفصف ليس فيها عمارة، فأكثروا من غراس الجنّة في الدنيا، قيل يا رسول الله: وما غراس الجنّة؟ قال (صلّى الله عليه

---

(١) الكافي: ج٢، ص٨٥، كتاب الإيمان والكفر، باب النية، ح٥.

(٢) الكافي: ج١، ص٤١٧، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح٢٦.

وآله): فهذه الجنّة ما فيها من الأشجار والأنهار والثمرات وغيرها من الحور والقصور والغلمان والولدان هي أعمالهم و أخلاقهم ومقاماتهم و أحوالهم مثّلت وصوّرت في أمثلة وصور مناسبة، ثم ردّت إليهم، ولهذا يقال لهم: إنّما هي أعمالكم تردّ إليكم(١).

و هذه الآية الكريمة إشارة إلى بشارة أهل هذه الجنّة. يعني بشّرالذين تحقّقوا بالعلوم والمعارف الإيمانيّة المبتنية عليها الأعمال الصالحة والأفعال الحسنة، أنّ لهم جنّات من أشجار ونخيل و أعناب، وهي صور هذه الأعمال والأفعال، تجري من تحتها الأنهار، أي أنهار تلك العلوم والمعارف النابتة أصول هذه الأشجار و فروعها منها، كلّما رزقوا منها من ثمرة، هي من صور نتائج أعمالهم، و تنبّهوا لما بين الصورة و ذي الصورة من المناسبة والمشابهة، قالوا: هذا المرزوق في الجنّة بعينه هوالذي رزقنا من قبل في الدنيا. وهذا كما إذا رأيت ليلة أنّك تشرب اللبن وحصل لك غذاءها نوع من العلم، و تنبّهت لما بين ما رأيته في المنام و بين ما حصل لك من العلم من المشابهة، فإنّ اللبن كما أنّه غذاء صالح للأبدان كذلك العلم صالح للقلوب والأرواح، قلت: هذا ما رأيته البارحة في المنام و أُتيت بما رزقته في النوم واليقظة متشابهاً، أي يشابه كلّ واحد منها الآخر، وعلى هذاالقياس معنى أُتوا به متشابهاً ولهم فيها من صور أبكار المعاني الغيبيّة التي تقتضيها خصوصيّات استعداداتهم أزواج مطهّرة من ملابسة الأغيار لم يطمثهن إنس ولا جان، وهم فيها خالدون، أي دائمون لا يبرحون عنها.

وفي قوله: وهم فيها خالدون و إن كان لهم بشارة بالدوام والبقاء، ولكن فيه تعريض بشأنهم أنّهم أخلدوا إلى أرض هذه الجنّة فلا يبرحون عنها إلى ما فوقها، ولا يترقون إلى جنّات النعيم وجنّة الذات، لكنّهم ينزلون إلى جنّات الأفعال و يتخطّون بما فيها من غير تقييد بشيء منها، رزقنا الله و إيّاكم معالي الأمور، وهو سبحانه الودود والغفور.

---

(١) تفسير سورة يس لصدر المتألهين الشيرازي: ج٥، ص١٨٧.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾: لـمّا كانت الآيات السابقة مشتملة على أقسام من التمثيل، عقّب ذلك ببيان حسنه، وما هو الحق له، وما هو شرط فيه من موافقته للممثل له من الجهة التي تعلّق بها التمثيل في العظم والصغر والشرف والخسّة، دون الممثّل، فإنّ التمثيل إنّما يصار إليه لكشف المعنى الممثّل له و رفع الحجاب عنه و إبرازه في صورة المشاهد المحسوس، ليساعد فيه الوهم والعقل و يصالحه، فإنّ المعنى الصرف إنّما يدركه العقل مع منازعة من الوهم، لأنّ من طبعه ميل الحسّ وحبّ المحاكمات، لما قاله الجهلة: من أنّ ضرب المثل بالمحقّرات كالنحل والذباب والعنكبوت والنمل لا يليق بكلام الفصحاء من المخلوقين و يخل بفصاحته، فكيف يليق بالقرآن الذي تدّعون أنّه كلام الله بالغ في الفصاحة حدّ الإعجاز؟

وعن الحسن وقتادة: أنّه لـمّا ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب به للمشركين المثل ضحكت اليهود، وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله سبحانه هذه الآية(١) وقال: إنّ الله لا يترك ضرب المثل ببعوضة ما ترك من يستحيي أن يمثّل بها لحقارتها، وقد مثّل في الإنجيل بالنخالة، لمن يقول بالبرّ ولا يعمل به كالمنخل يخرج المنخول المختار و يمسك النخالة، قال: لا تكونوا كمنخل يخرج منه الدقيق و

---

(١) مجمع البيان: ج١، ص٦٧، سبب نزول قوله تعالى: «إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً».

يمسك النخالة كذلك أنتم تخرج الحكمة من أفواهكم و تبقون الغل في صدوركم. و بالحصاة للقلوب القاسية حيث قال: «قلوبكم كالحصاة لا تنضجها النار ولا يلينها الماء ولا تنسفها الرياح. و بالزنابير لمقاولة السفهاء، لما في إثارتها من الضرار، قال: لا تثيروا الزنابير فتلدغكم فكذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتمون.

والاستحياء: من الحياء، وهو انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم. وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها، والخجل: هو انحصار النفس عن الفعل مطلقاً و اشتقاقه من الحياة، يقال حيي الرجل إذا اعتلّت قوّته الحيوانيّة، كما يقال: نساه وحشاه، والنّسا بفتح النون والقصر: عرق يخرج من الورك فيتبطن الفخدين ثم يمرّ بالعرقوب حتّى يبلغ الحافر، ومنه مرض عرق النسا، والحشا ما احتوت عليه الضلوع، فكأنّه جعل الحيي لما يعتريه من التغير والإنكسار منقص الحياة، كما يقال: هلك أو مات أو ذاب حياءً من كذا. و استحيى بمعنى حيي كاستقرّ بمعنى قرّ، و يتعدّى بنفسه و بحرف الجر، يقال: استحييته و استحييت منه، والآية تحتمل الوجهين. و إنّما أتى بالمزيد لما في المجرّد من توهّم نفي الحياة.

و روى ابن كثير يستحيي بياء واحدة(١) و وجهه أنّه استثقل اجتماع اليائين فحذفت إحداهما بعد نقل حركتها إلى ما قبلها. ولمّا لم يجز على الله تعالى التغيّر والخوف والذمّ، لم يجز وصفه بالحياء اللازم من نفي الاستحياء المقيّد، فإنّه يفهم منه ثبوت مطلق الاستحياء.

كما يدلّ عليه حديث سلمان ـ رحمة الله عليه ـ صريحاً حيث قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إنّ الله حيي كريم يستحي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردّهما صفراً حتى ينزل فيهما خيراً(٢).

---

(١) تفسير الكشاف: ج١، ص١١٤.

(٢) أخرجه في جامع الأصول: ج٥، ص١١، في الفصل الثاني في هيئة الداعي، تحت رقم ٢١١٩ عن سلمان الفارسي وليس فيه جلة (حتى ينزل فيها خيراً) و زاد كلمة خائبين. و رواه في كنزالعمال: ج٢، ص٨٧، في آداب الدعاء تحت رقم ٣٢٦٦ و ٣٢٦٧ و ٣٢٦٨، عن علي و عن ابن عمر.

فلابد أن يراد ماهي سبب عنه أعني ترك ما يستحي عنه، فيكون مجازاً من باب إطلاق السبب على المسبّب، أو يجعل من قبيل الاستعارة التمثيليّة، بأن يشبّه حال الله سبحانه مع ضرب المثل بالمحقّرات بحال المستحيي مع ما يستحيي منه، فكما أن المستحيي يترك ما يستحيي منه كذلك سبحانه يترك ضرب المثل بالمحقّرات، فإذا نفى ذلك المعنى صار المعنى أنّه ليس حاله سبحانه مع ضرب المثل بها كحال المستحيي مع ما يستحيي منه في الترك ، فلا يترك سبحانه ضرب المثل كما يترك المستحيي ما يستحيي منه.

فإن قلت: يلزم حينئذٍ وقوع الفعل، فيشكل ذلك من أنّه ما وقع في القرآن ذكر البعوضة والتمثيل بها ولا ذكر ما فوقها إذا أُريد به ما فوقها في الحقارة.

قلت: كما أنّ للاستحياء لازماً هو ترك المستحيي منه، كذلك لعدم الاستحياء لازم هو جواز وقوع الفعل، فإنّه لا يلزم من عدم السبب إلّا جواز وقوع المسبّب(١) لا وقوعه،فيصير المعنى أنّ الله سبحانه يجوز أن يقع منه ضرب المثل بالبعوضة فما فوقها، ولا شكّ أنّ الجواز لا يستلزم الوقوع.

و يجوز أن تكون هذه العبارة ممّا وقعت في كلام الكفرة فقالوا: أما يستحيي ربّ محمّد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت؟ فجاءت هنا على سبيل المشاكلة، وهي أن يذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته، كقوله:

قالوا: اقترحْ شيئاً نجدْ لَكَ طبخَهُ قلتُ: اطبخوا ليَ جُبةً و قيصاً(٢)

---

(١) في هامش بعض النسخ ما لفظه (لأنه يجوز حينئذٍ وقوع المسبب بسبب آخر، ولا يجب لجواز أن لايكون له سبب آخر، منه).

(٢) هومن بيتين لأبي الشمقمق، وكان له أربعة أصحاب اجتمعوا يوماً و أرسلوا إليه أن يأتيهم و أن يشتهي طعاماً يطبخونه وكان عرياناً ليس له ثوب يستره وكان الوقت بارداً، فكتب اليهم هذين البيتين، وقبله:

إخواننا عزموا الصبوح بسحرة فأتى رسولهم اليّ خصيصا

فأرسل إليه كل واحد منهم خلعة وعشر دنانير، فلبس إحدى الخلع و سار إليهم. جامع الشواهد: باب القاف بعده الالف، ص٢١٢.

وقد يجاب بأن وقوعها في القرآن إنما هو بالنظر إلى هذه الآية. و بأنّ ترك ضرب المثل بالبعوضة وبما فوقها يكون بتركهما جميعاً، فهو في قوّة السلب الكلّي وهو يرتفع بالإيجاب الجزئي، فليكن صدق نفي تركهما بوقوع ضرب المثل بما فوق البعوضة.

والأوّل ضعيف، فإنّها لم يقع على قصد التمثيل لها و إن تكلّف، و يقال: المراد أنّه لا يستحيي أن يضرب بها مثلاً للآلهة، فإنّ المتبادر أنّها إخبار عمّا وقع خارجاً عن هذا الكلام.

والثاني: لا يتأتى إلّا على تقدير أن يراد بما فوقها ما يفوقها في العظم، مع أن حمله على ما يفوقها في الحقارة إن لم يكن أولى فلا أقلّ من أن يكون مساوياً.

قال العلّامة السبزواري: المعنى لا يدع ضرب المثل بالأشياء، الحقيرة كالبعوضة، فضلاً عمّا هو أكبر منها كالذباب والعنكبوت وما هو أعظم منها، أو كالبعوضة فما فوقها في الصغر والحقارة، لأنّ جناح البعوضة أصغر منها، وقد ضرب به المثل، و قد خلق الله من الحيوان ما هو أصغر حجماً من البعوضة بكثير.

أقول: لا يخفى على ما حقّقناه ما فيه، فإنّه يدلّ على أنّه ضرب المثل بالبعوضة وما هو أصغر منها، وليس كذلك.

و أمّا ما روي عن الصادق (عليه السلام) من أنّه قال: إنّما ضرب الله المثل بالبعوضة، لأنّ البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره و زيادة عضوين آخرين، فأراد الله سبحانه أن ينبّه بذلك المؤمنين على لطف خلقه وعجيب صفته(١).

فلا يدلّ على أنّ ضرب المثل بالبعوضة واقع من الله، بل على أنّه جاز وقوعه لهذا الوجه، وهذا المعنى و إن كان خلاف ما هو المتبادر من لفظ الحديث، لكن يجب أن يصار إليه عند قيام القرينة.

أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا: في محل النصب إمّا على أنّه مفعول الفعل المتقدّم، أو بنزع الخافض، أو الجرّ بتقديره، كما في: الله لأفعلنّ.

---

(١) مجمع البيان: ج١، ص٦٧، في تفسير لقوله تعالى: «إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً».

و ضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم، و أصله إيقاع شيء على شيء، كضرب الشيء باليد والعصا والسيف ونحوها، وضرب الدراهم اعتباراً بضربه بالمطرقة، والضرب في الأرض: الذهاب فيها، وهوضربهابالأرجل، وضرب الخيمة لضرب أوتادها بالمطرقة، و ضرب المثل هو من ضرب الدراهم، وهو ذكر شيء يظهر أثره في غيره، والاضطراب: كثرة الذهاب في الجهات من الضرب في الأرض.

و «مثلاً» منصوب على أنّه مفعول به ليضرب، و «بعوضة» بدل منه أو عطف بيان، أو مفعول ليضرب، ومثلاً حال تقدّمت لأنّه نكره، أوهما مفعولاه لتضمينه معنى الجعل، أو لتجوّزه عنه، و يكون مثلاً مفعوله الثاني لأنّه المناسب بحسب المعنى.

و قرئ بعوضة بالرفع على أنّه خبر مبتدأ محذوف.

و (ما) هذه إبهاميّة تزيد للنكرة إبهاماً وعموماً تسدّ عنها طرق التقييد، فإمّا اسم يقع صفة للنكرة، فمعنى قوله (مثلاً ما) مثلاً أي مثل، و إمّا زائدة فتكون حرفاً، لأنّ زيادة الحرف أولى من زيادة الأسماء، لاستبدادها بالجزئيّة، و أيضاً ثبت زيادتها في نحو «فبما رحمة من الله لنت لهم»(١) بالحمل على ما ثبت في موضع الإلتباس.

و فائدة (ما) هذه إمّا التحقير نحو: هل أعطيت إلّا عطيّة مّا، أوالتعظيم نحو: لأمر مّا يسود من يسود، أو التنويع نحو: اضربه ضرباً ما،أي نوعاً من أنواعه أيّها كان، و تجتمع هذه المعاني كلّها في الإبهام، و تأكيد التنكير، أي عطيّة لا تعرف من حقارتها، و أمر مجهول العظمة، وضرباً مجهولاً غيرمعيّن. أوغيرإبهاميّة، بل هي حرف زيدت لتأكيد معنى آخر غير التنكير والإبهام، فهي هنا إمّا لتأكيد ضرب المثل، أو نفي الاستحياء، أي يضرب المثل البتة، أو لا يستحيي البتة، و إمّا موصولة و ذلك بشرط أن تقرأ بعوضة مرفوعة و تجعل مع مبتدئها المحذوف صلة، و إمّا موصوفة والجملة صفة ومحلّها النصب على البدليّة أوالإختصاص، و إمّا استفهاميّة مرفوعة المحل على أنّها مبتدأ و بعوضة خبرها، فإنّه لمّا قال في ردّ استبعادهم ضرب الله

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

الأمثال بالمحقّرات. إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً، لا يبعد أن يقال معناه للمبالغة في الردّ، أنّ لله التمثيل بأشياء محقّرة لا يتأتّى لكم أن تدركوها من الحقارة، فيحسن إردافه بما الى آخره، و معناه أي شيء البعوضة فما فوقها حتّى لا يمثل بهما، بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك، و نظيره فلان لا يبالي بإعطاء المئات والألوف من الدينار، ما دينار وما ديناران حتّى لايعطي. و أمّا زائدة أو صفة لنكرة و بعوضة خبر مبتدأ محذوف، أي مثلاً هو بعوضة.

والبعوض من البعض، وهوالقطع كالبضع والعضب، ومنه بعض الشيء فإنّه قطعة منه، فمدار هذه الحروف على القطع كيفما تترتّب، فهو في أصله صفة على فعول كالقطوع، فغلب على البقّة كالخموش بفتح الخاء، فإنّه أيضاً صفة على فعول من خمش وجهه يخمشه أي يخدشه، فغلبت عليها.

و (ما) في ما فوقها إن نصبنا بعوضة كانت معطوفة عليها، موصولة أو موصوفة صلتها أو صفتها الظرف؛ و إن رفعناها وجعلنا (ما) الأُولى موصولة أو موصوفة أو استفهاميّة، فالثانية معطوفة عليها، أو على بعوضة، و إن جعلنا (ما) زائدة أو صفة نكرة و بعوضة خبراً لهو مضمراً، كانت ما معطوفة على بعوضة، و إن جوّز حذف الموصول مع بعض الصلة، يجوز أن تكون (ما) في فما استفهاميّة، أي فما الذي هو فوق البعوضة، والمعنى أنّ لله التمثيل بالبعوضة، فأيّ شيء ما هو فوق البعوضة كالذباب والعنكبوت حتّى لا يمثل به، وحينئذٍ يكون في غاية الطباق لكلام الكفرة، هذا إذا لم تكن (ما) الأُولى استفهاميّة، فإذا كانت هي أيضاً استفهاميّة يكون ترقياً على ترق.

و المعنى أن لله التمثيل بأحقر شيء فأيّ شيء البعوضة حتّى لا يمثل بها، و بعد ذلك أيّ شيء ما فوق البعوضة كالذباب والعنكبوت حتّى لا يمثل به، ومعنى ما فوقها، أي في الكبر، وهو أوفق لكلام الكفرة، أو في الصغر وهو أشد مبالغة في ردّهم، وما فوق في الصغر هو جناحها كما ضربه (عليه السلام) مثلاً للدنيا.

روي عن الترمذي، عن سهل بن سعد، عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

لوكانت الدنيا تعدل عندالله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء(١).

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ: (أمّا) بفتح الهمزة وتشديد الميم في جميع اللغات إلّا عند بني تميم فإنّهم يقولون: أيما(٢) حرف تفصيل كإمّا بكسر الهمزة مطلقاً عند المبرّد، و أمّا الأُولى عند غير المبرّد يفيد تفصيل مجمل متعدّد سابق في الذكر، صريحاً كقولك جاءَ في القوم أما العلماء فكذا و أما الجهلاء فكذا؛ أو في الذهن من غير سبق ما يدلّ عليه بوجه كقولهم في صدر الكتب أمّا بعد؛ أو مع سبقه كما نحن فيه من الآية، لأنّ قوله تعالى: «إنّ الله لا يستحيي» دلّ على أنّ ثمّة من تداخله شبهة على ما مرّ و يخطر منه بالبال يقابله، فيحصل في الذهن متعدّد يفصله أمّا. و يتضمّن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء، قال سيبويه: أمّازيد فذاهب، معناه مهمايكن من شيء فزيد ذاهب(٣)، أي هو ذاهب لا محالة و أنّه منه عزيمة، ففي تصدير الجملتين به مبالغة في محمدة المؤمنين ومذمّة الكافرين، وكان الأصل دخول الفاء على الجملة لأنّها الجزاء، لكنّهم كرهوا إيلاءها حرف الشرط فأدخلوا الخبر وعوّضوا المبتدأ عن الشرط، فالذين آمنوا مبتدأ، و يعلمون خبره.

أَنَّهُ ٱلْحَقُّ: في موضع مفعول (يعلمون)، والحق أنّ «أنّ» الواقعة بعدالعلم لا يغيّر معنى الجملة، أي لا يؤلها إلى المفرد، فجزاء الجملة منصوبان محلاً على أنّها مفعولان.

والحق في اللغة: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، يعمّ الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة، من قولهم: حقّ الأمر إذا ثبت، ومنه ثوب محقّق محكم النسج، و في العرف الأخير يخصّ الأخيرين، وفي اصطلاح أرباب المعقول يخصّ الأخير، فيقولون للأقوال المطابقة للواقع صادقة و كاذبة باعتبارين.

والضمير في (أنّه) للمثل، أو لضربه، أو لترك الاستحياء.

---

(١) سنن الترمذي: ج٤، كتاب الزهد، ص٥٦٠، باب ١٣، ما جاء في هوان الدنيا على الله عزّوجل، ح٢٣٢٠.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٦٦.

(٣) تفسير الكشاف: ج١، ص١١٧.

﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾: في محل النصب على أنّه حال من الحق، أي كائناً و صادراً من ربهم، أو من الضمير المستكن، وهو العامل فيه، لكونه مشتقاً، والمعنى أنّه حقّ حال كونه من ربّهم، أو في محل الرفع على البدليّة من الحقّ، و يحتمل أن يجعل ظرفاً لغواً للحق أو ليعلموا.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ﴾: إنّما قال ذلك ولم يقل فلا يعلمون كما هو مقتضى المقابلة، لأنّ قولهم ذلك يستلزم عدم علمهم بالحق، فكان كذكره مبرهناً عليه، ولأنّ مذمّتهم بنفي العلم إنّما هي للتقصير في أسباب حصوله، بخلاف القول السيء فإنّه مذموم لذاته.

﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ﴾: (ما) للاستفهام مرفوع المحل على أنّه مبتدأ، و (ذا) بمعنى الذي موصول وهو مع صلته خبره، أو منصوب المحل على أنّه مفعول (أراد) قدّم عليه وجوباً لتضمّنه معنى الإستفهام، و كلمة (ذا) حينئذٍ تكون زائدة لتزيين الفعل. وعلى التقدير الثاني يكون (ما) مع (ذا) كلمة واحدة بمعنى أي شيء، والأصوب على الأوّل رفع جوابه وعلى الثاني نصبه، ليشاكل الجواب السؤال، و يجوز العكس بناءً على تأويل الأول بأراد كذا والثاني بمراد كذا لتحصل المشاكلة، أو بدونه، والاستفهام للتعجّب والإنكار.

والإرادة: ضد الكراهة، وهي مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك.

وفي عرف المتكلّمين: نزوع النفس وميلانها إلى الفعل بحيث يحملها عليه، و يقال للقوّة التي هي مبدأ النزوع.

و شيء من تلك المعاني لا يتصوّر اتصاف الباري تعالى به، و لذلك اختلف في معنى إرادته، فقيل: إرادته لأفعاله أنّه غير ساهٍ ولا مكره ولا يقال غيره، أمره بها، فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته. وقيل: علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل والوجه الأصلح، فإنّه يدعو القادر على تحصيله. وقيل: ترجيح أحد مقدوريه على الآخر و تخصيصه بوجه دون وجه، أو معنى يوجب هذا الترجيح، وهي أعم من الأختيار، فإنّه ميل مع تفصيل.

بِهَٰذَا مَثَلًا: متعلّق بأراد، والمشار إليه (بهذا) هو ما يرجع إليه الضمير في قوله (أنّه الحق).

ومثلاً نصب على التميز، كقولك لمن حمل سلاحاً رديئاً: كيف تنتفع بهذا سلاحاً؟ عن نسبة التعجب و الإنكار إلى المشار إليه، إذ لا إبهام فيه هنا، لأنّه المثل، أو يقال لمن تعدّد المشار إليه بهذا بحسب الإحتمال غيره بقوله مثلاً لتعين ما هو المقصود، فلا يرد أنّه لو كان هذا إشارة إلى المثل لصار المعنى ما أراد الله بالمثل مثلاً، ولا يحتاج أن يجاب بأنّ المشار إليه هو الذات من وصف المثلية. وفي لفظ هذا استحقار و استرذال لشأنه، أو على الحالية من اسم الإشارة، والعامل فيه إمّا الفعل المذكور أو فعل التعجّب والإنكار المفهوم من الإستفهام، أو فعل الإشارة والتنبيه المفهومين من هذا، فحينئذٍ يكون ذو الحال الضمير المجرور في عليه أو إليه كما في قوله تعالى «هذه ناقة الله لكم آية»(١).

ولا يخفى أن في تفصيل هاتين الجملتين توضيحاً لما ذكر من قبل من اختصاص المتقين بكون الكتاب هدى لهم دون غيرهم.

ويزيد في هذا التوضيح ما أردفهما به، أعني قوله: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً»

يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا: جواب ماذا، أي إضلال كثير وإهداء كثير.

وضع الفعل موضع المصدر، لإرادة الحدوث والتجدّد، أو بيان للجملتين المصدريّتين بإمّا و تسجيل بأنّ العلم بكونه حقاً هدى و بيان، و أنّ الجهل بوجه إيراده والإنكار لحسن مودّته ضلال وفسوق، و كثرة القبيلتين حقيقة، لا بالقياس إلى مقابلهم، فإنّ المهتدين قليلون بالنظر إلى أهل الضلال كما قال الله «وقليل من عبادي الشكور»(٢) وقال (عليه السلام): كإبل مئة لا تجد فيها راحلة(٣).

---

(١) سورة الاعراف: الآية ٧٣.

(٢) سورة سبأ: الآية ١٣.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج٢، ص٧، ولفظه: (قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): إنما الناس كإبل مئة لا يوجد فيها راحلة).

و إن كانت إضافيّة لكثرة الضالّين من حيث العدد، وكثرة المهتدين باعتبار الفضل والشرف، كقوله:

قَليلٌ اذ عُدّوا، كثيرٌ إذا شَدّوا (١)

وقوله:

إنّ الكِرامَ كثيرٌ في البلادِ و إنْ قلّوا كما غيرُهُمْ قَلٌّ وإنْ كَثُروا(٢)

و إسناد الإضلال و الإهداء، إمّا بناءً على أن معناه، أنّه أضلّ قوماً ضالاً، و أهدى قوماً مهتدياً، كما يدلّ عليه قوله: «وما يضلّ به إلاّ الفاسقين»(٣) أي إلاّ فاسقاً ضالاً. أو بناءً على أنّهما سبب، والمعنى أنّ الكفار يكذبون به و ينكرونه و يقولون: ليس هو من عندالله، فيضلّون بسببه، والمؤمنين لما صدّقوا به وقالوا: هذا في موضعه فيهتدون بسببه. أو بناءً على أنّ أضلّه بمعنى نسبه إلى الضلال، و أكفره إذا نسبه إلى الكفر.

قال الكميت(٤):

فَطائِفَةٌ قَدْ أكْفَرُوني بِحُبِّكُمْ وَ طائِفَةٌ قالُوا مُسيءٌ وَ مُذْنِبُ(٥)

أو بناءً على أنّ الإضلال بمعنى الإهلاك والتعذيب، ومنه قوله تعالى: «ءَإذا ضللنا في الأرض» (٦) أي أهلكنا.

و بناءً على أنّ الإضلال بمعنى التخلية على وجه العقوبة، و ترك المنع بالقهر، ومنع الألطاف التي تفعل بالمؤمنين جزاءً على إيمانهم، ومنه: (أفسدت سيفك) لمن لا يصلح سيفه.

و أمّا ما يقال: من أنّ إسناد الإضلال و سائر الأفعال إلى الله سبحانه، إسناد

(١و٢) لم نظفر على قائلها مع ان اكثر المفسرين استشهدوا بها.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦.

(٤) هو أبوالمستهل، الكميت بن زيد الأسدي المتولد سنة ستين والمتوفى سنة ستة و عشرين و مئة، من شعراء أهل البيت ومادحيهم وصاحب القصيدة المعروفة (من لقب متيم مستهام).

(٥) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٦٨.

(٦)سورة السجدة: الاية ١٠.

الفعل إلى الفاعل الحقيقي الذي لا مؤثّر في الوجود عند الحكماء المتألّهين والصوفيّة المحقّقين وجمهور أهل السنّة والجماعة. إلّا هو فيؤدّي إلى التظليم والتجوير على ما يذهب إليه المجبّرة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والباء في الموضعين على جميع التقادير للسببيّة.

والهداية في القرآن تقع على وجوه:

الأول: الدلالة والإرشاد، وهو بهذا المعنى شامل لجميع المكلّفين، فلا تكون بهذا المعنى مرادة في الآية.

الثاني: زيادة الألطاف التي بها يثبت على الهدى.

الثالث: الإثابة، ومنه قوله تعالى: «والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضلّ أعمالهم، سيهديهم ويصلح بالهم»(١).

الرابع: الحكم بالهداية.

الخامس: جعل الإنسان مهتدياً بأن يخلق الهداية فيه، كما يجعل متحرّكاً بجعل الحركة فيه.

وكلّ واحد من هذه الوجوه الأربعة الأخيرة يمكن أن يكون مراداً في تلك الآية.

وقدّم الإضلال على الهداية لزيادة الإهتمام بتعريفهم وتوبيخهم به، ولذلك سجّل عليهم بمجامع الكفر والطغيان وختمها بأن حصر فيهم الخسران، بقوله: «وما يضلّ به إلّا الفاسقين».

وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ وقرئ «يضلّ به كثير وما يُضَلُّ به إلّا الفاسقون» على البناء للمجهول في الموضعين، ورفع كثير والفاسقون.

والفسق لغة: الخروج، يقال: فسقت الرطبة عن قشرها، أي خرجت.

قال رؤبة: فَواسِقاً عَنْ قَصْدِها جَوائِراً (٢).

---

(١) سورة محمّد: الآية ٤.

(٢) وصدر البيت. يذهبن في نجد وغوراً غائراً، لرؤبة بن العجاج، وقيل لذي الرمة يصف نوقاً تمشي في المفاوز، خارجات عن طريق الاستقامة، مجاوزات حده، وبيّن ذلك بقوله: يذهبن، وروى يهوين، أي يسرعن تارة في مكان مرتفع، وتارة في غور، أي في مكان كثير الإنخفاض، فغور نصب على الظرفية ←

والفاسق في الشرع: الخارج عن أمرالله بارتكاب الكبيرة، ومن الكبائر الإصرار على الصغيرة، فلا حاجة إلى ذكره.

وله ثلاث مراتب:

أوّلها: التغابي، وهو أن يرتكبها أحياناً مستقبحاً إيّاها.

ثانيتها: الإنهماك ، وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها.

وهو في هاتين المرتبتين، مؤمن فاسق، لا تصافه بالتصديق الذي هو مسمّى الإيمان.

وثالثتها: أن يرتكبها مستصوباً إيّاها، فإذا شارف هذه المرتبة خلع ربقة الإيمان عن عنقه ولابس الكفر.

والمراد به في الآية يحتمل أن يكون أعم، و أن يكون مخصوصاً بالمعنى الأخير، لكنه أحسن.

والمراد به في قوله تعالى: «إنّ المنافقين هم الفاسقون»(١) هوالمعنى الأخير.

و بهذا يندفع ما قاله البيضاوي: من أنّ المراد به الخارجون عن حدّالإيمان، لقوله تعالى: «إن المنافقين هم الفاسقون»(٢).

والمعتزلة لمّا قالوا: الإيمان عبارة عن مجموع التصديق والإقرار والعمل، والكفر تكذيب الحق وجحوده، جعلوه قسماً ثالثاً بين منزلتي المؤمن والكافر، لمشاركة كلّ واحد منهما في بعض الأحكام.

قال صاحب الكشاف: معنى كونه (بين بين) أنّ حكمه حكم المؤمن في أنّه يناكح و يوارث و يغسّل و يصلّى عليه و يدفن في مقابر المسلمين. وهو كالكافر في الذمّ واللعن والبراءة منه و اعتقاد عداوته(٣).

و حصر الإضلال فيهم مرّتباً على الفسق، يدلّ على أنّه الذي أعدّ لهم الإضلال

وغائراً وصف مؤكد ـ نقلاً عن هامش تفسير الكشاف: ج١، ص١١٩.

(١) سورة التوبة: الآية ٦٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ج١، ص٤١.

(٣) الكشاف: ج١، ص١١٩.

بضرب المثل، فطلبوا بلسان الاستعداد أن يوجد فيهم صفة الضلال به، فوجد فيهم فأنكروه و انتهزوا به.

أقول: يحتمل أن يكون قوله: يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً، مقول قول الكافرين، فحينئذٍ لا حاجة في إسناد الضلال إلى الله إلى هذه التوجيهات.

يدلّ على ذلك ما رواه علي بن إبراهيم، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن المعلّى بن خنيس، عن أبي عبدالله (عليه السلام): إنّ هذا المثل ضربه الله لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، فالبعوضة أمير المؤمنين (عليه السلام) وما فوقها رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، والدليل على ذلك قوله تعالى: «فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنّه الحقّ من ربّهم» يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) كما أخذ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الميثاق عليهم له، «و أمّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً» فردّ الله عليهم فقال: «وما يضلّ به إلّا الفاسقين». إلى آخر الآية(١).

والمراد من قوله (عليه السلام): إنّ هذا لمثل ضربه الله لأمير المؤمنين، أنّه يصير مصداق البعوضة المذكورة في الآية أمير المؤمنين، لا أنّ المثل بالبعوضة وقع له، ومن قوله: «فالبعوضة أمير المؤمنين» أنّه مع عظمته بالنسبة إلى جبروته تعالى، ليست له عظمة، و أنّه بالنسبة إليه تعالى كالبعوضة بالنسبة إلى المخلوقين.

يدلّ على ذلك ما روي في التفسير المنسوب إلى مولانا العسكري (عليه السلام)، من أنّه قيل للباقر (عليه السلام): إنّ بعض من ينتحل موالاتكم يزعم أنّ البعوضة عليّ و أنّ ما فوقها وهو الذباب محمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال الباقر (عليه السلام): سمع هؤلاء شيئاً لم يضعوه على وجهه، إنّما كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قاعداً ذات يوم وعلي (عليه السلام) إذ سمع قائلاً يقول: ماشاء الله ثم

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣٤، والبرهان: ج١، ص٧٠. و تمام الحديث (الذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه في عليّ و يقطعون ما امرالله به أن يوصل يعني من صلة أميرالمؤمنين والأئمة (عليهم السلام)، و يفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون).

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

ماشاء محمد، ماشاء الله ثم ما شاء عليّ، إنّ مشيئة الله هي القاهرة التي لا تساوىٰ ولا تكافى ولا تدانى، وما محمد رسول الله في الله وفي قدرته إلّا كذبابة، وما عليّ في الله و في قدرته إلّا كبعوضة في جملة هذه المماليك، مع أنّ فضل محمّد وعلي الفضل الذي لا يفي به فضل على جميع خلقه من أول الدهر إلى آخره، هذا ما قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في ذكر الذباب والبعوضة في هذا المكان، فلا يدخل في قوله: «إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة» انتهى(١).

أقول: ولا يذهب عليك بعد ما ذكر من الجمع بين الخبرين والتأمّل فيها، وملاحظة ارتباط الآية بما تقدّمها، اندفاع ما قاله العلّامة السبزواري في الجمع من أنّه لعلّ المراد: أنّها داخلان في مدلول الآية، لا أنّ المراد هما فقط، ولا ريب أنّها و أولادهما ضرب بهما المثل في كتاب الله تعالى.

ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ: منصوب المحلّ على أنّه صفة كاشفة للفاسقين، أو على الذم، أو مرفوع على االذم، أو على الإبتداء والخبر «أُولئك هم الخاسرون» أو على الخبريّة والمبتدأ محذوف، أي هم الذين ينقضون.

والنقض: فسخ الترتيب: ولعلّه في طاقات الحبل، استعير لإبطال العهد استعارة تحقيقيّة تصريحيّة، حيث شبّه إبطال العهد بفكّ تآليف الحبل و أطلق اسم المشبّه به على المشبّه، و شرط حسنه اعتبار تشبيه العهد بالحبل لما فيه من ربط

---

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص٨٣.

المتعاقدين بالآخر، فتشبيه العهد في النفس استعارة بالكناية، و إثبات النقض سواء أُريد به معناه الحقيقي أوالمجازي له قرينة لها.

لا يقال: إذا أُريد بالنقض معناه الحقيقي، فظاهر أنّه من لوازم الحبل، و أمّا إذا أُريد به معناه المجازي فليس كذلك، فكيف يكون قرينة للإستعارة بالكناية.

لأنّا نقول: المراد باللازم أعمّ من أن يراد معناه الأصلي الذي هواللازم الحقيقي، أو يراد ما هو شبّه بذلك المعنى منزّل منزلته، فإنّه إذا نزّل منزلة الحقيقي و عبّر عنه باسمه، صار لازماً إدعاءً، فاللازم على الأول مذكور لفظاً ومعنى حقيقة، وعلى الثاني مذكور لفظاً حقيقة ومعنى إدعاءً، وكلاهما يصلحان للقرينة.

والعهد: الموثق، أي الميثاق، و يقال للأمان واليمين والذمّة والوصيّة و وضعه لما من شأنه أن يراعي و يتعهّد، كالوصية واليمين، و يقال للدار من حيث أنّها يراعى بالرجوع إليها، والتاريخ لأنّه يحفظ.

مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ: متعلق بينقضون، و (من) لابتداء الغاية، فإن ابتداء النقض بعد الميثاق، وقيل: زائدة.

والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة، وهو الإحكام، أو معنى التوثقة كالميلاد والميعاد، بمعنى الولادة والوعدة.

و مرجع الضمير: العهد، أو الله، و إضافته إلى العهد بمعناه الاسمي للتأكيد، لأنّ ميثاق الميثاق ممّا يؤكده، و بمعناه المصدري من إضافة المصدر إلى المفعول، و إلى الله من إضافته إلى الفاعل.

و عهده الذي نقضوه من بعد ميثاقه، إمّا ما ركّز في عقولهم من قوّة التفكّر في مصنوعاته التي هي دلائل توحيده سبحانه، أو هو الذي أخذه الله تعالى على بني آدم حين استخرجهم من ظهوره و أقرّوا بربوبيّته.

و ميثاقه على التقديرين إرسال الرسل و إنزال الكتب على وفقه، و نقضه على الأوّل ترك التفكّر فيها المندوب إليه عقلاً و شرعاً، و على الثاني نسيانهم ما أقرّوا به وعدم جريهم على مقتضاه لما أخذوا أرباباً من دون الله.

والعهد وصيّة الله إلى خلقه، و أمره إيّاهم بما أمرهم به من طاعته، و نهيه

إيّاهم عمّا نهاهم من معصيته في الشرائع المتقدّمة، و ميثاقه شريعة نبيّنا (صلّى الله عليه وآله)، و نقضهم: إعراضهم عمّا وصّاهم الله به وثّقه، أو هوما عهده إلى من أوتي الكتاب أن يبيّنوا نبوّة محمّد ولا يكتموا أمره، وميثاقه الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة الدالّة على نبوّته (عليه السلام)، و نقضهم كتمان أمره و إنكار نبوّته.

والآية على هذا في أحبار اليهود.

و ضعّف الشيخ الطبرسي الوجه الثاني. بأنّ الله تعالى لا يحتجّ على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه ولا يكون عليه دليل(١).

و زيّف تضعيفه العلّامة السبزواري: بأنّ مفاد الآية، أنّ هؤلاء من الفاسقين والخاسرين بلا احتجاج عليهم بفعلهم، هذا كما إذا قيل: ولد الزنا لا يدخل الجنّة، لا يحتجّ عليه بفعل قبيح صدر عنه، وهو كون تولّده من الزنا، بل المقصود أنّه تصدر عنه أفعال اختياريّة موجبة لخلود النار.

و أقول: مبنى كلام الشيخ أن مفهوم الآية، أنّ الله ذمّهم بنقض العهد بعد الميثاق، و إذا كان العهد عبارة عمّا ذكر، كان الاحتجاج عليهم بعهدلايذكرونه ولا يعرفونه، والظاهر أنّه لا يرد على ذلك ما أورده العلّامة، و إنّما يرد عليه لوكان مراده أنّ التعليل يفهم من ترتّب الحكم على الوصف، وليس كذلك.

وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ : محل (أن يوصل) الجر على البدليّة من الضمير، و حينئذٍ (ما) في ما أمر الله به أن يوصل، إمّا موصولة أو موصوفة، أو منصوبة على البدليّة ممّا أمرالله به، فكلمة (ما) موصوفة، لأنّ النكرة لا تبدل عن المعرفة إلّا إذا كانت مخصّصة، نحو«بالناصية ناصية كاذبة»(٢) والأول أحسن لقرب المبدل منه، و لأنّ القطع يقع على المتّصل، لا على الوصل.

قيل: ولإحتياج الثاني إلى تقدير مضاف، أي يقطعون، وصل ما أمرالله به أن

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٧٠.

(٢) سورة العلق: الآية ١٥ - ١٦.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٨

يوصله.

و أقول: الاحتياج إلى ذلك إنّما يكون إذا كان بدل الكلّ عن الكلّ، و أمّا إذا كان بدل الاشتمال فلا.

والمراد بما أمرالله كلّما لا يجوز قطعه كائناً ما كان، والعمدة فيه صلة أميرالمؤمنين (عليه السلام) وصلة الرحم.

روي الأول في تفسير علي بن إبراهيم(١) والثاني في الكافي عن أبي عبدالله (عليه السلام)(٢).

والأمر الذي واحدالأوامر: طلب الفعل مع العلوّ، وقيل: مع الاستعلاء، والذي واحد الأمور: المأمور به، تسمية للمفعول به بالمصدر، كما سمّي الشأن بمعنى المشؤون، والشأن الطلب والقصد، يقال: شأنت شأنه، أي قصدت قصده.

وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ: بالمنع من الإيمان والاستهزاء بالحق، وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه.

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ: لاشترائهم النقض بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد بالصلاح في الدنيا، وعقاب المشتري بثواب المشترى به في الآخرة، فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هوالخسران المبين.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ: الخطاب مع الذين كفروا. لما وصفهم بالكفر و توابعه،

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣٥، قال في حديث: «و يقطعون ما أمرالله به أن يوصل»، يعني من صلة أميرالمؤمنين (عليه السلام) والأئمة (عليهم السلام).

(٢) لاحظ الكافي: ج٢، باب الهجرة، ص٣٤٤، و باب قطيعة الرحم، ص٣٤٦.

خاطبهم على طريقة الإلتفات إنكاراً لكفرهم و توبيخاً لهم عليه مع علمهم بحال يقتضي خلاف ذلك، فإنّ الإنكار والتوبيخ إذا توجّه إلى المخاطب كان أبلغ. أو معهم مع المؤمنين، أو مع المؤمنين فقط.

و (كيف) يصلح للسؤال عن الأحوال كلّها، لا بمعنى أنّه مستغرق لها، بل قد يستغرق بمعونة المقام، وقد لا يستغرق فإذا قصد الإنكار، وهو في معنى النفي، و نفي الحال الذي يقتضيها، كيف إنّما يتحقّق بنفي جميع أفرادها! بل هي كالنكرة الواقعة في سياق النفي في إفادة العموم، فكأنّه قيل: لا يصحّ ولا ينبغي أن يوجد حال ما لكفرهم وقد علمتم أنكم كنتم أمواتاً الآية، و إذا لم ينبغ أن توجد حال من أحوال الكفر مع وجود هذا الصارف، أمّا لأنّه يتضمّن آيات بيّنات أو نِعماً جساماً، حقّها أن لا يكفر بمولاها، فينبغي أن لا يوجد كفركم معه، لأنّ وجود ذات بلاحال محال، فإن وجد معه فهو مظنّة توبيخ و إنكار و تعجيب و تعجّب.

وخصّ بعضهم الحال بماله مزيد اختصاص بالكفر بالله، وهوالعلم بالصانع والجهل به، فالمعنى: أفي حال العلم بالله تكفرون أم في حال الجهل؟ والحال حال العلم بمضمون القصّة الواقعة حالاً، والعلم به يقتضي أن يكون للعاقل علم بأنّ له صانعاً متّصفاً بالعلم والقدرة و سائر صفات الكمال، و علمه بأنّ له هذا الصانع صارف قويّ عن الكفر، وصدور الفعل عن القادر مع الصارف القوي مظنّة تعجيب و تعجّب و إنكار و توبيخ، فنفي الكفر بمعنى لا ينبغي أن يقع على كلا التقديرين بطريق الكناية، لأنّه لزم من إنكار الحال مطلقاً إنكار الكفر، لزم من إنكار حاليّته أعني العلم والجهل أيضاً إنكاره، إذ لا ثالث لهما، ولهذا صار (كيف تكفرون) أولى من (أتكفرون) فاختير عليه.

و أيضاً لما بعدها من الحال وهي في الآية منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه(١) أي في أي حال تكفرون، وعلى الحال عند الأخفش(٢) أي على حال تكفرون، والعامل فيها على التقديرين تكفرون، وصاحب الحال الضمير فيه.

(١و٢) شرح الكافية: ج٢، ص١١٧.

وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ : الواو للحال، والجملة حال بتقدير قد، وتأويلها بجملة اسميّة أو فعليّة مأخوذاً فيه العلم.

والمعنى وقد علمتم، أو تعلمون، أو أنتم عالمون أنكم كنتم أمواتاً، فإنّ بعض الجمل الواقعة في تلك القصّة الواقعة حالاً ماض و بعضها مستقبل لا يقارن مضمونها مضمونه، فلا بدّ من أخذ العلم.

و أيضاً مضمون تلك الجمل بدون اعتبار تعلق علمهم بها لا يصحّ أن يكون صارفاً، و اعتبار تعلّق علمهم بالمؤونة والإحياء الحسّيين ظاهر، و أمّا اعتبار تعلّقه بالإحياء الثاني والرجوع، فلتمكّنهم من العلم بهما بالدلائل الموصلة إليه، فكان بمنزلة حصول العلم، سيّما وفي الآية تنبيه على ما يدلّ على صحتهما، وهو أنّه تعالى لمّا قدّر أن أحياهم أوّلاً، قدّر أن يحييهم ثانياً، فإنّ بدء الخلق ليس بأهون من إعادته.

والأموات جمع ميّت بالتخفيف، كالأقوال جمع قيل. والمعنى كنتم أمواتاً، أي عناصر ممتزجة منتقلة من حال إلى حال حتّى استقرّ على مزاج معتدل قابل لنفخ الروح فيه، فأحياكم بنفخ الروح فيه.

فعلى هذا يكون استعمال الأموات في العناصر إستعارة ، لاشتراكهما في أنّ لا روح ولا إحساس لهما.

و إنّما عطف بالفاء لأنّه متصل بما عطف عليه، غير متراخ عنه، بخلاف البواقي.

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ : عند تقضّي آجالكم.

ثُمَّ يُحْيِيكُمْ : بحياة أبديّة يوم النشور، أو في القبر للسؤال.

ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ: ليحاسبكم أو يجازيكم على أعمالكم، و إن أُريد بقوله: (يحييكم) الحياة في القبر، فينبغي أن يراد بـ «ترجعون» الإحياء يوم النشور، و يلزم منه إهمال إماتتهم في القبر، اللهمّ إلّا أن يقال: معنى إليه ترجعون، أنّهم يرجعون بتلك الإماتة و إحياء يوم النشور. ولو جعل «ثم يحييكم» متناولاً لإحيائين جميعاً، أي يحييكم مرّة بعد أُخرى بقرينة المقام، يلزم أيضاً ذلك الإهمال، إلّا أن يقال:

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾

يفهم من تعدد الإحيائين تخلّل إماتة بينهما.

والظاهر أنّه كم يعتدّ بالإحياء في القبر، لأنّه ليس له زمان يعتدّ به.

وقرأ يعقوب: تَرْجَعُونَ بفتح التاء في جميع القرآن(١).

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا: بيان نعمة ثانية مترتّبة على النعمة الأولى، فإنّ الإنتفاع بالأرض والسماء وما فيها إنّما يكون بعد موهبة الحياة.

(والخلق) في الأصل التقدير، ويراد منه الإيجاد، فإن أريد المعنى الأول عمّ الأرض وما فيه، وإن أريد الثاني احتيج في شموله لما سوى العناصر إلى ارتكاب تجوّز.

واللام للانتفاع، والمعنى خلق لانتفاعكم في الدنيا والآخرة ما في الأرض جميعاً.

فعند الأشاعرة مدخوله غاية، وعند الحكيم: عناية، وعند المعتزلة وأهل الذوق: غرض.

لكن عند المعتزلة: ذلك الغرض عائد إلى العبد، وعند أهل الذوق: إلى المعبود، فإنّهم قالوا: إنّ للحقّ كمالين، كمالاً ذاتياً كوجوب وجوده، ووحدته وحياته وعلمه وغير ذلك من الصفات الذاتيّة التي لا يحتاج الحقّ سبحانه في الإتّصاف بها إلى سواه. وكمالاً أسمائيّاً يحتاج في الإتّصاف بها إليه، فإنّ كمال الأسماء إنّما هو بظهور آثارها وترتّب أحكامها عليها، وذلك لا يتمّ إلّا بوجود المظاهر، ففي الاحتياج والاستكمال بالغير عنه إنّما هو بالنظر إلى كماله الذاتي الذي له مرتبة الغنى عن العالمين، وأمّا بالنظر إلى كماله الأسمائي فليس له هذه المرتبة.

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ج٢، ص٢٠٨.

و كلمة (ما) للعموم، خصوصاً إذا قيّد بالحال الذي وقع بعده، وقد صرّح به أئمة الأُصول فدلّت الآية على إباحة جميع الأشياء، على أيّ وجه إلّا ما أخرجه الدليل، و اندفع ما قاله العلّامة السبزواري من أنّها لما كانت مجملة غيرظاهرة في العموم، لايتمّ الاستدلال بها على ذلك.

والمراد بالأرض إمّا جهة الأرض ليشمل الغبراء وما فيها، و إمّا الغبراء فلا يتناول إلّا ما فيها، لامتناع ظرفيّة الشيء لنفسه.

ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ: قصد إليها بإرادته، من قولهم: استوى إليه كالسهم المرسل، إذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوي على شيء.

وأصل الإستواء، طلب السواء، و إطلاقه على الإعتدال لما فيه من تسوية وضع الأجزاء، يقال: استوى العود وغيره إذا قام واعتدل، ولا يمكن حمله عليه، لأنّه من خواصّ الأجسام.

وقيل: استوى، استولى، قال:

قَدْ اسْتَوَىٰ بُشْرٌ عَلَى العراقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَ دَمٍ مِهراقِ(١)

وهذا المعنى غيرمناسب للأصل والصلة المعدّى بها.

وقيل: أقبل كما يقال: كان فلان مقبلاً على فلان ثم استوى إليّ وعليّ يكلّمني، على معنى أقبل إليّ وعليّ.

وقيل: استوى أمره وصعد إلى السماء

قال العلّامة السبزواري: وهذا بخلاف ما اشتهر: أن أوامره و قضاياه تنزل من السماء إلى الأرض.

وفيه نظر، لأنّ المقصود صعد أمره في الخلق إلى السماء.

وهذه الآية مع التي في سورة حمّ السجدة ـ أعني قوله: «أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين» إلى قوله: «ثم استوى الى السماء»(٢) حجّة على من ذهب

(١) تفسير القرطبي: ج١، ص٢٥٥، وفي هامشه: القائل هوالأخطل كما في شرح القاموس.

(٢) سورة فصلت: الآية ٩ - ١١.

إلى تقدّم خلق السماء على الأرض، وما في سورة النازعات ـ من قوله: «والأرض بعد ذلك دحاها»(١) أي بعد رفع سمك السماء و تسويتها دحى الأرض و بسطها ـ حجة له.

و أجاب عن الأول: بأنّ «ثم» لتفاوت ما بين الخلقين، وفضل خلق السماء على الأرض، كقوله: «ثم كان من الذين آمنوا»(٢) لا للتراخي في الوقت. و بأنّ الخلق في الآيتين بمعنى التقدير، لا بمعنى الإيجاد.

وقد أوّلت الآية الثانية بأنّ معناه: أذكر الارض دحاها، بعد ذكر ما سبق.

والحقّ أنّ خلق الأرض مقدّم على خلق السماء، و دحوها مؤخّر عنه، وهذا هو الجمع بين تلك الآيات. و يدلّ على ذلك ما روي من أنّه خلق الله الأرض في موضع بيت المقدّس كهيئة الفهر(٣) عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السماوات، و أمسك الفهر في موضعها، و بسط منها الأرض، فذلك قوله: «كانتا رتقاً»(٤).

والفهر: حجر يملأ الكف، أي في الاستدارة واكتنازها بحيث لا يتخلّلها خلاء ولا يتميّز فيها شيء عن شيء، والرتق: الالتزاق.

قال العلّامة السبزواري: وما قيل أنّها تناقض قوله تعالى: «والأرض بعد ذلك دحاها» فغير موجّه، أمّا إذا كانت الأرض بمعنى الجهة السفليّة، فخلق ما في الارض لا يستلزم خلق ذلك الجسم المسمّى بالأرض أيضاً، لا الصغير منه ولا العظيم، و إن كانت بمعنى التقدير، فلا يستلزم وجودها، لأنّ إيجاد مادتها التي هي الماء يكفي في إسناد الخلق بمعنى التقدير إليها.

---

(١) سورة النازعات: الآية ٣٠.

(٢) سورة البلد: الآية ١٧.

(٣) قيل: هو حجر يملأ الكف وفي الحديث لمّا نزل (تبت يدا أبي لهب) جاءت امرأته وفي يدها فهر قال: هوالحجر ملأ الكف وقيل: هوالحجر مطلقاً والجمع أفهار وفهور، لسان العرب: ج٥، ص٦٦، في لغة فهر.

(٤) الكشاف: ج١، ص١٢٤، نقلاً عن الحسن.

اقول: لا يخفى أن خلق ما في الأرض يستلزم خلقها، لأنّ المراد به الأجسام المواليد والعناصر الثلاثة الباقية إن أُريد بالأرض معناه الحقيقي، أوالأربعة إن أُريد به جهة السفل، والظاهر أنّ وجود جميع ذلك لا يمكن إلّا بعد وجود الأرض.

فَسَوَّىٰهُنَّ: أي عدل خلقهن، وقوّمه، و أخلاه،من العوج والفطور.

و ضمير (هن) إمّا راجع إلى السماء، إن فسّرت بالأجرام، لأنّه جمع أو في معنى الجمع، أو مبهم يفسّره ما بعده كما في رجلاً، وهو أولى لما فيه من التفسير بعد الإبهام.

سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ: بدل أو تفسير، وعلى تقدير كون الضمير غير مبهم، بدل عن الضمير أو حال عنه، أو مفعول للتسوية على تقدير فسوّى منهنّ سبع سماوات، من قبيل «و اختار موسى قومه»(١) أو مفعول ثان لجعل على تضمين التسوية معنى الجعل، أو تجوّزها عنه، لكن الأخير يفوّت معنى التسوية.

فإن قلت: إنّ أصحاب الأرصاد أثبتوا تسعة أفلاك .

قلت: فيما ذكروه شكوك ، و إن صحّ فليس في الآية نفي الزائد، مع أنّه لو ضمّ إليه العرش والكرسيّ لم يبق خلاف.

قيل: فوجه التخصيص على هذا، أنّ السماوات على قسمين: قسم منها عنصريّ يشترك مع الأرض وما فيها في المادة عند المحقّقين، و يدلّ عليه الكتاب والسنّة، وهو سبع تسمّى عند أهل الشرع بالسماوات، وقسم منها طبيعي غير عنصري، وهوالباقيان منها المسمّيان بالعرش والكرسي، وعند غيرهم بالفلك الأطلس و فلك الثوابت، ولا تميّز بينها عند غيرهم، لأنّ الكل عندهم طبيعي غير عنصري وكأنّ التميّز بينها بلسان أهل الشرع إنّما وقع بناءً على أنّ أحكام القيامة، كالطيّ، و تكوير الكواكب و انتشارها و غير ذلك مختصّ بالسماوات السبع، لايتعدّاها إلى العرش والكرسي.

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ: اعتراض لبيان أنّ خلق السماوات على سبيل

---

(١) سورة الاعراف: الآية ١٥٥.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١ ﴾

الإحكام، وخلق ما في الارض على حسب حاجات أهلها، لأنّ علمه الكامل برهان لمّيّ على تحقق الإتقان في أفعاله، و ظهور الإتقان فيها دليل إنّي على إثبات علمه.

وقد روى الصدوق في عيون أخبار الرضا بإسناده إلى الحسن العسكري (عليه السلام)، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين (عليهم السلام) قال: قال أميرالمؤمنين في قول الله عزّوجل: «هوالذى خلق لكم ما في الأرض جميعاً» لتعتبروا و لتتوصّلوا به إلى رضوانه و تتوقّوا به من عذاب نيرانه، «ثم استوى إلى السماء» أخذ في خلقها و إتقانها، «فسواهنّ سبع سماوات وهو بكلّ شيء عليم» و لعلمه بكلّ شيء علم بالمصالح، وخلق لكم كلّ ما في الأرض لمصالحكم يابن آدم(١).

وقد سكّن نافع و أبوعمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيهاً له بقصد(٢).

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ: تعداد لنعمة ثالثة تعمّ الناس كلّهم، فإنّ خلق آدم و إكرامه إنعام يعمّ ذريّته.

و (إذ) ظرف وضع لزمان عيّن بإضافته إلى نسبة واقعة في الزمان الماضي، كما

---

(١) عيون اخبار الرضا: ج٢، ص١٢، ح٢٩.

(٢) النشر في القراءات العشر: ج٢، ص٢٠٩.

أن (إذا) موضوع لزمان عيّن بإضافته إلى نسبة واقعة في الزمان المستقبل، ولهذا وجبت إضافتها إلى الجملة، والغالب ظرفيّتها لنسبة أُخرى مثلها، وقد يستعمل (إذ) اسماً من غير ظرفيّة، كما وقع مفعولاً به في قوله: «و اذكروا إذ كنتم قليلاً فكثّركم»(١) و بنيتا تشبيهاً بالموصولات.

فـ (إذ) في الآية منصوب المحل بتقدير اذكر، أو اذكر الحادث، أو بـقالوا، أو بمضمر دلّ عليه مضمون الآية المتقدّمة، مثل «وبدء خلقكم إذ قال»، وعلى هذا فالجملة معطوف على خلق لكم، داخلة في حكم الصلة.

وقيل: إنّه مزيد.

والقول: الحكاية، نحو قولك: قال زيد خرج عمرو، و يتعدّى أبداً إلى مفعول واحد، و يكون جملة، أو ما يحكي معناها، إلّا إذا ولي حرف الإستفهام ولم ينفصل عنه بغير ظرف أو كظرف، أو معمول فإنّه حينئذٍ ينصب مفعولين إلّا عند سليم، فإنّهم ينصبون به مفعولين و إن لم يلِ الإستفهام.

لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ: جمع ملئك على الأصل، فإنّ أصل ملك، ملئك كالشمائل جمع شمئل، و اشتقاقه من (م ل ك) بزيادة ـ الهمزة ـ لدورانها مع الشدّة والقوّة، ومعنى الشدّة والقوة يعمّ الملائكة (عليهم السلام) كلّهم، والدليل عليه قوله تعالى: «يسبّحون بالليل والنهار لايفترون»(٢) و أنّ الله جعلهم وسائط معظم ما يظهره في هذاالعالم.

أو من الألوك ، والألوكة بفتح الهمزة بمعنى الرسالة، فالميم زائدة، وفيما بين العين والفاء قلب، والأصل مألك، على أنّه موضع الرسالة، أو مصدر بمعنى المفعول.

فعلى هذا يكون إطلاقه عليهم، باعتبار بعضهم، لأنّ معنى الرسالة لا يعم كلّهم، لقوله تعالى «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس»(٣) و أمّا قوله «جاعل الملائكة رسلاً»(٤) فخصوص، جمعاً بين الآيتين.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٦.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٠.

(٣) سورة الحج: الآية ٧٥.

(٤) سورة فاطر: الآية ١.

وقيل: قد جاء «لأك» بمعنى أرسل، فلا قلب.

والتاء، إما لتأنيث الجمع، فإنّ الجمع مؤنث بتأويل الجماعة، أو لتأكيد معنى الجمع كما في علّامة ونسّابة.

واختلف العلماء في حقيقتهم بعد اتّفاقهم على أنّها ذوات موجودة قائمة بأنفسها.

فذهب أكثر المسلمين إلى أنّها أجسام لطيفة قادرة على التشكّل بأشكال مختلفة، مستدلّين بأنّ الرسل كانوا يرونهم كذلك، وهوالحق.

وقالت طائفة من النصارى: هي النفوس الفاضلة البشريّة المفارقة للأبدان.

وقال الحكماء: إنّها هي العقول، منقسمة إلى قسمين:

قسم شأنهم الإستغراق في معرفة الحق، والتنزّه عن الإشتغال بغيره، كما وصفهم في محكم تنزيله فقال: «يسبّحون الليل والنهار لا يفترون»(١) و هو العليّون والملائكة المقرّبون.

وقسم تدبّر الأمر من السماء إلى الأرض، على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الإلهي، لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون، وهم المدبّرات أمراً، فمنهم سماويّة ومنهم أرضيّة.

والمراد بها إمّا كلّهم لعموم اللفظ وعدم المخصّص، و إمّا إبليس ومن كان معه في محاربة الجنّ فإنّه تعالى أسكنهم في الأرض أوّلاً، فأفسدوا فيها فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، فدمّرهم و فرّقهم في الجزائر، و إمّا ملائكة الأرض، وهو أولى، والمخصّص قوله في الأرض.

إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً : و قرىء خليقة بالقاف.

و جاعل: إن كان متعدّياً إلى مفعولين، ففي الأرض مفعوله الثاني، و إلّا كان متعلّقاً به.

والخليفة من يخلف غيره، والهاء فيه للمبالغة، والمراد به إمّا آدم وحده، أو مع

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٠.

بعض بنيه أو كلّه، و إفراد اللفظ إمّا للاستغناء بذكره، كما استغنى بذكر أبي القبيلة في قولهم (مضر- وهاشم) أو على تأويل من يخلقكم فعلى الأوّل، المراد أنّه خليفة الله في أرضه، أو خليفة من سكن الأرض قبله، و على الثاني والثالث أنّهم يخلفون من قبلهم، أو يخلف بعضهم بعضاً.

والاحتياج إلى الخليفة إنّما هو في جانب المتخلّف عليه، لقصورهم عن قبول فيضه بغير وسط، و لذلك لم يستنبيء ملكاً، والأنبياء لمّا فاقت قريحتهم أرسل إليهم الملائكة، ومن كان منهم أعلى رتبة، كلّمه بلا واسطة، كما كلّم موسى في الميقات ومحمداً في المعراج.

و فائدة قوله هذا «للملائكة» تعليم للمشاورة و تعظيم لشأن المجعول، بأن بشّر بوجوده سكّان ملكوته و لقّبه بالخليفة قبل خلقه، و إظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه.

قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ: من استخلاف من يفسد في الأرض لإصلاحها، أو اختيار أهل المعصية على أهل الطاعة، و استكشاف عمّا خفي عليهم من الحكمه فيه، وعمّا يزيل شبهتهم استكشاف المتعلّم عن معلّمه عمّا يخالج صدره، وليس باعتراض على الله تعالى، ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة.

و إنّما حكموا بذلك لما علموا: أنّ المجعول خليفة هوالنوع الأخير من الحيوان، وكانوا يشاهدون من أنواعه المتقدّمة عليه وجود آثار القوّة الشهويّة والغضبيّة، تنبّهوا لوجودهما فيه وحكموا عليه بترتّب آثارهما التي من جملتها الإفساد و سفك الدماء، أو لمّا عرفوا ذلك بإخبار من الله، أو تلقّ من اللوح المحفوظ، أو استنباط عمّا ثبت في علمهم أنّ العصمة من خواصّهم، أو قياس لأحد الثقلين على الآخر.

والسفك والسبك، والسفح، والشن، والسن: أنواع من الصبّ، فالسفك يقال في الدم والدمع، والسبك في الجواهر المذابة، والسفح في الصبّ من أعلى، والشن والسن في الصبّ عن فم القربة ونحوها.

و قرئ يسفك بضم الفاء، ويسفك و يسفك من أسفك و سفّك، و يُسفَك

على البناء للمفعول، فيكون ضمير من الموصولة أو الموصوفة مقدراً، أي يسفك الدماء فيهم:

والدماء: جمع الدم بحذف لامه واواً كان أو ياءً، لقولهم في تثنيته دموان و دميان، فالدماء أصله دماو، أو دماي أُعلّت إعلال كساء ورداء.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: حال من فاعل تجعل، يقرّر معنى التعجّب والإستكشاف المذكورين، و نظيره، اتحسن إلى فلان و أنا أحقّ منه بالإحسان، والمعنى: استخلف عصاة ونحن معصومون أحقّاء بذلك، والمقصود الإستفسار عن المرجّح، لا العجب والتفاخر.

و كأنّهم علموا أنّ المجعول ذو ثلاث قوى، عليها مدار أمره، شهويّة و غضبيّة يؤدّيان إلى الفساد، و عقليّة تدعوه إلى المعرفة، و نظروا إليها مفردة، قالوا: ما الحكمة في استخلاف من هو باعتبار تينك القوّتين لا تقتضي الحكمة إيجاده، فضلاً عن استخلافه، و أمّا باعتبار القوّة العقليّة فنحن نقيم ما يتوقّع منها سليماً عن المعارض، و غفلوا عن فضيلة كلّ واحدة من القوّتين إذا صارت مهذّبة مطواعة للعقل متمرّنة على الخير كالفقه والشجاعة ومجاهدة الهوى والإنصاف، ولم يعلموا أنّ التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد، كالإحاطة بالجزئيّات و استنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوّة إلى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف وكذلك حكم عليهم بعدم العلم بما يعلم هو تعالى.

والتسبيح: تبعيد الله من السوء، وكذلك التقديس، من سبّح في الأرض والماء، وقدّس في الأرض: إذا ذهب فيها و أبعد، و يقال: قدّس طهر، لأنّ مطهّر الشيء مبعده عن الأقذار.

وفي كلام بعض الفضلاء: أنّ التسبيح تنزيه الجناب الإلهي عن النقائص و نفيها عنه، والتقديس تنزيه عن النقائص وعن صلاحيّة قبوله إيّاها و إمكانها فيه، فهو أبلغ من التسبيح، و لذلك أُخّر عنه في هذه الآية، وفي قولهم سبّوح قدّوس.

و بحمدك : حال، أي نسبّح ونقدّس متلبّسين بحمدك ، وقيل: الباء للسببيّة فيتعلّق بالتسبيح.

والتسبيح: إشارة إلى الثناء عليه بالصفات الثبوتيّة، والتقديس إلى الثناء عليه

بالصفات السلبيّة.

واللام في (لك) مزيدة، لتأكيد تعلّق التسبيح والتقديس به، لا لتقوية العمل، أو للتعليل، والمعنى نطهّر نفوسنا عن المعاصي لأجلك.

وقيل: التسبيح والتقديس يعدّى بنفسه و باللام، فاللام في المعنى يتعلّق بهما.

قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ: ومن جملته إنّي أعلم أنّ في هذا الجعل من الحكم والمصالح، وهو خفيّ عليكم.

روى علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن ثابت الحذاء، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) قال: إنّ الله تبارك و تعالى أراد أن يخلق خلقاً بيده، و ذلك بعد ما مضى من الجنّ والنسناس في الأرض سبعة آلاف سنة، وكان من شأنه خلق آدم فكشف عن أطباق السماوات وقال للملائكة: أنظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجن والنسناس، فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي و سفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق، عظم ذلك عليهم وغضبوا و تأسّفوا على أهل الأرض، ولم يملكوا غضبهم، قالوا: ربّنا إنّك أنت العزيز القادر الجبّار القاهر العظيم الشأن، وهذا خلقك الضعيف الذليل يتقلّبون في قبضتك ويعيشون برزقك و يتمتّعون بعافيتك، وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام، لا تأسف عليهم ولا تغضب ولا تنتقم لنفسك لما تسمع منهم و ترى، وقد عظم ذلك علينا و أكبرناه فيك، قال: فلمّا سمع ذلك من الملائكة قال: إنّي جاعل في الأرض خليفة، يكون حجّة لي في أرضي على خلقي، فقال الملائكة: سبحانك أتجعل فيها من يفسد فيها كما أفسد بنو الجان و يسفكون الدماء كما يسفك بنو الجان و يتحاسدون و يتباغضون، فاجعل ذلك الخليقة منّا، فإنّا لا نتحاسد و لانتباغض ولا نسفك الدماء، ونسبّح بحمدك و نقدّس لك، قال جلّ وعزّ: إنّي أعلم ما لا تعلمون، إنّي أريد أن أخلق خلقاً بيدي، و أجعل من ذرّيته الأنبياء والمرسلين و عبادي الصالحين والأئمة المهتدين، و أجعلهم خلفائي في أرضي ينهونهم عن معصيتي و ينذرونهم من عذابي، و يهدونهم إلى طاعتي، و يسلكون بهم

طريق سبيلي، وأجعلهم لي حجّة عليهم عذراً نذراً ، و أُبيد النسناس من أرضي و أطهّرها منهم، و أنقل مردة الجن العصاة عن بريّتي وخلقي وخيرتي، و أُسكنهم في الهواء و أقطار الأرض، فلا يجاورون نسل خلقي، و أجعل بين الجنّ و بين خلقي حجاباً، فلا يرى نسل خلقي الجنّ ولا يجالسونهم ولا يخالطوهم، فمن عصاني من نسل خلقي الذين اصطفيتهم أسكنتهم مساكن العصاة و أوردتهم مواردهم ولا أبالي، فقالت الملائكة: يا ربّنا افعل ما شئت، لا علم لنا إلّا ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم. قال: فباعدهم الله من العرش مسيرة خمسماءة عام، قال: فلاذوا بالعرش و أشاروا بالأصابع، فنظر الربّ عزّوجلّ إليهم و نزلت الرحمة، فوضع لهم البيت المعمور، فقال: طوفوا به و دعوا العرش، فإنّه لي رضىٰ، فطافوا به، وهوالبيت الذي يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه أبداً، فوضع الله البيت المعمور توبة لأهل السماء، ووضع الكعبة توبة لأهل الأرض، فقال الله تبارك وتعالى:«إنّي خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، فإذاسوّيته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»، وكان ذلك تقدمة من الله في آدم قبل أن يخلقه و احتجاجاً منه عليهم، فاغترف ربّنا عزّوجلّ غرفة بيمينه من الماء العذب الفرات، وكلتا يديه يمين، فصلصلها في كفّه حتى جمدت، فقال لها: منك أخلق النبيّين والمرسلين، و عبادي الصالحين، و الأئمّة المهتدين، والدعاة إلى الجنة، و أتباعهم إلى يوم القيامة ولا أبالي، ولا أسأل عمّا أفعل و هم يُسألون. ثم اغترف غرفة أُخرى من الماء المالح الأُجاج فصلصلها في كفّه فجمدت، ثم قال لها: منك أخلق الجبّارين والفراعنة والعتاة و إخوان الشياطين والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة و أشياعهم و لا أُبالي، ولا أُسأل عمّا أفعل وهم يُسألون قال: وشرط في ذلك البداء ولم يشترط في أصحاب اليمين البداء(١) ثم خلط المائين جميعاً في كفّه فصلصلها، ثمّ كفأهما قدّام عرشه، وهما سلالة من طين، ثم أمرالله الملائكة الأربعة الشمال والجنوب والصبا والدبور

---

(١) من أراد التحقيق فى البداء والروايات الواردة فيه والأقوال الدائرة عليه فليراجع الى كتاب بحارالأنوار الطبعة الحديثة، ج٤، ص٩٣.

أن يجولوا على هذه السلالة من الطين فامرؤها وانشؤها ثم أنزوها و جزوها، و أجروا فيها الطبائع الأربعة الريح والدم والمرّة والبلغم، فجالت الملائكة عليها، وهي الشمال والجنوب والصبا والدبور، و أجروا فيها الطبائع الأربعة، الريح في الطبائع الأربعة من البدن من ناحية الشمال، والبلغم في الطبائع الأربعة من ناحية الصبا، والمرّة في الطبائع الأربعة من ناحية الدبور، والدم في الطبائع الأربعة من ناحية الجنوب. قال: فاستقلّت النسمة وكمل البدن، فلزمه من ناحية الريح حبّ النساء وطول الأمل والحرص، و لزمه من ناحية البلغم حبّ الطعام والشراب والبرّ والحلم والرفق، ولزمه من ناحية المرّة الحبّ والغضب والسفه والشيطنة والتجبّر والتمرّد والعجلة، ولزمه من ناحية الدم حبّ الفساد واللذّات وركوب المحارم والشهوات.

قال أبوجعفر عليه السلام: وجدنا في كتاب علي (عليه السلام): فخلق الله آدم فبقي أربعين سنة مصوّراً، فكان يمرّ به إبليس اللعين، فيقول: لأمر ما خلقت! فقال العالم (عليه السلام): فقال إبليس: لئن أمرني الله بالسجود لهذا لعصيته، قال: ثم نفخ فيه، فلمّا بلغت الروح إلى دماغه، عطس عطسة فقال: الحمدلله، فقال الله: يرحمك الله، قال الصادق (عليه السلام): فسبقت له من الله الرحمة(١).

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا : و ذلك إمّا بخلق علم ضروري بها فيه، أو إلقاء في روعه لا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل.

والتعليم جعل الشيء عارفاً بشيء من غير انتساب حكم إليه، من العلم المتعدّي إلى مفعول واحد، والإعلام جعل الشيء عالماً بنسبة بين الشيئين من العلم المتعدّي إلى مفعولين.

و آدم إمّا من الأُدمة بضم الهمزة: أي السمرة، أوالأَدمة بفتحها أي الأسوة، أو الأدم والأدمة بالفتح أي الأُلفة، أو أديم الأرض، لما روي: أنّه خمّرت طينته من جميع وجه الأرض وهو أديمها(٢) و لذلك يأتي بنوه أصنافاً، و وزنه على هذه التقادير

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٣٦ - ٤١.

(٢) الظاهر أنّ الحديث منقول بالمعنى: و لعلّ المراد، أورده في البحار: ج١١، باب فضل آدم وحواء، ←

افعل، أو اسم أعجمي على فاعل كـ (آذر و عاذر و شالخ) فلا يكون مشتقاً ممّا ذكر، لأنّ اشتقاق الأعجمي من العربي غير معهود، وهو أولى، تعسّف، كاشتقاق إدريس من الدرس، ويعقوب من العقب، و إبليس من الإبلاس، وهو اليأس.

والاسم في اللغة: ما يكون علامة للشيء، يرفعه من مكمن الخفاء إلى منصّة الظهور، من الألفاظ والصفات والأفعال.

وفي العرف: اللفظ الموضوع لمعنى، مركّباً أو مفرداً، فعلاً كان أو حرفاً أو غيرهما.

وفي الإصطلاح يخصّ القسم الأخير، والأوّل والثاني متلازمان هنا، فإنّ العلم بالألفاظ من حيث الدلالة متوقّف على العلم بالمعاني والمعنى أنه سبحانه أراه الأجناس التي خلقها، و اُلقي في روعه: أن هذا فرس، وهذا اسمه بعير، وهذا اسمه كذا، وهذا اسمه كذا، وعلّمه أحوالها وما يتعلّق بها من المنافع الدينيّة والدنيويّة.

والذي يدلّ على إرادة العموم، ما رواه الشيخ الطبرسي عن الصادق (عليه السلام) أنّه سئل عن هذه الآية، فقال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية، ثم نظر إلى بساط تحته، فقال: وهذا البساط ممّا علّمه(١).

و أمّا ما رواه رئيس المحدّثين في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) ـ أنّ الله تبارك و تعالى علّم آدم (عليه السلام) أسماء حجج الله تعالى كلّها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين بأنّكم أحقّاء بالخلافة في الأرض لتسبيحكم و تقديسكم من آدم، قالوا: سبحانك لا علم لنا إلّا ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم، قال الله تبارك وتعالى: يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم

ص١٠١، ح٦، في خبر ابن سلام انه سأل النبي (صلّى الله عليه وآله) عن آدم لم سمّي آدم؟ قال: لأنّه خلق من طين الأرض و أديمها، قال: فآدم خلق من الطين كلّه أو من طين واحد؟ قال: بل من الطين كلّه. الحديث

(١) مجمع البيان: ج١، ص٧٦، عند تفسيره للآية الشريفة: (وعلّم آدم الاسماء).

بـأسمائـهم وقفـوا على عظيم منزلتهم عـندالله تعـالى ذكره، فعلـموا أنّهـم أحقّاء بأن يكونـوا خلفاء الله في أرضـه وحججه على بريّته، غيّبهم عن أبصارهم و استعبدهم بولايتهم و محبّتهم، وقال لهم: «ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض و أعلم ما تبـدون وما كنتم تكتـمون»(١) فيدلّ على العموم أيضاً. فإنّ المعنى علّم آدم (عليه السلام) أسماء الأشياء، أي صفاتهم المختصّة بهم، وصفـات حججه (صلوات الله عليهم) أيضاً، لـيظهر أنـهم أحقّاء بـأن يكونـوا خلفاء في أرضـه، فإنّه لـولم يعلم أسماء الأشيـاء لجاز عند عقـولهم مسـاواة جميع ما سواهـم في تلك الأسماء، فلا تظهر أحقّيّة الحجج بالخلافة.

لا يقال: المراد أحقّيتهم بالنسبة إلى الملائكة، وهو يظهر بتعليم أسمائهم فقط.

قلنا: نعم لكن أحقّيتهم بالنسبة الى سائر ما من نوعهم كأنّه معلوم للملائكة، والنزاع إنّما وقع في أحقّيتهم بـالنسبة إليهم، لكن يظهر من تنزيهم فيما بعد واطمئنانهم أنّه تعالى أظهر خاصيّة جميع الأشياء و أحوالها لهم و ظهر لهم المزيّة.

هكـذا حقّق المقام حتّى تـتفطّن لما قـالـه العلّامة السبـزواري في الجمع بين الحديثين من أنّ الأخير لا ينافي العـموم، لأنّه (عليه السلام) يمـكن أن يقتصر في هـذا الحديـث على ما هـو الأهـمّ في هـذاالمقام، وهـو إراءتهم الأنـبيـاء والأوصيـاء خصـوصاً خاتم النـبيّين و سيّد الأوّلين والآخريـن و أولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و قرىء: و عُلّم آدم الأسماء على البناء للمفعول.

ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ: و قرأ أُبي(٢) (ثم عرضها) و قرأ ابن مسعود (ثم عرضهـن)(٣) والضمير على الأوّل لـلمسمّيات، إمّا على الإستخدام، وهـو أن يذكر لفظ و أريد معنى و بضميره معنى آخر، كقوله:

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص١٣، مقدمة المصنف، السر في أمره تعالى الملائكة بالسجود لآدم.

(٢و٣) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٧٧.

قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

إذا نـزلَ السماءُ بـأرضِ قـوم ... رعيناه و إن كانـوا غُضـاباً(١)

أُريد بالسماء المطر، و بضميره النبت النابت به.

أو على حذف المضاف إليه و إقامته مقامه في افادة تعريف المضاف نحو «و اشتعل الرأس شيباً» (٢) و يكون من تغليب العقلاء الذكور على غيرهم، وعلى الثاني والثالث للأسماء، إمّا على الإستخدام أيضاً، أو على حذف مضاف، والمعنى عرض مسمّياتهنّ أو مسمّياتها.

فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ: الإنباء إخبار فيه إعلام، فطلب العالم الإنباء بما يعلمه تحصيل للحاصل، و أمر الجاهل بالإنباء بما يجهله تكليف بما لا يطاق، فالأمر هنا ليس على حقيقته، بل لإظهار عجزهم من أمر الخلافة، فإنّ الجاهل بأحوال المستخلف عليهم لا يتأتى منه ذلك.

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ: فيما يلزم مقالتكم، وهي أتجعل فيها الى آخره من دعوى استحقاقكم الخلافة.

والتصديق يتعلّق بالإنشاء باعتبار لازمه، والمعنى إن كنتم صادقين في دعواكم

---

(١) لجرير بن عطية الخطفي التميمي، فالإستخدام فيه، لأن للسماء معنيين: أحدهما المطر، والثاني ما ينبت في الأرض بسبب المطر، فأراد بلفظ السماء المطر ومن ضمير رعيناه ما ينبت في الأرض بسببه.

(٢) سورة مريم: الآية ٤.

استحقاق الخلافة، فانبئوني بأسماء المستخلف عليهم و أحوالهم، فإنّ منصب الخلافة لا يتيسّر بدون ذلك.

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا: سبحان مصدر كغفران، و يندر إنقطاعه عن الإضافة، و يمتنع حينئذٍ من الصرف، و يحكم عليه بأنّه علم لجنس التسبيح قال: سبحان من علقمة الفاخر، و إذا أُضيف ينتصب بفعل مضمر، نحو معاذالله.

و تصدير الكلام به، لتنزيه الحقّ سبحانه عن منقصة ينبئ الكلام عنها بالنسبة إلى غيره، كنفي العلم في الآية، والتوبة المنبئة عن الذنب في قول موسى (عليه السلام): «سبحانك تبت إليك»(١) و نسبة الظلم في قول يونس (عليه السلام): «سبحانك إني كنت من الظالمين»(٢).

وهو إمّا مصدر مضاف إلى المفعول إن كان قائماً مقام فعل متعدّ، مثل نسبّحك، أو إلى الفاعل إن كان قائماً مقام فعل لازم مثل تنزّهت.

والتقدير في قوله إلّا ما علّمتنا، إمّا إلّا علْم ما علّمتنا، أو بسبب ما علمتنا إن كان «ما» موصولاً، أو بسبب تعليمك إيّانا إن كانت مصدريّة، أو لا علم لنا إلّا ما أعطيتناه على أن يراد بالتعليم جزء معناه، فإنّ التعليم إعطاء العلم.

إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ: الذي لا تخفى عليك خافية.

الْحَكِيمُ: المحكم لمبدعاته، الذي لا يفعل إلّا ما فيه حكمة بالغة.

و (أنت) فصل أو تأكيد للكاف، كما في مررت بك أنت، وقد يجوز في المتبوع مالا يجوز في التابع، نحو يا هذا الرجل، أو مبتدأ خبره ما بعده، والجملة خبر إنّ.

قال العلّامة السبزواري: يمكن أن يقال في بيان: أنّهم كيف يعلمون أنّ ما قرره آدم و بيّنه لهم حق وصدق ـ أنّهم علموا ذلك لما شاهدوا تصديق الله إيّاه، أو خلق العلم الضروري فيهم عقيب تقريره، أو تصديق الملائكة الكروبين إيّاه فيما

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.

قاله، أو حصول العلم من المجموع بمجموع ما قاله و بيّنه على طريق التوزيع، فلمّا سمع الكلّ الكلّ صدّقوه في الجميع لمطابقة علمهم و تصديق نظرائهم، أوعلمهم نبوّته و بعثته على الجان و على أولاده الذين سيوجدون من صلبه بإخبار الله تعالى إيّاهم، أو بظهور خوارق العادات على يده مقارناً لدعوى النبوّة.

و أقول: يحتمل أن يكون ذلك باراءتهم عند ذلك في اللوح المحفوظ، فيحصل لهم المطابقة مع ما فيه فيحصل لهم العلم.

فعلى هذا يلزم على العلّامة، إمّا إثبات قسم رابع للمنفصلة، أو إبطال منفصلته، لأنّها ليست حقيقيّة ولا مانع الجمع، وهو ظاهر، ولا ما نعة الخلو، لجواز ارتفاع جميع تلك الوجوه لما ذكرنا، اللّهمّ إلّا أنْ يقال: إنّها ليست منفصلة، ولا يخفى ما فيه.

قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ : للردّ عليهم، والتنبيه على أنّ فيمن يستخلفه فضيلة العلم التي هي مناط استئهال الإستخلاف.

وقرئ بقلب الهمزة ياءً، و بحذفها أيضاً، والهاء مكسورة فيهما.

فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ : حيث قلت إنّي أعلم ما لا تعلمون.

إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ : فإنّ ما لا يعلمون أعمّ من غيب السماوات والأرض، والقول بالعلم الأعم على وجه الشمول قول بالعلم بالأخصّ.

وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ : هذا أيضاً من تتمّة مقول القول، و إنّما يلزم القول به بالطريق الأولى، لأنّه إذا علم ما لا يعلمون، فبالطريق الأولى يعلم ما يعلمون.

والمراد بالأوّل أحوالهم الظاهرة، والثاني الباطنة، أو بالأوّل قولهم: «أتجعل» الى آخره، و بالثاني ما يلزمه من استبطانهم أنّهم أحقّاء بالخلافة، أو بالأوّل ما أظهروا من الطاعة، و بالثاني ما أسرّ منهم إبليس من المعصية.

و في الآية دلالة على أنّ العلوم كلّها من جهته تعالى. و الأمر كذلك، لأنّها إمّا ضروريّة فعلها لله تعالى، أو نظريّة أقام الأدلّة عليها، فالعلم كلّه من عندالله. و على

شرف الإنسان من حيث أنّه إنسان. وعلى مزيّة العلم على العبادة. وعلى أنّه شرط في الخلافة. و أنّه لا يكون الأسفل خليفة للأفضل و إن كان له شرف التقدّم، وقد قال «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»(١).

قال بعض الفضلاء: و تأويل الآية في بعض بطونها: أنّ الله سبحانه علّم آدم أي الأناسي الكاملين أسماءه كلّها سواء كانت إلهية أو كونيّة، فإنّ الحقيقة الإنسانية الكماليّة أحديّة جمع الحقائق المظهريّة الكماليّة والأسماء الإلهيّة الظاهرة فيها و بها، فإنّ الكلّ أسماء و تعيّنات وجوده، و تعليمهم إيّاه عبارة عن جعلهم عارفين بما في أنفسهم، ثم عرضهم، أي أوردهم في معرض المعارضة للملائكة ، فقال لهم أي للملائكة:أنبئوني من حيث ظهوري فيهم، فإن إنبائي من هذه الحيثيّة إنباؤهم بأسماء هؤلاء الأناسي الكاملين، أي أسمائي المودعة فيهم، إلهيّة كانت أو كونيّة، و إنباؤكم عنها لا يتصوّر إلّا بتحقّقكم بها والظهور بأحكامها، قالوا: سبحانك لا علم لنا بتلك الأسماء إلّا بما علّمتنا بإيداعه فينا و جعلنا عارفين به، و ذلك لا يستوعب جميع تلك الأسماء، فكيف نتنبّئهم بها، إنّك أنت العليم بما فينا وفيهم، الحكيم المجري علينا أحكامنا على ما يقتضيه علمك، و بهذا ظهر عدم استحقاق الملائكة للخلافة، لأنّ من شرطها الإحاطة بأحوال المستخلف عليه، ثم أقبل على آدم لإظهار استحقاقه لها فقال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم المودعة فيهم، فإنّها بعض ما أودعنا فيك ، فعلمك بتفاصيل ما فيك يستلزم العلم بما فيهم، فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال لهم: ألم أقل إنّي أعلم غيب سماوات الأسماء، أي ما استجنّ فيها من الأحكام والآثار، و غيب أرض الحقائق الإمكانيّة من الاستعدادات الغير الظاهريّة إلّا بعد ظهور أحكام الأسماء و آثارها فيها، و أعلم ما تبدون لاقتضاء استعدادكم إبداءه من تلك الأحكام والآثار، و اعلم ما كنتم تكتمون، لعدم وفاء استعدادكم بابدائه.

و إنّما قال أوّلاً أنبئوني، و ثانياً أنبئهم، إشارة إلى صحّة اسناد الأفعال و

---

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ
وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ
وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ
ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

إيقاعها على كلّ من الظاهر والمظهر.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾: عطف على الظرف السابق إن نصبته بمضمر، و إلّا عطف مع ما يقدّر عاملاً فيه على الجملة المتقدّمة، لبيان نعمة رابعة عامّة لجميع الناس.

والمراد بالملائكة كلّهم، وقيل: المراد ما عدا الملائكة المهيمين الذين خلقوا هاموا في جمال الله وجلاله، ولا شعور لهم بوجود العلم، فكيف بوجود آدم، و بعد ذلك إمّا مخصوصة بالملائكة الأرضيّين، أو أعم.

قيل: وهذا القول بعد الإنباء و إظهار فضل آدم على الملائكة، والأظهر أنّه أمرهم به قبل أن سوّي خلقه لقوله تعالى «فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»(١) إمتحاناً لهم و إظهاراً لفضله.

ولما رويناه سابقاً من قول أميرالمؤمنين (عليه السلام): وكان ذلك من الله تقدمة في آدم قبل أن يخلقه واحتجاجاً منه عليهم(٢).

والسجود الخضوع والتذلّل، و صورته الكاملة وضع الجبهة على الأرض، وهو لله سبحانه على سبيل العبادة، و لغيره على وجه التكرمة.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٢٩.

(٢) تقدّم في تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٣٦ - ٤١.

والمسجود له إمّا الله سبحانه، و آدم جعل قبلة، فاللام فيه كاللام في قول حسّان:

ألیس أوّل من صلّى لقبلتكم و أعرف الناس بالقرآن والسنن(١)

أو سبباً لوجوبه، فاللام فيه كاللام في قوله: «أقم الصلاة لدلوك الشمس»(٢).

أو آدم، فاللام، فيه كاللام في قولهم: «سجدت له».

فَسَجَدُوٓا : قيل: الضمير راجع إلى المأمورين بالسجود أعمّ من الملائكة والجنّ، فإنّ الجنّ كانوا أيضاً مأمورين، لكنّه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم، فإنّه إذا علم أن الأكابر مأمورون بالتذلّل لأحد والتوسّل به، علم أيضاً أنّ الأصاغر مأمورون به.

إِلَّآ إِبۡلِيسَ : اختلفوا في أنّه من الملائكة، أو من الجن، والحقّ هوالثاني.

يدلّ عليه ما رواه علي بن إبراهيم قال: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سئل عمّا ندب الله الخلق إليه، أدخل فيه الضلال؟ قال: نعم، والكافرون دخلوا فيه، لأنّ الله تبارك و تعالى أمر

---

(١) هو أبو عبدالرحمن و أبوالوليد، حسّان بن ثابت بن المنذربن حرام الأنصاري الخزرجي، المتوفى عام أربع وخمسين وله مئة و عشرون سنة. تنقيح المقال: ج١، ص٢٦٤، تحت رقم ٢٤٢٠.

وفي الارشاد للمفيد في باب طرف من أخبار أميرالمؤمنين (عليه السلام): ص٢٢: نسبه لخزيمة بن ثابت الأنصاري.

وفي المناقب للخوارزمي: ص٨، نسبة إلى عباس بن عبدالمطلب. وقبله:

ماكنت أحسب أن الأمر منحرف (منصرف) عن هاشم ثم عنها عن أبي حسن

أليس أوّل من صلّى لقبلتكم و أعلم الناس بالآثار والسنن

وبعده:

و أقرب الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عون له في الغسل والكفن

من فيه ما في جميع الناس كلّهم وليس في الناس ما فيه من الحسن

ماذا الذي ردّكم عنه فتعرفه ها أن بيعتكم من أول الفتن

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

الملائكة بالسجود لآدم فدخل في أمره الملائكة و إبليس، فإنّ إبليس كان مع الملائكة في السماء يعبد الله، وكانت الملائكة تظن أنّه منهم، ولم يكن منهم، فلمّا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم أخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد، فعلمت الملائكة عند ذلك أنّ إبليس لم يكن منهم، فقيل له (عليه السلام): فكيف وقع الأمر على إبليس و إنّما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟ فقال: كان إبليس منهم بالولاء ولم يكن من جنس الملائكة، و ذلك أنّ الله خلق خلقاً قبل آدم وكان إبليس فيهم حاكماً في الأرض، فعتوا و أفسدوا و سفكوا الدماء، فبعث الله الملائكة فقتلوهم و أسروا إبليس و رفعوه إلى السماء، فكان مع الملائكة يعبدالله إلى أن خلق الله تبارك و تعالى آدم(١).

وما رواه الشيخ الطبرسي عن رئيس المحدّثين الشيخ أبي جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة بإسناده عن ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن إبليس أكان من الملائكة، أو كان يلي شيئاً من أمر السماء؟ فقال: لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء، و كان من الجن وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة ترى أنّه منها، وكان الله سبحانه يعلم أنّه ليس منها، فلمّا أمر بالسجود لآدم، كان منه الذي كان(٢).

وما وقع في القرآن من قوله: «إلّا إبليس كان من الجن»(٣).

ومن قوله: «لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون»(٤).

فنفى المعصية عنهم نفياً عامّاً.

أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ : أي امتنع أشدّ امتناع عن قبول ما أُمر به، و تعظّم على آدم، وكان في علم الله قبل ظهور هذا الإمتناع والإستكبار

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج١، ص٧٦، الحديث ٤.

(٢) مجمع البيان: ج١، ص٨٢، في تفسيره لقوله تعالى: «و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم».

(٣) سورة الكهف: الآية ٥٠.

(٤) سورة التحريم: الآية ٦.

من الكافرين المطرودين، فظهر آخراً ما كان أوّلاً.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: رغداً وصف للمصدر، أي أكلاً رغداً واسعاً.

وقيل: الشجرة، الحنطة، وقيل: الكرمة، وقيل: التينة.

وفي عيون أخبار الرضا: بإسناده إلى عبدالسلام بن صالح الهروي قال: قلت للرضا (عليه السلام): يابن رسول الله، أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحوّا، وما كانت، فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروي أنّها الحنطة، ومنهم من يروي أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد، فقال: كلّ ذلك، حق، قلت: فما معنى تلك الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت، إنّ شجرة الجنّة يحتمل أنواعاً، وكانت شجرة الحنطة وفيها عنب ليست كشجرة الدنيا، و إنّ آدم لمّا أكرمه الله تعالى بإسجاد ملائكته و بإدخاله الجنّة، قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل منّي؟ فعلم الله عزّوجلّ ما وقع في نفسه،فناداه إرفع رأسك يا آدم وانظر إلى ساق عرشي، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش، فوجد عليه مكتوباً لا إله إلّا الله محمّد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب أميرالمؤمنين و زوجته فاطمة سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة. فقال آدم: يا ربّ، من هؤلاء؟ فقال عزّوجلّ: هؤلاء من ذرّيّتك، وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنار، ولا السماء ولا الأرض، فإيّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد، و تمنّي منزلتهم فتسلّط عليه الشيطان حتّى أكل من الشجرة التي نهى عنها، و تسلّط على حوّاء لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد حتّى أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله تعالى من جنّته، و أهبطهما عن جواره إلى الأرض(١).

وفي مجمع البيان: ولا تقربا هذه الشجرة، أي لا تأكلا منها، وهوالمروي

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١، ص٣٠٦، باب ٢٨، فيما جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) من الأخبار المتفرقة، ح٦٧.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾

عن الصادق (عليه السلام)(١).

وقيل: هي شجرة الكافور، يروى عن علي (عليه السلام)(٢).

فتكونا جزم عطف على تقربا، أو نصب جواب للنهي.

فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا: أي الشجرة، أي بسببها.

فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ: من الجنّة.

وَقُلۡنَا: لآدم وحوّاء بالمشافهة، و لذريّتهما بالتبعية.

ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ: تتعادون.

وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ: أي محلّ استقرار.

وَمَتَٰعٌ: أي تمتع.

إِلَىٰ حِينٖ: مجيء الموت أو القيامة.

فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ: والمراد بالكلمات، إمّا قوله: ربّنا ظلمنا أنفسنا الآية، أوقوله: سبحانك اللهمّ و بحمدك و تبارك اسمك و تعالى جدّك، لا إله إلّا أنت ظلمت نفسي، فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت. والأصح أنّ المراد قوله: اللهمّ بجاه محمد و آله الطيّبين، بجاه محمد وعلي و فاطمة والحسن والحسين والطيّبين من آلهم لما تفضّلت عليّ بقبول توبتي

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٨٥، في تفسيره لقوله تعالى: «وقلنا يا آدم اسكن».

(٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص٨٥، في تفسيره لقوله تعالى: «وقلنا يا آدم اسكن».

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾

و غفران زلّتي، و إعادتي من كراماتك إلى مرتبتي.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ.

و قرئ «فمن تبع هُدَيَّ» على لغة هذيل، فلا خوف بالفتح(١).

يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ : يعني أولاد يعقوب، و إسرائيل في الأصل صفوة الله، أو عبدالله، سمّي به يعقوب للمدح.

ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ: من الإنجاء من فرعون مثلاً.

وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ: من الإيمان بي والطاعة لي.

أُوفِ بِعَهْدِكُمْ: من حسن الثواب على حسناتكم.

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٩٠.

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ
إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾

وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ : فلا تنقضوا عهدي.

وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ : من القرآن.

مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ : من التوراة والإنجيل وغيرهما.

وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ : أوّل فوج كفر به.

وَلَا تَشْتَرُوا : لا تستبدلوا.

بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا : من الرئاسة التي تخافون أن تفوت عنكم باتباع محمّد، والشيء الذي تأخذونه من رعاياكم على تحريف الكلم و تسهيل ما صعب عليهم من الشرائع.

وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ : أي صلاة المسلمين.

وَآتُوا الزَّكَاةَ : زكاتهم.

وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ : منهم، لأنّ اليهود لا ركوع في صلاتهم.

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ : من أقاربكم في الخفية.

بِالْبِرِّ : اتباع محمّد.

وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَاسْتَعِينُوا : في حوائجكم.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ٤٦ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٧ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤٨﴾

بِٱلصَّبْرِ: أي الصوم.

وَٱلصَّلَوٰةِ: أي الصلاة.

وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ * ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ: التكرير للتوكيد، و تذكير التفضيل الذي هو أجلّ النعم خصوصاً، والربط بالوعيد الشديد تخويفاً لمن غفل عنها و أخلّ بحقوقها.

وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ: نصب عطف على نعمتي، أي و تفضيلي.

عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ: أي عالمي: المراد تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى (عليه السلام) و بعده قبل أن يغيّروا بما منحهم الله من العلم والإيمان والعمل الصالح و جعلهم أنبياء وملوكاً مقسطين.

و يحتمل أن يكون المعنى على الجمّ الغفير من الناس، كقوله: «باركنا فيها للعالمين»(١) يقال: رأيت عالماً من الناس، يراد الكثرة، فعلى هذا لا يستقيم ما قيل إن في الآية دلالة على تفضيل البشر على الملك.

وَٱتَّقُواْ يَوْمًا: فيه مجاز عقلي، أي ما فيه من الحساب والعذاب، والتنكير للتفخيم.

---

(١) سورة الاعراف: الآية ١٣٧، و سورة الأنبياء: الآية ٧١ و ٨١.

لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا : أي لا تقضي عنها شيئاً من الحقوق، فيكون (شيئاً) مفعولاً به، أو لا تجزي عنها شيئاً من الجزاء، أي قليلاً منه، فيكون نصباً على المصدر، كقوله «ولا تظلمون شيئاً»(١).

وقرئ (لا تجزء) من أجزأ عنه، إذا أغنى، وعلى هذا تعيّن أن يكون مصدراً، أي شيئاً من الإغناء، وقرئ «لا تجزي نسمة عن نسمة شيئاً».

و تنكير الشيء مع النفيين، للإقناط الكلّي والتعميم.

والجملة في محلّ النصب صفة ليوماً، والعائد محذوف، والتقدير لا تجزي فيه، و إن لم نجوّز حذف يقال: اتسع فيه، فحذف الجار أولاً، و أُجري مجرى المفعول، ثم حذف كما حذف من قوله:

كتبتُ إليهم كِتاباً مِراراً — فَلَمْ يَرْجِعْ إلـىّ منهم جَوابُ
فما أدري أغيرَهُمْ تَناهُ — وَ طُولِ الْعَهْدِ أَمْ مالٍ أصابُوا(٢)

أي أصابوه.

وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ : من الشفع، فإنّ المشفوع كان فرداً، فجلعه الشفيع زوجاً بضمّ نفسه إليه.

و قرأ ابن كثير و أبو عمرو: ولا تقبل بالتاء.

وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا : أي من النفس الثانية العاصية، أو الأُولى.

عَدْلٌ : المراد به الفدية، وقيل: مطلق البدل، و أصله التسوية، سمّيت به الفدية، لأنّها سويت بالمفدى، والمقصود بالآية: نفي أن يدفع العذاب أحد عن أحد من كل وجه محتمل، فانّه إمّا أن يكون قهراً أو غيره، والأول النصرة، والثاني إمّا أن يكون مجاناً أو غيره، والأول أن يشفع له، والثاني إمّا بأداء ما كان عليه وهو أن

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧٩.

(٢) وقد استشهد به البيضاوي: ج١، ص٥٥، ولم يسمّ قائله، قال عند تفسيره للآية: ومن لم يجوّز حذف العائد المجرور قال: اتسع فيه، فحذف عنه الجار وأُجري مجرى المفعول به، ثم حذف كما حذف من قوله: أم مال أصابوا.

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾

يجزي عنه، أو بغيره وهو أن يعطي عنه عدلاً.

وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ: الضمير يرجع إلى النفوس الكثيرة التي دلّت عليها النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي.

والنصرة: أخصّ من المعونة، لاختصاصها بدفع الضرر.

واستدلّت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر

قال البيضاوي: و أجيب بأنها مخصوصة بالكفّار، للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة، قال: و يؤيّده أن الخطاب معهم، والآية نزلت ردّاً لما كانت اليهود تزعم أنّ آباءهم تشفع لهم(١).

أقول: الآية يحتمل أن تكون مخصّصة للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة الدالّة على عمومها، كما أنّ كون الخطاب معهم يحتمل أن يكون مؤيّداً للتخصيص بالكفّار، فلا يتمّ الاستدلال من الجانبين، فتأمّل.

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم: عطف على نعمتي، كعطف جبرئيل و ميكائيل على الملائكة، فصّل بعد الإجمال في قوله: «نعمتي» لأنّه أوقع و أمكن في النفس.

و قرئ (نجّيناكم) و (أنجيتكم).

مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ: أصل (آل) أهل، لأنّ تصغيره أُهيل، أُعِلّ وخصّ استعماله

---

(١) تفسير البيضاوي: ج١، ص٥٥.

بالإضافة إلى أولي الخطر كالأنبياء والملوك .

قال الكسائي: سمعت أعرابياً يقول: آل و أُويل و أهل و أهيل، فأصله أءل بالهمزة(١).

و فرعون: لقب لمن ملك العمالقة، ككسرى لملك الفرس و قيصر لملك الروم، و لقّبوا الفراعنة، اشتق منه تفرعن الرجل، إذا عتى و تجبّر.

قال البيضاوي: وكان فرعون موسى: مصعب بن ريان، وقيل اسمه وليد من بقايا عاد، و فرعون يوسف (عليه السلام) ريان وكان بينهما أكثر من أربعمائة سنة(٢).

يَسُومُونَكُمْ : أي يبغونكم، يقال: سامه خسفاً، إذا أولاه ظلماً، أي أصابه إيّاه، و أصل السوم الذهاب في طلب الشيء.

سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ : أي أفظعه، فإنّه قبيح بالإضافة إلى سائره، يقال: أعوذ بالله من سوء الخلق و سوء الفعل، يراد قبيحهما، والسوء مصدر ساء يسوء، و نصبه على المفعول لـ (يسومونكم) والجملة حال من الضمير في أنجيناكم، أو من آل فرعون، أو منهما.

يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ : بيان لـ (يسومونكم) و لذلك فصل، و قرئ بالتخفيف.

و إنما فعلوا بهم ذلك، لأنّ فرعون رأى في المنام، أو قال له الكهنة: سيولد منهم من يذهب بملكه، فلم يردّ اجتهادهم من قدر الله شيئاً، و يستحيون نساءهم، أي يبقونهنّ طلباً لحياتهنّ و يتخذوهنّ إماءً، و زعم بعضهم أنّه من طلب الحياء، أي الفرج، أي ينظرن هل هنّ حبالى أم لا.

وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ : محنة إن أُشير بذلك إلى صنعهم، ونعمة إن أُشير به إلى الإنجاء و أصله الإختبار، لكن لمّا كان إختبار الله عباده تارة بالنعمة، و تارة

---

(١) تفسير روح المعاني: ج٣، ص٢٥٣.

(٢) تفسير البيضاوي: ج١، ص٥٥.

بالمحنة، أطلق عليهما، و يجوز أن يشار بذلك إلى الجملة، و يراد به الإمتحان الشائع بينهما.

مِّن رَّبِّكُمْ: بتسليطهم عليكم، أو ببعث موسى و توفيقه لتخليصكم، أو بهما.

عَظِيمٌ: صفة بلاء.

و في الآية إشعار بأنّه قد يكون إصابة العبد بالخير والشر من اختبار الله سبحانه العبد، فيجب أن لا يغترّ بما أنعم عليه فيطغى، ولا ييأس من روح الله بما ضيّق عليه فيعيش ضنكاً، و أن يكون دائماً راجياً خائفاً مستشعراً لما أُريد منه.

قال البيضاوي: و في الآية تنبيه على أنّ ما يصيب العبد من خير أو شر اختبار من الله، فعليه أن يشكر على مسارّه و يصبر على مضارّه، ليكون من خيرالمختبرين(١).

ولا يخفى عليك أنّه إنّما يصح بناءً على قاعدة كسب الأعمال، وقد أبطلناها في مقامها، مع أنّه ينافي ما سبقها من إسناد الذبح والاستحياء إلى آل فرعون، والله أعلم بحقائق الأمور.

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ: فصلنا بين بعضه و بعضه حتّى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه، أو بسبب إنجائكم، أو متلبّساً بكم.

والفرق هوالفصل بين الشيئين، بالفتح مصدر، و بالكسر الطائفة من كلّ شيء.

والبحر، يسمّى بحراً لاستبحاره، وهو سعته و انبساطه.

و قرأ الزهري في الشواذ على بناء التكثير، لأنّ المسالك كانت اثني عشر بعدد الأسباط.

فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ: الغرق: الرسوب في الماء، والنجاة: ضدّ الغرق، كما أنها ضدّ الهلاك.

ءَالَ فِرْعَوْنَ: أراد به فرعون و قومه، واقتصر على ذكرهم للعلم بأنّه كان أولى

---

(١) تفسير البيضاوي: ج١، ص٥٦.

به، وقيل: شخصه، كما يقال: اللهمّ صلّ على آل محمد، أي شخصه، واستغنى بذكره عن أتباعه. والأحسن فيه أنّه من باب راكب الناقة طليحان، اعتباراً للمضاف والمضاف إليه، أي هو والناقة.

وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ: ذلك، أو غرقهم، أو انفلاق البحر عن طرق يابسة، أو جثثهم التي قذفها البحر إلى الساحل، أو ينظر بعضكم بعضاً.

ذكر الشيخ الطبرسي في تفسيره عن ابن عباس: أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى أن يسري ببني إسرائيل من مصر، فسرى موسى (عليه السلام) بهم ليلاً، فاتبعهم فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث، وكان موسى في ستمائة ألف و عشرين ألفاً، فلما عاينهم فرعون قال: إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون و إنّهم لنا لغائظون و إنّا لجميع حاذرون فسرى موسى بهم حتّى هجموا على البحر، فالتفتوا فإذا هم برهج(١) دواب فرعون، فقالوا: يا موسى، أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، هذا البحر أمامنا، وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه، فقال موسى: عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم و يستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون فقال له يوشع بن نون: بم أُمرت؟ قال: أمرت أن أضرب بعصاي البحر، قال: اضرب، وكان الله تعالى أوحى إلى البحر: أن أطع موسى إذا ضربك، فبات البحر له إفكل، أي رعدة، لا يدري في أي جوانبه يضربه، فضرب بعصاه البحر فانفلق، و ظهر اثنا عشر طريقاً، فكان لكلّ سبط طريق يأخذون فيه، فقالوا: إنّا لا نسلك طريقاً ندياً، فأرسل الله ريح الصبا حتّى جفّفت الطريق كما قال: فاضرب لهم طريقاً يبساً، فجروا فيه، فلما أخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض: مالنا لا نرى أصحابنا، فقالوا لموسى: أين أصحابنا؟ فقال: في طريق مثل طريقكم، فقالوا: لا نرضى حتّى نراهم. فقال موسى: اللهمّ أعنّي على أخلاقهم السيّئة، فأوحى إليه أن قل بعصاك هكذا وهكذا يميناً و شمالاً، فأشار بعصاه يميناً و شمالاً فظهر كالكوة ينظر منها بعضهم إلى بعض، فلمّا انتهى فرعون إلى ساحل البحر وكان على فرس حصان

---

(١) الرهج: ما اثير من الغبار.

وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

أدهم، فهاب دخول الماء، تمثّل له جبرئيل على فرس أنثى و ديق(١) و تقحّم البحر، فلما رآها الحصان تقحّم خلفها ثم تقحّم قوم فرعون، ولما خرج آخر من كان مع موسى من البحر، ودخل آخر من كان مع فرعون البحر أطبق الله عليهم الماء فغرقوا جميعاً ونجا موسى ومن معه(٢).

واعلم أنّ هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله به على بني إسرائيل، ومن آياته الملجئة إلى العلم بوجود الصانع الحكيم، و تصديق موسى (عليه السلام)، ثم إنّهم اتّخذوا العجل و قالوا: لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة، و نحو ذلك، فهم بمعزل في الفطنة والذكاء و سلامة النفس وحسن الإتّباع عن أمّة محمّد (صلّى الله عليه وآله)، فإنّهم اتبعوه مع أنّ ما تواتر من معجزاته أمور نظرية دقيقة يدركها الأذكياء، و إخباره (عليه السلام) عنها من جملة معجزاته (صلّى الله عليه وآله).

وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً: بعد عودهم إلى مصر وهلاك فرعون، وعدالله موسى أن يعطيه التوراة، وضرب له ميقاتاً ذي القعدة وعشر ذي الحجة وعبّر عنها بالليالي، لأنّها غرر الشهور، أو لأنّ وعد موسى وعد قيام الأربعين والقيام بالليل أهمّ، فذكر الليل إشعار بوعدة قيام الليل، أو لأنّ الظلمة سابقة على النور.

---

(١) ودقت ذات الحافر: أرادت الفحل فهي وديق.

(٢) مجمع البيان: ج١، ص١٠٧، في قصة فرعون مع بني إسرائيل.

والقراءة المشهورة «واعدنا» لأنّه تعالى وعده الوحي، ووعده موسى المجيء للميقات إلى الطور.

ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ: معبوداً، لأنّهم بنفس فعلهم لصورة العجل، لا يكونون ظالمين، لأنّ فعل ذلك ليس بمحظور، بل مكروه. و أمّا الخبر الذي روي عنه (عليه السلام) أنه لعن المصوّرين(١)، فالمراد به من شبّه الله تعالى، أو اعتقد أنه صورة.

مِنۢ بَعۡدِهِۦ: من بعد غيبة موسى، أو من بعد وعد الله التوراة، أو من بعد غرق فرعون وما رأيتم من الآيات.

وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ: مضرّون بأنفسكم بما استحققتم من العقاب على اتّخاذكم العجل معبوداً.

روي عن ابن عباس أنّه قال: كان السامري رجلاً من أهل باجرما، قيل: كان اسمه مسيحا، وقال ابن عباس: اسمه موسى بن ظفر، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حبّ عبادة البقر في نفسه، وقد كان أظهر الإسلام في بني إسرائيل، فلمّا قصد موسى إلى ربّه وخلف هارون في بني إسرائيل، قال هارون لقومه: قد حملتم أوزاراً من زينة القوم ـ آل فرعون ـ فتطهّروا منها فإنّها نجس، يعني أنّهم استعاروا من القبط حليّاً و استبدّوا بها، فقال هارون: طهّروا أنفسكم منها فإنّها نجسة، وأوقدنا راً فقال: اقذفوا ما كان معكم فيها، فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الأمتعة والحلي فيقذفون به فيها، قال: وكان السامري رأى أثر فرس جبرئيل (عليه السلام)، فأخذ تراباً من أثر حافره، ثم أقبل إلى النار فقال: يا هارون يا نبي الله، ألقي ما في يدي؟ قال: نعم، وهو لا يدري ما في يده، و يظنّ أنه ممّا يجيء به غيره من الحلي والأمتعة، فقذف فيها وقال: كن عجلاً جسداً له خوار، فكان البلاء والفتنة، فقال: هذا إلهكم و إله موسى فعكفوا عليه، و أحبّوه حبّاً لم يحبّوا مثله شيئاً قط، وقال ابن عباس: فصار البلاء والفتنة. ولم يزد على هذا(٢).

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص١٠٩، وفيه: كان اسمه ميخا.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
٥٤ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ٥٥

وقال الحسن: صار العجل لحماً و دماً، و قال غيره: لا يجوز ذلك لأنّه من معجزات الأنبياء، ومن وافق الحسن قال: إنّ القبضة من أثر الملك، كان الله أجرى العادة بأنها إذا طرحت على أي صورة كانت حييت، فليس ذلك بمعجزة، إذ سبيل السامري سبيل غيره فيه، ومن لم يجز انقلابه حيّاً، نزّل الخوار على أنّ السامريّ صاغ عجلاً وجعل فيه خروقاً يدخلها الريح فيخرج منها صوت كالخوار، و دعاهم إلى عبادته فأجابوه وعبدوه(١).

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم: حين تبتم، والعفو محو الجريمة، من عفا إذا درس.

مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ : أي بعد الاتخاذ.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ : لكي تشكروا عفوه، و في الآية دلالة على وجوب شكر النعمة، وعلى أنّ العفو عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله تعالى، ليشكروه.

وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ: يعني التوراة الجامع بين كونه كتاباً و حجّة تفرق بين الحقّ والباطل، فالعطف لتغاير الوصفين، أوالفرقان: معجزاته الفارقة بين الحقّ والباطل، أو بين الكفر والإيمان، أوالشرع الفارق بين الحلال والحرام، أوالنصر الذي فرّق بينه و بين عدوّه كقوله تعالى «يوم الفرقان» (٢) يريد يوم

---

(١) مجمع البيان: ج١، ص١١٠.
(٢) سورة الانفال: الآية ٤١.

بدر، وقيل: الفرقان: القرآن، والتقدير: آتينا موسى التوراة و آتينا محمداً الفرقان، فحذف ما حذف لدلالة ما أبقاه عليه.

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ: لكي تهتدوا بما في التوراة من البشارة بمحمّد (صلّى الله عليه وآله) و بيان صفته.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ: أي فاعزمو على التوبة.

فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ: إن كان توبتهم هي قتل الأنفس، و إلاّ فالمراد إتمام التوبة بالقتل.

و انّما جعل القتل توبتهم أو من تمامها، إشارة إلى أنّ من لم يقتل عدوّه وهوالنفس يقتله ليعتبر غيرهم، أو إشارة إلى أنّهم لمّا صاروا من حزب العجل جعلوا في زمرته، لأنّ العجل خلق للذبح، والباري الخالق بريئ من التفاوت مع التميز بصور وهيئات مختلفة.

و أصل البرء الخلوص للشيء من غيره، إمّا على سبيل التفصّي كقولهم: برأ المريض من مرضه والمديون من دينه.

أوالإنشاء كقولهم: برأ الله آدم من الطين.

واختلف في القتل المأمور به على أقوال:

أحدها: البخع، وهو أن يقتل كل رجل نفسه و يهلكها.

و ثانيها: أنّ المراد به قطع الشهوات، و استعمال القتل على سبيل التوسّع.

والثالث: أنّهم أُمروا بأن يقتل بعضهم بعضاً.

والرّابع: أنّه أمر من لم يعبد العجل أن يقتل العَبَدَة، و روي أنّ الرجل يرى بعضه و قريبه فلم يقدر المضيّ لأمر الله، فأرسل ضبابة(١) و سحابة سوداء لا

---

(١) الضبابة: سحابة تغشي الأرض كالدخان. الصحاح: ج١، ص١٦٨، وفي النهاية لابن الأثير: ج٣، ص٧٠، في لغة (ضبب) هي البخار المتصاعد من الأرض في يوم الدجن يصير كالظلّة تحجب الأبصار لظلمتها.

يتباصرون تحتها، فأخذوا يقتتلون من الغداة إلى العشي، حتّى دعا موسى و هارون فكشف السحابة و نزلت التوبة، وكانت القتلى سبعين الفاً(١).

والخامس: أنّ السبعين الذين كانوا مع موسى في الطور، هم الذين قتلوا من عَبَدَة العجل سبعين الفاً.

والسادس: أنّ موسى (عليه السلام) أمرهم أن يقوموا صفّين، فاغتسلوا و لبسوا أكفانهم، وجاء هارون باثني عشر ألفاً ممّن لم يعبد العجل ومعهم الشفار(٢) المرهفة (٣) و كانوا يقتلونهم، فلمّا قتلوا سبعين الفاً تاب الله على الباقين، وجعل قتل الماضين شهادة لهم.

ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ: من حيث أنّه طهّره من الشرك و وصّله إلى الحياة الأبدية.

فَتَابَ عَلَيْكُمْ: جواب شرط محذوف، إن جعل من كلام موسى، والتقدير إن فعلتم ما أُمرتم به فتاب عليكم، و معطوف على محذوف إن جعل من خطابه تعالى لهم على سبيل الإلتفات، كأنّه قال: فعلتم ما أُمرتم به فتاب عليكم.

إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ: الذي يكثر توفيق التوبة، أو قبولها.

الرَّحِيمُ: المبالغ في الإنعام على التائبين.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ: أي لأجل قولك، أو لن نقرّ لك.

حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً: عياناً، وهي في الأصل مصدر قولك: جهرت بالقراءة، استعيرت للمعاينة، والجامع بينهما الإدراك بلا ساتر، ونصبها على المصدر، لأنّه نوع من الرؤية، أوالحال من الفاعل أوالمفعول، أمّا على مذهب غيرالمبرّد فظاهر، و أمّا على مذهبه فلما مرّمن التعليل في المصدر، لأنه ذهب إلى أنّ الحال لا يكون مصدراً

---

(١) الكشاف: ج١، ص١٤٠.

(٢) الشفرة بالفتح فالسكون: السكين العريض، وما عرض من الحديد وحدّد، والجمع شفاركلكلبة وكلاب، و شفرات كسجدة وسجدات، ومنه فحمل عليه بالشفرة يريد السيف، ومنه «أسرع من الشفرة في السنام» مجمع البحرين: ج٣، ص٣٥٢، في لغة شفر.

(٣) أرهفت سيفي إذا رققته وهو مرهف، ومنه: سيوف مرهفات. مجمع البحرين: ج٥، ص٦٤.

إلّا إذا كان نوعاً من عامله.

و قرئ جهرة بالفتح على أنّها مصدر كالغلبة، أو جمع جاهر كالكتبة فيكون حالاً، وقيل: إنّ قوله: «جهرة» صفة لخطابهم لموسى (عليه السلام) و تقديره: و إذ قلتم جهرة: لن نؤمن لك حتّى نرى الله، وهو ضعيف.

والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات، وقيل: عشرة آلاف من قومه.

والمؤمن به: جميع ما جاء به موسى، وقيل: إنّ الله الذي أعطاك التوراة و كلّمك، أو إنّك نبي.

فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ : لفرط العناد و التعنّت و طلب المستحيل، فإنّهم ظنّوا أنّه تعالى يشبه الأجسام وطلبوا رؤيته، وهي محال، روي أنّه جاءت نار من السماء فأحرقتهم وقيل: صيحة، وقيل: جنود سمعوا بحسيسها فخرّوا صعقين ميّتين يوماً و ليلة(١).

وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ: إلى ما أصابكم، أو إلى أثره.

و استدلّ أبوالقاسم البلخي(٢) بهذه الآية على أنّ الرؤية لا تجوز على الله تعالى، قال: لأنّها إنكار تضمّن أمرين: ردّهم على نبيّهم، و تجويزهم الرؤية على ربّهم و يؤيّد ذلك قوله تعالى «فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة»(٣) فدلّ ذلك على أنّ المراد إنكار كلا الأمرين.

أقول: وفي الآية مع قوله (فقد سألوا موسى) الى آخره، دلالة على أنّ الردّ على

---

(١) بالأقوال الثلاثة نقل الأحاديث، لاحظ جامع البيان لابن جرير الطبري: ج١، ص٢٣٠، قال ما ملخصه: عن الربيع قال: سمعوا صوتاً فصعقوا، يقول: فماتوا، وعن السدي:فأخذتكم الصاعقة نار، وعن ابن اسحاق قال: أخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعاً، و أصل الصاعقة كلّ أمر هائل الى آخره.

(٢) هو نصر بن الصباح، أبوالقاسم البلخي من مشايخ أبي عمرو محمد بن عمرو بن عبدالعزيز الكشي، وله كتاب المسترشد في الإمامة،طبقات أعلام الشيعة، القرن الرابع، ص٣٢٤.

(٣) سورة النساء: الآية ١٥٣.

ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

النبي، و اعتقاد جواز الرؤية، كل واحد منهما علّة لأخذ الصاعقة والعذاب، ومن البيّن عدم التفاوت بين عدم جواز الرؤية في الدنيا وعدم جوازها في الآخرة، والمنازع مكابر، مع قضية العقل، فمعتقد جوازها في الآخرة شارك معتقد جوازها في الدنيا في علّة استحقاق العذاب، كالرادّ على النبي.

و بذلك يثبت كفر أهل السنّة القائلين بجوازها في الآخرة للمؤمنين، و للأفراد من الأنبياء في الدنيا.

قال البيضاوي، بعد عدّه رؤيته تعالى رؤية الأجسام من المستحيلات: بل الممكن أن يرى رؤية منزّهة عن الكيفيّة، و ذلك للمؤمنين في الآخرة، و للأفراد من الأنبياء في الدنيا في بعض الأحوال(١).

واعلم أنّ هذه الآية تدلّ أيضاً على أنّ قول موسى: «رب أرني أنظر اليك»(٢) كان سؤالاً لقومه، لأنّه لا خلاف بين أهل التوراة أنّ موسى (عليه السلام) لم يسأل الرؤية إلّا دفعة واحدة، وهي التي سألها لقومه.

ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم: أحييناكم.

---

(١) أنوار التنزيل (تفسير البيضاوي): ج١، ص٥٧، قال في تفسير الآية الشريفة: فإنّهم ظنوا أنّ الله تعالى يشبه الأجسام وطلبوا رؤيته رؤية الأجسام في الجهات والأحياز المقابلة للرائي وهي محال، بل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفيّة، و ذلك للمؤمنين في الآخرة ولأفراد من الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا.

(٢) سورة الاعراف: الآية ١٤٣.

مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ: بسبب الصاعقة و قيدالبعث، لأنّه قد يكون من إغماء ونوم، لقوله تعالى «ثم بعثناهم»(١).

وقيل: إنّهم سألوا بعد الإحياء أن يبعثوا أنبياء، فبعثهم الله أنبياء.

و أجمع المفسّرون إلّا شرذمة يسيرة: أنّ الله لم يكن أمات موسى كلما أمات قومه، ولكن غشي عليه بدلالة قوله تعالى «فلما أفاق»(٢) والإفاقة إنّما تكون من الغشيان.

لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ: نعمه التي منها ردّ حياتكم.

وفي الآية دلالة على جواز الرجعة، وقال أبوالقاسم البلخي: لا تجوز الرجعة مع الإعلام بها، لأنّ فيها إغراء بالمعاصي من جهة الإتكال على التوبة في الكرة الثانية(٣).

و أُجيب بأنّ من يقول بالرجعة لا يذهب إلى أنّ الناس كلّهم يرجعون، فيصير إغراء بأن يقع الإتكال على التوبة فيها، بل لا أحد من المكلّفين إلّا و يجوز أن لا يرجع، و ذلك يكفي في باب الزجر.

وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ: سخّر الله لهم السحاب يظلّهم من الشمس حين كانوا في التيه. وهي جمع غمامة، وهي السحابة، و أصله التغطية والستر، ومنه الغم.

وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ: قيل: الترنجبين، وقيل: الخبز المرقق، وقيل: جميع النعم التي أتتهم ممّا منّ الله عليهم ممّا لا تعب فيه ولا نصب.

و روي عن النبي (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين(٤).

(وَٱلسَّلۡوَىٰ): السماني، وقيل: هو طائر أبيض يشبه السماني، قيل: كان ينزل عليهم المنّ مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع، و يبعث الجنوب عليهم بالسماني، فيأخذ كل إنسان منهم كفايته إلى الغد إلّا يوم الجمعة يأخذ ليومين، لأنّه لم يكن ينزل يوم

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

(٣) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص ١١٥.

(٤) الكافي: ج٦، ص٣٧٠، كتاب الأطعمة، باب الكمأة، ح٢.

كُلُواْ: نصب على إرادة القول، أي وقلنا لهم: كلوا.

مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ: أي الشهي اللذيذ ممّا رزقناكم، قيل: أوالحلال، وهذا بناءٌ على تناول الرزق الحرام أيضاً.

وَمَا ظَلَمُونَا: فيه اختصار، تقديره فظلموا بأن كفروا هذه النعمة، وما ظلمونا.

وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ: بالكفران، لأنّه لا يتخطّاهم ضرره. وكان سبب إنزال المنّ والسلوى عليهم (على ما ذكره الشيخ الطبرسي): أنّه لمّا ابتلاهم بالتيه، إذ قالوا لموسى: «إذهب أنت و ربّك فقاتلا إنّا هٰهنا قاعدون» حين أمرهم بالسير الى بيت المقدس وحرب العمالقة بقوله: أُدخلوا الأرض المقدّسة(١) فوقعوا في التيه،صاروا كلّما ساروا تاهوا في قدر خمسة فراسخ أو ستة، و كلّما أصبحوا ساروا عادّين فأمسوا فإذاهم في مكانهم الذي ارتحلوا عنه كذلك حتّى تمّت المدّة، و بقوا فيها أربعين سنة، و في التيه توفي موسى و هارون، ثم خرج يوشع بن نون. وكان الله تعالى يردّ الجانب الذي انتهوا إليه من الأرض إلى الجانب الذي ساروا فيه، فكانوا يضلّون عن الطريق، لأنّهم كانوا خلقاً عظيماً، فلا يجوز أن يضلّوا كلّهم عن الطريق في هذه المدّة المديدة، في هذا المقدار من الأرض، ولما حصلوا في التيه ندموا على ما فعلوا، فألطف الله لهم بالغمام لمّا شكوا حرّ الشمس و أنزل عليهم المنّ والسلوى، فكان يسوق عليهم المنّ من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليومهم.

وقال الصادق (عليه السلام): كان ينزل المنّ على بني إسرائيل من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه، فلذلك يكره النوم في هذا الوقت إلى طلوع الشمس(٢).

قال ابن جريح: و كان الرجل منهم إن أخذ من المنّ والسلوى زيادة على طعام

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١١٦، في تفسيره لقوله تعالى: «و ضلّلنا عليهم الغمام».

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١١٧.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

يوم واحد فسد، إلّا يوم الجمعة، فإنّهم إذا أخذوا طعام يومين لم يفسد، وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت، لأنّه كان لا يأتيهم يوم السبت، و كانوا يخبزونه مثل القرصة و يوجد له طعم كالشهد المعجون بالسمن، وكان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حرّ الشمس، وكان ينزل عليهم بالليل عموداً من نور يضيء لهم مكان السراج، و إذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب بطوله كالجلد(١).

«وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ : أجمع المفسّرون على أنّ المراد بالقرية هاهنا بيت المقدس، و يؤيّده قوله في موضع آخر «ادخلوا الارض المقدّسة»(٢).

وقال ابن زيد: إنّها أريحا، قرية قريب بيت المقدس، وكان فيها بقايا من قوم عاد، وهم العمالقة و رأسهم عوج بن عنق، أُمروا به بعدالتيه(٣).

فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا : واسعاً بما شئتم من أنواع طعام القرية.

وقيل: إنّ هذه إباحة لهم منه لغنائمها و تملّك أموالها، إتماماً للنعمة عليهم؛

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١١٧.

(٢) سورة المائدة: الاية ٢٢.

(٣) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١١٨.

ونصبه على المصدر، أو على الحال من الواو.

وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ : أي باب القرية التي أُمروا بدخولها. وقيل: باب القبة التي كانوا يصلّون إليها. وقيل: باب حطّة من بيت المقدس، وهوالباب الثامن، و رجّح البيضاوي الاحتمالين الأولين بأنّهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى (عليه السلام)(١) و فيه أنّهم أُمروا بدخول الباب بعد خروجهم من التيه، وقد توفي موسى وهارون فيه على ما مرّ سابقاً.

سُجَّدٗا : مخبتين أو ساجدين لله شكراً على إخراجهم من التيه.

وَقُولُواْ حِطَّةٞ : أي مسألتنا، أو أمرك حطة، كالحلبة، و قرئ بالنصب على الأصل بمعنى حطّ منا ذنوبنا حطّة.

قال البيضاوي: أو على أنّه مفعول قولوا: أي قولوا هذه الكلمة(٢).

وفيه أنّه لا يكون مفعول القول إلّا جملة مفيدة، أو مفرداً يفيد معناها، كقلت شعراً، فالصواب أن يقال حينئذٍ معناه قولوا أمراً حاطّاً لذنوبكم، وقيل: أمرنا حطّة، أي أن نحطّ في هذه القرية و نقيم بها.

و روي عن الباقر (عليه السلام) أنّه قال: نحن باب حطّتكم(٣).

نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ : بسجودكم و دعائكم. و قرئ بالياء، وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول(٤).

و خطايا أصله خطائي، كطائع عند سيبويه بدّلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الألف، و اجتمعت همزتان فأُبدلت الثانية ياءً ثم قلبت ألفا و صارت الهمزة بين الفين فأبدلت ياء(٥) وعند الخليل قدّمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر(٦).

وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ : ثواباً، جعل الإمتثال توبة للمسيء و إحساناً، و أخرجه

(١و٢) تفسير البيضاوي: ج١، ص٥٨.

(٣) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١١٩.

(٤و٥و٦) تفسير البيضاوي: ج١، ص٥٨.

من صورة الجواب، إشعاراً بأنّ الزيادة تفضّل منه تعالى، كما قال تعالى: «ليوفيهم أُجورهم و يزيدهم من فضله»(١)

فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ: أي فخالف الذين عصوا، ففعلوا غير ما أُمروا أن يفعلوه، و قالوا غير ما أُمروا أن يقولوه.

واختلف في ذلك الغير، فقيل: إنّهم قالوا بالسريانية (هاطا سماقانا) وقال بعضهم: (هطا سماقاتا) و معناه حنطة حمراء فيها شعيرة، وكان قصدهم في ذلك الإستهزاء و مخالفة الأمر، وقيل: إنّهم قالوا: حنطة، تجاهلاً و استهزاءً، وكانوا قد أُمروا أن يدخلوا الباب سجّداً أو طوطيء لهم الباب ليدخلوه كذلك، فدخلوه زاحفين على أستاهم، فخالفوا في الدخول أيضاً.

فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ: كرّره مبالغةً في تقبيح أمرهم، و إشعاراً بأنّ الإنزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه، أو على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها.

رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ: عذاباً مقدّراً من السماء بسبب فسقهم.

والزجر في الأصل: ما يعاف عنه، و كذلك الرجس، وقرئ بالضم، وهو لغة فيه، والمراد به الطاعون.

روي أنّه مات به في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً من كبرائهم و شيوخهم، و بقي الأبناء، فانتقل عنهم العلم والعبادة(٢)، كأنّه يشير إلى أنّهم عوقبوا بإخراج الأفاضل من بينهم.

قال النبي(صلّى الله عليه و آله) في الطاعون: إنّه رجز عذّب به بعض الأمم قبلكم(٣)

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٠.

(٢) مجمع البيان: ج١، ص١٢٠، نقله عن ابن زيد، أورده في ذيل الآية الشريفة (فبدّل الذين ظلموا) الآية.

(٣) صحيح مسلم: ج٤، باب ٣٢، الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، ح٩٢، ولفظ الحديث «قال أسامة: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): الطاعون رجز أو عذاب أُرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، و إذا وقع بأرض و أنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه».

وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ: لما عطشوا في التيه.

فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ: اللام فيه للعهد، على ما روي أنّه كان حجراً طورياً مربّعاً فحمله معه، وكان تنبع من كلّ وجه ثلاث أعين، تسيل كلّ عين في جدول إلى سبط، و كانوا ستمائة ألف، و سعة المعسكر اثنا عشر ميلاً. أو حجراً أهبطه آدم من الجنّة فتوارثوه حتّى وقع إلى شعيب فدفعه إليه مع العصا أوالحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل إذ رَمُوه بالأدرة فَفَرّ به، فقال له جبرئيل: يقول لك الله تعالى: ارفع لي هذا الحجر، فإنّ لي فيه قدرة و لك فيه معجزة، فحمله في مخلاته(١).

وقيل: كانت حجرة فيها اثنتا عشره حفرة، وكانت الحجرة من الكذان وهي حجارة رخوة كأنّها مدرة، وكان يخرج من كلّ حفرة عين من ماء عذب فرات فيأخذونه، فإذا فرغوا و أراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء(٢). أو للجنس أي اضرب الشي الذي يقال له الحجر، قال الحسن: وهذا أظهر في الحجّة و أبين في القدرة(٣).

و روي أنّهم قالوا: كيف بنا لو أفضينا إلى أرض ليست فيها حجارة! فحمل

---

(١) الكشاف: ج١، ص١٤٤، ذيل الآية الشريفة (و اذ استسق موسى لقومه).

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٢١.

(٣) الكشاف: ج١، ص١٤٤.

حجراً في مخلاته، فحيثما نزلوا ألقاه، وكان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس، فقالوا: إن فقد موسى عصاه متنا عطشاً، فأوحى الله إليه: لا تقرع الحجارة وكلّمها تطعك، لعلّهم يعتبرون!(١).

وروي كان ذراعاً في ذراع(٢).

وروي أنّه كان على شكل رأس الإنسان(٣).

والعصا كانت عشرة أذرع على طول موسى، من آس الجنّة وله شعبتان تتقدّان في الظلمة(٤).

فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا: الإنفجار: الإنشقاق، والإنبجاس أضيق منه، فيكون أوّلاً انبجاس ثم يصير انفجاراً، أو الإنبجاس عند الحاجة إليه، والإنفجار عند الإحتياج، أوالإنبجاس عندالحمل والإنفجار عندالوضع، فلا منافاة بينه وبين ما ذكر في سورة الأعراف (فانبجست)(٥) والجملة جواب شرط محذوف تقديره: فإن ضربت فقد انفجرت، أو معطوف على محذوفة تقديره: فضرب فانفجرت، كما مرّ في قوله: «فتاب عليكم»(٦).

وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها، وهما لغتان فيه.

قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ: كلّ سبط.

مَّشْرَبَهُمْ: عينهم التي يشربون منها.

كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟: على تقدير القول، أي وقلنا لهم.

مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ: يريد به ما رزقهم الله من المنّ والسلوى، وماء العيون.

وقيل: الماء وحده لأنّه شرب ويؤكل ما ينبت به.

وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ: لا تعتدوا حال إفسادكم.

---

(١) الكشاف: ج١، ص١٤٤.

(٢و٣) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٢١.

(٤) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٢٠.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٦٠.

(٦) سورة البقرة: الآية ٥٤.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

و إنّما قيّده و إن كان العثي لا يكون إلّا فساداً، لأنّه يجوز أن يكون فعل ظاهره الفساد و باطنه المصلحة كقتل الخضر الغلام، و خرقه السفينة، فبيّن أنّ فعلهم هوالفساد ظاهراً و باطناً، و يقرب منه العيث غير أنّه يغلب فيما يدرك حسّاً، وجعل بعضهم الحال مؤكدة.

فإن قيل: كيف يجتمع ذلك الماء والكثير في ذلك الحجر الصغير؟

أُجيب بأنّ ذلك من آيات الله الباهرة و الأعاجيب الظاهرة الدالّة على أنها من فعل الله، فإنّه لما أمكن أن يكون من الأحجار ما يحلق الشعر، و ينفر الخل، و يجذب الحديد، لم يمتنع أن يخلق في حجر ـ أو أحدث في كلّ حجر ـ قوّة تجذب الماء من تحت الأرض، أو تجذب الهواء من الجوانب و تصيّره ماءً بقوّة التبريد و نحو ذلك.

ولي هناك فائدة يجب أن ينبّه عليها.

فأقول: الممتنع إمّا ممتنع بأيّ اعتبار أُخذ، أو باعتبار طبيعته و حقيقته مع قطع النظر عن غيره، أو باعتبار العادات والرسوم: فالأول كشريك الباري، والثاني

ككون الكبير في الصغير، والثالث ككون الحنطة، خلافاً والممتنع بالقياس إليه تعالى هوالأول، دون الثانيين، فتأمّل فإنّه يحتاج إلى لطف و تأمّل.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ : يريد به مارزقوا في التيه من المنّ والسلوى. و بوحدته أنّه لا يتبدّل كقولهم: طعام مائدة الأمير واحد، يريدون أنّه لا تتغير ألوانه، و لذلك أجموا(١)، أو ضرب واحد لأنّهما معاً طعام أهل التلذّذ، وهم كانوا أهل فلاحة فنزعوا إلى عِكْرهم(٢) واشتهوا ما ألفوه.

و قيل: إنّه كان ينزل عليهم المنّ وحده، فلّوه، فقالوا ذلك فأنزل عليهم السلوى من بعد ذلك.

فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ : صلة، لأجلنا بدعائك إيّاه.

يُخْرِجْ لَنَا : يظهر لنا، وجزمه بأنّه جواب الأمر المذكور.

مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ : من إسناد الفعل إلى القابل، و (من) للتبعيض، والعائد إلى الموصول محذوف.

مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا : بيان وقع موقع الحال، وقيل: بدل بإعادة الجار.

والبقل: ما أنبتته الأرض من الخضر، والمراد به أطائبه التي تؤكل.

والفوم: الحنطة.

و يقال: للخبز، ومنه فوّموا لنا، أي اخبزوا.

وقيل: الثوم، و يدلّ عليه قراءة ابن مسعود (و ثومها)(٣)، و قرئ قُثائها بالضم، وهو لغة فيه.

واختلف في أنّ سؤالهم هذا هل كان معصية؟ فقيل: لا، لأنّ الأوّل كان مباحاً فسألوا مباحاً آخر.

---

(١) أجم الطعام: كرهه وملّه من المداومة عليه. لسان العرب: ج١٢، ص٧، في لغة (أجم).

(٢) العكر بالكسر: الأصل. لسان العرب: ج٤، ص٥٩٩، في لغة (عكر)

(٣) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٢٢.

وقيل: بل كان معصية، لأنّهم لم يرضوا بما اختاره الله لهم، ولذلك ذمّهم على ذلك، وهو أوجه.

قَالَ: أي الله، أوموسى.

أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ: أقرب منزلة، وأصل الدنو: القرب في المكان، فاستعير للخسّة، كالبعد في الشرف والرفعة.

فقيل: بعيد المحل، بعيد الهمّة.

وقرئ أدناء من الدناءة، وحكى الأزهري عن أبي زيد: الدني بغير همزة: الخسيس(١).

بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ: يريد به المنّ والسلوى، فإنّه خير في اللذّة والنفع، وعدم الحاجة إلى السعي.

اهْبِطُوا: وقرئ بالضم، أي انحدروا من التيه، يقال: هبط الوادي: إذا نزل به، وهبط منه إذا خرج عنه.

مِصْرًا: أراد به مصراً من الأمصار، وهوالبلد العظيم، وأصله القطع، لانقطاعه بالعمارة عمّا سواه، وقيل: أصله الحدّ بين شيئين.

قال الشاعر:

وجاعِلُ الشَّمْسِ مِصْراً لاخفاءَ بِهِ   بَيْنَ النَّهارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلاَ(٢)

اوالعلم وصرفه لسكون وسطه، أو على تأويل البلد، ويؤيّده أنّه غير منوّن في مصحف ابن مسعود(٣).

وقيل: أصله مصرائم، فصرفه للتصرف في العجمية بالتعريف.

فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ: جعلت الذلّة والمسكنة محيطين بهم مشتملين عليهم، فهم فيهما كما يكون في القبه من ضربت عليه

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٢٢.

(٢) القائل عدي بن زيد، كما في مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٢٢.

(٣) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٢٣.

أوالتصقتا بهم حتى لزمتاهم ضربة لازب كما تضرب الطين على الحائط فيلزمه، مجازاة لهم على كفران النعمة، فاليهود أذلّاء أهل مسكنة، إمّا على الحقيقة، أو لتصاغرهم و تفاقرهم مخافة أن تُضاعف عليهم الجزية أوالمراد بالذلّة: الهوان بأخذ الجزية، و بالمسكنة: كونهم بزيّ الفقراء، فترى المثري منهم يتمسّكن مخافة أن تضاعف عليهم الجزية،أوالمراد بالذلّة ما يشمل المعنيين، و بالمسكنة: فقر القلب، لأنّه لا يوجد يهوديّ غنيّ النفس، و قال النبي (صلّى الله عليه وآله): الغنى غنى النفس(١).

وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ: رجعوا به، من باء: إذا رجع،أوصاروا أحقّاء بغضبه، من باء فلان بفلان إذا كان حقيقاً بانّ يقتل به، و أصل البوء المساواة.

ذَٰلِكَ: إشارة الى ما سبق من ضرب الذلّة والمسكنة، والبوء بالغضب كائن لهم.

بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ: بسبب كفرهم بالمعجزات، أوبالكتب المنزلة، وآية الرجم، والتي فيها نعت محمّد (صلى الله عليه وآله) من الكتب. وقتلهم الأنبياء كزكريّا و يحيى وغيرهما ـ عليهم السلام ـ بغير الحقّ عندهم، إذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم، و إنّما حملهم على ذلك إتّباع الهوى، وهذا أشنع من أن يقتلوه بشيء يعتقدونه جرماً حقّاً باعتقادهم الفاسد.

ذَٰلِكَ: أي الكفر بالآيات وقتل الأنبياء، صدر عنهم.

بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ: بسبب عصاينهم و تماديهم فيه، فإنّ التمادي في ضعاف الذنوب يؤدّي إلى شدادها، كما أنّ المواظبة على صغار الطاعات يؤدّيّ إلى تحرّي كبارها.

---

(١) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص ١٢٤، في تفسير الآية الشريفة (و إذ قلتم يا موسى) الآية. ومسند أحمدبن حنبل: ج٢، ص٢٤٣.

و سنن ابن ماجه: ج٢، كتاب الزهد، باب٩، القناعة، ص١٣٨٦، ح٤١٣٧. ولفظ الحديث (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس).

قال صاحب الكشاف: كرّر الإشارة للدلالة على أنّ ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل، فهو بسبب ارتكاب المعاصي واعتدائهم حدودالله(١).

وفيه نظر، لأنّه لو كان التكرير لذلك لكفى فيه أن يقول: و بما عصوا.

و قال: وعلى تقدير أن يكون ذلك إشارة إلى الكفر والقتل، يجوز أن يكون الباء بمعنى مع، أي ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا(٢)، والأحسن ما قرّرناه لرعاية اتّساق الكلام، و إنّما جوّزت الإشارة بالمفرد الى شيئين على تأويل ما ذكرنا وما تقدّم للاختصار، و نظيره في الضمير قول رؤبة:

فيها خُطوطٌ مِن سَوادٍ وَ بَلق كأنّه في الجلدِ توليعُ(٣) البَهَق(٤).

فإن قيل: كيف يجوز التخلية بين الكفار وقتل الأنبياء؟

أُجيب بأنّه إنّما جاز ذلك لينال أنبياء الله سبحانه من رفيع المنازل والدرجات ما لا ينالونه بغير القتل.

قال الشيخ الطبرسي: وليس ذلك بخذلان لهم، كما أنّ التخلية بين المؤمنين والأولياء والمطيعين و بين قاتليهم ليس بخذلان لهم، هذا كلامه(٥).

والأجود التفصيل بأنّه ليس بخذلان بمعنى إنزال العذاب و سوء عاقبة الدار، و غير ذلك ممّا ينبئ عن خذلان الآخرة وحرمان المثوبة.

---

(١) الكشاف: ج١، ص١٤٦.

(٢) الكشاف: ج١، ص١٤٦.

(٣) رجل مولع: أبرص، و أنشد أيضاً (كأنّها في الجلد توليع البهق) والمولع: كالملمع إلّا أن التوليع استطالة البلق، قال رؤبة: فيها خطوط الخ قال أبوعبيدة، قلت لرؤبة: إن كانت الخطوط فقل: كأنّها، و إن كان سواد و بياض فقل: كأنّهما. فقال: كأنّ ذا و يلك توليع البلق، لسان العرب: ج٨، ص٤١١، في لغة (ولع).

(٤) البهق بياض دون البرص، قال رؤبة: فيه خطوط الى آخره. البهق: بياض يعتري الجسد بخلاف لونه ليس من البرص، لسان العرب: ج١٠، ص٢٩. أقول: في مادة ولع: فيها خطوط، وهنا: فيه خطوط.

(٥) مجمع البيان: ج١ - ٢ - ص١٢٥.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

والمروي عن الحسن أنّ من قتل من الأنبياء قد قتل بغير قتال، و أنّ الله لم يأمر نبيّاً بالقتال فقتل فيه(١).

والمذكور في مجمع البيان: إنّ الصحيح أنّ النبي إن كان لم يؤد الشرع الذي أمر بتأديته، لم يجز أن يمكّن الله سبحانه من قتله، لأنّه لو مكّن من ذلك لأدّى إلى أن يكون المكلّفون غير مزاحي العلّة في التكليف وفيما لهم من الألطاف والمصالح، فأمّا إذا أدّى الشرع فحينئذٍ يجوز أن يخلّي الله بينه وبين قاتليه ولم يجب عليه المنع من قتله(٢).

وعلى الملازمة التي ادّعاها منع، بأنّه يجوز أن يكون إزاحة العلل بإرسال النبي و إظهار المعجزة على يده، وقتله بسوء ضيعهم بعد ثبوت نبوّته و إعجازه، ناشىء من تهاونهم في نصره و توازرهم على دفعه، فهم مفوّتون تبليغه بسوء فعلهم، فهم غير معذورين بعدم تبليغه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ : بألسنتهم، يريد به المتديّنين بدين محمّد (صلّى الله عليه وآله)، المخلصين منهم والمنافقين.

وقال صاحب الكشاف: المنافقين(٣).

(١و٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ١٢٥.

(٣) الكشاف: ج١، ص١٤٦.

لانخراطهم في سلك الكفرة والأول أولى لعموم الفائدة.

﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: أي تهوّدوا، يقال: هاد وتهوّد إذا دخل في اليهوديّة.

ويهود إمّا عربيّ من هاد إذا تاب، سمّوا بذلك لما تابوا من عبادة العجل أو من هاد، إذا مال، لأنّهم مالوا عن الإسلام وعن دين موسى. أو من هاد إذا تحرّك، لأنّهم كانوا يتحرّكون عند قراءة التوراة، وإمّامعرّب يهوذا، وكأنّهم سمّوا باسم أكبر أولاد يعقوب (عليه السلام)، واليهود اسم جمع، واحده يهودي كالزنجي والزنج والرومي والروم.

﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾: قال سيبويه: جمع نصران كالندامى(١)، وقيل: جمع نصري مثل مهري ومهارى، والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري.

سمّوا بذلك، لأنّهم نصروا المسيح، أو كانوا معه في قرية يقال: لها نصران أو ناصرة، وعلى تقدير أن يكون اسم القرية نصران يحتمل كون الياء للنسبة.

﴿وَالصَّابِئِينَ﴾: قيل: قوم بين النصارى والمجوس لادين لهم. وقيل: أصل دينهم دين نوح (عليه السلام). وقيل: هم عبدة الملائكة.وقيل: عبدة الكواكب، من صبأ إذا خرج.

وقرأ نافع بالياء وحدها، إمّا لأنّه خفّف الهمزة، أو لأنّه من صبا إذا مال، لأنّهم مالوا عن سائر الأديان إلى دينهم، أو من الحقّ إلى الباطل.

قال الشيخ الطبرسي: والفقهاء بأجمعهم يجيزون أخذ الجزية منهم، وعندنا لا يجوز ذلك لأنّهم ليسوا بأهل كتاب(٢).

﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ، مصدّقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد، عاملاً بمقتضى شرعه، ومن تجدّد منه الإيمان وأخلصه.

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: الذي وعدهم على إيمانهم وعملهم.

---

(١) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص١٢٦.

(٢) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص١٢٦.

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ: حين يخاف الكفّار من العقاب، و يحزن المقصّرون على تضييع العمر و تفويت الثواب.

و «مَن» مبتدأ، خبره «فلهم أجرهم» والجملة خبر (إنّ) أو بدل من اسم (إنّ) وخبرها «فلهم أجرهم» والفاء لتضمّن المسند إليه معنى الشرط، وقد منع سيبويه دخولها في خبر إنّ، من حيث أنّها لا تدخل الشرطيّة(١).

و ردّ بقوله تعالى: «إن الموت الذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم»(٢).

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ : مفعال من الوثيقة، وهو ما يوثق به من يمين أو عهد أو غير ذلك، يريد به العهد باتّباع موسى والعمل بالتوراة.

وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ : حتّى قبلتم الميثاق.

والطور في اللغة: الجبل.

قال العجاج:

دَانى جَنَاحَيهِ مِنَ الطُّورِ فَمر تَقَضِيَ البَازِي إِذِ البازِي كسر(٣)

وقيل: إنّه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى (عليه السلام).

روي أنّ موسى (عليه السلام) لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقّة، كبرت عليهم، و أبوا قبولها فأمر جبرئيل (عليه السلام) بقطع الطور فظلّله فوقهم حتّى قبلوا(٤).

خُذُوا : على إرادة القول.

مَا ءَاتَيْنَٰكُم : من الكتاب.

بِقُوَّةٍ : بجدّ و عزيمة.

---

(١) تفسير البيضاوي: ج١، ص٦٠.

(٢) سورة الجمعة: الآية ٨.

(٣) استشهد به الفخر الرازي: ج٣، ص١٠٧، و أبوحيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط، وابن جرير الطبري في جامع البيان في تفسير القرآن: ج١، ص٢٥٧، و مجمع البيان للطبرسي: ج١ - ٢، ص١٢٧، كلّهم في ذيل الآية الشريفة (و رفعنا فوقهم الطور).

(٤) نقله في الكشاف: ج١، ص١٤٧، من غير إسناد إلى الرواية عند تفسيره للآية الشريفة.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

روى العياشي أنّه سئل عن الصادق (عليه السلام) من قول الله تعالى: «خذوا ما آتيناكم بقوّة» أبقوّة في الأبدان أم بقوّة في القلوب؟ فقال: بهما جميعا(١).

وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ: قيل: معناه ادرسوه ولا تنسوه، أو تفكّروا فيه، فإنّه ذكر بالقلب، أو اعملوا به.

والمروي عن أبي عبدالله (عليه السلام)، أنّ معناه اذكروا ما في تركه من العقوبة(٢).

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ: متعلّق بـ (خذوا) أي لكي تتقوا، أو بـ (اذكروا) أي رجاء منكم أن تكونوا متقين، أو بـ (قلنا) المقدّر، أي قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ: أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه.

فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ: بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه.

وَرَحْمَتُهُ: بمحمّد (صلّى الله عليه وآله) يدعوكم إلى الحقّ ويهديكم إليه.

لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ: المغبونين بالانهماك في المعاصي، أو بالخبط والضلال في فترة من الرسل، أو بهما.

و (لو) في الأصل، لامتناع الشيء لامتناع غيره، فإذا أدخل على (لا) أفاد

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٤٥، ح٥٢.

(٢) مجمع البيان: ج١، ص١٢٨، في ذيل الآية الشريفة (وإذ أخذنا ميثاقكم).

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾

إثباتاً، وهو امتناع الشيء لثبوت غيره، والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف، لدلالة الكلام عليه، و سدّ الجواب مسدّه، و عند الكوفيّين فاعل فعل محذوف(١).

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ : لمّا اصطاد السموك فيه.

والسبت: مصدر سبتت اليهود إذا عظّمت يوم السبت، و أصله القطع. أمروا بأن يجرّدوه للعبادة، فاعتدى ناس منهم في زمن داود واشتغلوا بالصيد.

فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ : مبعدين عن كلّ خير.

والخساء هوالصغار والطرد.

و قرئ (قردة) بفتح القاف وكسر الراء و (خاسئين) بغير همزة.

فَجَعَلْنَٰهَا : أي المسخة و العقوبة، و عن الباقر (عليه السلام): فجعلنا الأُمّة(٢).

نَكَٰلًا : عبرة تنكّل المعتبر بها، أي تمنعه، ومنه النكل للقيد.

لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا: لما قبلها من الأمم وما بعدها، إذ ذكرت حالهم في زبر الأوّلين و اشتهرت قصتهم في الآخرين، أو لمعاصريهم ومن بعدهم، أو لما يحضرها من القرى وما تباعد عنها، أو لأهل القرية وما حواليها، أو لأجل ما تقدّم عليها من ذنوبهم وما تأخّر منها.

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ : من قومهم، أو لكلّ من سمعها.

---

(١) تفسير البيضاوي: ج١، ص٦١.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٣٠.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾: سميت بقرة لبقرها الأرض، والهاء ليست للتأنيث، و إنّما هي لتدلّ على الوحدة كالبطّة، والدجاجة والأوزة والحمامة.

و أوّل هذه القصة قوله تعالى: «و إذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها» و إنّما فكّت عنه وقدّمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساوئهم، وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال، و ترك المسارعة في الإمتثال.

و قصّته على ما رواه العياشي مرفوعاً إلى الرضا (عليه السلام) أنّ رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له، ثم أخذه فطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل، ثم جاء يطلب بدمه، فقالوا لموسى (عليه السلام): إنّ سبط آل فلان قتلوا فلاناً فأخبرنا مَنْ قتله؟ قال: اتوني ببقرة(١).

والمروي عن الصادق (عليه السلام): في سبب قتله، أنّه قتله ليتزوّج بنته و قد خطبها فلم ينعم له، وقد خطبها غيره من خيار بني إسرائيل فأنعم له، فحسده ابن عمّه الذي لم ينعم له، فقعد له فقتله، ثم حمله إلى موسى. إلى آخر الحديث(٢).

والمذكور في الكشاف وغيره أنّه كان فيهم شيخ موسر، فقتل ابنه بنو أخيه طمعاً في ميراثه و طرحوه على باب المدينة، ثم جاؤوا بدمه، فأمرهم أن يذبحوا بقرة و يضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله(٣).

﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾: مكان هزء، أو أهله، أومهزوء بنا، أوالهزء نفسه، لفرط الاستهزاء، استبعاداً لما قاله، أو استخفافاً به.

و قرئ هزء بضمّتين، و بسكون الزاي، بالهمزة في الصورتين و بضمّتين والواو.

﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: لأنّ الهزء في مقام الإرشاد جهل وسفه.

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٤٦، قطعة من حديث ٥٧.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٤٩.

(٣) الكشاف: ج١، ص١٤٨، في تفسيره لقوله تعالى: (و إذ قال موسى لقومه).

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾

والعياذ واللياذ: من واد واحد.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ: لما رأوا ما أُمروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه أجروه مجرى مالم يعرفوا حقيقته، فسألوا عنها بـ (ما) المطلوبة بها الحقيقة، و إلّا فالمقصود بيان الحال والصفة.

قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ: لا مسنّة ولافتيّة، يقال: فرضت البقرة فروضاً، من الفرض: وهو القطع، كأنّها فرضت سنّها، وتركيب البكر للأولويّة (للأوّلية) ومنه البكرة والباكورة.

عَوَانٌ: نصف.

قال الطرماح:

طوالٌ مثلُ أعناق الهوادي نَواعِمُ بَيْنَ أبْكارٍ وَعُونِ(١)

---

(١) وقبله:

ظعائن كنت أعهدهنّ قدما وهن لدى الإقامة غير جون

حصان مواضع النقب الأعالي غراث الوشح صامته البرين

الظعينة، المرأة في الهودج، و غرثى الوشاح، وصامة البرين: كناية عن غلظ ساقها، والبرين: الخلخال، ومثل موضع الثلل و هو أن يصب الثوب سواد ولا يذهب بغسله، و طوله كناية عن ذول العنق، والهوادي جمع الهادي وهوالعنق، فإضافة الأعناق إليه إضافة الشيء إلى نفسه، والناعمة: الكريمة اللينة، وعون جمع عوان وهي المرأة بين الحديثة والمسنّة، و صفهنّ بأنّهنّ أبكرمن الأبكار و أصفر من العون، و ذلك أحسن ←

بَيْنَ ذَٰلِكَ: أي ما ذكر من الفارض والبكر، و لذلك أُضيف إليه البين، فإنّه لا يضاف إلّا إلى متعدّ.

وفي رواية العياشي مرفوعاً إلى الرضا (عليه السلام): انّهم لو ذبحوا أي بقرة أرادوا لأجزأهم، ولكن شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم(١). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

فلا يلزمه تأخير البيان عن وقت الحاجة.

قيل: و يلزمه النسخ قبل الفعل، فإنّ التخصيص أوالتقييد إبطال للتخيير الثابت بالنصّ.

و فيه نظر، لأنّ كون التخيير فيه حكماً شرعياً ممنوع، إذ الأمر بالمطلق لا يدلّ إلّا على ايجاب ماهيّته من حيث هي، بلا شرط، لكن لمّا لم تتحقّق الماهيّة من حيث هي إلّا في ضمن فرد معين، جاء التخيير عقلاً، من غير دلالة النص عليه.

فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ: أي ما تؤمرونه يعني ما تؤمرون به، فحذف الجار و أوصل الفعل ثم حذف العائد المنصوب، من قوله:

أمرتُكَ الخَيرَ فَافْعَلْ ما أُمِرتَ به فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذامالٍ وَ ذانَشَبِ(٢)

احوالهن (منه رحمه الله) كذا في هامش بعض النسخ.

وفي هامش الكشاف: ج١، ص١٤٩، ماملخصه: الظعائن: النساء في الهوادج، والجون بالضم جمع جوناء أي سوداء، والحصان ـ بالفتح ـ المحصنة، والنقب جمع نقاب ككتب وكتاب، والعون أصله بضم الواو جمع عوان، وهي النصف بفتحتين أي الوسط من النساء والبهائم فسكّن تخفيفاً، يقول: تلك النساء ظعائن أي مسافرات غيّر لونهنّ السفر وكنت أعهدهنّ في قديم الزمان حين الإقامة غير سود، وهنّ محصنات الوجوه، والأعالي صفة للنقب أوالمواضع وهذا لا يكون إلّا في النساء كما ترى.

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٤٦، ح٥٧.

(٢) هو من أبيات لعمرو بن معدي كرب الزبيدي المذحجي. وقيل: لشاعر آخر. قوله: أمرت متكلم معلوم من الأمر ضد النهي و أُمرت مجهول منه، والواو للحال، و تركتك مخاطب من الترك، و ذا بمعنى الصاحب، والنشب بالنون والشين المعجمة والموحدة كفرس المال الأصيل من الناطق والصامت، جامع الشواهد: ص٦٧، باب الالف بعده الميم، وفي التبيان: ج٢، ص٣٤٨.

أو أمركم، بمعنى مأموركم.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا: الفقوع أشدّ ما يكون من الصفرة و أنصعه، يقال في التوكيد: أصفر فاقع و وارس، كما يقال: أسود حالك وحانك. وفي إسناده إلى اللون، وهو صفة صفراء لملابسته بها، فضل تأكيد، كأنّه قيل: صفراء شديدة الصفرة صفرتها، فانتزع من الصفرة، صفرة، و أسند الفقوع إليها، فهو من قبيل جدّ جدّه، وجنونك مجنون.

وعن الحسن: سوداء شديدة السواد، و به فسّر قوله تعالى: «جمالات صفر»(١).
و قال الأعشى:

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهَا كَالزَّبِيبِ(٢)

ولعلّه عبّر بالصفرة عن السواد، لأنّها من مقدّماته، أو لأنّ سواد الإبل تعلوه صفرة.

---

(١) سورة المرسلات: الآية ٣٣.

(٢) وقبله:

إنّ قيساً قيس الفعال أبا الأشعث أمست أصداؤه لشعوب
كلّ عام يمدّني بجموم عند وضع لضأن أو بنجيب

للاعشى في أبي الأشعث بن قيس ـ والفعال ـ بالفتح: فعل الخير، والأصداء: جمع صدى، وهو ذكر البوم، كانت العرب تزعم أنّ عظام رأس القتيل تصير بومة، و تصيح: أدركوني، حتى يؤخذ بثأره، و شعوب: اسم للمنية، يمكن أنّه جمع شعب بمعنى طريق، أي أمست متفرقة في الطرق، و ذلك كناية عن قتله، والجمع للتعظيم، أو اعتباري، والجموم جمع جم بتثليث أوّله بمعنى الكثير، والنجيب: الكريم من الخيل والإبل، والركاب: المطايا، هنّ أي الركاب، صفر: جمع أصفر أوصفراء، أولاد ما يغلب عليه السواد كالزبيب، والمراد بالصفرة، سواد ترهقه صفرة، لأنّ هذا أعز ألوان الابل عندهم.

نقلاً عن هامش الكشاف: ص ١٥٠، في تفسير قوله تعالى (صفراء فاقع).

وفي هامش بعض النسخ ما لفظه (قوله: هنّ صفر، هو من قصيدة يمدح بها قيس بن معدي كرب، و تلك مبتدأ وخيلي خبره، ومنه حال، والركاب الإبل التي يركب عليها، الواحدة راحلة، ولا واحد لها من لفظها. و أولادها فاعل صفر، أي سود، و يمكن أن يكون هنّ صفر جملة، و أولادها كالزبيب جملة اخرى. (منه رحمه الله).

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا
الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾

وفيه أنّ الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع، و أنّ الإبل و إن وصفت به فلا توصف به البقر.

تَسُرُّ النَّاظِرِينَ: أي يوقعهم في السرور بالفتح، وهو لذّة في القلب عند حصول نفع، أو توقّعه، من السرّ بالضمّ، كأنّه يحصل لهم من رؤيتها نفع أو توقّعه.

و روي عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: من لبس نعلاً صفراء لم يزل مسروراً حتّى يبليها، كما قال الله تعالى: «صفراء فاقع لونها تسرّ الناظرين»(١).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): أنّ من لبس نعلاً صفراء قلّ همّه، لقوله تعالى: «تسر الناظرين»(٢).

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ: كرّر السؤال الأوّل لزيادة الاستكشاف، وقوله:

إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا: اعتذار عنه، أي إنّ البقر الموصوف بالتعوين و فقوع

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢ ص١٣٥.

(٢) تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان في هامش تفسير جامع البيان في تفسير القرآن: ج١، ص٣١١.

الصفرة كثير فاشتبه علينا.

وقرئ (الباقر) وهو اسم لجماعة البقرة و الأباقر والبواقر، ويتشابه بالياء والتاء، ويشابه بالياء والتاء، وتشديد الشين بادغام تاء التفاعل فيها، وتشابهت مخففاً ومشدداً، إمّا بزيادة الألف في باب التفعيل، أو بإلحاق التاء الساكنة بالمضارع إلحاقاً له بالماضي، وتشبّه بحذف إحدى التائين من مضارع تفعل، ويشبّه بالتذكير، ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومتشبّه ومشتبهة.

وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ: إلى المراد ذبحها، أو إلى القاتل.

روي عن النبي (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: وأيم الله لولم يستثنوا مابينت لهم آخر الأبد(١).

واحتجّ به الأشاعرة على أنّ الحوادث بإرادة الله تعالى، وأنّ الامر قد ينفك عن الإرادة، وإلّا لم يكن للشرط بعد الأمر معنى.

والكراميّة والمعتزلة على حدوث الإرادة.

ويردّ عليهم أنّ هذا إنّما يمكن الاستدلال به إذا كان من كلامه تعالى، لا على سبيل الحكاية، وليس كذلك فإنّه حكاية لما يقولونه.

ويحتمل أن لا يكون حقّاً في نفس الأمر، وإذاقام ذلك الاحتمال، لم يمكن الاستدلال، ولو سلّم فيردّ على الأشاعرة وجوه من النظر.

الأول: أنّ الآية يحتمل أن يكون المراد بها، أنّه إن شاءالله هدايتنا لكنا من مهتدين على سبيل الجزم، ولولم يشأ يحتمل الإهتداء وعدمه.

الثاني: أنه إنّما يتمّ لو كان الإرادة والمشيئةبمعنى واحد، وهو ممنوع، فلو دلّت الآية على أنّ الحوادث بمشيئة الله فلم يدلّ على أنها بإرادته.

الثالث: أنّ قولهم دلّت الآية على أنّ الأمر قد ينفكّ عن الإرادة ممنوع، والملازمة التي ادّعوهافي بيانه ممنوعة، لأنّ معنى الشرط بعد الأمر أنّه تعالى لو شاء

---

(١) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن: ج١، ص٢٧٥.

هدايتهم، لهداهم، أي لولم يشأ لم يهدهم، و ذلك لاينافي أنّه شاء أمرهم فأمرهم.

والحاصل: أنّ الأمر لا ينفكّ عن الإرادة، بمعنى أنّه لا يجوز أن يأمر ولا يريد، والآية لم تدلّ على الجواز بهذا المعنى - كما قرّرنا - بل التحقيق أنّ أمره كاشف عن إرادته، و أمّا أنّ مراده هل ينفكّ عن إرادته أم لا؟ فشيء آخر، سيحقّق في موضعه.

و على المعتزلة والكراميّة أنّه يحتمل أن يكون التعليق باعتبار التعلّق، أو كان المعنى لوكان شاءالله هدايتنا الآن لنهتدي.

والحقّ أنّ الأمر لا ينفكّ عن الإرادة بالمعنى الذي حقّقته، و أنّ الإرادة حادثة من صفات الفعل، و سنحقّق ذلك في موضع آخر إن شاءالله.

قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ: أي لم تذلل للكراب(١) و سقي الحرث، و لا ذلول، صفة البقرة، بمعنى غير ذلول، و(لا) الثانية زائدة لتأكيد الأولى، والفعلان صفتا ذلول، كأنّه قيل: لا ذلول مثيرة ولا ساقية.

و قرئ لا ذلول بالفتح أي هناك ، أي حيث هي، كقولك: مررت برجل لابخيل ولا جبان، أي هناك ، أي حيث هو وتسقي من أسقى.

مُسَلَّمَةٌ: سلّمها الله من العيوب، أو أهلها من العمل، أو خلص لونها، من سلم له كذا، إذا خلص له، أي لم يشب صفرتها شيء من الألوان.

لَّا شِيَةَ فِيهَا: لا لون فيها يخالف لون جلدها، فهي صفراء كلّها حتّى قرنها و ظلفها، وهي في الأصل مصدر، و شاه و شياً وشية إذا خلط بلونه لون آخر.

قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ: أي الحقّ البيّن الذي لا يشتبه علينا.

و قرئ الآن بالمدّ على الإستفهام، ولان بحذف الهمزة و إلقاء حركتها على اللاّم.

فَذَبَحُوهَا: فيه اختصار، والتقدير فحصّلوا البقرة المنعوته، فذبحوها.

---

(١) في هامش بعض النسخ ما هذا لفظه: في الصحاح: كربت الأرض: قلبتها للحرث، و يقال في المثل: الكراب على البقر (منه رحمه الله).

﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾: لتطويلهم في السؤال وكثرة مراجعاتهم.

و روي أنّهم كانوا يطلبون البقرة الموصوفة أربعين سنة، أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل، أو لغلاء ثمنها، إذ روي أنّه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة، فأتى بها الغيضة(١) وقال: اللهمّ إنّي أستودعكها لابني حتّى يكبر، وكان برّاً بوالديه، فشبّت وكانت من أحسن البقرة و أسمنها، ووحيدة بتلك الصفات، فساوموها اليتيم و امّه حتّى اشتروها بملأ مسكها ذهباً، وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير(٢).

وفي رواية العياشي أنّه قال الرضا (عليه السلام): قال لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) بعض أصحابه: إنّ هذه البقرة ما شأنها؟ فقال: إنّ فتى من بني إسرائيل كان بارّاً بأبيه، و إنّه اشترى سلعة فجاء إلى أبيه فوجده نائماً والإقليد تحت رأسه، فكره أن يوقظه، فترك ذلك، واستيقظ أبوه فأخبره، فقال له: أحسنت، خذ هذه البقرة فهي لك عوض ما فاتتك، قال: فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أنظروا إلى البرّ ما بلغ بأهله(٣).

و روي أنّ ذلك الشاب من بني إسرائيل قد رأى محمداً و عليّاً في منامه و أحبها، وقالا له: لأنّك تحبّنا نجزيك ببعض جزائك في الدنيا، فإذا جاءك بنو إسرائيل يريدون شراء البقرة منك، فلا تبعها إلّا برضى اُمّك، فلمّا أرادوا شراءها كلّما زادوا في ثمنها لم ترض أمه حتّى شرطوا على أن يملؤوا ثور بقرة عظيمة في ثمنها فرضيت(٤).

---

(١) الغَيْضة الأجَمة، وهي الشجر المُلتف، وجمعه غياض. المصباح المنير: ص٦٢٩.

(٢) الكشاف: ج١، ص١٥٢، في تفسيره لقوله تعالى: «إنّ الله يأمركم» الآية.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص٤٦، ح٥٧.

(٤) البرهان: ج١، ص١٠٩، ح١، نقلاً بالمضمون و اليك نص الحديث: «ولم يجدوها إلا عند شاب من بني إسرائيل أراه الله في منامه محمداً وعلياً و طيبي ذرّيتهما، فقالا له: إنّك كنت لنا محبّاً مفضّلاً و نحن نريد أن نسوق إليك بعض جزائك في الدنيا فاذا راموا شراء بقرتك فلا تبعها إلّا بأمر أمك فإنّ الله عزّوجلّ يلقّنها ما يغنيك به و عقبك، ففرح الغلام فجاءه القوم يطلبون بقرة، فقالوا: بكم تبيع بقرتك؟

←

والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة، والحديث بتمامه مذكور في شرح الآيات الباهرة منقولاً عن التفسير المنسوب إلى الحسن العسكري (عليه السلام)، و قد ذكرته بتمامه في تفسيرنا الموسوم بالتبيان و على الله التكلان.

و كاد من أفعال المقاربة، وضع لدنوّالخبر حصولاً، فإذا دخل عليه النفي، قيل معناه الإثبات مطلقاً، وقيل: ماضياً، والحقّ أنّه كسائر الأفعال.

ولا ينافي قوله تعالى: «وما كادوا يفعلون»، قوله: (فذبحوها) لاختلاف وقتيها، إذ المعنى أنّهم ما قاربوا أن يفعلوا حتّى انتهت سؤالاتهم و انقطعت تعلّلاتهم، ففعلوا كالمضطرّ الملجأ إلى الفعل.

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا: خاطب الجمع لوجود القتل فيهم.

فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا: إختصمتم في شأنها، إذ الخصمان يدفع بعضهم بعضاً.

و أصل الدرءِ:الدفع، ومنه الحديث: ادرؤوا الحدود بالشبهات(١).

و قول رؤبة:

أدْرَكْتُهَا قُدَّامَ كُلِّ مِدْرَه بِالدَّفْعِ عَنّي دَرْءَ كُلِّ عُنْجة(٢)

فعلى هذا يحتمل أن يكون المعنى: تدافعتم، بأن طرح قتلها كلّ عن نفسه إلى صاحبه.

وقيل: الدرء: العوج، ومنه قول الشاعر:

فَنَكَّبَ عَنْهُمْ درءَ الأعادي وَ دَاوَوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ(٣)

فقال: بدينارين والخيار لأمّي. قالوا: قد رضينا بدينار. فسألها فقالت: بأربعة، فأخبرهم فقالوا: نعطيك دينارين فأخبر أمّه فقالت: ثمانية، فما زال يطلبون على النصف ممّا تقول أمّه فتضعّف الثمن حتى بلغ ثمنها ملأ مسك ثور أكبر ما يكون ملأ دنانير، فأوجب لهم البيع الى آخره. وفي تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص١١١، عند تفسيره لقوله تعالى: «إنّ الله يأمركم أن تذبحوا».

(١) لاحظ عوالي اللئالي: ج١، ص٢٣٦، ح١٤٧، وج٢، ص٣٤٩، ح٤. وج٣، ص٥٤٥، ح١.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٣٧. والعنجة أن يمسك الراكب بزمام البعير و يجرّه إليه حتى يتأخّر إلى خلف.

(٣) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٣٧.

فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

و أصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال، واجتلبت بها همزة الوصل.

وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ: مظهره. و أعمل (مخرج) لأنه حكاية مستقبل، كما أعمل «باسط ذراعيه»(١) لأنّه حكاية حال ماضيه.

فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ: عطف على (اذّارأتم) وما بينهما اعتراض، والضمير للنفس، و تذكير على تأويل الشخص أو القتيل.

بِبَعْضِهَا: أيّ بعض كان، وفيه أقوال أُخر مستندها غير معلوم.

روي أنّه لما ضرب ببعضها قام حيّاً و أوداجه تشخب دماً، قال: قتلني فلان ابن عمّي، ثم قبض.

كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ: يدلّ على ما حذف، أي فضربوه فحيّي، والخطاب من حضر القتيل، أو نزول الآية.

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٨.

وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ: لكي يكمل عقلكم، و تعلموا أنّ من قدر على إحياء نفس، قدر على إحياء الأنفس.

وفي الآية مع ما ذكر في بيانه من الأحاديث دلالة على انّ التموّل والغني من عندالله ينبغي أن يطلب منه، لا بمخالفة أمره، كما ناله الفتى من بني إسرائيل ولم ينله القاتل ابن عمّه.

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم: القساوة: الغلظ مع الصلابة كما في الحجر، و قساوة القلب مثل في نُبوّه من الاعتبار و أنّ المواعظ لا يؤثر فيه.

و (ثم) لا ستبعاد القسوة، و نحوه: «ثم أنتم تمترون»(١).

مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ: يعني إحياء القتيل، أو جميع ما عدّد من الآيات، فإنّها ممّا توجب لين القلب.

فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ: في قسوتها

أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً: منها، يعني أنها في القساوة مثل الحجارة، أو زائدة عليها، أو أنها مثلها، أو مثل ما هو أشدّ منها قسوة كالحديد، فحذف المضاف و أُقيم المضاف إليه مقامه، ويعضده قراءة الجر، بالفتح عطفاً على الحجارة، و إنّما لم يقل أقسى، لما في (أشدّ) من المبالغة، والدلالة على اشتداد القسوتين، و اشتمال المفضل على زيادة.

و (أوْ) للتخيير أو للترديد، بمعنى أن من عرف حالها شبّهها بالحجارة، أو بما هو أقسى منها.

وقد ورد عن النبي (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: لا تكثروا الكلام بغير ذكرالله، فإنّ كثرة الكلام بغير ذكرالله يقسي القلب، و إنّ أبعد الناس من الله القاسي القلب(٢).

وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ

---

(١) سورة الانعام: الآية ٢.

(٢) الوسائل: ج٨، كتاب الحج، ص٥٣٥، الباب ١١٩، من أبواب احكام العشرة، ح١٩.

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ: تعليل للتفصيل، فإنّ الحجارة ينفعل، فإنّ منها ما يتفجّر منه الأنهار، والتفجير: الفتح بسعة، ومنها ما ينبع منه الماء، ومنها ما يتردّى من أعلى الجبل انقياداً لما أراده الله تعالى به، وقلوب هؤلاء لا تتأثر من أمر الله تعالى، والخشية مجاز من الانقياد.

وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ: وعيد على ذلك.

و قرأ ابن كثير(١) و نافع و يعقوب و خلف و أبوبكر بالياء، والباقون بالتاء.

أَفَتَطْمَعُونَ: الخطاب لرسوله الله (صلّى الله عليه وآله).

أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ: أي اليهود.

وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ: من أسلافهم.

يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ: أي التوراة، أو حين كلّم موسى.

ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ: يغيّرونه أو يأوّلونه بما يشتهون.

مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ: ولم يبق لهم فيه ريبة.

وَهُمْ يَعْلَمُونَ: أنّهم مبطلون. فإذا كان أخيار هؤلاء و أسلافهم بهذه الحالة، فما طمعكم بجهّالهم و سفلتهم!

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا: أي اليهود.

قَالُوا آمَنَّا: أي قال منافقوهم: آمنا بأنكم على الحقّ، و رسولكم هوالمبشّر به

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٣٨.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾

في التوراة.

وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا: أي الذين لم ينافقوا عاتبين على من نافق.

أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ: و بيّنه في التوراة من نعت محمد (صلّى الله عليه وآله)، أو الذين نافقوا لأعقابهم، إظهاراً للتصلّب في اليهوديّة، ومنعاً لهم عن أنباء ما وجدوا في كتابهم، فيتناول الفريقين، فالاستفهام على الأوّل تقريع، و على الثاني إنكار ونهي.

لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ: ليحتجّوا بما فتح الله عليكم، حال كونه ثابتاً عند ربّكم، أي من جملة ما ثبت عند ربّكم أي من جملة ما أنزل الله في كتابه.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ : أمّا من كلام اللائمين، وتقديره: أفلا تعقلون أنّهم يحاجّوكم فيغلبون به عليكم أو متّصل بقوله: (أفتطمعون) والمعنى: أفلا تعقلون حالهم، و أن لا مطمع لكم في إيمانهم.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ: هؤلاء.

أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ: من الكفر، وما فتح الله، و تحريف الكلم وغيره.

وَمَا يُعْلِنُونَ : من الإيمان، وغير ما فتح الله، و تأويلاتهم و تحريفاتهم.

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ: أي التوراة.

إِلَّآ أَمَانِيَّ: استثناء منقطع ، و الأماني جمع أمنيّه،وهي في الأصل ما يقدّره الإنسان في نفسه.

وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ: لا علم لهم.

روي أنّ رجلاً قال للصادق (عليه السلام): إذا كان هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب إلّا ما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره، فكيف ذمّهم بتقليدهم والقبول من علمائهم؟ وهل عوام اليهود إلّا كعوامنا يقلّدون علماءهم فإن لم يجز لأولئك القبول من علمائهم، لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم؟ فقال (عليه السلام): بين عوامنا و علمائنا و بين عوام اليهود و علمائهم، فرق من جهة و تسوية من جهة، أمّا من حيث استووا، فإنّ الله قد ذمّ عوامنا بتقليدهم علماءهم كما قد ذمّ عوامهم، و أمّا من حيث افترقوا فلا، قال: بيّن لي ذلك يابن رسول الله. قال (عليه السلام): إنّ عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح، و بأكل الحرام، والرشا، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات، و عرفوهم بالتعصّب الشديد الذي يفارقون به أديانهم، و أنّهم إذا تعصّبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه، و أعطوا ما لا يستحقّه من تعصّبوا له من أموال غيرهم و ظلموهم من أجلهم، و عرفوهم يقارفون المحرّمات، و اضطرّوا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدّق على الله ولا على الوسائط بين الخلق و بين الله، فلذلك ذمّهم لما قلّدوا من عرفوا ومن قد علموا أنّه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكاياته، ولا العمل بما يؤدّيه إليهم عمّن لم يشاهدوه، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، إذ كانت دلالته أوضح من أن تخفى و أشهر من أن لا تظهر لهم وكذلك عوام أُمّتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر والمعصية الشديدة، والتكالب على حطام الدنيا وحرامها، و إهلاك من يتعصّبوا له، و إن كان لإصلاح أمره مستحقاً، و بالرفق والبرّ والإحسان على من تعصّبوا له، و إن كان للإذلال والإهانة مستحقاً، فمن قلّد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمّهم الله تعالى بالتقليد لفسقة فقهائهم فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه، و ذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم، فأمّا من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامّة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً ولا

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا
مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا
كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن
تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ
عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

كرامة لهم(١).

فَوَيْلٌ: أي تحسّر وهلك، مصدر ولا فعل له.

لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ: أي المحرّف.

بِأَيْدِيهِمْ: تأكيد.

ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا: أي يحصلوا غرضاً من أغراض الدنيا، فإنّه قليل بالنسبة إلى عقابهم.

فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ: من المحرّف.

وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ: من الرُشى.

وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً: محصورة قليلة.

روي أنّ بعضهم قالوا: نعذّب بعدد أيّام عبادة العجل أربعين يوماً، و بعضهم قالوا: مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة، و إنّما نعذّب مكان كلّ ألف سنة يوماً(٢).

---

(١) بحار الأنوار: ج٢، ص٨٧ الباب ١٤ من يجوز أخذ العلم منه ومن لا يجوز وذم التقليد، قطعة من حديث١٢.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٤٧.

بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا: وعداً

فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ: جواب شرط محذوف، أي إن اتخذتم عندالله عهداً، فلن يخلف الله عهده.

وقيل: لا تقدير في مثله، ولكن ضمّن الاستفهام معنى الشرط، فأُجيب بالفاء.

أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ: أم معادلة لهمزة الاستفهام، بمعنى كلا الأمرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما، أو منقطعة بمعنى، بل تقولون.

بَلَىٰ: إثبات لما نفوه من مساس النار لهم زماناً مديداً و دهراً طويلاً على وجه أعم، ليكون كالبرهان على بطلان قولهم، و يختص بجواب النفي.

مَن كَسَبَ سَيِّئَةً: والفرق بينها و بين الخطيئة، أنها قد تقال فيما يقصد بالذات، والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض، لأنّها من الخطأ. والكسب: استجلاب النفع، و تعليقه بالسيّئة على طريق التحكّم.

وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ: والمراد بها الشرك، لأنّ ما عداه لا يستحقّ به الخلود في النار عندنا، فالمراد بالإحاطة الاستيلاء عليه حتّى لا يخلو عنها شيء من جوانبه، كما هو شأن المشرك، فإنّ غيره إن لم يكن له سوى تصديق القلب والإقرار باللسان فلم تحط الخطيئة به.

فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ: ملازموها في الآخرة، كما أنهم ملازمو

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

اسبابها في الدنيا.

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ: لأنّ نيّاتهم في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، فبالنيّات خلّدوا، كذا في الكافي عن الصادق (عليه السلام)(١).

و في التوحيد عن الكاظم (عليه السلام): لا يخلّد الله في النار إلاّ أهل الكفر والجحود و أهل الضلال والشرك (٢).

وفي الكافي عن أحدهما (عليهما السلام) قال: إذا جحد إمامة أميرالمؤمنين (عليه السلام) فاولئك أصحاب النارهم فيها خالدون(٣). وقوله:

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ: بناءً على ماجرت عادته سبحانه على أن يقرن بالوعدالوعيد، لترجى رحمته و يخشى عذابه، ولمّا جاز أن يكون عطف العمل على الإيمان لزيادة الإهتمام والإشعار بأنّه أدخل أجزاءه لم يدلّ على خروجه من مسمّاه، مع أنّه

---

(١) الكافي: ج٢، ص٨٥، باب النية، ح٥، و لفظ الحديث قال: أبو عبدالله (عليه السلام): إنّما خلّد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم. كانت في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، و إنّما خلّد أهل الجنّة في الجنّة لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خلّد هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلا قوله تعالى: «قل كلّ يعمل على شاكلته» قال: على نيّته.

(٢) التوحيد: ص٤٠٧، باب ٦٣، الأمر والنهي والوعد والوعيد، قطعةمن ح٦.

(٣) الكافي: ج١، ص٤٢٩، باب فيه نكت و نتف من التنزيل في الولاية، ح٨٢.

معارض بقوله تعالى «إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات و أقاموا الصلوة و آتوا الزكوة»(١) فإنه لا نزاع في أنّ إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة داخلان تحت العمل الصالح.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ: إخبار في معنى النهي، وهو أبلغ من الصريح، لما فيه من إيهام من أنّ المنهي سارع إلى الانتهاء، فهو يخبر عنه، و تنصره قراءة (لا تعبدوا) و عطف (قولوا) عليه، فيكون على إرادة القول، وقيل: إنّ معناه، أن لا تعبدوا، فلما حذف (أن) رفع. كقوله:

ألا يا أيّها اللائمي أحْضر الوغى وَ أن اشهد اللذات هَلْ أنْتَ مُخلدي(٢)

و تنصره قراءة أن لا تعبدوا. و يحتمل أن تكون (أن) مفسّرة، و أن تكون مع الفعل بدلاً من الميثاق، أو معمولاً له بحذف الجار، و إن ادّعى في حذف حرف التفسير، إنّ فيه نظر.

وقيل: إنّه جواب قسم دلّ عليه المعنى، كأنّه قيل: و إذ أقسمنا عليهم لا تعبدون.

و قرئ بالتاء، حكاية لما خوطبوا به، و بالياء لأنّهم غيّب.

وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا: متعلّق بمضمر، تقديره و تحسنون، أو أحسنوا.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧٧.

(٢) في هامش بعض النسخ المخطوطة ما هذا لفظه (هو لطرفة بن العبد، والوغى: الحرب، و أصله الصوت، والتقدير أن أحضر، يقول: يا أيّها اللائمي على حضور الحرب و شهود اللذات، هل تخلّدني إن كففت عنها؟ (منه رحمه الله تعالى).

وفي هامش الكشاف في ذيل الآية الشريفة:

ألا أيها الزاجري أحضر الوغى و ان اشهد اللذات هل أنت مخلّدي

لطرفة بن العبد من معلّقته. و ألا اداة استفتاح، وحرف النداء محذوف، و أي منادى، و اسم الاشارة نعت له، والزاجر نعت لاسم الإشارة مضاف لياء المتكلّم إضافة الوصف لمفعوله، و روي بدله (اللائمي) و روي (أحضر) منصوباً بإضمار أنّ، و مرفوعاً على إهمالها، وحسن حذفها ذكرها فيما بعد، يقول: يا أيها الزاجر لي عن حضور الحرب و شهود لذات النصر والظفر والغنيمة، أو شهود لذات الشراب ومغازلة النساء، المستدعين لإتلاف المال، لست مخلّداً لي لو طاوعتك فالاستفهام إنكاري.

والإحسان الذي أُخذ عليهم الميثاق، هوما فرض على أُمّتنا أيضاً، من فعل المعروف بهما، والقول الجميل، و خفض جناح الذلّ لهما، والتحنّن عليهما، والرأفة بهما، والدعاء بالخير لهما، و ما أشبه ذلك.

وفي الكافي: سئل الصادق (عليه السلام): ما هذاالإحسان؟ قال: أن تحسن صحبتها، و أن لا تكلّفهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه و إن كانا مستغنين، أليس الله يقول: «لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبّون»(١)(٢)

وفي التفسير المنسوب إلى الإمام (عليه السلام) قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أفضل والديكم و أحقّهما ببرّكم محمد وعلي(٣).

و قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: أنا وعلي أبوا هذه الأُمّة، ولَحَقُّنا عليهم أعظم من حقّ أبوي ولادتهم، فإنّا ننقذهم إن أطاعونا من النار إلى دارالقرار، و نلحقهم من العبوديّة بخيار الأخيار(٤).

وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ: من آبائكم و أُمّهاتكم.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من رعى حقّ قرابات أبويه أُعطي في الجنة ألف ألف درجة، ثم فسّر الدرجات ثم قال: ومن رعى حقّ قرابة محمّد وعلي أُوتي من فضائل الدرجات و زيادة المثوبات على قدر زيادة فضل محمد وعلي على أبوي نسبه(٥).

وَٱلْيَتَـٰمَىٰ: جمع يتيم كـ ندامى جمع نديم، وهم الذين فقدوا آباءهم المتكفّلين بأُمورهم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٢.

(٢) الكافي: ج٢، ص١٥٧، باب البر بالوالدين، ح١.

(٣و٤) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص١٣٣، في ذيل الآية الشريفة «وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل» وفيه (و أحقهما لشكركم).

(٥) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص ١٣٤، في ذيل الآية الشريفة «و إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل».

و روي: إنّ أشدّ من يتم هذا اليتيم، يتم يتيم غاب عن إمامه لا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلّمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى(١).

وَٱلْمَسَٰكِينِ: والمسكين فعيل من السكون، كأنّ الفقر أسكنه.

وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا: أي قولوا: حسناً، و سمّاه حسناً للمبالغة، و قرئ حَسَناً بفتحتين، وحُسُناً بضمّتين وهو لغة أهل الحجاز.

و حُسْنىٰ: قيل على أنّه مصدر، وفيه نظر إذ كون فعلى مصدراً سماعيّ، ولم ينقل من العرب حسنىٰ مصدر حسن، كما قال أبوحيان(٢)، والأحسن أنّه صفة لموصوف محذوف، أي كلمة حسنى، على أنّه اسم تفضيل. وقولوا للناس حسناً، أي معروفاً.

روى جابر عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: «قولوا للناس حسناً» قال: قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم، فإنّ الله يبغض اللعّان السبّاب الطعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحّش، السائل الملحف، و يحبّ الحليم العفيف المتعفّف(٣).

واختلف في أنّه هل هو عام في المؤمن والكافر. أو هو خاص في المؤمن، والأوّل مروي عن الصادق (عليه السلام)(٤).

---

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص١٣٦، في ذيل الآية الشريفة «و إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل».

(٢) راجع تفسير البحر المحيط، ج١، ص٢٨٦.

(٣) مجمع البيان: ج١، ص١٥٠، في ذيل الآية الشريفة «و إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل»، وفي تفسير البرهان: ج١، ص١٢١، ح٧ ـ ٨.

(٤) تفسير البرهان: ج١، ص١٢٠، ح٥ و ٩ و ١٠، ولفظ الأول (عن سدير قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): اطعم سائلاً لا أعرفه مسلماً؟ فقال: نعم، اعط من لا تعرفه بولاية ولا عداوة للحقّ، إنّ الله عزّوجلّ يقول: «وقولوا للناس حسناً» الحديث.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ: يريد بهما ما فرض عليهم في ملّتهم.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ : يريد به من أقام اليهودية على وجهها، ومن أسلم منهم.

وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ: أي عادتكم الإعراض عن الوفاء والطاعة.

وفي هذه الآية دلالة على ترتيب الحقوق، فبدأ الله سبحانه بذكر حقّه، وقدّمه على كلّ حقّ، لأنّه المنعم بأصول النعم، ثم ثنّى بحقّ الوالدين وخصّهما بالمزيّة لكونهما سبباً للوجود و انعامهما بالتربية، ثم ذكر ذوي القربى لأنّهم أقرب إلى المكلّف من غيرهم، ثم ذكر حقّ اليتامى لضعفهم، والفقراء لفقرهم.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ: على نحو ما سبق، والسفك: الصبّ.

وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ: والمراد به أن لا يتعرّض بعضهم بعضاً بالقتل والإجلاء عن الوطن، وجعل قتل الرجل غيره، قتل نفسه، لاتّصاله به نسباً، أو ديناً، أو لأنّه يوجبه قصاصاً.

وقيل: المراد به أن لا ترتكبوا ما تبيح سفك دمائكم، و إخراجكم من دياركم.

وقيل: لا تفعلوا ما يصرفكم عن الحياة الأبديّة، فإنّه القتل في الحقيقة، ولا تقترفوا ما يمنعكم عن الجنّة التي هي داركم، فإنّه الجلاء الحقيقي.

ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ : بالميثاق و اعترفتم بلزومه.

وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ : توكيد، كقولك : أقرّ فلان شاهداً على نفسه.

ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٨٥

وقيل معناه: و أنتم تحضرون سفك دمائكم و إخراج أنفسكم من دياركم.

و قيل: يشهد كل واحد على إقرار غيره.

و قيل: معناه و أنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم، فيكون إسناد الإقرار إليهم مجازاً.

قال بعض المفسرين: نزلت الآية في بني قريظه.

وقيل: نزلت في أسلاف اليهود.

ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ: استبعاد لما أُسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم و إقرارهم و شهادتهم.

(و أنتم) مبتدأ، و (هؤلاء) خبره، على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الشاهدون، يعني أنكم قوم آخرون غير أُولئك المقرّين، تنزيلاً لتغيّر الصفة منزلة تغيّر الذات، كما تقول: رجعت بغير الوجه الذي خرجت به. و عدّهم باعتبار ما أُسند إليهم حضوراً، و باعتبار ما سيحكي عنهم غُيّباً.

تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ: إمّا حال،

والعامل معنى الإشارة، أو بيان لهذه الجملة.

وقيل: (هؤلاء) تأكيد، أو بدل، والخبر هوالجملة.

وقيل: بمعنى الذين، والجملة صلته، والمجموع هوالخبر، كقوله:

عَدَسْ ما لِعُبّاد عَلَيْكَ إمارَةٌ نجوتِ وَ هذا تَحْمِلينَ طَليقٌ(١)

و قرئ تقتلون على التفعيل، للتكثير.

تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ: حال من فاعل (تخرجون) أو من مفعوله، أو من كليهما، و يحتمل أن يكون اعتراضاً، لبيان أن إخراجهم ظلم وعدوان.

والتظاهر: التعاون، والظهير: المعين.

والإثم: الفعل القبيح الذي يستحق به اللوم.

وقيل: هو ما تنفر منه النفس، ولم يطمئن إليه القلب، ومنه قول النبي (صلّى الله عليه وآله) لنواس بن سمعان حين سأله عن البرّ والإثم: فقال: البرّ ما اطمأنت به نفسك، و الإثم ماحك في صدرك (٢).

والعدوان: الإفراط في الظلم، و قرئ بحذف إحدى التائين و بإثباتها، و تظهرون بمعنى تتظهّرون.

---

(١) هو مطلع قصيدة ليزيدبن زياد بن ربيعة بن مفرغ الحميري يهجو بها عبّاد بن زياد بن أبي سفيان، وقوله عدس منادى بحذف حرف النداء أي يا عدس، و هو بالمهملات كفرس، في الأصل صوت يزجر به البغل ثم صار إسماً له و إنّما سكّنت سينه للضرورة، و عبّاد كرمان هو ابن زياد بن أبي سفيان الذي هجاه الشاعر بها والإمارة ككتابة: الحكم، و تحملين بفتح المضارعة وكسر الميم بمعنى الحمل، والطليق كرفيق: المطلق من الحبس ـ جامع الشواهد باب العين، ص١٥٦، وفيه (أمنت) بدل (نجوت).

(٢) رواه في مجمع البيان: ج١، ص١٥٣، في ذيل الآية الشريفة «ثم أنتم هؤلاء تقتلون انفسكم» و رواه أصحاب الصحاح والسنن بألفاظ متقاربة و إليك بعضها: سنن الدارمي: ج٢، ص٢٤٥، كتاب البيوع (باب دع ما يريبك إلى مالا يريبك) عن وابصة بن معبد الأسدي: إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) قال لوابصة: جئت تسأل عن البرّ والإثم قال: قلت: نعم، قال: فجمع أصابعة فضرب بها صدره، وقال: إستفت نفسك إستفت قلبك يا وابصة ـ ثلاثاً ـ البرّ ما اطمأنت إليه النفس و اطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في الصدر و تردد في الصدر و إن أفتاك الناس و أفتوك. ولاحظ مسند أحمدبن حنبل، أيضاً: ج٤، ص٢٢٨.

وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ: روي أن قريظة من اليهود كانوا حلفاء الأوس من المشركين، والنظير من اليهود كانوا حلفاء الخزرج من المشركين، وكانت قريظة والنظير أخوين، كالأوس والخزرج فافترقوا، فكانت الخزرج مع النظير و قريظة مع الأوس، فاذا اقتتل الحلفاء عاون كل فريق حلفاءه في القتل و تخريب الديار و إجلاء أهلها، و إذا أسر أحد من الفريقين جمعوا الأسراء حتى يفدوهم بمثلهم ممّن أسره الفريق الآخر منهم، تصديقاً لما في التوراة، فالأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان لا يعرفون جنّة ولا نار، ولا قيامة ولا كتاباً، فأنّب الله اليهود بما فعلوه من مخالفة التوراة في القتل والإجلاء والموافقة في المفاداة.

وقيل: معناه: و إن يأتوكم أساري في أيدي الشياطين تتصدّون لإنقاذهم بالإرشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم، كقوله تعالى: «أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم»(١).

والأوّل أقرب بحسب اللفظ وسياق الكلام.

و قرأ حمزة أسرى(٢)، و هو جمع أسير، كجريح وجرحى، و أسارى جمعه كسكرى والسكارى.

وقيل: هو أيضاً جمع أسير، و كأنّه شبّه بالكسلان وجمع جمعه، و وجه الشبه أنّ كلاً منهما محبوس عن كثير من تصرّفه.

وقيل الأسارى الذين هم في الوثاق، والأسرى الذين هم في اليد، و إن لم يكونوا في الوثاق، وقرئ (تفدوهم).

وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ: متعلّق بقوله: «و تخرجون فريقاً منكم من ديارهم» تعلّق الحال بعاملها أو صاحبها.

والنكتة في إعادة تحريم الإخراج ـ وقد أفاده «لا تخرجون أنفسكم» بأبلغ وجه، وفي تخصيص تحريم الإخراج بالإعادة دون القتل ـ أنّهم انقادوا حكماً في باب

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٤.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢ ، ص١٥٢.

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٨٦

المخرج وهوالفداء، وخالفوا حكماً و هوالإخراج، فجمع مع الفداء معرفة الإخراج، ليتّصل به قوله: «أفتؤمنون» إلى آخره، أشدّ اتّصال، و يتّضح كفرهم بالبعض و إيمانهم بالبعض كمال الإيضاح، حيث وقع في شخص واحد.

والضمير للشأن كما في قوله: «قل هوالله أحد»، أو مبهم يفسّره «إخراجهم» كقوله تعالى: «إن هي إلّا حياتنا الدنيا»(١) أو راجع إلى ما دلّ عليه تخرجون من المصدر، و إخراجهم تأكيد.

ويحتمل أن يكون راجعاً إلى إخراجهم لأنّه مبتدأ قدّم عليه الخبر، فالمرجع مقدّم رتبة.

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ: كالفداء.

وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ: كحرمة القتل والإجلاء.

فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا: كقتل قريظة و سبيهم، و إجلاء النظير، و أصل الخزي ذلّ يستحيي منه، ولذلك يستعمل في كلّ منهما.

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ: من عذاب غيرهم من نظائرهم، لأنّ عصيانهم أشدّ من عصيانهم.

وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ: تأكيد للوعيد، أي الله تعالى بالمرصاد لايغفل عن أفعالهم.

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ: بأن يهوّن عليهم، واختلف في الخفّة والثقل، فقيل: إنّه يرجع إلى تناقص الجواهر وتزايدها.

---

(١) سورة الأنعام: الاية ٢٩.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ
وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ
أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ
فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ
بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

وقيل: إنّ الإعتماد اللازم سفلاً يسمّى ثقلاً، والإعتماد اللازم المختصّ بجهة العلوّ يسمّى خفّة، والمراد به في الآية المعنى الشامل للخفّة بحسب تناقص الأجزاء و بحسب انتقاص الكيفيّة.

وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ: بدفعهما عنه.

وفي الآية دلالة على من آمن ببعض أحكام الله وكفر ببعض آخر مع معرفته بأنّهما حكم الله، كافر خالد في العذاب، لا تخفيف في عذابه، ولا نصر له فيه، ولا شك أنّ النواصب أكثرهم بهذه الصفة، فهم أجدر بأن ينصب لهم علم الكفر.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ: أي أرسلنا على أثره يتبع الآخر الأوّل في الدعاء الى ما دعى الأوّل، لأنّ كلّ نبيّ بعث من بعد موسى إلى زمن عيسى، فإنّما بعث على إقامة التوراة، من قفاه إذا أتبعه، وقفاه به: أتبعه إيّاه، من القفا نحو ذنبه من الذنب.

والرسل على ما ذكره صاحب الكشاف وغيره، هم: يوشع، و أشمويل، و شمعون، و داود، وسليمان، و شعيا، و أرميا، و عزير، و حزقيل، و إلياس، واليسع، و يونس، و زكريّا، و يحيى، وغيرهم(١).

---

(١) الكشاف: ج١، ص١٦١، سورة البقرة ذيل الآية ٨٧، والتفسير الكبير للفخر الرازي: ج٣، ←

وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ : المعجزات الواضحات، كإحياء الموتى و إبراء الأكمه والأبرض والإخبار بالمغيّبات، أوالإنجيل.

و عيسى بالعبريّة أيشوع، ومريم بمعنى الخادم، وهو بالعبريّة من النساء كالزير من الرجال.

قال رؤبة:

قُلْتُ لِزَيْرٍ لَمْ تَصِلْهُ مَرْيَمُهْ ضَليلُ أهواءِ الصبا تندمه(١)

والزير بكسر الزاي:من الرجال الذي يحب محادثة النساء ومجالستهن، و وزنه مفعل، إذ لم يثبت فعيل.

وَأَيَّدْنَٰهُ : قوّيناه، و قرئ أيدناه على وزن أفعلناه.

بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ : بالروح المقدسة، كقولك حاتم الجود، و رجل صدق. والمراد جبرئيل (عليه السلام) وقيل: روح عيسى، و وصفها به، لطهارته عن مسّ الشيطان، أو لكرامته على الله تعالى، و لذلك أضافه إلى نفسه، أو لأنّه تضمّه الأصلاب والأرحام الطوامث، أوالإنجيل، أو اسم الله الأعظم الذي كان به يحيي الموتى.

و قرأ ابن كثير القدس بالإسكان في جميع القرآن(٢).

أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ : بما لا تحبّه، و وسّطت الهمزة بين الفاء وما تعلّقت به توبيخاً لهم على تعقيبهم ذلك بهذا و تعجّباً من شأنهم، و

ص١٧٦. و تفسير البحر المحيط لابي حيّان: ج١، ص٢٩٨، وغيرها من التفاسير.

(١) لرؤبة بن العجاج يعاتب أبا جعفر الدوانيقي على البطالة ومغازلة النساء، والزير من يكثر مودة النساء و زيارتهن، والمريم: من تكثر مودة الرجال و زيارتهم، والضليل كثير الضلال، والصبا: الميل الى الجهل والعتوه، و تندمه: بمعنى ندمه، فهو مصدر مرفوع فاعل ضليل، ولعل معناه أنّ ندمه ضال ضايع في أهواء الصبا، و يروى (متندمه) بصيغة اسم الفاعل وضليل مرفوع على الإبتداء و متندمة خبره، ولعل معناه أنّ الرجل كثير الضلال، يعني نفسه هو الذي يتندمه و يجعله نادماً، أي يأمره بالندم. هامش الكشاف: ج١، ص١٦١.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٥٥.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٨٩

يحتمل أن يكون استئنافاً، و الفاء للعطف على مقدّر.

ٱسْتَكْبَرْتُمْ: عن الإيمان و اتّباع الرسل.

فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ: كموسى وعيسى.

وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ: كزكريا ويحيي. و في التعبير بالمضارع استحضار للحال الماضية في النفوس، و رعاية للفواصل، و دلالة على أنّهم بعد فيه، فإنّهم يحومون حول محمد لولا أني أعصمه منهم.

وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ: جمع أغلف، أي هي خلقة و جبلّة مغشاة بأغطية لا يصل إليها ما جاء به محمّد ولا تفقهه، مستعار من الأغلف الذي لم يختن، وقيل: أصله جمع غلاف ككتب وكتاب وحمر وحمار فخفف.

والمعنى أنّها أوعية العلم، لا تسمع علماً إلّا وعته، ولا تعي ما يقول محمّد (صلّى الله عليه وآله)، أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره، و روي في الشواذ غلف بضم اللام عن أبي عمرو(١).

بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ: ردّ لما قالوا، يعني أنّها خلقت على الفطرة، والتمكّن من قبول الحقّ، ولكنّ الله خذلهم بسبب كفرهم، فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة، و تسبّبوا بذلك لمنع الألطاف، أو هم كفرة ملعونون، فن أين لهم دعوى العلم والإستغناء عن النبي (صلّى الله عليه وآله)؟!

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٥٥.

فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ : فإيماناً قليلاً يؤمنون، و (ما) مزيدة للمبالغة في التقليل، وهو إيمانهم ببعض الكتاب كالمفاداة، وقيل: معناه و يؤمنون وهم قليل.

وقيل: يجوز أن تكون القلّة بمعنى العدم.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ : هوالقرآن.

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ : من كتابهم لا يخالفه، و قرئ مصدّقاً على الحال، لتخصيصه بالوصف، وهو (من عندالله) وجواب (لما) محذوف، وهو كذبوا به و استهانوا بمجيئه.

وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟: أي يستنصرون على المشركين إذاقاتلوهم قالوا: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة، و يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظلّ زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه، أو يفتحون عليهم و يعرّفونهم أن نبياً يبعث منهم، و قد قرب زمانه.

والسين للمبالغة كما في استعجب و استحجر، أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم، أو يسأل بعضهم بعضاً أن يفتح عليهم، والشيء بعد الطلب أبلغ كقولهم مرّ مستعجلاً، أي مرّ طالباً للعجلة من نفسه.

روى العياشي باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: كانت اليهود تجد في كتبها، أنّ مهاجر محمّد (صلّى الله عليه وآله) ما بين عير و أُحد، فخرجوا يطلبون الموضع، فمرّوا بجبل يقال له حداد، فقالوا: حداد وأُحد سواء، فتفرّقوا عنده، فنزل بعضهم بـ (تيما) و بعضهم بـ (فدك) و بعضهم بـ (خيبر) فاشتاق الذين بتيما إلى بعض إخوانهم، فمرّ بهم أعرابي من قيس، فتكاروا(١) منه، وقال لهم: أمرّ بكم ما بين عير و أُحد، فقالوا له: إذا مررت بهما فأرناهما، فلمّا توسّط بهم أرض المدينة قال لهم: ذلك عير وهذا أُحد، فنزلوا عن ظهر إبله وقالوا له: قد أصبنا بغيتنا فلا حاجة بنا إلى إبلك فاذهب حيث شئت، وكتبوا إلى إخوانهم

---

(١) المكاري بضم الميم من باب قتل فاعل المكاراة وهومن يكري دوابه والجمع مكارون مجمع البحرين: ج١، ص٣٥٩، في مادة (كرا).

بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾

الذين بفدك و خيبر: إنّا قد أصبنا الموضع فهلمّوا إلينا، فكتبوا إليهم: إنّا قد استقرّت بنا الدار و اتّخذنا بها الأموال وما أقربنا منكم، فإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم. و اتخذوا بأرض المدينة أموالاً، فلمّا كثر أموالهم بلغ ذلك تبّع(١) فغزاهم فتحصّنوا منه فحاصرهم ثم أمنهم فنزلوا عليه فقال لهم: إنّي قد استطبت بلادكم ولا أراني إلّا مقيماً فيكم، فقالوا له: ليس ذلك لك، إنّها مهاجر نبي، وليس ذلك لأحد حتّى يكون ذلك، فقال لهم: فإنّي مخلّف من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره، فخلّف حيين، نراهم الأوس والخزرج، فلمّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود، فكانت اليهود تقول لهم: أمّا لو بعث محمّد (صلّى الله عليه وآله) لنخرجنّكم من ديارنا و أموالنا، فلمّا بعث الله محمّداً (صلّى الله عليه وآله) آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود(٢).

فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟: من نعت محمد (صلّى الله عليه وآله).

كَفَرُوا۟ بِهِۦ: حسداً وخوفاً على الرئاسة.

فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ: اللعن هو الإقصاء والإبعاد. و أتى بالمظهر، للدلالة

---

(١) تبّع كسكّر واحد التبابعة من ملوك حمير، سمّي تبّعاً لكثرة أتباعه، وقيل: سمّوا تبابعة لأنّ الأخير يتبع الأوّل في الملك وهم سبعون تبعا ملكوا جميع الأرض ومن فيها: من العرب والعجم، وكان تبّع الأوسط مؤمناً ـ مجمع البحرين: ج٤، ص٣٠٥، في مادة (تبع).

(٢) تفسيرالعياشي: ج١، ص٤٩، ح٦٩.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

على أنّهم لعنوا لكفرهم، فيكون اللام للعهد، و يجوز أن يكون للجنس و يدخلوا فيه دخولاً أوليّاً.

بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ: (ما) نكرة موصوفة بالجملة التي بعده مميّز لفاعل (بئس) المستكن فيه، ومعناه. بئس شيء باعوا به أنفسهم، أو شروا به أنفسهم بحسب ظنّهم، فإنّهم ظنّوا أنّهم أخلصوا أنفسهم من العقاب بما فعلوا.

أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ: هوالمخصوص بالذم.

بَغْيًا: طلباً لما ليس لهم وحسداً، تعليل للكفر.

أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ: أي لأن ينزّل الله، أي حسدوا لذلك.

مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ: على من اختاره للرسالة.

فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ: فصاروا أحقّاء بغضب مترادف.

وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ: لهم، بخلاف عذاب العاصي، فإنّه طهرة لذنوبه.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ: يعمّ جميع ما جاء به أنبياء الله.

قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا: أي بالتوراة.

وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ: قال ابن الأنباري: تمّ الكلام عند قوله «بما أُنزل علينا» ثم ابتدأ بالإخبار عنهم(١)، و صاحب الكشاف على أنّه حال عن الضمير في

(١) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص١٦١.

وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

(قالوا) اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة(١) والأول أقرب.

و وراء في الأصل: مصدر جعل ظرفاً و يضاف إلى الفاعل، فيراد ما يتوارىٰ به وهو خلفه، و إلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه، ولذلك عدّ من الأضداد.

وقال الفراء: معنى وراءه سواه، كما يقال: للرجل يتكلّم بالكلام الحسن: ما وراء هذاالكلام شيء، يراد ليس عندالمتكلّم به شيء سوى ذلك الكلام(٢).

وَهُوَ ٱلْحَقُّ: ما وراءه أي القرآن، الحق.

مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ: أي التوراة، و «مصدقاً» حال مؤكدة يتضمّن ردّ مقالتهم، فإنّهم لمّا كفروا بما يوافق التوراة، فقد كفروا بها. ثمّ اعترض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادّعائهم الإيمان بالتوراة، والتوراة لا تسوّغه، بقوله:

قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ: و إسناد القتل إليهم مع أنّه فعل آبائهم، لأنّهم راضون به عازمون عليه.

وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ: (و أنتم ظالمون) يجوز أن يكون حالاً، أي عبدتم العجل و أنتم واضعون

---

(١) الكشاف: ج١، ص١٦٥. (٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٦١.

قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤

العبادة غير موضعها، و أن يكون اعتراضاً، بمعنى أنتم قوم عادتكم الظلم.

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْ: أي قلنا لهم: خذوا ما أُمرتم به في التوراة بجدٍ، واسمعوا اسماع طاعة.

قَالُواْ سَمِعۡنَا: قولك.

وَعَصَيۡنَا: أمرك.

وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ: تداخلهم حبه، و رسخ في قلوبهم صورته، لفرط شغفهم فيه، كما يتداخل الصبغ الثوب، والشرب أعماق البدن، و (في قلوبهم) بيان لمكان الإشراب.

بِكُفۡرِهِمۡ: بسبب كفرهم، لأنّهم كانوا مجسّمة أو حلوليّة ولم يروا جسماً أعجب منه، فتمكّن في قلوبهم ما سوّل لهم السامري.

قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ: بالتوراة، لأنّه ليس فيها عبادة العجاجيل.

و إضافة الأمر إلى إيمانهم تهكّم كما قال قوم شعيب: «أصلاتك تأمرك»(١) و كذلك إضافة الإيمان إليهم، والمخصوص بالذم محذوف، أي هذا الأمر، أو ما يعمّه و غيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث، إلزاماً عليهم.

إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ: تشكيك في إيمانهم، وقدح في صحّة دعواهم له.

و كرّر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الأولى، و تلك الزيادة التنبيه

---

(١) سورة هود: الآية ٨٧.

وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

على أن طريقهم مع الرسول طريقة أسلافهم مع موسى (عليه السلام).

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً: والمراد بالدار الآخرة الجنّة. و (خالصة) منصوب على الحال من الدار، أي خاصّة بكم، كما قلتم: «لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً»(١).

مِّن دُونِ النَّاسِ: أي سائر الناس أوالمسلمين، واللام للعهد.

فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ: لأنّ من أيقن أنّه من أهل الجنّة اشتاق إليها، و تمنّى سرعة الوصول إلى النعيم، والتخلّص من الدار ذات النوائب، كما قال أمير المؤمنين و يعسوب الدين، وهو يطوف بين الصفّين في غلالة(٢) ـ فقال ابنه الحسن (عليه السلام): ما هذا بزي المحاربين!! ـ يا بني إنّ أباك لا يبالي وقع على الموت، أو وقع الموت عليه(٣).

وقال عمّار بصفين: الآن ألاقي الأحبّة محمداً وحزبه(٤).

وقال حذيفة حين احتضر: جاء حبيب على فاقة لا أفلح من ندم أي

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١١.

(٢) والغلالة شعار يلبس تحت الثوب، لأنّه يتغلّل فيها، أي يدخل، وفي التهذيب: الغلالة الثوب الذي يلبس تحت الثياب أو تحت درع الحديد، لسان العرب: ج١١، ص٥٠٢، حرف اللام في (غلل).

(٣) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص١٦٤، في تفسير الآية ٩٤.

(٤) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص١٦٤، ذيل الآية ٩٤، من سورة البقرة.

على التمني(١).

و أمّا ما روي عن النبي (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: لا يتمنّين أحدكم الموت لضرّ نزل به، ولكن ليقل: اللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي، و توفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي(٢).

فإنّما نهى عن التمنّي للضرّ، لأنّه يدلّ على الجزع، والمأمور به الصبر و تفويض الأمور إليه.

وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ : والمراد بما قدّمت أيديهم، ما أسلفوا من موجبات النار، من الكفر بمحمد و ما جاء به و تحريف كتاب الله و سائر أنواع الكفر والعصيان.

و لمّا كانت اليد العاملة مختصة بالإنسان آلة لقدرته بها عامّة صنائعة، ومنها أكثر منافعه، عبّر بها عن النفس تارة، و القدرة أخرى.

وقوله: «ولن يتمنّوه أبداً» من المعجزات لأنّه إخبار بالغيب.

روى الكلبي عن ابن عباس أنّه قال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول لهم: إن كنتم صادقين في مقالتكم فقولوا: اللهم أمتنا، فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل إلا غصّ بريقه(٣) فمات مكانه(٤).

و روي عنه (عليه السلام): أيضاً أنّه لو انّ اليهود تمنّوا الموت لماتوا و لرأوا مقاعدهم من النار(٥).

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ : من وجد بمعنى علم المتعدّي إلى مفعولين، في قولهم وجدت زيداً ذا الحفاظ، و مفعولاه هم أحرص، و تنكير حياة،

---

(١) الكشاف: ج١، ص١٦٦.

(٢) مجمع البيان: ج١، ص١٦٤، ذيل الآية ٩٤، من سورة البقرة.

(٣) يقال: غصصت بالماء أغص غصصاً فأنا غاص وغصان إذا شرقت به، أو وقف في حلقك فلم تكد تسيغه ـ النهاية لابن الأثير: ج٣، ص٣٧٠، باب الغين مع الصاد.

(٤) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٦٤، ذيل الآية ٩٥، من سورة البقرة.

(٥) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٦٤، ذيل الآية ٩٥، من سورة البقرة.

لأنّه أريد فرد من أفرادها، وهي الحياة المتطاولة، وقرئ باللام.

وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ: محمول على المعنى، فكأنه قال: أحرص من الناس ومن الذين أشركوا، و إفرادهم بالذكر للمبالغة، فإنّ حرصهم شديد، إذ لم يعرفوا إلّا الحياة العاجلة، والزيادة في التوبيخ والتقريع فإنّه لمّا زاد حرصهم وهو مقرّون بالجزاء على حرص المنكرين، دلّ ذلك على علمهم بأنّهم صائرون إلى النار.

و يجوز أن يراد: و أحرص من الذين أشركوا، فحذف لدلالة الأوّل عليه، و أن يكون خبر مبتدأ محذوف صفته (يَوَدّ أَحَدُهُمْ) على أنّه أُريد بالذين أشركوا اليهود، لأنّهم قالوا: «عزير ابن الله»، أي ومنهم ناس يوّد أحدهم، وهو على الأوّلين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف.

لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ: حكاية لودادتهم، و (لو) بمعنى ليت، وكان أصله لو أُعمّر، فأُجري على الغيبة لقوله تعالى: «يودّ» كقولك: «حلف بالله ليفعلن».

وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ: الضمير لأحدهم، و (أن يعمّر) فاعل مزحزحه، أي وما أحدهم ممّن يزحزحه من النار تعميره، أو لمادلّ عليه يعمّر، و أن يعمّر بدل، أو مبهم و أن يعمّر موضحه.

و أصل (سنة) سنوة، لقولهم سنوات، وقيل: سنهة كجبهة لقولهم سانهة، و تَسنّه النخل إذا أتت عليه السنوات، والزحزحة: التبعيد.

وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ: فيجازيهم.

وفي هذه الآية دلالة على أن الحرص على طول البقاء لطلب الدنيا و نحوه مذموم، و إنّما المحمود طلب البقاء للإزدياد في الطاعة، و تلافي الفائت بالتوبة والإنابة، و درك السعادة بالإخلاص في العبادة، و إلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله: بقية عمر المؤمن لا قيمة له، يدرك بها ما فات، ويحيي بها ما أمات(١).

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ١٦٦، ذيل الآية ٩٦، من سورة البقرة.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ
بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ
وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ : قال ابن عباس: سبب نزول هذه الآية ما روي أن ابن صوريا وجماعة من يهود أهل فدك ، لمّا قدم النبي (صلّى الله عليه وآله) المدينة سألوه فقالوا: يا محمّد كيف نومك ، فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في أخر الزمان.

فقال: تنام عيناي و قلبي يقظان.

قالوا: صدقت يا محمد. فاخبرنا عن الولد يكون من الرجل والمرأة؟

فقال (صلّى الله عليه وآله): أمّا العظام والعصب والعروق فن الرجل، و أمّا اللحم والدم والشعر والظفر فن المرأة.

قالوا: صدقت يا محمد، فما بال الولد يشبه أعمامه وليس فيه من شبه أخواله شيء، أو يشبه أخواله وليس فيه من شبه أعمامه شيء؟

فقال: أيّهما علا ماؤه كان الشبه له.

قالوا: صدقت يا محمد، قالوا: أخبرنا عن ربّك ما هو؟ فانزل الله سبحانه: قل هوالله أحد، إلى آخره. فقال له ابن صوريا: خصلة واحدة إن قلتها آمنت بك و اتبعتك ، أيّ ملك يأتيك بما ينزل الله عليك ؟ فقال: جبرئيل. قال: ذلك عدوّنا ينزل بالقتال والشدّة والحرب، وميكائيل ينزل باليسر والرخاء، فلو كان ميكائيل هوالذي يأتيك لآمنابك (١).

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ١٦٧، في سبب نزول آية ٩٧.

وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن، أربع من المشهورات، جبرئيل كسلسبيل قراءة الحمزة(١) والكسائي(٢)، و جبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير(٣)، و جبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية أبي بكر(٤)، و جبريل كقنديل قراءة الباقين. و أربع في الشواذ جبرائل و جبرائيل و جبرال و جبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف، و معناه عبدالله.

فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ : أي جبرئيل نزّل القرآن، والإرجاع إلى غير المذكور يدلّ على فخامة شأنه، كأنّه لتعيّنه وفرط شهرته لم يحتج إلى سبق ذكره.

عَلَىٰ قَلْبِكَ: فإنّه القابل الأوّل للوحي ومحل الفهم والحفظ.

وكان حقّه على قلبي، لكنّه جاء على حكاية كلام الله تعالى، كأنّه قال: قلّ ما تكلّمت به من قولي من كان عدواً لجبريل فإنّه نزّله على قلبك.

بِإِذْنِ ٱللَّهِ : بأمره، حال من فاعل نزل.

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ : أحوال من مفعوله.

وجواب الشرط (فإنّه نزّله) على وجهين:

أحدهما: أنّ من عادى منهم جبرئيل فلا وجه له، فإنّه نزّله كتاباً مصدّقاً لما بين يديه من الكتب، فلو أنصفوا لأحبّوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم و يصحح المنزّل عليهم.

والثاني: أنّ من عاداه فالسبب في عداوته أنّه نزل عليك بالوحي، وهم كارهون له.

وقيل: جواب الشرط محذوف، مثل فليمت غيظاً، أو فهو عدوّ لي و أنا عدوّ له، كما قال:

مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ : أي من كان معادياً باللّهِ أي يفعل فعل المعادي من المخالفة والعصيان، فإنّ حقيقة العداوة طلب الإضرار به، وهذا يستحيل على الله تعالى.

(١و٢و٣و٤) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٦٦.

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ
مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ
مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

وقيل: المراد به معاداة أوليائه، وصدّر الكلام به تفخيماً لشأنهم، و إفراد الملكين بالذكر لفضلهما، كأنهما من جنس آخر، ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على أنه تعالى عاداهم لكفرهم، و أنّ عداوة الملائكة والرسل كفر فكيف بعداوة أميرالمؤمنين و يعسوب الدين و إمام المتقين!

و قرأ نافع ميكائل كميكاعل(١)، و أبوعمرو(٢) و يعقوب(٣) و عاصم(٤) برواية حفص ميكال كميعاد، و قرئ ميكيل و ميكائل وميكال.

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ: أي المتمردون من الكفرة، والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي دل على أعظمه كأنّه متجاوز عن حدّه.

قال ابن عباس: إنّ ابن صوريا قال لرسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا محمد، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أُنزل عليك آية بينة فنتّبعك لها. فأنزل الله هذا الآية(٥).

أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا: الهمزة حرف استفهام للإنكار، و يحتمل أن يكون

(١و٢و٣و٤) تفسير البيضاوي: ج١، ص٧٢.

(٥) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٦٨، في سبب نزول آية (٩٩) من سورة البقرة.

للتقرير، وقال بعضهم: يحتمل أن تكون زائدة، كزيادة الفاء في قولك: أفالله لتفعلنّ، والأوّل أصحّ، والواو للعطف على محذوف، تقديره أكفروا بالآيات، وكلّما عاهدوا، وقرئ بسكون الواو على أن التقدير إلّا الذين فسقوا أوكلّما عاهدوا، و قرئ (عوهدوا) و (عهدوا).

نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ: نقضه، و أصل النبذ الطرح، لكنّه يغلب فيما ينسى.

و إنّما قال فريق: لأنّ بعضهم لم ينقض، و قرئ (نقضه)

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ: ردّ لما يتوهّم أنّ الفريق هم الأقلّون، أو أنّ من لم ينبذ جهاراً فهم يؤمنون به خفاءً.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ: كعيسى ومحمد (صلّى الله عليه وآله).

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ: من التوراة.

نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ: أي التوراة، لأنّ كفرهم بالرسول المصدّق لها كفربها فيما يصدّقه.

وقيل: المراد بكتاب الله القرآن.

وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ: مثل لإعراضهم عنه بالاعراض عمّا يرمى به وراء الظهر لعدم الإلتفات اليه.

كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ: أنّه كتاب الله، يعني أنّ علمهم به رزين ولكن يتجاهلون عناداً، قال الشعبي: هو بين أيديهم يقرؤونه ولكن نبذوا العمل به(١)، وقال سفيان بن عيينه: أدرجوه في الحرير والديباج وحلّوه بالذهب والفضة ولم يحلّوا حلاله ولم يحرّموا حرامه، فذلك النبذ. هذا إذا حمل الكتاب على التوراة(٢)، و أمّا إذا حمل على القرآن، فإنّه لمّا جاءهم الرسول بهذاالكتاب فلم يقبلوه، صاروا نابذين له.

واعلم أنّه تعالى دلّ بالآيتين على أن جلّ اليهود أربع فرق: فرقة آمنوا بالتوراة و قاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم الأقلّون، المدلول عليهم بقوله «بل أكثرهم لا يؤمنون» و فرقة جاهروا بنبذ عهودها و تخطّي حدودها تمرّداً و فسوقاً، وهم

(١و٢) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص١٦٩.

وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

المعنيون بقوله: «نبذ فريق منهم» و فرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الأكثرون، و فرقة تمسّكوا بها ظاهراً و نبذوها خفية عالمين بالحال بغياً و عناداً، و هم المتجاهلون.

وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ: معطوف على نبذ، أي نبذوا كتاب الله واتّبعوا كتب السحر التي تقرؤها أو تتبعها الشياطين من الجن والإنس، أو منهما.

عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ: أي على عهد سليمان.

قيل: كانوا يسترقون السمع و يضمّون إلى ما سمعوا أكاذيب و يلقونها إلى الكهنة، وهم يدوّنونها و يعلّمون الناس، وفشا ذلك في عهد سليمان حتّى قيل: إنّ الجنّ تعلم الغيب، و إنّ ملك سليمان تمّ بهذا العلم،و إنّه تسخّر به الإنس والجنّ والريح له.

روى العياشي بإسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما هلك سليمان وضع ابليس السّحر ثم كتبه في كتاب و طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا وكذا، فليقل كذا وكذا، ثم دفنه تحت السرير، ثم استأثره لهم، فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمان إلّا بهذا، و قال المؤمنون: هو عبدالله ونبيّه، فقال الله في كتابه (و اتّبعوا ما تتلوا) إلى آخره(١).

وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ: تكذيب لمن زعم ذلك، و عبّر عن السّحر بالكفر ليدلّ على أنّه كفر، و أنّ من كان نبيّاً كان معصوماً.

وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ: باستعماله.

وقيل: بما نسبوا إلى سليمان من السّحر.

وقيل: عبّر عن السّحر بالكفر.

و قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (ولكن) بالتخفيف، و رفع (الشياطين)(٢).

يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ: إغواءً و إضلالاً، والجملة حال عن الضمير في «كفروا».

والمراد بالسّحر ما يستعان في تحصيله بالتقرّب إلى الشياطين ممّا لا يستقلّ به الإنسان، و ذلك لا يستتب إلّا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس، فإنّ التناسب شرط في التضام والتعاون، و بهذا تبيّن الساحر عن النبي. و أمّا ما يتعجّب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية، أو يريك صاحب خفّة اليد فليس بسحر، و تسميته سحراً على التجوّز، أو لما فيه من الدقّة، لأنّه في الأصل لما خفي سببه.

وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ : عطف على السّحر، والمراد بهما واحد، والعطف لتغاير الإعتبار، أو لأنّه أقوى منه، أو على (ما تتلوا)

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٥٢، ح٧٤.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٧٠.

قيل: هما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس و تمييزاً بينه و بين المعجزة.

وقيل: رجلان سمّيا ملكين باعتبار صلاحهما، و يؤيّده قراءة الملكِين بالكسر.

وما روي أنّهما مثّلا بشرين و ركّب فيهما الشهوة، فتعرّضا لأمرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت إلى السماء بما تعلّمت منهما ـ فحكي عن اليهود.

وقيل: (ما أُنزل) نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة.

بِبَابِلَ: ظرف، أو حال من الملكين، أو من الضمير في (أُنزل) والمشهور أنّه بلد من سواد كوفة(١).

هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ: عطف بيان للملكين، ومنع صرفهما للعجمة والعلمّية، ولو كانا من الهرت والمرت، وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا، ومن جعل (ما) نافية أبدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض، و قرئ بالرفع على تقديرهما هاروت وماروت.

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ: فمعناه على الأوّل: ما يعلّمان أحداً حتى يبيّنا له و يقولا له: إنّما نحن إبتلاء من الله فمن تعلّم منّا وعمل به كفر، ومن تعلّم و توقّى عمله ثبت على الإيمان، فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به، وعلى الثاني: ما يعلّمانه حتّى يقولا: إنّا مفتونان فلا تكن مثلنا.

فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ: أي من السّحر ما يكون

---

(١) بابل بكسر الباء: اسم ناحية منها الكوفة والحلّة، ينسب إليها السّحر والخمر، وقال أبومعشر: الكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمن الأوّل، و يقال: إنّ أوّل من سكنها نوح (عليه السلام) وهو أوّل من عمّرها، وكان قد نزلها بعقب الطوفان، فسار هو ومن خرج معه من السّفينة اليها لطلب الدفء فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح وملّكوا عليهم ملوكا وابتنوا بها المدائن، و قال أبوالمنذر: إنّ مدينة بابل كانت اثنى عشر فرسخاً في مثل ذلك، و مدينة بابل بناها بيوراسب الجبّار ولما استتم بناؤها جمع إليها كل من قدر عليه من العلماء و بنى لهم اثني عشر قصراً على عدد البروج و سماها بأسمائهم فلم تزل عامرة حتى كان الاسكندر وهوالذي خرّبها معجم البلدان: ج١، في (بابل)، ص٣٠٩.

وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا
وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾

سبب تفريقهما.

وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ : لأنّ الأسباب كلّها مؤثّرة بأمره تعالى.

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ : أي اليهود.

لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ : أي استبدله بكتاب الله.

مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ : نصيب.

وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ : باعوا أو اشتروا على ما مرّ.

لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ : قبحه على التعيين والمثبت لهم أوّلاً على التوكيد القسمي العقل الغريزي، أوالعلم الإجمالي بقبح الفعل، أو ترتّب العقاب من غير تحقيق، فلا منافات بين ما سبق و بين هذا.

وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ : بالرّسول وما جاء به.

وَٱتَّقَوْا۟ : بترك المخالفة.

لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ : جهلهم لترك التدبّر أوالعمل بالعلم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا : كان المسلمون يقولون لرسول الله (صلّى الله عليه وآله)، إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم: راعنا يا رسول الله، أي راقبنا و تأنّ بنا حتّى نفهمه و نحفظه، وكانت لليهود كلمة يتسابّون بها عبرانيّة، كما

مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

قال الباقر (عليه السلام)(١) وهي راعينا، فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا، إفترصوه وخاطبوا به الرسول، وهم يعنون به تلك السبّة، فنهي المؤمنون عنها، و أُمروا بما هو في معناها، وهو (أُنظرنا) بمعنى أنظر إلينا، أو انتظرنا، من نظره إذا انتظره، وقرئ (أنظرنا) من الإنظار بمعنى الإمهال، و (راعونا) على لفظ الجمع للتوقير، و (راعنا) بالتنوين، أي قولاً ذارعن، نسبة إلى الرعن وهوالهرج، لمشابهة قولهم راعينا.

وَٱسْمَعُواْ: أي أحسنوا الاستماع لما يكلّمكم به رسول الله و يلقي عليكم من المسائل بأذن واعية و أذهان حاضرة، حتّى لا تحتاجوا إلى الإستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول وطاعة، ولا يكن مثل سماع اليهود، حيث قالوا: سمعنا وعصينا أو واسمعوا ما أُمرتم به بجدّ حتّى لا تعودّوا إلى ما نهيتم عنه.

وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ: يعني للذين تهاونوا بالرسول عذاب موجع مؤلم.

مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ: نزلت تكذيباً لجمع من الكافرين يظهرون مودّة المؤمنين و يزعمون أنّهم يودّون لهم الخير.

والمودّة محبّة الشيء مع تمنّيه، و لذلك تستعمل في كلّ منهما.

و (من) للتبيين، لأنّ الذين كفروا جنس تحته نوعان: أهل الكتاب

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٧٨، في ذيل آية ١٠٤، من سورة البقرة ولفظ الحديث: (وقال الباقر (عليه السلام): هذه الكلمة سبّ بالعبرانية، إليه كانوا يذهبون) و في تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص١٩٥، نقلاً عن موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال: وكان (أي راعنا) في لغة اليهود معناه أي أسمع لا أسمعت. إلى آخره.

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾

والمشركون.

أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ : مفعول (يودّ) و (من) الأولى مزيدة للإستغراق والثانية للإبتداء، والمراد بالخير ما يعمّ الوحي والعلم والنصرة.

وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ : روي عن أمير المؤمنين وعن أبي جعفر الباقر (عليهما السلام) أنّ المراد برحمته هنا. النبوة(١).

وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ : فيه إشعار بأن النبوّة من فضله، و أنّ كلّ خير نال عباده في دينهم أو دنياهم فإنّه من عنده ابتداء منه إليهم و تفضّلاً عليهم، من غير استحقاق منهم لذلك عليه، فهو عظيم الفضل ذو المنّ والطول.

مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا : نزلت لمّا قال المشركون أواليهود: ألا ترون أنّ محمّداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه و يأمرهم بخلافه.

والنسخ في اللغة إزالة الصورة عن الشيء و إثباتها في غيره، كنسخ الظلّ للشمس ومنه التناسخ، ثم استعمل في كلّ منها كقولك: نسخت الريح الأثر، ونسخت الكتاب.

و نسخ الآية بيان انتهاء التعبّد بها، إمّا بقراءتها فقط، كآية الرجم، فقد قيل: إنّها كانت منزلة فرفع لفظها فقط، دون حكمها، أو بالعكس كقوله: «إن فاتكم

---

(١) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص١٧٩، في ذيل آية ١٠٥، من سورة البقرة.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾

شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم»(١) الآية، فهذه الآية ثابتة في الخط مرتفعة الحكم، أو بهما، كما روي عن أبي بكر قال: كنا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم(٢) فرفع.

و إنساؤها إذهابها عن القلوب، و «ما» شرطيّة جازمة لننسخ، ومنتصبة به على المفعوليّة.

نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ: أي بما هو خير للعباد في النفع والثواب، أو مثلها في الثواب.

و قرأ أبوعمرو بقلب الألف همزة(٣).

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ: فهو يقدر على النسخ والإتيان بمثل المنسوخ، و بما هو خير منه.

أَلَمْ تَعْلَمْ: الخطاب للنبيّ والمراد هو و أُمّته، لقوله:

أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ: يملك أُموركم و يدبّرها على حسب ما يصلحكم، وهو أعلم بما يتعبّدكم به من ناسخ أومنسوخ.

وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ: الفرق بين الولي والنصير، أنّ الولي قد يضعف عن النصرة، والنصير قد يكون أجنبياً عن المنصور.

أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ: لما بيّن لهم أنه

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ١١.

(٢و٣) مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ١٨٠، في ذيل تفسير آية ١٠٦، من سورة البقرة.

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

مالك أمورهم ومدبّرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره، و قرّرهم على ذلك بقوله: «ألم تعلم» - أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم ممّا يتعبّدهم به و ينزل عليهم، و أن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى من الأشياء التي كانت عاقبتها و بالاً عليهم.

قيل: نزلت في أهل الكتاب حين سألوا أن ينزّل عليهم كتاباً من السماء، وقيل في المشركين لما قالوا: «لن نؤمن لرقيّك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه»(١).

وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ: ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة و شكّ فيها واقترح غيرها.

فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ: أي الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الإيمان.

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا:

روي أنّ فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفراً من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان و عمّار بن ياسر بعد وقعة أحد: ألم تروا ما أصابكم، ولو كنتم على الحقّ ما هزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم و أفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً، فقال عمّار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد، قال: فإنّي عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت، فقالت اليهود: أمّا هذا فقد صبأ، وقال حذيفة: و أمّا أنا فقد رضيت بالله ربّاً و

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٩٣.

بالإسلام ديناً و بمحمّد نبيّاً و بالقرآن إماماً و بالكعبة قبلةً و بالمؤمنين إخواناً ثم أتيا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وأخبراه، فقال: أصبتما خيراً و أفلحتما، فنزلت(١).

وعن ابن عباس أنّها نزلت في حي بن أخطب و أخيه أبي ياسربن أخطب وقد دخلا على النبي (صلّى الله عليه وآله) حين قدم المدينة، فلمّا خرجا قيل لحي: أهو نبي؟ قال: هو هو، فقيل فماله عندك ؟ قال: العداوة إلى الموت. وهوالذي نقض العهد و أثار الحرب يوم الأحزاب.

وقيل: نزلت في كعب بن الأشرف(٢).

حَسَدًا : علّة.

مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم : إمّا متعلق بـ (ود) أي تمنّوا ذلك من عند أنفسهم و تشهّيهم، لا من قبل التديّن والميل مع الحقّ. أو بـ «حسداً» أي حسداً منبعثاً من أصل نفوسهم.

مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ : بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة.

فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟: العفو: ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه.

حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ: الذي هو الإذن في قتالهم و ضرب الجزية عليهم، أو قتل قريظة و إجلاء بني النظير.

قيل: إنّ هذه الآية منسوخة، فقال بعضهم بقوله: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر»(٣). و بعضهم بآية السيف، وهو قوله: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم»(٤).

والمروي عن الباقر (عليه السلام) أنه قال: لم يؤمر رسول الله (صلّى الله عليه

---

(١) تفسير الكشاف: ج١، ص١٧٦، تفسير آية ١٠٨.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢- ص١٨٤، في سبب نزول آية ١٠٩، من سورة البقرة.

(٣) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٤) سورة التوبة: الآية ٥.

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ
خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾
وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

وآله) بقتال ولا أُذن لـه فيه حتّى نزل جبرئيل بهذه الآية «أُذن للذين يقاتلون بأنّهم ظلموا»(١) و قلّده سيفاً(٢).

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ: فيقدر على الإنتقام منهم.

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ: عطف على «فاعفوا» كأنـه امـرهم بالصبر والإلتجاء إلى الله بالعبادة والبرّ.

وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ: كصلاة أو صدقة.

و قرئ تقدموا من أقدم.

تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ: أي ثوابه.

إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ: لا يضيع عنده عمل عامل.

و قرئ بالياء، فيكون وعيداً.

وَقَالُواْ: عطف على (ودّ) والضمير لأهل الكتاب.

لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا: جمع هـائد كـعـوذ و عـائـذ و بـزل و

---

(١) سورة الحج: الآية ٣٩.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٨٥ في بيان المعنى للآية ١٠٩، من سورة البقرة.

بازل، وهو جمع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد، والهائد: التائب الراجع إلى الحقّ.

وقيل: مصدر يصلح للواحد والجمع كما يقال: رجل صوم وقوم صوم. وقيل: أصله يهود فحذفت الياء الزائدة. وعلى ما قلنا فتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لإعتبار اللفظ والمعنى.

أَوْ نَصَارَىٰ : سبق تحقيقه. والكلام على اللف بين قولي الفريقين، والتقدير: وقالت اليهود: لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً. والنصارى: لن يدخل الجنّة إلّا من كان نصارى، ثقة بأنّ السامع يردّ إلى كلّ فريق قوله، و أمناً من الإلتباس، لما علم من التعادي بين الفريقين و تضليل كلّ واحد منهما صاحبه.

تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ: إشارة إلى الأماني المذكورة، وهي أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربّهم، و أن يردّوهم كفاراً، و أن لا يدخل الجنّة غيرهم، أو إلى ما في الآية، على حذف مضاف أي أمثال تلك الأمنية المذكورة في الآية أمانيهم والجملة اعتراض، والأمنية أفعولة من التمنّي كالأضحوكة والأعجوبة والجمع الأضاحيك والأعاجيب.

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ: على اختصاصكم بدخول الجنة.

والبرهان والحجّة والدلالة والبيان بمعنى واحد، وقد فرّق علي بن عيسى بين الدلالة والبرهان، بأن قال: الدلالة قد ينبئ عن معنى فقط لا يشهد لمعنى آخر. والبرهان ليس كذلك، لأنّه بيان عن معنى ينبئ عن معنى آخر. وقد نوزع في هذا الفرق وقيل أنّه محض الدعوى(١).

إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ: في دعواكم، فإنّ كلّ قول لا دليل عليه غير ثابت.

وفي هذه الآية دلالة على فساد التقليد في الأُصول، ألا ترى أنّه لو جاز التقليد لما أُمرو بأن يأتوا فيما قالوا ببرهان، وفيها أيضاً دلالة على جواز المحاجّة في الدين، وفيها أيضاً دلالة على أنّه لا حجّة في إجماع يخلو عن معصوم، وإلّا لجاز لهم أن يقولوا: البرهان أنّا أجمعنا على ما قلنا، فالمتمسّكون بالإجماع المذكور أضلّ من محرّفي أهل

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٨٦.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

الكتاب.

بَلَىٰ: إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنّة.

مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ: أخلص نفسه له لا يشرك به غيره، أو قصده و توجّه له.

وَهُوَ مُحْسِنٌ: في عمله.

فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ: الذي يستوجبه، ثابتاً.

عِندَ رَبِّهِۦ: لا يضيع ولا ينقص، والجملة جواب «من» إن كانت شرطيّة، وخبرها إن كانت موصولة، والفاء لتضمّن المبتدأ معنى الشرط، فيكون الردّ بقوله: (بلى) وحده، أو يكون (من أسلم) فاعلاً لفعل محذوف أي بلى يدخلها من أسلم، ويكون قوله (فله أجره) كلاماً معطوفاً على يدخلها من أسلم.

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ: في الآخرة. وهذا ظاهر على قول من يقول: إنّه لا يكون على أهل الجنّة خوف ولا حزن في الآخرة. و أمّا على قول من قال: بعضهم يخاف ثم يأمن، فمعناه أنّهم لا يخافون فوت جزاء أعمالهم، لأنّهم يكونون على ثقة بأنّ ذلك لا يفوتهم.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ: أي أمر يصحّ و يعتدّ به، وهذه مبالغة عظيمة، لأنّ المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء، فإذا نفي إطلاق اسم الشيء عليه، فقد بولغ في ترك الاعتداد به إلى ما ليس بعده وهذا كقولهم: أقلّ من لا شيء.

وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ : قال ابن عباس: لمّا قدم وفد نجران على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أتتهم أحبار اليهود، فتنازعوا عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء وجحد نبوّة عيسى وكفر بالإنجيل، فقال رجل من أهل نجران: ليست اليهود على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله هذه الآية(١).

وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ: الواو للحال، والكتاب للجنس، أي قالوا ذلك والحال أنّهم من أهل العلم والتلاوة للكتب، وحقّ من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله، أو آية أن لا يكفر بالباقي، لأنّ كلّ واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته، وكذلك كتب الله جميعاً متواردة في تصديق بعضها بعضاً.

كَذَٰلِكَ: أي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج.

قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ : كعبدة الأصنام والمعطّلة قالوا لكلّ أهل دين: ليسوا على شيء، وهذا توبيخ عظيم لهم، حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم.

و «مثل قولهم» يحتمل احتمالين، أحدهما: أنّه مفعول مطلق لـ (قال) والآخر أنّه مفعوله، يعنى أنّ قولهم مثل قولهم في الفساد، ومقولهم مثل مقولهم في الدلالة على أنّ ما عدا دينهم ليس بشيء.

فإن قيل: لم وبخّهم وقد صدقوا، فإنّ كلا الدينين بعدالنسخ ليس بشيء.

قلت: لم يقصدوا ذلك، وإنما قصد كلّ فريق إبطال دين الآخر من أصله والكفر بنبيّه وكتابه، مع أن مالم ينسخ منهما حقّ واجب القبول والعمل به مع الإيمان بالناسخ.

فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ: بين الفريقين.

يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ : هي مصدر إلّا أنّه صار كالعلم على وقت بعينه، وهوالوقت الذي يبعث الله عزّوجلّ فيه الخلق فيقومون من قبورهم إلى محشرهم. تقول: قام يقوم

---

(١) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص١٨٨، في سبب نزول آية ١١٣، من سورة البقرة.

وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ
فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ
لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤

قياماً وقيامة، مثل عاد يعود عياداً وعيادة.

فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ: بما يقسم لكلّ فريق ما يليق به من العذاب.

وقيل: بأن يكذّبهم و يدخلهم النار.

وقيل: بأن يريهم من يدخل الجنة عياناً ومن يدخل النار عياناً.

وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ: الآية عامة لكلّ من خرّب مسجداً، أو سعى في تعطيل مكان مرشّح للصلاة، و إن نزلت في الروم لمّا غزوا بيت المقدس و خرّبوه وقتلوا أهله حتّى كانت أيّام عمر و أظهر المسلمين عليهم، وصاروا لا يدخلونه إلّا خائفين على ما روي عن ابن عباس(١).

وقيل: خرّب بخت نصر بيت المقدس و أعانه عليه النصارى.

والمروي عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّها نزلت في قريش حين منعوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) دخول مكة والمسجد الحرام(٢).

أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ: ثاني مفعولي «منع» لأنّك تقول منعته كذا، و يجوز أن يحذف حرف الجر مع أنّ، و لك أن تنصبه مفعولاً له، بمعنى منعها كراهة أن يذكر.

وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ: بالهدم أوالتعطيل.

أُوْلَٰٓئِكَ: أي المانعون.

مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ: أي ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها

(١و٢) مجمع البيان: ج١ ـ ٢ـ ص١٨٩، في سبب نزول آية ١١٤، من سورة البقرة.

وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

إلاّ بخشية وخضوع، فضلاً عن أن يجرؤوا على تخريبها. أو ما كان الحقّ أن يدخلوها إلّا خائفين من المؤمنين أن يبطشوهم فضلاً عن أن يمنعوهم منها. أو ما كان لهم في علم الله تعالى أو قضائه، فيكون وعداً للمؤمنين بالنصرة و استخلاص المساجد منهم، وقد أنجز وعده.

لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ: قال قتادة: المراد بالخزي، أن يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون(١). و قال الزّجّاج: المراد به السبي و القتل إن كانوا حرباً، و إعطاء الجزية إن كانوا ذمّة(٢). و قال أبو علي: المراد به طردهم عن المساجد(٣). وقال السدي: المراد خزيهم إذا قام المهدي وفتح قسطنطنية، فحينئذٍ يقتلهم(٤)، والكلّ محتمل، واللفظ بإطلاقه يتناوله.

وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ: بظلمهم وكفرهم.

وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ: اللام للملك، و المشرق و المغرب اسمان لمطلع الشمس و مغربها. والمراد بهما ناحيتي الأرض، أي له الأرض كلّها لا يختصّ به مكان دون آخر، فإن منعتم أن تصلّوا في المسجد الحرام والأقصى فقد جعلت لكم الأرض مسجداً.

(١و٢و٣و٤) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٩١.

فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا : ففي أيّ مكان فعلتم التولية، أي تولية وجوهكم.
فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ : أي جهته التي أمرها، أوفثَمّ ذاته، أي عالم مطلّع بما يفعل فيه.
إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ: بإحاطته بالأشياء، أو برحمته.
عَلِيمٌ: بمصالحهم و أعمالهم في الأماكن.

قيل: إنّ اليهود أنكروا تحويل القبلة من بيت المقدس، فنزلت الآية ردّاً عليهم.

وقيل: كان للمسلمين التوجه حيث شاؤوا في صلاتهم و فيه نزلت الآية ثم نسخ بقوله: «فولّ وجهك»(١).

وقيل: نزلت الآية في صلاة التطوّع على الراحلة تصلّيها حيثما توجّهت إذا كنت في سفر، و أمّا الفرائض فقوله: «وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره»(٢).

يعني أنّ الفرائض لا تصلّيها إلّا على القبلة، وهو المروي عن أئمتنا (عليهم السلام) قالوا: وصلّى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إيماءً على راحلته أينما توجّهت به حيث خرج إلى خيبر وحين رجع من مكة وجعل الكعبة خلف ظهره(٣).

و روي عن جابر قال: بعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سريّة كُنت فيها فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة، فقال طائفة منّا: قد عرفنا القبلة هي هاهنا، قبل الشمال، فصلّوا وخطّوا خطوطاً، وقال بعضنا: القبلة هاهنا قِبَل الجنوب فخطّوا خطوطاً، فلمّا أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة، فلمّا قفلنا من سفرنا سألنا النبي (صلّى الله عليه وآله) فسكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٤).

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا: نزلت لمّا قال اليهود، عزير ابن الله والنصارى: المسيح ابن الله، ومشركوا العرب: الملائكة بنات الله، و عطفه على (قالت اليهود) أو

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٤.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٤.
(٣) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص١٩١.
(٤) من قوله: (قيل: ان اليهود) إلى هنا مقتبس من مجمع البيان، لاحظ، ج١ـ٢، ص١٩١، في سبب نزول آية ١١٥، من سورة البقرة.

(منع) أو مفهوم قوله: (ومن أظلم).

و قرأ ابن عامر بغير واو والباقون بالواو(١).

﴿سُبْحَانَهُ﴾: روي عن طلحة بن عبيدالله أنّه سأل النبي (صلّى الله عليه وآله) عن معنى قوله (سبحانه) فقال: تنزيهاً له عن كل سوء(٢).

﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ردّ لما قالوا و استدلال على فساده بأنه خالق ما في السماوات وما في الارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح.

﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾: مطيعون لا يمتنعون عن مشيئته وكلّ من كان بهذه الصفة لم يجانس بكونه الواجب لذاته، ومن حقّ الولد أن يجانس والده، فلا يكون له ولد.

و إنّما جاء بـ (ما) ألذي لغير أولي العلم تحقيراً لشأنهم، و تنوين (كلّ) عوض عن المضاف إليه أي كلُّ ما فيهما، أو كلّ من جعلوه ولداً له.

وفي الآية دلالة على أنّ من ملك ولده، أو والده انعتق عليه، لأنّه تعالى نفى الولد بإثبات الملك و ذلك يقتضي تنافيهما، وهو المروي عن أئمتنا (عليهم السلام)(٣).

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يقال: بدع الشيء فهو بديع كقولك: برع الشيء فهو بريع، و بديع السماوات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، أي بديع سماواته وأرضه.

وقيل: البديع بمعنى المبدع، كما أنّ السميع في قول الشاعر:

أمن ريحانة الداعي السميع (٤).

وهو دليل آخر على نفي الولد: و تقريره أنّ الوالد عنصر الولد المنفعلة بانفصال

(١و٢) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص١٩٢، في نقل معنى الآية ١١٦، من سورة البقرة.

(٣) الوسائل: ج١٦، الباب ٧، من أبواب كتاب العتق، فلاحظ.

(٤) في هامش بعض النسخ ما لفظه (البيت لعمروبن معد يكرب، و تمامه: يؤرقني و أصحابي هجوع. و ريحانة اسم أخته، والداعي بمعنى داعي الشوق) (منه رحمه الله).

وفي هامش الكشاف: ج١، ص٦٠، ما ملخّصه (لعمروبن معد يكرب صاحب ريحانة أخت دريدبن الصمة، التمس منه زواجها فأجابه ومطله، والسميع المسمع على اسم المفعول، أوالمسموع، وسميع مبتدأ خبره يورقني، أي هل داعي الشوق من ريحانة يسهرني والحال أن أصحابي نيام؟ والإستفهام للتعجب).

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ
كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ
قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ١١٨

مادّته عنه، والله سبحانه مبدع الأشياء كلّها، فاعل على الإطلاق، منزّه عن الإنفعال، فلا يكون والداً.

وهذا التقرير يصحّ على التقديرين، لأنّ كونه تعالى مبدعاً يلزمه كون مخلوقه بديعاً، و بالعكس.

والإبداع إختراع الشيء لاعن شيء دفعة، و هو الأليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يتغيّر، وفي زمان غالباً.

و قرئ بديع مجروراً على البدل من الضمير في (له) ومنصوباً على المدح.

وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا: أراد إحداث أمر.

فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ: من كان التامة، أي أحدث فيحدث، وليس المراد حقيقة أمر وامتثال، بل حصول ما تعلّقت به إرادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف.

وفيه تقرير لمعنى الإبداع، و إيماء إلى دليل آخر: وهو أنّ إتخاذ الولد ممّا يكون بأطوار وفعله تعالى مستغن عن ذلك.

قيل: كان سبب ضلالتهم أنّ أرباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الأب على الله تعالى، باعتبار أنّه السبب حين قالوا: إنّ الأب هوالربّ الأصغر، والله سبحانه وتعالى هوالأبّ الأكبر، ثم ظنّت الجهلة منهم أنّ المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليداً، و لذلك كفر قائله ومنع منه مطلقاً حسماً لمادّة الفاسد.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ: أي جهلة المشركين، أوالمتجاهلون من أهل الكتاب،

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَٰبِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾

لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ: كما يكلّم الملائكة، أو يوحي إلينا بأنّك رسوله، وهذا استكبار منهم.

أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ: وحجّة على صدقك، وهذا جحود أنّ ما أتاهم آيات، إستهانة.

كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم: من الأُمم الماضية.

مِّثْلَ قَوْلِهِمْ: فقالوا: أرنا الله جهرة، وغير ذلك.

تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ: أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد، وقرئ بتشديد الشين.

قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ: أي يطلبون اليقين، أو يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد.

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ: مؤيّداً به.

بَشِيرًا وَنَذِيرًا: فلا عليك إن كابروا.

وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ: إنّهم لِمَ لَمْ يؤمنوا بعد أن بلّغت.

و قرأ نافع و يعقوب ولا تسأل على لفظ النهي(١)، مبنيّاً للفاعل، وهوالمروي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)(٢) وفيه حينئذٍ إشارة إلى تعظيم عقوبة الكفّار، كأنّها لا يقدر أن يخبر عنها، أوالسامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال.

و (الجحيم) المتأجّج من النّار، من جحمت النّار تجحم جحماً، إذا اضطربت.

---

(١) أي بفتح التاء والجزم على النهي.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٩٦، في القراءة في الآية ١١٩، من سورة البقرة.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ
مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾

وَلَن تَرْضَىٰ: و إن بالغت في إرضائهم.

عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ : كأنّهم قالوا: لن نرضى عنك حتى تتبع ملّتنا، إقناطاً منهم لرسول الله عن دخولهم في الإسلام، فحكى الله عزّوجلّ كلامهم، ولذلك قال تعالى:

قُلْ: تعليماً للجواب.

إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ: لا ما تدعون إليه.

وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم : أي أقوالهم التي هي أهواء و بدع.

بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ : من الوحي، أو الدّين المعلوم صحّته بالبراهين الصحيحة.

مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ: يدفع عنك عقابه.

وفي هذه الآية دلالة على أنّ من علم الله تعالى منه أنّه لا يعصي، يصحّ وعيده، لأنّه علم أنّ نبيّه (عليه السلام) لا يتّبع أهوائهم، والمقصود منه التنبيه على أنّ حال أُمته فيه أغلظ من حاله، لأنّ منزلتهم دون منزلته.

و قيل: الخطاب للنبي والمراد أُمّته.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ : يريد مؤمني أهل الكتاب، أو مطلقهم.

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ
عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا
يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣

يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ: بمراعاة اللفظ عن التحريف، والتدبر في معناه، والعمل بمقتضاه.

و روي عن أبي عبدالله (عليه السلام): إنّ حقّ تلاوته هوالوقوف عند ذكر الجنّة والنّار، يسأل في الأولى و يستعيذ من الأخرى(١).

والجملة خبر للموصول على التقدير الأوّل لأهل الكتاب، وحال مقدرة على التقدير الثاني.

أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ: بكتابهم دون المحرّفين.

وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ: بالكتاب وهم أكثر اليهود، وقيل: هم جميع الكفّار.

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ: حيث اشتروا الضلالة بالهدى.

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ * وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ: مضى تفسيرها.

وقيل في سبب تكريرها ثلاثة أقوال:

الأوّل: أنّ نعم الله سبحانه لـمّا كانت أُصول كلّ نعمة، كرّر التذكير بها مبالغة في استدعائهم إلى ما يلزم من شكرها، ليقبلوا إلى طاعة ربّهم المظاهر عليهم.

والثاني: أنّه لما باعد بين الكلامين، حسن التنبيه والتذكير، إبلاغاً في الحجّة و تأكيداً للتذكرة.

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٩٨.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ١٢٤

والثالث: أنّه لما ذكر التوراة وفيها الدلالة على شأن عيسى (عليه السلام) ومحمّد (صلّى الله عليه وآله) في النبوة والبشارة بهما، ذكّرهم نعمته عليهم بذلك وما فضّلهم به كما عدّد النعم في سورة الرحمن، و كرّر بقوله: «فبأي آلاء ربكما تكذبان»، فكلّ تقريع جاء بعد تقريع فإنّما هو موصول بتذكير نعمة غير الأُولى.

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ: كلّفه بأوامر ونواه.

والإبتداء في الأصل التكليف بالأمر الشاقّ، من البلاء، لكنّه لمّا استلزم الإختبار بالنسبة إلى من يجهل العواقب، ظنّ ترادفهما، والضمير لإ براهيم، وحسن لتقدّمه لفظاً، و إن تأخّر رتبة، لأنّ الشرط أحد التقدّمين.

والكلمات قد تطلق على المعاني، فلذلك فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة، عشرة منها في قوله: التائبون العابدون»(١)، و عشرة في قوله: «إن المسلمين»(٢) إلى آخر الآيتين، و عشرة في قوله: «قد أفلح المؤمنون»، إلى قوله: «هم الوارثون»(٣). و روي عشرة في سورة سأل سائل إلى قوله: «والذين هم على صلواتهم يحافظون»(٤) فجعلت أربعين.

و بالعشر التي هي من سنّته: خمسة منها في الرأس، وخمسة منها في البدن. فأمّا التي في الرأس: فأخذ الشارب، و إعفاء اللحى، وطم الشعر، والسواك،

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٢.

(٢) سورة الاحزاب: الآية ٣٥.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ١ - ١٠.

(٤) سورة المعارج: الآية ٣٤.

والخلال. و أمّا التي في البدن: فحلق الشعر من البدن، والختان، و تقليم الأظفار، والغسل من الجنابة، والطهور بالماء.

فهذه الحنيفيّة الظاهرة التي جاء بها إبراهيم (عليه السلام)، فلم تنسخ ولا تنسخ إلى يوم القيامة.

و بمناسك الحج و بالكوكب والقمرين و ذبح الولد والنار والهجرة، و بالآيات التي بعدها، وهي قوله: «إني جاعلك». الآية.

وكان سعيدبن المسيب يقول: كان إبراهيم أوّل الناس أضاف الضيف، و أوّل الناس قصّ شاربه واستحدّ، و أوّل الناس رأى الشيب، فلما رآه قال: يا ربّ ما هذا؟ قال: الوقار قال: ياربّ فزدني وقاراً.

وهذا أيضاً رواه السكوني عن أبي عبدالله (عليه السلام)، ولم يذكر أوّل من قصّ شاربه و استحدّ، وزاد فيه: و أوّل من قاتل في سبيل الله إبراهيم، و أوّل من أخرج الخمس إبراهيم، و أوّل من اتخذ النعلين إبراهيم و أوّل من اتخذ الرايات إبراهيم (۱).

---

(۱) مجمع البيان: ج۱ ـ ۲، ص۲۰۰، ولمّا كان بين ما نقله الطبرسي وما نقله المصنّف هنا اختلافاً بالتقديم والتأخير والزيادة والنقيصة في بعض الجملات والعبائر، فلذا نورد ما أورده في مجمع البيان، لتتميم الفائدة.

قال: ثمّ أنزل الله عليه الحنيفيّة وهي الطهارة، وهي عشرة أشياء خمسة منها في الرأس وخمسة منها في البدن، فأمّا التي في الرأس فأخذ الشارب و إعفاء اللحى و طم الشعر والسواك والخلال. و أمّا التي في البدن فحلق الشعر من البدن والختان و تقليم الأظفار والغسل من الجنابة والطهور بالماء، فهذه الحنيفيّة الظاهرة التي جاء بها ابراهيم، فلم تنسخ ولا تنسخ إلى يوم القيامة، وهو قوله: «واتبع ملة إبراهيم حنيفاً»، ذكره علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره.

وقال قتادة: وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس: إنها عشر خصال كانت فرضاً في شرعه، سنّة في شريعتنا، المضمضة والاستنشاق، وفرق الرأس، وقصّ الشارب، والسواك في الرأس، والختان، وحلق العانة، ونتف الإبط و تقليم الأظفار، والاستنجاء بالماء في البدن. و في الرواية الأخرى عن ابن عباس: انه ابتلاه بثلاثين خصلة من شرائع الإسلام لم يبتل أحداً بها، فأقامها كلّها إبراهيم، فأتمهن، فكتب له البراءة، فقال: «و إبراهيم الذي وفّى» وهي عشرة في سورة البراءة: «التائبون العابدون» إلى آخرها.

←

وقرئ إبراهيمُ ربَّه، على أنه دعا ربّه بكلمات، مثل (أرني كيف تحيي الموتى) (إجعل هذا البلد آمناً) ليرى هل يجيبه؟

وعشر في الأحزاب: «إن المسلمين والمسلمات». إلى آخرها. وعشر في سورة المؤمنين: «قد أفلح المؤمنون» إلى قوله: «أولئك هم الوارثون» و روي وعشر في سورة سأل سائل إلى قوله: «والذين هم على صلاتهم يحافظون» فجعلها أربعين، وفي رواية ثالثة عن ابن عباس: إنّه أمره بمناسك الحج.

وقال الحسن: ابتلاه الله بالكوكب والقمر والشمس والختان و بذبح ابنه و بالنّار و بالهجرة، فكلّهن وفى الله فيهنّ.

وقال مجاهد: ابتلاه الله بالآيات التي بعدها، وهي قوله: «إني جاعلك للناس إماماً» إلى آخر القصة.

وقال أبوعلي الجبائي: أراد بذلك كلّ ما كلّفه من الطاعات العقلية والشرعية.

والآية محتملة لجميع هذه الأقاويل التي ذكرناها.

وكان سعيد بن المسيب يقول: كان إبراهيم أوّل الناس أضاف الضيف، و أوّل الناس اختتن، و أوّل الناس قصّ شاربه واستحدّ(ه) وأوّل الناس رأى الشيب فلمّا رآه قال: يارب ما هذا؟ قال: هذا الوقار، قال ياربّ: فزدني وقاراً. وهذا أيضاً قد رواه السكوني عن أبي عبدالله (عليه السلام)، ولم يذكر أوّل من قصّ شاربه و استحدّ وزاد فيه: و أوّل من قاتل في سبيل الله إبراهيم، و أوّل من أخرج الخمس إبراهيم، و أوّل من إتّخذ النعلين إبراهيم، و أوّل من اتّخذ الرايات إبراهيم.

و روى الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة باسناده مرفوعاً إلى المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ «و إذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات» ما هذه الكلمات قال هي الكلمات التي تلقّاها آدم (عليه السلام) من ربّه فتاب عليه، وهو أنّه قال يا ربّ: أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت علي، فتاب الله عليه إنّه هو التوّاب الرحيم، فقلت له: يابن رسول الله فما يعني بقوله: فأتمّهن قال: أتمّهن إلى القائم اثنى عشر إماماً تسعة من ولد الحسين (عليه السلام)، قال المفضل: فقلت له: يابن رسول الله فأخبرني عن كلمة الله عزّوجلّ «وجعلها كلمة باقية في عقبه» قال: يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة، فقلت له: يابن رسول الله فكيف صارت الإمامه في ولد الحسين دون الحسن (عليهما السلام)، وهما جميعا ولدا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) و سبطاه وسيدا شباب اهل الجنّة؟ فقال: إن موسى وهارون نبيان مرسلان أخوان، فجعل الله النبوّة في صلب هارون دون صلب موسى، ولم يكن لأحد أن يقول: لمَ فعل الله ذلك؟ و إن الامامة خلافة الله عزّوجلّ ليس لأحد أن يقول: لمَ جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن؟ لأنّ الله عزّوجلّ هو الحكيم في افعاله لا يسأل عمّا يفعل وهم يسئلون. إلى آخره.

(ه) الاستحداد: الاحتلاق بالحديد، لسان العرب، ج٣، ص١٤١، في لغة (حدد)

و روى الشيخ أبوجعفربن بابويه (رحمه الله) في كتاب النبوة بإسناده مرفوعاً إلى المفضّل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: «و إذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات» ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم (عليه السلام) من ربّه فتاب عليه، وهو أنّه قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ، فتاب الله عليه إنّه هوالتواب الرحيم. فقلت: يابن رسول الله فما يعني بقوله (فأتمّهن)؟ فقال: أتمّهن إلى القائم اثنى عشر إماماً، تسعة من ولد الحسين (عليه السلام). قال المفضّل: فقلت له: يابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عزّوجلّ «وجعلها كلمة باقية في عقبه» قال: يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين (عليه السلام) إلى يوم القيامة، فقلت له: يابن رسول الله فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولدالحسن، وهما جميعاً ولدا رسول الله وسبطاه و سيدا شباب أهل الجنة؟ فقال: إنّ موسى وهارون نبيّان مرسلان أخوان، فجعل الله النبوّة في صلب هارون دون صلب موسى، ولم يكن لأحد أن يقول: لِمَ فعل الله ذلك؟ و إنّ الإمامة خلافة الله عزّوجلّ ليس لأحد أن يقول: لِمَ جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن؟ لأنّ الله عزّوجلّ هوالحكيم في أفعاله لايسأل عمّا يفعل وهم يسألون(١).

فَأَتَمَّهُنَّ: فأدّاهن كملاً، وقام بهنّ حق القيام. وفي القراءة الأخيرة، الضمير المستتر لربّه، أي أعطاه جميع ما سأل.

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا: جملة مستأنفة إن أضمر ناصب (إذ) والتقدير: فماذا قال ربّه حين أتمّهن، فأُجيب بأنّه قال إني الخ. أو بيان للابتلاء، فيكون الكلمات ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت وغير ذلك. و إن كان ناصبة (قال) فالمجموع جملة معطوفة على ماقبلها.

وجاعل: من جعل المتعدّي إلى مفعولين.

والإمام: اسم لمن يؤتمّ به في أقواله وأفعاله، و يقوم بتدبير الإمامة، و سياستها،

---

(١) تقدّم تمام الحديث آنفاً.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

والقيام بأُمورها، و تأديب جناياتها، و تولية ولاياتها، و إقامة الحدود على مستحقّها، ومحاربة من يكيدها و يعاديها. و قد يطلق على المقتدى به في أقواله و أفعاله.

قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي: عطف على الكاف عطف تلقين، أي و بعض ذريّتي، كما تقول: و زيداً في جواب سأكرمك.

والذريّة نسل الرجل، فعليّة أو فعولة، من الذرّ بمعنى التفريق، والأصل ذريّة على الأوّل، و على الثاني ذرورة قلبت راؤها الثالثة ياءً، كما في تقضّيت، ثم أبدلت الواو والضمّة، أو فعليّة أو فعولة من الذّر بمعنى الخلق، فخفّفت الهمزة.

و قرئ ذريّتي بالكسر، وهي لغة، و بعض العرب بفتح الذال.

قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ: والعهد: الإمامة، كما روي عن أبي جعفر و أبي عبدالله (عليهما السلام)(١) أي لا يكون الظالم إماماً للناس.

و استدلّ أصحابنا بهذه الآية على أنّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً عن القبائح، لأنّ الله سبحانه نفى أن ينال عهده ـ الذي هو الإمامة ـ ظالم، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إمّا لنفسه أو لغيره.

لا يقال: إنّما نفي أن يناله ظالم في حال ظلمه، فإذا تاب لا يسمّى ظالماً، فيصح أن يناله.

لأنّا نقول: إنّ الظالم و إن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً، وقد حكم عليه بأنّه لا ينالها، والآية مطلقة غير مقيّدة بوقت دون وقت،

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ح٨٩، من تفسير سورة البقرة.

فيجب أن تكون محموله على الأوقات كلّها، فلا ينالها الظالم و إن تاب فيا بعد.

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ : أي الكعبة، غلب عليها كالنجم على الثريا.

مَثَابَةً لِّلنَّاسِ : أي مرجعاً يثوب إليه أعيان الزوار، أو أمثالهم، أو موضع ثواب يثابون بحجته و اعتماره، أو موضع لا ينصرف منه أحد إلّا و ينبغي أن يكون على قصد الرجوع إليه.

وقد ورد في الخبر: إنّ من رجع من مكة وهو ينوي الحج من قابل زيد في عمره، ومن خرج من مكة وهو لا ينوي العود إليها فقد قرب أجله(١).

وَأَمْنًا: أي موضع أمن، والحمل للمبالغة، و ذلك أنّه لا يتعرّض لأهله، أو يأمن حجّه من عذاب الآخرة لأنّ الحج يجبّ ماقبله، أو لا يؤاخذ الجاني الملتجئ إليه، والحمل على العموم أولى.

وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى : على إرادة القول، أو عطف على المقدر العامل في (إذ) أو اعتراض معطوف على مضمر، تقديره توبوا إليه و اتّخذوا.

ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه، والمراد باتخاذه مصلّى الصلاة فيه بعد الصلاة كما روي عن الصادق (عليه السلام) أنّه سئل عن الرجل يطوف بالبيت طواف الفريضة ونسى أن يصلي ركعتين عند مقام إبراهيم، فقال: يصليها ولو بعد أيام انّ الله تعالى يقول: «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى»(٢).

و روي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنّه قال: نزلت ثلاثة أحجار من الجنة: مقام إبراهيم، و حجر بني إسرائيل، والحجر الأسود استودعه الله ابراهيم (عليه السلام) حجراً أبيض، وكان أشد بياضاً من القراطيس فاسود من خطايا بني آدم(٣).

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٠٣، في نقل المعنى لآية ١٢٥.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص٥٨، ح٩٢، من تفسير سورة البقرة، وفي مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٠٣، في نقل المعنى لآية ١٢٥.

(٣) رواه في مجمع البيان ج١-٢، ص٢٠٣، في نقل المعنى لآية ١٢٥، كما في المتن، و رواه العياشي في تفسيره: ج١، ص٥٩، ح٩٣، ولفظه (عن المنذر الثوري عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن الحجر؟

←

و روي في سبب النزول عن ابن عباس، وعلي بن إبراهيم عن أبيه عن أبن أبي عمير عن أبان عن الصادق (عليه السلام) أنّه لما أتى إبراهيم بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة، و أتت على ذلك مدّة و نزلها الجرهميون و تزوج إسماعيل امرأة منهم وماتت هاجر، فاستاذن إبراهيم سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له، و شرطت عليه أن لا ينزل، فقدم إبراهيم (عليه السلام) إذ قد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ليس هاهنا ذهب يتصيّد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع، فقال إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ قالت: ليس عندي شيء وما عندي أحد، فقال لها إبراهيم (عليه السلام): إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه، و ذهب إبراهيم (عليه السلام)، فجاء إسماعيل فوجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا، كالمستخفّة بشأنه، قال: فما قال لك؟ قالت: قال لي: اقرئي زوجك السلام وقولي له: فليغيّر عتبة بابه، فطلّقها و تزوج أُخرى.

فلبث إبراهيم ما شاء أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور اسماعيل، فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل، فجاء إبراهيم حتّى انتهى إلى باب إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يتصيّد وهو يجيىء الآن إن شاء الله فأنزل يرحمك الله، قال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، فجاءت باللبن واللحم، فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذٍ بخبز أو برّ أو شعير أو تمر لكان أكثر أرض الله برّاً و شعيراً و تمراً، فقالت: انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءت بالمقام، فوضعته على شقّه الأيمن، فوضع قدمه عليه، فبقي أثر قدمه عليه، فغسلت شق رأسه الأيمن، ثم حوّلت المقام إلى شقة الأيسر، فغسلت شق رأسه الأيسر، فبقي أثر قدمه عليه، فقال لها: إذا جاءك زوجك فاقرئيه السلام وقولي له: قد استقامت عتبة بابك، فلمّا جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت:

فقال: نزلت ثلاثة أحجار من الجنة: الحجر الاسود استودعه إبراهيم، ومقام إبراهيم، وحجر بني إسرائيل، قال أبوجعفر: إنّ الله استودع إبراهيم الحجر الأبيض. الحديث.

نعمّ شيخ أحسن الناس وجهاً و أطيبهم ريحاً، فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت رأسه، وهذا موضع قدميه على المقام، فقال إسماعيل: ذاك إبراهيم(١).

وفي رواية أُخرى عنه (عليه السلام): إنّ إبراهيم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له على أن لا يلبث عنها، و أن لا ينزل من حماره، فقيل له: فكيف كان ذلك؟ فقال: إنّ الأرض طويت له(٢).

و روى عبدالله بن عمرعن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنّة طمس الله نورهما، ولولا أنّ نورهما طمس لأضاء ما بين المشرق والمغرب(٣).

و استدلّ أصحابنا بهذه الآية على أنّ صلاة الطواف فريضة مثل الطواف، بأنّ الله تعالى أمر بذلك، و ظاهر الأمر يقتضي الوجوب، ولا صلاة واجبة عند مقام إبراهيم غير صلاة الطواف بلا خلاف، والاستدلال بها معاضد بالروايات الواردة عن الأئمة (عليهم السلام)(٤).

وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ: أمرناهما.

أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ: بأن طهّرا، و يجوز أن تكون (أن) مفسرة، لتضمّن العهد معنى القول. يريد طهّراه من الأوثان والأنجاس وما لا يليق به، أو أخلصاه.

لِلطَّائِفِينَ: حوله.

وَالْعَاكِفِينَ: المقيمين عنده، أوالمعتكفين فيه.

وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ: اي المصلّين، جمع راكع و ساجد.

---

(١) مجمع البيان، ج١ - ٢، ص٢٠٤.

(٢و٣) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٠٤.

(٤) الوسائل: ج٩، ص١٥٥، كتاب الحج، الباب (٧١ - ٧٢) من أبواب الطواف وفي خلال سائر الأبواب أيضاً.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا: معطوف على (إذجعلنا) والإشارة إلى البلد أوالمكان.

بَلَدًا ءَامِنًا: ذا أمن كقوله تعالى«في عيشة راضية»(١) أو آمنا أهله كقوله: ليله نائم.

والمراد بالبلد: مكة، والمراد بكونه آمناً أنّه لا يصاد طيره ولا يقطع شجره ولا يختلى خلاه(٢).

كما روي عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: من دخل الحرم مستجيراً بالله فهو آمن من سخط الله عزّوجلّ، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم(٣).

وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم فتح مكة: إنّ الله تعالى حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولا تحل

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٢١.

(٢) ومنه حديث مكة: لا يختلى خلاها بضم أوله وفتح اللام أي لا يجز نبتها الرقيق ولا يقطع مادام رطباً، وإذا يبس فهو حشيش. مجمع البحرين: ج١، ص١٢٩، في لغة (خلا) والخلا هوالرطب من الكلاء. قالوا: الخلا والعشب اسم للرطب منه. والحشيش والهشيم اسم لليابس منه، والكلاء يقع على الرطب واليابس، ومعنى يختلى: يؤخذ ويقطع. شرح النووي لصحيح مسلم: ج٩، ص١٢٥، باب تحريم مكة و تحريم صيدها وخلاها وشجرها.

(٣) مجمع البيان: ج١-٢، ص٢٠٦.

لأحد بعدي، ولم تحل لي إلاّ ساعة من النهار(١).

فهذا الخبر و أمثاله المشهورة في روايات أصحابنا، يدلّ على أنّ الحرم كان آمناً قبل دعوة إبراهيم، و إنّما تأكدت حرمته بدعاءه (عليه السلام).

و بعضهم قالوا: إنّما صار حرماً بدعاء إبراهيم، وكان قبل ذلك كسائر البلاد، واستدلّوا عليه بقول النبي (صلّى الله عليه وآله): إنّ إبراهيم (عليه السلام) حرّم مكة، و إنّي حرّمت المدينة(٢).

والجواب: أنّه يحتمل أن يكون حرّمه بغير الوجه الذي كانت حراماً قبله، لجواز كونها حراماً قبل بمعنى كونها ممنوعاً من الإصطلام والإنتقال كما لحق غيرها من البلاد وصارت حراماً بعد دعاء إبراهيم (عليه السلام) بتعظيمه على ألسنة الرسل وغير ذلك.

وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ: (من آمن) بدل من (أهله) بدل البعض.

قَالَ وَمَن كَفَرَ: مبتدأ متضمن معنى الشرط.

فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا: خبره، والجملة معطوفة على محذوف، أي من آمن مرزوق، ومن كفر فأُمتعه قليلاً.

ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ: أدفعه و أسوقه إليها في الآخرة.

وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ: المخصوص محذوف، أي العذاب و «قليلا» منصوب على المصدر، أوالظرف، وقرئ بلفظ الأمر في (فأَمْتِعه) و(أضطرّه) على أنّه من دعاء إبراهيم، و الضمير في «قال» راجع إليه.

---

(١) رواه الخاصة والعامة في الصحاح والسنن. الوسائل: ج٩، ص٦٨، الباب ٥٠، من أبواب الإحرام، ح٧، و صحيح مسلم: ج٢، باب ٨٢ تحريم مكة وصيدها، ح٤٤٥، ومسند أحمدبن حنبل: ج١، ص٢٥٣، وغيرها.

(٢) مسند أحمدبن حنبل: ج١، ص١١٩، ومجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٠٦.

وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧

وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ: حكاية حال ماضية، تقديره واذكر «إذ يرفع».

والقواعد: جمع قاعدة وهي الأساس، صفة غالبة ومعناها الثابتة، ومنه قعدك الله أي أسأل الله ان يقعدك أي يثبتك، و رفعها البناء عليها، لأنّها إذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع، و تطاولت بعد التقاصر.

و يحتمل أن يراد بها سافات البناء، فانّ كلّ ساف قاعدة يوضع فوقه و يرفع بناؤها، لأنّه إذا وضع ساف فوق ساف فقد رفع السافات.

و يجوز أن يكون المعنى: و إذ يرفع إبراهيم ما قعد من البيت، أي استوطأ، يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء.

وقيل: المراد رفع مكانته و إظهار شرفه بتعظيمه و دعاء الناس إلى حجّه.

روي عن أئمتنا (عليهم السلام) أنّه قد كان آدم بناه، ثم عفا أثره فجدّده إبراهيم (عليه السلام)(١).

وقال مجاهد: بل إنشاء إبراهيم (عليه السلام) بأمر الله عزّوجلّ(٢).

وكان الحسن (عليه السلام) يقول: أوّل من حج البيت إبراهيم(٣).

و في أكثر الروايات أن أول من حج البيت آدم (عليه السلام)(٤).

و يمكن الجمع بأنّه كان مطاف آدم البيت المعمور، ومطاف إبراهيم الكعبة.

كما روي أنّ الله تعالى أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنّة له بابان من زمرّد

(١و٢و٣و٤) مجمع البيان: ج١ - ٢ ، ص٢٠٧.

شرقي وغربي، وقال لآدم: أهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي، فتوجه آدم من أرض الهند إليه ماشياً و تلقته الملائكة، فقالوا: برحجّك يا آدم، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام، و حج آدم أربعين حجّة من أرض الهند إلى مكة على رجليه، فكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيّام الطوفان إلى السماء الرابعة، فهوالبيت المعمور، ثم أنّ الله تعالى أمر إبراهيم ببنائه و عرّفه جبرئيل مكانه(١).

أو كان بناه آدم أوّلاً ثم زال أثره، ثم أمر ابراهيم (عليه السلام) بالبناء و رفع القواعد.

وَإِسْمَٰعِيلُ : كان يناوله الحجارة،ولكنّه لمّا كان له مدخل في البناء عطف عليه.

وقيل: كانا يبنيان في طرفين، أو على التناوب. يقولان:

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ: على تقدير الحال. و قرئ باظهار يقولان.

إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ: لدعائنا.

ٱلْعَلِيمُ : بنيّاتنا.

وقصّة مهاجرة إسماعيل وهاجر على ما رواه الشيخ الطبرسي، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن النضربن سويد، عن هشام، عن الصادق (عليه السلام) قال: إنّ ابراهيم (عليه السلام) كان نازلاً في بادية الشام، فلمّا ولد له من هاجر إسماعيل اغتمّت سارة من ذلك غمّا شديداً، لأنّه لم يكن له منها ولد، فكانت تؤذي إبراهيم في هاجر و تغمّه، فشكا ذلك إبراهيم إلى الله عزّوجلّ فأوحى الله إليه: إنّما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن تركته استمتعت به، و إن رمت أن تقيمه كسرته.

وقد قال القائل في ذلك:

هِيَ الضِّلَعُ العَوجاءُ لَستَ تُقيمُها ... ألا إنَّ تَقويمَ الضلوعِ اِنكِسارُها

ثم أمره أن يخرج إسماعيل و أمه عنها، فقال: أي ربّ، إلى أيّ مكان؟ قال:

---

(١) الكشاف: ج١، ص١٨٧، في تفسيره لآية ١٢٨، من سورة البقرة.

إلى حرمي و أمني و أوّل بقعة خلقتها من أرضي، وهي مكّة. و أنزل عليه جبرئيل بالبراق، فحمل عليه هاجر و إسماعيل و إبراهيم، فكان إبراهيم لا يمرّ بموضع حسن فيه شجر و نخل و زرع إلّا قال: يا جبرئيل إلى هاهنا؟ فيقول جبرئيل: لا إمض، حتّى وافى مكة فوضعه في موضع البيت، وقد كان إبراهيم عاهد سارة أن لا ينزل حتّى يرجع إليها، فلمّا نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر، فالقت هاجر على ذلك الشجر كساءً كان معها فاستظلّت تحته، فلمّا سرّحهم إبراهيم ووضعهم و أراد الإنصراف عنهم إلى سارة قالت له هاجر: لم تدعنا في هذا الموضع الذي ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع؟ فقال إبراهيم: ربّي الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان، ثم انصرف عنهم، فلمّا بلغ كدى(١)، وهو جبل بذي طوى التفت إليهم إبراهيم فقال: ربّنا إنّي أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع. إلى قوله: لعلّهم يشكرون(٢) ثم مضى و بقيت هاجر فلمّا ارتفع النهار عطش إسماعيل، فقامت هاجر في الوادي حتّى صارت في موضع المسعىٰ، فنادت: هل في الوادي من أنيس؟ فغاب عنها إسماعيل، فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي، و ظنّت أنه ماء فنزلت في بطن الوادي وسعت فلمّا بلغت المروة غاب عنها إسماعيل، ثم لمع لها السراب في ناحية الصفا وهبطت إلى الوادي تطلب الماء، فلمّا غاب عنها إسماعيل عادت حتّى بلغت الصفا فنظرت إلى اسماعيل، حتّى فعلت ذلك سبع مرات، فلمّا كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه، فعدت حتّى جمعت حوله رملاً و انّه كان سائلاً، فزمّته بما جعلت حوله، فلذلك سمّيت زمزم، وكانت جرهم(٣) نازلة بذي المجاز و عرفات، فلمّا ظهر الماء

---

(١) وفيه أنّه دخل مكّة عام الفتح من كداء و دخل في العمرة من كدىً، وكداء بالفتح والمد: الثنية العليا بمكة ممّا يلي المقابر وهوالمعلا، وكدى بالضم والقصر الثنية السفلى ممّا يلي باب العمرة، و أما كديّ بالضم و تشديد الياء فهو موضع بأسفل مكّة وقد تكرّر ذكر الأوّلين في الحديث، النهاية: ج٤، ص١٥٦، باب الكاف مع الدال.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

(٣) جُرهُم بضم الجيم والهاء، حي من اليمن. مجمع البحرين: ج٦، ص٣١، في لغة جرهم.

بمكّة عكفت الطير والوحوش على الماء، فنظرت جرهم إلى تعكّف الطير على ذلك المكان فاتبعوها حتّى نظروا إلى امرأة وصبي نزلا في ذلك الموضع قد استظلا بشجرة قد ظهر لهم الماء، فقال لهم جرهم: من أنت وما شأنك و شأن هذا الصبي؟ قالت: أنا أُم ولد إبراهيم خليل الرحمن وهذا ابنه أمره الله أن ينزلنا هاهنا، فقالوا لها: أتأذنين أن نكون بالقرب منكم؟ فقالت: حتّى أسأل إبراهيم، قال: فزارها إبراهيم يوم الثالث فقالت له هاجر: يا خليل الله إنّ هاهنا قوماً من جرهم يسألونك أن تأذن لهم حتّى يكونوا بالقرب منّا، أفتأذن لهم في ذلك؟ فقال إبراهيم: نعم، فأذنت هاجر لجرهم، فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم و أنست هاجر و إسماعيل بهم، فلمّا زارهم إبراهيم في المرّة الثانية و نظر إلى كثرة الناس حولهم، سرّ بذلك سروراً شديداً، فلمّا تحرّك إسماعيل وكانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كلّ واحد منهم شاة و شاتين، فكانت هاجر و إسماعيل يعيشان بها، فلمّا بلغ مبلغ الرجال أمرالله تعالى إبراهيم أن يبني البيت، فقال يا ربّ: في أيّ بقعة؟ قال: في البقعة التي أُنزلت على آدم القبة، فأضاءت الحرم، قال: ولم تزل القبّة التي أنزلها على آدم قائمة حتّى كان أيّام الطوفان في زمن نوح، فلمّا غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وغرقت الدنيا ولم تغرق مكة فسمّي البيت العتيق، لأنّه أُعتق من الغرق، فلمّا أمرالله عزّوجلّ إبراهيم أن يبني البيت لم يدر في أيّ مكان يبنيه، فبعث الله جبريل (عليه السلام)، فخطّ له موضع البيت و أنزل عليه القواعد من الجنّة، وكان الحجر الذي أنزله الله على آدم أشدّ بياضاً من الثلج، فلمّا مسته أيدي الكفّار إسود، قال: فبنى إبراهيم البيت و نقل إبراهيم الحجر من ذي طوى، فرفعه في السماء تسعة أذرع ثمّ دلّه على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم ووضعه في موضعه الذي هو فيه و جعل له بابين باباً إلى المشرق و باباً إلى المغرب، فالباب الذي إلى المغرب يسمّى المستجار، ثم ألقى عليه الشجر الأذخر وعلّقت هاجر على بابه كساءً كان معها، فكانوا يكونون تحته، فلمّا بناه وفرغ حج إبراهيم و إسماعيل و نزل عليهما جبرئيل يوم التروية لثمان خلت من ذي الحجّة فقال: قم يا إبراهيم فارتو من الماء لأنّه لم يكن بمنى وعرفات ماء فسمّيت التروية لذلك، ثم أخرجه إلى منى فبات بها، ففعل به ما

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

فعل بآدم، فقال إبراهيم لما فرغ من بناء البيت: ربّ اجعل إلى آخر الآية(١).

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ: مخلصين لك، من أسلم وجهه، أو مستسلمين من أسلم إذا استسلم و انقاد، وقرئ على لفظ الجمع على أن المراد أنفسهما و هاجر، أو أنّ التثنية من مراتب الجمع.

وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ: أي واجعل بعض ذرّيتنا، والتخصيص بالدعاء لأنّهم أحقّ بالشفقة، و لأنّهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع. وخصّا بعضهم لما أعلما أنّ في ذرّيتهما ظلمة، وعلما أنّ الحكمة الإلهية لا تقتضي الاتفاق على الإخلاص والإقبال على الله تعالى، فإنّه ممّا يشوّش المعاش، و لذلك قيل: لولا الحمقاء لخربت الدنيا.

وقيل: المراد بالأمة، أمة محمد (صلّى الله عليه وآله)، و يحتمل أن تكون (من) للتبيين.

و روي عن الصادق (عليه السلام) أن المراد بالأُمة بنوهاشم خاصة(٢).

وَأَرِنَا: من رأى بمعنى أبصر أو عرف، ولذلك لم يتجاوز مفعولين.

مَنَاسِكَنَا: المواضع التي يتعلق النسك بها، لنفعله عندها و نقضي عباداتنا

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٠٨.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢١٠.

فيها على حدّ ما يقتضيه توفيقنا عليها، وقال عطا و مجاهد: معنى مناسكنا مذابحنا، والأول أقوى(١).

والنسك في الأصل: غاية العبادة، و شاع في الحج، لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة.

و قرأ ابن كثير و يعقوب (أرنا) قياساً على فَخْذ في فَخِذ(٢).

وَتُبْ عَلَيْنَآ: قالا تلك الكلمة على وجه التسبيح والتعبّد والإنقطاع إلى الله، ليقتدي بهما الناس فيهما.

وقيل: أنّهما سألا التوبة على ظَلَمَةَ ذرّيتهما.

وقيل معناه: ارجع علينا بالرحمة. فليس فيها دلالة على جواز الصغيرة عليهم كما لا يخفى.

إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ: القابل للتوبة من عظائم الذنوب، أوالكثير القبول للتوبة مرّة بعد أُخرى.

ٱلرَّحِيمُ : بعباده المنعم عليهم بالنعم العظام وتكفير الآثام.

وفي هذه الآية دلالة على أنّه يحسن الدعاء بما يعلم الداعي أنّه يكون لا محالة.

رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ: في الأُمة المسلمة.

رَسُولًا مِّنْهُمْ : ولم يبعث من ذريتهما غير محمد (صلّى الله عليه وآله)، فهو المجاب به دعوتهما كما قال (صلّى الله عليه وآله): أنا دعوة أبي إبراهيم (عليه السلام) و بشرى عيسى (عليه السلام) يعني قوله: «و مبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد» و رؤيا أُمي(٣) وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف من بني زهرة، رأت في المنام أنّها وضعت نوراً أضاء به قصور الشام من بصرى.

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢١٠.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٠٩.

(٣) مسند أحمدبن حنبل: ج٤، ص١٢٧ و ١٢٨، وج٥، ص٢٦٢. ولفظ الأخير (لقمان بن عامر قال: سمعت أبا أمامة قال: قلت: يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال: دعوة أبي إبراهيم و بشرى عيسى و رأت أُمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام).

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَٰهُ فِى الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى الْءَاخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾
إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾

يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ: التي توحي بها إليه.

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ: أي القرآن.

وَالْحِكْمَةَ: ما يكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام.

وَيُزَكِّيهِمْ: عن الشرك والمعاصي.

إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ: الذي لا يُغلب على ما يُريد.

الْحَكِيمُ: المحكم له.

وَمَن يَرْغَبُ: أي لا يرغب.

عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ: إنكار لأن يكون أحد يرغب من ملّته الواضحة الغرّاء.

إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ: إلّا من أذلّها واستخفّ بها، قال المبرّد و ثعلب: «سفه» بالكسر متعدّ و بالضم لازم(١).

وقيل: أصله «سفه نفسه» بالرفع، فنصب على التميّز، نحو غبن رأيه، أو سفه في نفسه، فنصب بنزع الخافض. والمستثنى في محل الرفع بدلاً من الضمير في (يرغب) لأنّه في معنى النفي.

روي أنّ عبدالله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجر إلى الإسلام، فقال: لقد علمنا صفة محمد في التوراة، فأسلم سلمة و أبى مهاجر أن يسلم، فأنزل الله هذه الآية(٢).

---

(١) تفسير البيضاوي: ج١، ص٨٣.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢١٢.

وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢

وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ: اخترناه بالرسالة.

فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ: قيل: وإنّما خصّ الآخرة بالذكر وإن كان في الدنيا كذلك، لأنّ المعنى من الذين يستوجبون على الله سبحانه الكرامة وحسن الثواب، فلمّا كان خلوص في الآخرة دون الدنيا وصفه بما ينبئ عن ذلك.

إِذۡ قَالَ: ظرف لاصطفيناه، أي اخترناه في ذلك الوقت، أو انتصب بإضمار اذكر استشهاداً على ما ذكر من حاله، كأنّه قيل: اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملّة مثله.

لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ: أخطر ببالك النظر في الدلالة المؤدية إلى المعرفة.

قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ: أي فنظر وعرف.

وقيل: أسلم أي أذعن، وقيل: أن يكون المراد اثبت على الإنقياد.

وَوَصَّىٰ بِهَآ: أي بالملّة، أوالكلمة، وهي أسلمت لربّ العالمين.

و قرئ و أوصى.

إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ: عطف على إبراهيم داخل في حكمه، والمعنى ووصّى بها يعقوب بنيه أيضاً، و قرئ بالنصب عطفاً على بنيه، والمعنى و وصّى بها إبراهيم بنيه ونافلته يعقوب.

يَٰبَنِيَّ: على إضمار القول عند البصريّين، و عندالكوفيين يتعلّق بـ (وصّى) لأنّه في معنى القول. وفي قراءة أُبي و ابن مسعود أن يا بني(١).

إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ: أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان، وهو

---

(١) تفسيرالكشاف: ج١، ص١٩١.

أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ
مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ
إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ
مُسْلِمُونَ ١٣٣ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم
مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٣٤

دين الإسلام و وفقكم الأخذ به.

فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ: لا يكن موتكم على حال إلّا على حال كونكم ثابتين على الإسلام، فالنهي راجع إلى كونهم على خلاف الإسلام في حال الموت، والنكتة في إدخال النهي على الموت، إظهار أنّ الموت على غير الإسلام كلا موت، والموت الحقيقي هو موت السعداء وهوالموت على الإسلام.

أَمْ كُنتُمْ: (أم) هي المنقطعة، ومعنى الهمزة فيها الإنكار، أي ما كنتم.

شُهَدَآءَ: جمع شهيد، بمعنى الحاضر.

قيل: إنّ اليهود قالوا لرسول الله (صلّى الله عليه وآله): ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ردّاً عليهم(١) أي ما كنتم حاضرين.

إِذْ حَضَرَ: و قرئ حضر بكسر الصاد، وهي لغة.

يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ: فالخطاب لليهود.

وقيل: الخطاب للمؤمنين، يعني ما شاهدتم ذلك و إنّما حصل لكم العلم به من طريق الوحي.

إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى: تقريراً لهم على التوحيد والإسلام، و

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ج١، ص٤٠٠. وفي مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢١٤.

(ما)عام في كلّ شيء، فإذا علم فرّق بما ومن.

ويمكن أن يقال: «ما تعبدون» سؤال عن صفة المعبود، كما تقول: ما زيد؟ تريد أفقيه أم طبيب أم غير ذلك من الصفات؟

قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ: وقرأ أبي بطرح (آبائك) وقرئ (أبيك) إمّا بالإفراد وكون إبراهيم وحده عطف بيان له، أو بالجمع بالياء والنون.

إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ: عطف بيان لآبائك. وعدّ إسماعيل من آبائه، لأنّ العرب تسمّي العم أباً كما تسمّي الخالة أماً، لانخراطهما في سلك واحد وهوالأُخوّة ووجوب تعظيمهما.

وفي الحديث: عمّ الرجل صنو أبيه(١)، أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة.

إِلَٰهًا وَٰحِدًا: بدل من «إله آبائك» كقوله: «بالناصية ناصية كاذبة»(٢) أو على الإختصاص أي نريد بإله آبائك، إلهاً واحداً.

وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ: حال من فاعل «نعبد» أو من مفعوله، لرجوع الهاء إليه في (له)، ويجوز أن يكون جملة معطوفة على «نعبد» وأن يكون جملة اعتراضية مؤكّدة، إن جاز وقوع الاعتراض في الآخر كما هو مذهب البعض، أي ومن حالنا أنّا له مسلمون مخلصون بالتوحيد، أو مذعنون.

وروى العياشي عن الباقر (عليه السلام) أنّها جرت في القائم (عليه السلام)(٣).

وقال بعضهم في توجيه الحديث: لعلّ مراده (عليه السلام) بكون الآية: أنّها جارية في قائم آل محمد، فكل قائم منهم يقول حين موته ذلك لبنيه، ويجيبونه بما أجابوا به.

---

(١) رواه أئمة الصحاح والسنن عنه (صلّى الله عليه وآله) في موارد عديدة، ومنها قوله (عليه السلام) (يا أيها الناس من آذى العباس فقد آذاني إنّما عمّ الرجل صنو أبيه) مسند أحمدبن حنبل: ج٤، ص١٦٥.

(٢) سورة العلق: الآية ١٥ - ١٦.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص٦١، ح١٠٢، ولفظ الحديث (عن جابرعن أبي جعفر قال: سألته عن تفسير هذه الآية من قول الله: «إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي» الآية قال: جرت في القائم (عليه السلام).

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٣٥

أقول: و يمكن أن يكون مراده (عليه السلام) جارية في القائم (عليه السلام)، كون الوصيّة والتقرير بالقائم (عليه السلام) داخلين في وصيّة يعقوب و تقريره لبنيه، أي وصّى بنيه و قرّرهم بالقائم (عليه السلام) فيما أوصاه و قرره.

و يؤيّد هذا التوجيه ما كتبه صاحب نهج الإمامة، قال: روى صاحب شرح الأخبار بإسناده يرفعه قال: قال أبوجعفر الباقر (عليه السلام) في قوله عزّوجلّ: «و وصّى بها إبراهيم بنيه و يعقوب يا بني إن الله اصطفى لكن الدين فلا تموتن إلّا و أنتم مسلمون» بولاية علي (عليه السلام)(١).

تِلْكَ: أي الأمة المذكورة التي هي إبراهيم و يعقوب و بنوهما الموحدون

أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ: قد مضت.

لَهَا مَا كَسَبَتْ: لاينفعكم إلّا ما كسبوا من أعمال الخير.

وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ: لا ينفعكم إلّا ما كسبتم منها.

وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ: لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم، والمقصود نفي الانهار بالوائل (كذا) ونحو قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم و تأتوني بأنسابكم(٢).

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ: أي قالت اليهود: كونوا هوداً تهتدوا، و قالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا.

---

(١) تفسير البرهان: ج١، ص١٥٦، ح٢، نقلاً عن ابن شهر آشوب وغيره عن صاحب شرح الأخبار.

(٢) تفسيرالكشاف: ج١، ص١٩٤، في تفسير آية ١٣٤، من سورة البقرة.

قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَ
إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَ
عِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ
مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦

قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ: أي بل نكون ملّة إبراهيم، أي أهل ملّته، وقيل: بل نتبع ملّة إبراهيم.

وقرئ بالرفع، أي ملّته ملّتنا، أو أمرنا ملّته، أو نحن ملّته بمعنى أهل ملّته.

حَنِيفٗاۖ: حال من المضاف إليه كقولك: رأيت وجه هند قائمة والحنيف: المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق، والحنف الميل في القدمين، و تحنف إذا مال.

روى العياشي عن الصادق (عليه السلام) قال: الحنيفية، هي الإسلام(١).

وعن الباقر (عليه السلام) قال: ما أبقت الحنيفة شيئاً، حتى أنّ منها قصّ شارب وقلم الأظفار والختان(٢).

وَمَا كَانَ: إبراهيم.

مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ: تعريض بأهل الكتاب وغيرهم، لأنّ كلاً منهم يدّعي إتّباع إبراهيم وهو على الشرك.

قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ: خطاب للكافرين، أي قولوا: لتكونوا على الحقّ و إلّا فأنتم على الباطل. وكذا قوله: بل ملّة إبراهيم، يجوز أن يكون على معنى بل إتّبعوا أنتم ملّة إبراهيم وكونوا أهل ملّته.

والأظهر أنّ الخطاب للمؤمنين، و يؤيّده ما نرويه في تأويله.

(١و٢) تفسير العياشي: ج١، ص٦١، ح١٠٣ و ١٠٤.

وهو ما رواه محمدبن يعقوب، عن محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن محمدبن النعمان، عن سلام بن عمرة، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله عزّوجلّ: «قولوا آمنّا بالله وما أُنزل إلينا» قال: إنّما عنى بذلك علياً و فاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وجرت بعدهم في الأئمة، ثم رجع القول من الله في الناس فقال «فإن آمنوا» يعني الناس «بمثل ما آمنتم به» يعني علياً و فاطمة والحسن والحسين والأئمة (عليهم السلام) «فقد اهتدوا و إن تولوا فإنّما هم في شقاق» يعني الناس. انتهى(١).

ومعناه أنّ الله سبحانه أمر الأئمة صلوات الله عليهم أن يقولوا: آمنّا بالله وما بعدها، لأنّهم المؤمنون بما أُمروا به حقاً وصدقاً، ثم قال مخاطباً للأُمّة يعني الناس: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به، فقد اهتدوا بكم و بما آمنتم به، و إن تولوا فإنّما هم في شقاق و مصارعة ومحاربة لك يا محمد، فسيكفيكهم الله وهوالسميع العليم.

وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا: وهوالقرآن.

وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ: جمع سبط، وهوالحافد، وهم حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر.

روى العياشي عن الباقر (عليه السلام): أنّه سئل هل كان ولد يعقوب أنبياء؟ قال: لا ولكنّهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء، لم يكونوا يفارقوا الدنيا إلّا سعداء تابوا و تذكّروا ما صنعوا(٢).

والمراد بما أُنزل على هٰؤلاء الصحف.

وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ: التوراة والإنجيل.

وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ: جملة المذكورين وغيرهم.

مِن رَّبِّهِمۡ: متعلق بالإيتاء، و كلمة «من» إبتدائية.

لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ: لا نؤمن ببعض و نكفر ببعض كما فعلت اليهود

---

(١) الكافي: ج١، ص٤١٥، كتاب الحجة، باب فيه نكت و نتف من التنزيل في الولاية، ح١٩، و رواه العياشي في تفسيره: ج١، ص٦٢، ح١٠٧. (٢) تفسيرالعياشي: ج١، ص٦٢، ح١٠٦.

فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا
هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ
عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾

والنصارى، و لوقوع (أحد) في سياق النفي وعمومه أضيف إليه (بين)، وقيل: لأنّه في معنى الجماعة.

وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ: منقادون في جميع ما أمر به ونهى عنه.

وفي الخصال: فيما علّم أميرالمؤمنين أصحابه: إذا قرأتم قولوا آمنا، فقولوا: آمّنا إلى قوله: «مسلمون»(١).

وفي الفقيه: في وصاياه لابنه محمدبن الحنفيّة: وفرض على اللسان الإقرار والتعبير بما عقد عليه، فقال عزّوجلّ: «قولوا آمنّا بالله وَما أُنزل إلينا» الآية(٢).

فَإِنْ ءَامَنُواْ: أي سائر الناس.

بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ: من باب التبكيت، لأنّ دين الحقّ واحد لا مثل له، ولو فرض أنّهم حصّلوا ديناً آخر مثل دينكم في الصحّة والسداد فقد اهتدوا، و نظيره قولك للرجل الذي تشير عليه: هذا هوالرأي الصواب فإن كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به، و قد علمت أنّه لا أصوب من رأيك، والمراد تبكيته.

و يجوز أن يكون الباء للإستعانة، أي فإن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل

---

(١) الخصال: ج٢، ص٦٢٩، حديث الأربعمائة.

(٢) الفقيه: ج٢، ص١٢٩، باب ٢٢٧ الفروض على الجوارح.

شهادتكم التي آمنتم بها.

أوالمثل مقحم كما في قوله: «وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله»(١) أي عليه.

و قرئ بحذفه، و قرأ أُبي بالذي آمنتم به(٢).

فَقَدِ اهْتَدَوا: إلى الحقّ.

وَإِن تَوَلَّوا: عمّا أنتم عليه.

فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ: في كفر على ما رواه الطبرسي عن الصادق (عليه السلام)(٣).

و أصله المخالفة: المناواة، فإنّ كلّ واحد من المتخالفين في شقّ غير شقّ الآخر.

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ: تسليةٌ للمؤمنين و وعد لهم بالحفظ والنصر.

وَهُوَ السَّمِيعُ: لأقوالكم.

الْعَلِيمُ: بنيّاتكم.

صِبْغَةَ اللَّهِ: مصدر منتصب من قوله: «آمنّا به» وهي فعلة، من صبغ كالجلسة من جلس، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ، والمعنى تطهير الله، لأنّ الإيمان يطهر النفوس.

والأصل فيه أنّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر، يسمّونه المعموديّة، و يقولون هو تطهير لهم، فإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك، قال: الآن صار نصرانيّاً حقّاً فأُمر المسلمون بأنّ يقولوا لهم: قولوا: آمنا وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهّرنا به لامثل تطهيرنا، أو يقولوا: صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم يصبغ صبغتكم، فهو من باب المشاكلة، كما تقول لمن يغرس الأشجار: إغرس كما يغرس فلان، تريد رجلاً يصطنع الكرام.

---

(١) سورة الاحقاف: الآية ١٠.

(٢) تفسيرالكشاف: ج١، ص١٩٥.

(٣) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص٢١٨، في بيان معنى الآية ١٣٧، من سورة البقرة.

وفسرها الصادق (عليه السلام) بالإسلام(١).

روى الشيخ محمدبن يعقوب، عن محمدبن يحيى، عن سلمة بن الخطاب، عن علي بن حسان، عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله عزّوجلّ «صبغةالله ومن أحسن من الله صبغة» قال: صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق(٢).

و أقول: يظهر من الخبرين أنّ الإسلام لا يتحقّق بدون الولاية، وقد ذكرنا لك مراراً ما يدلك على هذا.

وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً: لا أحسن من صبغته.

وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ : معطوف على (آمنا بالله) و تعريض بهم، أي لا نشرك به كشرككم. وقيل: صبغة الله بدل من «ملّة إبراهيم» أو نصب على الإغراء، بمعنى عليكم صبغة الله، و يردّهما هذا العطف، للزوم فك النظم، و إخراج الكلام عن التيامه.

قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ : قرئ اتحاجونا بإدغام النون، يعني تحاجونا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم، و تقولون: لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا، لأنّا أهل الكتاب والعرب عبدة الأوثان، ونحن أسبق في النبوة، لأنّ الأنبياء كلّهم كانوا منّا.

وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ: لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء.

وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ: فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا.

وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ : موحّدون نخلصه بالإيمان والطاعة دونكم.

والحاصل أنّ إعطاء الكرامة إمّا بالتفضل وكونه ربّاً، أو بالعمل، أو بالإخلاص، والأولان مشتركان بيننا و بينكم، والأخير مختصّ بنا، فدعوتكم الأحقيّة ساقطة لا وجه لها، بل نحن أحقّ.

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢١٩.

(٢) الكافي: ج١، ص٤٢٢، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح٥٣.

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

أَمْ تَقُولُونَ : يحتمل على قراءة التاء أن تكون (أم) معادلة للهمزة في (أتحاجوننا) بمعنى أيّ الأمرين يأتون للمحاجّة في حكم الله أم إدّعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء، والمقصود إنكارهما والتوبيخ عليهما معاً، و أن تكون منقطعة بمعنى بل تقولون، والهمزة على قراءة الياء لا تكون إلّا منقطعة.

إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ : ولم يكونوا مسلمين.

قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ : وأنّه شهد لهم بالإسلام في قوله: «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً»(١).

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ : أي شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية، و «من» فيه كما في قولك: «هذه شهادة مني لفلان»، إذا شهدت له، والمعنى أنّ أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنّهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها، أو إنّا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منّا فلا نكتمها، أو الأعمّ من المعنيين، وفي الأخيرين تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمّد (عليه السلام) بالنبوّة في كتبهم، والآية تدلّ على كفر من كتم شهادة الله بالولاية، وعلى كفر أهل الخلاف.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٧.

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ١٤٢

و تقريره: ان نص النبي على شيء شهادة الله عليه، فكتمان نص النبي كتمان شهادة الله، وكتمان شهادة الله أشدّ الظلم، فهو إمّا الكفر أو أشدّ منه، وعلى كلا التقديرين يلزم المدّعى.

و يدلّ عليه أيضاً ما رواه في الفقيه عن الحسن بن محبوب، عن محمدبن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) في أثناء خبر قال: فقلت له: أرأيت من جحد الإمام منكم ما حاله؟ فقال: من جحد إماماً من الله و بريءَ منه ومن دينه فهو كافر مرتدّ عن الإسلام، لأنّ الإمام من الله و دينه دين الله، ومن بريءَ من دين الله فهو كافر و دمه مباح في تلك الحال، إلّا أن يرجع و يتوب إلى الله عزّوجلّ مما قال(١).

وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ: وعيد لهم، وقرئ بالتاء.

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ: قيل: التكرير للمبالغة في التحذير والزجر عمّا استحكم في الطبائع من الإفتخار بالآباء والإتكّال عليهم، أوالخطاب فيما سبق لهم.

وفي هذه الآية لنا تحذير عن الإقتداء بهم.

أوالمراد بالأمّة في الأوّل الأنبياء، وفي الثاني أسلاف اليهود والنصارى.

سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ: الّذين خفّت أحلامهم و استمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر، يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين.

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني: باب ٧، ما روي فيمن شك في واحد من الأئمة، ص١٢٩، ح٣، و رواه في الوسائل: ج١٨، ص٥٦٥، الباب ١٠، من أبواب حد المرتد، ح ٣٨.

و فائدة تقديم الإخبار، توطين النفس و إعداد الجواب، وفي المثل: قتل الرمي برأس السهم.

مَا وَلَّـٰهُمْ: ما صرفهم؟

عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا: وهي بيت المقدس.

قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ: بلاد الشرق والغرب، أوالارض كلّها.

يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ: وهي ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيهم تارة إلى بيت المقدس و أُخرى إلى الكعبة.

وفي تفسير الإمام (عليه السلام) عند قوله عزّوجلّ: ما ننسخ من آية أو ننسها، وفي الإحتجاج عنه (عليه السلام) أيضاً قال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بمكة أمره الله عزّوجلّ أن يتوجّه نحو بيت المقدس في صلاته، و يجعل الكعبة بينه و بينها إذا أمكن، و إذا لم يمكن استقبل بيت المقدس كيف كان. وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاث عشرة سنة، فلمّا كان بالمدينة و كان متعبّداً باستقبال بيت المقدس، استقبله و انحرف عن الكعبة، وكان متعبّداً سبعة عشر شهراً، وجعل قوم من مردة اليهود يقولون: والله ما يدري محمد كيف يصلي حتّى صار يتوجّه إلى قبلتنا، و يأخذ في صلاته بهدينا و نسكنا، فاشتد ذلك على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لما اتصل به عنهم وكره قبلتهم و أحبّ الكعبة، فجاءه جبرئيل (عليه السلام)، فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا جبرئيل لوددت لو صرفني الله عن بيت المقدس إلى الكعبة، ولقد تأذيت بما يتصل بي من قبل اليهود من قبا، فقال جبرئيل: فسل ربّك أن يحوّلك إليها، فإنّه لا يردّك عن طلبتك ولا يخيّبك من بغيتك، فلمّا استتم دعاءه صعد جبرئيل (عليه السلام) ثم عاد من ساعته فقال: اقرأ يا محمد «قد نرى تقلّب وجهك في السماء» الآية. فقالت اليهود عند ذلك «ما ولّيهم عن قبلتهم التى كانوا عليها» فأجابهم الله بأحسن جواب، فقال: «قل لله المشرق والمغرب» وهو يملكهما، و تكليفه التحوّل إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، هو مصلحتهم و مؤدّيهم بطاعته إلى جنّات النعيم.

وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقالوا: يا محمّد هذه القبلة بيت المقدس قد صلّيت إليهاأربع عشرة سنة ثم تركتها،أفحقاً كان ما كنت عليه، فقد تركته إلى باطل فإنّ ما يخالف الحقّ فهو باطل، أو كان باطلاً فقد كنت عليها طول المدّة، فلا يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): بل كان ذلك حقاً وهذا حقّ، يقول الله تعالى: «قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» إذا عرف صلاحكم يا أيّها العباد في استقبال المشرق أمركم به، و إذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به، و إن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله تعالى في عباده وقصده إلى مصالحكم.

ثم قال لهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لقد تركتم العمل يوم السبت ثم عملتم به في سائر الأيام ثم تركتموه في السبت ثم عملتم بعده، أفتركتم الحقّ إلى الباطل، أوالباطل إلى حقّ،أوالباطل إلى باطل، أوالحقّ إلى الحقّ، قولوا: كيف شئتم فهو قول محمّد وجوابه لكم، قالوا: بل ترك العمل في السبت حقّ والعمل بعده حقّ، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حقّ، ثم قبلة الكعبة في وقتها حقّ، فقالوا يا محمد: فبدا لربّك فيما كان أمرك به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس وحين نقلك إلى الكعبة، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ما بدا له عن ذلك فإنّه العالم بالعواقب والقادر على المصالح، لا يستدرك على نفسه غلطاً ولا يستحدث رأياً بخلاف المتقدّم جلّ عن ذلك، ولا يقع عليه أيضاً مانع يمنعه عن مراده، وليس يبدو إلّا لمن كان هذا صفته، وهو جلّ وعزّ يتعالى عن هذه الصفات علوّاً كبيراً.

ثم قال لهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أيّها اليهود أخبروني عن الله أليس يمرض ثم يصحّ و يصحّ ثم يمرض، أبدا له في ذلك؟ أليس يُحيي و يميت، أبدا له في كلّ واحد من ذلك؟ قالوا: لا، قال: فكذلك الله تعبّد نبيّه بالصلاة إلى الكعبة بعد أن كان تعبّد بالصلاة إلى بيت المقدس، وما بدا له في الأوّل. قال: أليس الله يأتي بالشتاء في أثر الصيف والصيف بعد الشتاء، أبدا له في كلّ واحد من ذلك؟

قالوا: لا، قال: فكذلك لم يبد له في القبلة، ثم قال: أليس قد ألزمكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة، و ألزمكم في الصيف أن تحترزوا من الحرّ،فبدا له في الصيف حتّى أمركم بخلاف ما كان أمركم في الشتاء؟ قالوا: لا فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): فكذالكم الله في تعبّدكم في وقت لصلاح يعلمه بشيء، ثم تعبّده في وقت آخر لصلاح آخر يعلمه بشيء آخر، فإذا أطعتم الله في الحالين استحققتم ثوابه، و أنزل الله «و لله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله»إذا توجّهتم بأمره فثمّ الوجه الذي تقصدون منه الله و تأملون ثوابه.

ثم قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا عبادالله أنتم المرضى والله ربّ العالمين كالطبيب، وصلاح المريض فيما يعلمه الطبيب و يدبّره، لا فيما يشتهيه و يقترحه، ألا فسلّموا لله أمره تكونوا من الفائزين(١) انتهى. وهذا الخبر كما ترى يدلّ على نفي البداء لله تعالى.

وقد روى محمدبن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الرّيان بن الصلت قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: ما بعث الله نبيّاً إلّا بتحريم الخمر، و أن يقرّ لله بالبداء(٢).

فوقع التنافي بين الخبرين.

وقد روي عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال: لوعلم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فرّوا عن الكلام فيه(٣).

فينبغي التكلّم في الجمع بين الخبرين

فأقول: البداء له معنيان:

---

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص٢٠١، في تفسير قوله تعالى: «مانسخ من آية» الآية. وفي احتجاج الطبرسي: ج١، ص٤٠، احتجاجه (صلّى الله عليه وآله وسلم) على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك.

(٢) الكافي: ج١، ص١٤٨، كتاب التوحيد، باب البداء، ح١٥.

(٣) الكافي: ج١، ص١٤٨، كتاب التوحيد، باب البداء، ح١٢.

الأول: أن يبدو له رأي غير الرأي الأوّل، لمفسدة في الرأي الأوّل، أولمحمدة في الرأي الثاني لم يعلم به سابقاً. وهو بهذا المعنى منفي عنه تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهو المراد في الخبر الأول.

والثاني: أن يكون في علمه السابق أن الصلاح في وقت معين في الفعل الفلاني، و إذا جاز ذلك الوقت فالمصلحة في الشيء الفلاني، و كان في علمه السابق تغيير ذلك الشيء إذا جاء وقته. أو كان مقرّراً في علمه السابق أن زيداً إن لم يعمل بالخيرات مات في وقت كذا، و إن عمل مات في وقت بعده مع علمه بوقوع أحدهما، لكن كان ذلك العلم مخزوناً عنده لايبديه لأحد من ملائكته وأنبيائه وأئمّته.

والبداء إنّما يكون بهذاالمعنى، فالبداء في الحقيقة في علم الملك أوالنبي أوالإمام، بمعنى الظهور لأحدهم غيرما ظهر لهم أوّلاً، لافي علمه تعالى بذلك المعنى، وهوالمراد حيث اثبت له البداء، تعالى الله عمّا يقول الظالمون.

و يؤيّد هذا المعنى ما رواه محمدبن يعقوب، عن محمدبن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حمادبن عيسى، عن ربعي بن عبدالله، عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: العلم علمان: فعلم عندالله مخزون لم يطلّع عليه أحداً من خلقه، وعلم علّمه ملائكته ورسله. فما علّمه ملائكته ورسله فإنّه سيكون لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون يقدّم منه ما يشاء و يؤخر منه ما يشاء و يثبت ما يشاء(١).

و أيضاً قد روي عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: إنّ لله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلّا هو، من ذلك يكون البداء، وعلم علّمه ملائكته و رسله و أنبياءه، فنحن نعلمه(٢).

° ° °

(١) الكافي: ج١، ص١٤٧، كتاب التوحيد، باب البداء، ح٦.

(٢) الكافي: ج١، ص١٤٧، كتاب التوحيد، باب البداء، ح٨.

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ
ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَ
مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ١٤٣

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً: اي مـثـل ذلك الجعل العجيب جعلناكم أُمّة.

روى الصدوق: يعني أئمة(١).

وَسَطًا: أي خياراً، وقيل للخيار وسط، لأنّ الأطراف يتسارع إليها الخلل.

و قال الصدوق: أي عدلاً و واسطة بين الرسول والناس(٢).

لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ: يعني يوم القيامة.

وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا: روي في التفاسير أنّ الأُمم يوم القيامة يجحدون بتبليغ الأنبياء، فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنّهم قد بلّغوا وهو أعلم، فيؤتى بأُمّة محمد (صلّى الله عليه وآله) فيشهدون، فتقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقول: علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيّه الصادق، فيؤتى بمحمّد (صلّى الله عليه وآله) فيسأل عن حال أُمّته، فيزكّيهم و يشهد بعدالتهم، و ذلك قوله: «فكيف إذا جئنا من كلّ أُمّة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيداً(٣).

(١و٢) تفسير القمي: ج١، ص٦٣، قال: و أما قوله: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً»، يعني أئمة وسطاً، أي عدلاً و واسطة بين الرسول والناس.

(٣) تفسير الكشاف: ج١، ص١٩٩.

و في الكافي(١)، والعياشي: عن الباقر (عليه السلام): نحن الأُمّة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه و سمائه(٢)

وفي حديث ليلة القدر: عنه، عن علي (عليه السلام) و أيم الله لقد قضي الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف، و لذلك جعلهم شهداء على الناس يشهد محمّد (صلّى الله عليه وآله) ونشهد على شيعتنا، و يشهد شيعتنا على الناس(٣).

و روى الحسكاني في شواهد التنزيل: بإسناده عن سليم بن قيس عن علي (عليه السلام): إنّ الله تعالى إيّانا عني بقوله: «لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً» فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه وحجّته في أرضه، ونحن الذين قال الله: «و كذلك جعلناكم أُمّة وسطاً»(٤).

و روى العياشي عن الباقر (عليه السلام) أنه قال (عليه السلام): نحن نمط الحجاز، قيل: وما نمط الحجاز؟ قال: أوسط الأنماط، إنّ الله يقول: وكذلك جعلناكم أُمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول شهيداً عليكم، قال: ولا يكون شهداء على الناس إلاّ الأئمة (عليهم السلام)، فأمّا الأمة فإنّه غير جائز أن يشهدها الله وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل(٥).

وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ: هي بيت المقدس، أى غيّرناه إلى الكعبة.

وقيل: هي الكعبة، لأنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان يصلّي بمكة إلى الكعبة، ثم أُمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفاً لليهود، ثمّ حوّل إلى

---

(١) الكافي: ج١، ص١٩٠، باب في أن الأئمة شهداء على الناس، ح٢.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص٦٢، ح١١.

(٣) الكافي: ج١، ص٣٦٦، باب في شأن انا انزلناه في ليلة القدر، قطعة من ح٧.

(٤) شواهد التنزيل: ج١، ص٩٢، ومما نزل فيهم (عليهم السلام) «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً» ح١٢٩، و رواه في مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٢٤.

(٥) تفسير العياشي: ج١، ص٦٣، ح١١١، وفيه بعد قوله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً» مالفظه، قال: ثم قال: إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق التالي. وأما بقية الحديث الذي أورده المصنف قدّس سرّه فهو مضمون الحديث ١١٤، في تفسير العياشي فلاحظ.

الكعبة، وينافيه ما رويناه سابقاً من أنّه(عليه السلام) كان يصلّي بمكة إلى بيت المقدس.

إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ : يرتد عن دينه، إلفاً لقبلة آبائه.

و ذلك أنّ هوى أهل المدينة كان في بيت المقدس، فأمرهم بمخالفته، ليبيّن من يوافق محمّداً فيما يكرهه، وقال (لنعلم) ولم يزل عالماً بذلك، إمّا لأنّ المراد ليعلم رسول الله والمؤمنون، والإسناد إلى ذاته لأنّهم خواصّه، أو لأنّ المراد ليتميّز التابع من الناكص بوضع العلم موضع التميّز، لأنّ العلم يقع به التميّز، أو لأنّ المراد لنعلم علماً يتعلّق به الجزاء، أو هو أن يعلمه موجوداً حاصلاً. والأخير مروي في التفسير المنسوب إلى الإمام(١) و في الإحتجاج أيضاً(٢).

وَإِن كَانَتْ : إن هي المخفّفة التي تلزمها اللام الفارقة، والضمير في كانت للصلاة إلى بيت المقدس، أو لما دل عليه قوله «وما جعلنا القبلة» من الردّة أوالتحويلة أوالجعلة.

لَكَبِيرَةً : لثقيلة شاقة إلّا على الذين هدى الله، وعرف أنّ الله يتعبّد بخلاف ما يريده المرء، ليبتلي طاعته في مخالفة هواه.

وفي الكشاف: أنّه يحكى عن الحجاج أنّه قال للحسن: ما رأيك في أبي تراب؟ فقرأ قوله:

إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ : ثم قال: وعليّ منهم وهوابن عم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وختنه على ابنته و أقرب الناس إليه و أحبّهم(٣).

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ : أي صلاتكم.

---

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص٢٠٢، قال: ولما قال الله عزّوجل: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها، وهي بيت المقدس،إلّا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه إلّا لنعلم ذلك منه موجوداً بعد أن علمناه سيوجد.

(٢) و في الاحتجاج: ص٤٢، في احتجاجه (صلّى الله عليه وآله) على اليهود في جواز نسخ الشرائع مثله.

(٣) الكشاف: ج١، ص٢٠١، في تفسير آية ١٤٣، من سورة البقرة.

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

روى العياشي عن الصادق (عليه السلام) أنّه سئل عن الإيمان أقولٌ هو وعمل، أم قول بلا عمل؟ فقال: الإيمان عمل كلّه والقول بعض ذلك العمل مفترض من الله مبيّن في كتابه، واضح نوره ثابتة حجته، يشهد له بها الكتاب و يدعو إليه، ولمّا أن صرف نبيّه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبي (صلّى الله عليه وآله): أرأيت صلاتنا التي كنا نصلّي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها، وحال من مضى من أمواتنا وهم يصلّون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله: «وما كان الله ليضيع إيمانكم» فسمّى الصلاة إيماناً، فمن لقي الله حافظاً لجوارحه، موفياً كل جارحة من جوارحه ما فرض الله عليه لقي الله مستكملاً لإيمانه وهو من أهل الجنّة، ومن خان في شيء منها وتعدّى ما أمر الله فيها لقي الله ناقص الإيمان(١).

و قرئ ليضيّع بالتشديد.

إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ : لا يضيّع أجورهم.

رَّحِيمٌ : لا يترك ما يصلحهم.

قَدْ نَرَىٰ : ربما نرى، و أصل الرؤية إدراك الشيء بالبصر، و يستعمل بمعنى العلم.

تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ : تردّده تطلّعاً على الوحي، في موضع مفعولي

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٦٣، ح١١٥.

(نرى) أو هو ممّا لمفعول واحد.

و كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقع في روعه و يتوقّع من ربّه أن يحوّله إلى الكعبة، لأنّها قبلة إبراهيم (عليه السلام) و أقدم القبلتين، و أدعى للعرب إلى الإيمان، و لمخالفة اليهود، و ذلك على كمال أدبه حيث انتظر و لم يسأل.

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً: فلنمكّننك من استقبالها، من قولك: وليته كذا، إذا صيّرته والياً له، أو فلنحوّلنك إلى جهتها.

تَرْضَاهَا: تحبّها و تتشوّق إليها لمقاصد دينيّة وافقت مشيئة الله تعالى وحكمه.

والرضا والمحبّة نظيران، و يظهر الفرق بأنّ ضد المحبّة: البغض، وضدّ الرضا: السخط.

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: أي نحوه. قال الشاعر:

وَقَدْ أظَلَّكُم مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمُ هَوْلٌ لَهُ ظُلَمٌ يَغْشاكُمُ قِطَعًا(١)

أي من نحو ثغركم و تلقائه.

وقيل: جانبه، لأنّ الشطر لما انفصل عن الشيء، من شطر إذا انفصل، و دار شطورة أي منفصلة عن الدور، ثم استعمل لجانبه، و إن لم ينفصل كالقطر.

وقيل: شطر الشيء نصفه، من شطرت الشيء جعلته نصفين.

و «الحرام» المحرّم كالكتاب بمعنى المكتوب، والحساب بمعنى المحسوب. أي محرّم فيه القتال، أو ممنوع من الظلمة أن يتعرّضوه.

و ذكر (المسجد) دون الكعبة، لأنّ البعيد يكفيه مراعاة الجهة، بخلاف القريب.

والنبي (صلّى الله عليه وآله) كان حينئذٍ في المدينة بعد أن صلّى إلى بيت المقدس سته عشر شهراً، ثم وجّه إلى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر

---

(١) قائله لقيط الإيادي على ما قاله الفخر الرازي في التفسير الكبير: ج٤، ص١١٢، وضبط في المصراع الأوّل (شعركم) بدل (ثغركم) واستشهد به في مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٢٦، و في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج٢، ص١٥٩، وفي تفسير البحر المحيط لأبي حيان من دون تعرّض لقائله.

بشهرين، وقد صلّى بأصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر، فتحوّل في الصلاة، و استقبل الميزاب و تبادل الرجال والنساء صفوفهم، فسمّي المسجد مسجد القبلتين.

وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ: في الأرض في برّ أو بحر أو سهل أو جبل في بيت المقدس وفي غيره.

فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ: تخصيص الخطاب بالنبي أوّلاً، تعظيمه (عليه السلام)، والتصريح بعموم الحكم. وفيه تأكيد لأمر القبلة و تحضيض للأمّة على المتابعة و سلوك طريق الاسترواح والرفق بالمأمورين.

وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ: علماء اليهود، وقيل: هم والنصارى.

لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ: أي التحويل أوالتوجيه.

الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ: لأنّه كان في بشارة الأنبياء لهم أن يكون نبي في صفاته كذا وكذا، وكان في صفاته أن يصلّي إلى القبلتين.

وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ: وعد للمطيعين و وعيد لغيرهم.

و قرئ بالتاء. قال ابن عباس: أوّل ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا من شأن القبلة(١)، و قال قتادة: نسخت هذه الآية ما قبلها(٢).

والأقوى أنّه مما نسخ السنّة بالقرآن كما قاله جعفر بن مبشر، لأنّه ليس في القرآن ما يدلّ على التعبّد بالتوجّه إلى بيت المقدس. ومن قال: نسخت قوله: «فأينما تولوا فثم وجه الله»(٣)، ففيه أنّ هذه الآية عندنا مخصوصة بالنوافل في حال السفر، روي ذلك عن أبي جعفر و أبي عبدالله (عليهما السلام)(٤) وليست مخصوصة، واختلف في صلاة النبي إلى بيت المقدس، فقال قوم: كانت صلاته (عليه السلام) بمكة إلى الكعبة فلمّا هاجر إلى المدينة أمر بالصلاة إليه ثم حوّل إلى

(١و٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٢٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ١١٥.

(٤) لاحظ الوسائل: ج٣، ص٢٤٢، كتاب الصلاة، الباب ١٥ من أبواب القبلة، أحاديث ١٨و١٩و٢٣.

وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

الكعبة أيضاً، وقال آخرون: كانت صلاته بمكة أيضاً إلى بيت المقدس، إلّا أنه يجعل الكعبة بينه و بينها، ولا يصلّي في مكان لا يمكن هذا فيه. وقال آخرون: كان يصلّي بمكة و بعد قدومه المدينة إلى بيت المقدس ولم يكن عليه أن يجعل الكعبة بينه و بينها، ثم أمر بالتوجّه إلى الكعبة.

وَلَئِنْ أَتَيْتَ : اللام موطئة للقسم، أي والله.

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ: من علماء اليهود والنصارى، وقيل: جميع أهل الكتاب.

بِكُلِّ ءَايَةٍ: برهان و حجة على أنّ الكعبة قبلة.

مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ : جواب القسم المضمر سادّ مسدّ الشرط، سواء قدّر القسم مقدّماً على الشرط، فيتعيّن كون الجواب له، ولا يصحّ جعله جزاء للشرط و مؤخّراً عنه، فيسوغ الأمران بقرينة ترك الفاء وهو لازم في الماضي المنفي، وفيه من القطع بعدم المتابعة ماليس في جعله جزاءً للشرط، و إن أكد بالقسم، والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة و إنّما خالفوك عناداً.

وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ : قطع لطمعهم، فإنّهم قالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره، تغريراً له و طمعاً في رجوعه، و قبلتهم و إن تعددت لكنها متحدة بالبطلان و مخالفة الحق، أو الإقرار للإشعار بأنّ الرسول (صلّى الله عليه وآله) لا يمكن له المتابعة لواحد.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ
فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن
رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ
فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾

وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ: فإنّ يهود تستقبل صخرة، والنصارى مطلع الشمس، لا يرجى توافقهم، لتصلّب كلّ حزب فيما هو فيه، وفيه تسلية الرسول (صلّى الله عليه وآله) بأنّ عنادهم لا يخصّه، و ردّ لاعتلالهم بأنّه لا يجوز مخالفة أهل الكتاب فيما ورثوه عن أنبياء الله، و أنّ بيت المقدس لم تزل كان قبلة الأنبياء، فهو أولى بأن يكون قبلة، أي فكما جاز أن يخالف بين جهتهم للاستصلاح جاز أن يخالف بجهة ثالثة في زمان آخر للاستصلاح.

وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ: على سبيل الفرض والتقدير.

إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ: أكّد تهديده و بالغ فيه من سبعة أوجه، تعظيماً للحق المعلوم، و تحريضاً على اقتفائه، و تحذيراً عن متابعة الهوى، و تأكيداً للاجتناب عنه.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ: يعني علمائهم.

يَعۡرِفُونَهُۥ: قيل: الضمير لرسول الله (صلّى الله عليه وآله)، أو للعلم، أوالقرآن، أوالتحويل.

كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ: أي يعرفونه بأوصافه كمعرفة أبنائهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم.

وفي أصول الكافي عن عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمدبن خالد، عن أبيه، رفعه عن محمدبن داود الغنوي، عن الأصبغ بن نباته في حديث طويل فيه يقول (عليه السلام): فأمّا أصحاب المشأمة فهم اليهود والنصارى، يقول الله عزّوجلّ: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم، يعرفون محمداً والولاية في التوراة والإنجيل كما يعرفون أبناءهم في منازلهم، و إنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربّك إنّك الرسول إليهم فلا تكونن من الممترين(١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن حريز، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى، قال الله تبارك و تعالى: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه، يعني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كما يعرفون أبناءهم، لأنّ الله عزّوجلّ أنزل عليهم في التوراة والإنجيل والزبور صفة محمّد (صلّى الله عليه وآله) وصفة أصحابه و مبعثه ومهاجرته، وهو قول الله عزّوجلّ: «محمّد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله و رضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل»(٢). فهذه صفة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في التوراة والإنجيل و صفة أصحابه، فلمّا بعثه الله عزّوجلّ عرفه أهل الكتاب، كما قال جلّ جلاله: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به»(٣/٤).

وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ : تخصيص لمن عاند و استثناء لمن آمن.

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ : كلام مستأنف، و (الحقّ) إمّا مبتدأ خبره (من ربّك) واللام للعهد والإشارة إلى ما عليه الرسول (صلّى الله عليه وآله)، أو الحقّ الذي يكتمونه، أو للجنس، والمعنى أنّ الحقّ ما ثبت أنّه من الله تعالى كالذي أنت عليه،

---

(١) الكافي: ج٢، ص٢٨٣، ح١٦، وفي تفسير البرهان: ج١، ص١٦١، ح١.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٣٢.

لا ما لم يثبت كالذي عليه أهل الكتاب، و إمّا خبر مبتدأ محذوف، أي هوالحقّ و (من ربّك) حال أو خبر بعد خبر، و قرئ بالنصب على أنّه بدل من الأول، أو مفعول (يعلمون).

فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ : أى الشاكين في أنّه من ربّك، أوفي كتمانهم الحقّ عالمين به، والمراد أمّا تحقيق الأمر و أنّه بحيث لا يشك فيه ناظر، أو أمر الأُمة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الأبلغ، و إلّا فالشك غير متوقع من الرسول (صلّى الله عليه وآله)، و لا يكون بقصد و اختيار في غيره.

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ: أي ولكل أُمة قبلة، أولكل قوم جهة و جانب من الكعبة والتنوين بدل الإضافة.

هُوَ مُوَلِّيهَا : أحد المفعولين محذوف، أي هو مولّيها وجهه، أوالله تعالى مولّيها وجهه.

و قرئ لكلِّ وجهةٍ بالإضافة والمعنى: وكلّ وجهة الله تعالى مولّيها أهلها، واللام مزيدة للتأكيد، جبراً لضعف العامل، وقرأ ابن عامر مولى، أي هو مولى تلك الجهة قد وليها.

فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ: من أمر القبلة وغيره مما يوجب السعادة، و أعظمها الولاية، بل ينحصر فيها، كما يأتي في الخبر.

أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا : أي يجمعكم للحساب أو أينما تكونوا من الجهات المتقابلة، يجعل صلاتكم كأنّها إلى جهة واحدة، أوالخطاب لأصحاب القائم (عليه السلام) على ما رواه أبو جعفر محمدبن بابويه رحمه الله في كتاب (كمال الدين و تمام النعمة) بإسناده إلى سهل بن زياد، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني قال: قلت لمحمّدبن علي بن موسى (عليهم السلام): إنّي لأرجو أن يكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً، فقال (عليه السلام): يا أباالقاسم مامنّا إلّا وهو قائم بأمر الله عزّوجلّ وهادٍ إلى دين الله، ولكنّ القائم الذي يطهّر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود، و يملأها عدلاً و قسطاً هوالذي تخفى على الناس ولادته و يغيب عنهم شخصه، و يحرم عليهم

تسميته، و هو سمي رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و كنيّه وهوالذي تطوى له الأرض ويذلّ له كلّ صعب، يجتمع إليه أصحابه عدّة أهل بدر ثلا ثمائة و ثلا ثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض، ذلك قول الله عزوجل: «أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إنّ الله على كلّ شيء قدير» فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد ـ وهو عشرة آلاف رجل ـ خرج بإذن الله عزّوجلّ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتّى يرضي الله تعالى. قال عبدالعظيم: فقلت: يا سيدي كيف يعلم أنّ الله عزّوجلّ قد رضي؟ قال: يلقي في قلبه الرحمة، فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما(١).

و بإسناده إلى أبي خالد الكابلي، عن سيّد العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: المفقودون عن فرشهم ثلا ثمائة و ثلا ثة عشر رجلاً عدّة أصحاب بدر، فيصبحون بمكة، و هو قول الله عزّوجلّ: «أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً» وهم أصحاب القائم (عليه السلام)(٢).

و بإسناده إلى محمد بن سنان، عن المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): لقد نزلت هذه الآية في المفتقدين من أصحاب القائم (عليه السلام) قوله عزّوجلّ: أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً، إنّهم ليفتقدون عن فرشهم ليلاً فيصبحون بمكة، و بعضهم يسير في السحاب يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه، قال: فقلت: جعلت فداك أيهم أعظم إيماناً؟ قال: الذي يسير في السحاب نهاراً(٣).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي خالد الكابلي قال: قال أبوجعفر (عليه السلام): والله لكأني أنظر

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٧٧، باب ٣٦، ما روي عن أبي جعفر الثاني في النص على القائم و غيبته وأنه الثاني عشر من الأئمة (عليهم السلام)، ح٢.

(٢) كمال الدين و تمام النعمة: ص٦٥٤، باب ٥٧، ما روي في علامات خروج القائم (عليه السلام)، ح٢١.

(٣) كمال الدين و تمام النعمة: ص٦٧٢، باب ٥٨، في نوادر الكتاب، ح٢٤.

إلى القائم وقد أسند ظهره إلى الحجر ثم ينشد حقّه، إلى أن قال: هو والله المضطر في كتاب الله في قوله: «أمنّ يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف السوء و يجعلكم خلفاء الأرض»(١)، فيكون أول من يبايعه جبرئيل ثم الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلاً، فن كان اُبتلي بالمسير وافى، ومن لم يبتل بالمسير فُقد عن فراشه، وهو قول أمير المؤمنين (عليه السلام): هم المفقودون عن فرشهم، و ذلك قول الله عزّوجلّ: «فاستبقوا الخيرات، أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً» قال: الخَيْرات: الولاية(٢).

و ذكر الشيخ المفيد في كتاب الغيبة بإسناده عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال: المعني بهذا الخطاب أصحاب القائم (عليه السلام)، قال بعد ذكر علامات ظهوره: ثم يجمع الله له أصحابه و هم ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر، يجمعهم الله له على غير ميعاد قزعاً كقزع الخريف(٣)، وهي يا جابر الآية التي ذكرها الله في كتابه «أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً»(٤).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: فيقدر على الإماتة والإحياء والجمع.

٠٠٠

---

(١) سورة النمل: الآية ٦٢.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج٢، ص٢٠٥، في سورة سبأ في تفسيره الآية: «ولوترى إذ فزعوا فلا فوت». الآية.

(٣) وفي حديث علي كرم الله وجهه حين ذكر يعسوب الدين فقال: يجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف، يعني قطع السحاب، لأنّه أوّل الشتاء والسحاب يكون فيه متفرّقا غير متراكم ولا مطبق، ثم يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك (لسان العرب: ج٨، في لغة قزع).

وفي حديث علي: فيجتمعون إليه كما تجتمع قزع الخريف، مثله في أصحاب القائم يجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف أي قطع السحاب المتفرقة، قيل: و إنما خص الخريف لأنّه أول الشتاء والسحاب يكون فيه متفرّق غير متراكم ولا مطبق ثم يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك (مجمع البحرين: ج٤، ص٣٧٨، في لغة قزع).

(٤) لم أعثر على حديث بهذه الألفاظ.

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ
حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا
كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ
حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى
وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ: للسفر.

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ: إذا صليت.

وَإِنَّهُۥ: أي هذا الأمر.

لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ: و قرأ أبو عمرو بالياء.

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ: تكرير هذا الحكم لتعدد علله، فإنّه ذكر للتحويل ثلاث علل، تعظيم الرسول بإبتغاء مرضاته، وجري العادة الإلهية على أن يولي كلّ صاحب دعوة جهة يستقبلها، و دفع حجج المخالفين. وقرن بكلّ علة معلولها كما يقرن المدلول بكلّ واحد من دلائله تقريراً و للتأكيد، لأنّ القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة.

لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ: علة لـ(ولّوا) والمعنى أن التولية عن الصخرة إلى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بأنّ المنعوت في التوراة قبلته الكعبة، والمشركين بأنه يدّعي ملة إبراهيم و يخالف قبلته.

إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟: استثناء من الناس، أي لا يكون حجة إلّا للمعاندين.

مِنْهُمْ: فإنهم يقولون: ما تحوّل إلى الكعبة إلّا ميلاً إلى دين قومه وحباً لبلده، و بدا له فرجع إلى قبلة آبائه و يوشك إلى دينهم أن يرجع. و يسمّي هذه حجة،

كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١

لأنّهم يسوقونها مساقها كقوله تعالى: «حجّتهم داحضة»(١).

وقيل: الحجة بمعنى الإحتجاج.

وقيل: الاستثناء للمبالغة في نفي الحجّة رأساً، كقوله:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب(٢)

للعلم بأنّ الظالم لا حجّة له.

وقرئ: ألا الذين ظلموا، على أنّه استئناف بحرف التنبيه.

فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ: فإنّ مطاعنهم لا تضرّكم.

وَٱخۡشَوۡنِي: ولا تخالفوني ما أمرتكم به.

وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ: إما علّة لمحذوف، أي أمرتكم لإ تمام نعمتي عليكم و إرادتي اهتداء كم، أو معطوف على علّة مقدّرة، أي اخشوني لأحفظكم عنهم و لأتمّ نعمتي عليكم، أو على (لئلا يكون).

كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ إمّا متّصل بما قبله، أي و لأتمّ نعمتي عليكم في أمر القبلة ، أو في الآخرة كما أتمّها بإرسال الرسل، أو بما بعده أي كما

---

(١) سورة الشورى، الآية ١٦.

(٢) هو من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح بها النعمان بن الحرث، الضمير في فيهم وفي سيوفهم يرجع إلى جيش النعمان، والفلول بالفاء كفلوس جمع فل، وهوالكسر في حدّ السيف، والقراع بالقاف والراء والعين المهملتين ككتاب، بمعنى الضرب، والكتائب جمع كتيبه وهي بالمثناة والياء والموحدة كسفينة الجيش. جامع الشواهد: باب الواو بعده اللام، ص٣٢٩.

فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

ذكرتكم بالإرسال فاذكروني.

يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ: يحملكم على ما به تصيرون أزكياء.

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ: بالفكر والنظر ولا طريق له سوى الوحي. و تكرير الفعل للدلالة على أنّه جنس آخر.

فَاذْكُرُونِيٓ: بالطاعة.

أَذْكُرْكُمْ: بالثواب.

وَاشْكُرُوا لِي: ما أنعمت به عليكم.

وَلَا تَكْفُرُونِ : بجحد النعم وعصيان الأمر.

وفي كتاب معاني الأخبار بإسناده إلى أبي الصباح بن نعيم العابدي، عن محمدبن مسلم قال في حديث طويل في آخره: تسبيح فاطمة الزهراء من ذكرالله الكثير الذي قال عزّوجلّ: «فاذكروني أذكركم»(١).

وفي أُصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكربن صالح، عن القاسم بن يزيد، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال في حديث طويل: الوجه الثالث من الكفر كفرالنعم، قال: فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون(٢).

---

(١) معاني الأخبار: ص١٩٣، باب معنى ذكر الله كثيراً، ذيل حديث ٥.

(٢) الكافي: ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب وجوه الكفر، قطعة من حديث ١، ولفظه (والوجه الثالث من الكفر كفر النعم، و ذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان: «هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ←

وفي تفسير علي بن إبراهيم وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله: «و لذكرالله أكبر»(١) يقول: ذكرالله لأهل الصلاة أكبر من ذكرهم إيّاه، ألا ترى أنّه يقول: اذكروني أذكركم(٢).

وفي روضة الكافي: باسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام)، في حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): والله ذاكر لمن ذكره من المؤمنين، واعلموا أنّ الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلّا ذكره بخير، فاعطوا الله من أنفسكم الاجتهاد في طاعته(٣).

وفي مجمع البيان: و روي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: قال النبي (صلّى الله عليه وآله): إنّ الملك ينزل الصحيفة من أوّل النهار و أوّل الليل يكتب فيها عمل ابن آدم، فاملوا في أوّلها خيراً وفي آخرها خيراً، فإنّ الله يغفر لكم ما بين ذلك، إن شاء الله، فإنّه يقول: «اذكروني أذكركم»(٤).

وفي كتاب الخصال فيما أوصى به النبي عليّاً (عليه السلام): ثلاث لا تطيقها هذه الأُمّة: المواساة للأخ في ماله، و إنصاف الناس من نفسه، و ذكرالله على كلّ حال، وليس هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر، ولكن إذا ورد على ما يحرّم الله عليه خاف الله عنده و تركه(٥).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر(عليه السلام) يقول: العبد بين ثلاثة:

أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربي غني كريم» وقال: «لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد» وقال: «فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون».

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج٢، ص١٥٠، في تفسيره لقوله تعالى: «ولذكر الله أكبر».

(٣) الكافي: ج٨، ص٧، ح١.

(٤) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٣٤، في بيان المعنى لآية (١٥٢) «فاذكروني أذكركم».

والوسائل: ج٤، كتاب الصلاة، ص١١٨٣، الباب ٥، من أبواب الذكر، ح١١.

(٥) الخصال: ص١٢٥، باب الثلاثة، باب ما جاء على ثلاثة في وصية النبي لأميرالمؤمنين (عليهم السلام)، قطعة من حديث ١٢٢.

بلاء وقضاء ونعمة، فعليه في البلاء من الله الصبر فريضة، وعليه في القضاء من الله التسليم فريضة، وعليه في النعمة من الله الشكر فريضة(١).

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليهما السلام): ومن قال: الحمد لله، فقد أدّى شكر كلّ نعم الله تعالى(٢).

وفيما علّم أمير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه: اذكروا الله في كلّ مكان فإنّه معكم(٣).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل له: وشكر كلّ نعمة الورع عمّا حرّم الله تعالى(٤).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ: عن المعاصي وحظوظ النفس.

وَٱلصَّلَوٰةِ: التي هي عماد الدين.

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ: بالنصرة و إجابة الدعوة.

في مصباح الشريعة: قال الصادق (عليه السلام) في كلام طويل: ومن استقبل البلايا بالرحب، وصبر على سكينة و وقار، فهو من الخاصّ، و نصيبه ما قال الله عزّوجلّ: «إنّ الله مع الصابرين»(٥).

وفي تفسير العياشي: عن الفضيل، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال: يا فضيل، بلّغ من لاقيت من موالينا عنا السلام وقل لهم: إني أقول: لا أُغني عنكم من الله شيئاً إلّا بورع، فاحفظوا ألسنتكم وكفّوا أيديكم و عليكم بالصبر والصلاة إنّ الله مع الصّابرين(٦).

---

(١) الخصال: ص٨٦، باب الثلاثة، ثلاث خصال العبد بينهنّ، ح١٧.

(٢) الخصال: ص٢٩٩، باب تمجيد الله عزوجل، قطعة من حديث ٧٢.

(٣) الخصال: ص٦١٣، حديث أربعمائة.

(٤) الخصال: ص١٤، باب الواحد، خصلة هي الزهد في الدنيا وخصلة هي شكر كل نعمة، قطعة من حديث ٥٠.

(٥) مصباح الشريعة: ص٦٢، الباب الحادي والتسعون.

(٦) تفسير العياشي: ج١، ص٦٨، ح١٢٣.

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ: أي هم أموات.

بَلْ أَحْيَآءٌ: أي بل هم أحياء.

وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ: ما حالهم.

والآية نزلت في شهداء بدر كانوا أربعة عشر.

وفي مجمع البيان: (بل أحياء) قيل فيه أقوال:

الرابع: أنّ المراد أحياء لما نالوا من جميل الذكر والثناء، كما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من قوله: هلك خزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، و آثارهم(١) في القلوب موجودة(٢).

وفيه: روى الشيخ أبوجعفر في كتاب تهذيب الأحكام مسنداً إلى علي بن مهزيار عن الحسن، عن القاسم بن محمد، عن الحسين بن أحمد، عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السلام) جالساً فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟ قلت: يقولون: تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش، فقال أبو عبدالله (عليه السلام): سبحان الله، المؤمن أكرم على الله من ذلك، أن يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر، يا يونس المؤمن اذا قبضه الله تعالى صيّر روحه في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون و يشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك

---

(١) وفي رواية (و أمثالهم).

(٢) نهج البلاغة: ص٤٩٦، الخطبة ١٤٧، ومن كلام له (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعي.

الصورة التي كانت في الدنيا(١).

وعنه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن أرواح المؤمنين؟ فقال في الجنّة، على صور أبدانهم، لو رأيته لقلت فلان(٢).

وفي الحديث أنّه يفسخ له مدّ بصره، ويقال له: نم نومة العروس(٣).

وَلَنَبْلُوَنَّكُم: أي ولنصيبنكم إصابة من يختبر لأحوالهم، هل تصبرون على البلاء و تستسلمون للقضاء.

بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ: أي بقليل من ذلك بالقياس إلى ما وقاهم عنه، أو بالنسبة إلى ما يصيب معانديهم في الآخرة. والإخبار به قبل الوقوع، للتوطين.

وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ: عطف على شيء، أو الخوف.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة، بإسناده إلى محمدبن مسلم قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إنّ لقيام (٤) القائم (عليه السلام) علامات تكون من الله عزّوجلّ للمؤمنين، قلت: فما هي جعلني الله فداك؟ قال: ذلك قول الله عزّوجل: (ولنبلونكم) يعني المؤمنين قبل خروج القائم (عليه السلام) (بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات و بشّر الصابرين) قال: يبلوهم بشيء من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم (والجوع) بغلاء أسعارهم (ونقص من الأموال) قال: كساد التجارات وقلّة الفضل (و) نقص من (الأنفس) قال: موت ذريع و نقص من (الثمرات) لقلّة ريع ما يزرع (و بشر الصابرين) عند ذلك بتعجيل خروج القائم (عليه السلام)، قال: يا محمد هذا تأويله، إنّ الله عزّوجلّ يقول: «وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون

---

(١) التهذيب: ج١، ص٤٦٦، باب ٢٣، تلقين المحتضرين، ح١٧١، من ابواب الزيادات.

(٢) التهذيب: ج١، ص٤٦٦، باب ٢٣، تلقين المحتضرين، ح١٧٢، من ابواب الزيادات.

(٣) روى الطبرسي هذا الحديث والأحاديث السابقة في مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٣٦.

(٤) وفي رواية (قدام).

في العلم»(١)(٢)

وفي تفسير العياشي: عن الثماني قال: سألت أباجعفر (عليه السلام) عن قول الله عزوجل: «لنبلونكم بشيء من الخوف والجوع»؟ قال: ذلك جوع خاص وجوع عام، فأمّا بالشام فإنّه عام، و أمّا الخاص بالكوفة يخصّ ولا يعمّ، ولكنّه يخصّ بالكوفة أعداء آل محمّد (عليه الصلاة والسلام) فيهلكهم الله بالجوع، و أمّا الخوف فإنّه عام بالشام، و ذلك الخوف إذا قام القائم (عليه السلام)، و أمّا الجوع فقبل قيام القائم (عليه السلام)، و ذلك قوله: «و لنبلونكم بشيء من الخوف والجوع»(٣).

وفي كتاب علل الشرائع، باسناده إلى سماعة بن مهران، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ في كتاب علي (عليه السلام): إنّ أشدّ الناس بلاء النبيّون ثم الوصيّون ثم الأمثل فالأمثل، و إنما ابتلي المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صحّ دينه وصحّ عمله اشتدّ بلاؤه، و ذلك أنّ الله عزّوجلّ لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبة لكافر، ومن سخف دينه وضعف عمله قلّ بلاؤه، والبلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض(٤).

وفي نهج البلاغة: إنّ الله يبتلي عباده عندالأعمال السيئة بنقص الثمرات، وحبس البركات، و إغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب و يقلع مقلع، و يتذكّر متذكّر، و يزدجر مزدجر(٥).

وَبَشِّرِ الصَّٰبِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ: الخطاب للرسول، أولمن تتأتّى منه البشارة. والمصيبة تعمّ ما يصيب الإنسان من مكروه.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) كمال الدين و تمام النعمة: ص٦٤٩، باب ٥٧، ما روي في علامات خروج القائم (عليه السلام)، ح٣.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص٦٨، ح ١٢٥.

(٤) علل الشرائع: ج١، ص٤٤، باب ٤٠، العلة التي من أجلها يبتلى النبيون والمؤمنون، ح١.

(٥) نهج البلاغة: ص١٩٩، الخطبة ١٤٣.

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ: الصلاة في الأصل الدعاء، ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها، والمراد بالرحمة اللطف والإحسان

وفي كتاب الخصال، عن عبدالله بن سنان قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): قال الله تعالى: إني أعطيت الدنيا بين عبادي قيضاً(١)، فمن أقرضني قرضاً أعطيته بكلّ واحدة منها عشراً إلى سبعمائة ضعف وما شئت من ذلك، ومن لم يقرضني منها قرضاً فأخذت منه قسراً(٢) أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهنّ ملائكتي لرضوا: الصلاة، والهداية، والرحمة. إنّ الله تعالى يقول: «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله و إنّا إليه راجعون، أُولئك عليهم صلوات من ربّهم» واحدة من الثلاث، و «رحمة» اثنتين.

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ: ثلاث.

ثم قال أبوعبدالله (عليه السلام): هذا لمن أخذ الله منه شيئاً قسراً(٣).

---

(١) وقايضه مقايضة في البيع: إذا أعطاه سلعة، و أخذ عوضها سلعة أُخرى. النهاية لابن الأثير: ج٤، ص١٣٢ في لغة «قيض».

(٢) هوالقهر والغلبة، يقال: قسره يقسره قسراً، وقد تكرّر في الحديث. النهاية لابن الاثير: ج٤، ص٥٩، في لغة «قسر»

(٣) الخصال: ص١٣٠، باب الثلاثة. ثلاث خصال لمن يؤخذ منه شيء من دنياه قسراً، ح١٣٥.

وعن أبي عبدالله، عن أبيه (عليهما السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أربع خصال من كن فيه كان في نورالله الأعظم، من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلّا الله و أني رسول الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنّا لله و إنّا اليه راجعون الحديث(١)

وفي أُصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن محمدبن عيسى، عن أبي المفضّل المنشائي، عن هارون بن فضل قال: رأيت أبا الحسن علي بن محمد في اليوم الذي توفي فيه أبوجعفر فقال: إنّا لله و إنّا إليه راجعون مضى أبوجعفر (عليه السلام)، فقيل له: وكيف عرفت؟ قال: لأنّه قد دخلني ذلّة لم أكن أعرفها(٢).

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن ابن أبي عمير، عن عبدالله بن سنان، عن معروف بن حزبوذ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكره المصيبة و يصبر حين تفجأه إلّا غَفَرالله له ما تقدّم من ذنبه، وكلّما ذكر مصيبة فاسترجع عند ذكر المصيبة غفرالله له كلّ ذنب فيما بينهما(٣).

علي، عن ابن أبي عمير، عن داود بن رزين، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: من ذكر مصيبته ولو بعد حين فقال: إنّا لله و إنّا إليه راجعون، والحمدلله ربّ العالمين، اللهم آجرني على مصيبتي واخلف عليَّ أفضل منها، كان له من الأجر مثل ما كان عند أوّل صدمته(٤).

علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد رفعه قال: جاء أميرالمؤمنين (عليه السلام) إلى أشعث بن قيس يعزّيه بأخ له فقال له: إن جزعت فحقّ الرحم أتيت، و إن

---

(١) الخصال: ص٢٢٢، باب الأربعة، أربع خصال من كن فيه كان في نورالله الأعظم، ح٤٩، و تمام الحديث: ومن إذا أصاب خيراً قال الحمد لله رب العالمين، و من إذا أصاب خطيئة قال: استغفرالله و أتوب اليه.

(٢) الكافي: ج١، ص٣٨١، كتاب الحجة، باب في أنّ الإمام متى يعلم أنّ الأمر قد صار إليه، ح٥.

(٣) الكافي: ج٣، كتاب الجنائز، ص٢٢٤، باب الصبر والجزع والاسترجاع، ح٥.

(٤) الكافي: ج٣، ص٢٢٤، كتاب الجنائز، باب الصبر والجزع والاسترجاع، ح٦.

صبرت فحقّ الله أدّيت، على أنّك إن صبرت جرىٰ القضاء و أنت محمود، و إن جزعت جرىٰ عليك القضاء و أنت مذموم، فقال له الأشعث: إنّا لله و إنّا إليه راجعون، فقال اميرالمؤمنين (عليه السلام): أتدرى ما تأويلها؟ فقال الأشعث: لا، أنت غاية العلم ومنتهاه، فقال له: أمّا قولك: إنّا لله فإقرار منك بالملك، و أمّا قولك: و إنّا إليه راجعون فإقرار منك بالهلاك (١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: و سئل أبو عبدالله (عليه السلام)، ما بلغ من حزن يعقوب؟ قال: حزن سبعين ثكلى على أولادها، وقال: إنّ يعقوب لم يعرف الاسترجاع فيها، وأسفى على يوسف (٢).

وفي نهج البلاغة وقال (عليه السلام): وقد سمع رجلاً يقول: إنّا لله و إنّا إليه راجعون فقال: قولنا: إنّا لله إقرار على أنفسنا بالملك، و قولنا: و إنّا إليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهلاك (٣).

وفي مجمع البيان: وفي الحديث: من استرجع عند المصيبة جبرالله مصيبته، و أحسن عقباه، وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه (٤).

وقال (عليه السلام): من أُصيب بمصيبة فأحدث استرجاعاً و إن تقادم عهدها، كتب الله من الأجر مثل يوم أُصيب (٥).

و ذكر الشيخ جمال الدين (٦) ـ قدس الله روحه ـ في كتاب نهج الحق، عن ابن مردويه ـ من طريق العامة ـ بإسناده إلى ابن عباس، قال أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) لـمّا وصل إليه قتل عمه حمزة: قال: إنّا لله و إنّا إليه راجعون، فنزلت هذه

---

(١) الكافي: ج٣، ص٢٦١، كتاب الجنائز، باب النوادر، ح٤٠.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٣٥٠، في تفسيره لقوله تعالى «و ابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم».

(٣) نهج البلاغة: ص٤٨٥، باب المختار من حكم اميرالمؤمنين (عليه السلام)، رقم ٩٩.

(٤و٥) مجمع البيان: ج١، ص٢٣٨، في بيان المعنى للآية ١٥٧، من سورة البقرة.

(٦) هو أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف المطهّر (٦٤٨ هـ ـ ٧٢٦ هـ) المعروف بالعلامة الحلي.

الآية، و بشّرالصابرين الآية، وهوالقائل عند تلاوتها: إنّا لله إقرار بالملك، و إنّا اليه راجعون إقرار بالهلاك (١).

إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ : علما جبلين بمكة.

وفي كتاب علل الشرايع بإسناده إلى عبدالحميدبن أبي الديلم، عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال: سمّي الصفا صفا، لأنّ المصطفى آدم هبط عليه فقطع للجبل اسم من اسم آدم (عليه السلام)، يقول الله عزّوجلّ: «إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين»(٢) وقد هبطت حواء على المروة، و إنّما سمّيت المروة مروة لأنّ المرأة هبطت عليها فقطع للجبل اسم من اسم المرأة(٣).

مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ : أعلام مناسكه، جمع شعيرة، وهي العلامة.

فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ : الحج لغة: القصد، والاعتمار الزيارة، فغلبا شرعاً على قصد البيت و زيارته على الوجهين المخصوصين.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا: قيل كان(أساف)على الصفا و (نائلة)على المروة (٤) وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوها، فلمّا جاء الإسلام وكسر الأصنام تحرج المسلمون أن يطوّفوا بهما لذلك، فنزلت.

والإجماع على أنه مشروع في الحج والعمرة، والخلاف في وجوبه، وذهب بعض

---

(١) نهج الحق مخطوط: في تعيين إمامة علي بالقران، قال ما لفظه (الحادية والثمانون قوله تعالى: الذين إذا أصابتهم، الآية نزلت في علي (عليه السلام) لمّا وصل إليه قتل حمزة فقال: إنّا لله و إنّا إليه راجعون، فنزلت هذه الآية.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٣.

(٣) علل الشرايع: ج٢، ص٤٣١، الباب الخامس والستون والمائة، (١٦٥) العلة التي من أجلها سمي الصفا صفا والمروة مروة، ح١.

(٤) و أساف و إساف: اسم صنم لقريش. الجوهري وغيره: أساف ونائلة صنمان كاناالقريش وضعهماعمروبن لحي على الصفا والمروة وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة. و زعم بعضهم أنهما كانا من جرهم أساف بن عمرو و نائله بنت سهل ففجرا في الكعبة فمسخا حجرين عبدتهما قريش، وقيل كانا رجلاً و امرأة دخلا البيت فوجدا خلوة فوثب أساف على نائلة، وقيل فأحدثا فمسخهما الله حجرين. لسان العرب: ج٩، ص٦، في لغة أسف.

العامة إلى عدم وجوبه.

وفي من لايحضره الفقيه روى عن زرارة ومحمدبن مسلم أنهما قالا: قلنا لأبي جعفر (عليه السلام): ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي وكم هي؟ فقال: إنّ الله عزّوجل يقول: «إذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة» فصار التقصير في السفر واجباً، كوجوب التمام في الحضر(١) فقال (عليه السلام) أوليس قد قال الله عزّوجلّ في الصفا والمروة: «فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما» ألا ترون أنّ الطواف بهما واجب مفروض، لأنّ الله عزّوجلّ ذكره في كتابه وصنعه نبيّه (عليه السلام) و كذلك التقصير في السفر شيء صنعه النبي (صلّى الله عليه وآله) و ذكره الله تعالى ذكره في كتابه(٢).

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد، عن معاوية بن حكيم، عن محمدبن أبي عمير، عن الحسن بن علي الصيرفي، عن بعض أصحابنا قال: سئل أبوعبدالله (عليه السلام) عن السعي بين الصفا والمروة فريضة أم سنّة؟ فقال: فريضة، قلت: أوليس قال الله عزّوجلّ: «فلا جناح عليه أن يطوّف بهما»؟قال: كان ذلك في عمرة القضاء، إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) شرط عليهم(٣) أن يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة، فتشاغل رجل و ترك السعي حتّى انقضت الأيّام و أُعيدت الأصنام، فجاؤوا إليه فقالوا: يا رسول الله، إنّ فلاناً لم يسع بين الصفا والمروة، وقد أُعيدت الأصنام، فأنزل الله عزّوجلّ: «فلا جناح عليه أن يطوّف بهما» أي وعليهما الأصنام(٤).

---

(١) هكذا في النسخ، ولكن سقط من متن الحديث جلة، وهي هذه (قالا: قلنا: إنّما قال الله عزّوجلّ: (فليس عليكم جناح) ولم يقل: (إفعلوا) فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام في الحضر؟).

(٢) من لايحضره الفقيه: ج١، ص٢٧٨، باب ٥٩، الصلاة في السفر، ح١.

(٣) يعني شرط على المشركين أن يرفعوا أصنامهم التي كانت على الصفا والمروة حتى ينقضي أيام المناسك ثم يعيدوها. كما في هامش الكافي نقلاً عن الوافي.

(٤) الكافي: ج٤، ص ٤٣٥، كتاب الحج،باب السعي بين الصفا والمروة وما يقال فيه: ح٨.

وفي علل الشرائع بإسناده إلى معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ إبراهيم (عليه السلام) لمّا خلّف إسماعيل بمكة عطش الصبي، وكان فيما بين الصفا والمروة شجرة، فخرجت أُمّه حتّى قامت على الصفا فقالت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبها أحد، فمضت حتّى انتهت إلى المروة، فقالت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبها أحد، ثم رجعت إلى الصفا فقالت كذلك، حتّى صنعت ذلك سبعاً، فأجرى الله ذلك سنّة، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجه(١).

وبإسناده إلى معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: صار السعي بين الصفا والمروة، لأنّ إبراهيم (عليه السلام) عرض له إبليس، فأمره جبرئيل (عليه السلام) فشدّ عليه فهرب منه، فجرت به السنّة يعني الهرولة(٢).

و بإسناده إلى حمّاد، عن الحلبي قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام): لم جعل السعي بين الصفا والمروة؟ لأنّ الشيطان تراءى لإبراهيم في الوادي، فسعى، وهو منازل الشيطان(٣).

و في الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمدبن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه و آله) أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج، ثم أنزل الله تعالى عليه: «و أذّن في الناس بالحجّ يأتوكَ رجالاً و على كلّ ضامر يأتين من كلّ فج عميق»(٤) فأمر المؤذنين أن يؤذّنوا بأعلى صوتهم بأنّ رسول الله (صلّى الله عليه و آله) يحج في عامه هذا، فعلم به من حضر في المدينة و أهل العوالي والأعراب، واجتمعوا لحج رسول الله (صلّى الله وعليه و آله)

---

(١) علل الشرايع: ص٤٣٢، باب ١٦٦، قطعة من حديث ١.

(٢) علل الشرايع: ص٤٣٢، باب ١٦٧، ح١.

(٣) علل الشرايع: ص٤٣٣، باب ١٦٧، ح٢.

(٤) سورة الحج: الآية ٢٧.

و إنّما كانوا تابعين ينتظرون ما يؤمرون و يتبعونه أو يصنع شيئاً فيصنعونه فخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أربع بقين من ذي القعدة، فلمّا انتهى إلى ذي الحليفة زالت الشمس فاغتسل، ثم خرج حتّى أتى المسجد الذي عند الشجرة فصلّى فيه الظهر، وعزم بالحج مفرداً، و خرج حتّى انتهى إلى البيداء عندالميل الأوّل، فصف له سماطان(١) فلبّى بالحجّ مفرداً وساق الهدي ستاً و ستّين أو أربعاً و ستّين حتّى انتهى إلى مكّة في سلخ أربع من ذي الحجة، فطاف بالبيت سبعة أشواط ثم صلّى ركعتين خلف مقام إبراهيم (عليه السلام)، ثم عاد إلى الحجر فاستلمه وقد كان استلمه في أوّل طوافه، ثم قال: «إنّ الصفا والمروة من شعائر الله» فأبدء بما بدأ الله تعالى، و إنّ المسلمين كانوا يظنّون السعي بين الصفا و المروة شيء صنعه المشركون، فأنزل الله تعالى «إنّ الصفا و المروة من شعائر الله فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما» والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(٢).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال في حديث طويل: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: أبدء بما بدأ الله تعالى به، فأتى الصفا فبدأ بها(٣).

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عبدالله بن سنان قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: أبدء بما بدأ الله ثم صعد على الصفا فقام عليه مقدار ما يقرأ سورة البقرة، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(٤).

ابن محبوب، عن عبدالعزيز العبدي، عن عبيد بن زرارة قال: سألت أبا عبدالله

---

(١) في الحديث حتّى انتهى رسول الله إلى البيداء فصف الناس له سماطين، السماط ككتاب: الصف من الناس، والسماطان صفان. مجمع البحرين: ج٤، ص٢٥٥، لغة «سمط».

(٢) الكافي: ج٤، كتاب الحج، ص٢٤٥، باب حج النبي (صلّى الله عليه وآله) ح٤.

(٣) الكافي: ج٤، ص٢٤٩، كتاب الحج، باب حج النبي (صلّى الله علي وآله) ح٦.

(٤) الكافي: ج٤، ص٢٥٠، كتاب الحج، باب حج النبي (صل الله عليه وآله) ح٧.

(عليه السلام) عن رجل طاف بالبيت أُسبوعا طواف الفريضة، ثم سعى بين الصفا والمروة أربعة أشواط، ثم غمزه بطنه فخرج وقضى حاجته ثم غشي أهله؟ قال: يغتسل ثم يعود فيطوف ثلاثة أشواط و يستغفر ربه ولا شيء عليه، قلت: فإن كان طاف بالبيت طواف الفريضة، فطاف أربعة أشواط ثم غمزه بطنه فخرج فقضى حاجته، فغشي أهله؟ فقال: أفسد حجّه وعليه بدنة، ويغتسل ثم يرجع فيطوف أُسبوعا ثم يسعى و يستغفر ربّه، قلت: كيف لم تجعل عليه حين غشي أهله قبل أن يفرغ من سعيه كما جعلت عليه هدياً حين غشي أهله قبل أن يفرغ من طوافه؟ قال: إنّ الطواف فريضة و فيه صلاة، والسعي سنّة من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، قلت: أليس الله يقول: «إن الصفا والمروة من شعائرالله»؟قال: بلى ولكن قال فيها: «ومن تطوّع خيراً فإنّ الله شاكر عليم» فلو كان السعي فريضة لم يقل: ومن تطوّع خيراً(١).

قوله (عليه السلام): (والسعي سنّة) أي ليس وجوبه كوجوب الطواف، و إن كان هو واجباً من سنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ومحمدبن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حين فرغ من طوافه و ركعتيه قال: إبدء بما بدأ الله عزّوجلّ به من إتيان الصفا، إنّ الله عزّوجلّ يقول: «إن الصفا والمروة من شعائر الله» والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(٢).

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد رفعه قال: ليس لله منسك أحبّ إليه من السعي، و ذلك أنّه يذلّ فيه الجبارين(٣).

أحمدبن محمد، عن التميلي، عن الحسين بن أحمد الحلبي، عن أبيه، عن رجل، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: جعل السعي بين الصفا والمروة مذلّة

---

(١) الكافي: ج٤، كتاب الحج، ص٣٧٩، باب المحرم يأتي أهله وقد قضى بعض مناسكه، ح٧.

(٢) الكافي: ج٤، كتاب الحج، ص٤٣١، باب الوقوف على الصفا والدعاء، ح١.

(٣) الكافي: ج٤، ص٤٣٤، كتاب الحج، باب السعي بين الصفا والمروة وما يقال فيه، ح٤.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

للجبّارين(١).

وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا: أي فعل طاعة فرضاً كان أو نفلاً.

(وخيراً) نصب على أنّه صفة مصدر محذوف، أو بحذف الجار و إيصال الفعل إليه، أو بتعدية الفعل لتضمّنه معنى أ تى.

و قرأ يعقوب والكسائي وحمزة (يطّوّع) و أصله يتطوع، فادغم مثل يطّوّف(٢).

فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ: مثيب على الطاعة.

عَلِيمٌ: لا تخفى عليه طاعة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ: كأحبار اليهود.

مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ: كالآيات الشاهدة على أمر محمّد (عليه السلام).

وَٱلْهُدَىٰ: وما يهدي إلى وجوب اتباعه والإيمان به.

وفي تفسير العياشي: عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله (عليه السلام): إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى في عليّ(٣).

وعن حمران بن أعين، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله: «إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّناه للناس» يعني بذلك نحن، والله المستعان(٤).

---

(١) الكافي: ج٤، كتاب الحج، ص٤٣٤، باب السعي بين الصفا والمروة وما يقال فيه، ح٥.

(٢) تفسير البيضاوي: ج١، ص٩٢ (٣و٤) تفسير العياشي: ج١، ص٧٠، ح١٣٦، ح١٣٧.

عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له: أخبرني عن قوله: «إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب» قال: نحن يعني بها، والله المستعان، إنّ الرجل منّا إذا صارت إليه لم يكن له، أو لم يسعه، إلّا أن يبيّن للناس من يكون بعده(١).

مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ: لخصناه لهم.

فِي ٱلۡكِتَٰبِ: في التوراة، وعلى ما سبق في الحديث يشمل القرآن أيضاً.

أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ: أي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «أُولئكَ يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون» قال: كل من قد لعنه الله من الجن والإنس يلعنهم(٢).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي ـ رحمه الله ـ عن أبي محمد العسكري (عليه السلام) في حديث طويل فيه: قيل لأميرالمؤمنين (عليه السلام): من خير خلق الله بعد أئمة الهدى و مصابيح الدجى؟ قال: العلماء إذا صلحوا، قيل: فمن شر خلق الله بعد إبليس وفرعون و ثمود و بعد المتسمّين بأسمائهم و بعد المتلقّبين بألقابهم و الآخذين لأمكنتكم والمتأمّرين في ممالككم؟ قال: العلماء إذا أفسدوا، هم المظهرون للأباطيل الكاتمون للحقايق، وفيهم قال الله عزّوجل: «أُولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون إلّا الذين تابوا» الآية(٣).

وفي مجمع البيان: روى عن النبي (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: من سئل عن علم يعلمه فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار(٤).

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ: عن الكتمان و سائر ما يجب أن يتاب عنه.

وَأَصۡلَحُواْ: ما أفسدوا بالتدارك.

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٧١، ح١٣٩. (٢) تفسير القمي: ج١، ص٦٤

(٣) الاحتجاج: ج١ ـ ٢، ص٤٥٨، احتجاج ابي محمد الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) في أنواع شتى من علوم الدين.

(٤) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص٢٤١.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

وَبَيَّنُواْ : ما بيّنه الله في كتابهم لتتم توبتهم، وقيل: ما أحدثوه من التوبة ليمحو سمة الكفر عن أنفسهم، و يقتدي بهم أضرابهم.

فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ: بالقبول والمغفرة.

وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ: المبالغ في قبول التوبة و إفاضة الرحمة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ: أي و من لم يتب من الكاتمين حتى مات.

أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ: يعني استقرّ عليهم لعنة الله ولعنة من يعتد بلعنه من خلقه، وقيل: الأوّل لعنهم أحياءً، والثاني لعنهم أمواتاً.

و قرئ برفع الملائكة والناس و أجمعون، عطفاً على محل اسم (الله) لأنّه فاعل في المعنى، كقولك: أعجبني ضرب زيد وعمرو، وفاعلاً لفعل مقدر، أي و يلعنهم الملائكة.

خَٰلِدِينَ فِيهَا : أي في اللعنة، أوالنار، و إضمارها في الذكر تفخيماً لشأنها و تهويلاً، أو الاكتفاء بدلالة اللعن عليها.

لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ : أي لا يمهلون، أو لا ينتظرون ليعتذروا، أو لا ينظر إليهم نظر رحمة.

وفي الآية دلالة على كفر من كتم ما أنزل في علي (عليه السلام) بناءً على ما سبق من الخبر.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ
بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤

وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ: خطاب عام، أي المستحقّ للعبادة منكم واحدلا شريك له يصحّ أن يعبد و يسمّى إلهاً.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ: تقرير للوحدانية و إزاحة لأن يتوهم أنّ في الوجود إلهاً، ولكنه لا يستحق العبادة منهم.

ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ: كالحجة عليها، فإنّه لمّا كان مولى النعم كلّها أصولها و فروعها، وما سواه أمّا نعمة أو منعم عليه، لم يستحقّ العبادة أحد غيره.

وهما خبران آخران لقوله: (إلهكم) أو لمبتدأ محذوف.

قيل: لمّا سمعه المشركون تعجّبوا وقالوا: إن كنت صادقاً فأت بآية نعرف بها صدقك، فنزلت.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ: و إنّما جمع السماوات و أفرد الأرض، لأنّها طبقات بالذات، مختلفة بالحقيقة، بخلاف الأرضين.

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ: تعاقبهما، كقوله: «جعل الليل و النهار خلفة».(١).

وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ: أي ينفعهم، أو بالذي ينفعهم، والقصد به إلى الإستدلال بالبحر و أحواله، و تخصيص الفلك بالذكر، لأنّه

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٢.

سبب الخوض فيه والإطلاع على عجائبه، و لذلك قدّمه على ذكر المطر والسحاب لأنّ منشأهما البحر في غالب الأمر، و تأنيث الفلك لأنّه بمعنى السفينة.

و قرئ بضمتين على الأصل، أوالجمع، و ضمة الجمع غير ضمة الواحد عندالمحققين.

وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ: «من» الأولى للإبتداء، والثانية للبيان، و «السماء» يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو.

فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا: بالنبات.

وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ: عطف على «أنزل» كأنّه استدلّ بنزول المطر و تكوّن النبات به و بث الحيوانات في الأرض، أو على (أحيا) فإنّ الدواب ينمون بالخصب و يعيشون بالماء. والبث: النشروالتفريق.

وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ: في مهابها و أحوالها.

و قرأ حمزة والكسائي على الإفراد(١).

وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ: لا ينزل ولا يتقشع مع أن الطبع يقتضي أحدهما حتى يأتي أمرالله، وقيل: المسخّر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله تعالى، و اشتقاقه من السحب، لأنّ بعضه يجر بعضاً.

لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ: يتفكّرون فيها و ينظرون إليها بعيون عقولهم.

والكلام المجمل في الإستدلال بهذه الأمور أنّها ممكنة، وجد كلّ منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة و أنحاء مختلفة، إذ كان من الجائز مثلاً أن لا تتحرك السماوات، أو بعضها كالأرض، و أن تتحرّك بعكس حركاتها، و بحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين، و أن لا يكون لها أوج وحضيض أصلاً، أو على هذا الوجه لبساطها و تساوي أجزائها، فلابدّ لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته و تقتضيه مشيئته، متعالياً عن معارضة غيره، إذ لوكان معه إله يقدر على ما يقدر عليه، فإن توافقت إرادتها، فالفعل إن كان لهما لزم اجتماع المؤثرين

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٤٤.

على أثر واحد، و إن كان لأحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجّح و عجز الآخر المنافي للإلهية، و إن اختلفت لزم التمانع والتطارد كما أشار إليه بقوله: «لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا»(١).

وفي أُصول الكافي: بعض أصحابنا رفعه عمّن رفعه عن هشام بن الحكم قال: قال أبوالحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام): يا هشام، إنّ الله تبارك و تعالى أكمل للناس الحجج بالعقول و نصر النبيين بالبيان و دلّهم على ربوبيّته فقال: «و إلهكم إله واحد لا إله إلّا هوالرحمن الرحيم إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة و تصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون»(٢).

وفي كتاب الإهليلجة: قال الصادق (عليه السلام) في كلام طويل: ثم نظرت العين إلى العظيم من الآيات، مثل السحاب المسخّر بين السماء والأرض بمنزلة الدخان لاجسد له يلمس بشيء من الإرض والجبال، يتخلل الشجرة فلا يحرّك منها شيئاً ولا يهصرمنها غصناً ولا يعلق منها بشيء، يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته وكثافته، و يحتمل من ثقل الماء وكثرته ما لا يقدر على صفته، مع ما فيه من الصواعق الصادعة والبروق اللامعة والرعد والثلج والبردوالجليدمالا تبلغ الأوهام صفته ولا تهتدي القلوب إلى كنه عجائبه، فيخرج مستقلاً في الهواء يجتمع بعد تفرقه وينفجر بعد تمسّكه. إلى أن قال (عليه السلام): ولو أنّ ذلك السحاب والثقل من الماء، هوالذي يرسل نفسه، لما احتمله ألفي فرسخ أو اكثر، و أقرب من ذلك و أبعد ليرسله قطرة بعد قطرة بلاهزّة ولا فساد، ولا صار به إلى بلدة و ترك أُخرى(٣).

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٢) الكافي: ج١، كتاب العقل والجهل، ص١٣، ح١٢.

(٣) بحارالأنوار: ج٣، كتاب التوحيد، ص١٦٣، باب٥، ح١.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾

وفي عيون الأخبار: عن الرضا (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه: لمّا نظرت إلى جسدي فلم يمكنني فيه زيادة ولا نقصان في العرض أوالطول ودفع المكاره عنه وجرّ المنفعة إليه، علمت أنّ لهذا البنيان بانياً فأقررت به، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته، و إنشاء السحاب، و تصريف الرياح، ومجرى الشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات، علمت أنّ لهذا مقدّراً ومنشئاً(١).

وفي كتاب التوحيد: قال هشام: فكان من سؤال الزنديق أن قال: فما الدليل عليه؟ قال أبوعبدالله (عليه السلام): وجود الأفاعيل التي دلّت على أنّ صانعاً صنعها، ألا ترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيد علمت أنّ له بانياً و إن كنت لم تر الباني ولم تشاهده(٢).

وفي أُصول الكافي: مثله سواء(٣).

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا : من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم، أوالأعم منهم ومن كلّ ما يتخذونهم أنداداً.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١، ص١٣١، باب ١١، ماجاء عن الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) من الأخبار في التوحيد، قطعة من حديث٢٨، في مناظرة الزنديق مع الرضا (عليه السلام).

(٢) التوحيد: ص٢٤٤، باب ٣٦، الرد على الثنوية والزنادقة.

(٣) الكافي: ج١، كتاب التوحيد، ص٨٠، باب حدوث العالم و إثبات المحدث، قطعة من حديث ٥.

يُحِبُّونَهُمْ : يعظّمونهم ويطيعونهم.

كَحُبِّ ٱللَّهِ : لتعظيمه والميل إلى طاعته، أي يسوّون بينه و بينهم في المحبة والطاعة، أو يحبّونهم كما ينبغي أن يحبّ الله، من المصدر المبني للمفعول، و أصله من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لأنّه أصابها و رسخ فيها، ومحبّة العبد لله: إرادة طاعته والإعتناء بتحصيل مرضاته، ومحبته للعبد: إرادة إكرامه و استعماله وصونه عن المعاصي.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ : لأنّه لا تنقطع محبتهم لله، بخلاف محبة الأنداد، فإنّها لأغراض فاسدة موهومة تزول بأدنى سبب.

وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ: ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذهم الأنداد.

إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ: إذا عاينوه يوم القيامة و أجرى المستقبل مجرى الماضي، لتحقّقه، كقوله: «و نادى أصحاب الجنة»(١).

أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا : ساد مسد مفعولي «يرى» وجواب «لو» محذوف، أي لندموا أشدّ الندم.وقيل: هو متعلّق الجواب، والمفعولان محذوفان، والتقدير: ولو يرى الذين ظلموا أندادهم لا تنفع، لعلموا أنّ القوّة لله كلّها، لا ينفع ولا يضر.

و قرأ ابن عامر ونافع و يعقوب: ولو ترى، على أنّه خطاب للنبي (صلّى الله عليه وآله) أي ولو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً(٢). و ابن عامر: إذ يرون، على البناء للمفعول(٣)، و يعقوب (إن) بالكسر(٤)، و كذا.

وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ : على الإستئناف، أو إضمار القول.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٤.

(٢) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص٢٤٨.

(٣) مجمع البيان: ج١-٢، ص٢٤٨ .

(٤) مجمع البيان، ج١-٢، ص٢٤٨ .

إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ
أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ : بدل من «إذ يرون» أي إذ تبرّأ المتّبعون من الأتباع، وقرئ بالعكس أي تبرأ الأتباع من الرؤساء.

وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ : أي رائين له، والواو للحال، وقد مضمرة، وقيل: عطف على (تبرّأ).

وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ : يحتمل العطف على «تبرّأ» و «رأوا» والحال والأسباب التي كانت بينهم من الإتباع والإتفاق على الدين والأغراض الداعية إلى ذلك. و أصل السبب: الحبل الذي يرتقى به الشجر.

وقرئ (تقطعت) عل البناء للمفعول.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا : «لو» للتمنّي و لذلك أُجيب بالفاء، أي ليت لنا كرّة إلى الدنيا فنتبرأ منهم.

كَذَٰلِكَ : مثل تلك الإراءة القطعيّة.

يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ : ندمات، وهي ثالث مفاعيل «يرى» إن كان من رؤية القلب، وإلاّ فحال.

وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ : أصله وما يخرجون فعدل به إلى هذه العبارة للمبالغة في الخلود و الإقناط من الخلاص والرجوع إلى الدنيا.

وفي أمالي شيخ الطائفة قدّس سرّه بإسناده إلى أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم

داود النبي (عليه السلام) فيأتي النداء من عندالله عزّوجلّ: لسنا إياك أردنا و إن كنت لله خليفة، ثم ينادي مناد ثانياً: اين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فيأتي النداء من قبل الله عزّوجلّ: يا معشر الخلائق، هذا علي بن أبي طالب خليفته في أرضه وحجته على عباده، فمن تعلّق بحبله في دارالدنيا فليتعلّق بحبله في هذااليوم يستضيئ بنوره، و ليتبعة إلى الدرجات العلى من الجنات، قال: فيقوم الناس الذين قد تعلّقوا بحبله في الدنيا فيتبعونه إلى الجنّة، ثم يأتي النداء من عندالله جلّ جلاله: ألا من ائتم(١) بإمام في دارالدنيا فليتبعه إلى حيث يذهب، فحينئذٍ يتبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتّبعوا و رأوا العذاب و تقطّعت بهم الأسباب، و قال الذين اتَّبعوا لو أنّ لنا كرّة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منّا، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار(٢).

وفي أُصول الكافي: محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن عمربن ثابت، عن جابر قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عزّوجلّ «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبّونهم كحبّ الله»(٣) قال: هم والله أولياء فلان وفلان، اتّخذوهم أئمة من دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً، و لذلك قال: «ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أنّ القوّة لله جميعاً و أنّ الله شديد العقاب، إذ تبرأ الذين اتّبعوا من الذين اتّبعوا و رأوا العذاب و تقطّعت بهم الأسباب و قال الذين اتَّبعوا لو أنّ لنا كرّة فتبرأ منهم كما تبرؤوا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النّار» ثم قال أبوعبدالله (عليه السلام): هم والله ـ يا جابر ـ أئمة الضلال و أشياعهم(٤).

وفي تفسير العياشي: عن زرارة وحمران ومحمدبن مسلم، عن أبي جعفر و أبي عبدالله (عليهما السلام) في قوله: «ومن الناس من يتّخذ من دون الله أنداداً يحبونهم

---

(١) وفي نسخة (تعلق)

(٢) الأمالي: ج١، الجزء الثالث، ص٦١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٦٥.

(٤) الكافي: ج١، ص٣٧٤، كتاب الحجة، باب من ادّعى الإمامة وليس لها بأهل ومن جحد الأئمة أو بعضهم، الحديث١١.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

كحبّ الله والذين آمنوا أشدّ حباً لله» قال: آل محمد (صلّى الله عليه وآله)(١).

وعن منصوربن حازم قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): وماهم بخارجين من النار، قال: أعداء عليّ هم المخلدون في النار أبدالآبدين و دهرالداهرين(٢).

وفي الكافي: أحمدبن أبي عبدالله، عمّن حدّثه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عزّوجلّ: «كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم» قال: هوالرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله بخلاً، ثم يموت فيدعه لمن يعمل بطاعة الله أو معصية الله، فإن عمل به في طاعة الله رآه في ميزان غيره، فرآه حسرة، وقد كان المال له، و إن كان عمل به في معصية الله قوّاه بذلك المال حتّى عمل به في معصية الله(٣).

وفي نهج البلاغة: و قال (عليه السلام): إنّ أعظم الحسرات يوم القيامة، حسرة رجل كسب مالاً في غير طاعة الله، فورثه رجلاً فأنفقه، في طاعة الله ـ سبحانه فدخل به الجنّة و دخل به الأوّل النار(٤).

وفي مجمع البيان: أعمالهم حسرات عليهم، فيه أقوال: إلى قوله: والثالث ماروا‌ه أصحابنا عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: هوالرجل يكتسب المال ولا يعمل به خيراً، فيرثه من يعمل فية عملاً صالحاً، فيرى الأوّل ما كسبه حسرة في ميزان غيره(٥).

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا: نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٧٢، ح١٤٣ (٢) تفسيرالعياشي: ج١، ص٧٣، ح١٤٥

(٣) الكافي: ج٤، كتاب الزكاة، ص٤٢، باب الإنفاق، ح٢.

(٤) نهج البلاغة: ص٥٥٢، باب المختار من حكم أميرالمؤمنين (عليه السلام) رقم ٤٢٩.

(٥) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٥١.

رفيع الأطعمة والملابس.

و (حلالاً) مفعول (كلوا) أوصفةمصدر محذوف، أو حال من (ما في الأرض) و (من) للتبعيض، إذ لا يؤكل كلّ ما في الأرض.

طَيِّبًا : يستطيبه الشرع، أوالشهوة المستقيمة، أي لا تأكلوا على امتلاء المعدة والشهوة الكاذبة.

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ: لا تقتدوا به في اتّباع الهوى فتحرّموا الحلال و تحلّلوا الحرام.

و روي عن أبي جعفر و أبي عبدالله (عليهما السلام): أنّ من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق، والنذور في المعاصي، وكلّ يمين بغير الله تعالى(١).

وفي تفسير العياشي: عن محمدبن مسلم قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: لا تتّبعوا خطوات الشيطان، قال: يمين بغيرالله(٢).

و قرأ نافع و أبو عمر وحمزة بتسكين الطاء، و هما لغتان في جمع خطوة، وهي ما بين قدمي الخاطي(٣) و قرئ بضمتين وهمزة، جعلت ضمة الطاء كأنّها عليها، و بفتحتين على أنّه جمع خطوة، وهي المرّة من الخطو.

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ : ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة، و إن كان يظهر الموالاة لمن يغويه، و لذلك سمّاه و ليّاً في قوله: «أولياءهم الطاغوت»(٤).

إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ : بيان لعداوته و وجوب التحرّز عن متابعته، و أُستعير الأمر لتزيينه، و بعثه لهم على الشرّ تسفيهاً لرأيهم و تحقيراً لشأنهم.

والسوء والفحشاء: ما أنكره العقل و استقبحه الشرع، والعطف لاختلاف الوصفين، فإنّه سوء لاغتمام العاقل به، و فحشاء باستقباحة إيّاه.

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٥٢.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص٧٤، الحديث ١٥٠، ولفظ الحديث «قال: كل يمين بغير الله فهي من خطوات الشياطين»

(٣) تفسير مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٥١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ
وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾

وقيل: السوء يعم القبائح، والفحشاء ما تجاوز الحدّ في القبح من الكبائر.

وقيل: الأول: ما لاحدّ فيه، والثاني: ما شرع فيه الحدّ.

وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ : كاتخاذ الأنداد، و تحليل المحرّمات، و تحريم المحللات.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ : الضمير للناس، وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالتهم، كأنّه التفت إلى العقلاء وقال لهم: انظروا إلى هؤلاء الحمق ماذا يجيبون؟!.

قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا: وجدنا.

عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ : نزلت في المشركين أمروا باتّباع القرآن و سائر ما أنزل الله من الحجج والآيات، فجنحوا إلى التقليد.

وقيل: في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى الإسلام، فقالوا ذلك، وقالوا: إنّ آبائنا كانوا خيراً منّا.

أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ: «الواو» للحال، أولعطف، والهمزة للرّد والتعجيب، وجواب «لو» محذوب، أي لوكان آباؤهم جهلة لا تّبعوهم

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً : على

حذف مضاف، تقديره: ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق، أو مثل الذين كفروا كمثل البهائم الذي ينعق، والمعنى أنّ مثل الذين كفروا في دعائك إيّاهم، أي مثل الداعي لهم إلى الإيمان كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم و إنّما تسمع الصوت، فكما أنّ الأنعام لا يحصل لها من دعاء الراعي إلّا السماع دون تفهّم المعنى، فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك إيّاهم إلى الإيمان إلا السماع دون تفهّم المعنى، لأنّهم يعرضون عن قبول قولك و ينصرفون عن تأمّله، فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه، وهذا كما تقول العرب: فلان يخافك كخوف الأسد، والمعنى كخوفه من الأسد، و أضاف الخوف إلى الأسد، وهو في المعنى مضاف إلى الرجل، قال:

فلستُ مسلّماً ما دمتُ حَيّاً   على زيدٍ بتسليم الأمير(١)

يراد بتسليمي على الأمير، وقيل: هو تمثيلهم في اتّباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها، بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته، أو تمثيلهم في دعائهم الأصنام بالناعق في نعقه، وهوالتصويت على البهائم، والأول هوالمروي عن أبي جعفر (عليه السلام) على ما في مجمع البيان(٢).

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ: رفع على الذم.

فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ : أي بالفعل، للإخلال بالنظر.

---

(١) عن الاصمعي قال: كان أعرابيان متواخيين بالبادية غير أن احدهما استوطن الريف واختلف الى باب الحجاج بن يوسف و استعمله على أصبهان فسمع أخوه الذي بالبادية فضرب إليه فأقام ببابه حيناً لا يصل إليه ثم أذن له بالدخول، فأخذه إلى جب فشي به وهويقول: سلّم على الأمير، فلم يلتفت الى قوله: ثم أنشأ يقول: فلست مسلّما ما دمت حياً الى آخره، قال زيد: لا أبالي، فقال الأعرابي:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة   وإذ نعلاك من جلد البعير؟

فقال: نعم، فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك ملكاً   وعلّمك الجلوس على السرير

تاريخ بغداد: ج١، ص٢٥١.

(٢) مجمع البيان: ج١-٢، ص٢٥٤، قال في بيان المعنى لآية ١٧١، من سورة البقرة بعد نقل المعنى الأول: وهذا معنى قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتاده، و هوالمروي عن أبي جعفر (عليه السلام).

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٧٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ: لمّا وسع الأمر على الناس كافة، و أباح لهم ما في الأرض سوى ما حرّم عليهم، أمر المؤمنين منهم أن يتحرّوا طيبات ما رزقوا و يقوموا بحقوقها، فقال:

وَاشْكُرُوا لِلَّهِ: على ما رزقكم و أحلّ لكم.

إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ: إن صح أنكم تخصّونه بالعبادة وتقرّون أنّه مولى النعم، فإنّ عبادته لا تتم إلّا بالشكر، فالمعلّق بفعل العبادة هو الأمر بالشكر لا تمامه، وهو عدم عند عدمه.

وعن النبي (صلّى الله عليه وآله) يقول الله تعالى: إني و الإنس و الجن في نبأ عظيم، أخلق و يُعبد غيري، و أرزق و يُشكر غيري(١).

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ: أكلها والإنتفاع بها، وهي التي ماتت من غير ذكاة، والحرمة المضافة إلى العين تفيد عرفاً حرمة التصرف فيها مطلقاً إلّا ما اُستثني كما سيجيء.

وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ: إنّما خصّ اللحم بالذكر، لأنّه معظم ما يؤكل من الحيوان، و سائر أجزائه كالتابع له.

---

(١) رواه في الكشاف: ج١، ص٢١٤، في تفسير الآية ١٧٢، من سورة البقرة، وقال في هامش الكشاف: ج١، ص٢١٤، ما لفظه: أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، والبيهقي في الشعب من رواية بقية، حدّثنا صفوان بن عمر حدّثني عبدالرحمن بن جبير النفير و شريح بن عبيد عن أبي الدرداء عن النبي (صلّى الله عليه وآله) قال: قال الله عزوجل... الى آخره.

﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾: أي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم، والإهلال أصله رؤية الهلال، لكن لمّا جرت العادة أن يرفع الصوت بالتكبير إذا رُئي سُمّي ذلك إهلالاً، ثم قيل لرفع الصوت و إن كان لغيره.

وفي كتاب عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، في باب ذكر ما كتب به الرضا (عليه السلام) إلى محمدبن سنان في جواب مسائله من العلل: و حرّم الميتة لما فيها من فساد الأبدان و الآفة، ولمّا أراد الله عزّوجلّ أن يجعل التسمية سبب التحليل وفرقاً بين الحلال والحرام، وحرّم الله الدم كتحريم الميتة لما فيه من فساد الأبدان، ولما يورث الماء الأصفر، ويبخر الفم، وينتن الريح، ويسيء الخُلق، و يورث القسوة للقلب و قلّة الرأفة والرّحمة حتّى لا يؤمن أن يقتل ولده ووالده وصاحبه، وحرّم الخنزير لأنّه مشوّه جعله الله تعالى عظة للخلق و عبرة و تخويفاً و دليلاً على ما مسخ على خلقته، و لأنّ غذاءه أقذر الأقذار مع علل كثيرة، و كذلك حرّم القردة لأنّه مسخ مثل الخنزير و جعل عظة و عبرة للخلق و دليلاً على ما مسخ على خلقته و صورته، وجعل فيه شبيهاً من الإنسان ليدلّ على أنّه من الخلق المغضوب عليه، وحرّم ما أُهلّ به لغيرالله للذي أوجب الله عزّوجلّ على خلقه من الإقرار به، و ذكر اسمه على الذبائح المحلّلة، و لئلّا يسوّى بين ما تقرب إليه و بين ما جعل عبادة الشياطين والأوثان، لأنّ في تسمية الله عزّوجلّ الإقرار بربوبيّته و توحيده وما في الإهلال لغيرالله من الشرك والتقرّب به إلى غيره، ليكون ذكر الله تعالى و تسميته على الذبيحة فرقاً بين ما أحلّ الله و بين ما حرّم الله(١).

وفي كتاب علل الشرايع: بإسناده إلى محمدبن عذافر، عن بعض رجاله، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت: لم حرّم الله عزّوجلّ الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى لم يحرّم ذلك على عباده و أحلّ لهم ما سوى ذلك، من رغبة فيا أحلّ لهم، ولا زهد فيا حرّم عليهم، ولكنّه عزّوجلّ خلق الخلق

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٩٣ ـ ٩٤، باب ٣٣، في ذكر ما كتب به الرضا (عليه السلام) إلى محمدبن سنان في جواب مسائله مع تقديم و تأخير في بعض العبارات.

فعلم ما تقوم به أبدانهم و ما يصلحهم فأحلّ لهم و أباحه، وعلم ما يضرهم فنهاهم عنه وحرّمه عليهم، ثم أحلّه للمضطر في الوقت الذي لا يقوم بدنه إلّا به، فأمره أن ينال منه بقدر البلغة لا غير ذلك، ثم قال: الميتة فإنّه لم ينل أحد منها إلّا أضعفت بدنه و أوهنت قوته وانقطع نسله، ولا يموت آكل الميتة إلا فجأة، و أمّا الدم فيورث أكله الماء الأصفر و يورث الكلب و قساوة القلب و قلّة الرأفة والرحمة حتّى لا يؤمن على حميمه ولا يؤمن على من صحبه، و أمّا لحم الخنزير فإنّ الله عزّوجلّ مسخ قوماً في صور شتّى مثل الخنزير والقرد والدب، ثم نهى عن أكل المثلة لكيما ينتفع بها ولا يستخف بعقوبته، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(١).

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: عشرة أشياء من الميتة ذكيّة العظم، والشعر، والصوف، والريش، والقرن، والحافر، والبيض، والأنفحة، واللبن، والسن(٢).

وفي الكافي: محمدبن يحيى وغيره، عن أحمدبن محمد، عن ابن محبوب، عن عاصم بن حميد، عن علي بن أبي المغيرة قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): جعلت فداك، الميتة ينتفع بشيء منها؟ قال: لا، قلت: بلغنا أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مرّ بشاة ميتة فقال: ما كان على أهل هذه الشاة إذ لم ينتفعوا بلحمها، أن ينتفعوا بإهابها، أي تزكى(٣).

فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ: قيل: الباغي: المستأثر على مضطر آخر، والعادي: المتجاوز سدّ الرمق.

وفي كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى البزنطي، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله

---

(١) علل الشرايع: ج٢، ص٤٨٣، باب ٢٣٧، ح١، وفي النسخ المطبوعة والمخطوطة (ثم نهى عن أكل المثلة) والظاهر أنّه تصحيف والصحيح (ثم نهى عن أكل الثلاثة) أي الخنزير والقرد والدب.

(٢) الخصال: باب العشرة، ص٤٣٤، ح١٩.

(٣) الكافي: ج٦، ص٢٥٩، كتاب الأطعمة، باب ما ينتفع به من الميتة وما لا ينتفع به منها، الحديث٧، و تمام الحديث (قال: تلك شاة كانت لسودةبنت زمعة زوج النبي (صلّى الله عليه وآله) و كانت شاة مهزولة لا ينتفع بلحمها فتركوها حتى ماتت، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الى آخره.

(عليه السلام) في قول الله عزوجلّ: «فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد» قال: الباغي: الذي يخرج على الإمام العادل، والعادي الذي يقطع الطريق، لا تحلّ لهما الميتة(١).

وفي الكافي: الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن الوشاء، عن حمّادبن عثمان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عزّوجلّ: «فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد» قال: الباغي: باغي الصيد، والعادي: السارق، ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرّا إليها، هي حرام عليهما ليس هي عليهما كما هي على المسلمين.(٢)

وفي من لا يحضره الفقيه: روى عبدالعظيم بن عبدالله الحسني، عن أبي جعفر محمدبن علي الرضا (عليهما السلام) قال: قلت يابن رسول الله، فما معنى قوله عزّوجلّ: «فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد» قال: العادي: السارق، والباغي: الذي يبغي الصيد بطراً ولهواً، لا ليعود به على عياله، ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرّا، هي حرام عليهما في حال الإضطرار، كما هي حرام عليهما في حال الاختيار(٣).

و بالاضطرار يحلّ عموم المحرّمات.

يدلّ عليه ما رواه في الكافي: عن محمد بن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن حمّادبن عيسى، عن حريز، عن محمدبن مسلم قال: سألت أباعبدالله (عليه السلام) عن الرجل والمرأة يذهب بصره فيأتيه الاطباء فيقولون: نداويك شهراً، أو أربعين ليلة مستلقياً كذلك يصلّي؟ فرخّص في ذلك، وقال: «فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه»(٤).

وفي من لا يحضره الفقيه: وفي رواية محمدبن عمروبن سعيد، رفعه عن امرأة أتت عمر فقالت: يا أميرالمؤمنين إني فجرت فأقم عليّ حدود الله عزّوجلّ، فأمر برجمها، و كان أميرالمؤمنين (عليه السلام) حاضراً فقال: سلها كيف فجرت فسألها، فقالت: كنت في فلاة من الأرض فأصابني عطش شديد، فرفعت لي خيمة

---

(١) معاني الأخبار: ص٢١٣، باب معنى الباغي والعادي، ح١.

(٢) الكافي: ج٣، ص٤٣٨. كتاب الصلاة، باب صلاة الملاحين والمكارين وأصحاب الصيد... ح٧.

(٣) الفقيه: ج٣، ص٢١٧، باب ٩٦، الصيد والذبائح، قطعة من حديث٩٧.

(٤) الكافي: ج٣، ص٤١٠، كتاب الصلاة، باب صلاة الشيخ الكبير والمريض، ح ٤

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤

فأتيتها فأصبت فيها رجلاً أعرابياً فسألته ماءً فأبىٰ عليَّ أن يسقيني إلّا أكون أن أمكّنه من نفسي، فولّيت منه هاربة فاشتدّ بي العطش حتّى غارت عيناي و ذهب لساني، فلّما بلغ منّي العطش أتيته فسقاني و وقع عليَّ.

فقال عليّ (عليه السلام): هي التي قال الله عزّوجلّ: «فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد» هذه غير باغية ولا عادية، فخلّى سبيلها، فقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر(١).

و يجب تناول المحرّم عند الإضطرار.

قال الصادق (عليه السلام): من اضطرّ إلى الميتة والدم ولحم الخنزير، فلم يأكل شيئاً من ذلك حتّى يموت فهو كافر(٢).

فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ: في تناوله.

إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ: لما فعل.

رَّحِيمٌ: بالرخصة فيه.

فإن قلت: «إنّما» يفيد القصر على ما ذكر، وكم من محرّم لم يذكر؟

قلت: المراد قصر الحرمة على ما ذكر ممّا استحلّوه، لا مطلقاً، أو قصر حرمته على حال الإختيار، كأنّه قيل: إنّما حرّم عليكم هذه الأشياء ما لم تضطرّوا إليها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا

---

(١) الفقيه: ج٤، ص٢٥، باب ٤، ما يجب به التعزير والحد والرجم والقتل والنفي في الزنا، ح٤٠.

(٢) الفقيه: ج٣، ص٢١٨، باب ٩٦ الصيد والذبائح، ح٩٨.

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

قَلِيلًا: عوضاً حقيراً.

أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ: أمّا في الحال لأنّهم أكلوا ما ينسب إلى النار، أو في المآل أي يوم القيامة، و معنى (في بطونهم) ملاء بطونهم، يقال: أكل في بطنه و أكل في بعض بطنه.

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عبارة عن غضبه عليهم.

وَلَا يُزَكِّيهِمْ: ولا شيء عليهم.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ: في الدنيا.

وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ: في الآخرة بكتمان الحق.

فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ: تعجّب من حالهم في الإلتباس بموجبات النار من غير مبالاة، و (ما) تامّة مرفوعة بالابتداء، و تخصيصها كتخصيص (شَرٌّ أهَرَّ ذاناب)(١) أو استفهاميّة وما بعد، الخبر أو موصولة، وما بعدها صلة والخبر محذوف.

وفي أصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمدبن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن عبدالله بن مسكان، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في

---

(١) يقال: (أهَرّ) إذا حمله على الهرير، و (شر) رفع بالإبتداء، وهو نكرة و شرط النكرة أن لا يبتدأ بها حتى تخصص بصفة، كقولنا رجل من بني تميم فارس، و ابتدؤوا بالنكرة هاهنا من غير صفة، و إنّما جاز ذلك ؟ لأنّ المعنى: ما أهرَّ ذاناب إلاشر، وذوالناب: السبع، يضرب في ظهور إمارات الشر و مخايله. مجمع الأمثال للميداني: ج١، ص٣٧٠، الباب الثالث عشر فيما أوّله الشين.

قول الله عزّوجلّ: «فما أصبرهم على النار»، فقال: ما أصبرهم على فعل ما يعلمون أنه يُصَيِّرهُم إلى النار(١).

وفي مجمع البيان: قول الله عزّوجلّ: «فما أصبرهم على النار» فيه أقوال: أحدها: أنّ معناه ما أجرأهم على النار، رواه علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي عبدالله (عليه السلام)، والثاني: ما أعملهم بأعمال أهل النار وهو المروي عن أبي عبدالله (عليه السلام)(٢).

ذَٰلِكَ: أي العذاب.

بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ: أي بسبب أنّ الله نزّل الكتاب بالحقّ فرفضوه بالكتمان والتكذيب.

وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ: اللام فيه إمّا للجنس، و اختلافهم: إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض آخر، أو للعهد، والإشارة إمّا إلى التوراة، و اختلفوا بمعنى تخلّفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها، أو خلّفوا خلاف ما أنزل الله مكانه، أي حرّفوا فيها، أو اختلفوا بمعنى أنّ بعضهم آمنوا به و بعضهم أحرفوه عن مواضعه. و أمّا إلى القرآن، واختلافهم: قولهم سحر، و تقوّل، وكلام علّمه بشر، و أساطير الأولين.

لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ: لفي خلاف بعيد عن الحق.

ooo

---

(١) الكافي: ج٢، ص٢٦٩، كتاب الايمان والكفر، باب الذنوب، ح٢.

(٢) مجمع البيان: ج١ ـ٢، ص٢٥٩.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾

لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ: البرّ: كلّ فعل مرضيّ، والخطاب لأهل الكتاب فإنّهم أكثر، والخوض في أمر القبلة حين حولّت و ادّعى كلّ طائفة أنّ البرّ هو التوجه إلى قبلته فردّ الله عليهم، وقال: ليس البرّ ما أنتم عليه فإنّه منسوخ، ولكن البرّ ما بيّنه و اتّبعه المؤمنون.

وقيل: عام لهم و للمسلمين، أي ليس البرّ مقصوراً بأمر القبلة، أوليس البرّ العظيم الذي يحسن أن تذهلوا بشأنه عن غيره أمرها.

و قرأ حمزة وحفص: ليس البرّ بالنصب(١).

وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ: أي ولكن البرّ الذي ينبغي أن يهتمّ به، برّ من آمن، أو ولكن ذا البر من آمن، و يؤيّده قراءة: ولكنّ البار. والمراد بالكتاب: الجنس أو القرآن.

و قرأ نافع و ابن عامر (ولكن) بالتخفيف و رفع البرّ(٢).

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٦١.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٦١.

وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ: أي على حب المال، أو على حب الله، او على حب الإيتاء. و الجار والمجرور في موضع الحال.

ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ: قدّمه لأنّه أفضل، كما روي عنه (عليه السلام): صدقتك على المسكين صدقة، وعلى ذي رحمك اثنتان، صدقة و صلة(١).

و يحتمل أن يكون المراد قرابة النبي (صلّى الله عليه وآله)، وهوالمروي عن أبي جعفر و أبي عبدالله (عليهما السلام)(٢).

وَٱلْيَتَٰمَىٰ: جمع يتيم وهو من الأطفال من فقد أباه.

وَٱلْمَسَٰكِينَ: جمع المسكين، وهوالذي أسكنته الخلّة، و أصله دائم السكون، كالمسكير دائم السكر.

وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ: المسافر، سمّي به لملازمته السبيل، كما سمّي القاطع ابن الطريق، و قيل: الضيف.

وَٱلسَّآئِلِينَ: الذين ألجأتهم الحاجة إلى السؤال.

قال (عليه السلام): للسائل حقّ و إن جاء على فرس(٣).

وفي من لايحضره الفقيه: في الحقوق المرويّة عن علي بن الحسين (عليهما السلام): وحقّ السائل إعطاؤه على قدر حاجته، وحقّ المسئول إن أعطى، فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله، و إن منع فاقبل عذره(٤).

وَفِى ٱلرِّقَابِ: في تخليصها، كمعاونة المكاتبين، و فك الأُسارى، و ابتياع الرقاب لعتقها.

وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ: المفروضة.

وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ: المراد منها الزكاة المفروضة، والغرض من الأوّل أمّا بيان مصارفها، أو نوافل الصدقات.

---

(١) الدرالمنثور للسيوطي: ج١، ص٤١٥، في تفسيره لقوله تعالى: (ذوي القربى).

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٦٣، في بيان المعنى لآية ١٧٧، من سورة البقرة.

(٣) الدر المنثور للسيوطي: ج١، ص٤١٥، في تفسيره لقوله تعالى (والسائلين).

(٤) الفقيه: ج٢، ص٣٨١، باب الحقوق.

وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا: عطف على من آمن.

وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ: نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الأعمال، وعن الأزهري: البأساء في الأموال كالفقر، والضرّاء في الأنفس كالمرض.(١)

وفي عيون الأخبار: بإسناده إلى الحارث بن دلهاث ـ مولى الرضا (عليه السلام) ـ قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون فيه ثلاث خصال، سنّة من ربّه و سنّة من نبيّه و سنّة من وليّه، إلى قوله: أمّا السنّة من وليّه فالصبر على البأساء والضراء، فإنّ الله تعالى يقول: «والصابرين في البأساء والضراء»(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم قوله: «والصابرين في البأساء والضراء» قال: في الجوع والخوف والعطش والمرض(٣).

وَحِينَ الْبَأْسِ: قال: عند القتل.

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا: في الدين و اتّباع الحقّ و طلب البرّ.

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ: عن الكفر و سائر الرذائل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: إنّ هذه الآية نزلت في أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه، لأنّ هذه الشروط شرط الإيمان وصفات الكمال، وهي لا توجد إلّا فيه وفي ذريته الطيبين صلوات الله عليهم أجمعين(٤).

---

(١) انوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص٩٨.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٥٦، باب ٢٦، ما جاء عن الرضا (عليه السلام) من الأخبار النادرة في فنون شتى، ح٩، و تمام الحديث (قال بعد قوله: و سنّة من وليه: فالسنّة من ربّه كتمان سرّه قال الله عزّوجل: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلّا من ارتضى من رسول» و أما السنّة من نبيّه فمداراة الناس، فإنّ الله عزّوجل أمر نبيّه بمداراة الناس فقال: «خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين» و أما السنّة من وليّه الى آخره.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٦٤، في تفسير قوله تعالى: «والصابرين في البأساء والضراء».

(٤) لم أعثر على حديث بهذه الألفاظ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ﴾: كان في الجاهليّة بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لأحدهما طول على الآخر، فأقسموا لنقتلنّ الحرمنكم بالعبد والذكر بالأنثى، فلمّا جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فنزلت، و أمرهم أن يتكافئوا.

وعن سماعة بن مهران، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله: «الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى»، فقال: لا يقتل حرّ بعبد، ولكن يضرب ضرباً شديداً و يغرم دية العبد، و إن قتل رجل امرأة فأراد أولياء المقتول أن يقتلوا أدّوا نصف ديته إلى أهل الرجل(١).

وفي تهذيب الأحكام: صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام قال: قلت: قول الله تعالى: «كتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى» قال: لا يقتل حرّ بعبد، ولكن يضرب ضرباً شديداً و يغرم ثمن العبد(٢).

وفي مجمع البيان: نفس الرجل لا تساوي نفس المرأة، بل هي على النصف

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٧٥، ح١٥٨.

(٢) التهذيب: ج١٠، ص١٩١، باب ١٤، القود بين الرجال والنساء والمسلمين والكفار والعبيد والأحرار، ح٥١.

منها، فيجب إذا أُخذت النفس الكاملة بالناقصة أن يردّ فضل ما بينهما(١)، و كذلك رواه الطبري في تفسيره عن علي (عليه السلام)(٢).

وفيه قال الصادق (عليه السلام): لا يقتل حرّ بعبد، ولكن يضرب ضرباً شديداً، و يغرم دية العبد(٣).

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾: أي شيء من العفو، لأنّه عفا لازم، وفائدته الإشعار بأنّ بعض العفو كالعفو التام في إسقاط القصاص.

وقيل: (عفا) بمعنى ترك، و (شيء) مفعول به، وهو ضعيف إذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه، بل أعفاه و عفى، يعدّى بـ (عن) إلى الجاني و إلى الذنب، قال الله تعالى: «عفا الله عنك»(٤).

وقال: عفا عنها، و إذا عدّي به إلى الذنب، عدّي إلى الجاني باللام وعليه ما في الآية، كأنّه قيل: فمن عفي له عن جنايته من جهة أخيه، يعني وليّ الدم.

وذكره بلفظ الأُخوة ـ الثابتة بينهما من الجنسيّة والإسلام ـ ليرق له و يعطف عليه.

﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾: أي فليكن اتّباع، أوفالأمر اتباع، والمراد وصية العافي بأن يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف، والمعفو عنه بأن يؤدّيها بإحسان، وهو أن لا يمطل(٥) ولا يبخس.

وفي الكافي: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمادبن عثمان، عن الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: «فمن عفي له من أخيه شيء فاتّباع بالمعروف و أداء إليه بإحسان» قال:

---

(١) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص٢٦٥ في بيان المعنى لآية ١٧٨، من سورة البقرة.

(٢) جامع البيان للطبرى: ج٢، ص٦٢.

(٣) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص٢٧٥، في بيان المعنى لآية ١٧٨، من سورة البقرة.

(٤) سورة التوبة: الآية ٤٣.

(٥) المطل: التسويف والمدافعة بالعدة والدين... وفي الحديث: مطل الغني ظلم. لسان العرب: ج١١، ص٦٢٤ في لغة «مطل».

ينبغي للذي له الحق أن لا يعسر أخاه إذا كان قد صالحه على دية، و ينبغي للذي عليه الحقّ أن لا يمطل أخاه إذا قدر على ما يعطيه و يؤدّي إليه بإحسان (١).

محمدبن يحيى ،عن أحمدبن محمد، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزّوجلّ: «فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف و أداء إليه بإحسان» قال: هوالرجل يقبل الدية، فينبغي للطالب أن يرفق به ولا يعسره، و ينبغي للمطلوب أن يؤدّي ولا يمطله إذا قدر(٢).

أحمدبن محمدبن أبي نصر، عن عبدالكريم، عن سماعة، عن أبي عبدالله (عليه السّلام) في قول الله عزّوجلّ: «فمن عفي له من أخيه شيء فاتّباع بالمعروف و اداء واليه باحسان» ماذلك الشيء؟ قال: هو الرجل يقبل الدية، فأمر الله عزّوجلّ الذي له الحقّ أن يتبعه بمعروف ولا يعسره، و أمر الذي عليه الحق أن يؤدّي إليه بإحسان إذا أيسر.(٣).

ذَٰلِكَ: أي الحكم المذكور في العفو والديّة.

تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ: لمافيه من التسهيل والنفع، وقيل: كتب على اليهود: القصاص وحده، وعلى النصارى: العفو مطلقاً، وخيّر هذه الامّة بينهما و بين الديّة تيسيراً عليهم.

فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ: وفي الحديث السابق قال سماعة: قلت: أرأيت قوله عزّوجلّ: «فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم» قال: هوالرجل يقبل الديّة أو يصالح، ثم يجيء بعد فيمثّل أو يقتل، فوعده الله عذاباً أليماً(٤).

---

(١) الكافي: ج٧، كتاب الديات، ص٣٥٨، باب الرجل يتصدق بالدية على القاتل.. قطعة من حديث ١.

(٢) الكافي: ج٧، كتاب الديات، ص٣٥٨، باب الرجل يتصدق بالدية على القاتل .. قطعة من حديث ٢.

(٣) الكافي: ج٧، كتاب الديات، ص٣٥٩، باب الرجل يتصدق بالدية على القاتل.. قطعة من حديث ٤.

(٤) الكافي: ج٧، كتاب الديات، ص٣٥٩، باب الرجل يتصدق بالدية على القاتل .. قطعة من حديث ٤.

وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ١٨٠ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٨١

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: «فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم» فقال: هو الرجل يقبل الدية، أو يعفو و يصالح، ثم يعتدي فيقتل فله عذاب أليم، كما قال الله عزّوجلّ(١).

وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ: كلام في غاية الفصاحة والبلاغة، من حيث جعل الشيء محل ضدّه، وعرّف القصاص و نكّر الحياة، ليدلّ على أنّ في هذا الجنس من الحكم نوعاً من الحياة عظيماً.

(ولكم في القصاص) يحتمل أن يكونا خبرين لـ (حياة)، و أن يكون أحدهما خبراً والآخر صلة له، أو لها، لا من الضمير المستكن فيه.

وقرئ في القصص، أي فيما قصّ عليكم من حكم القتل، أو في القرآن حياة القلوب.

يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ: ذوي العقول الكاملة.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ: في المحافظة على القصاص والحكم به والإذعان له، أو

---

(١) الكافي: ج٧، كتاب الديات، ص٣٥٨، باب الرجل يتصدق بالدية على القاتل.. قطعة من حديث١.

من القصاص فتكفّوا عن القتل.

وفي كتاب الإحتجاج للطبرسي ـ رحمه الله ـ بإسناده إلى علي بن الحسين (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ولكم في القصاص حياة الآية. ولكم يا أمّة محمد في القصاص حياة، لأنّ من همّ بالقتل فعرف أنّه يقتصّ منه فكفّ لذلك عن القتل كان حياة للذي همّ بقتله، و حياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل، و حياة لغيرهما من الناس إذا علموا أنّ القصاص واجب لا يجسرون على القتل مخافة القصاص، يا أُولي الألباب، أُولي العقول لعلّكم تتقون(١).

و في تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «ولكم في القصاص حياة يا أُولي الألباب» قال: يعني لولا القصاص لقتل بعضكم بعضاً(٢).

و في نهج البلاغة: فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك، والقصاص حقناً للدماء(٣).

وفي أمالي شيخ الطائفة: بإسناده إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: قلت: أربعاً أنزل الله تعالى تصديقاً بها في كتابه، إلى قوله (عليه السلام): قلت: القتل يقلّ القتل، فأنزل الله «ولكم في القصاص حياة يا أُولي الألباب».(٤).

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ: أي أسبابه و أماراته.

إِن تَرَكَ خَيْرًا: أي مالاً كثيراً.

لما روي عن عليّ (عليه السلام) أنّه دخل على مولى له في مرضه وله سبعمائة درهم، أو ستمائة، فقال: ألا أوصي؟ فقال: إنّما قال الله سبحانه: «إن ترك خيراً» وليس لك مال كثير(٥).

الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ: مرفوع بـ (كتب) و تذكير فعلها للفصل، أو

---

(١) كتاب الإحتجاج: ج٢، ص٣١٩، احتجاجات الإمام السجاد.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٦٥.

(٣) نهج البلاغة: ص٥١٢، باب المختار من حكم أميرالمؤمنين (عليه السلام)، تحت رقم ٢٥٢.

(٤) الأمالي: ج٢، ص١٠٨.

(٥) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٦٧.

على تأويل أن يوصي، أو الإيصاء، و لذلك ذكر الراجع في قوله: «فَمَنْ بَدَّلَهُ» والعامل في «إذا» مدلول كتب، لا الوصيّة، لتقدّمه عليها.

وقيل: مبتدأ خبره «للوالدين» والجملة جواب الشرط بإضمار الفاء، كقوله:

﴿مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا﴾(١)

و ردّ بأنّه إن صحّ فمن ضرورات الشعر.

وكان هذاالحكم، أي وجوب الوصيّة، في بدء الإسلام فنسخ بآية المواريث.

وفي تفسير العياشي: عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما (عليهماالسلام) قوله: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين والأقربين» قال: هي منسوخة نسختها آية الفرائض التي هي المواريث(٢)، و يجوز الوصيّة للوارث.

قال في الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمدبن محمدبن أبي نصر، عن ابن بكير، عن محمدبن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن الوصيّة للوارث؟ فقال: تجوز، ثم تلاهذه الآية: «إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين والأقربين».(٣)

وفي من لايحضره الفقيه: روى محمدبن أحمدبن يحيى، عن محمدبن عيسى، عن محمدبن سنان، عن عمّار بن مروان، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله تعالى: «الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على

---

(١) هومن أبيات لعبد الرحمان بن حسان بن ثابت الأنصاري.

وقبله:

إن يسلم المرء من قتل ومن هرم ... للذة العيش أفناه الجديدان
فإنّما هذه الدنيا و زينتها ... كالزاد لا بد يوماً أنه فان

كلمة «من» شرطيّة و «الحسنات» بفتحتين جمع حسنة وهي نقيض السيّئة، و «يشكرها» بمعنى ينيلها يضاعفها والباء في «بالشر» للمقابلة أو للمصاحبة أو للسببيّة، قوله (عند الله مثلان) أي في المجازات. جامع الشواهد: ص ٢٨١، باب الميم بعده النون.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص٧٧، ح١٦٧.

(٣) الكافي: ج٧، كتاب الوصايا، باب الوصية للوارث، ص١٠، ح٥.

المتقين» قال: هوالشيء جعله الله عزّوجلّ لصاحب هذا الأمر قال: قلت: فهل لذلك حدّ؟ قال: نعم، قلت: وما هو؟ قال: أدنى ما يكون ثلث الثلث(١).

وفي كتاب الإحتجاج للطبرسي ـ رحمه الله ـ عن الزهراء (عليها السلام) في حديث طويل، تقول فيه للقوم وقد منعوها ما منعوها: وقال: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» (٢) وقال: «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين»(٣) وقال: «إن ترك خيراً» و زعمتم أن لا حظوة ولا إرث ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج منها آل رسول الله (صلّى الله عليه وآله)(٤).

بِٱلْمَعْرُوفِ: بالعدل، فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث.

حَقًّا: مصدر مؤكد، أي حقّ ذلك حقاً.

عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ * فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ: غيّره من الأوصياء والشهود.

بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ: وصل إليه و تحقق عنده.

فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ: فما اثم التبديل إلاّ على مبدّله، لأنّه هوالذي خالف الشرع.

إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ: وعيد للمبدّل.

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن رجل أوصى بماله في سبيل الله؟ فقال: اعطه لمن أوصى به له وإن كان يهودياً أو نصرانياً، إنّ الله تعالى يقول: «فمن بدّله بعد ما سمعه فإنّما إثمه على الذين يبدّلونه».(٥)

محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن علي بن الحكم، عن العلا بن رزين،

---

(١) الفقيه: ج٤، ص١٧٥، باب نوادر الوصايا، ح١٦.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

(٣) سورة النساء: الآية ١١.

(٤) احتجاج الطبرسي: ج١، ص١٠٢، احتجاج فاطمة الزهراء (عليها السلام) على القوم لمّا منعوها فدك .

(٥) الكافي: ج٧، ص١٤، كتاب الوصايا، باب إنفاذ الوصية على جهتها، ح١ .

عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما (عليهماالسلام) في رجل أوصى بماله في سبيل الله، فقال: اعطه لمن أوصى به له، و إن كان يهودياً أو نصرانياً، إنّ الله تعالى يقول: «فمن بدّله بعد ما سمعه فإنّما إثمه على الذين يبدلونه»(١).

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن مهزيار قال: كتب أبوجعفر (عليه السلام) إلى جعفر وموسى: وفيما أمرتكما به من الإشهاد بكذا وكذا نجاة لكما في آخرتكما، و إنفاذاً لما أوصىٰ به أبواكما، و براً منكما لهما، و احذرا أن لا تكونا بدّلتما وصيّتهما ولا غيّرتماها عن حالها لأنّهما قد خرجا من ذلك ـ رضي الله عنهما ـ وصار ذلك في رقابكما. وقد نزّل الله تعالى في كتابه في الوصيّة: «فمن بدّله بعد ما سمعه فإنّما إثمه على الذين يبدّلونه إنّ الله سميع عليم»(٢).

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمدبن الوليد، عن يونس بن يعقوب: إنّ رجلاً كان بهمذان ذكر أن أباه مات، و كان لا يعرف هذا الأمر، فأوصى بوصية عند الموت، و أوصى أن يعطي شيء في سبيل الله، فسأل عنه أبوعبدالله (عليه السلام) كيف يفعل به؟ فأخبرناه أنّه كان لا يعرف هذاالأمر، فقال: لو أنّ رجلاً أوصى إليّ أن اضع في يهودي أو نصراني لوضعته فيهما، إنّ الله عزّوجلّ يقول: «فمن بدّ له بعد ما سمعه فإنّما إثمه على الذين يبدّلونه» فانظر إلى من يخرج إلى هذا الوجه، يعني الثغور، فابعثوابه إليه(٣).

عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحجاج الخشاب، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن امرأة أوصت إليّ بمال أن يجعل في سبيل الله، فقيل لها: نحج به، فقالت: اجعله في سبيل الله، فقالوا لها: نعطيه آل محمد، قالت: اجعله في سبيل الله فقال أبوعبدالله عليه السلام: أجعله في سبيل الله كما أمرت، قلت: مرني كيف أجعله؟ قال: اجعله كما أمرتك، إنّ الله تبارك و تعالى يقول: «فمن بدّله بغد ما سمعه فإنّما إثمه على الذين يبدّلونه

---

(١) الكافي: ج٧، ص١٤، كتاب الوصايا، باب إنفاذ الوصية على جهتها، ح٢.

(٢) الكافي: ج٧، ص١٤، كتاب الوصايا، باب إنفاذ الوصية على جهتها، ح٣.

(٣) الكافي: ج٧، ص١٤، كتاب الوصايا، باب إنفاذ الوصية على جهتها، ح٤.

﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٨٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾

إن الله سميع عليم» أرأيتك لو أمرتك أن تعطيه يهودياً كنت تعطيه نصرانياً، قال: فكثت بعد ذلك سنين، ثم دخلت عليه، ثم قلت له مثل الذي قلت له أوّل مرّة: فسكت هنيئة، ثم قال: هاتها، قلت: من أعطيها؟ قال: عيسى شلقان.(١)

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الريان بن شبيب قال: أوصت ماردة لقوم نصارى فراشين بوصيّة، فقال أصحابنا: اقسم هذا في فقراء المؤمنين من أصحابك، فسألت الرضا عليه السلام فقلت: إن أختي أوصت بوصيّة لقوم نصارى، و أردت أن أصرف ذلك إلى قوم من أصحابنا المسلمين، فقال: إمض الوصيّة على ما أوصت به، قال الله تبارك و تعالى: «فإنّما إثمه على الذين يبدّلونه»(٢).

محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن محمدبن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي سعيد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سئل عن رجل أوصى بحجة فجعلها وصية في نسمة؟ فقال: يغرمها وصيّه و يجعلها في حجة كما أوصى به، فإن الله تبارك و تعالى يقول: «فمن بدّله بعد ما سمعه فإنّما إثمه على الذين يبدّلونه»(٣).

فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ: أي توقع وعلم من قولهم: أخاف أن ترسل السماء.

---

(١) الكافي: ج٧، ص١٥، كتاب الوصايا، باب آخر منه، ح١، ونقل عن رجال الكشي: أن عيسى كان من وكلائه (عليه السلام).

(٢) الكافي: ج٧، ص١٦، كتاب الوصايا، باب آخر منه، ح٢.

(٣) الكافي: ج٧، ص٢٢، كتاب الوصايا، باب أن الوصي إذا كانت الوصية في حق فغيّرها فهو ضامن، ح٢.

جَنَفًا: ميلاً بالخطأ في الوصيّة.

أَوۡ إِثۡمٗا: تعمداً للحيف.

فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ: بين الموصى لهم بإجرائهم على نهج الشرع.

فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ: في هذا التبديل، لأنّه تبديل باطل إلى حقّ، بخلاف الأوّل.

إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ: وعد للمصلح، و ذكر المغفرة لمطابقة ذكر الإثم، وكون الفعل من جنس ما يؤثم به.

وفي كتاب علل الشرائع: حدّثنا محمدبن الحسن رحمه الله قال: حدّثنا محمدبن الحسن الصفار، عن أبي طالب عبدالله الصلت القمي، عن يونس بن عبدالرحمان رفعه إلى أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عزوجل: «فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه» قال: يعني إذا اعتدى في الوصيّة، يعني إذا زاد على الثلث(١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال الصادق (عليه السلام): إذا أوصى الرجل بوصيّة فلا يحلّ للوصي أن يغيّر وصية يوصيها، بل يمضيها على ما أوصى، إلّا أن يوصي بغير ما أمرالله فيعصى في الوصيّة و يظلم، فالموصى إليه جائز له أن يردّها إلى الحق، مثل رجل يكون له ورثة فيجعل المال كلّه لبعض ورثته و يحرم بعضاً، فالوصى جائز له أن يردّه إلى الحق وهو قوله: جنفاً أو إثماً، فالجنف الميل إلى بعض ورثته دون بعض، والإثم أن يأمر بعمارة بيوت النيران و اتخاذ المسكر، فيحلّ للوصيّ أن لا يعمل بشيء من ذلك(٢).

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن رجاله قال: قال: إنّ الله عزّوجلّ أطلق للموصى إليه أن يغيّرّ الوصية إذا لم تكن بالمعروف وكان فيها حَيْفٌ ويردّها الى المعروف، لقوله تعالى: «فمن خاف من موص جنفاً أوإثماً فأصلح بينهم فلا إثم

---

(١) علل الشرائع: ج٢، ص٥٦٧، الباب ٣٦٩، ح٤.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٦٥، في تفسيره لقوله تعالى: «فمن خاف من موص الآية».

عليه»(١).

محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي ايوب، عن محمدبن سوقة قال: سألت أباجعفر (عليه السلام) عن قول الله تبارك و تعالى: «فمن بدّ له بعد ما سمعه فإنّما إثمه على الذين يبدّلونه» قال: نسختها الآية التي بعدها قوله: «فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه» قال: يعني الموصى إليه إن خاف جنفاً فيا أوصى به إليه ممّا لا يرضى الله به من خلاف الحقّ، فلا إثم عليه أن يردّ إلى الحق و إلى ما يرضى الله به من سبيل الخير(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: يعني الأنبياء دون الأمم، فإنّ الأمم كان عليهم صوم أكثر من ذلك في غير ذلك الشهر.

يدلّ عليه ما في الصحيفة الكاملة: ثم آثرتنا به على سائر الأمم، و اصطفيتنا بفضله دون أهل الملل، فصمنا بأمرك نهاره، و قمنا بعونك ليله(٣).

وما رواه في من لا يحضره الفقيه، قال: روى سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث النخعي قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إنّ شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الأمم قبلنا، فقلت: فقول الله عزوجل: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم» قال: إنّما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم، ففضّل به هذه الأمة وجعل صيامه فرضاً على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعلى أمته(٤).

والصوم في اللغة: الإمساك عمّا تنازع النفس إليه، وفي الشرع: الإمساك عن

---

(١) الكافي: ج٧، ص٢٠، كتاب الوصايا، باب أن من حاف في الوصية فللوصي أن يردّها إلى الحق، ح١.

(٢) الكافي: ج٧، ص٢١، كتاب الوصايا، باب أن من حاف في الوصية فللوصي أن يردّها إلى الحق، ح٢.

(٣) الدعاء الخامس والأربعون، وكان من دعائه (عليه السلام) في وداع شهر رمضان.

(٤) الفقيه: ج٢، ص١٦١، باب ٢٨ فضل شهر رمضان و ثواب صيامه، ح١٤.

المفطرات، فإنّها معظم ما تشتهيه الأنفس. والخطاب في عليكم عام.

وفي تفسير العياشي: عن جميل بن درّاج قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزّوجلّ «كتب عليكم القتال» و «يا ايّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام» قال: فقال: هذه كلّها تجمع الضلّال والمنافقين وكلّ من أقر بالدعوة الظاهرة(١).

و أمّا ما رواه البرقي، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عزّوجلّ: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام» قال: هي للمؤمنين خاصة(٢).

فمعناه أن المؤمنين هم المنتفعون بها.

وفي كتاب الخصال: عن علي (عليه السلام) قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فسأله أعلمهم عن مسائل فكان فيما سأله أن قال: لأي شيء فرض الله الصوم على أُمتك بالنهار ثلاثين يوماً، و فرض على الأمم أكثر من ذلك؟ فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): إنّ آدم (عليه السلام) لمّا أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً، ففرض على ذريّته ثلاثين يوماً الجوع والعطش، والذين يأكلونه تفضّل من رحمة الله عليهم، و كذلك كان على آدم، ففرض الله تعالى ذلك على أُمّتي، ثم تلا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) هذه الآية: «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ٭ أياماً معدودات» قال اليهودي: صدقت يا محمد(٣).

و في الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن سيف بن عميرة، عن عبدالله، عن رجل، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لمّا حضر شهر رمضان، و ذلك في ثلاث بقين من شعبان قال لبلال: ناد في الناس، فجمع الناس ثم صعد

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٧٨، ح١٧٥.

(٢) رواه العياشي في تفسيره: ج١، ص٧٨، ح١٧٤، نقلاً عن البرقي.

(٣) كتاب الخصال: ص٥٣٠، أبواب الثلاثين وما فوقه، ح٦.

المنبر فحمدالله و أثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنّ هذا الشهر قد خصّكم به وحضركم، وهو سيد الشهور، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(١).

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ: المعاصي، فإنّ الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها.

وفي عيون الأخبار: في باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها أنّه سمعها من الرضا (عليه السلام): فإن قال: فلم أمر بالصوم؟ قيل: لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش فيستدلّوا على فقر الآخرة، وليكون الصائم خاشعاً ذليلاً مأجوراً محتسباً عارفاً صابراً على ما أصابه من الجوع والعطش، فيستوجب الثواب، مع ما فيه من الإنكسار عن الشهوات، وليكون ذلك واعظاً لهم في العاجل و رائضاً لهم على أداء ما كلّفهم، و دليلاً لهم في الآجل، و ليعرفوا شدّة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا فيؤدوا إليهم ما افترض الله تعالى في أموالهم، فإن قال: فلم جعل الصوم في شهر رمضان خاصة دون سائر الشهور؟ قيل: لأنّ شهر رمضان هوالشهر الذي أنزل الله تعالى فيه القرآن و فيه فرّق بين الحق والباطل، كما قال الله عزّوجل: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس و بيّنات من الهدى والفرقان» وفيه نبئ محمد (صلّى الله عليه وآله)، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، و فيها يفرق كلّ أمر حكيم، وهو رأس السنة، يقدّر فيها ما يكون في السنة من خير أوشرّ أو مضرّة أو منفعة أو رزق أو أجل، و لذلك سمّيت ليلة القدر. فإن قال: لم أمر بصوم شهر رمضان لا أقلّ من ذلك ولا أكثر؟ قيل: لأنّه قوّة العباد الذي يعم فيه القوي والضعيف. و إنّما أوجب الله تعالى الفرائض على أغلب الأشياء و أعظم القوى، ثم رخّص لأهل الضعف و رغّب أهل القوّة في الفضل، ولو كانوا يصلحون على أقلّ من ذلك لنقّصهم، ولو احتاجوا إلى أكثر من ذلك لزادهم.(٢)

---

(١) الكافي: ج٤، ص٦٧، كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل الصوم والصائم، ح٥.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ص١١٥، باب ٣٤، العلل التي ذكر الفضل بن شاذان، في آخرها أنه سمعها من الرضا (عليه السلام) علّة جعل الصوم في شهر رمضان دون سائر الشهور.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ١٨٤

أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ: موقتات بعدد معلوم و وقت معيّن، أو قلائل، فإنّ القليل من المال يعدّ عدّاً، والكثير يهال هيلاً.

و نصبها بإضمار صوموا، أو بـ (كما كتب) على الظرفيّة، أو بأنّه مفعول ثان له على السعة، وليس بالصيام، للفصل بينهما.

فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا: مرضاً يضرّه الصوم.

أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ: أو راكب سفر.

فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ: أي فعليه صوم عدد أيام المرض والسفر من أيام أُخر، وهذا على الوجوب.

في من لا يحضره الفقيه: روي عن الزهري أنه قال: قال لي علي بن الحسين (عليهما السلام): ونقل حديثاً طويلاً يقول فيه (عليه السلام): و أمّا صوم السفر و المرض فإنّ العامة اختلفت: فقال قوم: يصوم، و قال قوم: لا يصوم، وقال قوم: إن شاء صام و إن شاء أفطر. و أمّا نحن فنقول: يفطر في الحالتين جميعاً، فإن صام في السفر أو في حال المرض فعليه القضاء في ذلك، لأنّ الله عزّوجلّ يقول: «فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدّة من أيّام أُخر»(١).

وفي تفسير العياشي عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن حدّ

---

(١) الفقيه: ج٢، ص٤٨، باب وجوه الصوم، ح١.

المرض الذي يجب على صاحبه فيه الإفطار، كما يجب عليه في السفر في قوله: «ومن كان مريضاً أو على سفر»؟ قال: هو مؤتمن عليه مفوّض إليه، فإن وجد ضعفاً فليفطر، و إن وجد قوة فليصم، كان المريض على ما كان(١).

عن محمدبن مسلم عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لم يكن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يصوم في السفر تطوّعاً ولا فريضة، يكذبون على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، نزلت هذه الآية و رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكراع الغميم عند صلاة الفجر، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإناء فشرب، فأمر الناس أن يفطروا، وقال قوم: قد توجّه النهار ولو صمنا يومنا هذا، فسمّاهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) العصاة، فلم يزالوا يسمّون بذلك الاسم حتّى قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله)(٢).

وفي كتاب الخصال: عن أبي جعفر محمد، عن أبيه (عليهما السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إنّ الله تبارك و تعالى أهدى إليّ و إلى أُمتي هدية لم يهدها إلى أحد من الأمم كرامة من الله لنا، قالوا: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: الإفطار في السفر والتقصير في الصلاة، فمن لم يفعل ذلك فقد ردّ على الله هديته(٣).

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له: رجل صام في السفر، فقال: إن كان بلغه أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نهى عن ذلك فعليه القضاء، و إن لم يكن بلغه فلا شيء عليه(٤).

أبو علي الأشعري، عن محمدبن عبدالجبار، عن صفوان بن يحيى، عن عبدالله بن مسكان، عن ليث المرادي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إذا سافر الرجل

---

(١) تفسير العياشي: ج ١، ص٨١، ح١٨٨.

(٢) تفسير العياشي: ج ١، ص٨١، ح١٩٠.

(٣) الخصال: ج١، ص ١٢، باب الواحد، إنّ الله تبارك و تعالى أهدى إلى محمد (ص) و إلى أمته هدية لم يهدها إلى أحد من الأمم، ح٤٣.

(٤) الكافي: ج٤، ص١٢٨، كتاب الصيام، باب من صام في السفر بجهالة، ح١.

في شهر رمضان أفطر، و إن صامه بجهالة لم يقضه(١).

وفي من لا يحضره الفقيه: روى ابن بكير، عن زرارة قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) ما حدّ المرض الذي يفطر فيه الصائم و يدع الصلاة من قيام؟ قال: بل الإنسان على نفسه بصيرة، هو أعلم بما لا يطيقه(٢).

روى جميل بن دراج، عن الوليدبن صبيح قال: حممت يوماً بالمدينة في شهر رمضان، فبعث إليّ أبو عبدالله (عليه السلام) بقصعة فيها خل و زيت، وقال: افطر وصل و أنت قاعد(٣).

وفي رواية حريز، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: الصائم إذا خاف على عينيه من الرمد أفطر(٤).

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾: أي على الذين كانوا يطيقون الصوم فلم يطيقوه الآن، لمرض العطاش أو كبر، أوأفطروا لمرض أو سفر، ثم زال عذرهم و أطاقوا ولم يقضوا حتى دخل رمضان آخر.

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾: بمدّ من كل يوم.

في الكافي: محمدبن يحيى، عن محمدبن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن العلاء بن رزين، عن محمّدبن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عزّوجلّ: «و على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» قال: الشيخ الكبير والذي يأخذه العطاش(٥).

أحمدبن محمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله تعالى: «و على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» قال: الذين كانوا يطيقون الصوم فأصابهم كبر أو عطاش أو شبه ذلك، فعليهم بكلّ

---

(١) الكافي: ج٤، ص١٢٨، كتاب الصيام، باب من صام في السفر بجهالة، ح٢.

(٢) و (٣) الفقيه: ج٢، ص٨٣، باب ٤٠، حدّ المرض الذي يفطر صاحبه ح١ و ح٢.

(٤) الفقيه: ج٢، ص٨٤، باب ٤٠، حدّ المرض الذي يفطر صاحبه ح٥.

(٥) الكافي: ج٤، ص١١٦، كتاب الصيام، باب الشيخ والعجوز يضعفان عن الصوم، قطعة من حديث١.

شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥

يوم مدّ(١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» قال: من مرض في شهر رمضان فأفطر ثم صحّ فلم يقض ما فاته حتّى جاء شهر آخر، فعليه أن يقضي ويتصدّق عن كلّ يوم بمدّ من الطعام(٢).

وقرأ نافع وابن عامر بإضافة الفدية إلى الطعام وجمع المساكين(٣).

فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا: فزاد في الفدية.

فَهُوَ: أي التطوع، أو الخير.

خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ: أي صومكم على تقدير عدم المانع، وتكلّف الصوم على تقدير وجوده.

خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ: من الفدية، أو تطوّع الخير، أو منهما.

إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ: ما في الصوم من الفضيلة، وجوابه محذوف، أي اخترتموه، أو إن كنتم من أهل العلم والتدبر علمتم أن الصوم خير لكم من ذلك.

شَهۡرُ رَمَضَانَ: مبتدأ خبره ما بعده، أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: ذلكم شهر

---

(١) الكافي: ج٤، ص١١٦، كتاب الصيام، باب الشيخ والعجوز يضعفان عن الصوم، ح٥.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٦٦. (٣) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٧٢.

رمضان، أوبدل من الصيام على حذف المضاف، أي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان، و قرئ بالنصب على إضمار صوموا أو على أنّه بدل من (أيّاماً معدودات) أو مفعول (و أن تصوموا) وفيه ضعف.

و رمضان مصدر رمض إذا احترق، فأضيف إليه الشهر وجعل علماً له، ومنع من الصرف للعلميّة والألف والنون.

وفي الكافي: محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد ومحمدبن الحسين، عن محمدبن يحيى الخثعمي، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبدالله، عن أبيه (عليهما السلام) قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): لا تقولوا رمضان، ولكن قولوا: شهر رمضان، فإنكم لا تدرون ما رمضان(١).

عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد، عن أحمدبن محمد بن أبي نصر، عن هشام بن سالم، عن سعد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كنا عنده ثمانية رجال، فذكرنا رمضان فقال: لا تقولوا هذا رمضان ولا ذهب رمضان ولا جاء رمضان، فإنّ رمضان اسم من أسماء الله عزّوجلّ لا يجيئ ولا يذهب و إنّما يجيئ و يذهب الزائل، ولكن قولوا: شهر رمضان، فالشهر مضاف إلى الاسم، والاسم اسم الله عزّ ذكره، وهوالشهر الذي أُنزل فيه القرآن، جعله مثلاً وعيداً(٢).

ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ: الموصول بصلته خبراً لمبتدأ أو صفته والخبر «فمن شهد» أي أُنزل في شأنه القران وهو قوله «كتب عليكم الصيام» أو «أُنزل فيه القرآن» جملة واحدة إلى البيت المعمور ثم نزل.

في أُصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمدبن القاسم، عن محمدبن سليمان، عن داود، عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: «شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن» و إنّما أُنزل في عشرين سنة بين أوّله و آخره، فقال أبو عبدالله (عليه السلام): نزل القرآن جملة

---

(١) الكافي: ج٤، ص٦٩، كتاب الصيام، باب في النهي عن قول رمضان بلاشهر، ح١.

(٢) الكافي: ج٤، ص٦٩، كتاب الصيام، باب في النهي عن قول رمضان بلا شهر، ح٢.

واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة، ثم قال: قال النبي (صلّى الله عليه وآله): نزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من شهر رمضان، و أُنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، و أُنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، و أُنزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان، و أُنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان(١).

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن عمرو الشامي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: و نزل القرآن في أوّل ليلة من شهر رمضان، فاستقبل الشهر بالقرآن(٢).

و يمكن الجمع بين الخبرين، بحمل الإنزال جملة واحدة في ثلاث و عشرين إلى البيت المعمور، وحمل الإنزال في أوّل ليلة ابتداء إنزاله منجماً إلى الدنيا.

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، و علي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن محبوب، عن أبي حمزة، عن أبي يحيى، عن الأصبغ بن نباته قال: سمعت أميرالمؤمنين (عليه السلام) يقول: نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا وفي عدوّنا، و ثلث سنن و أمثال، وثلث فرائض و أحكام(٣).

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحجّال، عن علي بن عقبة، عن داود بن فرقد، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ القرآن نزل أربعة أرباع: ربع حلال، و ربع حرام، و ربع سنن و أحكام، و ربع خبر ما كان قبلكم، و نبأ ما يكون بعدكم، و فصل ما يكون بينكم(٤).

أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبدالجبّار، عن صفوان، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: نزل القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، وربع

---

(١) الكافي: ج٢، ص٦٢٨، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح٦.
(٢) الكافي: ج٤، ص٦٩، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، قطعة من حديث١.
(٣) الكافي: ج٢، ص٦٢٧، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح٢.
(٤) الكافي: ج٢، ص٦٢٧، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح٣.

في عدوّنا، وربع سنن وأحكام (أمثال)، وربع فرائض وأحكام(١).

والجمع بين الخبر الأوّل والثاني أنّ المراد بالخبر الأوّل أن ثلث القرآن فينا وفي عدوّنا بحسب بطونه، و أن كان بحسب ظاهر ألفاظه في شيء من السنن والأحكام والقصص وغير ذلك، و ثلثاه الآخران ليسا كذلك. والجمع بينه و بين الثالث بأنّ قائله أميرالمؤمنين (عليه السلام) وله الاختصاص ببعض الآيات، لم يشركه فيها باقي الأئمة (عليهم السلام)، و قائل الخبر الثالث أبو جعفر (عليه السلام)، و مراده (عليه السلام): أنّ الربع يشترك فيه كلّنا.

و روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمربن أُذينة، عن الفضل بن يسار قال: قلت: إنّ الناس يقولون: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، فقال: كذبوا أعداء الله، ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد(٢).

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾: حالان من القرآن، أي أُنزل وهو هداية للناس بإعجازه، وآيات واضحات مما يهدي إلى الحق و يفرق به بينه و بين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام.

وفي كتاب معاني الأخبار: بإسناده إلى ابن سنان وغيره، عمّن ذكره قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن القرآن والفرقان أهما شيئان أم شيء واحد؟ قال: فقال: القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به(٣).

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ﴾: في الفاء إشعار بأنّ الإنزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه.

﴿ٱلشَّهْرَ﴾: فيه وضع المظهر موضع المضمر، للتعظيم، نصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير على الا تساع.

وقيل: من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على أنّه مفعول به، كقولك شهدت

---

(١) الكافي: ج٢، ص٦٢٨، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح٤.

(٢) الكافي: ج٢، ص٦٣٠، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح١٣.

(٣) معاني الأخبار: ص ١٨٩، باب معنى القرآن والفرقان، ح١.

يوم الجمعة أي صلاتها.

في كتاب الخصال: فيما علّم أميرالمؤمنين (عليه السلام) أصحابه: ليس للعبد أن يخرج إلى سفر إذا حضر شهر رمضان، لقوله تعالى: «فمن شهد منكم الشهر فليصمه»(١).

وفي من لا يحضره الفقيه: و سأل عبيدبن زرارة أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزّوجلّ: «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» قال: ما أبينها، من شهد فليصمه ومن سافر فلا يصمه(٢).

روى الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن الرجل يدخل شهر رمضان وهو مقيم لا يريد براحاً(٣)، ثم يبدو له بعد ما يدخل شهر رمضان أن يسافر، فسكت، فسألته غير مرّة فقال: يقيم أفضل إلّا أن تكون له حاجة لا بدّ له من الخروج فيها، أو يتخوّف على ماله(٤).

وفي تفسير العياشي: عن الصباح بن سيابة قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): إنّ ابن يعقوب أمرني أن أسألك عن مسائل، فقال: وما هي؟ قال: يقول لك: إذا دخل شهر رمضان و أنا في منزلي ألي أن أسافر؟ قال: إنّ الله يقول: «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» ومن دخل عليه شهر رمضان وهو في أهله فليس له أن يسافر إلّا إلى الحج أو عمرة، أو في طلب مال يخاف تلفه(٥).

فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ: مخصص لسابقه، لأنّ المسافر والمريض ممّن شهد الشهر، و لعل تكريره لذلك.

يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ: أي يريد أن ييسّر عليكم

---

(١) الخصال: ص٦١٤، حديث الأربعمائة (علّم اميرالمؤمنين (عليه السلام) أصحابه في مجلس واحد).

(٢) الفقيه: ج٢، ص٩١، باب وجوب التقصير في الصوم في السفر، ح٢.

(٣) يقال: ما برح من مكانه أي لم يفارقه. مجمع البحرين: ج٢، ص٣٤٢، لغة (برح)

(٤) الفقيه: ج٢، ص٨٩، باب ٤٦، ما جاء في كراهية السفر في شهر رمضان، ح٢.

(٥) تفسير العياشي: ج١، ص٨٠، ح١٨٦.

ولا يعسّرعليكم، و لذلك أوجب الفطر للسفر والمرض.

وفي تفسير العياشي: عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عزّوجلّ: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» قال: اليسر عليٌّ، وفلان وفلان العسر، فمن كان من ولد آدم لم يدخل في ولاية فلان وفلان(١).

وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ: علل الفعل محذوف دلّ عليه ما سبق، أي شرع جملة ما ذكر من أمر الشاهد بالصوم، والمسافر والمريض بالإفطار، ومراعاة عدّة ما أفطر فيه لتكملوا العدّة إلىٰ آخرها على سبيل اللف، فإنّ قوله: «ولتكملوا» علّة الأمر بمراعاة العدّة، «ولكتبّروالله» علّة أمرالشاهد بالصوم، و«لعلكم تشكرون» علّة الأمر المسافر والمريض بالإفطار، أو لأفعال كلّ لفعله، أو معطوفة على علّة مقدرة، مثل ليسهل عليكم، أو لتعلموا ما تعملون ولتكموا، ويجوز أن يعطف على اليسر، أي يريد لكم لتكملوا، كقوله: «يريدون ليطفئوا» (٢).

والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه، و لذلك عدّي بـ (على) ومن جملته تكبير يوم الفطر، وقيل: المراد التكبير عندالإهلال.

و «ما» يحتمل المصدر والخبر، أي الذي هداكم إليه، وعن عاصم و لتكملوا بالتشديد(٣)

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمدبن إسماعيل، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق الدنيا في ستّة أيام ثم اختزلها(٤) عن أيّام السنة، والسنة ثلاثمائة و أبعة و خمسون يوماً، شعبان لا يتمّ أبداً، و رمضان لا ينقص والله أبداً، ولا تكون فريضة ناقصة،

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٨٢، ح١٩١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٢.

(٣) يقال: خزلته خزلاً من باب قتل اقتطعته ومنه الحديث: إنّ الله خلق الدنيا في ستّة أيام ثم اختزلها. مجمع البحرين: ج٥، ص٣٦٣، باب ما أوله الخاء.

(٤) أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ج١، ص١٠٢.

إنّ الله عزّوجلّ يقول: «ولتكملوا العدّة» و شوال تسعة وعشرون يوماً، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(١).

وفي تفسير العياشي: عن ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك مايتحدث به عندنا أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) صام تسعة وعشرين أكثر مما صام ثلاثين، أحق هذا؟ قال: ما خلق الله من هذا حرفاً، ما صامه النبي (صلّى الله عليه وآله) إلاّ ثلاثين، لأنّ الله يقول: «و لتكلموا العدّة» وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ينقصه!(٢).

وفي الكافي: علي بن محمد، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن خلف بن حماد، عن سعيد النقاش قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) لي: أمّا إنّ في الفطر تكبيراً ولكنّه مسنون، قال: قلت: و أين هو؟ قال: في ليلة الفطر في المغرب والعشاء الآخرة و في صلاة الفجر، وفي صلاة العيد ثم يقطع قال: قلت: كيف أقول؟ قال: تقول: الله اكبر الله اكبر، لا إله إلاّ الله والله أكبر، الله اكبر و لله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، و هو قول الله تعالى: «و لتكملوا العدّة ـ يعني الصيام ـ و لتكبّرو الله على ما هداكم»(٣).

وفي محاسن البرقي: عنه، عن بعض أصحابنا رفعه في قول الله: «ولتكبّروا الله على ماهداكم» قال: التكبير: التعظيم لله، والهداية: الولاية(٤).

عنه، عن بعض أصحابنا رفعه في قول الله: «ولتكبّروا الله على ما هداكم و لعلّكم تشكرون» قال: التكبير: التعظيم لله، والهداية: الولاية(٥).

عنه، عن بعض أصحابنا في قول الله تبارك و تعالى: «ولتكبّروا الله على ما

---

(١) الكافي: ج٤، ص٧٨، كتاب الصيام، باب نادر، ح٢.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص٨٢، ح١٩٤.

(٣) الكافي: ج٤، ص١٦٦، كتاب الصيام، باب التكبير ليلة الفطر و يومه، ح١.

(٤) المحاسن: كتاب الصفوة والنور والرحمة، ص١٤٢، باب ١٠، باب الولاية، ح٣٦.

(٥) الظاهر أنه مكرر و قد أثبتناه آنفاً من المحاسن، ص١٤٢، ح٣٦.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

هداكم و لعلّكم تشكرون» قال: الشكر: المعرفة(١).

وفي من لا يحضره الفقيه: وفي العلل التي روي عن الفضل بن شاذان النيشابوري رضي الله عنه و يذكر أنّه سمعها عن الرضا (عليه السلام): إنّه إنّما جعل يوم الفطر العيد، إلى أن قال: و إنّما جعل التكبير فيها أكثر منه في غيرها من الصلوات، لأنّ التكبير هو تمجيد لله، و تمجيد على ما هدى و عافى، كما قال عزّوجلّ: «ولتكبّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون»(٣/٢).

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ: فقل لهم: «إنّي قريب» وهو تمثيل لكمال علمه لأفعال العباد و أقوالهم و اطلاعه على أحوالهم، بحال من قرب مكانه منهم.

روي أنّ أعرابياً قال لرسول الله (صلّى الله عليه وآله): أقريب ربّنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت(٤).

أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ: تقريب للقرب، و وعد للداعي بالإجابة.

---

(١) تفسير نورالثقلين: ج١، ص١٧٠ ح٥٨٧.

(٢) الفقيه: ج١، باب ٧٩، صلاة العيدين، ص٣٣٠، قطعة من حديث٣٢.

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج٢، ص١١٦، باب ٣٤، العلل التي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها أنه سمعها من الرضا (عليه السلام).

(٤) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٧٨، في سبب نزول آية ١٨٦، من سورة البقرة (و إذا سألك عبادي الآية). وفي الدر المنثور: ج١، ص١٩٤، في تفسيرقوله: «فإني قريب».

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي: إذا دعوتهم للإيمان والطاعة، كما أُجيبهم إذا دعوني لمهمّاتهم.

وَلْيُؤْمِنُوا بِي: أمر بالدوام والثبات.

لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ: راجين إصابة الرشد، وهو إصابة الحق.

و قرئ بفتح الشين وكسرها.

وفي أُصول الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي عمر قال: قال لي أبو الحسن الرضا (عليه السلام): أخبرني عنك لو أني قلت لك قولاً، أكنت تثق به؟ فقلت له: جعلت فداك إذا لم أثق بقولك فبمن أثق، و انت حجة الله على خلقه؟ قال: فكن بالله أوثق، فإنّك موعد من الله أليس الله عزّوجلّ يقول: «و إذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان» وقال: «لا تقنطوا من رحمة الله»(١) وقال: «والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً»(٢) فكن بالله عزّوجلّ أوثق منك بغيره ولا تجعلوا في أنفسكم إلّا خيراً فإنّه مغفور بكم(٣)، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي روضة الكافي في خطبة طويلة مسندة لأمير المؤمنين (عليه السلام) يقول فيها: فاحترسوا من الله عزّوجلّ بكثرة الذكر، و اخشوا منه بالتقى، و تقرّبوا إليه بالطاعة، فإنّه قريب مجيب، قال الله تعالى: «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون» (٤).

وفي نهج البلاغة: قال (عليه السلام): ثم جَعَلَ يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمه و استمطرت شآبيب رحمته، فلا يقنطك إبطاء إجابته، فإن العطيّة على قدر النيّة، و ربّما أُخّرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل و أجزل لعطاء الآمل، و ربما سألته الشيء

---

(١) سورة الزمر: الآية ٥٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.

(٣) الكافي: ج٢، ص٤٨٨، كتاب الدعاء، باب من أبطأت عليه الإجابة، قطعة من حديث١.

(٤) الكافي: ج٨، ص٣٩٠، خطبة ٥٨٦، لأمير المؤمنين عليه السلام.

فلا تؤتاه و أُوتيت خيراً منه عاجلاً و آجلاً، و صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أُوتيته، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله و ينفى عنك و باله، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له(١).

وفيه قال (عليه السلام): إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة، فابدأ بمسألة الصلاة على النبي (صلّى الله عليه وآله) ثم أسأل حاجتك، فانّ الله اكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما و يمنع الأُخرى(٢).

وفي مجمع البيان: روي عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: (و ليؤمنوا بي) أي وليتحققوا أني قادر على إعطائهم ما سألوه (لعلّهم يرشدون) أي لعلّهم يصيبون الحق و يهتدون(٣).

و روى جابربن عبدالله قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إنّ العبد ليدعوا الله وهو يحبّه، فيقول: يا جبرئيل لا تقض لعبدي هذا حاجة و أخرّها، فإني أُحبّ أن لا أزال أسمع صوته، و إنّ العبد ليدعوا الله وهو يبغضه فيقول: يا جبرئيل اقض لعبدي هذا حاجته بإخلاصه و عجلّها أكره أن أسمع صوته(٤).

ثم بيّن أحكام الصوم، فقال:

ooo

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٩٩، ومن وصية له (عليه السلام) للحسن بن علي (عليه السلام) كتبها إليه (بحاضرين) عند انصرافه من صفين.

(٢) نهج البلاغة: ص٥٣٨، باب المختار من حكم أميرالمؤمنين (عليه السلام)، رقم ٣٦١.

(٣) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٧٨، في بيان المعنى لآية ١٨٦، من سورة البقرة، (و إذا سألك عبادي عني الآية).

(٤) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٧٩، في بيان المعنى لآية ١٨٦، من سورة البقرة، (و إذا سألك عبادي عني الآية).

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ: ليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائماً، والرفث كناية عن الجماع، لأنه لا يكاد يخلو من رفث، وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه وعدّي بـ (إلى) لتضمنه معنى الإفضاء، و إيثاره هنا، لتقبيح ما ارتكبوه، و لذلك سمّاه خيانة.

و قرئ الرفوث.

وفي كتاب الخصال: فيما علّم أميرالمؤمنين (عليه السلام) أصحابه من الأربعمائة باب، قال (عليه السلام): يستحبّ للرجل أن يأتي أهله أوّل ليلة من شهررمضان لقوله تعالى: «أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم» والرفث: المجامعة(١).

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد، عن القاسم بن يحيى، عن

(١) الخصال: ج٢، ص٦١٢، (علّم أميرالمؤمنين (عليه السلام) أصحابه في مجلس واحد أربع مائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه) ح١٠.

جدّه الحسن بن راشد، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: حدّثني أبي، عن جدّي، عن آبائه (عليهم السلام) أنّ علياً (صلوات الله عليه) قال: يستحب للرجل أن يأتي أهله، و ذكر كما في كتاب الخصال سواء(١).

وفي مجمع البيان: وروي عن أبي جعفر (عليه السلام) وأبي عبدالله عليه السلام كراهيّة الجماع في أوّل ليلة من كلّ شهر إلاّ أول ليلة من شهر رمضان فإنّه يستحبّ ذلك لمكان الآية(٢).

هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ: استئناف يبيّن سبب الإحلال، وهو قلّة الصبر عنهنّ وصعوبة اجتنابهنّ لكثرة المخالطة و شدّة الملابسة، ولمّا كان الرجل والمرأة يعتنقان و يشتمل كل منهما على صاحبه، شبّه باللباس، أو لأنّ كلّ واحد منهما يستر صاحبه و يمنعه عن الفجور.

عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ: تظلمونها بتعريضها للعقاب و تنقيص حظّها من الثواب.

والإختيان أبلغ من الخيانة، كالإكتساب من الكسب.

فَتَابَ عَلَيْكُمْ: لمّا تبتم ممّا اقترفتموه.

وَعَفَا عَنكُمْ: و محاعنكم أثره.

فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ: لمّا نسخ عنكم التحريم. والمباشرة: إلزاق البشرة بالبشرة، كنّى به عن الجماع.

وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ: واطلبوا ما قدّر لكم و أثبته في اللوح من الولد.

وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ: شبّه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأُفق وما يمتد معه من غلس الليل، بخيطين أبيض و أسود، و اكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله: «من الفجر»

---

(١) الكافي: ج٤، ص١٨٠، كتاب الصيام، باب النوادر، ح٣.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٨٠، في بيان المعنى لآية ١٨٧، من سورة البقرة، «أحل لكم ليلة الصيام الآية».

عن بيان الخيط الأسود، لدلالته عليه، و بذلك خرجا من الإستعارة إلى التمثيل، و يجوز أن يكون «من» للتبعيض، فإنّ ما يبدو بعض الفجر.

وفي الكافي: محمدبن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، و أحمدبن إدريس، عن محمدبن عبدالجبار جميعاً عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما (عليهما السلام) في قول الله عزّوجل: «أُحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم» الآية فقال: نزلت في خوات بن جبير الأنصاري(١) وكان مع النبي (صلّى الله عليه وآله) في الخندق وهو صائم فأمسى وهو على تلك الحال، و كانوا قبل أن تنزل هذه الآية إذا نام أحدهم حرم عليه الطعام والشراب، فجاء خوات إلى أهله حين أمسى فقال: هل عندكم طعام؟ قالوا: لا تنم حتّى نصلح لك طعاماً، فاتكى فنام فقالوا له: قد فعلت قال: نعم، فبات على تلك الحال فأصبح ثم غدا إلى الخندق، فجعل يغشى عليه، فمرّ به رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فلمّا رأى الذي أخبره كيف كان أمره، فأنزل الله عزّوجلّ فيه الآية «كلوا واشربوا حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر»(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي رفعه قال: قال الصادق (عليه السلام): كان النكاح والأكل محرّمان في شهر رمضان بالليل بعد النوم، يعني كلّ من صلّى العشاء و نام ولم يفطر ثم انتبه حرم عليه الإفطار، وكان النكاح حراماً بالليل والنهار في شهر رمضان، وكان رجل من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقال له خوات بن جبير أخو عبدالله بن جبير الذي كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكلّه بفم الشعب يوم أُحد في خمسين من الرماة ففارقه أصحابه، بقي في اثني عشر رجلاً فقتل على باب الشعب، وكان أخوه هذا خوات بن جبير شيخاً كبيراً ضعيفاً، وكان صائماً فأبطأت عليه أهله بالطعام فنام قبل أن يفطر، فلما انتبه قال لأهله: قد حرم

---

(١) خوات بتشديد الواو والتاء المنقطة بعد الألف ـ ابن جبير بضم الجيم بدري ومن أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ تنقيح المقال: ج١، ص٤٠٣.

(٢) الكافي: ج٤، ص٩٨، كتاب الصيام، باب الفجر ما هو ومتى يحل ومتى يحرم الاكل، ح٤.

عليّ الأكل في هذه الليلة، فلمّا اصبح حفر الخندق فأغمي عليه، فرآه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فرقّ له، وكان قوم من الشبان ينكحون بالليل سرّاً في شهر رمضان فأنزل الله: «اُحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هنّ لباس لكم و أنتم لباس لهنّ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهنّ وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل» فأحل الله تبارك وتعالى النكاح بالليل في شهر رمضان، والأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر، لقوله حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، قال: هو بياض النهار في سواد الليل(١).

و في من لا يحضره الفقيه: و سئل الصادق (عليه السلام) عن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر؟ فقال: بياض النهار من سواد الليل(٢).

وقال في خبر آخر: هوالفجر الذي لا شك فيه(٣).

وفي الكافي: علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن علي بن مهزيار قال: كتب أبوالحسن بن الحصين إلى أبي جعفر الثاني (عليه السلام) معي: جعلت فداك قد اختلفت مواليك في صلاة الفجر فنهم من يصلّي إذا طلع الفجر الأوّل المستطيل في السماء، ومنهم من يصلّي إذا اعترض مع أسفل الأفق و استبان، ولست أعرف أفضل الوقتين فأُصلّي فيه، فإن رأيت أن تعلّمني أفضل الوقتين و تحدّه لي، وكيف أصنع مع القمر والفجر لا يتبيّن معه حتّى يحمرّ و يصبح، وكيف أصنع مع الغيم، وما حدّ ذلك في السفر والحضر فعلت إن شاء الله؟ فكتب (عليه السلام) بخطه و قرأته: الفجر ـ يرحمك الله ـ هوالخيط الأبيض المعترض، ليس هوالأبيض صعداً، فلا تصلّ في سفر ولا حضر حتّى تتبيّنه، فإنّ الله تبارك و تعالى لم يجعل خلقه في

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٦٦، في تفسيره لقوله (شهر رمضان الآية).

(٢) الفقيه: ج٢، ص٨٢، باب ٣٩، الوقت الذي يحرم فيه الأكل والشرب على الصائم و تحل فيه صلاة الغداة، ح٣.

(٣) الفقيه: ج٢، ص٨٢، باب ٣٩، الوقت الذي يحرم فيه الأكل والشرب على الصائم و تحل فيه صلاة الغداة، ح٤.

شبهة من هذا، فقال: «كلوا واشربوا حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» فالخيط الأبيض هوالمعترض الذي يحرم به الأكل والشرب في الصوم، وكذلك هوالذي يوجب به الصلاة(١).

محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران قال: سألته عن رجلين قاما فنظرا إلى الفجر فقال أحدهما: هوذا، وقال الآخر: ما أرىٰ شيئاً، قال: فليأكل الذي لم يستبين له الفجر، وقد حرم على الذي زعم أنّه رأى الفجر إنّ الله يقول: «وكلوا و اشربوا حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر»(٢).

﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾: بيان آخر وقته وإخراج الليل عنه، فينفي صوم الوصال.

وفي الكافي: محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة قال: سألته عن قوم صاموا شهر رمضان فغشيهم سحاب أسود عند غروب الشمس فظنّوا انّه ليل فافطروا، ثم إنّ السحاب انجلى فإذا الشمس، فقال: على الذي أفطر صيام ذلك اليوم، إنّ الله عزّوجلّ يقول: «ثم أتمّوا الصيام إلى الليل» فمن أكل قبل أن يدخل الليل فعليه قضاؤه لأنّه أكل متعمّداً(٣).

وفي تفسير العياشي: القاسم بن سليمان، عن جراح، عنه قال: قال الله: «ثم أتمّوا الصيام إلى الليل» يعني صوم رمضان فمن رأى هلال شوال بالنهار فليتمّ صيامه(٤).

﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾: معتكفون فيها.

والاعتكاف: هواللبث في المسجد بقصد القربة، والمراد بالمباشرة، الوطء، وعن

---

(١) الكافي: ج٣، ص٢٨٢، كتاب الصلاة باب وقت الفجر، ح١.

(٢) الكافي: ج٤، ص٩٧، كتاب الصيام باب من أكل أو شرب وهو شاك في الفجر أو بعد طلوعه ح٧.

(٣) الكافي: ج٤، ص١٠٠، كتاب الصيام باب من ظن أنه ليل فأفطر قبل الليل، ح١.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص٨٤، ح٢٠١.

قتادة: كان الرجل يعتكف فيخرج إلى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك(١).

وفي كتاب الخصال: عن موسى بن جعفر، عن أبيه جعفربن محمد (عليهم السلام) أنّه قال: سئل أبي عمّا حرّم الله تعالى من الفروج في القرآن، وعمّا حرّمه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في سنّته؟ فقال: الذي حرّم الله من ذلك أربعة و ثلاثون وجهاً، سبعة عشر في القرآن، و سبعة عشر في السنّة، فأمّا التي في القرآن فالزنا.. إلى قوله (عليه السلام): والنكاح في الاعتكاف لقوله تعالى: «ولا تباشروهنّ و أنتم عاكفون في المساجد»(٢).

وفي الكافي:عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن عمربن يزيد قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): ما تقول في الاعتكاف ببغداد في بعض مساجدها؟ فقال: لا اعتكاف إلاّ في مسجد جماعة صلّى فيه إمام عدل بصلاة جماعة، ولا بأس أن يعتكف في مسجد الكوفة والبصرة ومسجد المدينة ومسجد مكة(٣).

سهل بن زياد، عن أحمدبن محمد، عن داود بن سرحان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لا اعتكاف إلاّ في العشرين من شهر رمضان، وقال: إنّ علياً (عليه السلام) كان يقول: لا أرى الاعتكاف إلاّ في المسجد الحرام، أو مسجد الرسول، أو مسجد جامع، ولا ينبغي للمعتكف أن يخرج من المسجد إلاّ لحاجة لابد منها ثم لا يجلس حتّى يرجع، والمرأة مثل ذلك(٤).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله قال: سئل عن الاعتكاف؟ قال: لا يصلح الاعتكاف إلاّ في المسجد الحرام، أو مسجدالرسول (صلّى الله عليه وآله)، أو مسجد الكوفة، أو مسجد جماعة،

(١) تفسير الكشاف: ج١، ص٢٣٢.

(٢) الخصال: ج٢، ص٥٣٢، ابواب الثلاثين وما فوقه (الفروج المحرمة في الكتاب والسنة...) ح١٠.

(٣و٤) الكافي: ج٤، ص١٧٦، كتاب الصيام، باب المساجد التي يصلح الاعتكاف فيها، ح١ و ح٢.

وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨

و تصوم ما دمت معتكفاً(١).

واعلم أنّه ينبغي حمل مسجد الجماعة في الأخبار التي وقع فيها على مسجد جمع فيه الإمام العدل، ليطابق الخبر الأول.

تِلْكَ: أي الأحكام التي ذكرت.

حُدُودُ ٱللَّهِ: حدود قررها الله.

فَلَا تَقْرَبُوهَا: نهى أن يقرب الحدّ الحاجز بين الحق والباطل، لئلّا يداني الباطل، فضلاً عن أن يتخطّى.

كما قال (عليه السلام): إنّ لكل ملك حمى، و إن حمى الله محارمه، فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه(٢)، وهو أبلغ من قوله: «فلا تعتدوها»(٣).

و يجوز أن يريد بـ «حدود الله» محارمه و مناهيه.

كَذَٰلِكَ: مثل ذلك التبيين.

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ: مخالفة الأوامر والنواهي.

وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ: أي ولا يأكل بعضكم مال بعض

---

(١) الكافي: ج٤، ص١٧٦، كتاب الصيام، باب المساجد التي يصلح الاعتكاف فيها، ح٣.

(٢) رواه أصحاب الصحاح والسنن مع تقديم و تأخير في بعض الجملات، لاحظ مسند أحمد بن حنبل: ج٤، ص٢٦٧، و ٢٦٩، و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٥.

وفي الوسائل: ج١٨، ص١١٢، كتاب القضاء، الباب ١٢، من ابواب صفات القاضي، ح٣٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

بالوجه الذي لم يبحه الله.

و (بين) نصب على الظرف، أوالحال من الأموال.

وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ: عطف على المنهي، أو نصب باضمار (أن)، و الإدلاء: الإلقاء، أي ولا تلقوا حكومتها إلى حكّام الجور.

لِتَأْكُلُواْ: بالتحاكم

فَرِيقًا: طائفة.

مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ: بما يوجب إثماً، كشهادة الزور، أواليمين الكاذبة، أو متلبّسين بالإثم.

وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ: أنكم مبطلون، فإنّ ارتكاب المعصية مع العلم بها أقبح.

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن زيادبن عيسى قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزّوجلّ: «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» فقال: كانت قريش يتقامر الرجل بأهله وماله فنهاهم الله عن ذلك (١).

محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن عبدالله بن بحر، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) قول الله عزّوجل في كتابه «و لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل و تدلوا بها إلى الحكام» فقال: يا أبا بصير إنّ الله عزّوجلّ قد علم أنّ في الأمة حكّاماً يجورون، أمّا إنّه لم يعن حكّام أهل العدل، ولكّنه عنى حكّام أهل الجور(٢).

وفي تفسير العياشي: عن الحسن بن علي قال: قرأت في كتاب أبي الأسد إلى أبي الحسن الثاني (عليه السلام) وجوابه بخطه، سأل ما تفسير قوله تعالى: «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل و تدلوا بها إلى الحكام»؟ قال: فكتب إليه: الحكام

---

(١) الكافي: ج٥، ص١٢٢، كتاب المعيشة، باب القمار والنهبة، ح١.

(٢) الكافي: ج٧، ص٤١١، كتاب القضاء والأحكام، باب كراهية الإرتفاع إلى قضاة الجور، قطعة من حديث: ٣.

يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩

القضاة، ثم كتب تحته: هو أن يعلم الرجل أنّه ظالم عاص فيحكم له القاضي، فهو غير معذور في أخذه ذلك الذي حكم له به إذا كان قد علم أنّه ظالم(١).

وفي من لا يحضره الفقيه: روى سماعة بن مهران قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): الرجل منا يكون عنده الشيء يَتَبَلَّغُ به وعليه الدين، أيطعمه عياله حتّى يأتيه الله عزّوجلّ بميسرة فيقضي دينه، أو يستقرض على ظهره في خبث الزمان و شدّة المكاسب، أو يقبل الصدقة؟ فقال: يقضي بما عنده دينه ولا يأكل أموال الناس إلّا وعنده ما يؤدي اليهم، إنّ الله عزّوجلّ يقول: «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل»(٢).

وفي مجمع البيان: و روي عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه يعني بالباطل اليمين الكاذبة يقتطع بها الأموال(٣).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية» فإنّه قال العالم (عليه السلام): علم الله أن يكون حكّام يحكمون بغير الحق، فنهى أن يحاكم إليهم، لأنّهم لا يحكمون بالحق، فتبطل الأموال(٤).

يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ: سأله معاذ بن جبل و ثعلبة بن غنمة فقالا: ما بال

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٨٥، ح٢٠٦.

(٢) الفقيه: ج٣، ص١١٢، باب ٦٠، الدين والقروض، ح١٢.

(٣) مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص٢٨٢.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٦٧.

الهلال يبدو دقيقاً كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا؟(١).

﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾: إنّهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر و تبدّل أمره، فأمره الله أن يجيب بأنّ الحكمة الظاهرة في ذلك أن يكون معالم للناس يوقتون بها أمورهم، و معالم للعبادات المؤقّتة يعرف بها أوقاتها وخصوصاً الحج فإنّ الوقت مراعى فيه أداءً و قضاءً.

والمواقيت: جمع ميقات من الوقت، والفرق بينه و بين المدّة والزمان، أن المدّة المطلقة إمتداد حركة الفلك من مبدأها إلى منتهاها، والزمان مدّة مقسومة، والوقت: الزمان المفروض لأمر.

وفي تهذيب الأحكام: علي بن حسن بن فضال قال: حدّثني محمدبن عبدالله بن زرارة، عن محمدبن أبي عمير، عن حمّادبن عثمان، عن عبدالله بن علي الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن الأهلّة؟ قال: هي أهلّة الشهور، فإذا رأيت الهلال فصم، و إذا رأيته فافطر(٢).

علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن محمدبن سنان، عن أبي الجارود زيادبن المنذر العبدي قال: سمعت أبا جعفر محمدبن علي (عليهما السلام) يقول: صم حين يصوم الناس، وأفطر حين يفطرالناس، فإنّ الله عزّوجلّ جعل الأهلّة مواقيت(٣).

أبوالحسن محمدبن أحمدبن داود قال: أخبرنا أحمدبن محمدبن سعيد،عن أبي الحسن بن القاسم، عن علي بن إبراهيم قال: حدّثني أحمدبن عيسى بن عبدالله، عن عبدالله بن علي بن الحسن، عن أبيه، عن جعفربن محمد (عليهما السلام) في قول الله

---

(١) الدرالمنثور: ج١، ص٤٩٠، في تفسيره لقوله تعالى (يسألونك عن الأهلة).

(٢) التهذيب: ج٤، ص١٦١، باب ٤١، علامة أوّل شهر رمضان وآخره ودليل دخوله، قطعة من حديث٢٧.

(٣) التهذيب: ج٤، ص١٦١، باب ٤١، علامة أول شهر رمضان وآخره ودليل دخوله، ح٢٧.

عزّوجلّ: «قل هي مواقيت للناس والحج» قال: لصومهم و فطرهم و حجّهم(١).

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ﴾: وجه اتصاله بما قبله: أنّهم سألوا عن الأمرين(٢) أو أنه لما سألوا عمّا لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة، و تركوا السؤال عمّا يعنونه و يختصّ بعلم النبوّة، عقّب بذكره جواب ما سألوه تنبيهاً على أنّ اللائق لهم أن يسألوا أمثال ذلك و يهتمّوا بالعلم بها. أو أنّ المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال و تمثيلهم بحال من ترك باب البيت و دخل من ورائه. والمعنى: وليس البرّ أن تعكسوا في مسائلكم، ولكنّ البرّ من اتق ذلك ولم يجر على مثله.

﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾: إذ ليس في العدول برّ.

في مجمع البيان: فيه وجوه:

أحدها: أنّه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من أبوابها و لكنّهم كانوا يتنقبون في ظهور بيوتهم، أي في مؤخرها نقباً يدخلون و يخرجون منه، فنهوا عن التدين بذلك، رواه أبوالجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام).

وثانيها: أن معناه ليس البرّ بأن تأتوا البيوت من غير جهاتها، وينبغي أن تؤتى الأُمور من جهاتها، أي الأُمور كان، وهوالمروي عن جابر، عن أبي جعفر(عليه السلام) وقال ابوجعفر (عليه السلام): آل محمد أبواب الله و سبله والدعاة إلى الجنة والقادة إليها والأدلاء عليها إلى يوم القيامة.

وقال النبي (صلّى الله عليه وآله): أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولا تؤتى المدينة إلّا من بابها.

و يروى: أنا مدينة الحكمة(٣).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي(رحمةالله): عن الأصبغ بن نباته قال: كنت

---

(١) التهذيب: ج٤، ص١٦٦، باب ٤١، علامة أول شهر رمضان وآخره ودليل دخوله، ح٤٤.

(٢) أي الأهلة و إتيان البيوت من ظهورها.

(٣) إلى هنا كلام مجمع البيان: لاحظ ج١ - ٢، ص٢٨٤.

عند أميرالمؤمنين (عليه السلام) إذ جاءه ابن الكواء فقال: يا أميرالمؤمنين مَنْ البيوت في قول الله عزّوجلّ: (ليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها، ولكن البرّ من اتقى و اتوا البيوت من أبوابها) فقال (عليه السلام): نحن البيوت التي أمر الله بها أن تؤتى من أبوابها، نحن باب الله و بيوته التي يؤتى منها، فن تابَعَنا و أقر بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها، ومن خالفنا و فضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها، انّ الله عزّوجلّ لوشاء عرّف الناس نفسه حتى يعرفونه و يأتونه من بابه، ولكن جلعنا أبوابه وصراطه وسبيله و بابه الذي يؤتى منه، قال: فمن عدل عن ولايتنا وفضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها وإنّهم عن الصراط لنا كبون(١).

و عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل، وفيه: وقد جعل الله للعلم أهلاً و فرض على العباد طاعتهم بقوله: «و اتوا البيوت من أبوابها» والبيوت هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء و أبوابها أوصياؤهم(٢).

وفي تفسير العياشي: عن سعد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن هذه الآية «وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرّ من اتقى و آتوا البيوت من أبوابها»؟ فقال: آل محمد أبواب الله و سبله والدعاة إلى الجنّة والقادة إليها والأدلّاء عليها إلى يوم القيامة(٣).

و يؤيّده ما رواه محمدبن يعقوب رحمه الله، عن علي، عن محمدبن جمهور، عن سليمان بن سماعة، عن عبدالله القاسم، عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): الأوصياء هم أبواب الله عزّوجلّ التي يؤتى منها، ولولا هم ما عرف الله عزّوجلّ، و بهم احتج الله تبارك و تعالى على خلقه(٤).

---

(١) الاحتجاج: ج١، ص٢٢٧، احتجاجه على بعض اليهود وغيره في أنواع شتى من العلوم و أسقط بعد كلمة (من ظهورها) أسطراً فلاحظ.

(٢) تفسير نورالثقلين: ج١، ص١٧٧.

(٣) تفسيرالعياشي: ج١، ص٨٦، ح٢١٠.

(٤) الكافي: ج١، ص١٩٣، كتاب الحجة باب أن الأئمة (عليهم السلام) خلفاء الله عزّوجلّ في أرضه و أبوابه التي منها يؤتى، ح٢.

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠

و روي في معنى من يأتي البيوت من غير أبوابها ما رواه أبوعمر الزاهد في كتابه بإسناده إلى محمدبن مسلم عن أحدهما (عليهما السلام) قال: قلت له: إنّا نرى الرجل من المخالفين عليكم له عبادة و اجتهاد وخشوع فهل ينفعه ذلك؟ فقال: يا أبا محمد إنّما مثلهم كمثل أهل بيت في بني إسرائيل كان إذا اجتهد أحد منهم أربعين ليلة و دعا الله أُجيب، و إنّ رجلاً منهم اجتهد أربعين ليلة ثم دعا الله فلم يستجب له، فأتى عيسى بن مريم (عليه السلام) يشكو إليه ما هو فيه، و يسأله الدعاء له قال: فتطهّر عيسى (عليه السلام) ثم دعا الله، فأوحى الله إليه: يا عيسى إنّه أتاني من غير الباب الذي أُوتى منه، إنّه دعاني وفي قلبه شك منك، فلو دعاني حتّى ينقطع عنقه و تنتشر أنامله ما استجبت له، قال: فالتفت عيسى (عليه السلام) وقال: تدعو ربك وفي قلبك شك من نبيّه؟ فقال: يا روح الله وكلمته قد كان ما قلت، فأسأل الله أن يذهب به عني، فدعا له عيسى (عليه السلام)، فتقبل الله فيه و صار الرجل من جملة أهل بيته، و كذلك نحن أهل البيت لا يقبل الله عمل عبد و هو يشك فينا(١).

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ: في تغيير أحكامه.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ: لكي تظفروا بالهدى والبرّ.

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ: جاهدوا لإعلاء كلمته وإعزاز دينه.

ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ: قيل: كان ذلك قبل أن يأمروا بقتال المشركين كافة، المقاتل منهم والمحاجز، وقيل: معناه الذين يناصبونكم القتال و يتوقع منهم القتال

---

(١) لم نعثر عليه.

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾

دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء، أوالكفرة كلّهم، فإنّهم بصدد قتال المسلمين و على قصده.

وفي مجمع البيـان: المروي عن أئمتنـا (عليهم السلام): أنّ هذه الآية ناسخة لقوله تعالى «كفّوا أيديكم»(١) و كذلك قوله: «واقتلوهم حيث ثقفتموهم» ناسخ لقوله «ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم»(٢/٣).

وَلَا تَعْتَدُوٓا۟: بابتداء القتـال، أو بقتال المعاهـد، أوالمفاجأة من غير دعوة، أوالمثلة، أو قتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ: لا يريد بهم الخير.

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ: حيث وجدتموهم في حلّ أو حرم.

و أصل الثقـف: الحذق في إدراك الشيء علـماً كان أو عـملاً، فهـو يتضمّن معنى الغلبة، و لذلك استعمل فيها قال:

فإمّا تثقفوني فـاقتلوني ... فمَن اثقفْ فليس إلى خلود(٤)

(١) سورة النساء: الآية ٧٧.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤٨.

(٣) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٨٥، في ذيل آية ١٩٠.

(٤) لم يسم قائله. (إما) هي (إن) الشرطية أدغمت نونها في (ما) الزائدة للتنصيص على التعميم، ←

وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ :أي مكّة، وقد فعل ذلك لمن لم يؤمن يوم الفتح.

وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ: أي المحنة التي يفتتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل، لدوام تعبها و تألّم النفس بها.

وقيل: معناه شركهم في الحرم وصدّهم إيّاكم عنه أشدّ من قتلكم إيّاهم فيه.

وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ: أي لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد.

فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ : فلا تبالوا بقتالهم ثمّة، فانّهم الذين هتكوا حرمته.

و قرأ حمزة والكسائي: ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم(١)، والمعنى حتى يقتلوا بعضهم.

كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ: مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا.

فَإِنِ انتَهَوْا: عن القتال والكفر.

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ: يغفر لهم ما قد سلف.

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ: شرك .

وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ: خالصاً ليس للشيطان فيه نصيب.

وفي مجمع البيان: وفي الآية دلالة على وجوب إخراج الكفار من مكّة، لقوله (حتّى لا تكون فتنة)، والسنّة أيضاً قد وردت بذلك، وهو قوله (عليه السلام): لا يجتمع في جزيرة العرب دينان(٢)

والثقف: القبض والضبط، ومنه الثقاف وهوالآلة التى تعض الرماح و تقبضها لتقومها، يقول: إن تدركونى في أي وقت و تغلبوني فاقتلوني فإنّ من أدركني منكم ليس مجاباً أومنتهياً إلى خلود، بل لابد من قتله. هذا من الإشاحة والجد في القتال وقطع أطماع الصلح من البال: هامش تفسير الكشاف، ج١، ص٢٣٦.

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٨٥.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٨٦، ذيل آية ١٩١، و نحو هذا الحديث ما ورد في مسند أحمدبن ←

﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ﴾ عن الشرك
﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: أي لا تعتدوا عليهم، إذ لا يحسن الظلم إلّا على من ظلم، فوضع العلّة موضع الحكم وسمّى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة، أو إنكم إن تعرّضتم للمنتهين صرتم ظالمين و يحسن العدوان عليكم.

والفاء الأولى للتعقيب، والثانية للجزاء.

وفي تفسير العياشي: عن الحسين بياع الهروي يرفعه عن أحدهما (عليهما السلام) في قوله: «لا عدوان إلّا على الظالمين» قال: إلّا على ذرية قتلة الحسين (عليه السلام)(١).

علي بن إبراهيم قال: أخبرني من رواه عن أحدهما (عليهما السلام) قال: قلت: «لا عدوان إلّا على الظالمين» قال: لا يعتدي الله على أحد إلّا على نسل قتلة الحسين (عليه السلام)(٢).

وفي هذا الخبر إشكال بحسب المعنى، لأنّه إن أُريد بالاعتداء الزيادة في العذاب على قدر العمل، لا يجوز إسناده إلى الله عزّوجلّ، لأنّه عدل لا يجور، و إن أُريد مجازاة العمل القبيح لا يختصّ بذريّة قتلة الحسين (عليه السلام). وأيضاً الإشكال في مؤاخذة ذريّة قتلة الحسين (عليه السّلام) بأعمال آبائهم.

و يمكن أن يقال:

المراد بالاعتداء: العذاب الغليظ المتجاوز عمّا يحيط به العقل، و ذلك بسبب شدة قبح أعمال آبائهم، والقبيح عنهم الرضا بفعال أسلافهم وعدم اللعن عليهم في ليلهم و نهارهم، و قبيح عمل غيرهم ليس بهذه المثابة و إن كان ملحقاً بهم ومن جملتهم، فيحسن الاعتداء بهذا المعنى عليه أيضاً.

حنبل: ج٦، ص٢٧٥، إليك نص الحديث (عن عائشة قالت: كان آخر ما عهد رسول الله (صلّى الله عليه (آله) وسلم) أن قال: لا يترك بجزيرة العرب دينان.

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٨٦، ح٢١٤.

(٢) تفسيرالعياشي: ج١، ص٨٧، ح١١٦، وفيه (عن إبراهيم) بدل (علي بن إبراهيم).

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ: قيل: قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة، واتّفق خروجهم لعمرة القضاء فيه، فكرهوا أن يقاتلوهم فيه، لحرمته، فقيل لهم: هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به.

وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ: أي كل حرمة يجرى فيها القصاص، فلمّا هتكوا حرمة شهركم بالصّد فافعلوا مثله.

وفي مجمع البيان: والحرمات قصاص قيل فيه قولان: أحدهما: أنّ الحرمات قصاص بالمراغمة بدخول البيت في الشهر الحرام، قال مجاهد: لأنّ قريشاً فخرت بردها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عام الحديبيّة محرماً في ذي القعدة من البلد الحرام، فأدخله عزّوجلّ مكة في العام المقبل في ذي القعدة فقضى عمرته، و اقتصّه بما حيل بينه و بينه، قال: و روي عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله(١).

وفي تفسير العياشي: عن العلا بن فضيل قال: سألته عن المشركين أيبتدء بهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام؟ فقال: إذا كان المشركون ابتدؤهم باستحلالهم ثم رأى المسلمون أنّهم يظهرون عليهم فيه، و ذلك قوله: «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص»(٢).

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٨٧، في بيان المعنى للآية ١٩٤، من سورة البقرة (الشهر الحرام بالشهر الحرام).

(٢) تفسير العياشي: ج١ - ٢، ص٨٦، ح٢١٥.

فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ: في الحرم

فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ: في الحرم.

وفي تهذيب الأحكام: موسى بن القاسم، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت: فرجل قتل رجلاً في الحرم وسرق في الحرم، فقال: يقام عليه الحدّ وصغار له، لانّه لم ير للحرم حرمة، وقد قال الله تعالى: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» يعني في الحرم، وقال «فلاعدوان إلاّ على الظالمين»(١).

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ: في الانتصار ولا تعتدوا إلى ما لم يرخّص لكم.

وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ: فيحرسهم و يصلح شأنهم.

وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ: ولا تمسكوا كلّ الإمساك.

وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ: بالإسراف وتضييع وجه المعاش، أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه، فإنّه يقوّي العدو و يسلّطهم على إهلاككم، أو بالإمساك وحب المال، فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد، ولذا سمّي البخل هلاكاً. وهو في الأصل انتهاء الشيء في الفساد.

والإلقاء: طرح الشيئ، وعدّي بإلى لتضمّن معنى الإنتهاء، والباء مزيدة.

والمراد بالأيدي: الأنفس.

والتهلكة والهلاك والهلك واحد، فهي مصدر كالتصرة والتسرة(٢) أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك، وقيل معناه: لا تجعلوها آخذة بأيديكم، أولا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها، فحذف المفعول.

وَأَحْسِنُوٓاْ أعمالكم و أخلاقكم و تفضلوا على المحاويج.

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ: و يجازيهم أحسن جزاء الإحسان

وفى الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد، و سهل بن زياد، عن ابن

---

(١) التهذيب: ج٥، ص٤١٩، باب ٢٦ من الزيادات في فقه الحج، قطعة من حديث١٠٢.

(٢) ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم: (التضرة والتسرة) و نحوها في الأعيان التنضبة والتنفلة. الكشاف: ج١، ص٢٣٨، في تفسير الآية ١٩٥، من سورة البقرة.

محبوب، عن يونس بن يعقوب، عن حماد اللحام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو أنّ رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل من سبيل الله ما كان أحسن ولا وفّق، أليس يقول الله: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة و أحسنوا إنّ الله يحب المحسنين» يعني المقتصدين(١).

وفي عيون الأخبار في باب ذكر مولد الرضا (عليه السلام): ملك عبدالله المأمون عشرين سنة و ثلاثة و عشرين يوماً، فأخذ البيعة في ملكه لعلي بن موسى الرضا (عليهما السلام) بعهد المسلمين من غير رضاه، و ذلك بعد أن تهدده بالقتل و ألح عليه مرّة بعد أخرى في كلّها يأتي عليه حتى أشرف من تأبيه على الهلاك، فقال (عليه السلام): اللهم إنّك قد نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى التهلكة وقد أُكرهت و اضطررت، كما أشرفت من قبل عبدالله المأمون على القتل متى لم أقبل ولاية عهده، وقد أكرهت و اضطررت كما اضطر يوسف و دانيال (عليهما السلام) إذ قبل كلّ منهما الولاية من طاغية زمانه، اللهم لا عهد إلّا عهدك ولا ولاية إلّا من قبلك، فوفقني لإقامة دينك و إحياء سنة نبيّك محمد فإنّك أنت المولى و أنت النصير ونعم المولى أنت و نعم النصير. ثم قبل ولاية العهد من المأمون وهو باك حزين على أن لا يولي أحداً ولا يعزل أحداً، ولا يغيّر رسماً ولا سنّة، و أن يكون في الأمر مشيراً من بعيد(٢).

وفيه في خبر آخر طويل قال له المأمون: بعد أن أبى من قبول العهد، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد و إلا أجبرتك على ذلك، فإن فعلت و إلّا ضربت عنقك، فقال الرضا (عليه السلام): قد نهاني الله عزّوجلّ أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك و انا أقبل ذلك على أن لا أُولّي أحداً ولا أعزل أحداً، ولا أنقض رسماً ولاسنّة، و أكون في الأمر من بعيد مشيراً، فرضي منه

---

(١) الكافي: ج٤، ص٥٣، كتاب الزكاة، باب فضل القصد، ح٧.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج١، ص١٩، باب ٣ في ذكر مولد الرضا (عليه السلام)، قطعة من حديث١.

بذلك ، فجعله وليّ عهده على كراهة منه (عليه السلام) لذلك(١).

وفي من لا يحضره الفقيه: في الحقوق المروية عن علي بن الحسين (عليهما السلام): وحق السلطان أن تعلم أنك جعلت له فتنة، و أنّه مبتلى فيك بما جعله الله عزّوجلّ له عليك من السلطان، و أنّ عليك أن لا تتعرّض لسخطه فتلقي بيدك إلى التهلكة، و تكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء(٢).

وفي كتاب كمال الدين و تمام النعمة بإسناده إلى سلمان الفارسي رحمه الله عن النبي (صلّى الله عليه وآله) في حديث طويل يقول فيه لعلي (عليه السلام): يا أخي أنت ستبقى من بعدي، و ستلقى من قريش شدّة من تظاهرهم عليك و ظلمهم لك ، فإن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم و قاتل من خالفك بمن وافقك و إن لم تجد أعواناً فاصبر وكفّ يَدَكَ ولا تلقِ بها إلى التّهلكة(٣).

وفي أصول الكافي: علي بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّدبن عبدالحميد، عن الحسن بن الجهم قال: قلت للرضا (عليه السلام): أميرالمؤمنين (عليه السلام) قد عرف قاتله واللّيلة التي يُقْتَل فيها والموضع الذي يقتل فيه، وقوله لمّا سمع صياح الأوز في الدّار: صوائح تتبعها نوائح، و قول أُم كلثوم: لو صلّيت الليلة داخل الدار و أمرت غيرك يصلّي بالناس، فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح، وقد عرف عليه السلام أنّ ابن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف، كان هذا ممّا لا يحسن تعرّضه، فقال: ذلك كان، ولكنّه خُيّر في تلك الليلة لتمضي مقادير الله عزّوجلّ(٤).

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج٢ ص١٤٠، باب ٤٠ السّبب الذي من أجله قبل علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ولاية العهد من المأمون، قطعة من حديث٣.

(٢) الفقيه: ج٢، ص٣٧٧، باب ٢٢٦ الحقوق.

(٣) كمال الدين و تمام النعمة: ج١، ص٢٤٤، باب ٢٤ ما روي عن النبي (صلّى الله عليه وآله)، في النص على القائم (عليه السلام)، ح١٠.

(٤) الكافي: ج١، كتاب الحجة، ص٢٥٩، باب إنّ الائمة (عليهم السلام) يعلمون متى يموتون و أنهم لا يموتون إلّا باختيار منهم، ح٤.

وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦

وفي أمالي الصدوق باسناده إلى النبي صلّى الله عليه وآله قال: طاعة السلطان واجبة، ومن ترك طاعة السلطان فقد ترك طاعة الله في نهيه، إنّ الله عزّوجلّ يقول: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»(١).

وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ : اى ائتوا بها تامّين لوجه الله، وهو يدلّ على وجوبهما.

وفي مجمع البيان: «و اتمّوا الحج والعمرة لله» أي أتموهابمناسكها وحدودهما و تأدية كلّ ما فيهما.

وقيل معناه: أقيموهما إلى آخر ما فيهما، وهوالمروي عن أميرالمؤمنين وعلي بن الحسين (عليهما السلام)(٢).

والظاهر: إنّ ما ذكره من المعنيين مع ما أوردنا متّحد.

وفي عيون أخبارالرضا (عليه السلام) في باب ما كتبه الرضا (عليه السلام)

---

(١) الأمالي للصدوق: ص٢٠٣، المجلس الرابع والخمسون.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ذيل الآية ١٩٦.

للمأمون من محض الاسلام و شرائع الدين: ولا يجوز القران والإفراد الذي يستعمله العامة إلّا لأهل مكة وحاضريها، ولا يجوز الإحرام دون الميقات قال الله عزّوجلّ: «و اتمّوا الحجّ والعمرة لله»(١).

وفي كتاب الخصال، عن الأعمش، عن جعفربن محمد (عليهما السلام) قال: هذه شرايع الدين، إلى أن قال: ولا يجوز القران والافراد إلّا لمن كان أهله حاضري المسجد الحرام، ولا يجوز الإحرام قبل بلوغ الميقات، ولا يجوز تأخيره عن الميقات إلّا لمرض، أو تقيّة، وقد قال الله تعالى «و اتمّوا الحجّ والعمرة لله» و تمامها اجتناب الرفث والفسوق والجدال في الحج(٢).

وفي كتاب علل الشرايع: حدّثنا محمدبن الحسن بن أحمدبن الوليد رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمدبن الحسن الصفّار، عن العباس بن معروف، عن علي بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، و حمّاد، وصفوان بن يحيى، و فضالة بن أيّوب، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحج من استطاع، لأنّ الله عزّوجلّ يقول: «وَ اتمّوا الحج والعمرة لله» و انما نزلت العمرة بالمدينة، و أفضل العمرة عمرة رجب(٣).

حدّثنا محمدبن الحسن بن أحمدبن الوليد رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمدبن الحسن الصفّار، عن محمدبن الحسين بن أبي الخطّاب، عن حمّادبن عيسى، عن أبان بن عثمان، عمّن أخبره، عن أبي جعفر (عليه السّلام) قال: قلت له: لِمَ سمّي الحج حجاً؟ قال: حج فلان أفلح فلان(٤).

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن بيّه، عن ابن أبي عمير، عن عمر ابن

---

(١) عيون اخبار الرضا (عليه السلام): ج٢، ص١٢٤، باب ٣٥، ما كتبه الرضا (عليه السلام) للمأمون في محض الاسلام و شرايع الدين، ح١.

(٢) الخصال: ج٢، ص٦٠٦، ابواب الماءة فما فوقه، خصال من شرايع الدين، ح٩.

(٣) علل الشرايع: ج٢، ص٤٠٨، باب ١٤٤، العلة التي من اجلها صارت العمرة على الناس واجبة، بمنزلة الحج، ح١.

(٤) علل الشرايع: ج٢، ص٤١١، باب ١٤٨، العلة التي من أجلها سمّي الحج حجاً، ح١.

اُذينة قال: كتبت إلى أبي عبدالله عليه السلام بمسائل بعضها مع ابن بكير و بعضها مع أبي العبّاس، فجاء الجواب باملائه: سألت عن قول الله عزّوجلّ «و لله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً» يعنى به الحج والعمرة جميعاً، لأنّهما مفروضان، و سألته عن قول الله: «و أتمّوا الحجّ والعمرة لله» قال: يعني بتمامها أدائها و اتقاء ما يتقّي المحرم فيهما. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(١).

الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي، عن أبان بن عثمان، عن الفضل أبي العبّاس،عن أبي عبدالله (عليه السلام) (و أتمّوا الحجّ والعمرة لله) قال: هما مفروضان(٢).

عدة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عبدالله بن سنان في قول الله تعالى: «وأتمّوا الحج والعمرة لله».
قال: إتمامها أن لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج(٣).

ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: العمرة واجبة على الخلق، بمنزلة الحج على من استطاع، لأنّ الله تعالى يقول: «و أتمّوا الحجّ والعمرة لله» و انّما نزلت العمرة بالمدينة قال: قلت له: فمن تمتّع بالعمرة إلى الحج أيجزي ذلك منه؟ قال: نعم(٤).

وفي تهذيب الأحكام: روى موسى بن القاسم، عن حمّادبن عيسى، عن عمربن أُذينة، عن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: العمره واجبة على الخلق بمنزلة الحج، لأنّ الله تعالى يقول: «و أتمّوا الحجّ والعمرة لله» و إنّما نزلت العمرة بالمدينة(٥).

---

(١) الكافي: ج٤، ص٢٦٤، كتاب الحج، باب فرض الحج والعمرة، ح١.
(٢) الكافي: ج٤، ص٢٦٥، كتاب الحج، باب فرض الحج والعمرة، ح٢.
(٣) الكافي: ج٤، ص٣٣٧، كتاب الحج، باب ما ينبغي تركه للمحرم من الجدال وغيره، ح٢.
(٤) الكافي: ج٤، ص٢٦٥، كتاب الحج، باب فرض العمرة، ح٤.
(٥) التهذيب: ج٥، ص٤٣٣، باب ٢٦، من الزيادات في فقه الحج،قطعة من حديث١٤٨.

وفي الكافي محمدبن يحيى، عن محمدبن الحسين، عن محمدبن سنان، عن عماربن مروان، عن جابر، عن ابي جعفر (عليه السلام) قال: تمام الحج لقاء الامام(١).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمدبن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، و ابن أبي عمير جميعا، عن معاوية بن عمّار قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): إذا أحرمت فعليك بتقوى الله و ذكر الله كثيراً وقلّة الكلام إلّا بخير، فإنّ من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلّا من خير كما قال الله تعالى، فإنّ الله عزّوجل يقول: «فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج» الحديث(٢).

وفي عيون الاخبار: باسناده إلى اسماعيل بن مهران، عن جعفربن محمد (عليهما السلام)، قال: إذا حج أحدكم فليختم حجه بزيارتنا، لأنّ ذلك من تمام الحج(٣).

فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ: منعتم، يقال: حَصَرَهُ العدوّ وأحصره إذا حَبَسَهُ وَمَنَعه عن المضي، مثل صدّ و أصدّ.

قيل: المراد حصر العدو، لقوله تعالى: «فاذا أمنتم» و لنزوله في الحديبية، و لقول ابن عباس: «لا حصر إلّا حصر العدوّ»(٤).

وقيل: وكلّ من منع من عدوّ ومِنْ مَرَض، أو غيرهما، لما روي عنه (عليه السلام): من كسر أو عرج فقد حلّ، فعليه الحج من قابل(٥).

والتحقيق أنّ المحصور: هوالمحصور بالمرض، والمصدود بالعدوّ، و إن كان المراد

---

(١) الكافي: ج٤، ص٥٤٩ كتاب الحج، ابواب الزيارات، باب اتّباع الحج بالزيارة، ح٢.

(٢) الكافي: ج٤، ص٣٣٧، كتاب الحج، باب ما ينبغي تركه للمحرم من الجدال وغيره، ح٣ و تمام الحديث «والرفث الجماع، والفسوق الكذب والسباب، والجدال قول الرجل: «لا والله و بلى والله».

(٣) عيون الاخبار: ج٢، ص٢٦٥، باب ٦٦، في ذكر ثواب زيارة الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ح٢٨.

(٤) أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ج١، ص١٠٦.

(٥) سنن الترمذي: ج٥، ص٢٧٧، كتاب الحج، باب ٩٦، ما جاء في الذي يهلّ بالحج فيكسر أو يعرج، ح٩٤٠ و لفظه «من كسر أو عرج فقد حلّ وعليه حجّة أخرى».

بالحصر بالقرينة هوالعموم هنا.

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: أي فعليكم ما استيسر،أو فالواجب ما استيسر، أو فاعدّوا من استيسر.

والمعنى: اِنْ أُحصر المحرم و آراد أن يتحلّل، تحلّل بذبح هدي يسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة

وفي الكافي:عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نصر، عن داود بن سرحان، عن عبدالله بن فرقد، عن حمران، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنّ رسول الله حين صُدَّ بالحديبيّة قصّر و أحلّ ونحر ثم انصرف منها ولم يجب عليه الحلق حتّى يقضي النسك، فأمّا المحصور فانّما يكون عليه التقصير(١).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمدبن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير و صفوان، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: المحصور غير المصدود، المحصور:المريض، والمصدود: الذي يصدّه المشركون، كما ردّوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ليس من مرض، والمصدود تحلّ له النساء، والمحصور لا تحلّ له النساء.

قال: و سألته عن رجل أُحصر فبعث بالهدي، قال: يواعد أصحابه ميعاداً، اِن كان في الحج فمَحِلّ الهدي يوم النحر، فإذا كان يوم النحرفليقصّ من رأسه، ولا يجب عليه الحلق حتّى يقضي المناسك، و إن كان في عمرة، فلينتظر مقدار دخول أصحابه مكّة والساعة التي يَعِدُهُمْ فيها، فإذا كان تلك الساعة قصّروأحلّ، و إن كان مرض في الطريق بعدما أحرم فأراد الرجوع رجع إلى أهله و نحر بدنة، أو أقام مكانه حتّى يبرأ إذا كان في عمرة، و إذا برء فعليه العمرة واجبة و إن كان عليه الحج رجع أو أقام ففاته الحج، فإنّ عليه الحج من قابل، فإنّ الحسين بن علي صلوات الله عليه خرج معتمراً فرض في الطريق فبلغ علياً (عليه السلام) ذلك وهو في المدينة فخرج في طلبه فأدركه بالسقيا وهو مريض بها، فقال: يا بُنّيَ ما تشتكي؟

---

(١) الكافي: ج٤، ص٣٦٨، كتاب الحج، باب المحصور والمصدود وما عليهما من الكفارة، ح١.

فقال: اشتكـي رأسي فدعا علي (عليه السلام) ببدنة فنحرها وحلق رأسه و ردّه الى المدينة، فلمّا برء من وجعه اعتمر. قلت: أرأيت حين برءَ من وجعه قبل أن يخرج إلى العمرة حلّت له النساء؟ قال: لا تحلّ له النساء حتّى يطوف بالبيت و بالصفا والمروة، قلت: فما بال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حين رجع من الحديبيّة حلّت له ولم يطف بالبيت؟ قال: ليسا سواء كان النبي (صلّى الله عليه وآله) مصدوداً والحسين (عليه السلام) محصوراً(١).

عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد، و سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن ابن رياب، عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إذا أُحصر الرجل بعث بهديه، فاذا أفاق ووجد من نفسه خفّة فليمض إن ظنّ أنّه يدرك الناس، فإن قدم مكة قبل أن ينحر الهدي فليقم على إحرامه حتّى يفرغ من جميع المناسك ولينحر هديه ولا شيء عليه، و إن قدم مكة وقد نحر هديه فإنّ عليه الحج من قابل أوالعمرة، قلت: فإن مات وهو محرم قبل أن ينتهي إلى مكّة؟ قال: يحج عنه إن كانت حجة الاسلام، و يعتمر انّما هو شيء عليه(٢).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، أنّه قال: في المحصور ولم يسق الهدي، قال: ينسك و يرجع، فإن لم يجد ثمن هدي صام(٣).

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نصر،عن مثنى، عن زرارة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إذا أُحصر الرجل فبعث بهديه، فإن آذاه رأسه قبل أن ينحر هديه فإنّه يذبح شاة في المكان الذي أُحصر فيه أو يصوم أو يتصدّق، والصوم ثلاثة أيّام، والصدقة على ستّة مساكين، نصف صاع لكلّ مسكين(٤).

سهل،عن ابن أبي نصر، عن رفاعة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن الرجل يشترط، وهو ينوي المتعة، فيحصر ، هل يجزيه أن لا يحج من قابل؟ قال

---

(١) الكافي: ج٤، ص٣٦٩، كتاب الحج، باب المحصور والمصدود وما عليهما من الكفارة، ح٣.

(٢و٣و٤) الكافي: ج٤، ص٣٧٠، كتاب الحج، باب المحصور والمصدود وما عليهما من الكفارة، ح٤و٥و٦.

يحج من قابل، والحاج مثل ذلك إذا أُحصر، قلت: رجل ساق الهدي ثم أُحصر؟ قال: يبعث بهديه، قلت: هل يتمتّع من قابل؟ قال: لا، ولكن يدخل في مثل ما خرج منه(١).

حميدبن زياد، عن الحسن بن محمدبن سماعة، عن أحمدبن الحسن الميثمي، عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: المصدود يذبح حيث صُدَّ ويرجع صاحبه فيأتي النساء، والمحصور يبعث بهديه ويعدهم يوماً فإذا بلغ الهدي أحلّ هذا في مكانه، قلت له: أرايت إن ردّوا عليه دراهمه ولم يذبحوا عنه، وقد أحلّ فأتى النساء؟ قال: فليعد وليس عليه شيء، وليمسك العام عن النساء إذا بعث(٢).

وفي عيون الاخبار: في باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان أنّه سمعها من الرضا (عليه السلام): فان قال: فلم أُمرو بحجة واحدة لا أكثر من ذلك؟ قيل له: لأنّ الله تعالى وضع الفرائض على أدنى القوم كما قال عزّوجلّ: «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهدي» يعني شاة، ليسع القوي والضعيف. وكذلك سائر الفرائض إنّما وضعت على أدنى القوم قوة(٣).

وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ: أي لا تحلقوا حتّى تعلموا أنّ الهدي المبعوث بلغ محلّة، أي حيث يحلّ ذبحه فيه.

والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان، والهدي جمع هديه كجدي وجدية، وقرء هديّ جمع هدية كمطي ومطية.

وفي الكافي: علي بن ابراهيم، عن أبيه، ومحمدبن، يحيى، عن أحمدبن محمد، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ رسول

(١و٢) الكافي: ج٤، ص٣٧١، كتاب الحج، باب المحصور والمصدود وما عليها من الكفارة، ح٩و٧.

(٣) عيون الاخبار: ج٢، ص٢٠، باب ٣٤ العلل التي ذكر الفضل بن شاذان في أُخرها انّه سمعها من الرضا (عليه السلام) و تمامه (فكان من تلك الفرائض الحج المفروض واحداً ثم رغب بعد اهل القوة بقدر طاقتهم).

الله صلّى الله عليه وآله حين حجّ حجّة الوداع خرج في أربع بقين من ذي القعدة حتّى أتى الشجرة فصلّى بها، ثم قاد راحلته حتّى أتى البَيْداء فأحرم منها و أهلّ بالحج و ساق مأة بدنة و أحرم الناس كلّهم بالحج، لا ينوون عمرة [ولا يدرون عمرة] ولا يدرون ما المتعة حتّى إذا قدم رسول الله صلّى الله عليه وآله مكّة طاف بالبيت و طاف الناس معه، ثم صلّى ركعتين عند المقام و استلم الحجر، قال: أبدءُ بما بَدأ الله به فاتي الصّفا فَبَدأ بها ثم طاف بين الصفا والمروة سبعاً، فلمّا قضى طوافه عند المروة قام خطيباً، فأمرهم أنْ يحلّوا و يجعلوها عمرة و هو شيء أمرالله تعالى به، فأحلّ الناس وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لو كنت استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم، ولم يكن يستطيع أن يحلّ من أجل الهدي الذي كان معه، إنّ الله تعالى يقول: «ولا تحلقوا رؤوسكم حتّى يَبْلغ الهدي محلّه» فقال سُراقة بن مالك بن جعشم الكناني: يا رسول الله علّمنا ديننا كانّا خُلِقنا اليوم، أرأيت هذا الذي أمرتنا به لعامنا هذا أو لكلّ عام؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا، بل لأبدِ الأبد. و إنّ رجلاً قام فقال: يا رسول الله نخرج حجّاجاًورؤوسنا تقطر؟!، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: بل إنّك لن تؤمن بهذا أبداً، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة(١).

وفي كتاب علل الشرايع: حدّثنا محمدبن الحسن (رحمه الله)، قال: حدّثنا محمدبن الحسن الصفّار، عن يعقوب بن يزيد، عن محمدبن أبي عمير، و صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: في حجة الوداع لما فرغ من السعي قام عند المروة فخطب الناس فحمدالله و أثنى عليه ثم قال: يا معشر الناس هذا جبرئيل، و أشار بيده إلى خلفه يأمرني أن آمر من لم يسق هدياً أن يحلّ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم، ولكني سقت الهدي، وليس لسائق الهدي أن يحلّ حتّى يبلغ الهدي محلّه، فقام إليه سراقة بن مالك بن جعشم الكناني فقال:يا رسول الله

(١) الكافي: ج٤، ص٢٤٨، كتاب الحج، باب حج النبي صلّى الله عليه وآله، قطعة من حديث٦.

علّمنا ديننا فكأنا خُلِقْنا اليوم، أرايت هذا الّذي أمرتنا به لعامنا؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: لا، بل لأبد الأبد. و إنّ رجلاً قام فقال: يا رسول الله نخرج حجّاجاً و رؤوسنا تقطر، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّك لن تؤمن بها أبداً(١).

حدّثنا أبي، ومحمدبن الحسن بن الوليد رضي الله عنهما قالا: حدّثنا سعدبن عبدالله، عن القاسم بن محمد الاصفهاني، عن سليمان بن داود المنقري، عن فضيل بن عياض قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن اختلاف الناس في الحج، فبعضهم يقول: خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله مهلّاً بالحج، وقال بعضهم: مُهلّاً بالعمرة، وقال بعضهم: خرج قارناً، و قال بعضهم: ينتظر أمر الله عزّوجلّ، فقال أبو عبدالله عليه السلام: علم الله عزّوجلّ إنّها حجة لا يحج رسول الله صلّى الله عليه وآله بعدها أبداً، فجمع الله عزّوجلّ له ذلك كلّه في سفرة واحدة ليكون جميع ذلك سنّة لأُمته، فلّما طاف بالبيت و بالصفا والمروة أمره جبرئيل عليه السلام أن يجعلها عمرة، إلّا من كان له هدي، فهو محبوس على هدي لا يحلّ لقوله عزّوجلّ «حَتّى يَبْلغ الهدي محلّه» فجمعت له العمرة والحج. وكان خرج على خروج العرب الأوّل، لأنّ العرب كانت لا تعرف إلّا الحج، وهو في ذلك ينتظر أمرالله عزّوجلّ، وهو يقول: الناس على أمر جاهليتهم إلّا ما غيّره الاسلام، وكانوا لا يرون العمرة في أشهر الحج، فَشُقّ على أصحابه، حين قال: اجعلوها عمرة، لانّهم كانوا لا يعرفون العمرة في أشهر الحج.

وهذا الكلام من رسول الله صلّى الله عليه وآله إنّما كان في الوقت الذي أمرهم فيه بفسخ الحج وقال: خلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة، و شبّك بين أصابعه، يعني في أشهر الحج، قلت: أفيعتدّ بشيء من أمر الجاهلّية، قال: إن أهل الجاهلية ضيّعوا كلّ شيء من دين إبراهيم عليه السلام إلاّ الختان والتزويج والحج.

---

(١) علل الشرايع: ج٢، ص٤١٣، باب ١٥٣، العلة التي من أجلها لم يتمتع النبي صلّى الله عليه وآله بالعمرة الى الحج وأمر الناس بالتمتع، ح٢.

فانّهم تمسّكوا بها و لم يضيّعوها(١).

فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا: مرضاً يحوجه إلى الحلق.

أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ: من جراحة و قمّل.

فَفِدْيَةٌ فعليه فدية إن حلق.

مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ: بيان لجنس الفدية

و أمّا قدرها، ففي الكافي: علي، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عمّن أخبره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مرّ رسول الله على كعب بن عجرة(٢) والقمّل يتناثر من رأسه، وهو محرم، فقال له: أتوذيك هوامّك؟ فقال: نعم، فأُنزلت هذه الآية «فَمَن كانَ مِنْكم مريضاً أو به أذى من رأسه فَفِديةُ مِن صِيام أو صدقة أو نسك» فأمره رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يحلق و جعل الصيام ثلاثة أيّام والصدقة على ستّة مساكين لكلّ مسكين مدّين، والنسك شاة، قال أبو عبدالله عليه السلام وكلّ شيء من القرآن (أو) فصاحبه بالخيار يختار ما يشاء، وكلّ شيء فى القرآن: فن لم يجد كذا فعليه كذا، فالأولى الخيار(٣).

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نصر، عن مثنى، عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا أُحصر الرجل فبعث بهديه فآذاه رأسه قبل أن ينحر هديه فإنّه يذبح شاة في المكان الذي أُحصر فيه، أو يصوم أو يتصدّق، والصوم ثلاثة أيّام والصدقة على ستّة مساكين، نصف صاع لكلّ مسكين(٤).

---

(١) علل الشرايع: ج٢، ص٤١٤، باب ١٥٣، العلة التي من أجلها لم يتمتع النبي صلّى الله عليه وآله بالعمرة الى الحج وامر الناس بالتمتع،ح٣.

(٢) كعب بن عجرة بضم العين المهملة وسكون الجيم وفتح الراء المهملة والهاء،عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله تارة ومن أصحاب أميرالمؤمنين عليه السّلام اخرى (تنقيح المقال: ج٢، ص٣٩، تحت رقم ٩٨٨٩).

(٣) الكافي: ج٤، ص٣٥٨، كتاب الحج، باب العلاج للمحرم إذا مرض أو أصابه جرح أوخراج أوعلة، ح٢.

(٤) الكافي: ج٤، ص٣٧٠، كتاب الحج، باب المحصور والمصدود وماعليهما من الكفارة، ح٦.

وفي من لا يحضره الفقيه: ومرّ النبي صلّى الله عليه وآله على كعب بن عجرة الأنصاري وهو محرم وقد أكل القمل رأسه و حاجبيه وعينيه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما كنت أرى أنّ الأمر يبلغ ما أرى، فأمره فنسك عنه نسكاً وحلق رأسه، يقول الله: «فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أونسك» فالصيام ثلاثة أيام، والصّدقة على ستة مساكين لكلّ مسكين صاع من تمر، والنسك شاة، لا يطعمها أحد إلّا المساكين(١).

وما وقع في الأحاديث الثلاثة من الإختلاف في إعطاء المسكين، فإنّه في الأول مدّان، وفي الثاني نصف صاع، وفي الثالث صاع، فإنّه لا اختلاف بين الأولين في المعنى، فإنّ نصف الصاع هوالمدّان، فإنّ الصاع أربعة أمداد، و يحتمل في الخبر الأخير أن يكون سقط لفظ نصف، و أن يكون محمولاً على الأفضل.

فَإِذَآ أَمِنتُمْ: الإحصار، أو كنتم في حال أمن وسعة.

فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ: الحاج على ثلاثة وجوه:

المتمتّع: وهو الذي يحج في أشهر الحج، و يقطع التلبية إذا نظر إلى بيوت مكّة، فإذا دخل مكة طاف بالبيت سبعاً، وصلّى ركعتين عند مقام ابراهيم عليه السلام، و سعى بين الصفا والمروة سبعاً، و قصّر، و احلّ، فهذه عمرة يتمتع بها من الثياب والجماع والطيب وكلّ شي يحرم على المحرم، إلّا الصيد لأنّه حرام على المحلّ في الحرم و على المحرم في الحل والحرم و يتمتّع بما سوى ذلك إلى الحج. والحجّ ما يكون بعد يوم التروية من عقد الإحرام الثاني بالحج المفرد والخروج إلى منى ومنها إلى عرفات، وقطع التلبية عند زوال الشمس يوم عرفة، و يجمع فيها بين الظهر والعصر بأذان واحد و إقامتين، والبيتوتة بها إلى غروب الشمس، و الإفاضة إلى المشعر الحرام، والجمع بين المغرب والعشاء بها بأذان واحد و إقامتين، والبيتوتة بها، والوقوف بها بعد الصبح إلى أن تطلع الشمس على جبل ثبير(٢) والرجوع إلى

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٢٨، باب ١١٨، ما يجوز للمحرم اتيانه و استعماله وما لا يجوز من جميع الانواع، ح٥٥.

(٢) ثبير: كأمير جبل بمكة، كأنّه من الثبرة وهي الأرض السهلة، وفي الحديث: كبش اسماعيل

منى، والذبح والحلق والرمي و دخول مسجد الحصباء(١) والاستلقاء فيه على القفا، و زيارة البيت، و طواف الحج وهو طواف الزيارة، و طواف النساء.

فهذه صفة التمتّع بالعمرة إلى الحج.

والمتمتع عليه ثلاثة أطواف بالبيت، طواف العمرة و طواف الحج وطواف النساء و سعيان بين الصفا والمروة كما ذكرناه.

وعلى القارن والمفرد طوافان بالبيت، و سعيان بين الصفا والمروة، ولا يحلّان بعد العمرة، يمضيان على إحرامهما الأوّل، ولا يقطعان التلبية إذا نظرا إلى بيوت مكّة كما يفعل المتمتّع، ولكنّهما يقطعان التلبية يوم عرفة عند زوال الشمس.

والقارن والمفرد صفتهما واحدة إلّا أنّ القارن يفضل على المفرد بسياق الهدي.

فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ: فعليه ما استيسر من الهدي بسبب التمتّع، وهو هدي التمتع.

وفي كتاب علل الشرايع: في العلل التي ذكر الفضل بن شاذان أنّه سمعها، عن الرضا عليه السلام، فإن قال: فلم أُمروا بالتّمتع في الحج؟ قيل: ذلك تخفيف من ربّكم و رحمة، لأن يسلم الناس في إحرامهم ولا يطول ذلك عليهم فيدخل عليهم الفساد، و أن يكون الحج والعمرة واجبين جميعاً فلا تعطّل العمرة و تبطل، ولا يكون الحج مفرداً من العمرة و يكون بينهما فصل و تمييز، و أن لا يكون الطواف بالبيت محظوراً، لأنّ المحرم إذا طاف بالبيت قد أحلّ إلّا لعلةٍ، فلولا التمتّع لم يكن للحاجّ أن يطوف، لأنّه إن طاف أحلّ وفسد إحرامه و يخرج منه قبل أداء الحج، و لأن يجب على الناس الهدي والكفّارة فيذبحون و ينحرون و يتقرّبون إلى الله جلّ جلاله، فلا تبطل هراقة الدماء والصدقة على المسلمين(٢).

تناوله (يعني جبرئيل) من قلّة ثبير (مجمع البحرين: ج٣، ص٢٣٥، لغة ثبر).

(١) والتحصيب المستحب هوالنزول في مسجد الحصبة والاستلقاء فيه، وهو في الابطح، وهذا الفعل مستحب تأسياً بالنبي صلّى الله عليه وآله وليس لهذا المسجد أثر في هذا الزمان فتتأدى السنّة بالنزول في الابطح قليلا (مجمع البحرين: ج٢، ص٤٣، لغة حصب).

(٢) علل الشرايع: ج١،ص٢٥٩، باب ١٨٢، علل الشرايع و أُصول الإسلام، قطعة من حديث٩.

حدّثنا أبي رحمه الله قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، عن محمّدبن أبي عمير، عن حمّادبن عثمان، عن عبيدالله بن علي الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الحج، متّصل بالعمرة، لأنّ الله عزّوجلّ يقول: «فَاذا أمنتم فَمن تَمتّع بالعُمرة اِلَى الحجّ فَما اسْتيسر مِنَ الْهَدي» فليس ينبغي لأحدٍ إلاّ أن يتمتّع، لأنّ الله عزّوجلّ أنزل ذلك في كتابه و سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله(١).

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، و أحمدبن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي عبيدة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى «فَمَن تمتّع بالْعُمْرة اِلى الحج فَمَا اسْتَيْسر مِن الهدي» قال: شاة(٢).

محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمّد عن محمدبن سنان عن ابن مسكان، عن سعيد الأعرج قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): فيمن تمتّع في أشهر الحج ثم أقام بمكّة حتّى يحضر الحج من قابل، فعليه شاة، ومن تمتّع في غير أشهر الحج ثم جاور حتّى يحضر الحج فليس عليه دم، إنّما هي حجّة مفردة، و إنّما الأُضحية على أهل الأمصار(٣).

فَمَن لَّمْ يَجِدْ: أي الهدي

وروي في معنى عدم الوجدان: أحمدبن محمد، عن ابن أبي نصر قال: سألت أباالحسن عليه السلام عن المتمتع يكون له فضول من الكسوة بعد الذي يحتاج إليه فتسوى بذلك الفضول مأة درهم يكون ممّن يجب عليه الهدي؟ فقال: له بدّعن كرى ونفقة. قلت: له كرى أوما يحتاج إليه بعد هذا الفضل من الكسوة. فقال: وأي شئ كسوة بمائة درهم؟ هذا ممّن قال الله: «فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في

---

(١) علل الشرايع: ج٢، ص٩٦، باب ١٤٩، العلة التي من أجلها يجب التمتع بالعمرةالى الحج دون القران والإفراد، ح١.

(٢) الكافي: ج٤، ص٤٨٧، كتاب الحج، باب أدنى ما يجزي من الهدي، ح١.

(٣) الكافي: ج٤، ص٤٨٧، كتاب الحج، باب من يجب عليه الهدي و اين يذبحه،ح١.

الحج وسبعة إذا رجعتم»(١).

﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾: في أيام الأشتغال به.

في الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد وسهل بن زياد جميعاً، عن رفاعة بن موسى قال: سألت أباعبدالله (عليه السلام) عن المتمتع لا يجد الهدي قال: يصوم قبل التروية بيوم، ويوم التروية ويوم عرفة قلت: فإنّه قدم يوم التروية قال: يصوم ثلاثة أيّام بعد التشريق قلت: لم يقم عليه جمّاله قال: يصوم يوم الحِصبة و بعده يومين قال: قلت: ما الحِصْبَة؟ قال: يوم نفره قلت يصوم وهو مسافر قال: نعم، أليس هو يوم عرفة مسافراً إنّا أهل بيت نقول ذلك بقول الله تعالى «فصيام ثلاثة أيّام في الحج» يقول في ذي الحجة(٢).

أحمدبن محمدبن أبي نصر، عن عبدالكريم بن عمرو، عن زرارة، عن أحدهما (عليهما السلام) إنّه قال: من لم يجد هدياً و أحب أن يقدّم الثلاثة الأيام في أوّل العشر، فلا بأس(٣).

علي بن ابراهيم، عن أبيه، ومحمدبن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى و ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن متمتّع لم يجد هدياً؟ قال: يصوم ثلاثة أيام في الحج، يوماً قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة، قال: قلت له: فإن فاته ذلك؟ قال: يتسحّر ليلة الحِصْبَة و يصوم ذلك اليوم ويومين بعده، قلت: فإن لم يقم عليه جمّاله أيصومها في الطريق؟ قال: إن شاء صامها في الطريق، و إن شاء رجع إلى أهله(٤).

علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: قلت له: رجل تمتّع بالعمرة إلى الحج، و في عيبته ثياب له، يبيع من ثيابه شيئاً ويشتري هديه؟

---

(١) الوسائل: ج١، ص١٧١، كتاب الحج، باب ٥٧، من ابواب الذبح، ح١، رواه نقلاً عن التهذيب و رواه أيضاً عن قرب الاسناد مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٢) الكافي: ج٤، ص٥٠٦، كتاب الحج، باب صوم المتمتّع اذا لم يجد الهدي، ح١.

(٣) الكافي: ج٤، ص٥٠٧، كتاب الحج، باب صوم المتمتّع اذا لم يجد الهدي، ح٢.

(٤) الكافي: ج٤، ص٥٠٧، كتاب الحج، باب صوم المتمتّع اذا لم يجد الهدي، ح٣.

قال: لا، هذا يتزيّن به المؤمن، يصوم ولا يأخذ من ثيابه شيئاً(١).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّادبن عيسى، عن حريز، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في متمتّع يجد الثمن ولا يجد الغنم؟ قال: يخلّف الثمن عند بعض أهل مكّة و يأمر من يشتري له ويذبح عنه، و هو يجزي عنه، فإنّ مضى ذوالحجة أخّر ذلك إلى قابل من ذي الحجّة(٢).

أبوعلي الأشعري، عن محمّدبن عبدالجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن يحيى الأزرق قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام)، عن متمتّع كان معه ثمن هدي، وهو يجد بمثل ذلك الذي معه هدياً، فلم يزل يتوانى و يؤخّر ذلك حتّى إذا كان آخر النهار غلت الغنم فلم يقدر أن يشترى بالذي معه هدياً؟ قال: يصوم ثلاثة أيّام بعد أيام التشريق(٣).

و أمّا ما رواه في الكافي عن بعض أصحابنا، عن محمدبن الحسين، عن أحمدبن عبدالله الكرخي قال: قلت للرضا (عليه السلام): المتمتع يقدم وليس معه هدي أيصوم لما لم يجب عليه؟ قال: يصبر إلى يوم النحر فان لم يصب فهو ممّن لم يجد(٤).

فهو محمول على من لم يكن معه هدي ولكنه يتوقّع المكنة، فهذا يجب عليه الصبر، و أمّا من لم يكن معه ولم يتوقّع المكنة فعليه ما تقدّم من صوم اليوم السابع والثامن والتاسع، ومع التأخير بعد أيّام التشريق و يجب فيه التتابع.

روى في الكافي، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أبان، عن الحسين بن زيد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: السبعة الأيّام والثلاثة الأيّام في الحجّ لا يفرق، إنّما هي بمنزلة الثلاثة الأيّام في اليمين(٥).

---

(١) الكافي: ج٤، ص٥٠٨، كتاب الحج، باب صوم المتمتّع اذا لم يجد الهدي، ح٥.
(٢) الكافي: ج٤، ص٥٠٨، كتاب الحج، باب صوم المتمتّع إذا لم يجد الهدي، ح٦.
(٣) الكافي: ج٤، ص٥٠٨، كتاب الحج، باب صوم المتمتّع اذا لم يجد الهدي، ح٧.
(٤) الكافي: ج٤، ص٥١٠، كتاب الحج، باب صوم المتمتّع اذا لم يجد الهدي، ح١٦.
(٥) الكافي: ج٤، ص١٤٠، كتاب الصيام، باب صوم كفارة اليمين، ح٣.

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾: إلى أهليكم، وقرىء سبعة بالنصب عطفاً على محل ثلاثة أيام.

و إذا أقام بمكّة صبر، فإذا ظنّ أن رفقائه وصلوا إلى بلده صام السبعة.

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن عبدالكريم، عن أبي بصير، قال: سألته عن رجل تمتّع فلم يجد هدياً فصام الثلاثة الأيّام، فلمّا قضى نسكه، بدا له أن يقيم بمكّة، قال: ينتظر مقدم أهل بلاده، فإذا ظنّ أنّهم قد دخلوا فليصم السبعة الأيّام(١).

و إذا صام الثلاثة ومات قبل وصوله إلى بلده لم يقض عنه وليّه إلّا استحباباً.

روى في الكافي، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه سئل عن رجل يتمتّع بالعمرة إلى الحج ولم يكن له هدي فصام ثلاثة أيّام في الحج، ثم مات بعد ما رجع إلى أهله قبل أن يصوم السبعة الأيّام، أعلى وليّه أن يقضي عنه؟ قال: ما أرى عليه قضاء(٢).

و أمّا ما رواه فيه عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيّوب، عن معاوية بن عمّار قال: من مات ولم يكن له هدي لمتعته، فليصم عنه وليّه(٣) فحمله في الفقيه على الاستحباب(٤)

و يمكن حمله على ما إذا تمكّن ولم يصم حتّى مات.

و إذا صام الثلاثة الأيّام ثم وجد الهدي وجب.

روى في الكافي، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن عبدالله بن هلال، عن عقبة بن خالد قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام)، عن رجل

---

(١) الكافي: ج٤، ص٥٠٩، كتاب الحج، باب صوم المتمتع إذا لم يجد الهدي، ح٨.

(٢) الكافي: ج٤، ص٥٠٩، كتاب الحج، باب صوم المتمتع اذا لم يجد الهدي، ح١٣.

(٣) الكافي: ج٤، ص٥٠٩، كتاب الحج، باب صوم المتمتع اذا لم يجد الهدي، ح١٢.

(٤) الفقيه: ج٢، ص٣٠٣، باب ٢٠٨، ما يجب من الصوم على المتمتّع اذا لم يجد ثمن الهدي، قال بعد نقل الحديث الذي قدّمناه ما لفظه: «قال مصنّف هذا الكتاب (رضي الله عنه) هذا على الاستحباب لا على الوجوب، وهو اذا لم يصم الثلاثة في الحج ايضاً».

تمتّع وليس معه ما يشتري به هدياً، فلمّا أن صام ثلا ثة أيّام في الحج أيسر أيشترى هدياً فينحره، أو يدع ذلك و يصوم سبعة أيّام إذا رجع إلى أهله؟ قال: يشتري هدياً فينحره، و يكون صيامه الذي صامه نافلة له(١).

ولا ينافيه ما رواه عن أحمدبن محمدبن أبي نصر، عن عبدالكريم، عن أبي بصير، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: سألته عن رجل تمتّع فلم يجد ما يهدي به حتى إذا كان يوم النفر وجد ثمن شاة، يذبح أو يصوم؟ قال: بل يصوم فإن أيّام الذبح قد مضت(٢).

فانّه محمول على ما إذا صام الأيّام الثلاثة ومضى وقت الذبح، و أمّا إذا لم يصم الثلا ثة فعليه الذبح وكذا اذا لم يصم الثلا ثة حتّى انقضى ذوالحجة.

يدلّ على ذلك ما رواه علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص البختري، عن منصور، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: من لم يصم في ذي الحجّة حتّى يهلّ هلال المحرّم فعليه دم شاة فليس له صوم و يذبح بمنى (٣).

تِلْكَ عَشَرَةٌ: فذلكة الحساب، وفائدتها أن لايتوهم أن الواو بمعنى أو، نحو جالس الحسن وابن سيرين(٤) و ان لم يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً، فانّ أكثر العرب لم يحسنوا الحساب، و انّ المراد بالسبعة هوالعدد، دون الكثرة، فانّه يطلق لهما.

كَامِلَةٌ: صفة مؤكدة يفيد المبالغة في محافظة العدد. أو مبينة كمال العشرة، فإنّه أوّل عدد كامل، إذ به ينتهي الآحاد و تتم مراتبها. أو مفيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي.

---

(١) الكافي: ج٤، ص٥١٠، كتاب الحج، باب صوم المتمتّع اذا لم يجد الهدي، ح١٤.
(٢) الكافي: ج٤، ص٥٠٩، كتاب الحج، باب صوم المتمتّع اذا لم يجد الهدي، ح٩.
(٣) الكافي: ج٤، ص٥٠٩، كتاب الحج، باب صوم المتمتّع اذا لم يجد الهدي، ح١٠.
(٤) قال في مغني اللبيب، ص٤٦٨، (حرف الواو): الثاني ان يكون بمعنى أو في الاباحة والتخيير قاله الزمخشري: و زعم أنّه يقال: جالس الحسن وابن سيرين أي أحدهما و أنّه لهذا قيل: «تلك عشرة كاملة» بعد ذكر ثلا ثة و سبعة لئلا يتوهم إرادة الاباحة الى آخره.

في تهذيب الأحكام: موسى بن القاسم،عن محمد،عن زكريا المؤمن، عن عبدالرحمان بن عتبة، عن عبدالله بن سليمان الصيرفي قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام) لسفيان الثوري: ما تقول في قول الله تعالى: «فمن تمتّع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيّام في الحج و سبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة»؟ أي شيء يعني بكاملة؟ قال: سبعة و ثلاثة، قال: و يختل ذا على ذي حي أنّ سبعة و ثلاثة، عشرة، قال: فأي شيء أصلحك الله؟ قال: انظر، قال: لا علم لي، فأي شيء هو أصلحك الله؟ قال: الكاملة، كمالها كمال الأُضحية(١).

ذَٰلِكَ: أي التمتع، إذ لا متعة لحاضري المسجد الحرام.

في الكافي: محمّدبن يحيى، عن أحمدبن محمّد، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت: لأهل مكّة متعة؟ قال: لا، ولا لأهل بستان، ولا لأهل ذات عرق، ولا لأهل عسفان و نحوها(٢).

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمدبن أبي نصر،عن عبدالكريم بن عمرو، عن سعيد الأعرج، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: ليس لأهل سرف(٣)، ولا لأهل مَر(٤)، ولا لأهل مكّة متعة، لقول الله عزّوجلّ: «ذلك لِمَن لَمْ يَكُنْ أهله حاضري المسجد الحرام»(٥).

لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ: اي لم يكن منزله في أطراف مكة.

---

(١) التهذيب: ج٥، ص٤٠، باب ٤، ضروب الحج، ح٤٩.

(٢) الكافي: ج٤، ص٢٩٩، كتاب الحج، باب حج المجاورين وقطّان مكة، ح٢.

(٣) السرف ـ بالسين المهملة ككتف ـ: موضع قريب من التنعيم وهو من مكة على عشرة أميال و قيل اكثر. مجمع البحرين: ج٥، ص٦٩

(٤) المرّ ـ بالفتح ـ: الحبل و بطن مرّ أيضاً: موضع وهو من مكة على مرحلة. الصحاح: ج٢، ص٨١٤.

(٥) الكافي: ج٤، ص٢٩٩، كتاب الحج، باب حج المجاورين و قطّان مكة، ح١.

في الكافي: روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضري الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» قال: من كان منزله على ثمانية عشرميلاً من بين يديها، وثمانية عشر ميلاً من خلفها، وثمانية عشر ميلاً عن يمينها، وثمانية عشر ميلاً عن يسارها فلامتعة له مثل مَرواشباهها(١).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن داود، عن حمّاد قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام)، عن أهل مكة أيتمتّعون؟ قال: ليس لهم متعة، قلت: فالقاطن بها؟ قال: إذا قام بها سنة أو سنتين صنع ما يصنع أهل مكة، قلت: فإن مكث الشهر، قال: يتمتع، قلت: من أين؟ قال: يخرج من الحرم قلت: أين يهلّ بالحج؟ قال: مكّة نحواً ممّا يقول الناس(٢).

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: سألت أبا جعفر(٣) عليه السلام في السنة التي حجّ فيها، و ذلك في سنة اثنتي عشرة و مأتين، فقلت: جعلت فداك بأيّ شيء دخلت مكة، مفرداً أو متمتعاً؟ فقال: متمتعاً، فقلت: أيّهما أفضل، المتمتع بالعمرة إلى الحج، أو من أفرد وساق الهدي؟ فقال: كان أبوجعفر عليه السلام يقول: المتمتع بالعمرة الى الحج أفضل من المفرد السائق للهدي، وكان يقول: ليس يدخل الحاج بشيء أفضل من المتعة(٤).

وَاتَّقُوا اللَّهَ في المحافظة على أوامره و نواهيه مطلقاً، و خصوصاً في الحج.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ: لمن لم يتقه ليصدّكم العلم به عن العصيان.

---

(١) الكافي: ج٤، ص٣٠٠، كتاب الحج، باب حج المجاورين و قطّان مكة، ح٣.

(٢) الكافي: ج٤، ص٣٠٠، كتاب الحج، باب حج المجاورين و قطّان مكة، ح٤.

(٣) المسؤول منه أبا جعفر الثاني عليه السلام وهوالذي دخل مكة متمتعاً، والمراد بقوله: ثانياً: «كان أبوجعفر يقول» يعني الباقر عليه السلام.

(٤) الكافي: ج٤، ص٢٩٢، كتاب الحج، باب أصناف الحج، ح١١.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ١٩٧

الْحَجُّ: أووقته، كقولك: البرد شهران.

أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ: معروفات، وهي شوال و ذوالقعدة وعشرة من ذي الحجة، و سمّي شهرين و بعض شهر، أشهراً، إقامة للبعض مقام الكلّ، أوإطلاق الجمع على ما فوق الواحد، أوالكلام بمعنى أن ليس لأحد أن يحج فيما سواهنّ كما في الخبر(١).

فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ: فمن أوجبه على نفسه بالاحرام فيهن.

فَلَا رَفَثَ: فلاجماع.

وَلَا فُسُوقَ: والفسوق الكذب

وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ: والجدال قول: «لا والله و بلى والله».

في الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمدبن محمدبن أبي نصر، عن مثنى الحنّاط، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الحج أشهر معلومات» شوال و ذوالقعدة و ذوالحجة، ليس لأحد أن يحج فيما سواهنّ(٢).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمدبن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج» الفرض: التلبيته والاشعار

---

(١) سيأتي عن قريب.

(٢) الكافي: ج٤، ص٢٨٩، كتاب الحج، باب اشهرالحج، ح١.

والتقليد، فأي ذلك فعل فقد فرض الحج ولا يفرض الحج إلاّ في هذه الشهور التي قال الله عزّوجلّ: «الحج أشهر معلومات» وهو شوال و ذوالقعدة و ذوالحجّة(١).

علي بن إبراهيم باسناده قال: أشهر الحج شوّال و ذوالقعدة و عشرة من ذي الحجة(٢).

وفي من لا يحضره الفقيه: روى معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الحجّ أشهر معلومات شوال و ذوالقعدة و ذوالحجّة، فمن أراد الحجّ وفّر شعره إذا نظر إلى هلال ذي القعدة، ومن أراد العمرة و فّر شعره شهراً(٣).

وفي مجمع البيان: و أشهر الحج عندنا شوال و ذوالقعدة وعشر من ذي الحجة على ما روي عن أبي جعفر عليه السلام.

وقيل: هي شوّال و ذوالقعدة و ذوالحجة عن عطا والربيع و طاوس، و روي ذلك في أخبارنا(٤).

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن اسماعيل بن مرار، عن يونس، عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أشهر الحج شوال و ذوالقعدة و ذوالحجة، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة(٥).

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، قال: قال أبو

---

(١) الكافي: ج٤، ص٢٨٩، كتاب الحج، باب اشهر الحج، ح٢.

(٢) الكافي: ج٤، ص٢٩٠، كتاب الحج، باب اشهر الحج، ح٣، وتمام الحديث: «واشهر السياحة عشرون من ذي الحجة والمحرّم و صفر و شهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر» وقال في الوافي، ج٢ باب ٤٠ ص٤٥ ما لفظه: «معنى اشهر السياحة أنّ النبي صلّى الله عليه وآله لمّا أمر بقتال المشركين بنزول سورة البراءة، أمر أن يمهلهم أربعة أشهر من يوم النحر ثم يأخذهم و يقتلهم أينما وجدوا وحيثما ثقفوا قال الله تعالى «براءة من الله و رسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر».

(٣) التهذيب: ج٥، ص٤٦، كتاب الحج، باب ٥، باب العمل والقول عند الخروج، ح٢.

(٤) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص٢٩٣ في ذيل الآية ١٩٧ من سورة البقرة.

(٥) الكافي: ج٤، ص٣٠٢، كتاب الحج، باب حج المجاورين وقطّان مكة، قطعة من حديث ١٠.

عبدالله (عليه السلام): من أحرم بالحج في غير أشهر الحج، فلا حجّ له(١).

علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّادبن عثمان، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله سبحانه و تعالى: «الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج» فقال: إنّ الله عزّوجلّ اشترط على الناس شرطاً و شرط لهم شرطاً، قلت: فما الذي اشترط عليهم؟ و ما الذي اشترط لهم؟ فقال: أمّا الذي اشترط عليهم فإنّه قال: «الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج» وأمّا ماشرط لهم فإنّه قال: «فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخّر فلا إثم عليه لمن اتقى» قال: يرجع لا ذنب له، قال: قلت له: أرأيت من اُبتلي بالفسوق ما عليه؟ قال: لم يجعل الله له حدّاً، يستغفرالله و يلّبي، قلت: فمن اُبتلي بالجدال ما عليه؟ قال: إذا جادل فوق مرتين فعلى المصيب دم يهريقه، و على المخطئ بقرة(٢).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير و محمدبن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، و ابن أبي عمير جميعاً، عن معاوية بن عمّار، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا أحرمت فعليك بتقوى الله و ذكرالله كثيراً و قلّة الكلام إلّا بخير، فإنّ من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلّا من خير، كما قال الله تعالى: فإنّ الله عزّوجلّ يقول: «فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج» والرفث الجماع، والفسوق الكذب والسباب، والجدال قول الرجل: «لا والله و بلى والله». و اعلم أنّ الرجل إذا حلف بثلاثة أيمان ولاء في مقام واحد وهو محرم، فقد جادل، فعليه دم يهريقه و يتصدّق به، و إذا حلف يميناً واحدة كاذبة فقد جادل وعليه دم يهريقه و يتصدّق به(٣).

---

(١) الكافي: ج٤، ص٣٢٢، كتاب الحج، باب من احرم دون الوقت، ح٤.

(٢) الكافي: ج٤، ص٣٣٧، كتاب الحج، باب ما ينبغي تركه للمحرم من الجدال وغيره، ح١.

(٣) الكافي: ج٤، ص٣٣٧، كتاب الحج، باب ما ينبغي تركه للمُحرم من الجدال و غيره، قطعة من حديث٣.

وقال: و سألته عن الرجل يقول: لا، لعمري و بلى لعمري؟ قال: ليس هذا من الجدال، إنّما الجدال لا والله و بلى والله(١).

الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن الحسن بن علي، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام قال: إذا حلف ثلاث أيمان متتابعات صادقاً فقد جادل وعليه دم، و إذا حلف بيمين واحدة كاذبة فقد جادل وعليه دم(٢).

أبو علي الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، قال: سألته عن المحرم يريد أن يعمل العمل، فيقول له صاحبه: والله لا تعمله، فيقول: والله لأعملنّه، فيحالفه مراراً، أيلزمه ما يلزم الجدال؟ قال: لا، إنّما أراد بهذا إكرام أخيه، إنّما ذلك ما كان فيه معصية(٣).

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن أبي المغرا، عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: في الجدال شاة، و في السباب والفسوق بقرة، والرفث فساد الحج(٤).

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ: حثّ على الخير، عقيب النهي عن الشر، ليستبدل به و يستعمل مكانه.

وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ: و تزودوا لمعادكم التقوى فإنّه خير زاد.

وقيل: نزلت في أهل يمن: كانوا يحجّون ولا يتزودون، و يقولون: نحن متوكلون، فيكونون كلّاً على الناس، فأمروا أن يتزوّدوا، و يتقوا الإبرام في السؤال والتثقيل على الناس(٥).

---

(١) الكافي: ج٤، ص٣٣٨، كتاب الحج، باب ما ينبغي تركه للمُحرم من الجدال و غيره، قطعة من حديث٣.

(٢) الكافي: ج٤، ص٣٣٨، كتاب الحج، باب ما ينبغي تركه للمُحرم من الجدال و غيره، ح٤.

(٣) الكافي: ج٤، ص٣٣٨، كتاب الحج، باب ما ينبغي تركه للمُحرم من الجدال و غيره، ح٥.

(٤) الكافي: ج٤، ص٣٣٩، كتاب الحج، باب ما ينبغي تركه للمُحرم من الجدال و غيره، ح٦.

(٥) الكشاف: ج١، ص٢٢٤، في تفسير آية ١٩٧، من سورة البقرة (و تزودوا فإنّ خير الزاد التقوى).

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾

وفي نهج البلاغة: أوصيكم عباداللهِ بتقوى الله التي هي الزاد و بها المعاذ(١).

وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ: فانّ قضيـة اللب خشية و تقوى.

حثّهم على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بها، هوالله، فيتبرؤوا عن كلّ شيء سواه، وهو مقتضى العقل العري عن شوائب الأوهام، فلذا خصّ أُولي الألباب بهذا الخطاب.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا: أن تطلبوا.

فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ: عطاءً و رزقاً منه، يريد به الربح في التجارة.

في مجمع البيان: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم، قيل: كانوا يتأثّمون بالتجارة في الحج، فرفع سبحانه بهذا اللفظ الإثم عمّن يتّجر في الحج عن ابن عبّاس والمروي عن أئمّتنا عليهم السلام، وقيل: لا جناح عليكم أن تطلبوا المغفرة من ربكم، رواه جابر عن أبي جعفر (عليه السلام)(٢).

فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ: دفعتم منها بكثرة، من افضت الماء، إذا صببته

---

(١) نهج البلاغة: ص١٦٩، خطبة ١١٤.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٢٩٥، ذيل الآية ١٩٨.

بكثرة. و أصله أفضتم أنفسكم فحذف المفعول كما حذف في رفعت من البصرة و عرفات. جمع سمّي به كأذرعات.

و انّما نوّن و كسر، و فيه العلميّة و التأنيث؟ لأنّ تنوين الجمع، تنوين المقابلة، لا تنوين التمكين، و لذلك يجتمع مع اللام، و ذهاب الكسرة، يتّبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف، و هاهنا ليس كذلك، أو لأنّ التأنيث إمّا أن يكون بالتاء المذكورة، وهي ليست تاء تأنيث، و إنّما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث، أو بتاء مقدّرة كما في سعاد، ولا يصحّ تقديرها لأنّ المذكورة تمنعه من حيث أنّها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت.

و إنّما سمّي الموقف عرفة لأنّه نعت لإبراهيم عليه السلام فلّما أبصره عرفه روي ذلك عن علي عليه السلام. أو لأن جبرئيل كان يدور به في المشاعر، فلما أراه قال: قد عرفت. أو لأنّ آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا رواه أصحابنا أيضا(١)، أو لأنّ الناس يتعارفون فيه(٢).

وفي كتاب علل الشرايع: بإسناده إلى معاوية بن عمّار قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن عرفات، لم سمّي عرفات؟ فقال: إنّ جبرئيل عليه السلام خرج بإبراهيم صلوات الله عليه يوم عرفة فلمّا زالت الشمس قال له جبرئيل (عليه السلام): إعترف بذنبك و اعرف مناسكك، فسمّي عرفات لقول جبرئيل عليه السلام: اعترف، فاعترف(٣).

وفي الكافي باسناده إلى أبي بصير أنّه سمع أبا جعفر و أبا عبدالله عليهما السلام يذكران أنّه قال جبرئيل عليه السلام لإبراهيم عليه السلام: هذه عرفات فاعرف بها

---

(١) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص٢٩٥، ذيل الآية ١٩٨.

(٢) ما اورده من وجوه التسمية بتمامه مذكورة في الكشاف: ج١، ص٢٤٥، في تفسيره الآية ١٩٨، من سورة البقرة.

(٣) علل الشرايع: ج٢، ص١٢١، باب ١٧٣، العلة التي من أجلها سميّت عرفات، ح١.

مناسكك و اعترف بذنبك فسمّي عرفات، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(١).

فَاذْكُرُوا اللَّهَ: بالتلبية والتهليل والدعاء، وقيل بصلاة العشائين.

عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ: قيل: جبل و سمى قزح.

وقيل مابين مأزمي عرفة و وادي محسّر، و سمّي مشعراً، لأنّه معلم العبادة، و وصف بالحرم لحرمته، ومعنى عندالمشعر الحرام، ممّا يليه و يقرب منه فإنّه أفضل.

وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ: كما علّمكم، و (ما) مصدريّة أو كافّة.

وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ: أي الهدى.

لَمِنَ الضَّالِّينَ: الجاهلين بالايمان والطاعة، و (إن) هي المخفّفة، واللام هي الفارقة، وقيل: (إن) نافية، واللام بمعنى إلاّ، كقوله: «و ان نظنك لمن الكاذبين»(٢).

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ: في مجمع البيان: من حيث أفاض الناس، قيل فيه قولان:

أحدهما: أنّ المراد الإفاضة من عرفات، و أراد بالناس سائر العرب، فإنّه أمر لقريش وحلفائهم وهم الحمس(٣) لأنّهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة، ولا يفيضون منها، و يقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه، و كانوا يقفون بالمزدلفة و يفيضون منها، فأمرهم الله بالوقوف بعرفة والإفاضة منها كما يفيض الناس، و أراد

---

(١) الكافي: ج٤، ص٢٠٧، كتاب الحج، باب حج ابراهيم و اسماعيل وبنائهما البيت ومن ولّي البيت بعدهما عليهما السلام، قطعة من حديث ٩.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٨٦.

(٣) الحُمس جمع الأحمس وهم قريش ومن ولدت قريش وكنانه، وجديلة قيس، سمّوا حمساً لأنّهم تحمّسوا في دينهم، أي تشددوا، والحماسة: الشجاعة، كانوا يقفون بمزدلفة ولا يقفون بعرفة، و يقولون: نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم، وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون. النهاية لابن الأثير: ج١، ص٤٤٠، «في لغة حمس».

بالناسساير العرب، وهوالمروي عن الباقر (عليه السلام).

والثاني: أنّ المراد به الإفاضة من المزدلفة إلى مني يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر.

و ممّا يسأل على القول الأوّل أن يقال: إذا كان ثم للترتيب، فما معنى الترتيب هنا؟ وقد روى أصحابنا في جوابه: إنّ هاهنا تقديماً و تأخيراً، و تقديره «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم، ثم افيضوا من حيث أفاض الناس، فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام و استغفروا الله إنّ الله غفور رحيم»(١).

وفي تفسير العياشي: عن زيد الشحام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله: «أفيضوا من حيث أفاض الناس» قال: أُولئك قريش كانوا يقولون: نحن أولى الناس بالبيت، ولا يفيضون إلّا من المزدلفة فأمرهم الله أن يفيضوا من عرفة(٢).

و عن رفاعة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» قال: إنّ أهل الحرم كانوا يقفون على المشعر الحرام و يقف الناس بعرفة ولا يفيضون حتّى يطلع عليهم أهل عرفة، وكان رجلاً يكنّى أبا سيّار وكان له حمار فاره، وكان يسبق أهل عرفة، فاذا طلع عليهم قالوا: هذا أبو سيّار ثم أفاضوا، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفة و أن يفيضوا منه(٣).

وعن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «ثم أُفيضوا من حيث أفاض الناس» قال: هم أهل اليمن(٤).

وفي روضة الكافي: ابن محبوب، عن عبدالله بن غالب، عن أبيه، عن سعيدبن المسيب قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: إنّ رجلاً جاء إلى

---

(١) مجمع البيان: ج١-٢، ص٢٩٦، في ذيل الآية ١٩٩.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص٩٦، ح٢٦٣.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص٩٧، ح٢٦٤.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص٩٨، ح٢٦٩.

أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني إن كنت عالماً عن الناس وعن أشباه الناس وعن النسناس؟ فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: يا حسين أجب الرجل فقال الحسين عليه السلام: أمّا قولك أخبرني عن الناس، فنحن الناس ولذلك قال الله تبارك وتعالى ذكره في كتابه «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» فرسول الله الذي أفاض بالناس، و أمّا قولك عن أشباه الناس، فهم شيعتنا وهم موالينا وهم منّا، و كذلك قال إبراهيم عليه السلام: «فمن تبعني فإنّه منّي»(١) و أمّا قولك عن النسناس فهم السواد الأعظم و أشار بيده إلى جماعة الناس، ثم قال: «إن هم إلّا كالانعام بل هم أضلّ سبيلا»(٢/٣).

وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ: من جاهليتكم في تغيير المناسك.

إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ: يغفر ذنب المستغفر و ينعم عليه.

وفي الكافي: علي بن ابراهيم، ومحمدبن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام وقال: في حديث طويل: و نزل رسول الله صلّى الله عليه وآله بمكة بالبطحاء هو و أصحابه ولم ينزلوا الدور، فلمّا كان يوم التروية عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا و يهلّوا بالحج، وهو قول الله تعالى الذي أنزل الله تعالى على نبيّه صلّى الله عليه وآله: «و اتّبعوا ملّة أبيكم ابراهيم»(٤) فخرج النبي صلّى الله عليه وآله و أصحابه مهلّين بالحج حتّى أتى منى فصلّى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر، ثم غدا والناس معه، وكانت قريش تفيض من المزدلفة، وهي جمع، و يمنعون الناس أن يفيضوا منها فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله و قريش ترجو أن يكون إفاضته من حيث كانوا يفيضون، فأنزل الله تعالى «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق في إفاضتهم منها ومن كان بعدهم، فلمّا رأت قريش أن قبة

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٤٤.

(٣) الكافي: ج٨، ص٢٤٤، ح٣٣٩.

(٤) سورة الحج: الآية ٧٨.

رسول الله صلّى الله عليه وآله قد مضت كأنّه دخل في أنفسهم شيء للذي كانوا يرجون من إفاضته من مكانهم حتّى انتهى إلى نمرة(١) وهي بطن عرنة بحيال الأراك فضربت قبّته وضرب الناس أخبيتهم(٢) عندها، فلمّا زالت الشمس خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله ومعه قريش وقد اغتسل و قطع التلبية حتّى وقف بالمسجد فوعظ الناس و أمرهم ونهاهم، ثم صلّى الظهر والعصر بأذان و إقامتين، ثم مضى إلى الموقف فوقف به، فجعل الناس يبتدرون أخفاف ناقته يقفون إلى جانبها، فنحّاها ففعلوا مثل دلك، فقال: أيها الناس ليس موضع إخفاف ناقتي بالموقف، ولكن هذا كلّه، وأومى بيده إلى الموقف، فتفرّق الناس، و فعل ذلك بالمزدلفة، فوقّف الناس حتّى وقع قرص الشمس، ثم أفاض و أمر الناس بالدعة، حتّى انتهى إلى المزدلفة، وهي المشعر الحرام(٣).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمدبن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمّار قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: إنّ المشركين كانوا يفيضون من قبل أن تغيب الشمس، فخالفهم رسول الله صلّى الله عليه وآله و أفاض بعد غروب الشمس، قال: وقال أبو عبدالله عليه السلام: إذا غربت الشمس فافض مع الناس و عليك السكينة والوقار، وافض بالاستغفار، فإنّ الله عزّوجلّ يقول: «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس و استغفروا الله» والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(٤).

---

(١) وفي حديث الحج: «حتى آتى نمرة» هوالجبل الذي عليه أنصاب الحرم بعرفات. النهاية لابن الأثير: ج٥، ص١١٨، لغة (نمرة).

(٢) (خبا) في حديث الاعتكاف: «فأمر بخبائه فقوّض» الخباء: أحد بيوت العرب من وبر أو صوف ولا يكون من شعر و يكون على عمودين أو ثلاثة، والجمع أخبية، وقد تكرّر في الحديث مفرداً ومجموعاً. النهاية لابن الأثير: ج٢، ص٩، لغة (خبا).

(٣) الكافي: ج٤، ص٢٤٥، باب حج النبي (صلّى الله عليه وآله) قطعة من حديث٤.

(٤) الكافي: ج٤، ص٤٦٧، باب الافاضة من عرفات، قطعة من حديث٢.

فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ
خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ: فاذا أدّيتم العبادات الحجيّة وفرغتم منها.

فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ: فاكثروا ذكره و بالغوافيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة.

أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا: إمّا مجرور معطوف على الذكر، بجعل الذكر ذاكراً على المجاز، والمعنى: فاذكروا الله ذكراً كذكركم آبائكم، أوكذكرا أشدّمنه وأبلغ. أو على ما أُضيف إليه بمعنى أو كذكر قوم أشدّ منكم ذكراً. و إمّا منصوب بالعطف على آبائكم و ذكر من فعل المذكور، بمعنى أو كذكركم أشدّ مذكورا من آبائكم. أو بمضمر دلّ عليه المعنى، تقديره أو كونوا أشد ذكراً لله منكم لآبائكم.

في الكافي: أبوعلي الأشعري، عن محمّدبن عبدالجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن منصوربن حازم، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى «واذكروا الله في أيّام معدودات» قال: هي أيّام التشريق، كانوا إذا أقاموا بمنى بعد النحر تفاخروا فقال الرجل منهم: كان أبي يفعل كذا وكذا، فقال الله تعالى: «فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله كذكركم آبائكم أو أشدّ ذكرا» قال: والتكبير: الله اكبر الله اكبر لا إله الآ الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد الله اكبر على ما هدانا الله اكبر على

ما رزقنا من بهيمة الانعام(١).

وفي مجمع البيان: «كذكركم آبائكم» معناه ما روي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): إنّهم كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك ويعدّون مفاخر آبائهم ومآثرهم، ويذكرون أيامهم القديمة وأياديهم الجسيمة، فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه مكان ذكر آبائهم في هذا الموضع (أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً) أو يزيدوا على ذلك بأن يذكروا نعم الله سبحانه ويعدّوا آلائه ويشكروا نعمائه، لأنّ آبائهم وإن كانت لهم عليهم أياد ونعم، فنعم الله سبحانه عليهم أعظم وأياديه عندهم أفخم، ولأنّه سبحانه المنعم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: «فاذكروا الله كذكركم آبائكم أو أشدّ ذكراً» قال: كانت العرب إذا وقفوا بالمشعر، يتفاخرون بآبائهم، فيقول: لا وأبيك، لا وأبي، فامرهم الله أن يقولوا: لا والله وبلى والله(٣).

وفي تفسير العياشي: عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله بدون لفظ يتفاخرون بآبائهم(٤).

فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ: تفسير للذاكرين، إلى مقلّ لا يطلب بذكر الله إلّا الدنيا، ومكثر يطلب به خير الدارين، أريد به الحثّ على الاكثار والإرشاد إليه.

رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا: اجعل ايتائنا في الدنيا.

وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ: أي نصيب وحظ، لأنّ همّه مقصور بالدنيا، أو من طلب خلاق.

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً: السعة في الرزق والمعاش

---

(١) الكافي: ج٤، ص٥١٦، باب التكبير ايام التشريق، ح٣.

(٢) مجمع البيان: ج٢، ص٢٩٧، ذيل الآية ٢٠٠.

(٣) تفسير علي ابن ابراهيم القمي: ج١، ص٦٩.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص٩٨، ح٢٧٢، ولفظ الحديث هكذا (عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قوله: «اذكروا الله كذكركم آبائكم أو أشدّ ذكرا» قال: إنّ أهل الجاهلية كان من قولهم: كلا وأبيك بلى وأبيك، فأمروا أن يقولوا: لا والله وبلى والله».

وحسن الخلق.

وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً: رضوان الله والجنّة.

وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ: بالعفو والمغفرة.

أُوْلَٰٓئِكَ: إشارة إلى الفريق الثاني، أو إليهما.

لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا: أي من جنسه، وهو جزائه، أو من أجله، كقوله: خطيئاتهم اُغرقوا»(١) أو ممّا دعوا به نعطيهم منه ما قدّرناه، فسمّي الدعاء كسباً، لأنّه من الأعمال.

وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ: يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لمحة، أو يوشك أن يقيم القيامة و يحاسب الناس فبادروا إلى الطاعات و اكتساب الحسنات.

في كتاب معاني الأخبار: و حدّثنا محمّدبن موسى بن المتوكّل رحمه الله قال: حدّثنا عبدالله بن جعفر الحميري عن أحمدبن محمّد، عن الحسن بن محبوب، عن جميل بن صالح، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عزّوجلّ: «ربّنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة» قال: رضوان الله والجنّة في الآخرة والسعة فى الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا(٢).

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمدبن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، و صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: طف بالبيت سبعة أشواط و تقول في الطواف اللهم إني أسألك، إلى أن قال عليه السلام: و تقول فيما بين الركن اليماني والحجر الأسود «ربّنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»(٣).

---

(١) سورة نوح: الآية ٢٥.

(٢) معاني الاخبار: ص١٧٤، باب معنى حسنة الدنيا و حسنة الآخرة، ح١.

(٣) الكافي: ج٤، ص٤٠٦، كتاب الحج، باب الطواف وإستلام الأركان. قطعة من حديث١.

عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضربن سويد، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يستحبّ أن تقول بين الركن والحجر «اللهمّ آتنا فى الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» وقال: إنّ ملكاً موكّلاً يقول: آمين(١).

عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عزّوجلّ «ربّنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة» رضوان الله والجنّة في الآخرة والمعاش وحسن الخلق في الدنيا(٢).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد القاساني جميعاً، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن سفيان بن عيينه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأل رجل أبي بعد منصرفه من الموقف فقال: أترى يخيّب الله هذا الخلق كلّه؟ فقال أبي: ما وقف بهذا الموقف أحدٌ إلّا غفرالله له مؤمناً كان أو كافراً، إلّا إنّهم في مغفرتهم على ثلاث منازل، مؤمن غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخرّواعتقه الله من النار، و ذلك قوله تعالى: «ربنا آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب ممّا كسبوا والله سريع الحساب» و سنذكر تتمّة الحديث إن شاء الله تعالى(٣).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله: روي عن موسى بن جعفرعن أبيه، عن آبائه، عن الحسن بن علي، عن أبيه عليهم السلام قال: بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله جالس إذ سأل عن رجل من أصحابه. فقالوا يا رسول الله: إنّه صار في البلاء كهيئة الفرخ لا ريش عليه، فأتاه عليه السلام فاذا هو كهيئة الفرخ لا ريش عليه من شدّة البلاء فقال له: تدعو في صحتك دعاء؟ قال: نعم أقول: يا رب أيّما عقوبة أنت معاقبي بها في الآخرة فعجلّها لي في الدنيا، فقال له النبي صلّى الله عليه وآله: ألا قات: اللهمّ آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، فقال: فكأنّما

---

(١) الكافي: ج٤، ص٤٠٨، كتاب الحج، باب الطواف واستلام الأركان: ح٧

(٢) الكافي: ج٥، ص٧١١، كتاب المعيشه، باب الاستعانه بالدنيا على الآخرة: ح٢

(٣) الكافي: ج٤، ص٥٢١، كتاب الحج، باب النفر من منى الأول والآخر، ح١٠.

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾

نشط من عقال و قام صحيحاً و خرج معنا، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة(١).

وفي مجمع البيان: «والله سريع الحساب» ورد في الخبر: أنّه سبحانه يحاسب الخلائق كلّهم في مقدار لمح البصر(٢).

و روي بقدر حلب شاة(٣).

و روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال: معناه أنّه يحاسب الخلائق دفعة كما يرزقهم دفعة(٤).

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ: في أدبار الصلوات في أيام التشريق.

في الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزّوجلّ «واذكروا الله في أيّام معدودات» قال: التكبير في أيّام التشريق من صلاة الظهر من يوم النحر إلى صلاة الفجر من يوم الثالث، وفي الأمصار عشر صلوات، فاذا نفر بعد الأولى أمسك أهل الأمصار، ومن أقام بمنى فصلّى بها الظهر والعصر فليكبّر(٥).

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢و٣و٤) مجمع البيان: ج١-٢، ص٢٩٨، في ذيل الآية ٢٠٢.

(٥) الكافي: ج٤، ص٥١٦، كتاب الحج، باب التكبير ايام التشريق، ح١.

وفي كتاب معاني الأخبار: أبي رحمه الله قال: حدّثنا محمّد بن أحمد بن علي بن الصلت، عن عبدالله بن الصلت، عن يونس بن عبدالرحمن، عن المفضل بن صالح، عن زيد الشحام، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، في قول الله عزّوجلّ: «واذكروا الله في أيّام معدودات» قال: المعلومات والمعدودات واحدة، وهي أيّام التشريق(١).

وقد سبق من الأخبار ما يدل على صورة التكبير.

فَمَن تَعَجَّلَ: النفر

فِي يَوْمَيْنِ: أي نفر في ثاني أيام التشريق.

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ: باستعجاله.

وَمَن تَأَخَّرَ: فى النفر حتى رمي اليوم الثالث.

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ: بتأخيره، ومعنى نفي الإثم بالتعجيل والتأخير، التخيير بينهما، والردّ على أهل الجاهليّة، فإنّ منهم من إثم المستعجل، ومنهم من إثم المتأخّر.

لِمَنِ اتَّقَىٰ: أي الذي ذكر من التخيير لمن اتّقى الصيد، فإنّ من لم يتّق الصيد ليس له التخيير، بل يتعيّن عليه التأخير.

في تهذيب الأحكام: محمدبن عيسى، عن محمدبن يحيى، عن حمّاد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا أصاب المحرم الصيد فليس له أن ينفر في النفر الأوّل، ومن نفر في النفر الأوّل فليس له أن يصيب الصيد حتّى ينفر الناس، وهو قول الله عزّوجلّ «فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه لمن اتّقى» قال: إتّقى الصيد(٢).

عن محمدبن عيسى، عن أحمدبن محمد، عن علي، عن أحدهما عليهما السلام أنّه قال: في رجل بعث بثقله يوم النفر الأوّل و أقام هو إلى الأخير؟ قال: هو ممّن تعجّل في يومين(٣).

وفي من لا يحضره الفقيه: و روى معاوية بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام

---

(١) معاني الاخبار: ص٢٩٦، باب معنى الايام المعلومات والايام المعدودات، ح٣.

(٢) التهذيب: ج٥، ص٤٩٠، باب ٢٦، من الزيادات في فقه الحج، ح٤٠٤.

(٣) التهذيب: ج٥، ص٤٩٠، باب ٢٦، من الزيادات في فقه الحج، ح٤٠٣.

قال: سمعته يقول في قول الله عزّوجلّ: «فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخرّ فلا إثم عليه لمن اتقى» فقال: يتّقي الصيد حتّى ينفر أهل منى في النفر الأخير(١).

وفي رواية ابن محبوب، عن أبي جعفر الأحول، عن سلام بن المستنير،عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: لمن اتّق الرفث والفسوق والجدال وما حرّم الله عليه في إحرامه(٢).

وفي رواية علي بن عطيّة، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (لمن اتقى الله عزّوجلّ(٣).

و روي انّه يخرج من ذنوبه كهيئته يوم ولدته أُمّه(٤).

و روي: من وفى، و فى الله له(٥).

و في الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، و علي بن محمد القاساني جميعاً، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقري، عن سفيان بن عيينه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأل رجل أبي بعد منصرفه من الموقف فقال: أترىٰ يخيّب الله هذا الخلق كلّه؟ فقال أبي: ما وقف بهذا الموقف أحدٌ إلّا غَفَرالله له مؤمناً كان أو كافراً، إلّا أنّهم في مغفرتهم على ثلاث منازل، إلى قوله: ومنهم من غفرالله له ما تقدّم من ذنبه. وقيل له: أحسن فيما بقي من عمرك، و ذلك قوله تعالى: «فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخّرثم عليه» يعني من مات قبل أن يمضى فلا إثم عليه ومن تأخّر فلا إثم عليه لمن اتّقى الكبائر(٦).

عدّة من أصحابنا،عن أحمدبن محمد، عن علي بن الحكم، عن داود بن النعمان عن أبي أيّوب قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام إنّا نريد أن نتعجّل السير، وكانت

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٨٨، باب ١٩٤، النفر الاول والاخير،ح٢.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٨٨، باب ١٩٤، النفر الاول والاخير، ح٣
(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٨٨، باب ١٩٤، النفر الاول والاخير، ح٤.
(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٨٨، باب ١٩٤، النفر الاول والاخير، ح٥.
(٥) من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٨٨، باب ١٩٤، النفر الاول والاخير،ح٦.
(٦) الكافي: ج٤، ص٥٢١، كتاب الحج، باب النفر من منى الاول والآخر، قطعة من حديث ١٠.

ليلة النفر حين سألته، فأي ساعة تنفر؟ فقال لي: أمّا اليوم الثاني فلا تنفر حتّى تزول الشمس، وكانت ليلة النفر، و أمّا اليوم الثالث فاذا ابيضّت الشمس فانفر على بركة الله، فإنّ الله تعالى يقول: «فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه» فلو سكت لم يبق أحد إلّا تعجّل، ولكنّه قال: «ومن تأخّر فلا إثم عليه»(١).

حميدبن زياد، عن الحسن بن محمدبن سماعة، عن أحمدبن الحسن الميثمي، عن معاوية بن وهب، عن إسماعيل بن نجيح الرمّاح قال: كنا عند أبي عبدالله عليه السلام بمنىٰ ليلة من الليالي فقال: ما يقول هؤلاء: «فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخّر فلا إثم عليه»؟ قلنا: ما ندري، قال: بلى يقولون: من تعجّل من أهل البادية فلا إثم عليه، ومن تأخّر من أهل الحضر فلا إثم عليه، وليس كما يقولون، قال الله جلّ ثنائه: «فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه» ألا لا إثم عليه «ومن تأخّر فلا إثم عليه» ألا لا إثم عليه، لمن اتّقى، إنّما هي لكم، والناس سواد و أنتم الحاج(٢).

عدّة من اصحابنا، عن أحمدبن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن عبدالأعلى قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: كان أبي يقول: من أمّ هذا البيت حاجّاً أو معتمراً مبرءً من الكبر رجع من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أُمّه، ثم قرء «فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتّقى» قلت: ما الكبر؟ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ أعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحقّ، قلت: ما غمص الخلق و سفه الحقّ؟ قال: يجهل الحقّ و يطعن على أهله، فمن فعل ذلك نازع الله ردائه(٣).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّادبن عثمان، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخّر فلا

(١) الكافي: ج٤، ص٥١٩، كتاب الحج، باب النفر من منى الاول والآخر، ح١.
(٢) الكافي: ج٤، ص٥٢٣، كتاب الحج، باب النفر من منى الاول والآخر، ح١٢.
(٣) الكافي: ج٤، ص٢٥٢، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة وثوابهما، ح٢.

إثم عليه لمن اتّقى» قال: يرجع لا ذنب له(١).

وفي كتاب معاني الأخبار: حدّثنا أبي رحمه الله قال: حدّثنا الحسين بن محمدبن عامر، عن عبدالله‌بن عامر، عن محمدبن أبي عمير، عن حمّادبن عثمان، عن عبدالله بن علي الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ «فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخّر فلا إثم عليه لمن اتّقى» قال: يرجع ولا ذنب له. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة(٢).

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ العبد المؤمن حين يخرج من بيته حاجّاً لا يخطو خطوة ولا تخطو به راحلته إلّا كتب الله له بها حسنة، ومحى عنه سيئة، و رفع له بها درجة، فإذا وقف بعرفات فلو كانت ذنوبه عدد الثرى رجع كما ولدته اُمّه، فقال له: إستانف العمل، يقول الله: «فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخّر فلا إثم عليه لمن اتّقى»(٣).

عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «فمن تعجّل في يومين فلاإثم عليه» الآية قال: أنتم والله هم، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: لا يثبت على ولاية علي إلّا المتقون(٤).

عن حمّاد، عنه عليه السلام في قوله: «لمن اتقى» الصيد، فإن اُبتلي بشيء من الصيد ففداه، فليس له أن ينفر في يومين(٥).

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ: في مجامع أموركم ليعبأ بكم.

وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ: للجزاء بعد الإحياء. و أصل الحشر الجمع، وهو ضم المتفرّق.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ: يروقك و يعظم في نفسك والتعجّب: حيرة تعرض

---

(١) الكافي: ج٤، ص ٣٣٧، كتاب الحج، باب ما ينبغي تركه للمحرم من الجدال وغيره، قطعة من حديث١.

(٢) معاني الأخبار: ص٢٩٤، باب ما اشترط الله عزّوجلّ على الناس في الحج وما شرط لهم، قطعة من حديث١.

(٣و٤و٥) تفسيرالعياشي: ج١، ص١٠٠، ح٢٨٣ و٢٨٥و٢٨٦.

وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

الإنسان لجهله بسبب المتعجب منه.

فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا: متعلّق بالقول، أي ما يقول في أُمور الدنيا و أسباب المعاش، وفي معنى الدنيا، فإنّها مرادة من إدّعاء المحبّة و إظهار الإيمان. أو بيعجبك، أي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة و فصاحة ولا يعجبك في الآخرة، لما يعتريه من الدهشة والحبسة، أو لأنّه لا يؤذن له في الكلام.

وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ. يحلف و يشهد الله على أن ما في قلبه موافق لكلامه.

وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ: شديدالعداوة والجدال للمسلمين، والخصال: المخاصمة، و يجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب، بمعنى أشدّ الخصوم خصومة.

قيل: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، وكان حسن المنظر، حلو المنطق، يوالي رسول الله صلّى الله عليه وآله و يدّعي الاسلام، وقيل: في المنافقين كلّهم(١).

وَإِذَا تَوَلَّىٰ: أدبر و انصرف عنك، و قيل: إذا غلب وصار والياً.

سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ: كما فعل الأخنس بثقيف إذ بيّتهُم و أحرق زروعهم و أهلك مواشيهم، أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف، أو بالظلم حتّى يمنع الله بسوء منهم القطر، فيهلك الحرث والنسل.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج١، ص١٤٨.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾: لا يرتضيه، فاحذروا غضبه عليه.

وفي تفسير العياشي، عن الحسين بن بشار قال: سألت أبا الحسن عليه السلام، عن قول الله «وَ مِنَ النّاسِ من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا» قال: فلان وفلان «و يهلك الحرث والنسل» النسل هم الذريّة والحرث الزرع(١).

عن سعد الأسكاف: عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله يقول في كتابه «وهو ألد الخصام» بل هم يختصمون قال: قلت: وما الفرق؟ قال: الخصومة(٢).

عن زرارة عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام قال: سألتهما عن قوله «و إذا تولّى سعىٰ في الأرض» الى آخر الآية، فقال: النسل: الولد، والحرث: الأرض(٣).

وقال أبو عبدالله عليه السلام: الحرث: الذرية(٤).

وفي روضة الكافي: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن محمد بن سليمان الأزدي عن أبي الجارود، عن أبي إسحاق، عن أمير المؤمنين عليه السلام «و إذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث والنسل» بظلمه وسوء سريرته «والله لا يحب الفساد»(٥).

في مجمع البيان: روي عن الصادق عليه السلام إنّ الحرث في هذا الموضع الدين، والنسل: الناس(٦).

وفي تفسير علي بن إبراهيم قال: الحرث في هذا الموضع الدين، والنسل: الناس و نزلت في الثاني، وقيل في معاوية(٧).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾: حملته الأنفة على الإثم وألزمته إيّاه،

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٠، ح٢٨٧.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٠١، ح٢٩١ وفيه (قلت ما ألد؟ قال: شديد الخصومة).

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٠، ح٢٨٨.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص ١٠١، ح٢٨٩.

(٥) الكافي: ج٨، ص٢٨٩، ح٤٣٥.

(٦) مجمع البيان: ج١-٢، ص٣٠٠، ذيل الآية ٢٠٥، من سورة البقرة.

(٧) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٧١.

من قولك: أخذته بكذا حملته عليه.

فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۖ: كفته جزاء وعذابا. وجهنم علم لدار العقاب، غير منصرف للتأنيث والعلمية، وهو في الأصل مرادف للنار، وقيل: معرب.

وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ: جواب قسم مقدّر، والمخصوص بالذم محذوف، للعلم به، و «المهاد» الفراش وقيل: ما يوطأ للجنب.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ: طلباً لرضاه.

روى الثعلبي في تفسيره قال: لمّا أراد النبي صلّى الله عليه وآله الهجرة خلّف علياً عليه السلام لقضاء ديونه و ردّ الودايع التي كانت عنده، و أمره ليلة خروجه إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه، وقال له: ياعلي أتشح ببردي الحضرمي، ثم نم على فراشي، فإنّه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله.

ففعل ما أمره به، فأوحى الله عزّوجلّ إلى جبرئيل و ميكائيل: إنّي قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلّ منهما الحياة، فأوحى الله عزّوجلّ إليهما، ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه و بين محمد، فبات على فراشه يفديه بنفسه و يؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض، فاحفظاه من عدوّه، فنزلا، فكان جبرئيل عند رأسه و ميكائيل عند رجليه، و جبرئيل يقول: بخ بخ من مثلك يا علي بن أبي طالب، يُباهي الله بك ملائكته، فأنزل الله عزّوجلّ على رسوله صلّى الله عليه وآله، وهو متوجّه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام «ومن الناس من يشري» الآية(١).

و روى أخطب خوارزم حديثاً يرفعه بإسناده إلى النبي صلّى الله عليه وآله قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: نزل عليّ جبرئيل عليه السلام صبيحة يوم الغارفقلت: حبيبي جبرئيل مالي أراك فرحاً مستبشراًفقال: يا محمد و كيف لا أكون كذلك وقد قرّت عيني بما أكرم الله به أخاك و وصيك و إمام أُمّتك علي بن أبي طالب، فقلت: و بماذا أكرمه الله؟ قال: باهى الله بعبادته البارحة ملائكته،

---

(١) تفسير البرهان: ج١، ص٢٠٧، ح١، نقلاً عن تفسير الثعلبي، مع اختلاف يسير.

وحملة عرشه وقال: ملائكتي انظروا إلى حجّتي في أرضي على عبادي بعد نبيي وقد بذل نفسه وعفّر خدّه في التراب تواضعاً لعظمتي، أُشهدكم بأنّه إمام خلق ومولى بريّتي(١).

و في أمالي شيخ الطائفة رحمه‌الله: بإسناده إلى حكيم بن جبير، عن علي بن الحسين صلوات الله عليه في قول الله عزّوجلّ: «ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضات الله» قال: نزلت في علي عليه السلام حين بات على فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله(٢).

و بإسناده إلى سعيدبن أوس قال: كان أبوعمرو بن العلا إذا قرء «ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضات الله» قال: كرّم الله عليّاً عليه السلام فيه نزلت هذه الآية(٣).

و بإسناده إلى أنس بن مالك قال: لمّا توجّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى الغار ومعه أبوبكر أمر النبي صلّى الله عليه وآله عليّا عليه السلام أن ينام على فراشه و يتوشح ببردته، فبات علي عليه السلام موطناً نفسه على القتل، و جاءت رجال قريش من بطونها يريدون قتل رسول الله صلّى الله عليه وآله، فلمّا أرادوا أن يضعوا عليه أسيافهم، لا يشكّون أنّه محمد صلّى الله عليه وآله فقالوا: أيقظوه ليجد ألم القتل و يرى السيوف تأخذه فلمّا أيقظوه فرأوه عليّا تركوه، فتفرقوا في طلب رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأنزل الله عزّوجلّ «ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد»(٤)

وفي تفسير علي بن إبراهيم قوله: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله» قال: ذاك أميرالمؤمنين عليه السلام، ومعنى «يشري نفسه» يبذلها(٥).

و في مجمع البيان: روى السدي، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في

---

(١) المناقب للخوارزمي: ج١، ص٢٨٨، الفصل التاسع عشر، في فضائل له شتى، وليس فيه كلمة (الغار) ولا (بذل نفسه).

(٢و٣و٤) الامالي للطوسي: ج٢، ص٦١، (الجزء السادس عشر).

(٥) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٧١، في تفسيره للآية الشريفة.

علي بن أبي طالب عليه السلام حين هرب النبي صلّى الله عليه وآله من المشركين إلى الغار و نام عليّ عليه السلام على فراش النبي صلّى الله عليه وآله، و نزلت الآية بين مكّة والمدينة(١).

و روي أنّه لمّا نام على فراشه قام جبرائيل عند رأسه و ميكائيل عند رجليه، و جبرائيل ينادي بخ بخ من مثلك يا علي بن أبي طالب يباهي الله تعالى الملائكة بك(٢).

و ما روي عن علي عليه السلام: من أنّ المراد بالآية: الرجل يُقتل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٣).

فلا ينافي ما سبق من الأخبار، لأنّ ما ذكر في الأخبار سبب نزوله أوّلاً، ثم جرى فيمن يشاركه في بعض أوصافه ممّن ذكر في هذا الخبر.

وقد روي في كتاب الخصال عن الحسن بن علي الديلمي مولى الرضا عليه السلام قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: من حج بثلاثة نفر من المؤمنين فقد اشترى نفسه من الله عزّوجلّ بالثمن ولم يسأله من أين كسب ماله من حلال أو حرام(٤).

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾: حيث أرشدهم على مثل هذا الشراء، و يجازيهم عليه الجزاء.

و ورد في تفسير الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري صلوات الله عليهما قال عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: معاشر عباد الله عليكم بخدمة من أكرمه الله بالإرتضاء و اجتباه بالإصطفاء وجعله أفضل أهل الأرض والسماء بعد محمّد صلّى الله عليه وآله سيد الأنبياء علي بن أبي طالب و بموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، و قضاء حقوق إخوانكم الذين هم في موالاته و معاداة أعدائه شركائكم، فإنّ رعاية علي أحسن من رعاية هؤلاء التّجار الخارجين بصاحبكم الذي ذكرتموه

(١و٢) مجمع البيان: ج١-٢، ص٣٠١، في سبب نزول الآية ٢٠٧.

(٣) مجمع البيان: ج١-٢، ص٣٠١، في سبب نزول الآية ٢٠٧.

(٤) الخصال: ص١١٨، باب الثلاثة، ح١٠٣.

إلى الصين الذي عرّضوه للفناء و أعانوه بالشراء، أما إنّ من شيعة علي من يأتي يوم القيامة وقد وضع له في كفة ميزانه من الآثام ما هو أعظم من الجبال الرواسي والبحار السيارة، يقول الخلائق: قد هلك هذا العبد، فلا يشكّون أنّه من الهالكين وفي عذاب الله من الخالدين، فيأتيه النداء من قبل الله تعالى عزّوجلّ، أيّها العبد الجاني هذه الذنوب الموبقات فهل لك بازائها حسنات تكافيها، فتدخل جنّة الله برحمة الله، أو تزيد عليها فتدخلها بوعدالله؟

فيقول العبد: لاأدري، فيقول منادي ربّنا عزّوجلّ: فإنّ ربي يقول: ناد في عرصات القيامة: ألا و إنّي فلان بن فلان من أهل بلد كذا وكذا و قرية كذا وكذا، قد رهنت بسيئاتي كأمثال الجبال والبحار ولا حسنات لي بازائها، فأي أهل هذا المحشر كان لي عنده يداً و عارفة فليغثني بمجازاتي عنها، فهذا أوان شدّة حاجتي إليها، فينادي الرجل بذلك، فأوّل من يجيبه علي بن أبي طالب عليه السلام: لبيك لبيك أيها الممتحن في محبتي المظلوم بعداوتي.

ثم يأتي هو ومعه عدد كثير وجم غفير، و إن كانوا أقلّ عدداً من خصمائه الذين لهم قبله الظلامات.

فيقول ذلك العدد: يا أميرالمؤمنين نحن إخوانه المؤمنون وقد كان بنا باراً ولنا مكرماً، وفي معاشرته إيّانا مع كثرة إحسانه إلينا متواضعاً، وقد بذلنا له عن جميع طاعتنا وبذلناها له، فيقول علي عليه السلام فبماذا تدخلون جنة ربكم؟ فيقولون: برحمة الله الواسعة التي لا يعدمها من والاك و والى وليّك يا أخا رسول الله، فيأتي النداء من قبل الله تعالى يا أخا رسول الله هؤلاء إخوانه المؤمنون قد بذلوا له، فأنت ماذا تبذل له، فإني أنا الحكم، ما بيني و بينه من الذنوب فقد غفرتها له بموالاته إيّاك، وما بينه و بين عبادي من الظلامات، فلا بدّ من فصل الحكم بينه و بينهم، فيقول علي عليه السلام: يا رب أفعل ما تأمرني، فيقول الله تعالى: يا علي أضمن لخصمائه تعويضهم عن ظلاماتهم قبله، فيضمن لهم علي عليه السلام ذلك، و يقول: اقترحوا عليّ ما شئتم أعطيكم عوضا عن ظلاماتكم، فيقولون: يا أخا رسول الله تجعل لنا بازاء ظلاماتنا قبله ثواب نفس من أنفاسك ليلة بيتوتك على فراش محمد

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾

رسول الله صلّى الله عليه وآله، فيقول علي عليه السلام: قد وهبت ذلك لكم، فيقول الله عزّوجل فانظروا عبادي الآن إلى ما نلتموه من علي فداءً لصاحبه من ظلاماتكم و يظهر لهم ثواب نفس واحد في الجنان من عجائب قصورها و خيراتها، فيكون من ذلك ما يرضي الله عزّوجلّ به خصماء أولئك المؤمنين ثم يريهم بعد ذلك من الدرجات والمنازل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيقولون: يا رب هل بقي من جنّتك شيء، إذا كان هذا كله لنا فأين محل سائر عبادك المؤمنين والأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، و يخيّل إليهم عند ذلك أنّ الجنّة بأسرها قد جعلت لهم، فيأتي النداء من قبل الله تعالى يا عبادي: هذا ثواب نفس من أنفاس علي الذي اقترحتموه عليه جعلته لكم، فخذوه وانظروا فيبصرونهم، وهذا المؤمن الذي عوّض علي عليه السلام إلى تلك الجنان، ثم يرون ما يضيفه الله عزّوجلّ إلى ممالك علي عليه السلام في الجنان ما هو أضعاف ما بذله عن وليّه الموالي له ممّا شاء الله عزّوجلّ من الأضعاف التي لا يعرفها غيره، ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم»(١) المعدّة لمخالفي أخي ووصيي علي بن أبي طالب (عليه السلام)(٢).

ooo

---

(١) سورة الصافات: الآية ٦٣.

(٢) تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص٤٨، في تفسير قوله تعالى «اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى».

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً :بالكسر والفتح، الإستسلام والطاعة، ولذلك يطلق في الصلح والاسلام، فتحه ابن كثير والنافع والكسائي، والباقون كسروه(١).

و «كافّة» اسم للجملة، لأنها تكفّ الأجزاء عن التفرق، حال من الضمير، أو «السلم» لأنّها تؤنّث كالحرب(٢) والمراد بها ولاية أميرالمؤمنين والأئمة عليهم السلام كما سيجئ، والخطاب للمؤمنين بالله والرسول.

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ .بالتفرق والتفريق.

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ :ظاهر العداوة.

في أُصول الكافي: الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن الحسين بن علي الوشاء، عن مثنى الحنّاط ،عن عبدالله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدو مبين» قال: في ولايتنا(٣).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «ادخلوا في السلم كافة» قال: في ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام(٤).

وفي أمالي شيخ الطائفة: باسناده إلى محمدبن إبراهيم قال: سمعت الصادق جعفربن محمد عليهما السلام يقول في قوله تعالى: «ادخلوا في السلم كافة» قال: في ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام «ولا تتّبعوا خطوات الشيطان» قال: لا تتّبعوا غيره(٥).

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «يا ايها الذين آمنوا ادخلوفي السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان» قال: أتدرى ما السلم؟ قال: قلت: لا أعلم قال: ولاية على والأئمة الأوصياء من بعده، قال: و «خطوات

(١و٢) تفسير أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١١١.

(٣) الكافي: ج١، ص٤١٧، كتاب الحجة، باب فيه نكت و نتف من التنزيل في الولاية،ح٢٩.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٧١.

(٥) أمالي الشيخ الطوسي: ج١، ص٣٠٦.

الشيطان» والله ولاية فلان وفلان(١).

عن زرارة، و حمران، و محمد بن مسلم، عن أبي جعفر، و أبي عبدالله عليهما السلام قالوا: سألناهما عن قول الله: «يا أيها الذين أمنوا ادخلوا في السلم كافة» قالوا: أمروا بمعرفتنا(٢).

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافّة ولا تتبعوا خطوات الشيطان» قال: السلم هم آل محمّد صلّى الله عليه وآله، أمر الله بالدخول فيه(٣).

عن أبي بكر الكلبي، عن أبي جعفر، عن أبيه عليهما السلام في قوله: «ادخلوا في السلم كافّة»، هو ولايتنا(٤).

عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر عترة خاتم النبيين والمرسلين، وهم باب السلم فادخلوا في السلم ولا تتبعوا خطوات الشيطان (٥) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

روى الشيخ أبوجعفر بن بابويه في أماليه، عن محمد بن القطّان بإسناده، عن علي بن بلال، عن الإمام علي بن موسى، عن موسى بن جعفر، عن جعفر بن محمد، عن محمد بن علي، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب، عن النبي عليهم السلام، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللوح، عن القلم قال: يقول الله تبارك وتعالى: ولاية علي بن أبي طالب حصني ومن دخل حصني أمن من ناري(٦).

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٢، ح٢٩٤.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٢، ح٢٩٥.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٢، ح٢٩٦.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٢، ح٢٩٧.

(٥) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٢، قطعة من حديث ٣٠٠

(٦) امالي الصدوق: ص١٩٥، ح٩. و فيه احمد بن الحسن القطان.

فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

فَإِن زَلَلْتُم: عن الدخول في السلم.

مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ: الآيات والحجج على أنّه الحق.

فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ: لا يعجزه الانتقام.

حَكِيمٌ: لا ينتقم إلّا على الحق.

هَلْ يَنظُرُونَ: استفهام في معنى النفي، و لذلك جاء بعده.

إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ: أي يأتيهم أمره، أو بأسه، أو يأتيهم الله بأمره، أو بأسه، فحذف المأتي به للقرينة.

فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ: السحاب الأبيض، و انّما يأتيهم العذاب فيه، لأنّه مظنّة الرحمة، فإذا جاء منه العذاب كان أفظع، لأنّ الشرّ إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أصعب، فكيف إذا جاء من حيث يحتسب الخير.

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ: فإنّهم الواسطة في إتيان أمره والآتون على الحقيقة ببأسه وقرىء بالجر عطفاً على ظلل، أوالغمام.

وفي عيون الأخبار: محمدبن أحمدبن إبراهيم المعاذي قال: حدّثنا أحمدبن محمدبن سعيد الكوفي الهمداني قال: حدّثنا علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه قال: سألت الرضا عليه السلام، إلى أن قال: و سألته عن قول الله تعالى: «هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة» قال: يقول: هل ينظرون

إلّا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل الغمام، وهكذا نزلت(١).

و أمّا ما روي عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام في قول تعالى: «في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر» قال: ينزل في سبع قباب من نور ولا يعلم في أيّها هو، حين ينزل في ظهر الكوفة، فهذا حين ينزل(٢).

فيمكن أن يكون المراد منه بيان كيفيّة نزول أمره حينئذ، و يكون فاعل ينزل الملك الموكل بالأمر.

وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ: أتمّ أمرُ اهلاكم وفرغ منه. وضع الماضي موضع المستقبل، لدنوه و تيقّن وقوعه و قرىء و قضاء الأمر عطفاً على الملائكة.

و عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل، وفي آخره: و أمّا قضاء الأمر، فهو الوسم على الخرطوم يوم يوسم الكافر(٣).

وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ: قراءة ابن كثير، و نافع، و أبي عمرو، على أنّه من الرجع، وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على أنّه من الرجوع، و قرىء أيضاً بالتذكير و بناء المفعول(٤).

علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن أبي عمير، عن منصوربن يونس، عن عمروبن أبي شيبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إبتداء منه، أنّ الله إذا بدا له أن يبيّن خلقه و يجمعهم لما لابدّ منه، أمر منادياً ينادي، فاجتمع الجن والإنس في أسرع من طرفة عين، ثم أذن لسماء الدنيا فتنزل و كان من وراء الناس، و أذن للسماء الثانية فتنزل وهي ضعف التي تليها، فاذا رآها أهل سماء الدنيا، قالوا: جاء ربّنا؟ قالوا: لا، وهو آت يعني أمره حتى تنزل كلّ سماء يكون كلّ واحدة منها من وراء الأُخرى وهي ضعف التي يليها، ثم ينزل أمر الله في ظلل من الغمام والملائكة

(١) عيون اخبار الرضا: ج١، ص١٢٥، باب ١١، ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار: في التوحيد، قطعة من حديث١٩.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٣، ح٣٠١.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٣، ح٣٠٣.

(٤) تفسير أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١١٢.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

و قضي الأمر و إلى الله ترجع الأمور، ثم يأمر الله منادياً ينادي «يا معشر الجن والأنس إن إستطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلّا بسلطان»(١) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ: أمر للرسول، أو لكل أحد، والمراد بهذا السؤال تقريعهم.

كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ: معجزة ظاهرة، أو آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب، على أيدي الأنبياء، و «كم» خبريّة، أو إستفهامية مقررة، و محلّها النصب على المفعوليّة، أوالرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر، و انّه مميّزها، و «من» للفصل.

وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ: أي آياته فإنّها سبب الهدى الذي هو أجلّ النعم بجعلها سبب الضلالة و ازدياد الرجس، أو بالتحريف والتأويل الزائغ، ومن جملة نعم الله العظمى ولاية أميرالمؤمنين والأئمة الأوصياء من بعده.

مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ: من بعدما وصلت إليه و تمكّن من معرفتها.

فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ: فيعاقبه أشدّ عقوبة، لأنّه ارتكب أشد جريمة.

وفي الكافي:علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام: و اتّبعوا ما تتلوا الشياطين بولاية الشياطين على ملك سليمان. و يقرء أيضا: سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية

(١) تفسير البرهان: ج١، ص٢٠٩، ذيل الآية ٢١٠، ح٥.

بيّنة فنهم من آمن و منهم من جحد، ومنهم من اقرّ ومنهم من بدلّ، ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإنّ الله شديد العقاب(١).

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا: حسنت في أعينهم و أشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها و أعرضوا عن غيرها، وفي وصفهم بالكفر إشعار بأنّ لذلك الوصف دخلاً في التزيين، وهو كذلك، لانّهم بسبب رين الكفر و قساوته صارت طبايعهم أميل إلى ما تشتهيه القوة الحيوانيّة وغفلوا عن المثوبات الأُخرويّة.

وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟: يريد فقراء المؤمنين كبلال و عمّار و صهيب، أي يسترذلونهم، أو يستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا و اقبالهم على العقبى.

و «من» للأبتداء، كأنّهم جعلوا السخريّة مبتدأة منهم.

وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ: لأنّهم في أعلى علّيين، وهم في أسفل السافلين، أو لأنّهم في كرامة وهم في مذلّة، أو لأنّهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا.

و إنّما قال: «والذين اتقوا» بعد قوله: «والذين آمنوا» ليدلّ على أنهم متّقون، و أنّ استعلامهم للتقوى.

وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ: في الدارين.

بِغَيْرِ حِسَابٍ: بغير تقدير، فيوسّع في الدنيا إستدراجاً تارة، و إبتلاءً أُخرى.

○ ○ ○

---

(١) الكافي: ج٨، ص٢٩٠، ح٤٤٠.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً: كلّهم ضلّالاً قبل نوح.

فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ: عن كعب: الذي علمته من عدد الأنبياء، مائة و أربعة وعشرون ألفاً، والمرسل منهم ثلا ثمائة و ثلا ثة عشر، والمذكور في القرآن بإسم العلم ثمانية وعشرون(١).

وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ: يريد به الجنس، ولا يريد به أنّه أنزل مع كلّ واحد كتابا يخصّه، فإنّ أكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصّهم و إنّما يأخذون بكتاب من قبلهم.

بِٱلْحَقِّ: حال من الكتاب، أي متلبساً بالحق شاهراً به.

لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ: أي الله، أو النبي المبعوث، أوالكتاب.

فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ: أي فيما التبس عليهم و تخلّفوا فيه عن الحق.

وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ: أي ما اختلف في الكتاب، أوالحق بعد إتيانه إلّا الذين أوتوه،و صار مبدء الخلاف ناشئاً عنهم و تبعهم فيه من بعدهم، أي عكسوا الأمر فجعلوا ما أنزل مزيحاً للالتباس، سبباً لإستحكامه.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج١، ص١١٣.

مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ: حسداً بينهم و ظلماً لحرصهم على الدنيا
فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ أي للحق الذي اختلف فيه من اختلف
مِنَ ٱلۡحَقِّ: بيان لما أختلفوا فيه.
بِإِذۡنِهِۦۗ: بأمره و لطفه.
وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ: لا يضلّ سالكه.

في روضة الكافي: حميدبن زياد، عن الحسن بن محمّد الكندي، عن أحمدبن عديس، عن يعقوب بن شعيب أنّه سأل أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: كان الناس امة واحدة» فقال: كان قبل نوح أمّة ضلال فبدا لله، فبعث الله المرسلين، وليس كما يقولون، ولم يزل وكذبوا(١).

وفي تفسير العياشي: عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: «كان الناس أمّة واحدة» قال: كان هذا قبل نوح أمّة واحدة، فبدا لله، فأرسل الرسل قبل نوح، قلت: أعلىٰ هدى كانوا أم على ضلالة؟ قال: بل كانوا ضلّالاً، لامؤمنين ولا كافرين ولا مشركين(٢).

وعن مسعدة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «كان الناس أمّة واحدة فبعث النبيين مبشرين و منذرين» فقال: كان ذلك قبل نوح، قيل: فعلى هدى كانوا؟ قال: لا، كانوا ضلّالا، و ذلك أنّه لمّا انقرض آدم و صالح ذريته، بقي شيث وصيّه لا يقدر على إظهار دين الله الذي كان عليه آدم وصالح ذرّيته، و ذلك أنّ قابيل توعّده بالقتل كما قتل أخاه هابيل، فسار فيهم بالتقيّة والكتمان فازدادوا كل يوم ضلالاً حتّى لم يبق على الأرض معهم إلّامن هو سلف، ولحق الوصي بجزيرة في البحر يعبدالله، فبدا لله تبارك و تعالى أن يبعث الرسل، ولو سئل هؤلاء الجهّال لقالوا قد فرغ من الأمر، و كذبوا، إنّما هو شيء يحكم الله به في كلّ

---

(١) الكافي: ج٨، ص٨٢، ح٤٠، و تمام الحديث «يفرّق الله في ليلة القدر ما كان من شدة أو رخاء أو مطر، بقدر ما يشاء الله عزّوجلّ أن يقدّر إلى مثلها من قابل».

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٤، ح٣٠٦.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

عام، ثم قرأ: «فيها يفرّق كلّ أمر حكيم»(١) فيحكم الله تبارك و تعالى ما يكون في تلك السنة من شدّة أو رخاء أو مطر أو غير ذلك، قلت: أعلى ضلال كانوا قبل النبيّين أم على هدى؟ قال: لم يكونوا على هدى، كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها لا تبديل لخلق الله ولم يكونوا ليهتدوا حتّى يهديهم الله، أما تسمع بقول إبراهيم: «لئن لم يهدني ربي لأكوننّ من القوم الضالين»(٢) أي ناسياً للميثاق(٣).

و أمّا ما رواه في مجمع البيان: عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: كانوا قبل نوح أُمّة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضالّين فبعث الله النبيّين(٤).

فالمراد من الضال: الكافر، والمراد به في الأخبار السابقة الذي على الفطرة لم يهتد إلى الحق بالبرهان فلا منافاة.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ: خاطب به النبي والمؤمنين بعد ما ذكر ما ذكر اختلاف الأُمم على الأنبياء بعد مجيئ الآيات تشجيعاً لهم على الثبات مع مخالفيهم.

---

(١) سورة الدخان: الآية ٤.

(٢) سورة الانعام: الآية ٧٨.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٤، ح٣٠٩.

(٤) مجمع البيان: ج١-٢ ص٣٠٧، في ذيل الآية ٢١٣.

و (أمْ) منقطعة، و معناها الإنكار.

وَلَمَّا يَأْتِكُم: ولم يأتكم، قيل: و أصل «لمّا» لم، زيدت عليها «ما» وفيها توقّع، و لذلك جعل مقابل «قد».

مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم: أي حالهم التي هي مثل في الشدة.

مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ: بيان له على الإستيناف.

وَزُلْزِلُوا: أي أزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشدائد.

حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ: لتناهي الشدّة واستطالة المدّة بحيث تقطّعت حبال الصبر.

وقرئ نافع (يقول) بالرفع على أنّها حكاية حال ماضية، كقولك: مرض فلان حتّى لا يرجونه(١).

مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ: استبطاء له، لتأخره.

أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ: استيناف على إرادة القول، أي فقيل لهم ذلك إسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر.

في الخرائج والجرائح: عن زين العابدين، عن آبائه عليهم السلام قال: فما تمدّون أعينكم، ألستم آمنين؟ لقد كان من قبلكم ممّن هو على ما أنتم عليه يؤخذ فتقطع يده و رجله و يصلب، ثم تلا «أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم» الآية(٢).

وفي روضة الكافي: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سيف، عن أخيه، عن أبيه، عن أبي بكر بن محمد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقرأ: «و زلزلوا ثم زلزلوا حتّى يقول الرسول»(٣).

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ: عن ابن عباس أنّ عمرو بن الجموح الأنصاري

---

(١) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١١٤.

(٢) الخرائج والجرائح: فصول في العلامات التي تكون قبل المهدي عليه السلام، ص١٩٦، فصل عن زين العابدين عليه السلام.

(٣) الكافي: ج٨، ص٢٩٠، ح٤٣٩.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

كان همّاً (١) ذا مال عظيم، فقال: يا رسول الله ماذا ننفق من أموالنا؟ و أين نضعها؟ فنزلت (٢).

قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ : سأل عن المنفق فأُجيب ببيان المصرف، لأنّه أهم، فانّ إعتداد النفقة باعتباره، ولأنّه كان في سؤال عمرو و إن لم يكن مذكوراً في الآية ذكر بعض المصارف، ثم عمّم بقوله:

وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ : «ما» شرطيّة.

فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ : جوابه، أي إن تفعلوا خيراً فإنّ الله يعلمه و يجازي عليه.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ : مكروه طبعاً، وهو مصدر، نعت به للمبالغة، أو فعل بمعنى المفعول، كالخبز و قرء بالفتح على أنّه لغة فيه كالضعف، أو بمعنى الإكراه على المجاز.

وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ : حفّت الجنة بالمكاره.

وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ : حفّت النار بالشهوات.

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ : ما هو خير لكم.

وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ : ذلك، أو لستم من أهل العلم.

---

(١) الهِمّ بالكسر والتشديد: الشيخ الكبير، والمرأة هِمّة. مجمع البحرين: ج٦، ص١٨٩، في لغة همم.

(٢) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١١٤.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ: قال البيضاوي: روي أنّه عليه السلام بعث عبدالله بن جحش ابن عمته على سريّة في جمادي الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصّد عيراً لقريش فيهم عمروبن عبدالله الحضرمي و ثلاثة معه، فقتلوه و أسروا اثنين و استاقوا العير وفيها تجارة الطائف و كان ذلك في غرّة رجب وهم يظنّونه من جمادي الآخرة، فقالت قريش إستحل محمد الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف ويذعر فيه الناس إلى معايشهم وشقّ ذلك على أصحاب السريّة وقالوا: ما نبرح حتّى تنزل توبتنا وردّ رسول الله صلّى الله عليه وآله العير والأُسارى(١).

وعن ابن عباس: لمّا نزلت أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله الغنيمة، وهي أوّل غنيمة في الاسلام، والسائلون هم المشركون كتبوا إليه في ذلك تشنيعاً و تعييراً، وقيل: أصحاب السريّة(٢).

قِتَالٍ فِيهِ: بدل اشتمال، و قرىء عن قتال.

قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ: أي كبير لو لم يكن يعارضه ما هو أكبر منه.

(١و٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج١، ص١١٤.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨

وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ : أي المنع والصرف عن الاسلام وما يوصل إلى الله.

وَكُفْرُۢ بِهِۦ : أي الله.

وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ : أي وصدّ عن المسجد الحرام.

وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ : وهم النبي والمؤمنون.

أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ : مما فعلته السريّة خطأ بناء على الظن. وهو خبر عن الأشياء الأربعة المعدودة، وإفراده بناء على تنكيره.

وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ : أي ما ارتكبوه من الإخراج والشرك افظع ممّا ارتكبوه من قتل الحضرمي.

وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ : إخبار عن دوام عداوة الكفّار لهم و أنّهم لا ينفكّون عنها حتّى يردّوهم عن دينهم. و (حتّى) للتعليل.

إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ: وهو استبعاد لاستطاعتهم، كقول الواثق بقوّته على قرينه: إن ظفرت بي فلا تبق عليّ، و إيذان بأنّهم لا يردّونهم.

وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ : و قرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه.

فِي ٱلدُّنْيَا : لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية.

وَٱلْأٓخِرَةِۖ : بسقوط الثواب.

وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ : كسائر الكفرة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ : قيل: نزلت في السريّة لما ظنّ بهم أنّهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ: كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد، فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء.

أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ: ثوابه، و أثبت لهم الرجاء إشعاراً بأنّ العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة، سيّما والعبرة بالخواتيم.

وَاللَّهُ غَفُورٌ: للكبير الذي عارضه الكبر.

رَحِيمٌ: بإجزال الأجر والثواب.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ: الخمر في الأصل: مصدر خمره إذا ستره سمّي به لأنّه يخمر العقل.

في مجمع البيان: الخمر كلّ شراب مسكر مخالط للعقل مغطّ عليه، وما أسكر كثيره فقليله خمر، هذا هو الظاهر في روايات أصحابنا(١).

والميسر أيضاً مصدر كالموعد، سمّي به القمار، لأنّه أخذ مال الغير ميّسراً، وسلب يساره.

وفي تفسير العياشي: عن حمدويه، عن محمد بن عيسى قال: سمعته يقول: كتب إليه إبراهيم بن عنبسه، يعني إلى علي بن محمد عليهم السلام: إن رأى سيدي و مولاي أن يخبرني عن الخمر والميسر، الآية فما الميسر جعلت فداك؟، فكتب: كلّ ما

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٣١٦، في ذيل الآية ٢١٩، من سورة البقرة «يسألونك عن الخمر والميسر الآية».

قومربه فهو الميسر، وكلّ مسكر حرام(١).

وعن عامربن السمط، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: الخمر من ستة أشياء: التمروالزبيب والحنطة والشعير والعسل والذرة(٢).

وفي الكافي: محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن معمربن خلّاد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: النرد والشطرنج والأربعة عشر بمنزلة واحدة وكلّ ماقومر عليه فهو ميسر(٣).

عدّة من أصحابنا: عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران، عن مثنّى الحناط، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: الشطرنج والنرد هما الميسر(٤).

محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن محمّدبن سنان، عن عبدالملك القمي قال: كنت أنا و إدريس أخي عند أبي عبدالله عليه السلام فقال إدريس: جعلنا الله فداك، ما الميسر؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: هي الشطرنج، قال: فقلت: أما أنّهم يقولون: إنّها النرد، قال: والنرد أيضاً(٥).

قال البيضاوي: روي أنّه نزل بمكة قوله: «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتّخذون منه سكرا»(٦) فأخذ المسلمون يشربونها، ثمّ إن عمرومعاذا في نفرمن الصحابة قالوا: أفتنا يا رسول الله في الخمر؟ فإنّها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم و تركها آخرون، ثم دعا عبدالرحمان بن عوف ناساً منهم فشربوا فسكروا، فأمّ أحدهم فقرأ «أعبد ما تعبدون» فنزلت: «لا تقربوا الصّلاة و

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٦، الحديث ٣١١، وفي الهامش بعد قوله: فما الميسر؟ ما لفظه: هذا هوالظاهر الموافق لنسخة الوسائل، ولكن في نسختيّ الأصل والبرهان (فما المنفعة) عوض (فما الميسر).

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٦، ح٣١٣.

(٣) الكافي: ج٦، ص٤٣٥، كتاب الاشربة، باب النرد والشطرنج، ح١.

(٤) الكافي: ج٦، ص٤٣٥، كتاب الاشربة، باب النرد والشطرنج، ح٣.

(٥) الكافي: ج٦، ص٤٣٦، كتاب الاشربة، باب النرد والشطرنج، ح٨.

(٦) سورة النحل: الآية ٦٨.

أنتم سُكارى»(١) فقلّ من يشربها، ثم دعا عتبان بن مالك سعدبن أبي وقّاص في نفر، فلمّا سكروا افتخروا و تناشدوا، فأنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحى بعير فشجّه فشكى إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال عمر: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت «إنّما الخمر والميسر» إلى قوله: «فهل أنتم منتهون»(٢) فقال عمر: إنتهينا يا ربّ(٣).

و هذا النقل منه يدلّ على عدم حرمة الخمر في أوّل الاسلام، و عدم إنتهاء عمر عن الخمر قبل نزول «إنّما الخمر» إلى آخره.

والصحيح أنّ الخمر كان حراماً، و هذا أوّل آية نزلت في التحريم.

روي في الكافي: عن بعض أصحابنا مرسلاً قال: إنّ أوّل ما نزل في تحريم الخمر قول الله عزّوجلّ: «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس و إثمهما أكبر من نفعهما» فلمّا نزلت الآية أحسّ القوم بتحريم الخمر و تحريم الميسر وعلموا أنّ الإثم ممّا ينبغي إجتنابه ولا يحمل الله عزّوجلّ عليهم من كلّ طريق، لأنّه قال: «و منافع للناس» ثم أنزل عزّوجلّ آية أُخرى(٤) الحديث.

و يدلّ عليه أيضاً الأخبار السابقة.

وقوله **قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ**: من حيث أنّه يؤدّي إلى الإنتكاب عن المأمور به و إرتكاب المنهي عنه.

وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ: من كسب المال والطرب والإلتذاذ و مصادقة الفتيان.

وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا: أي المفاسد التي تنشأ منها أعظم من المنافع المتوقّعة منها، والمفسدة إذا ترجّحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل.

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الريّان بن الصلت قال:

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٤ ـ ٩٥.

(٣) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١١٦، في تفسير الآية ٢٢٠.

(٤) الكافي: ج٦، ص٤٠٦، كتاب الاشربة، باب تحريم الخمر في الكتاب، قطعة من حديث٢ والحديث طويل.

سمعت الرضا عليه السلام يقول: ما بعث الله نبياً إلّا بتحريم الخمر و أن يقرّ لله بالبداء(١).

وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ: قيل: سائله عمرو بن الجموح سأل أوّلاً عن المنفق والمصرف و ثانياً عن كيفيّة الإنفاق.

قُلِ ٱلْعَفْوَ: أي الوسط، لا إقتار ولا إسراف. والعفو ضد الجهد ومنه يقال للارض السهلة: العفو.

في الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي بصير، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ «و يسألونك ماذا ينفقون قل العفو» قال: العفو الوسط(٢).

وفي تفسير علي بن ابراهيم: قوله: «و يسألونك ماذا ينفقون قل العفو» قال: لا إقتار ولا إسراف(٣).

وفي مجمع البيان: «قل العفو» فيه أقوال: إلى قوله: «و ثالثها»: أنّ العفو ما فضل عن قوت السنة،عن الباقر عليه السلام قال: و نسخ ذلك بآية الزكاة(٤).

كَذَٰلِكَ: أي مثل ما بيّن أنّ العفو أصلح، أو ما ذكر من الأحكام.

والكاف في موضع النصب: صفة بمصدر محذوف، أي تبييناً مثل التبيين، ووحد العلامة والمخاطب جمع، على تأويل القبيل والجمع.

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ: الدّالة على ما فيه إرشادكم.

لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ: في الدلائل والأحكام.

---

(١) الكافي: ج١، ص١٤٨، كتاب التوحيد، باب البداء، ح١٥.

(٢) الكافي: ج٤، ص٥٢، كتاب الزكاة، باب فضل القصد، ح٣.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٧٢، في تفسير الآية ٢١٩، من سورة البقرة.

(٤) مجمع البيان: ج١-٢، ص٣١٦، في ذيل الآية ٢١٩.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: في أمور الدارين فتأخذون بالأصلح و تتركون المضرّ.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ: في تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن صفوان، عن عبدالله بن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام أنه لما أُنزلت «إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً»(١) أخرج كلّ من كان عنده يتيم، و سألوا رسول الله صلّى الله عليه وآله في إخراجهم، فأنزل الله تبارك و تعالى «و يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير و أن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح».

وفي مجمع البيان عند قوله: «وآتوا اليتامى أموالهم» الآية(٢) روى أنه لمّا نزلت هذه الآية كرهوا مخالطة اليتامى فشقّ ذلك عليهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فأنزل الله سبحانه و تعالى: «و يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير و إن تخالطوهم الآية» عن الحسن والمروي عن السيدين الباقر والصادق (عليهما السلام)(٣).

قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ: أي مداخلتهم لإصلاحهم خير من مجانبتهم.

قال الصادق عليه السلام: لا بأس بأن تخالط طعامك بطعام اليتيم، فانّ الصغير يوشك أن يأكل كما يأكل الكبير، و أمّا الكسوة وغيره فيحسب على كلّ

---

(١) سورة النساء: الآية ١٠.

(٢) سورة النساء: الآية ٣.

(٣) مجمع البيان: ج٣-٤، ص٤، ذيل الآية ٢، من سورة النساء.

رأس صغير وكبير وكم يحتاج إليه(١).

وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ: حث على المخالطة، أي أنهم إخوانكم في الدين ومن حق الأخ أن يخالط الأخ وقيل: المراد بالمخالطة، المصاهرة.

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ: وعيد و وعد لمن خالطهم لافساد واصلاح، اي يعلم أمره فيجازيه عليه.

وفي الكافي: عثمان، عن سماعة، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ «و إن تخالطوهم فاخوانكم» قال: يعني اليتامى، إذا كان الرجل يلي الأيتام في حجره فليخرج من ماله على قدر ما يخرج كلّ إنسان منهم فيخالطهم، و يأكلون جميعاً، ولا يرزئن(٢) من أموالهم شيئاً، إنّما هي النار(٣).

أحمدبن محمد، عن محمدبن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: أرأيت قول الله عزّوجلّ «و إن تخالطوهم فاخوانكم» قال: تخرج من أموالهم بقدر ما يكفيهم و تخرج من مالك قدر ما يكفيك ثم تنفقه قلت: أرأيت إن كانوا يتامى صغاراً وكباراً و بعضهم أعلا كسوة من بعضهم، و بعضهم آكل من بعض ومالهم جميعاً، فقال: أمّا الكسوة فعلى كلّ إنسان منهم ثمن كسوته، و أمّا الطعام فاجعلوه جميعاً، فانّ الصغير يوشك أن يأكل مثل الكبير(٤) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن علي بن الحكم، عن عبدالله بن يحيى الكاهلي قال: قيل لأبي عبدالله عليه السلام: إنّا ندخل على أخ لنا في بيت أيتام و معهم خادم لهم، فنقعد على بساطهم و نشرب من مائهم و يخدمنا خادمهم، و ربّما طعمنا فيه الطعام من عند صاحبنا وفيه من طعامهم، فما ترى في ذلك ؟ فقال: إنْ كان في دخولكم عليهم منفعة لهم، فلا بأس و إن كان فيه ضرر فلا، وقال: «بل

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٧٢، في تفسيره لآية ٢٢٠، من سورة البقرة.

(٢) رزأه ماله: أصاب من ماله شيئاً. لسان العرب: ج١، ص٨٥، لغة (رزا).

(٣) الكافي: ج٥، ص١٢٩، كتاب المعيشة، باب ما يحلّ لقيّم مال اليتيم منه، قطعة من حديث٢.

(٤) الكافي: ج٥، ص١٣٠، كتاب المعيشة، باب ما يحل لقيّم مال اليتيم منه، قطعة من حديث٥.

الانسان على نفسه بصيرة» فأنتم لا يخفى عليكم، وقد قال الله عزّوجلّ: «و إن تخالطوهم فاخوانكم في الدين والله يعلم المفسد من المصلح»(١).

وفي تفسير العياشي: عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل الى النبي صلّى الله عليه وآله فقال يا رسول الله: إنّ أخي هلك و ترك أيتاماً ولهم ماشية فما يحلّ لي منها؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إن كنت تليط(٢) حوضها و ترد ناديتها(٣) و تقوم على رعيتها فاشرب من ألبانها غير مجتهد(٤) للحلب ولا ضار بالولد والله يعلم المفسد من المصلح(٥).

عن علي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله في اليتامى «و إن تخالطوهم فاخوانكم» قال: يكون لهم التمر واللبن و يكون لك مثله على قدر ما يكفيك و يكفيهم، ولا يخفى على الله المفسد من المصلح(٦).

عنه، عن عبدالرحمن بن الحجاج، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له: يكون لليتيم عندي الشيء، وهو في حجري أنفق عليه منه، وربّما أصيب [اصبت] ممّا يكون له من الطعام وما يكون مني إليه أكثر، فقال: لا بأس بذلك والله يعلم المفسد من المصلح (٧).

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ: أي لو شاء الله إعناتكم لأعنتكم، أي كلّفكم ما يشقّ عليكم، من العنت، وهي المشقّة، ولم يجوّز لكم مداخلتهم.

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ: غالب يقدر على الإعنات.

---

(١) الكافي: ج٥، ص١٢٩، كتاب المعيشة، باب أكل مال اليتيم، ح٤.

(٢و٣) لاط الحوض: مدره لئلا ينشف الماء. والنادية: النوق المتفرقة. هامش تفسير العياشي: ج١، ص١٠٧.

(٤) أي غير مبالغ في الحلب، و يحتمل أيضاً كونه تصحيف (منهك) كما في رواية الطبرسي في كتاب مجمع البيان في سورة النساء، و ظاهر نسخة الوسائل أيضاً، وهو من نهك الضرع، استوفى جميع مافيه. هامش تفسير العياشي: ج١، ص١٠٨.

(٥) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٧، ح٣٢١.

(٦) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٨، ح٣٢٤.

(٧) تفسير العياشي: ج١، ص١٠٨، ح٣٢٥.

وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

حَكِيمٌ: يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة.

وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ: أي ولا تتزوجوهن، و قرىء بالضم أي ولا تزّوجوهنّ من المسلمين.

روي أنّه بعث عليه السلام مرثد بن أبي مرثد الغنوي(١) الى مكة ليخرج أُناساً من المسلمين، فأتته عناق وكان يهواها في الجاهليّة، فقالت: ألا نخلو؟ فقال: إنّ الإسلام حال بيننا، فقالت: لك أن تتزوج بي، فقال: نعم و لكن أستأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله، فاستأمره، فنزلت(٢).

والمشركات تعمّ الكتابيّات وغيرهم.

وفي مجمع البيان: عند قوله: «والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب» روى أبوالجارود، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه منسوخ بقوله: «ولا تنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ» و بقوله: «ولا تمسكوا بعصم الكوافر»(٣).

---

(١) مرثد بفتح الميم وسكون الراء بعد ثاء مثلثة و دال مهملة و اسم أبيه كناز. تنقيح المقال: ج٣، ص٢٠٨، تحت رقم ١١٦٢٦.

(٢) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١١٧.

(٣) سورة الممتحنة: الآية ١٠.

و في الكافي: محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن ابن فضّال، عن الحسن بن الجهم، قال: قال لي أبوالحسن الرضاعليه السّلام: يا أبا محمّد ما تقول في رجل يتزوّج نصرانيّة على مسلمة؟ قلت: جعلت فداك وما قولي بين يديك؟ قال: لتقولنّ: فإنّ ذلك يعلم به قولي: قلت: لا يجوز تزويج النصرانيّة على مسلمة ولا غير مسلمة قال: لمَ؟ قلت: لقول الله عزّوجلّ «ولا تنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ» قال: فما تقول في هذه الآية: «والمحصنات من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم»؟(١) قلت: قوله: «ولا تنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ» نسخت هذه الآية، فتبسّم وسكت(٢).

والمراد بالنكاح العقد الدائم.

و روي جواز التمتع باليهوديّة والنصرانيّة في من لا يحضره الفقيه، و سأل الحسن التفليسي الرضا عليه السلام يتمتّع الرجل من اليهوديّة والنصرانيّة، قال أبوالحسن الرضا عليه السلام: يتمتّع من الحرّة المؤمنة، وهي أعظم حرمة منها(٣).

وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ: أي لأمرة مؤمنة، حرّة كانت أو مملوكة، فإنّ الناس عبيدالله و إمائه.

وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ: بحسنها و شمائلها، والواو للحال، و «لو» بمعنى «أن» وهو كثير.

وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا: ولا تزوّجوا منهم المؤمنات حتّى يؤمنوا، وهوعلى عمومه.

وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ: تعليل للنهي عن مواصلتهم، و ترغيب في مواصلة المؤمنين.

أُولَٰئِكَ: إشارة إلى المذكورين من المشركين والمشركات.

---

(١) سورة المائدة: الآية: ٧.

(٢) الكافي: ج٥، ص٣٥٧، كتاب النكاح، باب نكاح الذمية، ح٦.

(٣) الوسائل: ج١٤، ص٤٥٢، كتاب النكاح، الباب ٧، من أبواب المتعة، ح٣.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ: إلى الكفر المؤدّي إلى النار، فلا يجوز مصاهرتهم.

وَٱللَّهُ: أي أولیائه المؤمنون، حذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه، تفخيماً لشأنهم، أو الله:

يَدْعُوٓا۟: بهذا الكتاب.

إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ: أي أسبابها من الإعتقاد والعمل الموصلين إليها.

بِإِذْنِهِۦ: بتوفيقه و قضائه.

وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ: أي لكي يتذكّروا، أو ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكّر، لما ركز في العقول من نيل الخير و مخالفة الهوى.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ: هومصدر كالمجيىء والمبيت، قيل: و لعلّه سبحانه إنّما ذكر «يسألونك» بغير واو ثلاثاً، ثم بها ثلاثاً، لأنّ السؤالات الأُول كانت في أوقات متفرّقة، والثلاث الأخيرة كانت في وقت واحد، فلذلك ذكرها بحرف الجمع.

في كتاب علل الشرايع: باسناده إلى أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي جعفر محمدبن علي عليهما السلام، قال: الحيض من النساء نجاسة رماهن الله بها، قال: وكنّ النساء من زمن نوح انّما تحيض المرأة في كل سنة حيضة حتّى خرجن نسوة من حجابهن، وهنّ سبعماءة إمرأة فانطلقن فلبسن المعصفرات من الثياب وتحلين وتعطرن ثم خرجن فتفرقن في البلاد، فجلسن مع الرجال، و شهدن الأعياد معهم، وجلسن في صفوفهم،

فرماهنّ الله بالحيض عند ذلك في كلّ شهر أولئك النسوة باعيانهنّ فسالت دمائهنّ فخرجن من بين الرجال، وكنّ يحضن في كلّ شهر حيضة، قال: فاشغلهنّ الله تبارك و تعالى بالحيض وكثّر شهوتهنّ، قال: وكان غيرهنّ من النساء اللواتي لم يفعلنّ مثل فعلهنّ يحضن في كلّ سنة حيضة قال: فتزوج بنو اللاتي يحضن في كلّ شهر حيضة بنات اللاتي يحضن في كلّ سنة حيضة، قال: فامتزج القوم فحضن بنات هؤلاء وهؤلاء في كلّ شهر حيضة، قال: و كثر أولاد اللاتي يحضن في كلّ شهر حيضة لاستقامة الحيض وقلّ أولاد اللاتي لا يحضن في السنة إلّا حيضة لفساد الدم، قال: وكثر نسل هؤلاء وقل نسل أولئك (١).

روي أنّ أهل الجاهليّة كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس، و استمر ذلك أن سأل أبوالدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك، فنزلت.

﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: أي المحيض مستقذر موذ من يقربه.

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾: أي فاجتنبوا مجامعتهنّ، وهوالاقتصاد بين إفراط اليهود و إخراجهنّ من البيوت، و تفريط النصارى و مجامعتهنّ في المحيض.

و إنّما وصف بأنّه «أذى» و رتّب الحكم عليه بالفاء، إشعاراً بأنّه العلّة.

في الكافي: علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، عن الحسين بن يزيد، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبي إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله لمّا أصاب آدم و زوجته الخطيئة [الحنطة خ ل] أخرجها من الجنّة وأهبطها إلى الأرض، فأهبط آدم إلى الصفا وأهبطت حوّاء على المروة، فقال آدم: ما تفرّق بيني وبينها إلّا أنّها لا تحلّ لي، ولو كانت تحلّ لي هبطت معي على الصفا، ولكنّها حرمت عليّ من أجل ذلك وفرّق بيني وبينها، فمكث آدم معتزلاً حواء، فكان يأتيها نهاراً، فيتحدّث عندها على المروة، فإذا كان الليل وخاف أن تغلبه نفسه يرجع إلى الصفا فيبيت عليه، ولم يكن لآدم أُنس غيرها، ولذلك سمّين النساء، من أجل أنّ

---

(١) علل الشرايع: ج١، ص٢٩٠، الباب ٢١٥، علة الطمث، ح٢.

حواء كانت أنساً لآدم، لا يكلّمه الله ولا يرسل إليه رسولاً(١).

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمدبن محمد القلانسي، عن علي بن حسّان، عن عمّه عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله(٢).

وفي كتاب علل الشرايع: بإسناده إلى عذافر الصيرفي قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: ترى هؤلاء المشوّهين؟ قال: نعم، قال: هؤلاء الذين يأتي آبائهم نسائهم في الطمث(٣).

وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ: تأكيد للحكم، و بيان لغايته.

وفي رواية ابن عباس «يطّهرن» بتشديد الطاء(٤) أي يتطهرن، والمراد به إن كان إنقطاع الدم، فالنهي نهي تحريم، و إن كان الغسل بعد الإنقطاع فنهي تنزيه، يدلّ عليه الأخبار.

فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ: أي المأتي الذي حلّله لكم

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ: من الذنوب.

وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ: أي المتنزهين عن الفواحش والأقذار كمجامعة الحائض

في كتاب الخصال: عن موسى بن جعفر، عن أبيه جعفربن محمّد عليهم السلام أنّه قال: سئل أبي عمّا حرّم الله تعالى من الفروج في القرآن وعمّا حرّمه رسول الله صلّى الله عليه وآله في السنّة؟ فقال: الذي حرّم الله تعالى من ذلك أربعة و ثلاثون وجهاً، سبعة عشر في القرآن و سبعة عشر في السنّة، فأمّا التي في القرآن فالزنى إلى قوله: والحائض حتّى تطهر، لقوله تعالى «ولا تقربوهنّ حتّى يطهرن»(٥).

عن جعفربن محمد، عن أبيه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله

---

(١) الكافي: ج٤، ص١٩٠، كتاب الحج،باب في حج آدم عليه السلام، قطعة من حديث١.

(٢) الكافي: ج٤، ص١٩١، كتاب الحج،باب في حج آدم عليه السلام، قطعة من حديث٢.

(٣) علل الشرايع: ج١، ص٨٢، الباب ٧٥، علة المشوهين في خلقهم، ح١.

(٤) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١١٨.

(٥) كتاب الخصال: ص٥٣٢، ابواب الثلاثين ومافوقه،الفروج المحرمة في الكتاب والسنة... قطعة من حديث١٠.

صلّى الله عليه وآله: إنّ الله كره لكم أيّتها الأمة أربعاً و عشرين خصلة ونهاكم عنها، كره لكم العبث في الصلاة، إلى أن قال: و كره للرجل أن يغشي إمرأته وهي حائض، فإن غشيها فخرج الولد مجذوماً و أبرصاً فلا يلومنّ إلّا نفسه(١).

عن بعض أصحابنا قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد العسكري عليهما السلام يوم الأربعاء وهو يحتجم، قلت له: إنّ أهل الحرمين يروون عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: من احتجم يوم الأربعاء فأصابه بياض فلا يلومنّ إلّا نفسه، فقال: كذبوا، إنّما يصيب ذلك من حملته أمّه في طمث(٢).

وفي كتاب علل الشرايع: بإسناده إلى أبي خديجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان الناس يستنجون بثلاثة أحجار، لأنّهم كانوا يأكلون البُر فيبعرون بعراً، فأكل رجل من الأنصار الدبا فلان بطنه واستنجى بالماء، فبعث إليه النبي صلّى الله عليه و آله قال: فجاء الرجل وهو خائف يظن أن يكون قد نزل فيه أمر يسوئه في استنجائه بالماء فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: هل عملت في يومك هذا شيئاً؟ فقال يا رسول الله إني والله ما حملني على الاستنجاء بالماء إلّا أنّي أكلت طعاماً فلان بطني، فلم تغن عنّي الأحجار شيئاً فاستنجيت بالماء، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: هنيئاً لك، فإنّ الله عزّوجلّ قد أنزل فيك آية فابشر «اِنَّ الله يحبّ التوابين و يحب المتطهّرين» فكنت أنت أوّل من صنع هذا أوّل التوابين و أوّل المتطهرين(٣).

وفي اصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، و عدّة من أصحابنا، عن سهل بن

---

(١) كتاب الخصال: ص٥٢٠، ابواب العشرين وما فوقه،النهي عن أربع وعشرين خصلة. قطعة من حديث ٩.

(٢) الكافي: ج٨، ص١٩٢، ح٢٢٤، ولفظ الحديث: عن شعيب العقرقوفي قال: دخلت على أبي الحسن الأوّل عليه السلام وهو يحتجم يوم الأربعاء في الحبس، فقلت: إنّ هذا يوم يقول الناس: إنّ من احتجم فيه أصابه البرص، فقال: إنّما يخاف ذلك من حملته أمّه في حيضها.

(٣) علل الشرايع: ج١، ص٢٨٦، الباب ٢٠٥، العلة التي من أجلها كان الناس يستنجون بثلاثة أحجار والعلة التي من أجلها صاروا يستنجون بالماء،ح١.

زياد، ومحمدبن يحيى، عن أحمد، عن أحمدبن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن محمدبن النعمان الأحول، عن سلام بن المستنير قال: قال أبوجعفر عليه السلام: قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأصحابه في حديث طويل: و لولا أنكم تذنبون فستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتّى يذنبوا ثمّ يستغفروا الله، فيغفر لهم، إنّ المؤمن مفتّن توّاب، أما سمعت قول الله عزّوجلّ «إنّ الله يحب التوابين و يحب المتطهرين» و قال: «استغفروا ربّكم ثم توبوا إليه»(١).

محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن محمّدبن إسماعيل، عن عبدالله بن عثمان، عن أبي جميلة قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: إنّ الله يحبّ المفتّن التوّاب، ومن لا يكون ذلك منه كان أفضل(٢).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا رفعه قال: إنّ الله عزّوجلّ أعطى التائبين ثلاث خصال، لو أعطى خصلة منها جميع أهل السماوات والأرض لنجوا بها، قوله عزّوجلّ «إنّ الله يحبّ التوابين و يحبّ المتطهّرين» فمن أحبّه الله لم يعذّبه، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(٣).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمربن أُذينة، عن أبي عبيدة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله تعالى أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته ومزاده في ليلة ظلماء، فوجدها، فالله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها(٤).

وفي الكافي: محمدبن إسماعيل، عن الفضل، و علي بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال في قول الله عزّوجلّ: «إنّ الله يحبّ التوابين و يحبّ المتطهّرين» قال: و كان الناس يستنجون بالكرسف والأحجار، ثم أُحدث الوضوء، وهو خلق كريم، فأمر به رسول الله

---

(١) الكافي: ج٢، ص٤٢٣، كتاب الايمان والكفر،باب تنقل احوال القلب، ح١.

(٢) الكافي: ج٢، ص٤٣٥، كتاب الايمان والكفر، باب التوبة، ح٩.

(٣) الكافي: ج٢، ص٤٣٢، كتاب الايمان والكفر، باب التوبة، قطعة من حديث ٥.

(٤) الكافي: ج٢، ص٤٣٥، كتاب الايمان والكفر، باب التوبة، ح٨.

نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟
وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

صلّى الله عليه وآله وصنعه، فأنزل الله في كتابه «إنّ الله يحبّ التوابين و يحبّ المتطهّرين»(١).

وفي كتاب الخصال: فيما علّم أميرالمؤمنين أصحابه: توبوا إلى الله عزّوجلّ وادخلوا في محبّته، فإنّ الله يحبّ التوابين و يحبّ المتطهّرين، والمؤمن توّاب(٢).

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: خلق القلب طاهراً صافياً، وجعل غذاءه الذكر والفكر والهيبة والتعظيم، فاذا شيّب القلب الصافي في التغذية بالغفلة والكدر، صُقل بمصقلة التوبة و نظّف بماء الإنابة، ليعود على حالته الأُولى وَ جوهريّته الأصليّة الصافية، قال الله تعالى: «إنّ الله يُحِبُّ التوابينَ وَيُحِبّ المُتَطهّرينَ»(٣).

نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ: مواضع حرث لكم، شُبّهن بها تشبيهاً لما يلقى في أرحامهن من النطف بالبذور.

فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ: أي فأتوهنّ كما تأتون المحارث، وهو كالبيان لقوله «فأتوهنّ

---

(١) الكافي: ج٣، ص١٨، كتاب الطهارة، باب القول عند دخول الخلاء وعند الخروج والاستنجاء... ح١٣.

(٢) كتاب الخصال: ص٦٢٣، باب علّم أميرالمؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربع مائة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه و دنياه.

(٣) مصباح الشريعة: الباب الثامن في السواك، ص٨.

مِنْ حَيْثُ اَمَرَكُمُ اللهُ».

أَنَّىٰ شِئْتُمْ: من أي جهة شئتم.

روي أنّ اليهود كانوا يقولون: من جامع إمرأته من دُبرها في قُبُلِها كانَ ولدها أحول، فذكر ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وآله، فنزلت(١).

وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ: قيل: ما يدّخر لكم الثواب، وقيل: هو طلب الولد، وقيل: التسمية على الوطىء.

وَاتَّقُوا اللَّهَ: بالإجتناب عن معاصيه.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ: فَتَزَوّدوا مِمّا لا تفْتَضحون بِهِ عِنْده.

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ: الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم، أمَر الرسول صلّى الله عليه وآله انْ يُبَشِّرَ مَنْ صدَّقه وامْتَثَلَ أمره.

و اعلم أنّ الوطى في دُبُر المرأة جائزة إذا رضي، مكروه، وليس بحرام، وفي الآية دلالة عليها.

وفي تهذيب الأحكام: أحمدبن محمّدبن عيسى، عن علي بن أسباط، عن محمّدبن حمران، عن عبدالله بن أبي يعفور قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام، عن الرجل يأتي المرأة في دبرها؟ قال: لا بأس إذا رضيت، قلت: فأين قول الله «فأتوهنّ مِنْ حَيْث أمركم الله»؟ قال: هذا في طلب الولد، فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله إنّ الله يقول: «نسائكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شِئْتُم»(٢).

وفي تفسير العياشي: عن عبدالله بن أبي يعفور، قال سألت أبا عبدالله عليه السلام: عن إتيان النساء في أعجازهن قال: لا بأس، ثم تلاهذه الاية «نِساءُكُمْ حرث لَكُم فأتوا حَرثكم أنّى شئتم»(٣).

---

(١) تفسير الكشاف: ج١، ص٢٦٦.

(٢) التهذيب: ج٧، ص٤١٤، باب ٣٦، السنة في عقود النكاح و زفاف النساء و آداب الخلوة والجماع، ح٢٩.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١١٠، ح٣٣٠.

و عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «نساء كم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم» قال: حيث شاء(١).

و أمّا ما رواه عن صفوان بن يحيى، عن بعض أصحابنا قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام، عن قول الله: «نساء كم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم» فقال: من قدّامها و خلفها في القبل(٢).

و عن معمربن خلّاد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: أي شيء يقولون في إتيان النساء في أعجازهن؟ قلت: بلغني أنّ أهل المدينة لا يرون به بأساً، قال: إنّ اليهود كانت تقول: إذا أتى الرجل من خلفها خرج ولده أحول، فأنزل الله «نساء كم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم» يعني من قدّام أو خلف، خلافاً لقول اليهود، ولم يعن في أدبارهن(٣).

و عن الحسن بن علي، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله(٤).

و عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن الرجل يأتي أهله في دبرها، فكره ذلك و قال: إيّاكم ومحاش النساء، وقال: إنّما معنى «نسائكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم» أي ساعة شئتم(٥).

و عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال: كتبت إلى الرضا عليه السلام في مسألة، فورد منه الجواب، سألت عمّن أتى جاريته في دبرها، والمرأة لعبة لا تؤذى، وهي حرث كما قال الله(٦).

فمحمولة على الكراهة بقرينة الأخبار السابقة، و في ألفاظ تلك الأخبار أيضا دلالة على ذلك.

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١١١، ح٣٣١.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١١١، ح٣٣٢.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١١١، ح٣٣٣.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص١١١، ذيل الحديث٣٣٣.

(٥) تفسير العياشي: ج١، ص١١١، ح٣٣٥ والحديث عن أبي بصير فلاحظ.

(٦) تفسير العياشي: ج١، ص١١١، ح٣٣٦.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾: العرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة بمعنى المقبوض، يطلق لما يعرض دون الشيء و للمعرض للأمر، و معنى الآية على الأوّل: لا تجعلوا الله حاجزاً لما حلفتم عليه من أنوال الخير، فيكون المراد بالإيمان، الأُمور المحلوف عليها، يعني إن حلفتم على الأُمور التي تركها مزجوح شرعاً، لا ينعقد يمينكم، فأتوا بما هو الراجح شرعاً منها، وحينئذٍ «أنْ» مع صلتها عطف بيان للأيمان، واللام صلة «عُرْضَة» لما فيها من معنى الإعتراض، و يجوز أن يكون للتعليل و يتعلّق «أن» بالفعل، أو «عرضه» أي ولا تجعلوا الله عرضة لأن تبرّوا لأجل أيمانكم به، و على الثاني ولا تجعلوه معرضاً لأيمانكم فتتبذلوه بكثرة الحلف به، «أن تَبَرّوا» علّة للنهي، أي أنها كم عنه، إرادة برّكم و تقواكم و إصلاحكم بين الناس، فإنّ الحلاف مجترّ على الله، و المجتري عليه لا يكون برّاً متقياً ولا موثوقاً به في إصلاح ذات البين.

والآية نزلت في أبي بكر لـمّا حلف أن لا ينفق على مسطح، لافترائه على عائشة(١).

وقيل: في عبدالله بن رواحه حين حلف أن لا يكلّم ختنه بشيربن النعمان ولا يصلح بينه و بين أُخته(٢).

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأيمانكم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتكم.

في أُصول الكافي: علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن إسماعيل، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ «ولا تجعلواالله عرضة لأيمانكم أن تبرّوا و تتّقوا و تصلحوا بين الناس» قال: إذا دعيت لصلح بين اثنين، فلا تقل: عليّ يمين أن لا أفعل(٣).

---

(١) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١١٨.

(٢) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١١٨.

(٣) الكافي: ج٢، ص٢١٠، كتاب الايمان والكفر، باب الاصلاح بين الناس، ح٦.

وفي تفسير علي بن ابراهيم: قوله: «ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبرّوا و تتقوا و تصلحوا بين الناس» قال: هو قول الرجل في كلّ حالة، لا والله و بلى والله(١).

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن أبي أيّوب الخزّاز قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين، فانّ الله عزّوجلّ يقول: «ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم»(٢).

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن يحيى بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي سلام المتعبّد أنّه سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول لسدير: يا سدير، من حلف بالله كاذباً كفر، ومن حلف بالله صادقاً أثم، إنّ الله عزّوجلّ يقول: «ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم» (٣).

وفي تفسير العياشي: عن زرارة، وحمران، ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر، و أبي عبدالله عليهما السلام «ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم» قالا: هو الرجل يصلح بين الرجل فيحمل ما بينهما من الإثم(٤).

عن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله عليه السلام، ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله «ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم» قال: يعني الرجل يحلف أن لا يكلّم أخاه، و ما أشبه ذلك أو لا يكلّم أمّه(٥).

وعن أيّوب قال: سمعته يقول: لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين، فانّ الله يقول: «ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم» قال: إذا استعان رجل برجل على صلح

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٧٣.

(٢) الكافي: ج٧، ص٤٣٤، كتاب الايمان والنذور، باب كراهية اليمين، ح١، وليس في سند الحديث (سهل بن زياد).

(٣) الكافي: ج٧، ص٤٣٤، كتاب الايمان والنذور، باب كراهية اليمين، ح٤.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص١١٢، ح٣٣٨.

(٥) تفسير العياشي: ج١، ص١١٢، ح٣٣٩.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾

بينه و بين رجل، فلا تقولنّ: إنّ عليّ يميناً أن لا أفعل، وهو قول الله عزّوجل «ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبرّوا و تتقّوا و تصلحوا بين الناس»(١).

وفي من لا يحضره الفقيه: و روى محمدبن إسماعيل، عن سلام بن سهم الشيخ المتعبّد أنّه سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول: و ذكر مثله(٢).

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ: اللغو الساقط الّذي لا يُعتدّ به من كلام و غيره. و لغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق اللسان به، أو تكلّم به جاهلاً بمعناه.

وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ: أي بما قصدتم من الإيمان، و واطأت فيها قلوبكم ألسنتكم.

وَاللَّهُ غَفُورٌ: حيث لا يؤاخذكم باللغو.

حَلِيمٌ: حيث لم يعاجل بالمؤاخذة على يمين الجدّ تربّصاً للتوبة.

لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ: أي يحلفون على أن لا يجامعوهنّ مطلقاً، أو مقيّداً بالدوام، أو بأكثر من أربعة أشهر إذا كنّ مدخولاً بهنّ.

والإيلاء: الحلف، و تعديته بـ (على) ولكن لمّا ضمّن هذا القسم معنى البعد، عدّي بـ «من».

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١١٢، ح٣٤٠ و قريب منه ما في الكافي: ج٢، ص٢١٠، كتاب الايمان والكفر، باب الاصلاح بين الناس، ح٦.

(٢) الفقيه: ج٣، ص٢٣٤، باب ٩٨، الايمان والنذور والكفارات، ح٣٩.

﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: مبتدأ ما قبله خبره، أو فاعل الظرف، و «التربّص» التوقّف، أُضيف إلى الظرف على الإتساع، أي للمولى حقّ التربّص في هذه المدّة لا يطالب بفيء ولا طلاق.

﴿فَإِن فَآءُو﴾: أي رجعوا في اليمين بالحنث والكفارة.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: للمولى أثم حنثه إذا كفر، أو ما توخّى بالإيلاء من إضرار المرأة.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ﴾: أي صمّموا قصده.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: بطلاقهم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بغرضهم ونياتهم.

في كتاب علل الشرايع: بإسناده إلى أبي خالد الهيثم، قال: سألت أباالحسن الثاني عليه السلام، كيف صار عدّة المطلقة ثلاث حيض، أو ثلاثة أشهر، و عدّة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيّام؟ قال: أمّا عدّة المطلقة ثلاث حيض أو ثلاثة أشهر فلإستبراء الرحم من الولد، و أمّا المتوفى عنها زوجها فإنّ الله عزّوجلّ شرط للنساء شرطاً و شرط عليهن شرطاً فلم يجابهنّ فيما شرط لهنّ ولم يجر فيما شرط عليهنّ(١) بل شرط عليهنّ مثل ما شرط لهنّ فأمّا ما شرط لهنّ فإنّه جعل لهنّ في الإيلاء أربعة أشهر، لأنّه علم أنّ ذلك غاية صبر النساء، فقال عزّوجلّ «لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ من نسائهم تربّص أربعة أشهر» فلا يجوز للرجل. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الإيلاء هو أن يحلف الرجل على إمرأته أن لا يجامعها، فإن صبرت عليه فلها أن تصبر، فان رفعته إلى الإمام أنظره أربعة أشهر

---

(١) هكذا في النسخة التي عندي، و في النسخة المطبوعة من علل الشرايع «فانّ الله عزّوجلّ شرط للنساء شرطاً فلم يحلهن فيه وفيما شرط عليهن» وفي هامش النسخة المطبوعة ما لفظه (كذا في أكثر النسخ التي عندنا لكن في نسخة الأصل فلم يجهلن بدل فلم يحلهن وفي نسخة البحار فلم يحملهن).

(٢) علل الشرايع: ج٢، ص٥٠٧، الباب ٢٧٧، ح١.

ثم يقول له بعد ذلك: إمّا أن ترجع إلى المناكحة، و إمّا أن تطلّق، فأن أبى حبسه أبداً(١).

و روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام، أنّه بنى حظيرة من قصب، وجعل فيها رجلاً آلى من إمرأته بعد أربعة أشهر فقال: إمّا أن ترجع إلى المناكحة، و إمّا أن تطلّق، و إلّا أحرقت عليك الحظيرة(٢).

وفي الكافي: أبوعلي الأشعري، عن محمّدبن عبدالجبّار، و أبوالعباس محمّدبن جعفر، عن أيّوب بن نوح، و محمدبن إسماعيل،عن الفضل بن شاذان، وحميدبن زياد، عن ابن سماعة، جميعاً عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألته عن الإيلاء ماهو؟ قال: هوأن يقول الرجل لإمرأته: والله لا أُجامعك كذا وكذا، و يقول: والله لأغيضنّك، فيتربص بها أربعة أشهر ثم يؤخذ فيوقف بعد الأربعة أشهر، فإن فاءَ وهو أن يصالح أهله «فإنّ الله غفور رحيم» و إن لم يفىء جُبِر على أن يطلّق، ولا يقع طلاق فيما بينهما ولو كان بعد أربعة أشهر مالم ترفعه إلى الإمام(٣).

علي،عن أبيه،عن حمادبن عيسى، عن عمربن أذنية، عن بكربن أعين، و بريدبن معاوية، عن أبي جعفر، و أبي عبدالله عليهما السلام أنّهما قالا: إذا آلى الرجل أن لا يقرب إمرأته، فليس لها قول ولا حقّ في الأربعة أشهر ولا إثم عليه في كفّه عنها في الأربعة أشهر قبل أن يمسّها، فإن مضت الأربعة قبل أن يمسّها فسكتت و رضيت فهو في حلّ وسعة، فإن رفعت أمرها، قيل له: أمّا تفىء أن فتمسها، و إمّا أن تطلّق، وعزم الطلاق أن يخلّى عنها فإذا حاضت و طهرت طلّقها وهو أحق برجعتها مالم تمض ثلاثة قروء، فهذا الإيلاء الذي أنزل الله تبارك و تعالى في

(١) تفسيرعلي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٧٣، في تفسيره لآية ٢٢٦، من سورة البقرة وفيه «وإلّا حبستك أبداً» بدل «فان أبى حبسه أبداً».

(٢) تفسيرعلي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٧٣، في تفسيره لآية ٢٢٦، من سورة البقرة.

(٣) الكافي: ج٦، ص١٣٢، كتاب الطلاق، باب الايلاء، ح٩.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾

كتابه و سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله(١).

محمدبن يحيى: عن أحمدبن محمدبن إسماعيل، عن محمدبن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام، عن رجل آلى من امرأته بعد ما دخل بها، قال: إذا مضت أربعة أشهر وقف، و إن كان بعد حين، فإن فاء فليس بشيء فهي امرأته، و إن عزم الطلاق فقد عزم، وقال: الإيلاء أن يقول الرجل لامرأته والله لأغيظنّك و لأسوئنك ثم يهجرها ولا يجامعها حتّى تمضي أربعة أشهر، فإذا مضت أربعة أشهر فقد وقع الإيلاء، و ينبغي للامام أن يجبره على أن يفيء أو يطلّق فإن فاء فإنّ الله غفور رحيم، و إن عزم الطلاق فإنّ الله سميع عليم، وهو قول الله تبارك و تعالى في كتابه(٢).

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾: يريدبها المدخول بهنّ من ذوات الأقراء، لما دلّت الآيات والأخبار على أن حكم غيرهنّ خلاف ما ذكر.

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: خبرصورةو أمر معنى. و تغيير العبارة للتأكيد و الإشعار بأنّه ممّا يجب أن يسار إلى امتثاله، و كان المخاطب قصد أن يمتثل الأمر فيخبر عنه. و بناؤه

---

(١) الكافي: ج٦، ص١٣١، كتاب الطلاق، باب الايلاء، ح٤.

(٢) الكافي: ج٦، ص١٣٢، كتاب الطلاق، باب الايلاء، ص٧.

على المبتدأ يفيد فضل تأكيد.

بِأَنفُسِهِنَّ: تهييج و بعث لهنّ على التربّص، فإنّ نفوس النساء طوامح إلى الرجال، فأمرن بأن يقمعنها و يحملنها على التربص.

ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ: نصب على الظرف، أوالمفعول به، أي يتربصن مضيّها.

والقروء: جمع قرء، كان القياس أن يذكر بصيغة القلّة التي هي الأقراء، ولكنّهم يتّسعون في ذلك فيستعملون كلّ واحد من البنائين مكان الآخر. و لعلّ الحكم لما عمّم المطلقات ذوات الأقراء تضمّن معنى الكثرة، فحسن بناؤها. والقرء يطلق للحيض والطهر الفاصل بين الحيضتين وهوالمراد هاهنا.

في الكافي: عنه،عن صفوان، عن موسى بن بكر، عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني سمعت ربيعة الرأي(١) يقول: إذا رأت الدم من الحيضة الثالثة بانت منه، و انّما القرء ما بين الحيضتين، و زعم أنّه أخذ ذلك برأيه، فقال أبو جعفر عليه السلام: كذب لعمري، ما قال ذلك برأيه، ولكنّه أخذه عن علي عليه السلام قال: قلت له: وما قال فيها علي عليه السلام؟ قال: كان يقول: إذا رأت الدم من الحيضة الثالثة فقد انقضت عدّتها ولا سبيل له عليها، و إنّما القرء ما بين الحيضتين، وليس لها أن تتزوج حتّى تغتسل من الحيضة الثالثة(٢).

علي بن إبراهيم، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن زرارة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: سمعت ربيعة الرأي يقول: من رأيي أنّ الأقراء التي سمّى الله عزّوجلّ في القرآن إنّما هوالطهر فيما بين الحيضتين، فقال: كذب لم يقله برأيه، ولكنّه بلغه عن علي عليه السلام، فقلت له: أصلحك الله أكان علي عليه السلام يقول ذلك؟ قال: نعم، إنّما القرء الطهر يقرى فيه الدم فيجمعه، فإذا جاء المحيض

(١) ربيعة بن عبدالرحمن المعروف بربيعة الرأي. ربيعة بالراء المهملة المفتوحة والباء الموحدة المكسورة والياء المثناة من تحت الساكنة والعين المهملة والهاء، عامّي، وفي الوجيزة: انّه ضعيف، وطريقته في الاستقلال بالرأي في أحكام الله تعالى معروفة، و إضافة اسمه الى الرأي تشعر بذلك. تلخيص من تنقيح المقال: ج١، ص٤٢٧، تحت رقم ٤٠٢١.

(٢) الكافي: ج٦، ص ٨٨، كتاب الطلاق، باب الوقت الذي تبين منه المطلقة... ح٩.

دفقه(١).

علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، وعدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نصر جميعاً، عن جميل بن درّاج، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: القرء ما بين الحيضتين(٢).

علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: القرء ما بين الحيضتين(٣).

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحجال، عن ثعلبة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الأقراء هي الأطهار(٤).

سهل، عن أحمد، عن عبد الكريم، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: عدّة التي لم تحض والمستحاضة التي لا تطهر ثلاثة أشهر، وعدّة التي تحيض و يستقيم حيضها ثلاثة قروء، والقرء جمع الدم بين الحيضتين(٥).

و أمّا ما رواه في كتاب الخصال: قال: حدّثنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا سعد بن عبدالله قال: حدّثني أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن جميل، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أمران أيّهما سبق إليها بانت به المطلّقة المسترابة التي تستريب الحيض، إن مرّت بها ثلاثة أشهر بيض ليس فيها دم بانت بها، و إن مَرَّت بها ثلاث حيض ليس بين الحيضتين ثلاثة أشهر بانت بالحيض(٦).

وما رواه في كتاب علل الشرايع: بإسناده إلى أبي خالد الهيثم قال: سألت أبا الحسن الثاني عليه السلام كيف صارت عدّة المطلقة ثلاث حيض أو ثلاثة أشهر و

---

(١) الكافي: ج٦، ص ٨٩، كتاب الطلاق، باب معنى الاقراء، ح١.

(٢) الكافي: ج٦، ص ٨٩، كتاب الطلاق، باب معنى الاقراء، ح٢.

(٣) الكافي: ج٦، ص ٨٩، كتاب الطلاق، باب معنى الاقراء، ح٣.

(٤) الكافي: ج٦، ص ٨٩، كتاب الطلاق، باب معنى الاقراء، ح٤.

(٥) الكافي: ج٦، ص٩٩، كتاب الطلاق، باب عدة المسترابة، ح٣.

(٦) الخصال: ص٤٧، باب الاثنين، ح٤٤.

عدّة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيّام؟ قال: أمّا عدّة المطلّقة ثلاث حيض أو ثلاثة أشهر فلإستبراء الرحم من الولد(١) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

فيمكن أن يحمل عى التقيّة، لأنّه موافق لمذهب أكثر العامّة.

وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ: من الولد والحيض إستعجالاً في العدّة، و إبطالاً لحقّ الرجعة. وفيه دليل على أن قولها مقبول في ذلك.

إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ: ليس المراد منه تقييد نفي الحلّ بأيمانهم، بل تنبيه على أنّه ينافي الإيمان، و أنّ المؤمن لا يجترى عليه، ولا ينبغي له أن يفعل.

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «والمطلّقات يتربّص بأنفسهنّ ثلاثة قروء ولا يحلّ لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهنّ» يعني لا يحلّ لها أن تكتم الحمل إذا طلّقت وهي حبلى والزوج لا يعلم بالحمل، فلا يحلّ لها أن تكتم حملها وهو أحق بها في ذلك الحمل ما لم تضع(٢).

وَبُعُولَتُهُنَّ: أي أزواج المطلّقات، جمع بعل، والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤلة، أو مصدر من قولك: بعل حسن البعولة، نعت به و أُقيم مقام المضاف المحذوف، أي و أهل بعولتهن.

أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ: إلى النكاح والرجعة إليهنّ، و أفعل: بمعنى الفاعل.

فِي ذَٰلِكَ: أي في زمان التربّص.

إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا: بالرجعة، لإضرار المرأة، والمراد منه التحريض عليه والمنع من قصد الاضرار، لا شرطيّة قصد الإصلاح للرجعة.

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ: أي لهنّ حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهنّ في الوجوب و استحقاق المطالبة.

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ: زيادة في الحقّ وفضل.

وَاللَّهُ عَزِيزٌ: يقدر على الإنتقام ممّن خالف الأحكام.

حَكِيمٌ: يشترعها لمصالح و حكم.

---

(١) علل الشرايع: ج٢، ص١٩٤، الباب ٢٧٧، ح١.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١١٥، ح٣٥٦.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

في من لا يحضره الفقيه: و سأل إسحاق بن عمّار أبا عبدالله عليه السلام عن حقّ المرأة على زوجها، قال: يشبع بطنها و يكسو جثتها و إن جهلت غفر لها(١).

و روى الحسن بن محبوب، عن مالك عن عطيّة، عن محمّدبن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاءت إمرأة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله ما حقّ الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تتصدّق من بيتها بشيء إلّا بإذنه، ولا تصوم تطوّعاً إلّا بإذنه ولا تمنعه نفسها و إن كانت على ظهر قتب(٢)، ولا تخرج من بيتها إلّا بإذنه، فإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض و ملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتّى ترجع إلى بيتها، فقالت: يا رسول الله من أعظم الناس حقّاً على الرجل؟ قال: والده، قالت: يا رسول الله فمن أعظم الناس حقاً على المرأة؟ قال: زوجها قالت: فما لي من الحقّ عليه بمثل ماله عليّ؟ قال: لا ولا من كل مائة واحدة، قال: فقالت: والذي بعثك بالحقّ نبياً لا يملك رقبتي رجل أبداً(٣).

الطَّلَاقُ: أي الطلاق الذي عهد سابقاً، وهو ما يجوز معه الرجوع في مدّة

---

(١) الفقيه: ج٣، ص٢٧٩، باب ١٣١، باب حق المرأة على الزوج، ح٢.

(٢) القتب: رحل صغير على قدر السنام. الصحاح: ج١، ص١٩٨.

(٣) الكافي: ج٥، ص٥٠٦، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، ح١.

التربّص.

مَرَّتَانِ: بأن طلّق أوّلاً ثم رجع ثم طلّق ثانياً، فإن رجع.

فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ: بحسن المعاشرة.

أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ: بالطلقة الثالثة، ولا يجوز له الرجوع أصلاً حتّى تنكح زوجاً غيره.

في عيون الأخبار: بإسناده إلى الرضا عليه السلام في حديث طويل أنّ الله تبارك و تعالى إنّما أذن في الطلاق مرتين، فقال عزّوجلّ «الطلاق مرّتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان» يعني في التطليقة الثالثة(١).

وفي الكافي: أبو علي الأشعري، عن محمدبن عبدالجبّار، ومحمدبن جعفر أبوالعباس الرزاز، عن أيّوب بن نوح، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن محمدبن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: طلاق السنّة، يطلّقها تطليقة، يعني على طهر من غير جماع بشهادة شاهدين، ثم يدعها حتّى تمضي أقراؤها، فإذا مضت أقراؤها فقد بانت منه، وهو خاطب من الخطّاب إن شاءت أنكحته و إن شاءت فلا، و إن أراد أن يراجعها أشهد على رجعتها قبل أن تمضي أقرأوها فتكون عنده على التطليقة الماضية قال: وقال أبو بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام هو قول الله عزّوجلّ «الطلاق مرّتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان»(٢).

وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا: من الصداق والهبة.

في تهذيب الأحكام: أحمدبن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: ولا يرجع الرجل فيما يهب لإمرأته، ولا المرأة فيما تهب لزوجها، حيّز أولم يحز، أليس الله تعالى يقول «ولا تأخذوا ممّا

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٨٥، باب ٣٢، في ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل قطعة من حديث ٢٧.

(٢) الكافي: ج٦، ص٦٤، كتاب الطلاق، باب تفسير طلاق السنة والعدّة وما يوجب الطلاق، ح١.

اتيتموهنّ شيئاً» وقال: «فإن طبن لكم عن شيء منه فكلوه هنيئاً مريئاً» وهذا يدخل في الصداق والهبة(١) وفي الكافي مثله سواء.

وهذا الحكم بعمومه يشمل صور الطلاق، أي لا يحلّ لكم إذا طلّقتم أن تأخذوا ممّا آتيتموهنّ شيئاً والخطاب للحكّام، لأنّهم الآمرون، أو للأزواج.

﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾: أي الزوجان، و قرئ يظنا.

﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: و قرأ حمزة و يعقوب على البناء للمفعول، و إبدال أن بصلته عن الضمير بدل الاشتمال، و قرأ (تخافا) و (تقيما) بتاء الخطاب(٢).

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: ايّها الحكّام.

﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾: على الرجل في أخذ ما أفتدت به نفسها، و على المرأة في إعطائه حتّى يخالعها.

في مجمع البيان: «فيما افتدت به» قيل: إنّه يجوز الزيادة على المهر، وقيل: المهر فقط رووه عن علي عليه السلام(٣).

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن المختلعة كيف يكون خلعها؟ فقال: لا يحلّ خلعها حتّى تقول: والله لا أبرّ لك قسماً، ولا أطيع لك أمراً، ولأوطينّ فراشك، ولأُدخلنّ عليك بغير إذنك، فاذا قالت هي ذلك، فقد حلّ خلعها، وحلّ له ما أخذ منها من مهرها ومازاد، وهو قول الله عزّوجلّ «فلا جناح عليهما فيما افتدب به»، و إذا فعلت ذلك فقد بانت منه بتطليقة، وهي أملك بنفسها إن شاءت نكحته و إلّا فلا، فإن نكحته فهي عنده بثنتين(٤).

---

(١) التهذيب: ج٧، ص٤٦٢، باب ٤١، من ابواب الزيادات في فقه النكاح،ح٦٦، و سند الحديث (الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه «حازا أولم يحازا» بدل (حيز أولم يحز).

(٢) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٢١.

(٣) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص٣٢٩، في تفسيره لآية ٢٢٨، من سورة البقرة.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص١١٧، ح٣٦٧.

فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠

تِلۡكَ : إشارة إلى الأحكام التي حدّت.

حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ : بالمخالفة.

وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ : عقب النهي بالوعيد مبالغة في التهديد.

واعلم: أنّ كلّ ما حدّ الله تعالى، الإفراط فيه والتفريط كلاهما تعدّ. و كذلك كلّ ما يفعله أهل الوسوسة في الشرع بغير مأخذ و يسمّونه إحتياطاً و تقوىً، تعدّ عن حدود الله، ومن يفعله ظالم.

يدلّ على ذلك ما رواه العياشي في تفسيره: عن محمدبن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى «تلك حدود الله فلاتعتدوها و من يتعدّ حدودالله فاولئك هم الظالمون» فقال: إنّ الله غضب على الزاني فجعل له جلدة مائة، فمن غضب عليه فزاد فأنا إلى الله منه بريء، فذلك قوله تعالى: «تلك حدود الله فلا تعتدوها»(١).

فَإِن طَلَّقَهَا : متعلّق بقوله «الطلاق مرتان» تفسير لقوله: «أو تسريح بإحسان» إعترض بينهما ذكر الخلع، دلالة على أنّ الطلاق يقع مجّاناً تارة، و بعوض أُخرى، والمعنى فإن طلّقها بعدالثنتين.

فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ : ذلك الطلاق.

حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ : حتى تزوج غيره بالعقد الدائم و يدخل بها، والنكاح

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١١٧، ح٣٦٨.

يسند إلى كلّ منهما.

في عيون الأخبار: حدّثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رحمه الله قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، عن علي بن الحسن بن علي بن فضّال، عن أبيه، قال: سألت الرضا عليه السلام عن العلّة التي من أجلها لا تحل المطلّقة للعدّة لزوجها حتّى تنكح زوجاً غيره، فقال: إنّ الله تبارك و تعالى إنّما أذن في الطلاق مرتين، فقال عزّوجلّ: «الطلاق مرّتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان» يعني في التطليقة الثالثة. و لدخوله فيما كره الله عزّوجلّ له من الطلاق الثالث حرّمها الله عليه «فلا تحل له من بعد حتّى تنكح زوجاً غيره» لئلّا يوقع الناس الإستخفاف بالطلاق ولا تضار النساء(١).

وفي الكافي: سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد، عن مثنّى، عن أبي حاتم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الرجل يطلّق إمرأته الطلاق الذي لا تحل له حتّى تنكح زوجاً غيره، ثمّ تزوّج رجلاً ولم يدخل بها، قال: لا، حتّى يذوق عسيلتها(٢).

في عيون الأخبار في باب ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل: وعلّة الطلاق ثلاثاً، لما فيه من المهلة فيما بين الواحدة إلى الثلاثة، لرغبة تحدث، أو سكون غضبه إن كان، وليكون ذلك تخويفاً و تأديباً للنساء و زجراً لهنّ عن معصية أزواجهنّ(٣).

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن رجل طلّق إمرأته تطليقة واحدة، ثم

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٨٥، باب ٣٢، في ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل، ح٢٧.

(٢) الكافي: ج٥، ص٤٢٥، كتاب النكاح، باب تحليل المطلقة لزوجها وما يهدم الطلاق الأوّل، ح٤.

(٣) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٩٥، باب ٣٣ في ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل.

تركها حتّى أنقضت عدّتها، ثم تزوجها رجل غيره، ثم إنّ الرجل مات أو طلّقها فراجعها الأوّل، قال: هي عنده على تطليقتين باقيتين(١).

محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمّد، عن ابن مهزيار قال: كتب عبدالله بن محمّد إلى أبي الحسن عليه السلام: روى بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام، في الرجل يطلّق إمرأته على الكتاب والسنّة، فتبين منه بواحدة، فتزوّج زوجاً غيره، فيموت عنها أو يطلّقها، فترجع إلى زوجها الأوّل، إنها تكون عنده على تطليقتين تامتين، و واحدة قد مضت، فوقّع عليه السلام بخطة: صدقوا.

و روى بعضهم أنّها تكون عنده على ثلاث مستقبلات، و أنّ تلك الطلقة التي طلّقت ليس بشيء، لأنّها قد تزوجت زوجاً غيره، فوقّع عليه السلام بخطه: لا(٢).

سهل، عن أحمدبن محمد بن أبي نصر، عن المثنّى، عن إسحاق بن عمّار قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل طلّق امرأته طلاقاً لا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره، فتزوجها عبد ثم طلّقها، هل يهدم الطلاق؟ قال: نعم، لقول الله عزّوجلّ في كتابه: «حتى تنكح زوجاً غيره» و قال: هو أحد الأزواج(٣).

فَإِن طَلَّقَهَا: الزوج الثاني.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ: أي يرجع كلّ منهما إلى الآخر بالتزوّج.

إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ: أي ما حدّده الله.

وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ: يفهمون.

في تفسير العياشي: عن الحسن بن زياد قال: سألته عن رجل طلّق امرأته، فتزوّجت بالمتعة، أتحلّ لزوجها الأوّل؟ قال: لا، لا تحلّ له حتّى تدخل في مثل الذي

---

(١) الكافي: ج٥، ص٤٢٦، كتاب النكاح، باب تحليل المطلقة لزوجها وما يهدم الطلاق الأوّل، ح٥.

(٢) الكافي: ج٥، ص٤٢٦، كتاب النكاح، باب تحليل المطلقة لزوجها وما يهدم الطلاق الاول، ح٦.

(٣) الكافي: ج٥، ص٤٢٥، كتاب النكاح، باب تحليل المطلقة لزوجها وما يهدم الطلاق الأول ح٣.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

خرجت من عنده، و ذلك قوله: «فإن طلّقها فلا تحلّ له من بعد حتّى تنكح زوجاً غيره فإن طلّقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنّا أن يقيما حدودالله» والمتعة ليس بطلاق(١).

و في الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمدبن محمدبن أبي نصر، عن عبدالكريم، عن الحسن الصيقل قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام، عن رجل طلّق إمرأته طلاقاً لا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره وتزوّجها رجل متعة، أيحلّ له أن ينكحها؟ قال: لا حتّى تدخل في مثل ما خرجت منه(٢).

و في الكافي علي بن إبراهيم عن أبيه، عن حمّادبن عيسى، عن حريز، عن محمّدبن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال: سألته عن رجل طلّق إمرأته ثلا ثاً ثم تمتّع فيها رجل آخر، هل تحلّ للأوّل؟ قال: لا(٣).

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ: الأجل يطلق للمدّة و لمنتهاها، والبلوغ

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١١٨، ح٣٧١، وفيه (والمتعة ليس فيها طلاق).

(٢) الكافي: ج٥، ص٤٢٥، كتاب النكاح، باب تحليل المطلقة لزوجها وما يهدم الطلاق الاول، ح٢.

(٣) الكافي: ج٥، ص٤٢٥، كتاب النكاح، باب تحليل المطلقة لزوجها وما يهدم الطلاق الاول ح١.

هوالوصول إلى الشيء، وقد يقال للدنوّ منه على الإتّساع. فإن حمل الأجل على المعنى الأوّل، فالبلوغ على أصله. و إن حمل على الثاني فالبلوغ على الإتّساع، ليترتّب عليه.

فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ: وهو إعادة الحكم في بعض صوره للإهتمام به.

وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا : نصب على العلّة أوالحال، أي لا تراجعوهن إرادة الإضرار أو مضارّين، كأنّ المطلّق يترك المعتدّة حتّى يشارف الأجل ثم يراجع ليطوّل العدّة عليها، فنهى عنه بعد الأمر بضده مبالغة.

لِتَعْتَدُوا: لتظلموهنّ بالتطويل والإلجاء إلى الإفتداء. واللام متعلّق بالضرار، إذ المراد تقييده.

في من لا يحضره الفقيه: روى المفضّل بن صالح، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: سألت عن قول الله عزّوجلّ: «ولا تمسكوهنّ ضراراً لتعتدوا» قال: الرجل يطلّق حتّى إذا كادت أن يخلو أجلها راجعها ثم طلّقها يفعل ذلك ثلاث مرات، فنهى الله عزّوجلّ عن ذلك(١).

و روى البزنطي، عن عبدالكريم بن عمرو، عن الحسن بن زياد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا ينبغي للرجل أن يطلّق امرأته ثم يراجعها وليس له فيها حاجة ثم يطلّقها، فهذا الضرار الذي نهى الله عنه، إلّا أن يطلّق ثم يراجعها، وهو ينوي الإمساك (٢).

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ: بتعريضها للعقاب.

وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا: بالإعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها.

في نهج البلاغة: مَنْ قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممّن كان يتخذ آيات الله هزواً(٣).

---

(١) الفقيه: ج٣، ص٣٢٣، باب ١٥٥، طلاق العدّة، ح١.

(٢) الفقيه: ج٣، ص٣٢٣، باب ١٥٥، طلاق العدّة، ح٢.

(٣) نهج البلاغة فيض الإسلام: ص١١٨٧.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ : التي من جملتها نبوّة محمّد و ولاية علي والأئمة من بعده بالشكر والقيام بحقوقها.

وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ : القرآن والسنة، أفردهما بالذّكر، إظهاراً لشرفهما.

يَعِظُكُم بِهِۦ : بما أنزل عليكم.

وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ : تأكيد و تهديد.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ : إنقضت عدّتهنّ.

فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ : العضل: الحبس والتضييق.

إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم : ظرف لأن ينكحهن، أو لا تعضلوهن.

بِٱلْمَعْرُوفِ : بما يعرفه الشرع، حال عن الضمير المرفوع، أو صفة مصدر محذوف، أي تراضياً كائناً بالمعروف.

ذَٰلِكَ : إشارة إلى ما مضى ذكره، والخطاب للجميع على تأويل القبيل، أو كلّ واحد، أو للنبي صلّى الله عليه و آله.

يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ : لأنّه المنتفع به.

ذَٰلِكُمْ : أي العمل بمقتضى ما ذكر.

أَزْكَىٰ لَكُمْ : أنفع.

وَأَطْهَرُ : من دنس الآثام.

وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ: ما فيه من النفع.

وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ: ما فيه، أو لستم من أهل العلم.

وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ: قال البيضاوي: أمر عبّر عنه بالخبر للمبالغة، و معناه الندب أوالوجوب، فيخصّ بما إذا لم يرتضع الصبي إلاّ من أُمّه، أولم يجد له ظئراً، أو عجز الوالد عن الإستيجار(١)

والوالدات تعمّ المطلّقات و غيرهنّ. وليس للوالد أن يأخذهم و يجعل غيرهنّ مرضعة إذا تبرّعن أو رضين بما رضي به غيرهنّ.

حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ: أكدّه بصيغة الكمال، لأنّه ممّا يتسامح فيه.

لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ: بيان لمن يتوجه إليه الحكم، أي ذلك لمن أراد إتمام الرضاعة، أو متعلّق بـ (يرضعن) فإنّ الأب يجب عليه الإرضاع والأم ترضع.

و فيه دلالة على أنّ مدة الإرضاع حولان، ولا عبرة به بعدهما، و أنّه يجوز أن ينقص عنه.

---

(١) تفسير أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٢٣.

وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ : أي الوالد، فإن الولد يولد له. و تغيير العبارة للإشارة إلى المعنى المقتضي للإرضاع و مؤن المرضعة.

رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ : أجرة لهنّ.

بِالْمَعْرُوفِ: حسب ما يراه أهل الشرع.

لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا : تعليل لإيجاب المؤن.

لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ : أي لا يضارّ كلّ واحد منهما الآخر بسبب الولد، بأن يكلّفه ما ليس في وسعه، أو يترك مجامعته بسبب الولد.

في الكافي: محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن محمّدبن إسماعيل، والحسين بن سعيد جميعاً، عن محمّد بن الفضيل عن أبي الصباح الكناني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ «لا تضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده» فقال: كانت المراضع ممّا يدفع إحداهنّ الرجل إذا أراد الجماع تقول: لا أدعك، إني اخاف أحْبل فاقتل ولدي هذا الذي أُرضعه، وكان الرجل تدعوه المرأة فيقول أخاف أن أُجامعك فأقتل ولدي فيدعها ولا يجامعها، فنهى الله عزّوجلّ عن ذلك بأن يضارّ الرجل المرأة والمرأة الرجل(١).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام نحوه(٢).

و في مجمع البيان: «لا تضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده» قيل: معناه لا تضارّ والدة الزوج بولدها ولو قيل في ولدها لجاز في المعنى.

و روي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام «لا تضارّ والدة» بان يترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها المرتضع «ولا مولود له بولده» أي لا تمنع نفسها من الأب خوف الحمل فيضر ذلك بالأب(٣).

---

(١) الكافي: ج٦، ص٤١، كتاب العقيقة، باب الرضاع ح٦.

(٢) الكافي: ج٦، ص٤١، كتاب العقيقة، باب الرضاع ذيل الحديث٦.

(٣) مجمع البيان: ج١-٢، ص ٣٣٥، في تفسيره لآية ٢٣٢ من سورة البقرة.

وفي الكافي: محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن محمدبن إسماعيل، عن محمدبن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا طلّق الرجل المرأة وهي حبلى أنفق عليها حتّى تضع حملها، و إذا وضعته أعطاها أجرها ولا يضارها إلاّ أن يجد من هو أرخص أجراً منها، فإن هي رضيت بذلك الأجر فهي أحقّ بابنها حتّى تفطمه(١).

علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الحبلى المطلّقة ينفق عليها حتّى تضع حملها، وهي أحقّ بولدها أن ترضعه بما تقبله إمرأة أخرى، إنّ الله عزّوجلّ يقول «لا تضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده و على الوارث مثل ذلك» قال: كانت المرأة منّا ترفع يدها إلى زوجها إذا أراد مجامعتها، فتقول: لا أدعك إني أخاف أن أحمل على ولدي، و يقول الرجل: لا أجامعك أخاف أن تعلق فأقتل ولدي فنهى الله عزّوجلّ أن تضارّ المرأة الرجل، أو يضارّ الرجل المرأة أمّا قوله: «و على الوارث مثل ذلك» فإنّه نهى أن يضارّ بالصبي، أو تضارّ أمّه في رضاعه، وليس لها أن يأخذ في رضاعه فوق حولين كاملين، و إن أراد فصالاً عن تراض منهما قبل ذلك كان حسناً، والفصال هو الفطام(٢).

وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ: عطف على قوله «و على المولود رزقهنّ و كسوتهنّ» وما بينهما معترض، والمراد بالوارث الباقي من أبويه.

قال في مجمع البيان: وهوالصحيح عندنا، وقد روي أيضاً في أخبارنا: على الوارث كائناً من كان النفقة، وهذا يوافق الظاهر(٣).

وفي تفسير علي بن إبراهيم، قوله: «و على الوارث مثل ذلك» قال: لا تضارّ المرأة التي لها ولد وقد توفى زوجها فلا يحلّ للوارث أن يضارّ أم الولد في النفقة فيضيّق عليها(٤).

---

(١) الكافي: ج٦، ص١٠٣، كتاب الطلاق، باب نفقة الحبلى المطلّقة ح٢.

(٢) الكافي: ج٦، ص١٠٣، كتاب الطلاق، باب نفقة الحبلى المطلقة الحديث٣.

(٣) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص٣٣٥، في تفسيره لآية ٢٣٢، من سورة البقرة.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٧٧.

وفي تفسير العياشي، عن العلا، عن محمّدبن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال: سألته عن قوله «و على الوارث مثل ذلك» قال: هو في النفقة، على الوارث مثل ما على الوالد(١).

وقيل: المراد بالوارث: وارث الأب وهوالصبي، أي مؤن المرضعة من ماله إذا مات الأب.

والأحسن أن يقال: المراد بالوارث الباقي من أبويه، وعليه مثل ذلك، أي عدم المضارّة بأنّه إن كان للمولود له مال عنده لا يقتّر عليه ولا يمنع الولد من أن يأ تي أُمّها، و إن لم يكن له مال وكان ممّن يجب نفقته عليه أنفق عليه و غير ذلك، والأخبار التي أستدلّ بها الشيخ الطبرسي كلّها يحمل على ذلك.

يدلّ على هذا الحمل ما رواه أبوالصباح قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ «و على الوارث مثل ذلك» قال: ليس للوارث أن يضارّ المرأة فيقول لا أدع ولدها يأتيها و يضارّ ولدها إن كان لهم عنده شيء ولا ينبغي له أن يقتّر عليه(٢).

وفي من لا يحضره الفقيه: و قضى أميرالمؤمنين عليه السلام في رجل توفي و ترك صبيّاً و استرضع له، أنّ أجر رضاع الصبي ممّا يرث من أبيه و أُمّه(٣).

فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ: و تشاور أي فصالاً صادراً عن التراضي منهما والتشاور قبل الحولين.

والتشاور والمشاورة والمشورة، إستخراج الرأي، من شرت العمل إذا استخرجته.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا: في ذلك، و اعتبار التراضي لمصلحة الطفل.

وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ: أي تسترضعوا المراضع أولادكم، من استرضعها إيّاه، فحذف المفعول الأوّل للقرينة.

(١و٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٢١، ح٣٨٣ و ح٣٨٤.

(٣) الفقيه: ج٣، ص٣٠٩، باب ١٤٦، الرضاع، ح٢٥.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ: فيه، وفي نفي الجناح إشعار بأنّ لبن أمّه أولى.

وفي كتاب عيون الأخبار: بإسناده قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ليس للصبي لبن خير من لبن أمّه(١).

إِذَا سَلَّمْتُم: إلى المراضع.

مَّآ ءَاتَيْتُم: أي أردتم إيتائه كقوله: «إذا قمتم إلى الصلاة»(٢) وقرأ ابن كثير ما أتيتم، من أتى إليه إحساناً إذا فعله، و قرئ أوتيتم، أي ما آتاكم الله(٣).

بِٱلْمَعْرُوفِ: صلة (سلمتم) أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعاً، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله، أي فلاجناح عليه، أوالشرط في موضع الحال، فلا يحتاج إلى الجواب.

وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ: مبالغة في أمر الأطفال والمراضع، ومن جملة التقوى في أمر الأطفال إختيار المراضع الجياد لأولادكم فإنّ اللبن يعدي.

و في كتاب عيون الأخبار بإسناده إلى الرضا عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فانّ اللبن يعدي(٤)

وفي كتاب الخصال فيما علّم أميرالمؤمنين أصحابه: وتوقوا أولادكم من لبن البغيّ من النساء والمجنون فإنّ اللبن يعدي(٥).

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ: حثّ و تهديد. و في إيراد البصير مكان العليم زيادة مبالغة.

---

(١) عيون اخبار الرضا: ج٢، ص٣٤، باب ٣١، فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الاخبار المجموعة ح٦٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج١، ص١٢٤.

(٤) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٣٤، باب ٣١، فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة، ح٦٧.

(٥) لم نعثر عليه.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا: أي أزواج الذين، أو يتربّصن بعدهم الأزواج المتروكة.

و قرئ يتوفون بفتح الياء، أي يتوفّون آجالهم، و تأنيث العشر باعتبار الليالي، لأنّها غرر الشهور والأيّام.

و لعلّ المقتضي لهذا التقدير: أنّ الجنين في غالب الأمر يتحرك لثلاثة أشهر إن كان ذكراً، و لأربعة أشهر إن كان أنثى، فاعتبر أقصى الأجلين و زيد عليه العشر إستظهاراً، إذ ربّما يضعف حركة في المبادي فلا يحسن بها.

وفي تفسير العياشي: عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية «والذين يتوفون منكم و يذرون أزواجاً يتربصن بانفسهن أربعة أشهر و عشراً» جئن النساء يخاصمن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقلن: لا نصبر، فقال لهنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله: كانت إحداكن إذا مات زوجها

أخذت بعرة فالقتها خلفها في دويرها في خدرها ثم قعدت، فإذا كان مثل ذلك اليوم من الحول أخذتها ففتّتها ثم اكتحلت بها ثم تزوّجت، فوضع الله عنكنّ ثمانية أشهر(١).

وفي الكافي حميد، عن ابن سماعة، عن محمدبن أبي حمزة، عن أبي أيّوب، عن محمدبن مسلم قال: جاءت امرأة إلى أبي عبدالله عليه السلام تستفتيه في المبيت في غير بيتها و قد مات زوجها، فقال: إنّ أهل الجاهليّة كان إذا مات زوج المرأة أحدّت عليه امرأته اثنى عشر شهراً، فلمّا بعث الله محمّداً صلّى الله عليه وآله رحم ضعفهنّ فجعل عدّتهنّ أربعة أشهر و عشراً، و انتنّ لا تصبرنّ على هذا(٢).

و عموم اللفظ يقتضي تساوي الحرّة والأمة، زوجة كانت أو ملك يمين والمسلمة والكتابيّة والدائمة والمتعة والحائل والحامل إن وضع الحمل قبل المدّة.

وفي تهذيب الأحكام: أحمدبن محمدبن عيسى، عن محمدبن الحسين، عن ابن أبي عمير، عن عمربن أذينة، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام ما عدّة المتعة إذا مات عنها الذي يتمتّع بها؟ قال: أربعة أشهر و عشراً، قال: ثم قال: يا زرارة كلّ النكاح إذا مات الزوج فعلى المرأة حرّة كانت أو أمة، أو على أي وجه كان النكاح منه متعة أو تزويجاً أو ملك يمين فالعدّة أربعة أشهر و عشراً(٣).

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ: انقضت عدّتهن.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ: أيها الأمّة والمسلمون.

فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ: من التعرّض للخطّاب و ساير ما حرّم عليهن للعدّة.

بِالْمَعْرُوفِ: بالوجه الذي يعرفه الشرع، و إن فعلن ما ينكره الشرع فعليهم أن يكفّوهن.

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٢١، ح٣٨٦.

(٢) الكافي: ج٦، ص١١٧، كتاب الطلاق، باب المتوفى عنها زوجها المدخول بها أين تعتدو ما يجب عليها ح١٠.

(٣) الوسائل: ج١٥، ص٤٨٤ كتاب الطلاق، الباب ٥٢، من أبواب العدد، قطعة من حديث٢.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾: فيجازيكم عليه، إن خيراً فخير و إن شرّاً فشر.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾: التعريض ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجاز، كقول السائل: جئتك لأسلّم عليك، و (الخطبة) بالكسر والضم، اسم غير أنّ المضمومة خصّت بالموعظة، والمكسورة بطلب المرأة، والمراد بـ «النساء» المعتدّات للوفاة، و تعريض خطبتها أن يقول لها: إنّك جميلة، أو نافقة(١) أو لا تحدثي حدثاً، أو نحو ذلك.

﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾: أي اضمرتم في أنفسكم ولم تذكروه تصريحا و تعريضاً.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾: ولا تصبرون على السكوت.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: إستدراك عن محذوف، أي فاذكروهنّ ولكن لا تواعدوهنّ سراً، أي نكاحاً أو جماعاً، عبّر بالسرّ عن الوطي، لأنه يسر، ثم من العقد لأنّه سبب فيه.

وقيل: معناه لا تواعدوهنّ في السرّ بما يستهجن.

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ﴾: وهو التعريض بالخطبة، والمستثنى منه محذوف، أي لا تواعدوهنّ مواعدة إلّا مواعدة معروفة، أو إلّا مواعدة بقول معروف.

و قيل: أنّه إستثناء منقطع من «سرّاً»، وفيه أنّه يؤدّي إلى قولك لا تواعدوهنّ إلا التعريض وهو غير موعود.

وفي الآية دلالة على حرمة تصريح خطبة المعتدّة وجواز تعريضها إن كانت معتدّة وفاة.

﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾: قيل: ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد.

وقيل: معناه لا تقطعوا عقدة النكاح، فانّ أصل العزم القطع.

و يحتمل: أن يكون المراد: لا تقصدوا عقد النكاح قبل انقضاء العدّة فإنّ قصد الحرام حرام، و يكون قوله:

﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ﴾: متعلق بالنكاح لا بالعزم، يعني حتّى ينتهي ما

---

(١) نفقت السلعة والمرأة نَفاقاً: كثر طلّابها و خطّابها. المصباح المنير، ص٨٥٠.

كتب من العدّة.

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ: من العزم على ما لا يجوز و ما يجوز.

فَٱحۡذَرُوهُۚ: ولا تعزمو على ما لا يجوز.

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ: لمن تاب.

حَلِيمٞ: لا يعاجلكم بالعقوبة لعلّكم تتوبون.

و في الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: «ولكن لا تواعدوهنّ سراً، إلا أن تقولوا قولاً معروفاً» قال: هو الرجل يقول للمرأة قبل أن تنقضي عدّتها أواعدك بيت آل فلان ليعرض لها بالخطبة، ويعني بقوله «إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً» التعريض بالخطبة، ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله(١).

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، ومحمدبن يحيى، عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن أحمدبن أبي نصر، عن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: «ولكن لا تواعدوهنّ سرّاً إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً ولا تعزموا عقدة النكاح حتّى يبلغ الكتاب أجله» قال: السرّ أن يقول الرجل: موعدك بيت آل فلان، ثم يطلب إليها أن لا تسبقه بنفسه إذا انقضت عدّتها قلت: قوله: «إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً» قال: هو طلب الحلال من غير أن يعزم عقدة النكاح حتّى يبلغ الكتاب أجله(٢).

محمّدبن يحيىٰ، عن أحمدبن محمّد، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ «ولكن لا تواعدوهنّ سرّاً»

---

(١) الكافي: ج٥، ص٤٣٤، كتاب النكاح،باب في قول الله عزّوجلّ «ولكن لا تواعدوهن سراً» ح١.

(٢) الكافي: ج٥، ص٤٣٤، كتاب النكاح، باب في قول الله عزّوجلّ: «ولكن لا تواعدوهن سراً» ح٢.

قال: يقول الرجل: أواعدك بيت آل فلان، يعرض لها بالرفث و يرفث، يقول الله عزّوجلّ «إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً» والقول المعروف التعريض بالخطبة على وجهها وحلّها، «ولا تعزموا عقدة النكاح حتّى يبلغ الكتاب أجله»(١).

حميدبن زياد، عن الحسن بن محمّد، عن غير واحد، عن أبان، عن عبدالرحمن، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً» قال: يلقاها، فيقول: إنّي فيك لراغب، و إنّي للنساء لمكرم فلا تسبقيني بنفسك، والسرّ لا يخلو معها حيث وعدها(٢).

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «ولا تواعدوهنّ سرّاً إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً» قال: المرأة في عدّتها تقول لها قولاً جميلاً ترغّبها في نفسك ولا تقول: إنّي أصنع كذا و أصنع كذا، القبيح من الأمر في البضع، وكل أمر قبيح(٣).

عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله «إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً» قال: يقول الرجل للمرأة وهي في عدّتها: يا هذه ما أُحبّ إلّا ما أسرّك ، ولو قد مضى عدّتك لا تفوتني إن شاء الله فلا تسبقيني بنفسك ،وهذا كلّه من غير أن يعزموا عقدة النكاح(٤).

○ ○ ○

---

(١) الكافي: ج٥، ص٤٣٥، كتاب النكاح، باب في قول الله عزّوجلّ: «ولكن لا تواعدوهن سراً» ح٣.

(٢) الكافي: ج٥، ص٤٣٥، كتاب النكاح، باب في قول الله عزّوجلّ: «ولكن لا تواعدوهن سراً» ح٤.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٣، ح٣٩٤.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٣، ح٣٩٥.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ: لا تبعة من مهر و وزر.

إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ: أي تجامعوهنّ.

أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً: أي قبل تحقّق أحد الأمرين، المجامعة و تعيين الفريضة، أي المهر وهي فعيلة بمعنى المفعول، والفرض التقدير، نصب على المفعول، فإنّه على تقدير تحقّق الأوّل، إمّا يجب المسمّى أو مهر المثل. وعلى تقدير تحقّق الثاني يجب المسمّى أو نصفه، فعدم شيء إنّما هو على تقدير عدم تحقّق أحدهما.

وَمَتِّعُوهُنَّ: عطف على مقدّر، أي فطلّقوهنّ ومتّعوهنّ. والحكمة في إيجاب المتعة جبر إيحاش الطلاق.

عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ: أي على كلّ من الذي له سعة، والمقتر الضيّق الحال ما يطيقه و يليق به.

عن ابن بكير قال: سألت أبا عبدالله عليه السّلام عن قوله: «ومتعوهنّ على الموسع قدره وعلى المقتر قدره» وما قدر الموسع والمقتر؟ قال: كان علي بن الحسين عليهما السّلام يمتع براحلته، يعني حملها الذي عليها(١).

عن محمدبن مسلم قال: سألته عن الرجل يريد أن يطلق إمرأته قال: يمتعها قبل أن يطلّقها قال الله في كتابه «وَ مَتِعوهُنّ على المُوسع قَدره وَ عَلى المقتر قدره»(٢).

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٤، ح٤٠٠.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٤، ح٤٠١.

و في الكافي: أحمدبن محمّدبن علي، عن محمدبن سنان، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «وكان بين ذلك قواماً» قال: القوام هوالمعروف، على الموسع قدره وعلى المقتر قدره، على قدر عياله ومؤنتهم التي هي صلاح لهم، «ولا يكلّف الله نفسا إلّا ما آتيها»(١).

وفي من لا يحضره الفقيه: روى محمّدبن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا طلّق الرجل إمرأته قبل أن يدخل بها فلها نصف مهرها، و إن لم يكن سمّى لها مهراً فتاع بالمعروف على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ولها أن تتزوّج من شاءت من ساعتها(٢).

وفي رواية البزنطي: أن متعة المطلّقة فريضة(٣).

و روي أنّ الغني يتمتّع بدار أو خادم، والوسط يتمتّع بثوب،والفقير بدرهم أو خاتم(٤).

و روى: أن أدناه الخمار ونحوه(٥).

وفي مجمع البيان: على الموسع قدره، والمتعة خادم، أو كسوة،أو ورق، وهوالمروي عن الباقر والصادق عليهما السلام.

ثم اختلف في ذلك: فقيل: إنّما يجب المتعة التي لم يسمّ لها صداق، خاصة، وهوالمروي عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام، وقيل: المتعة لكلّ مطلّقة سوى المطلّقة المفروض لها إذا طلّقت قبل الدخول فانّها لها نصف الصداق ولا متعة لها رواه أصحابنا أيضاً، و ذلك محمول على الاستحباب(٦).

---

(١) الكافي: ج٤، ص٥٦، كتاب الزكاة، باب كراهية السرف والتقتير، ح٨.

(٢) الفقيه: ج٣، ص٣٢٦، باب ١٥٩، طلاق التي لم يدخل بها وحكم المتوفى عنها زوجها قبل الدخول و بعده، ح١.

(٣) الفقيه: ج٣، ص٣٢٧، باب ١٥٩، طلاق التي لم يدخل بها وحكم المتوفى عنها زوجها قبل الدخول و بعده، ح٣.

(٤و٥) الفقيه: ج٣، ص٣٢٧، باب ١٥٩، طلاق التي لم يدخل بها و حكم المتوفى عنها زوجها قبل الدخول و بعده، ح٤ و ح٥.

(٦) مجمع البيان: ج١ -٢، ص٣٤٠، في بيان معنى الآية ٢٣٦، من سورة البقرة.

وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

وفي الكافي: بإسناده عن أحمدبن محمد، عن عبدالكريم، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تمتّع المختلعة(١).

علي بن إبراهيم عن ابن ابي عمير، عن حمّاد، عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: لا تمتّع (٢) .

مَتَٰعًا: أي تمتيعاً.

بِٱلْمَعْرُوفِ: بالوجه الذي يستحسنه الشرع كما سبق في الأخبار.

حَقًّا: صفة لمتاعاً، أو مصدر موكّد، أي حقّ حقاً.

عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ: الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى الامتثال و بالتقوى، والإجتناب عمّا يسخط الرب، أو إلى المطلقات بالتمتيع، و سمّاهم محسنين للمشارفة ترغيباً و تحريضاً.

و في الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبدالله عليه السلام في الرجل يطلق إمرأته، أيمتعها؟ قال: نعم، أما يحب أن يكون من المحسنين، أما يحب أن يكون من المتقين(٣).

وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ

---

(١) الكافي: ج٦، ص١٤٤، كتاب الطلاق، باب عدّة المختلعة والمباراة و نفقتها و سكناهما، ح٢.

(٢) الكافي: ج٦، ص١٤٤، كتاب الطلاق، باب عدة المختلعة والمباراة و نفقتها و سكناهما، ح٣.

(٣) الكافي: ج٦، ص١٠٤، كتاب الطلاق، باب متعة المطلقة، ح١.

مَا فَرَضْتُمْ : أي فلهنّ نصف ما فرضتم لهنّ، أو فالواجب.

إِلَّآ أَن يَعْفُونَ : أي المطلّقات فلا يأخذنّ شيئاً.

أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ : في مجمع البيان: قيل: هوالولي، وهوالمروي عن أبي جعفر، و أبي عبدالله عليهما السّلام، وقيل: الزوج و رواه أصحابنا غير أنّ الأوّل أظهر و عليه المذهب انتهى(١).

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح» قال: هوالأخ والأب والرجل يوصى إليه والذي يجوز أمره في ماله يتيمه قلت له: أرأيت إن قالت: لا أُجيزما يصنع، قال: ليس لها ذلك، أتجيز بيعه في مالها ولا تجيز هذا(٢).

وعن إسحاق بن عمار، قال: سألت جعفربن محمّد عليهما السلام عن قول الله «إلّا أن يعفون» قال: المرأة تعفوعن نصف الصداق، قلت: «أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح» قال: أبوها إذا عفى جاز له، و أخوها إذا كان يقيم بها و هوالقائم عليها فهو بمنزلة الأب، يجوز له، و إذا كان الأخ لا يهتمّ ولا يقيم بها لم يجز عليها أمره(٣).

وعن رفاعة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الذي بيده عقدة النكاح» وهوالولي الذي أنكح يأخذ بعضاً و يدع بعضاً، وليس له أن يدع كلّه(٤).

وفي تهذيب الأحكام: روى ابن أبي عمير، عن غير واحد من أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: ومتى طلّقها قبل الدخول بها، فلأبيها أن يعفوعن بعض الصداق و يأخذ بعضاً، وليس له أن يدع كلّه، و ذلك قول الله عزّوجلّ «إلّا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح» يعني الأب، والذي توكّله المرأة في تولية

---

(١) مجمع البيان: ج١ ـ٢، ص٣٤١، في بيان معنى الآية ٢٣٧، من سورة البقرة.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٥، ح٤٠٨، وفيه (بقيمة) بدل (يتيمه).

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٦، ح٤١٠.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٥، ح٤٠٧.

أمرها من أخ و قرابة أو غيرهما(١) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي الكافي: وعدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمدبن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة جميعاً، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ «و إن طلقتموهنّ من قبل أن تمسوهنّ وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلّا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح» قال: هوالأب أوالأخ أوالرجل الذي يوصىٰ إليه، والذي يجوز أمره في مال المرأة فيبتاع لها فتجيز فإذا عفى فقد جاز(٢).

و ممّا يدلّ على أن المراد من الذي بيده عقدة النكاح، الزوج:

ما رواه في من لا يحضره الفقيه: عن الحسن بن محبوب، عن حماد الناب، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن رجل تزوّج إمرأة على بستان له معروف، وله غلّة كثيرة، ثم مكث سنين لم يدخل بها، ثم طلّقها، قال: ينظر إلى ما صار إليه من غلّة البستان من يوم تزوّجها فيعطها نصفه و يعطيها نصف البستان إلا أن تعفو فيقبل منه و يصطلحا على شيء ترضى به منه، فهو أقرب للتقوى(٣).

و يمكن حمل عبارة الآية على إرادة كلا المعنيين، فإنّ الزوج والولي كليهما بيدهما عقدة النكاح، للجمع بين الاخبار، فالمراد بعفوالزوج العفوعن استرداد النصف، و بعفو الولي، العفوعن بعض ما تستحقه المرأة من النصف.

وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ: أي عفوكم عن الاسترداد أقرب إلى التقوى.

وفي الكافي: محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن نجيّة العطّار قال: سافرت مع أبي جعفر (عليه السلام) إلى مكّة فأمر غلامه بشيء فخالفه إلى غيره، فقال أبوجعفر عليه السلام والله لأضربنك يا غلام، قال: فلم أره ضربه، فقلت: جعلت فداك ، إنّك حلفت لتضربنّ غلامك

---

(١) التهذيب: ج٦، ص٢١٥، باب ٨٦، الوكالات، قطعة من حديث٦.

(٢) الكافي: ج٦، ص١٠٦، كتاب الطلاق، باب ما للمطلقة التي لم يدخل بها من الصداق، ح٢.

(٣) الفقيه: ج٣، ص٢٧٢، باب ١٢٤، ماأحلّ الله عزّوجلّ من النكاح وما حرّم منه: ح٧٧.

فلم آرك ضربته؟ قال: أليس الله عزّوجلّ يقول: «وإن تعفوا أقرب للتقوى»(١).

وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ: أي لا تتركوا أن يتفضّل بعضكم على بعض.

إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ: لا يضيع تفضلّكم.

و في الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، و أحمدبن محمد، عن ابن فضال، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يأتي على الناس زمان عضوض، يعضّ كل إمرء على ما في يديه و ينسى الفضل، و قد قال الله عزّوجلّ «ولا تنسوا الفضل بينكم» ينبري في ذلك الزمان قوم يعاملون المضطرّ هم شرار الخلق(٢).

وفي نهج البلاغة: قال عليه السلام: يأتي على الناس زمان عضوض، يعضّ الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك، قال الله سبحانه «ولا تنسوا الفضل بينكم» تنهد فيه الأشرار و تستذلّ الأخيار، و يباع المضطرّون، وقد نهى رسول الله صلّى الله عليه وآله عن بيع المضطرّين(٣).

وفي عيون الأخبار: في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة، و بإسناده عن الحسين بن على عليهما السلام أنّه قال: خطبنا أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: سيأتي على الناس زمان عضوض، يعضّ المؤمن على ما في يده ولم يؤمن بذلك، قال الله تعالى: «ولا تنسوا الفضل بينكم إنّ الله بما تعملون بصير»(٤).

وفي تفسير العياشي: عن بعض بني عطيّة، عن أبي عبدالله عليه السلام في مال اليتيم يعمل به الرجل، قال: يقبله من الربح شيئاً، إنّ الله يقول: «ولا تنسوا الفضل بينكم»(٥).

الكافي: ج٧، ص٤٦٠، كتاب الايمان والنذور والكفارات، باب النوادر، ح٤.

(٢) الكافي: ج٥، ص٣١٠، كتاب المعيشة، باب النوادر، ح٢٨.

(٣) نهج البلاغة: ص ٥٥٧، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السّلام تحت رقم٤٦٨.

(٤) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص ٤٥، باب ٣١ فيما جاء عن الرضا عليه السّلام من الأخبار المجموعة، ح١٦٨.

(٥) تفسير العياشي: ج١، ص ١٢٦، ح٤١٣، وفيه (ينيله) بدل (يقبله).

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ : بالأداء لوقتها والمداومة عليها: ولعل الأمر بها في تضاعيف أحكام الأولاد والأزواج، لئلا يلهيهم الاشتغال بها عنها.

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبدالرحمن بن الحجاج، عن أبان بن تغلب قال: كنت صلّيت خلف أبي عبدالله عليه السلام بالمزدلفة فلمّا انصرف إلتفت إليّ، فقال: يا أبان الصلوات الخمس المفروضات من أقام حدودهنّ، وحافظ على مواقيتهن لقى الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخله به الجنّة، ومن لم يقم حدودهنّ ولم يحافظ على مواقيتهنّ لقى الله ولا عهد له إن شاء عذبه و إن شاء غفرله(١).

علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا يزال الشيطان ذعراً(٢) من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس، فاذا ضيّعهنّ تجرأ عليه فأدخله

---

(١) الكافي: ج٣، ص٢٦٧، كتاب الصلاة، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها، ح١.

(٢) ذُعر خاف فهو مذعور و ذعر ذعراً: دهش.

في العظائم(١).

جماعة، عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن حسين بن عثمان، عن سماعة، عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الصلاة إذا ارتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة، تقول: حفظتني حفظك الله. و إذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت وهي سوداء مظلمة تقول: ضيّعتني ضيّعك الله(٢).

وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ: أي الوسطى بينها، وهي صلاة الظهر كما في بعض الأخبار(٣).

أو العصر كما في بعض آخر(٤).

أو أمير المؤمنين عليه السلام، كما في بعض آخر(٥).

ويمكن الحمل على الكلّ جمعاً بين الأخبار. وقرئ بالنصب على الاختصاص.

في الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّادبن عيسى، ومحمدبن يحيى، عن أحمدبن محمدبن عيسى، ومحمدبن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل يقول فيه عليه السلام: وقال تعالى: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» وهي صلاة الظهر، وهي اوّل صلاة صلّاها رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهي وسط النهار، ووسط صلاتين بالنهار، صلاة الغداة وصلاة العصر وفي بعض القراءة حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، صلاة العصر، و قوموا لله قانتين قال: و نزلت هذه الآية يوم الجمعة و رسول الله صلّى الله عليه وآله في سفره، فقنت فيها

(١) الكافي: ج٣، ص٢٦٩، كتاب الصلاة، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها، ح٨.

(٢) الكافي: ج٣، ص٢٦٨، كتاب الصلاة، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها، قطعة من حديث٤.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٧، ح٤١٥، ٤١٧، ٤١٩.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٧٩.

(٥) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٨، ح٤٢١.

رسول الله صلّى الله عليه وآله و تركها على حالها في السفر والحضر و أضاف للمقيم ركعتين، و إنّما وضعت الركعتان اللتان أضافهما النبي صلّى الله عليه وآله يوم الجمعة للمقيم لمكان الخطبتين مع الامام، فمن صلّى يوم الجمعة في غير جماعة فليصلّها أربع ركعات كصلاة الظهر في ساير الأيام(١).

وفي تهذيب الأحكام: أحمدبن محمّدبن عيسى، عن حمّاد، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن النضربن سويد،عن ابن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قرأ: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، صلاة العصر، وقوموا لله قانتين، وقوله: «و قوموا لله قانتين» قال: إقبال الرجل على صلا ته ومحافظته حتّى لا يلهيه، ولا يشغله عنها شيء(٣).

وفي تفسير العيّاشي: عن محمّدبن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: الصلاة الوسطى، فقال: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، وصلاة العصر، و قوموا لله قانتين والوسطى هي الظهر، وكذلك كان يقرؤها رسول الله صلّى الله عليه وآله(٤).

عن زرارة، و محمدبن مسلم أنّهما سألا أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» قال: صلاة الظهر(٥).

عن محمدبن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الصلاة الوسطى، هي الوسطى من صلاة النهار، وهي الظهر، و إنّما يحافظ أصحابنا على الزوال من

---

(١) الكافي: ج٣، ص٢٧١، كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة، قطعة من حديث١.

(٢) التهذيب: ج٢، ص٢٤١، أبواب الزيادات، باب ١٢، فضل الصلاة والمفروض منها والمسنون، قطعة من حديث٢٣.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٧٩.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٧، ح٤١٥.

(٥) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٧، ح٤١٧، و تمام الحديث: «وفيها فرض الله الجمعة، وفيها الساعة التي لا يوافقها عبد مسلم فيسأل خيراً إلا أعطاه الله إيّاه».

أجلها(١).

وفي كتاب علل الشرايع: بإسناده إلى الحسن بن عبدالله، عن آبائه، عن جدّه الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام،عن النبي صلّى الله عليه وآله في حديث طويل يقول فيه صلّى الله عليه وآله وقد سأله بعض اليهود عن مسائل: و أمّا صلاة العصر فهي الساعة التي أكل آدم فيها من الشجرة، فأخرجه الله من الجنّة، فأمر الله عزّوجلّ ذريّته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة واختارهالأمتي،فهي من أحب الصلوات إلى الله عزّوجلّ، و أوصاني أن احفظها من بين الصلوات(٢).

و باسناده عن عبدالله بن علي الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: الموتور أهله و ماله من ضيّع صلاة العصر، قلت: ما الموتور أهله وماله؟ قال: لا يكون له في الجنّة أهل ولا مال، يضيّعها فيدعها متعمداً حتى تصفّر الشمس و تغيب(٣).

وعن عبدالرحمن بن كثير،عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين» قال: الصلوات رسول الله و أميرالمؤمنين و فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، والوسطى أميرالمؤمنين، وقوموا لله قانتين، طائعين للأئمّة(٤).

وَقُومُواْ لِلَّهِ : أي في الصلاة.

قَـٰنِتِينَ:أي ذاكرين داعين في القيام، روي عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام، أنّ القنوت هوالدعاء(٥).

وقد سبق أيضاً أنّ المراد به طائعين للأئمّة.

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٨، ح٤١٩.

(٢) علل الشرايع: ج٢، ص٢٦، باب ٣٦، العلة التي من أجلها فرض الله عزّوجلّ على الناس خمس صلوات في خمس مواقيت، قطعة من حديث١.

(٣) الوسائل: ج٥، ص١١٢، كتاب الصلاة، الباب ٩، من أبواب المواقيت، ح١٠.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٨، ح٤٢١.

(٥) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٨، ح٤٢٠.

فَإِنْ خِفْتُمْ : من عدو أو غيره.

فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا: فصلّوا رجالاً أو ركبانا، رجال: جمع راجل، كقيام و قائم، و ركبان: جمع راكب، كشاب و شبان.

وفي الكافي: أحمد بن محمّد، عن علي بن الحكم، عن أبان، عن عبدالرحمن بن أبي عبدالله قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: «فان خفتم فرجالاً أو ركبانا» كيف يصلي؟ وما يقول: إذا خاف من سبع أولصّ كيف يصلّي؟ قال: يكبّر و يومي إيماء برأسه(١).

وفي تفسير العياشي: عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: صلاة المواقفة، فقال: إذا لم يكن الضعف من عدوك صلّيت إيماءً راجلاً كنت أو راكباً، فإنّ الله يقول «فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً» تقول في الركوع: لك ركعت و أنت ربي، وفي السجود: لك سجدت و أنت ربي، أينما توجّهت بك دابّتك، غير أنّك تتوجه حين تكبّر أوّل تكبيرة(٢).

وعن أبان بن منصور، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: فات أميرالمؤمنين عليه السلام والناس يوم صفين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فأمرهم أميرالمؤمنين عليه السلام: أن يسبّحوا و يكبّروا و يهلّلوا، قال: و قال الله «فان خفتم فرجالاً أو ركباناً» فأمرهم علي عليه السلام فصنعوا ذلك ركباناً و رجالاً(٣).

وفي مجمع البيان: و يروى أنّ علياً عليه السلام صلّى ليلة الهرير خمس صلوات بالإيماء، و فعل بالتكبير، و أنّ النبي صلّى الله عليه وآله صلّى يوم الأحزاب بإيماء(٤).

وفي من لا يحضره الفقيه: روى عبدالرحمن بن أبي عبدالله، عن الصادق

---

(١) الكافي: ج٣، ص٤٥٧، كتاب الصلاة، باب صلاة الخوف، ح٦.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٨، ح٤٢٢.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٨، ح٤٢٣.

(٤) مجمع البيان: ج١-٢، ص٣٤٤، في بيان المعنى لاية ٢١٣، من سورة البقرة.

عليه السلام في صلاة الزحف، قال: تكبير و تهليل، يقول الله عزّوجلّ «فان خفتم فرجالاً أو ركباناً»(١).

و روي عن أبي بصير أنّه قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن كنت في أرض مخوفة فخشيت لصاً أو سبعاً في الفريضة، فصلّ و أنت على دابتك (٢).

وفي رواية زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: الذي يخاف اللصوص يصلّي إيماء على دابّته(٣).

فَإِذَآ أَمِنتُمْ: من الخوف.

فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ: صلاة الأمن. أو اشكروه على الأمن.

كَمَا عَلَّمَكُم: ذكراً مثل ما علمكم، و«ما» مصدريّة أوموصولة، أوموصوفة.

مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ: مفعول «علّمكم».

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم: التقدير على قراءة النصب، ليوصوا وصيّة، أو كتب الله عليهم وصيّة، أو الزموا وصيّة. وعلى قراءة الرفع وصية الذين، أو حكمهم، أو هم أهل وصيّة، أو كتب عليهم وصيّة، أو عليهم وصيّة. و قرء متاع بدلها.

مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ: نصب بـ«ليوصوا» إن أضمرت، و إلّا فبالوصيّة، أو بمتاع على قراءة من قرأه لأنّه بمعنى التمتيع.

غَيْرَ إِخْرَاجٍ: بدل منه، أو مصدر مؤكد، كقولك هذا القول غير ما تقول، أو حال من «أزواجهم» أي غير مخرجات.

والمعنى أنّه يجب على الذين يتوفّون أن يوصوا قبل أن يحتضروا لأزواجهم بأن يتمتّعن بعدهم حولاً بالسكنى. و ذلك أوّل الإسلام فنسخت المدّة بقوله: «أربعة أشهر و عشراً» لأنّه متأخر عنه بالنزول.

---

(١) الفقيه: ج١، ص٢٩٥، باب ٦٣ صلاة الخوف و المطاردة و المواقفة و المسايفة ح٨.

(٢) الفقيه: ج١، ص٢٩٥، باب ٦٣ صلاة الخوف و المطاردة و المواقفة و المسايفة ح٩.

(٣) الفقيه: ج١، ص٢٩٥، باب٦٣ صلاة الخوف والمطاردة والمواقفة والمسايفة ح١٠.

وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

و في تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي جعفر قال: سألته عن قوله: «متاعاً إلى الحول غير إخراج»؟ قال: منسوخة نسختها آية «يتربصنّ بأنفسهنّ أربعة أشهر وعشراً» ونسختها آيات الميراث(١).

عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار قال: سألته عن قول الله «والّذين يتوفون منكم و يذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً الى الحول غير إخراج» قال: منسوخة، وذكر كما سبق سواء(٢/٣).

فَإِنْ خَرَجْنَ: عن منزل الأزواج.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ: ممّا لم ينكره الشرع غير الخروج، و أمّا فيه فعليكم الجناح في ترك كفّهن.

وَٱللَّهُ عَزِيزٌ: غالب على الإنتقام ممّن خالفه.

حَكِيمٌ: بمصالحهم.

وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ: سواء المفوّضة وغيرها، سوى المختلعة كما مرّ، إلّا أن للمفوضة على

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٩، ح٤٢٦، والحديث عن ابن أبي عمير، عن معاوية، وفيه (قال: سألته عن قول الله: «والّذين يتوفّون منكم و يذرون أزواجاً وصيّة لأزواجهم» الى آخر الحديث).

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٢٩، ح٤٢٧، والحديث عن أبي بصير ولفظه هكذا (قال: سألته عن قول الله: «والذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج» قال: هي منسوخة، قلت: وكيف كانت؟ قال: كان الرجل إذا مات أنفق على امرأته من صلب المال حولاً ثم أُخرجت بلا ميراث ثم نسختها آية الربع والثمن فالمرأة ينفق عليها من نصيبها).

(٣) هذا واعلم أنّ ما عزاه المصنف إلى ابي بصير، هو عن معاوية بن عمار و ما عزاه الى معاوية بن عمار، هو عن إبي بصير مضافاً الى ان مضمونها ايضاً مختلفة.

سبيل الوجوب و لغيرها على الإستحباب.

مَتَٰعُۢ: متعة.

بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ: بما يعرفه الشرع.

حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ: الكاملين الذين يتقون في ترك الواجبات والمندوبات، وقال قوم: المراد بالمتاع نفقة العدّة.

و في الكافي: أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي، عن عبدالكريم، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّوجلّ «وللمطلقات متاع بالمعروف حقّا على المتقين» قال: متاعها بعد ما تنقضي عدّتها على الموسع قدره وعلى المقتر قدره، وكيف يمنعها وهي في عدّتها، ترجوه ويرجوها، ويحدث الله عزّوجلّ بينهما ما يشاء، وقال: إذا كان الرجل موسّعاً عليه متع امرأته بالعبد والأمة والمقتر بالحنطة والزبيب والثوب والدراهم، وأن الحسن بن علي عليهما السّلام متّع إمرأة له بأمة، ولم يطلّق إمرأة إلا متّعها(١).

حميدبن زياد، عن ابن سماعة، عن محمد بن زياد، عن عبدالله بن سنان، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّادبن عيسى، عن سماعة جميعاً،عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: في قول الله عزّوجلّ «و للمطلقات متاع بالمعروف حقّاً، على المتقين» قال: متاعها بعد ما تنقضي عدّتها على الموسع قدره وعلى المقتر قدره، قال: فكيف يمتعها في عدتها و هي ترجوه و يرجوها، و يحدث الله ما يشاء. أما أنّ الرجل الموسر يمتع المرأة بالعبد والأُمّة، و يمتع الفقير بالحنطة والزبيب والثوب والدراهم، و أنّ الحسن بن علي عليهما السلام متع إمرأة طلقها بأمة ولم يكن يطلّق إمرأة إلاّ متّعها(٢).

حميدبن زياد، عن ابن سماعة، عن محمدبن زياد، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله، إلاّ أنّه قال: كان الحسن بن علي عليهما السلام يمتّع

(١) الكافي: ج٦، ص١٠٥، كتاب الطلاق، باب متعة المطلّقة، ح٣، وفيه (وكيف لا يمتّعها)

(٢) الكافي: ج٦، ص١٠٥، كتاب الطلاق، باب متعة المطلقة، ح٤.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٢٤٣
وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٤٤﴾

نسائة بالأمة(١).

عدّة من أصحابنا،عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نصر، عن عبدالكريم، عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول الله عزّوجلّ «و للمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين» ما أدنى ذلك المتاع؟ إذا كان معسراً لا يجد؟ قال: خمار وشبهه(٢).

كَذَٰلِكَ: اشارة إلى ما سبق من أحكام الطلاق والعدد.

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ: وعد بأنه سيبيّن لعباده ما يحتاجون إليه في المعاش والمعاد.

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ: أي تستعملون العقل في فهمها.

أَلَمْ تَرَ: تعجيب وتقرير لمن سمع بقصّتهم من أهل الكتاب و أرباب التواريخ. وقد يخاطب به من لم يرولم يسمع، فإنّه صار مثلاً في التعجب.

إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ: قيل: يريد أهل داوردان (٣)، قرية قبل

(١و٢) الكافي: ج٦، ص١٠٥، كتاب الطلاق، باب متعة المطلقة، ح٤وح٥.

(٣) بفتح الواو و سكون الراء و آخره نون: من نواحي شرقي واسط بينها فرسخ، قال ابن عباس في قوله عزّوجلّ: «الم تر الى الذين خرجوا...» قال: كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها الى آخره. (معجم البلدان: ج٢، ص٤٣٤، باب الدال والألف).

واسط، و سجيء في الحديث أنّ هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام.

وَهُمْ أُلُوفٌ: أي الوف كثيرة، أعني سبعين ألف بيت.

وقيل: متألفون، جمع الف و الف، كقاعد و قعود، والأوّل هوالصحيح، والواو للحال حَذَرَ الْمَوْتِ: مفعول له.

فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا : قال لهم: موتوا، فماتوا، كقوله: كن فيكون،والمعنى أنهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بمشيئة الله وأمره

ثُمَّ أَحْيَاهُمْ: حين مرّعليهم حزقيل.

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ: حيث أحياهُمْ لِلإعتبار و الفوز بالسعادات

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ :لايشكرونه كماينبغي، أولا يعتبرون

و في عيون الأخبار: في مجلس الرضا عليه السّلام مع آهل الأديان و المقالات في التوحيد، في كلام للرضا عليه السلام مع النصارى، قال عليه السلام: فمتى اتخذتم عيسى ربّاً لجاز لكم أن تتخذوا اليسع و حزقيل(١) ربّاً لانّهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم عليهما السلام من إحياء الموتى و غيره. إنّ قوماً من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون، وهم أُلوف حذر الموت، فأماتهم الله في ساعة واحدة، فعَمِد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة، و لم يزالوا فيهاحتى نخرت عظامهم و صاروا رميماً فمرّ بهم نبيّ من أنبياء بنى إسرائيل، فتعجّب منهم و من كثرة العظام البالية، فأوحى الله اليه أتحبّ أن أحييهم لك، فتُنذرهم؟ قال: نعم يارِبّ، فأوحى الله إليه أن نادِهم، فقال: أيتها العظام البالية قومي بإذن الله تعالى، فقاموا أحياء أجمعون، ينفضون التراب عن رؤوسهم (٢).

وفي هذا المجلس يقول الرضا عليه السلام: وقد صنع حزقيل النبي عليه السلام

---

(١) حزقيل: هو اسم سرياني أوعبراني مضاد عبدالله أو هبة الله. تاج العروس: ج٧، ص٢٧٨ فصل الحاء من باب اللام. حزقيل نبيّ من أنبياء الله من بني اسرائيل مجمع البحرين: ج٥، ص٣٤٩ لغة حزقل

(٢) عيون اخبار الرضا، ج١، ص١٦٠، باب (١٢) ذكر مجلس الرضا عليه السّلام مع أهل الاديان واصحاب المقالات في التوحيد.

مثل ما صنع عيسى بن مريم، فأحيا خمسة و ثلا ثين ألف رجل بعد موتهم بستين سنة
ثم التفت الى رأس الجالوت، فقال له: يا رأس الجالوت، أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة، اختارهم بخت نصّر من بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس، ثم انصرف بهم إلى بابل(١) فأرسله الله عزّوجلّ إليهم فأحيا هم، هذا في التوراة لا يدفعه إلّا كافر منكم(٢)

وفي روضة الكافي: عدّة مِن أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عمر بن يزيد و غيره، عن بعضهم عن أبي عبدالله عليه السلام و بعضهم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «الم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذرالموت فقال لهم الله موتوا ثم أحيا هم» فقال: اِنّ هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام، وكانوا سبعين الف بيت و كان الطاعون يقع فيهم في كل أوان، فكانوا إذا أحسّوا به خرج من المدينة الأغنياء لقوّتهم، و بقي فيها الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الذين أقاموا، و يقلّ في الذين خرجوا، فيقول الذين خرجوا: لوكنّا أقمنا لكثر فينا الموت و يقول الذين أقاموا لوكنّا خرجنالقلّ فينا الموت، قال: فاجتمع رأيهم جميعاً أنّه إذا وقع الطاعون فيهم و أحسوا به خرجوا كلّهم من المدينة، فلمّا أحسّوا بالطاعون خرجوا جميعاً و تنحوّا عن الطاعون حذر الموت فساروا في البلاد ما شاء الله، ثم انّهم مرّوا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها، و أفناهم الطاعون، فلمّا حطّوا رحالهم فاطمأنوا بها، قال لهم الله موتوا جميعاً، فماتوا من ساعتهم وصاروا رميماً يلوح، وكانواعلى طريق المارة فكنستهم المارة فنحوّهم و جمعوهم في موضع، فمرّبهم نبي من أنبياء بني اسرائيل يقال له: حزقيل، فلما رأى تلك العظام بكى و استعبر و

(١) بابل بكسر الباء اسم ناحية منها الكوفة و الحلة، وقال المفسرون في قوله تعالى: (و ما انزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت) قيل: بابل العراق، و قيل: بابل دنباوند، و قال ابوالحسن: بابل الكوفة، ويقال: أول من سكنها نوح عليه السلام، و هو اول من عمرها و كان قدنزلها بعقب الطوفان فسار هو و من خرج معه من السفينة اليها لطلب الدفء (معجم البلدان باب الباء و الالف في لغة بابل).

(٢) عيون اخبار الرضا: ج١، ص١٥٩ باب (١٢) ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع اهل الاديان و اصحاب المقالات في التوحيد).

قال: يارب لوشئت لأحييتهم الساعة كما أمتّهم فعمّروا بلادك و ولدوا عبادك و عبدوك مع من يعبدك من خلقك، فا وحى الله أفتحبّ ذلك؟ قال: نعم يارب، فأحيا هم الله، قال: فأوحى الله إليه أنِ قل: كذا و كذا، فقال الذي أمرالله عزّوجل أن يقوله: فقال أبوعبدالله عليه السلام: و هو الاسم الأعظم، فلمّا قال حزقيل ذلك الكلام: نظر الى العظام يطير بعضها إلى بعض. فعادوا أحياءً ينظر بعضهم الى بعض يسبّحون الله عزّ ذكره و يكبّر و نه ويهلّلونه، فقال حزقيل عند ذلك: أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير قال عمربن يزيد: قال أبوعبدالله عليه السلام: فيهم نزلت هذه الآية(١)

وفى مجمع البيان: وسأل زرارة بن أعين أبا جعفر عليه السلام عن هؤلاءِ القوم الذين قال لهم الله موتوا ثم أحياهم فقال: أحياهم حتّى نظرالناس إليهم ثم أماتهم أم ردّهم إلى الدنيا حتّى سكنوا الدّور وأكلوا الطعام؟ قال: لا، بل ردّهم الله حتّى سكنوا الدور وأكلوا الطعام ونكحوا النساء ومكثوا بذلك ماشاء الله ثم ماتوا بآجالهم(٢)

وفي عوالي اللئالي عن الصادق عليه السلام حديث طويل يذكر فيه النيروز الفرس، و فيه: ثم أنّ نبيّاً من أنبياء بني إسرائيل سأل ربه أن يحيي القوم الّذين خرجوا من ديارهم و هم الوف حذرالموت، فأماتهم الله، فأوحى إليه أن صَبِّ الماءَ في مضاجعهم فصبّ عليهم الماء في هذا اليوم، فعاشوا و هم ثلا ثون ألفاً، فصار صبّ الماء في اليوم النوروز سنّةً ماضيّة لايعرف سببها اِلاّ الراسخون في العلم(٣)

وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ: لمابيّن ان الفرار من الموث غير منج، أمرهم بالقتال، إذ لوجاء أجلهم ففى سبيل الله و إلاّفالنصر والثواب

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ: لما يقول المتخلّف والسابق

عَلِيمٌ: بما يضمرانه ومجازعليها.

---

(١) الكافي: ج٨، ص١٧٠، قصة الذين خرجوا من ديارهم حذرالموا، ح٢٣٧.

(٢) مجمع البيان، ج١-٢، ص٣٤٧، في نقل القصة لآية (٢٤٣) من سورة البقرة

(٣) عوالي اللآلي: ج٣، ص٤١، باب الطهارة، ح١١٦.

مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٤٥

مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ: «من» استفهامية، مرفوعة المحل بالابتداء، و «ذا» خبر، و «الذي» صفة «ذا» أو بدله. و إقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه

قَرْضًا حَسَنًا: مقروناً بالإخلاص و طيب النفس، أومقرضاً حلالاً طيّباً. وقيل: القرض الحسن: المجاهدة و الإنفاق في سبيل الله.

وفي الخبر أنّه صلة الإمام(١)

فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ: فيضاعف جزاءه له،أخرجه على صورة المغالبة، للمبالغة و قرأ عاصم: بالنصب على جواب الإستفهام حملاً على المعنى، فانّ «من ذا الذي يقرض الله» في معنى أيقرض الله أحد(٢)

و قرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد (٣)،و ابن عامر و يعقوب بالنصب (٤)

أَضْعَافًا كَثِيرَةً: وأضعاف جمع ضعف، ونصبه على الحال من الضمير المنصوب، أوالمفعول الثاني، لتضمّن المضاعفة معنى التصدير، أوالمصدر على أنّ الضعف اسم المصدر و جمعه للتنويع، والكثيرة من الله لايقدّرها الاّ الله.

في كتاب معاني الأخبار: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عثمان بن عيسى، عن أيّوب الخزّاز قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: لمّا أُنزلت هذه الآية على النبي

---

(١) ثواب الاعمال: ص٩٩.

(٢)و(٣)و(٤) أنوارالتنزيل و أسرار التاويل: ج١، ص١٢٨.

صلّى الله عليه وآله «من جاء بالحسنة فله خير منها» قال رسول الله صلّى الله عليه واله: اللّهم زدني، فأنزل الله عزّوجلّ «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: اللهم زدني، فأنزل الله عزّوجلّ «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة» فعلم رسول الله صلّى الله عليه و آله: إنّ الكثير من الله لا يحصى وليس له منتهى(١).

وفي اصول الكافي: عدّة من أصحابنا،عن احمد بن محمد،عن الوشا، عن عيسى بن سليمان النّحاس، عن المفضل بن عمر، عن الخيبرى و يونس بن ظبيان قالا: سمعنا أباعبدالله عليه السلام يقول: ما من شيء أحبّ إلى الله من إخراج الدراهم إلى الامام و إنّ الله ليجعل له الدرهم في الجنّة مثل جبل أُحد، ثم قال: إنّ الله يقول في كتابه «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة» قال: هو والله في صلة الإمام خاصة(٢)

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد و محمد بن يحيى، عن أحمدبن محمدجميعاً، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب،عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: فهل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل و الأحكام والحدود و غير ذلك ؟ فقال: لا، هما يجريان في ذلك مجرى واحد، و لكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالها و ما يتقربان به إلى الله عزّوجلّ، قلت: أليس الله عزّوجلّ يقول «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» و زعمت أنّهم يجتمعون على الصلاة و الزكاة والصوم و الحج مع المؤمن، قال: أليس قد قال الله عزّوجلّ «يضاعفه له أضعافاً كثيرة» فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عزّوجل لهم حسناتهم لكلّ حسنة سبعين ضعفاً، فهذا فضل المؤمن، ويزيده الله في حسناته على قدر صحّة إيمانه أضعافاً كثيرةً و يفعل الله بالمؤمنين مايشاء من الخير، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(٣).

---

(١) معاني الأخبار: ص٣٩٧، باب نوادر المعاني، ح٥٤.

(٢) الكافي: ج١، ص٥٣٧، كتاب الحجة، باب صلة الإمام، ح٢.

(٣) الكافي: ج٢، ص٢٦، كتاب الايمان و الكفر، باب أن الإيمان يشرك الاسلام و الاسلام لا ←

والمسلم و المؤمن كلاهما من أهل الولاية، لكن المؤمن أعلى مرتبة، وهومن دخل الإيمان في قلبه بالبرهان واعتقاده أكمل و إخلاصه أوفر.

و في كتاب ثواب الأعمال: أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا أحمد بن إدريس عن حمران بن موسى، عن يعقوب بن يزيد،عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن حمّاد بن عثمان، عن إسحاق بن عمّار، قال: قلت للصادق عليه السلام: ما معنى قول الله تبارك و تعالى «مَنْ ذَا الّذي يُقْرِضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرةً»؟ قال: صلة الإمام(١)

أبي رحمه الله قال: حدّثنا محمد بن أحمد بن علي بن الفضل، عن أبي طالب عبدالله بن الصلت، عن يونس بن عبدالرحمن، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله(٢)

وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ :أي يقتر على بعض و يوسّع على بعض حسب ما اقتضته حكمته.

و قرئ (يبسط) بالصاد.

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ : فيجازيكم على ما قدّمتم.

في كتاب التوحيد: باسناده إلى سليمان بن مهران، عن أبي عبدالله عليه السلام، في حديث طويل يقول عليه السلام: و القبض من الله تعالى في موضع آخر المنع، والبسط منه الإعطاء و التوسّع كما قال عزّوجلّ «والله يقبض و يبسط و إليه ترجعون» يعنى، يعطي و يوسّع و يمنع و يقبض(٣)

ooo

يشرك الايمان، قطعه من حديث

(١)ثواب الأي: ص٩٩

(٢) ثواب الاعمال: ص ٩٩

(٣) كتاب التوحيد: ص ١٦١ ،باب ١٧ تفسير قوله عزّوجلّ «و الارض جميعاً قبضته يوم القيامة» قطعه من حديث ٢ .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ: «الملأ» جماعة يجتمعون للتشاور، لا واحد له كالقوم، و «من» للتبعيض.

مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ: أي من بعد وفاته، و «من» للابتداء

إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ: قيل: هو يوشع، و قيل: شمعون

و في مجمع البيان: اختلف فيه، فقيل: اشمويل، وهو بالعربيّة إسماعيل، من أكثر المفسرين، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام (١)

ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ: أقم لنا أميراً لننهض معه للقتال، و «نقاتل» مجزوم على الجواب و قرئ بالرفع على أنّه حال أي مقدّرين القتال، و يقاتل بالياء مجزوماً على الجواب، و مرفوعاً على الوصف ل (ملكاً).

قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟: و قرأ نافع «عسيتم» بالكسر (٢)، و «ألا تقاتلوا» خبر «عسى» فصل بينه و بين خبره بالشرط، و

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٥٠ في بيان المعنى لآية (٢٤٦) من سورة البقرة.

(٢) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٢٩، في تفسيره لقوله تعالى: (ومالنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا الآية).

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ
قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ
يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

إدخال «هل» على الفعل المتوقّع، للتقرير و التثبيت

قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ

أي: أيّ غرض لنا في التخلّف عن القتال و قد عرض مايوجبه من الاخراج عن الأوطان، و الإفراد عن الأولاد.

و ذلك أن جالوت و من معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحرالروم بين مصر و فلسطين فظهروا على بني إسرائيل فأخذوا ديارهم و سبوا أولادهم، قيل: و أسَروا من أبناء الملوك أربعمائة و أربعين(١)

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ

في كتاب معاني الأخبار: أبي رحمه الله قال: حدّثنا سعد بن عبدالله،عن أحمد بن محمد بن عيسى،عن علي بن النعمان عن هارون بن خارجة،عن أبي بصير،عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّوجلّ «فلمّا كتب عليهم القتال تولّوا إلاّ قليلاً منهم» قال: كان القليل ستّين ألفاً(٢)

وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ: وعيد لهم بترك الجهاد.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ: «طالوت»

(١) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٢٩.
(٢) معاني الاخبار: ص١٥١ باب معنى القليل ح١

عَلَمٌ عِبْرِيٌّ كداود. و جعله فَعْلُوتاً من الطول، يدفعه منع صرفه.

نقل أنّ نبيّهم عليه السلام لما دعى الله أن يملكهم أتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلّا طالوت

قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا: وكانت النبوّة في ولد لاوي بن يعقوب، والملك في ولد يوسف، وكان طالوت من ولد بنيامين أخي يوسف لأمّه لم يكن من بيت النبوّة و لا من بيت المملكة.

وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ: وراثة.

وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةً مِّنَ ٱلۡمَالِۚ: لأنّ طالوت كان فقيراً، فنحن أحقّ بالملك منه

قَالَ: النبي عليه السلام:

إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ: ردّ لإستبعادهم من وجوه أربعة:

الأوّل: أنّ المعتبر إصطفاء الله و قد اصطفاه عليكم.

الثاني: أنّ الشرط فيه و فور العلم ليتمكّن من السياسة، و جسامة البدن ليكون له خطر في القلوب و قوّة على مقاومة العدوّ، و قد زاده الله فيهما.

الثالث: أنّ الله مالك الملك يؤتي ملكه من يشاء.

الرابع: أنّه واسع الفضل، فيغني الفقير، عليم بمن يليق بالملك.

و في كتاب الإحتجاج للطبرسي: من كلام لأميرالمؤمنين عليه السلام: إسمعوا ماأتلو عليكم من كتاب الله المنزل على نبيّه المرسل، لتتّعظوا، فإنّه و الله أبلغ عظة لكم، فانتفعوا بمواعظ الله، و انزجروا عن معاصي الله، فقد وعظكم الله بغيركم، فقال لنبيّه عليه السلام: «ألم تر إلى الملأ» إلى قوله «والله سميع عليم» أيها الناس إنّ لكم في هذه الآيات عبرة، لتعلموا أنّ الله جعل الخلافة و الإمرة من بعد الأنبياء في أعقابهم، و أنّه فضّل طالوت و قدّمه على الجماعة باصطفائه إيّاه، و زاده بسطة في العلم و الجسم، فهل تجدون الله اصطفى بني أُميّة على بني هاشم و زاد

معاوية عليّ بسطة في العلم و الجسم(١)

و في أمالي شيخ الطائفة قدّس سرّه بإسناده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قلت: أربع أنزل الله تعالى تصديقي بها في كتابه، إلى قوله عليه السلام: و قلت قدراً وقال: قيمة كلّ امرء ما يحسن، فأنزل الله تعالى في قصّة طالوت انالله اصطفاه عليكم و زاده بسطة في العلم والجسم(٢).

و في عيون الأخبار في باب ماجاء عن الرضا عليه السلام في وصف الإمامة و الإمام: إنّ الأنبياء و الأئمة يوفقهم الله و يؤتيهم من مخزون علمه و حكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق كل علم أهل زمانهم في قوله عزّوجلّ: «أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمّنْ لا يَهِدّي إلاّ أنْ يُهْدى فالكم كيف تحكمون» وقوله عزّوجّل في طالوت «إن الله اصطفاه عليكم و زاده بسطةً في العلم و الجسم و الله يؤتي ملكه من يشاء و الله واسع عليم»(٣)

و في تفسير علي بن ابراهيم: حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي وَ غَيّروا دين الله و عتوا عن أمر ربهم، و كان فيهم نبيّ يأمرهم و ينهاهم فلم يطيعوه(٤)

و روي أنّه أرميا النبي، فسلّط الله عليهم جالوت، و هو من القبط فَأذلّهم و قتل رجالهم و أخرجهم من ديارهم و أموالهم واستعبد نساءهم،فَفَزِعُوا إلى نبيّهم و قالوا: سل الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، وكانت النبّوة في بني اسرائيل في بيت، و المُلْك و السلطان في بيت آخر، لم يجمع الله لهم النبوّة و المُلك في بيت

(١) احتجاج الطبرسي، ص١٧٣ احتجاجه على قومه في الحثّ على المسير الى الشام لقتال معاوية.

(٢) الأمالي: لشيخ الطائفة، ج٢، ص١٠٨.

(٣) عيون أخبار الرضا: ص٢٢١، باب٢٠ ماجاء عن الرضا عليه السلام في وصف الإمامة و الإمام ... ح١.

(٤) تفسير علي بن ابراهيم: ج١، ص٨١، قصة طالوت وجالوت.

واحد، فمن ذلك قالوا «ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله» فقال نبيّهم: «هَلْ عسيتم أن كتب عليكم القتال ألّا تقاتلوا قالوا و ما لنا ألّا نقاتل في سبيل الله و قد أُخرجنا من ديارنا و أبنائنا» و كان كما قال الله تبارك و تعالى: «فلما كتب عليهم القتال تولّوا إلّا قليلاً منهم و الله عليم بالظالمين» فقال لهم نبيّهم: «إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً» فغضبوا من ذلك «و قالوا أنّى يكون له الملك علينا و نحن أحقّ بالملك منه و لم يؤت سَعَةً من المال» و كانت النبوّة في ولد لاوي والملك في ولد يوسف، وكان طالوت من ولد بنيامين أخو يوسف لأُمه لم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة، فقال لهم نبيّهم: «إنّ الله اصطفاه عليكم و زاده بسطة في العلم و الجسم و الله يؤتي ملكه من يشاء و الله واسع عليم» و كان أعظمهم جسماً و كان شجاعاً قوياً و كان أعلمهم، إلّا انّه كان فقيراً فعابوه بالفقر فقالوا لم يؤت سعة من المال، فقال لهم نبيّهم «إنّ آية ملكه أنْ يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربّكم و بقيّة مماترك آل موسى و آل هارون تحمله الملائكة» و كان التابوت الذي أنزل الله على موسى فوضعته فيه أُمه فألقته في اليمّ، فكان في بني إسرائيل معظّماً يتبرّكون به، فلمّا حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح و دِرْعَه و ما كان عنده آيات النبوّة و أودعه يوشعَ وصيّه، فلم يزل التابوت بينهم حتّى استخفّوا به و كان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عزّ و شرف مادام التابوت عندهم، فلمّا عملوا بالمعاصي و استخفّوا بالتابوت رفعه الله عنهم، فلمّا سألوا النبيّ بعث الله طالوت إليهم ملكاً يقاتل معهم ردّ الله عليهم التّابوت كما قال الله «إنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربّكم و بقية ممّا ترك آل موسى و آل هارون تحمله الملائكة» قال: البقيّة، ذريّة الأنبياء، قوله: «فيه سكينة من ربّكم» فإنّ التابوت كان يوضع بين يدي العدوّ و بين المسلمين، فيخرج منه ريح طيّبة لها وجه كوجه الإنسان(١)

و ما في هذا الخبر من أنّ ذلك النبي كان إرميا، ينافي ما نقل في مجمع البيان

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٨١ قصة طالوت و جالوت

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

عن أبي جعفر عليه السلام أنه اشموئيل(١)

و يمكن الجمع بينهما بأنّهما واحد و الاختلاف من النقلة. أومن اختلاف التسمية بأن عَبّر عنه بإسمين عند أهل زمانه. و قوله في آخر الخبر «البقية ذرّية الأنبياء» معناه أنّ البقيّة ممّاتركه ذرّية الانبياء، كما يشرح في خبر آخر سيجئ.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ: الصندوق فعلوُت، مِنَ التّوْبِ، فإنّه لايزال يرجع إليه ما يخرج منه

و في تفسير العياشي عن العباس بن هلال، قال: سأل علي بن أسباط الرضا عليه السّلام فقال: أي شيء التابوت الّذي كان في بني إسرائيل؟ قال: كان فيه ألواح موسى التي تكسّرت، و الطشت التى يغسل فيها قلوب الأنبياء(٢)

و في كتاب معاني الأخبار: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن ابراهيم بن هاشم، عن اسماعيل بن مرار، عن يونس بن عبدالرحمن، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته ما كان تابوت موسى؟ و كم كان سعته؟ قال: ثلاثة أذرع في ذراعين، قلت: ما كان فيه؟ قال: عصا موسى و السّكينة، قلت: و ما السّكينة؟ قال: روح الله يتكلّم، كانوا إذا اختلفوا

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٣٥٠.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٣٣، ح٤٤٢.

في شيء كلّمهم و أخبرهم ببيان ما يريدون(١)

و لا ينا فيه مايأتي: من أنّه ريح، لإحتمال أن يكون الريح والروح و احداً.

و في أصول الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: إنّما مثل السلاح فينا، مثل التابوت في بني اسرائيل، كانت بنو اسرائيل أيُّ أهل بيت و جد التابوت على بابهم أوتوا النبوّة، فمن صار إليه السلاح منّا، أوتي الإمامة(٢) و بهذا المعنى من الأخبار كثيرة(٣)

فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ: قيل: أي في إيتاء التابوت، أوفي التابوت ماتسكنون إليه، وهو التوراة.

و كان موسى إذا قاتل قدّمه فتسكن نفوس بني إسرائيل و لا يفرّون، و قيل: صورة كانت فيه من زبرجد أوياقوت لها رأس و ذنب كرأس الهرّة و ذنبها و جناحان، فتأنُّ، فَيَزُفُّ التابوت نحوالعدوّ و هم يتبعونه فاذا استقر ثَبَتُوا وَ سَكَنُوا و نزل النصر(٤).

قال في مجمع البيان: روي ذلك في أخبارنا(٥).

و قيل: صور الأنبياء من آدم الى محمد صلى الله عليه و آله.

و قيل: التابوت هو القلب، و السكينة لما فيه من العلم و الإخلاص، و إتيانه تصيير قلبه مقرّ العلم و الوقار بعد أن لم يكن(٦)

و الصحيح ما ذكر في الخبر السالف، من أنه ريح طيّبة يخرج من التابوت له

---

(١) معاني الأخبار: ص٢٨٤، باب معنى السكينة، ح٢.

(٢) الكافي: ج١، ص٢٣٨، كتاب الحجة، باب إنّ مثل سلاح رسول الله مثل التابوت في بني اسرائيل، ح١

(٣) الكافي: ج١، ص٢٣٨، كتاب الحجة، باب إنّ مثل سلاح رسول الله مثل التابوت في بني اسرائيل، ح(٢ ـ ٣ ـ ٤)

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج١، ص١٣٠ في تفسيره لقوله تعالى (فيه سكينة من ربكم).

(٥) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص ٣٥٣ في بيان المعنى لاية (٢٤٨) سورة البقرة.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج١، ص١٣٠، في تفسيره لقوله تعالى (فيه سكينة من ربكم).

وجه كوجه الإنسان.

و في تفسير على بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن الحسن بن خالد، عن الرضا عليه السلام أنّه قال: السكينة ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان (١)

وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ: أي ذرّية الأنبياء، و هما موسى و هارون، و الآل مقحم لتفخيم شأنها، أو أنبياء بني إسرائيل، لأنّهم أبنائهما.

في تفسير العيّاشي: عن حريز، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: «يَأتيكم التابوت فيه سكينةٌ مِن ربّكم و بقيّة مماترَك آل موسى و آل هارون تحمله الملائكة» فقال: رضاض(٢) الألواح فيها العلم و الحكمة، العلم جاء من السماء فكتب في الألواح و جعل في التابوت(٣)

تَحْمِلُهُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ: قيل: رفعه الله بعد موسى، فنزلت به الملائكة وهم ينظرون إليه وقيل: كان بعده مع أنبيائهم يستفتحون به حتّى أفسدوا فغلبهم الكفار عليه و كان في أرض جالوت إلى أنّ ملّك الله طالوت فأصابهم ببلاء حتّى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت، فوضعوه على ثورين فساقهما الملائكة إلى طالوت(٤)

و في كتاب المناقب لابن شهر اشوب: و في حديث جابر بن يزيد الجعفي أنّه لمّاشكت الشيعة إلى زين العابدين عليه السلام ممّايلقونه من بني أُميّة دعا الباقر عليه السلام وأمر أن يأخذ الخيط الذي نزل به جبرئيل إلى النبي عليه السلام و يحركه تحريكاً خفيفاً، قال: فمضى إلى المسجد فصلّى فيه ركعتين ثم وضع خده على الثرى و تكلّم بكلمات ثم رفع رأسه فأخرج مِنْ كمّه خيطاً دقيقاً يفوح منه رائحة المسك و أعطاني طرفاً منه، فمشيت رويداً فقال: قف يا جابر فحرّك الخيط تحريكاً ليناً خفيفاً، ثم قال: أُخرج فانظر ما حال الناس، فخرجت من المسجد فإذا صياح و صراخ و ولولة من كل ناحية و إذا زلزلة شديدة و هدّة و رجفة، قدأخربت عامة

(١) تفسير علي بن ابراهيم: ج١، ص٨٢، في تفسيره لاية(٢٤٨) من سورة البقره .

(٢) الرضاض: الفتات ممارُضّ: لسان العرب:ج٧، ص١٥٤، لغة (رضض).

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٣٣، ح٤٤٠.

(٤) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص٢٥٤، في تفسيره لقوله تعالى: «تحمله الملائكة» .

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم
بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا
لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

دور المدينة و هلك تحتها أكثر من ثلاثين ألف إنسان إلى قوله: سألته عن الخيط؟ قال: هذا من البقيّة قلت: و ما البقيّة يابن رسول الله؟ قال: يا جابر بقيّة ممّا ترك آل موسى و آل هارون تحمله الملائكة و يضعه جبرئيل لدينا(١).

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ : يحتمل أن يكون من تمام كلام النبي، وأن يكون إبتداء خطاب من الله.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ : إنفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة وأصله فصل نفسه عنه، و لكن لمّا كثر حذف مفعوله صار كاللازم

قيل: إنّه قال لهم: لا يخرج معي إلّا الشاب النشيط الفارغ، فاجتمع إليه ممّن اختاره ثمانون ألفاً(٢).

و الأظهر أنّه إجتمع إليه ستّون ألفاً و ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً، لماسيأتي من

---

(١) المناقب لابن شهراشوب: ص١٨٤، باب أمانة أبي جعفر الباقر عليه السلام.

(٢) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٣٠، في تفسيره لقوله تعالى «فلما فصل طالوت بالجنود».

أنّ من شَرِبَ ستون ألفاً، و من لم يشرب ثلا ثمائة و ثلا ثة عشر رجلاً، و كان الوقت قيظاً فسلكوا مفازةً و سألوا أن يجري الله لهم نهراً.

قَالَ: أي نبيّهم

إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ: يعاملكم معاملة المختبر بما اقترحوه

فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي: فليس من أشياعي، أوبمتحدٍ معي

وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ: أي من لم يذقه، من طعم الشيء إذا ذاقه مأكولاً أومشروباً.

إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ: استثناء من قوله «فمن شرب» وقدّم عليه الجملة الثانية، للعناية بها، و المعنى الرخصة في القليل دون الكثير، و قرئ بفتح الغين

فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ: أي فكرعوا فيه، إذ الأصل في الشرب منه أن لايكون بوسط. أوأفرطوا في الشرب إلّا قليلاً منهم. و قرئ بالرفع حملاً على المعنى، أي لم يطيعوه.

و روي أنّ الذين شربوا منه كانوا ستّين ألفاً(١)

و روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: القليل الذي لم يشربوا ولم يغترفوا ثلا ثمائة و ثلا ثة عشر رجلا(٢)

فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ: أي طالوت النهر، إلى جنود جالوت.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ: أي القليل الذين لم يخالفوه.

قَالُواْ: أي الذين شربوا منه.

لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ: لكثرتهم و قوّتهم، هذا إعتذار منهم في التخلّف و تحذير للقليل.

قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ: أي الخلّص منهم الذين تيقّنوا لقاء الله و ثوابه بالموت

و سمّاه ظناً، لشبه اليقين بالموت بالظن و الشك، كماورد في الخبر أنه ما من

(١ و ٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٨٣، في تفسيره لقوله تعالى: «فشربوا منه إلاّ قليلاً».

وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾

يقين لا شك فيه، أشبه بشك لا يقين فيه من الموت(١).

و هم القليل الذين لم يشربوا.

كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ: بتيسيره و توفيقه، و«كم» يحتمل الخبر والإستفهام. و«مِنْ» مبيّنة أومزيدة، و«الفئة» الفرقة من الناس، من فاوت رأسه، أي شققته. أومن فاء إذا رجع، فوزنها فعة، أوفلة. ولاينافي إطلاق الفئة هنا على أقل من عشرة الآف.

ماروه العياشي عن حمّاد بن عثمان قال: قال أبوعبد الله عليه السلام: لا يخرج القائم عليه السلام في أقلّ من الفئة، و لا يكون الفئة أقلّ من عشرة آلاف(٢) من وجهين:

الأوّل: أنّ الإطلاق على الأقلّ هنا لـلفئة الموصوفة بالقلّة، لا الفئة المطلق، و في الخبر مطلقة.

و الثاني: أنّ المراد بالفئة في الخبر المعهودة المذكورة سابقاً بأنّها يكون مع القائم عليه السلام، لا مطلق الفئة.

وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ: بالنصر و الإثابة

وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ: أي ظهروا لهم و دنوا منهم

قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٣٤، ح٤٤٤.

فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ
وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا
يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ
لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا
عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

ٱلْكَٰفِرِينَ: سألوا أولاً، إفراغ الصبر في قلوبهم، و هو الذي ملاك الأمر

وثانياً: ثبات القدم في مداحض الحرب المتسبب عنه.

وثالثاً: النصر على العدو المترتّب عليها.

فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ: فكسروهم بنصره، أومصاحبين لنصره إيّاهم، إجابة لدعائهم.

روي في تفسير علي بن إبراهيم عن الرضا عليه السلام: لمّا تأذّى بنو إسرائيل من جالوت، أوحى الله إلى نبيّهم أن جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى عليه السلام، و هو رجل من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام، اسمه داود بن آسي، و كان آسي راعياً، و كان له عشرة بنين أصغرهم داود. فلمّا بعث طالوت إلى بني اسرائيل و جمعهم لحرب جالوت، بعث إلى آسي أن احضر ولدك، فلمّا حضروا دعا واحداً واحداً من ولده فألبسه درع موسى عليه السلام، فمنهم من طالت عليه و منهم من قصرت عنه، فقال لآسي: هل خلّفت من ولدك أحداً؟ قال: نعم، أصغرهم تركته في الغنم راعياً، فبعث إليه أبنه فجاء به، فلمّا دعى أقبل و معه مقلاع(١)

---

(١) رجاء يكون فيه زاد الراعي و ماله.

فنادته ثلاث صخرات في طريقه، فقالت: ياداود خذنا، فأخذها في مخلاته. و كان شديد البطش قويّاً في بدنه شجاعاً، فلمّا جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوت عليه ففصل طالوت بالجنود حتّى برزوا لجالوت و جنوده، فجاء داود حتّى وقف بحذاء جالوت، و كان جالوت على الفيل و على رأسه التاج، و في جبهته ياقوتة يلمع نورها، وجنوده من بين يديه، فأخذ داود من تلك الأحجار حجراً فرمى به ميمنة جالوت فمرّ في الهوى و وقع عليهم فانهزموا، و أخذ حجراً اخر فرمى به في ميسرة جالوت فوقع عليهم فانهزموا، و رمى جالوت بحجر فصك الياقوتة في جبهته و وصلت إلى دماغه، و وقع إلى الآرض ميتا، وهو قوله «فهزموهم بإذن الله و قتل داود جالوت و أتاه الله الملك والحكمة»(١).

وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ: بالوجه الذي روي

وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ: أي ملك بني اسرائيل

قيل: و لم يجتمعوا قبل داود على ملك.

وَٱلۡحِكۡمَةَ: النبوة، وأنزل عليه الزبور.

وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ: صنعة الحديد و لينه له

في كتاب الخصال عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك و تعالى لم يبعث أنبياء ملوكاً إلاّ أربعة بعد نوح: ذالقرنين و اسمه عيّاش، و داود و سليمان و يوسف عليهم السلام. فأمّا عيّاش فملك ما بين المشرق و المغرب. و أمّا داود ما بين الشامات إلى بلاد أصطخر، و كذلك كان ملك سليمان، و أمّا يوسف فملك مصر و براريها، ولم يتجاوز إلى غيرها(٢).

و عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك و تعالى اختار من كل شيئ أربعة، اختار من الأنبياء للسيف إبراهيم

---

(١) تفسير علي بن ابراهيم: ج١، ص٨٢.

(٢) كتاب الخصال: ص٢٤٨، باب الأربعة (ملوك الأنبياء في الأرض أربعة)، ح١١٠.

و داود و موسى و أنا(١).

و في كتاب كمال الدين و تمام النعمة باسناده إلى جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: عاش داود عليه السلام ماءة سنة، منها أربعين سنة في ملكه(٢)

و في تفسير علي بن إبراهيم: قال: و كان بين موسى و بين داود خمساءة سنة، و بين داود و عيسى ألف سنة و خمساءة سنة(٣).

وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ: و قرأ نافع هنا و في الحج دفاع الله(٤).

ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ: قيل: أي لولا أنّه تعالىٰ يدفع بعض الناس ببعض و ينصر المسلمين على الكفّار، لغلبوا و أفسدوا في الأرض، أو فسدت الأرض بشؤمتهم

و في أصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن عبدالله بن القاسم، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ الله ليدفع بمن يصلّي من شيعتنا عمّن لا يصلّي من شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا. و أنّ الله ليدفع بمن يزكّي من شيعتنا عمّن لا يزكّي، ولو اجتمعوا على ترك الزكاة لهلكوا. و أنّ الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمّن لا يحج، ولو اجتمعوا على ترك الحجّ لهلكوا، وهو قول الله عزّوجلّ «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض و لكن الله ذوفضل على العالمين» فو الله ما نزلت إلّا فيكم و لا عنى بها غيركم(٥)

---

(١) كتاب الخصال: ص٢٢٥، باب الأربعة، إنّ الله عزّوجلّ اختار من كل شئ أربعة، قطعة من حديث ٥٨.

(٢) بحار الأنوار، ج١٤، ص١٥، كتاب النبوة، باب قصص داود، لفظه (وكان عمر داود عليه السلام لماتو في مائة سنة صح ذلك عن النبي صلّى الله عليه و آله و كانت مدة ملكه أربعين سنة) و في كتاب كمال الدين: الباب٤٦ باب ماجاء في التعمير، ص٥٢٤، قطقه من حديث ٣.

(٣) نور الثقلين: ج١، ص٢٥٣، ح١٠٠٤ نقلاً عن تفسير علي بن إبراهيم.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج١، ص١٣١.

(٥) الكافي: ج٢، ص٤٥١، كتاب الإيمان و الكفر، باب أنّ الله يدفع بالعامل عن غير العامل، ح١.

و في تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: إنّ الله ليدفع، و ذكر مثله، إلّا قوله: «فوالله ما نزلت» الخ(١)

و في مجمع البيان: «ولولا دفع الله الناس ... الآية» فيه ثلاثة أقوال:

الثاني: أنّ معناه يدفع الله بالبرّ عن الفاجر الهلاك، عن علي عليه السلام(٢)

و قريب منه ماروي عن النبي صلّ الله عليه و آله: لولا عبادلله ركّع و صبيان رضّع و بهائم رتّع لُصبّ عليكم العذاب صبّاً(٣)

و روى جابربن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله يصلح بصلاح الرجل المسلم ولده و ولد ولده و أهل دويرته و دويرات حوله، لا يزالون في حفظ الله مادام فيهم(٤).

تِلْكَ: إشارة إلى ما قصّ من القصص السالفة.

ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ: دلائله على قدرته، و إرسالك رسولاً.

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٨٣، في تفسيره لآية (٢٥١) من سورة البقرة.

(٢) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص٣٥٧، في نقل القصة لآية(٢٥١) من سورة البقرة.

(٣) رواه الطبرسي في مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص٣٥٧ في نقل القصةلآية (٢٥١) من سورة البقرة وقريب منه ما في أصول الكافي: ج٢، ص٢٧٦، كتاب الايمان و الكفر، باب الذنوب، ح٣١ولفظ الحديث «عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ لله عزّوجلّ في كلّ يوم وليلة منادياً ينادي: مهلاً مهلاً عبادالله عن معاصي الله، فلولا بهائم رتّع وصبية رضّع و شيوخ ركّع لصبّ عليكم العذاب صبّاً ترضّون به رضّاً»

وأورده في مستدرك الوسائل: ج٢، ص٣٥٣، كتاب الجهاد، الباب ٩٦ من أبواب جهاد النفس و مايناسبه ح٥ و لفظه «و عنه صلّى الله عليه و آله انّ لله تعالى ملكاً ينزل في كلّ ليلة، فينادي يا أبناء العشرين جدّوا واجتهدوا، و يا أبناء الثلاثين لا تغرنّكم الحياة الدنيا، و يا أبناء الأربعين ماذا أعددتم للقاء ربكم، و يا أبناء الخمسين أتتكم النذير، و يا أبناء الستين زرع آنَ حصاده، و يا ابناء السبعين نودي لكم فأجيبوا، و يا أبناء الثمانين أتتكم الساعة و أنتم غافلون، ثم يقول: لولا عباد ركّع و رجال خشّع و صبيان رضّع و أنعام رتّع لصبّ عليكم العذاب صبّاً».

(٤) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٥٧، الآية ٢٥١، من سورة البقرة.

۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ : بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه أهل الكتاب و أرباب التواريخ.

وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ : لما أخبرت بها من غير تعرّف واستماع.

تِلْكَ ٱلرُّسُلُ : أي الجماعة المذكورة قصصهم، أوالمعلومة لك أيّها النبي، أو جماعة الرسل، واللام للاستغراق.

فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ : بأن خصصناه بما ليس لغيره.

مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ : قيل: هو موسى، وقيل: موسى ليلة الحيرة في الطور، و محمد صلّى الله عليه وآله ليلة المعراج.

و قرء كلّم الله وكالم الله(١) بنصب لفظ الجلالة.

وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ : بأن فضلّه على غيره، قيل: وهو محمّد صلّى الله عليه

---

(١) و قرأ اليماني: كالم الله، من المكالمة، و يدلّ عليه قولهم: كليم الله، بمعنى مكالمه. الكشاف: ج١، ص٢٩٠، في تفسيره لآية ٢٥٤، من سورة البقرة.

وآله، فإنّه فضّل على غيره من وجوه متعدّدة، فإنّه خصّ بالدعوة العامّة، والحجج المتكاثرة، والمعجزات المستمرّة، والفضائل العلمية و العملية الفانية للحصر.

وفي عيون الأخبار باسناده إلى علي بن موسى، عن أبيه، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي قال علي عليه السلام: فقلت يا رسول الله: أفأنت أفضل أم جبريل؟ فقال عليه السلام: إنّ الله تعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين و فضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي و للأئمة من بعدك وإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبينا والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة(١).

وقيل: إبراهيم خصّصه بالخلّة التي أعلى المراتب.

وقيل: إدريس لقوله تعالى: «و رفعناه مكاناً عليّا»(٢).

وقيل: أولوا العزم من الرسل.

والإبهام في جميع تلك الإحتمالات للتفخيم.

و يحتمل الحمل على الكل والإبهام لعدم التعيين.

يدلّ عليه ما رواه العياشي في تفسيره عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: بالزيادة بالإيمان يفضّل المؤمنون بالدرجات عندالله، قلت: إنّ للإيمان درجات ومنازل يتفاضل بها المؤمنون عندالله؟ قال: نعم، قلت: صف لي ذلك رحمك الله حتى أفهمه فقال: أمّا فضّل الله أولياءه بعضهم على بعض فقال: «تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله و رفع بعضهم درجات» إلى آخر الآية، وقال: «ولقد فضّلنا بعض النبيين على بعض» وقال: «انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض و للآخرة أكبر درجات» وقال: «هم درجات عندالله» فهذا ذكر درجات الإيمان و منازله عندالله(٣).

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١، ص ٢٦٢، باب ٢٦، ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتى، قطعة من حديث٢٢.

(٢) سورة مريم: الآية ٥٧.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص ١٣٥، ح ٤٤٧.

وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ: المعجزات. أفرده لافراط اليهود والنصارى في تحقيره و تعظيمه. وجعل معجزاته مخصوصة بالذكر، لانّها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره.

وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ: في أُصول الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمدبن خالد، عن أبيه رفعه، عن محمدبن داود الغنوي، عن الأصبغ بن نباته، عن أميرالمؤمنين عليه السلام في حديث طويل يقول فيه عليه السلام: فأمّا ما ذكر من أمرالسابقين، فإنّهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين، جعل الله فيهم خمسة أرواح، روح القدس و روح الإيمان و روح القوّة و روح الشهوة و روح البدن، فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين و غير مرسلين و بها علموا الأشياء. و بروح الإيمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً، و بروح القوّة جاهدوهم وعالجوا معاشهم، و بروح الشهوة أصابوا لذيذ الطعام و نكحوا النكاح من شباب النساء، و بروح البدن دبّوا أو درجوا، فهؤلاء مغفور مصفوح عن ذنوبهم، ثم قال: قال الله عزّوجلّ «تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله و رفع بعضهم درجات و آتينا عيسى بن مريم البيّنات و أيّدناه بروح القدس» ثم قال في جماعتهم «و أيّدهم بروح منه» يقول: أكرمهم، ففضّلهم على من سواهم، فهؤلاء مغفور مصفوح عن ذنوبهم(١).

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ: إلزام الناس على طريقة واحدة، مشيّة حتم.

مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم: من بعد الرسل.

مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ: المعجزات.

وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟: لأنّه لم يجبرهم على الإهتداء للإبتلاء.

فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ: بتوفيقه.

وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ: لاعراضه عنه بخذلانه.

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟: التكرار للتوكيد.

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ: فيوفق من يشاء فضلاً، و يخذل من يشاء عدلاً.

---

(١) الكافي: ج٢، ص ٢١٤، كتاب الايمان والكفر، باب الكبائر، ح١٦.

وفي هذه الآية دلالة على أنّ المختلفين بعد الرسل بين مؤمن وكافر لا ثالث لهما.

و في كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله عن الأصبغ بن نباته(١) قال: كنت واقفاً مع أميرالمؤمنين عليه السلام يوم الجمل فجاء رجل حتّى توقف بين يديه، فقال يا أميرالمؤمنين: كبّر القوم وكبّرنا و هلّل القوم وهلّلنا و صلّى القوم وصلّينا، فعلام نقاتلهم؟ فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: على ما أنزل الله في كتابه، فقال يا أميرالمؤمنين ليس كلّ ما أنزل الله في كتابه أعلمه، فعلّمنيه، فقال علي عليه السلام: ما أنزل الله في سورة البقره فقال يا أميرالمؤمنين ليس كل ما أنزل الله في سورة البقرة أعلمه فعلمنيه فقال عليه السلام هذه الآية «تلك الرسل» و قرء إلى أن «يفعل ما يريد» فنحن الذين آمنا، وهم الذين كفروا، فقال الرجل: كفر القوم و رب الكعبة، ثم حمل فقاتل حتّى قتل رحمه الله(٢).

و في أمالي شيخ الطائفة شبهه مع تغيير غير مغيّر للمعنى و في آخره بعد قوله: «ومنهم من» فلما وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله عزّوجلّ و بالنبي صلّى الله عليه

---

(١) أصبغ بفتح الهمزة و سكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة ثم العين المعجمة، و نباتة بضم النون و فتح الباء الموحدة والألف و تائين مثناتين فوقانيتين أولها مفتوحة من أصحاب علي والحسن عليهما السلام، و روى عن علي عليه السلام عهد الاشتر و وصيته إلى محمد ابنه، و روى أيضاً الأحاديث الواردة في أن الحسين عليه السلام يقتل بكربلا ، وعن أبي الجارود قال: قلت للأصبغ بن نباته: ما كان منزلة هذا الرجل فيكم؟ قال: ما أدري ما تقول، إلاّ أن سيوفنا كانت على عواتقنا فن أومى إليه ضربناه بها، و كان يقول لنا تشترطوا تشترطوا فوالله ما اشتراطكم لذهب ولا فضّة وما اشتراطكم إلاّ للموت، إنّ قوماً من قبلكم من بني اسرائيل تشارطوا بينهم فما ت أحد منهم حتى كان نبيّ قومه أو نبيّ قريته أو نبيّ نفسه و إنكم بمنزلتهم إلاّ إنّكم لستم أنبياء، وفي حديث إنّ أميرالمؤمنين دعا كاتبه عبيدالله بن أبي رافع فقال: أدخل عليّ عشرة من ثقاتي، فقال: سمّهم لي يا أميرالمؤمنين فقال له: ادخل أصبغ بن نباته الحديث، فظهر أنّه كان من شرطة الخميس ومن أجلاّء أصحابه عليه السلام . تنقيح المقال: ج١، ص١٥٠، تحت رقم ٩٨٢ ملخصاً.

(٢) احتجاج الطبرسي: ج١، ص١٦٩، إحتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام بعد دخوله البصرة بأيّام على من قال من أصحابه أنّه ما قسّم الفيئ فينابالسوية.

وآله و بالكتاب و بالحقّ، فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا ولو شاء الله قتالهم بمشيّته و إرادته(١).

وفي روضة الكافي: ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّ العامّة يزعمون أن بيعة أبي بكر حيث اجتمع الناس كان رضا الله عزّ ذكره، وما كان ليفتن أمة محمّد صلّى الله عليه وآله من بعده، فقال أبوجعفر عليه السلام: أو ما يقرؤون كتاب الله؟ أوليس الله يقول «وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً و سيجزي الشاكرين» قال: قلت: إنّهم يفسّرون على وجه آخر، قال: أوليس أخبر الله عزّوجلّ من الذين من قبلهم من الأمم إنّهم قد اختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات، حيث قال: «و آتينا عيسى بن مريم البيّنات و أيّدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد» فهذا يستدلّ به على أنّ أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله قد اختلفوا من بعده فنهم من آمن ومنهم من كفر(٢).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم: ما أوجب عليكم إنفاقه.

مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ: وهو يوم القيامة الذي لابيع فيه فيحصل ماينفق بالبيع، أو يفتدي النفس و يخلص من العذاب باعطاء شيء و شرائها، ولا خلّة حتّى يستغني بالإخلاء ولا شفاعة إلاّ لمن رضي له قولاً حتّى يتكّل على الشفعاء.

وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ: يريد التاركون للزكاة الذين ظلموا أنفسهم، أو وضعوا المال في غير موضعه، وصرفوه على غير وجهه، فوضع الكافرون موضعه تغليظاً و تهديداً، كقوله: «ومن كفر»(٣) مكان من لم يحج، و إيذاناً بأنّ ترك الزكاة من

(١) كتاب الامالي للطوسي: ج١، الجزء السابع، ص٢٠٠.

(٢) الكافي: ج٨، ص٢٧٠، ح ٣٩٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٨.

صفات الكفار لقوله: «و ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة»(١).

وفي من لا يحضره الفقيه: وفي رواية أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم، وهو قوله عزّوجلّ «حتّى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت»(٢).

واعلم أنّ الأخبار في فضل آية الكرسي كثيرة:

فمنها ما مرّ في صدر الكتب.

ومنها ما رواه في الخرائج والجرائح، عن عبدالله بن يحيى الكاهلي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا لقيت السبع ماذا تقول؟ قلت: لا أدري قال: إذا لقيته فاقرأ في وجهه آية الكرسي وقل: عزمت عليك بعزيمة الله وعزيمة رسوله وعزيمة سليمان بن داود و عزيمة علي أميرالمؤمنين والأئمة من بعده، فإنّه ينصرف عنك، قال عبدالله: فقدمت الكوفة فخرجت مع ابن عم لي إلى قرية، فاذا سبع قد اعترض لنا في الطريق، فقرأت في وجهه آية الكرسي وقلت: عزمت عليك بعزيمة الله إلى آخرها إلّا تنحيّت عن طريقنا ولم تؤذنا فانّا لا نؤذيك(٣).

ومنها ما رواه في الكافي: عن علي بن إبراهيم، و عدة من أصحابنا، عن أحمدبن أبي عبدالله، و سهل بن زياد جميعاً، عن محمدبن عيسى، عن أبي محمد الأنصاري،

---

(١) سورة فصلت: الآية ٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٧، باب ٢ ما جاء في مانع الزكاة، ح٩.

(٣) الخرائج في اعلام جعفربن محمد الصادق عليهما السلام ص ٩٦ وتمام الحديث (فنظرت إليه وقد طأطأ رأسه و دخل ذنبه بين رجليه و ركب الطريق راجعاً من حيث جاء فقال ابن عمي ما سمعت كلاماً أحسن من كلامك هذا فقلت: هذا كلام الامام جعفربن محمد قال: أشهد أنه إمام فرض الله طاعته، وما كان ابن عمي يعرف قليلاً وكثيراً. قال: فدخلت على أبي عبدالله من قابل فاخبرته الخبر فقال: ترى اني لم اشهدكم، بئس ما ترى، ثم قال: إنّ لكل ولي أذن سامعة وعيناً ناظرة ولساناً ناطقاً، ثم قال أبوعبدالله عليه السلام: أنا والله صرفته عنكما وعلامة ذلك أنكما في البرية على شاطئ النهر واسم ابن عمك حبيب عندنا والله ما كان الله ليمته حتى يعرف هذا الأمر. قال: فرجعت الى الكوفة فاخبرت به ابن عمي بمقالة أبي عبدالله ففرح فرحاً شديداً و سرّبه وما زال مستبصراً حتى مات) و رواه في اصول الكافي ج٢، كتاب الدعاء، باب الحرز والعوذة ص٥٧٢، ح١١، الى قوله (وأدخل ذنبه بين رجليه وانصرف).

عن أبان بن عثمان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: شكى إليه رجل عبث أهل الأرض بأهل بيته و بعياله، فقال: كم سقف بيتك؟ قال: عشرة أذرع فقال: أذرع ثمانية أذرع ثم أكتب آية الكرسي فيما بين الثماني إلى العشرة كما تدور، فانّ كلّ بيت سمكت أكثر من ثمانية أذرع فهو محتضر تحضر الجن تكون فيه تسكنه (١).

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن اسماعيل بن مرّار، و أحمدبن أبي عبدالله، عن أبيه جميعاً، عن يونس، عمّن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال: في سمك البيت إذا رفع ثمانية أذرع كان مسكوناً، فإذا زاد على ثمان فليكتب على رأس الثمانية آية الكرسي(٢).

و باسناده إلى محمدبن إسماعيل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا كان البيت فوق ثمانية أذرع فاكتب في أعلاه آية الكرسي(٣).

ومنها ما رواه في من لا يحضره الفقيه في وصيّة النبيّ صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا عليّ ومن كان في بطنه ماء أصفر فليكتب في بطنه آية الكرسى و يشربه فإنّه يبرأ بإذن الله عزّوجلّ(٤).

ومنها ما رواه في كتاب الخصال: عن عتبة، عن عبيدبن عمير الليثي، عن أبي ذر رحمه الله قال: دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو في المسجد جالس وحده إلى أن قال: قلت له: فأي آية أنزلها الله عليك أعظم؟ قال: آية الكرسي ثم قال: يا أباذر ما السماوات السبع في الكرسي إلّا كحلقة ملقاة في أرض فلاة(٥).

وفيه فيما علّم أميرالمؤمنين عليه السلام أصحابه: و إذا اشتكى أحدكم عينيه فليقرأ آية الكرسي وليضمر في نفسه أنّها تبرأ، فإنّه يعافى انشاء الله(٦).

ومنها ما رواه في أصول الكافي: عن محمدبن يحيى، عن عبدالله بن جعفر، عن

(١و٢و٣) الكافي: ج٦، ص٥٢٩، كتاب الزيّ والتجمّل، باب تشييد البناء، ح٣ و ٤ و ٧.

(٤) من لايحضره الفقيه: ج٤، ص٢٦٩، باب ١٧٦، باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب، ح١.

(٥) الخصال: ص٥٢٣، ابواب العشرين وما فوقه، الخصال التي سأل عنها أبوذر رحمه الله رسول الله (ص)، قطعة من ح١٣.

(٦) الخصال: ص٦١٦، حديث أربعمائة.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

السياري، عن محمد بن بكر، عن أبي الجارود عن الأصبغ بن نباته، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين: إنّ في بطني ماء أصفر، فهل من شفاء؟ فقال: نعم، بلا درهم ولا دينار، ولكن أكتب على بطنك آية الكرسي و تغسلها و تشربها و تجعلها ذخيرة في بطنك فتبرأ بإذن الله عزّوجلّ، ففعل الرجل، فبرأ بإذن الله عزّوجلّ(١).

ومنها ما رواه في كتاب ثواب الأعمال باسناده عن رجل سمع أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: من قرأ آية الكرسي عند منامه لم يخف الفالج إن شاء الله، ومن قرأها بعد كل صلاة لم يضرّه ذوحمه(٢).

ومنها ما رواه في عيون الأخبار: في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة بإسناده عن علي عليه السلام قال: قال النبي صلّى الله عليه وآله: من قرأ آية الكرسي ماءة مرّة كان كمن عبدالله طول حياته(٣).

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ: مبتدأ و خبر، و للنحاة خلاف في أنه هل يضمر للأخير، مثل

---

(١) الكافي: ج٢، ص٦٢٤، باب فضل القرآن، قطعة من حديث٢١.

(٢) ثواب الأعمال: ص١٠٤، ثواب من قرأ آية الكرسي عند منامه ومن قرأها عقيب كلّ صلاة.

(٣) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٦٥، باب ٣١، فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة، ح٢٨٩.

في الوجود، أو يصحّ، أو يوجد؟ والأصح أن «إلاّ هو» خبره، والمعنى أنّ الله انتفى مستحق للعبادة غيره بحسب الإمكان والوجود، يعني لا يمكن ولا يوجد مستحقّ للعبادة.

ٱلْحَيُّ قيل: (الحيّ) الذي له صفة يقتضي الحس والحركة الإراديّة، و يقتضي صحّة العلم والقدرة. والمراد به في صفة الله تعالى: أنّه غير مرتبط الوجود بغيره بطريق المعلوليّة مع كونه قديراً عالماً.

وفي كتاب التوحيد: باسناده إلى أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل يذكر فيه صفة الربّ عزّوجلّ، وفيه يقول: لم يزل حيّاً بلا حياة(١).

ٱلْقَيُّومُ: الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه، «فيعول» من قام الأمر إذا حفظه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثنا محمدبن أبي عبدالله، قال: حدّثنا محمدبن إسماعيل، عن علي بن العباس، عن جعفربن محمد، عن الحسين بن أسد، عن يعقوب بن جعفر قال: سمعت موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: إنّ الله تبارك و تعالى أنزل على عبده محمّد صلّى الله عليه وآله أنّه لا إله إلّا هوالحيّ القيّوم، و يسمّى بهذه الأسماء الرحمن الرحيم العزيز الجبّار العلّي العظيم، فتاهت هنالك عقولهم و استخفّت أحلامهم، فضربواله الأمثال وجعلواله أنداداً و شبّهوه بالأمثال و مثّلوه أشباهاً وجعلوه يزول و يحول، فتاهوافي بحر عميق لا يدرون ما غوره ولا يدركون كنه بعده(٢).

لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ: السنة فتور يتقدّم النوم، والنوم حال يعرض للحيوان من إسترخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً.

وهنا إشكال مشهور: وهو تقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه.

---

(١) كتاب التوحيد: ص١٧٣، باب ٢٨، نفي المكان والزمان والسكون والحركة والنزول والصعود والانتقال عن الله عزّوجلّ قطعة من حديث٢.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج٢، ص٣٦١، في تفسير سورة الحشر.

وأُجيب: بأنّه قدّمه على ترتيب الوجود، وبأنّه على القياس وهو الترقي من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ، والجملة تأكيد لما قبله، ولذلك ترك العاطف، فإنّ عدم أخذ السنة والنوم يؤكّد كونه قيّوماً، وكذا في قوله:

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾: لأنّه تقرير لقيومية واحتجاج على تفرّده في الإلهيّة. وما فيهما أعم من أن يكون داخلاً في حقيقتها أو خارجاً عنهما متمكناً فيهما.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾: «من» استفهامية مبتدأ، و(ذا) موصول خبره، والموصول صفته، والاستفهام على سبيل الإنكار، وهو بيان لكبرياء شأنه، أي لا أحد يساويه أو يدانيه يستقلّ بدفع ما يريد شفاعة، فضلاً عن أن يقاومه عناداً. ومن يشفع: يشفع باذنه وله مكانة عنده.

وفي محاسن البرقي: باسناده قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام قوله: «من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه يعلم مابين أيديهم» قال: نحن أولئك الشافعون(١).

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾: ما قبلهم وما بعدهم، أو بالعكس لأنّك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي، أو أمور الدنيا وأمور الآخرة، أو عكسه، أو ما يحسّونه وما يعقلونه، أو ما يدركونه وما لا يدركونه.

والضمير لما في السماوات وما في الارض، لأنّ فيهم العقلاء، أو لما دلّ عليه من «ذا» من الملائكة والأنبياء والأئمة.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾: من معلوماته.

﴿إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾: أن يعلموا.

﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾: الكرسي في الأصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد، وكأنّه منسوب إلى الكرس، وهو الملبد، مجاز عن علمه تعالى.

في كتاب التوحيد: قال: حدّثنا أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله،

---

(١) محاسن البرقي: ص١٨٣، كتاب الصفوة والنور والرحمة من المحاسن باب ٤٤، شيعتنا آخذون بحجزتنا، ح١٧٤.

عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث، قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ «وسع كرسيّه السماوات والأرض» قال: علمه(١).

حدّثنا محمد الحسن بن أحمدبن الوليد قال: حدّثنا محمدبن الحسن الصفّار قال: حدّثنا يعقوب بن يزيد، عن حمّادبن عيسى، عن ربعي، عن فضيل بن يسار قال: سألت أبا عبدالله عن قول الله عزّوجلّ «وسع كرسيّه السماوات والأرض» فقال: يا فضيل السماوات والأرض وكل شيء في الكرسى(٢).

وفي الكافي مثله سواء(٣).

وكذا العرش مجاز عن علم له تعالى أعلى من الأوّل.

كما رواه في كتاب التوحيد: باسناده إلى حنان بن سدير، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل يقول فيه: ثم العرش في الوصل متفرّد من الكرسي، لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان وهما في الغيب مقرونان، لأنّ الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنه الأشياء كلّها، والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحدّ والعين والمشيّة وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والبداء، فهما في العلم بابان مقرونان، لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلمه أغيب من علم الكرسي، فمن ذلك قال: «رب العرش العظيم» أي صفة أعظم من صفة الكرسي، وهما في ذلك مقرونان(٤).

وقيل: الكرسي جسم بين يدي العرش، ولذلك سمّي كرسيّاً، محيط بالسماوات السبع.

---

(١) كتاب التوحيد: ص٣٢٧، باب ٥٢، معنى قول الله عزّوجلّ:وسع كرسيه السماوات والارض، ح١.

(٢) كتاب التوحيد: ص٣٢٧، باب ٥٢ معنى قول الله عزّوجلّ:وسع كرسيه السماوات والارض، ح٣.

(٣) الكافي: ج١، ص١٠٢، كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي، ح٣.

(٤) كتاب التوحيد: ص٣٢١، باب ٥٠ معنى العرش وصفاته قطعة من حديث ١.

لما رواه في كتاب التوحيد: بإسناده عن النبي صلّى الله عليه وآله في حديث طويل يذكر فيه عظمة الله جلّ جلاله يقول فيه عليه السلام بعد أن ذكر الأرضين السبع ثم السماوات السبع: وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والحجب عند الهواء الذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قي(١) والسبع والبحر المكفوف والحجب والهواء عند الكرسي كحلقة في فلاة قي، ثم تلا هذه الآية «وسع كرسيّه السماوات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم»(٢).

وفي روضة الكافي باسناده إلى النبي صلّى الله عليه وآله مثله(٣).

وروى الأصبغ بن نباته أنّ علياً صلوات الله عليه سئل عن قول الله تبارك وتعالى «وسع كرسيّه السماوات والأرض» قال: السماوات والأرض وما بينهما من مخلوق في جوف الكرسي وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله، فأمّا ملك منهم في صورة الآدميين وهي أكبر الصور على الله، وهو يدعو الله ويتضرّع إليه ويطلب سعة الرزق لبني آدم. والملك الثاني في صورة الثور وهو سيّد البهائم ويطلب إلى الله ويتضرّع إليه ويطلب السعة في الرزق للبهائم. والملك الثالث في صورة النسر وهو سيد الطيور، وهو يطلب إلى الله تبارك وتعالى ويتضرّع إليه ويطلب السعة في الرزق لجميع الطيور. والملك الرابع في صورة الأسد، وهو سيّد السباع، وهو يرغب إلى الله ويتضرّع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع، ولم يكن في هذه الصور أحسن من الثور، ولا أشدّ انتصاباً منه حتّى اتخذ الملأ من بني إسرائيل العجل، فلمّا عكفوا عليه وعبدوه من دون الله خفض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياءً من الله أن عبد من دون الله شيء يشبهه وتخوّف أن ينزل به العذاب(٤) وعلى هذا العرش جسم أيضاً.

روي في كتاب التوحيد: عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل، وفيه قال السائل: فقوله «الرحمن على العرش استوى» قال أبو عبد الله عليه السلام: بذلك وصف

---

(١) والقي بالكسر والتشديد من القوي وهي الارض القفر الخالية، ومنه ما في حديث زينب العطارة: هذه الارض بمن عليها كحلقة في فلاة قي مجمع البحرين: ج١، ص٣٥٠، في لغة قوا.

(٢) كتاب التوحيد: ص٢٧٧ باب ٣٨، ذكر عظمة الله جل جلاله، قطعة من حديث ١.

(٣) الكافي: ج٨، ص١٥٤، ح١٤٣، وفيها اختلاف فاحش في الألفاظ والجملات، فلاحظ.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٨٥، في تفسيره لآية الكرسي.

نفسه، وكذلك هومستولٍ على العرش بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملا له، ولا أن يكون العرش حاوياً له، ولا أن يكون العرش محتازاً له ولكنّا نقول: هو حامل العرش و ممسك العرش ونقول من ذلك ما قال: «وسع كرسيّه السماوات والأرض» فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبتّه، ونفينا أن يكون العرش والكرسي حاوياً، أو أن يكون عزّوجلّ محتاجاً إلى مكان، أو إلى شيء ممّا خلق، بل خلقه محتاجون إليه(١).

وقيل: انّه الفلك المشهور بفلك البروج، كما أنّ العرش الفلك المشهور بالفلك الأطلس والأعظم وقيل: تصويرلعظمته وتمثيل مجرد ولا كرسي في الحقيقة.

وَلَا يَئُودُهُۥ: لا يثقله، من الأود وهو الاعوجاج.

حِفْظُهُمَا: أي حفظه السماوات والأرض، فحذف الفاعل، وهو أحد المواضع الأربعة التي حذف الفاعل فيه قياس، وأُضيف المصدر إلى المفعول.

وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ: المتعالي عن الأنداد والأشباه.

ٱلْعَظِيمُ: المستحقر بالإضافة إليه كل ما سواه.

وفي عيون الأخبار: باسناده إلى محمد بن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام، هل كان الله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: نعم، قلت: يراها و يسمعها؟ قال: ما كان يحتاج إلى ذلك، لأنّه لم يكن يسألها ولا يطلب منها، هو نفسه ونفسه هو، قدرته نافذة، فليس يحتاج إلى أن يسمّي نفسه، ولكنّه اختار لنفسه اسماً لغيره يدعوه بها، لأنّه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأوّل ما اختاره لنفسه «العلي العظيم» لأنّه أعلى الأشياء كلّها، فمعناه الله، واسمه العلي العظيم هو أوّل أسمائه، لأنّه علا كلّ شيء(٢).

واعلم أنّ المشهور أنّ آية الكرسي هي هذه.

وما رواه في أُصول الكافي(٣)، ومثله في روضة الكافي: عن محمد بن خالد، عن حمزة بن حميد، عن اسماعيل بن عباد، عن أبي عبدالله عليه السلام «ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء» آخرها «وهو العلي العظيم» والحمد لله رب العالمين، وآيتين بعدها(٤).

---

(١) كتاب التوحيد: ص٢٤٨، باب٣٦، باب الرد على الثنوية والزنادقة قطعة من حديث١.

(٢) عيون اخبار الرضا: ج١، ص١٢٩، باب١١، ماجاء عن الرضا عليه السلام من الاخبار في التوحيد، ح٢٤.

(٣) الكافي: ج٢، ص٦٢١، كتاب فضل القرآن، ح٥. (٤) الكافي: ج٨، ص٢٩٠، ح٤٣٨.

لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ـــــــ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

بظاهره يدلّ عليه، لأنّ الظاهر رجوع الضمير في (آخرها) إلى آية الكرسي.

وروى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسين بن خالد: أنّه قرأ علي بن موسى صلوات الله عليهما على التنزيل: «الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من ذا الذي يشفع عنده إلاّ باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء وسع كرسيه السمٰوات والارض ولا يؤده حفظهما و هو العلي العظيم»(١).

وذكر محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله بإسناده أنّه يقرأ بعدها: والحمد لله ربّ العالمين(٢).

وفي الرواية الأُولى (لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت هم الظالمون لآل محمد يخرجونهم من النور إلى الظلمات أُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والحمد لله ربّ العالمين) كذا انزلت(٣).

لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ: إذ الإكراه إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً، ولكن قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ: تميز كلّ ما هو رشد عن كلّ ما هو غيّ، إذ يجب حمل اللام

(١) تفسير علي بن ابراهيم: ج ١، ص ٨٤، قطعة من حديث طويل.

(٢) الكافي: ج ٨، ص ٢٩٠، ح ٤٣٨.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج ١، ص ٨٥، قطعة من حديث طويل.

على الإستغراق، لعدم قرينة التخصيص المقام الخطابي، وتبيّن الرشد من الغي لا تخصيص فيه بزمان دون زمان وبأحد دون أحد، فيفيد تبيين الرشد في كل زمان لكلّ أحد، فيدلّ على وجود معصوم في كل زمان إتّباعه هو الرشد وعدم إتّباعه هو الغي.

فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ: فعلوة من الطغيان قلب عينه ولامه، وهم ظالمو احق آل محمد.

روى الشيخ أبو جعفر الطوسي: باسناده إلى الفضل بن شاذان، عن داود بن كثير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة في كتاب الله عزّوجلّ وانتم الزكاة وأنتم الحج، فقال: يا داود نحن الصلاة في كتاب الله عزّوجلّ ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله ونحن وجه الله قال الله تعالى: «فأينما تولوا فثم وجه الله» ونحن الآيات ونحن البيّنات. وعدوّنا في كتاب الله عزّوجلّ الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبت والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير، يا داود إنّ الله خلقنا فأكرم خلقنا وجعلنا أُمنائه وحفظته وخزانه على ما في السماوات وما في الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءً فسمّانا في كتابه، وكنّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليه، تكنية عن العدو، وسمّى أضدادنا وأعدائنا في كتابه وكنّى عن أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عبادة المتقين(١).

وفي مجمع البيان: في الطاغوت خمسة أقوال: أحدها إنّه الشيطان، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام(٢).

وَيُؤْمِن بِاللَّهِ: بالتوحيد والتصديق للرسل في كلّ ما جاؤوا به، ومن جملتها، بل عمدتها ولاية الأئمة من آل محمد عليهم السلام.

فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ: طلب الإمساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق، وهي مستعارة لمستمسك المحقّ من الرأي القويم، أُطلق هنا على الايمان بالله، وهو يلازم ولاية الأئمة عليهم السلام.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٤، ص ٣٠٣، كتاب الامامة، ح ١٤، نقلاً عن كنز الفوائد.

(٢) مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٣٦٤، في بيان المعنى لآية ٢٥٦، من سورة البقرة.

في أُصول الكافي: حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد، عن غير واحد، عن أبان، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّوجلّ «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى» قال: هي الايمان(١).

علي بن إبراهيم: عن أبيه ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال في قوله عزّوجلّ: «فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها»، قال: هي الايمان بالله وحده لا شريك(٢) له والحديثان طويلان أخذنا منهما موضع الحاجة.

وفي محاسن البرقي: عنه، عن محسن بن أحمد، عن أبان الأحمر، عن أبي جعفر الأحول، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: عروة الوثقى التوحيد، والصبغة الاسلام(٣).

وفي كتاب المناقب لابن شهرآشوب: موسى بن جعفر، عن أبيه عليهما السلام و أبوالجارود، عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «فقد استمسك بالعروة الوثقى» قال: مودّتنا أهل البيت(٤).

وفي عيون الأخبار: بإسناده إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من أحبّ أن يركب سفينة النجاة و يستمسك بالعروة الوثقى و يعتصم بحبل الله المتين فليوال عليّاً بعدي و ليعاد عدوّه، وليأتم بالأئمة الهداة من ولده(٥).

وفيه فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة

---

(١) الكافي: ج٢، ص١٢، باب في أن الصبغة هي الإسلام، قطعة من حديث٣.

(٢) الكافي: ج٢، ص١٢، في أنّ الصبغة هي الإسلام، قطعة من حديث١.

(٣) المحاسن: كتاب مصابيح الظلم، ص٢٤٠، باب ٢٤، جوامع من التوحيد ح٢٢١.

(٤) لم أعثر عليه في المناقب ولكن رواه في الصافي: ج١، ص٢٦٢، في تفسيره لقوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) عن الباقر عليه السلام.

(٥) عيون أخبار الرضا: ج١، ص٢٢٧، باب ٢٨، فيما جاء عن الامام عليه السلام من الاخبار المتفرقة قطعة من حديث٤٣.

باسناده قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: والأئمة من ولد الحسين عليهم السلام من أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثق وهم الوسيلة الى الله تعالى(١).

وفي باب ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون من محض الاسلام و شرايع الدين، أنّ الأرض لا تخلو من حجّة الله تعالى على خلقه في كلّ عصر و أوان، و أنّهم العروة الوثق و أئمة الهدى والحجّة على أهل الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها(٢).

وفي كتاب الخصال: عن عبدالله بن العباس قال: قام رسول الله صلّى الله عليه وآله فينا خطيباً فقال: في آخر خطبته نحن كلمة التقوى و سبيل الهدى والمثل الأعلى والحجّة العظمى والعروة الوثق(٣).

وفي كتاب التوحيد: باسناده إلى أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبته أنا حبل الله المتين و أنا عروة الله الوثق(٤).

وفي كتاب كمال الدين و تمام النعمة: باسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود عن الرضا عليه السلام في حديث طويل نحن حجج الله في خلقه وكلمة التقوى والعروة الوثق(٥).

وفي كتاب معاني الاخبار: باسناده إلى عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٥٨، باب ٣١، فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الاخبار المجموعة، ح٢١٧.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص١٢١، باب ٣٥، ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الاسلام و شرايع الدين، قطعة من حديث١.

(٣) كتاب الخصال: ص٤٣٢، باب العشرة (عشر خصال جمعها الله عزّوجل لنبيّه وأهل بيته صلوات الله عليهم) قطعة من حديث١٤.

(٤) كتاب التوحيد: ص١٦٤، باب ٢٢، معنى جنب الله عزّوجلّ قطعة من حديث٢.

(٥) كتاب كمال الدين وتمام النعمة: ص٢٠٢، باب ٢١، العلّة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام عليه السلام الحديث٦.

عليه وآله: من أحبّ أن يستمسك بالعروة التي لا انفصام لها فليستمسك بولاية أخي ووصيي علي بن أبي طالب فإنّه لا يهلك من أحبه وتولاه ولا ينجو من أبغضه وعاداه(١).

و ذكر صاحب نهج الايمان(٢) في معنى هذه الآية ما هذا لفظه: روى أبوعبدالله الحسين بن جبير رحمه الله في كتاب نخب المناقب لآل أبي طالب(٣) حديثاً مسنداً إلى الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يستمسك بالعروة الوثقى فليستمسك بحبّ علي بن أبي طالب(٤).

واعلم أنّ ما ذكر في الأخبار من تفسير العروة الوثقى، تارة بحبّ أهل البيت، و تارة با الأئمّة، و تارة بولاية الأئمة، و تارة بالنبيّ، و تارة بأمير المؤمنين. مؤدّاة واحدة.

وكذا ما رواه في عيون الأخبار بإسناده إلى الرضا عليه السلام: إنّه ذكر القرآن يوماً و عظم الحجّة فيه، والآية والمعجزة في نظمه، فقال: هو حبل الله المتين و عروته الوثقى و طريقته المثلى(٥).

لا ينافي ما سبق من الأخبار، لأنّ كلّاً منها يستلزم الآخر، إذ المراد بالمحبّة والولاية ما هو بالطريق المقرّر في القرآن.

---

(١) معاني الأخبار: ص٣٦٨، باب معنى العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ح١.

(٢) هو الشيخ علي بن يوسف الشهير بابن جبير وسبط ابن جبير، له كتاب نهج الإيمان في الإمامة والمناقب، رتّبه في ٤٨ فصلاً، جمعه المؤلف من ألف كتاب، كما صرّح بذلك في أوّله. و ابن جبير هذا حفيد ابن جبير صاحب نخب المقال.

(الذريعة: ج٢٤، ص٤١١، تحت رقم ٢١٦٩)

(٣) الناخب هو أبوعبدالله الحسين بن جبير تلميذ نجيب الدين علي بن فرج الذي كان تلميذ ابن شهر اشوب المؤلف، و ابن جبير هذا هو جدّ علي بن يوسف المعروف بسبط ابن جبير و مؤلف نهج الإيمان، له كتاب المناقب لآل أبي طالب وهو منتخب في مناقب آل أبي طالب تصنيف محمد بن علي بن شهراشوب.

(الذريعة: ج٢٤، ص٨٨، تحت رقم ٤٦٢)

(٤) مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٧٦، فصل في أنّه حبل الله والعروة الوثقى وصالح المؤمنين، والأذن الواعية، والنبأ العظيم.

(٥) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص١٣٠، باب ٣٥، ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الاسلام و شرايع الدين، قطعة من حديث٩.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ: لا انقطاع لها، يقال: فصمته فانفصم، إذا كسرته.

وَٱللَّهُ سَمِيعٌ: بالأقوال.

عَلِيمٌ: بالنيّات و ساير الأعمال، وهو وعد للكافر بالطاغوت، و تهديد لغيره.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ: محبّهم أو متولّي أمرهم. والمراد بالذين آمنوا، الذين كفروا بالطاغوت و آمنوا بالله بمعنى ذكرناه.

يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ: أي ظلمات الذنوب.

إِلَى ٱلنُّورِۖ: إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كلّ إمام عادل كما يأتي في الخبر، أو يخرجهم بالإيمان من الظلمات التي فيها غيرهم إلى نور الايمان، أي يجعل لهم نوراً ليس لغيرهم.

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبدالله، عن أبيه، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: المؤمن ينقلب في خمسة من النور، مدخله نور ومخرجه نور

و علمه نور و كلامه نور و منظره يوم القيامة إلى النور(١).

أو يخرجهم من ظلمات الجهل و اتّباع الهوى والوساوس، والشبه المؤدية إلى الكفر،(إلى النور إلى الهدى الموصل إلى الإيمان.

والجملة خبر بعد خبر، أو حال من المستكن في الخبر، أو من الموصول، أو منها، أو إستيناف مبيّن أو مقرّر للولاية.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ : في روضة الكافي: سهل، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام(والذين كفروا: اوليائهم الطواغيت)(٢).

قيل: الشياطين، أوالمضلات من الهوى والشياطين، وغيرهما.

و على الخبر الذي سبق: الظالمون لآل محمد حقّهم والذين كفروا أشياعهم.

يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ : من النور الذي منحوه بالفطرة إلى الكفر فساد الإستعداد، أو من نور البيّنات إلى ظلمات الشكوك والشبهات.

أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ : وعيد و تحذير

وفي تفسير العياشي: عن مسعدة بن صدقة، قال: قصّ أبوعبدالله عليه السلام: قصّة الفريقين جميعاً في الميثاق حتى بلغ الاستثناء من الله في الفريقين، فقال: إنّ الخير والشرّ خلقان من خلق الله له فيهما المشيّة في تحويل ما شاء الله فيما قدر فيها حال عن حال، والمشيّة فيما خلق لها من خلقه في منتهى ما قسمّ لهم من الخير والشرّ، و ذلك إنّ الله قال في كتابه: «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات» فالنور هم آل محمد والظلمات عدوهم(٣).

وعن مهزم الأسدي قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: قال الله تبارك

---

(١) كتاب الخصال: ص٢٧٧، باب الخمسة (المؤمن ينقلب في خمسة من النور)، ح٢٠.

(٢) الكافي: ج٨، ص٢٨٩، ح٤٣٦.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٣٨، ح٤٦١.

و تعالى: «لأعذبنّ كلّ رعيّة دانت بإمام ليس من الله و إن كانت الرعيّة في أعمالها برّة تقيّة، و لأغفرنّ عن كلّ رعيّة دانت بكلّ إمام من الله و إن كانت الرعيّة في أعمالها سيّئة» ، قلت: فيعفوعن هؤلاء و يعذّب هؤلاء؟ قال: نعم، إنّ الله تعالى يقول:«الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور» .

ثم ذكر الحديث الاول، حديث ابن أبي يعفور(١) برواية محمدبن الحسين، وزاد فيه. فأعداء علي أميرالمؤمنين هم الخالدون في النار و إن كانوا في أديانهم على غاية الورع والزهد والعبادة(٢).

وفي أصول الكافي: عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل في طينة المؤمن والكافر. وفيه: أو من كان ميّتا فأحييناه، فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، فكان حياته حين فرّق الله بينهما بكلمته كذلك يخرج الله عزّوجلّ المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها إلى النور، و يخرج الكافرمن النور إلى الظلمة بعد دخوله إلى النور(٣).

و باسناده إلى الباقر عليه السلام في حديث طويل، في شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر يقول فيه عليه السلام: وقد ذكر نزول الملائكة بالعلم فان قالوا من سماء إلى سماء، فليس في السماء أحد يرجع من طاعة إلى معصية، فإن قالوا: من سماء إلى أرض و أهل الأرض أحوج الخلق إلى ذلك، فقل لهم: فهل لهم بدّ من سيد يتحاكمون إليه، فان قالوا: فإنّ الخليفة هو حكمهم،فقل: «الله ولـي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور» إلى قوله :«هم فيهاخالدون»لعمري مافي الأرض ولا في السماء ولّي لله عزّ ذكره إلّا وهومؤيّد، ومن أيّده الله لم يخط، وما في الأرض عدو لله عزّ ذكره إلّا وهو مخذول، ومن خذل لم يصب، كما أنّ الأمر لا بدّ من تنزيله

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٣٨، ح٤٦٠، عن عبدالله بن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي أخالط الناس فيكثرعجبي من أقوام لا يتولّونكم إلى آخره والحديث طويل.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٣٩، ح٤٦٢ وتمام الحديث: (والمؤمنون بعلي عليه السلام هم الخالدون فى الجنّة و ان كانوا في اعمالهم (سيّئة) على ضد ذلك).

(٣) الكافي: ج٢، ص٤، كتاب الايمان والكفر، باب طينة المؤمن والكافر قطعة من حديث٧.

من السماء يحكم به أهل الأرض كذلك لا بدّ من وال(١).

عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبدالعزيز العبدي، عن عبدالله بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي أُخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولّونكم و يتولّون فلاناً و فلاناً، لهم أمانة وصدق و وفاء، و أقوام يتولونكم ليس لهم تلك الأمانة، ولا الوفاء والصدق، قال: فاستوى أبوعبدالله عليه السلام جالساً، فأقبل عليّ كالغضبان، ثم قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عُتب على من دان الله بولاية إمام عادل، قلت: ولا دين لأُولئك ولا عُتب على هؤلاء؟ قال: نعم لا دين لاولئك ولا عُتب على هؤلاء، ثم قال: الا تسمع لقول الله عزّوجلّ: «الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور» يعني ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كلّ امام عادل من الله عزّوجلّ، وقال: «والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات» قال: قلت: اليس الله عنى بها الكفار حين قال: «والذين كفروا» قال: فقال: و أي نور للكافر وهو كافر فأُخرج منه إلى الظلمات كذا في تفسير العياشي(٢) إنّما عنى الله بهذا: إنّهم كانوا على نور الاسلام، فلّما أن تولّوا كلّ إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم من نورالاسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار مع الكفّار، فأُولئك أصحاب النارهم فيها خالدون(٣).

وفي أمالي شيخ الطائفة قدّس سرّه بإسناده إلى عليّ عليه السلام عن النبيّ صلّى الله عليه وآله انّه تلاهذه الآية:«فأولئك أصحاب النارهم فيها خالدون» قيل: من أصحاب النار يا رسول الله؟ قال: من قاتل علياً بعدي فاولئك أصحاب النار

---

(١) الكافي: ج١، نهاية، ص٢٤٥، كتاب الحجة، باب في شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر و تفسيرها قطعة من حديث١ وهو طويل.

(٢) أي ما بين القوسين زائد من تفسير العياشي وليس في الاصول كما أشار إليه المصنّف بقوله (كذا في تفسير العياشي).

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٣٨، ح٤٦٠. والكافي: ج١، ص٣٠٧، كتاب الحجة باب فيمن دان الله عزّوجلّ بغير إمام من الله جل جلاله، ح٣.

مع الكفّار فقد كفروا بالحقّ لمّا جائهم(١).

أَلَمْ تَرَ : تعجيب.

إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ : وهو نمرود.

أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ : لأن آتاه، أي أبطره إيتاه الملك .و حمله على المحاجّة، أوحاجّ لأجله شكراً له على طريق العكس، كقولك عاديتني لأن أحسنت إليك ، أو وقت أن آتاه الله الملك .

قيل: وهو حجّة على من منع إيتاء الله الملك الكافر.

وفيه إحتمال كون معنى الإيتاء التخلية، فلا يكون حجّة عليه.

وفي كتاب الخصال: عن محمدبن خالد باسناده رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: ملك الارض كلّها أربعة، مؤمنان وكافران. فأمّا المؤمنان فسليمان بن داود و ذوالقرنين. و أمّا الكافران نمرود و بخت نصر(٣/٢).

وفي تفسير العياشي عن أبي بصير قال: لما دخل يوسف على الملك قال له: كيف أنت يا إبراهيم؟ قال: أنا لست بابراهيم، أنا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم قال: وهو صاحب إبراهيم الذي حاجّ إبراهيم في ربّه، قال: فكان أربعماءة سنة شاباً(٤).

وفي مجمع البيان: واختلف في وقت المحاجّة، قيل: بعد إلقائه في النار وجعلها برداً و سلاماً عن الصادق عليه السلام(٥).

---

(١) امالي الطوسي: ج١، ص٣٧٤، الجزء الثالث عشر، و تمام الحديث (ألا و إنّ عليّا منّي فمن حاربه فقد حاربني و أسخط ربّي ثم دعا عليّاً فقال: يا علي حربك حربي، و سلمك سلمي،و أنت العلم فيما بيني و بين أُمتي).

(٢) بخت: اصله بوخت ومعناه ابن ونصر : كبقم صنم (نقلا عن هامش بحارالأنوار:ج١٤ص٣٥١ باب ٢٥ قصص ارميا و دانيال وعزير و بخت‌نصر).

(٣) كتاب الخصال: ص٢٥٥، باب الأربعة ملك الأرض كلّها أربعة مؤمنان وكافران، ح١٣٠ و تمام الحديث «واسم ذي القرنين عبدالله بن ضحاك بن معد».

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص١٣٩ في تفسيره لقوله تعالى (ربي الذي يحيي و يميت) ح٤٦٤.

(٥) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٣٦٧ في تفسيره لآية ٢٥٨ من سورة البقرة.

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ظرف لحاجّ، أو بدل من أن آتاه على الوجه الثاني.

رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ: تخلق الحياة والموت في الأجساد.

وقرأ حمزة ربّ بحذف الياء(١).

قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ: بالعفو عن القتل، والقتل.

و قرأ نافع أنا بالألف(٢).

قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ: أعرض إبراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة إلى الإحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه، دفعاً للمشاغبة، فهو في الحقيقة عدول عن مثال خفيّ إلى مثال جليّ، من مقدوراته التي يعجز بها غيره، لا من حجّة إلى أخرى، ولعلّ نمرود يزعم أنّه يقدر أن يفعل كل فعل يفعله الله، فنقضه إبراهيم عليه السلام بذلك، و إنّما حمله عليه بطر الملك وحماقته.

فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ: فصار مبهوتاً.

و قرئ (فبهت) أي فغلب إبراهيم الكافر.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ: الذين ظلموا أنفسهم بالإمتناع عن قبول الهداية، وقيل: لا يهديهم محجّة الإحتجاج، أو سبيل النجاة، أو طريق النجاة يوم القيامة.

في روضة الكافي: علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن أحمدبن محمدبن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن حجر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خالف ابراهيم صلّى الله عليه قومه و عاب آلهتهم حتّى ادخل على نمرود فخاصمهم، فقال ابراهيم: (ربّى الذي يحيي) إلى آخر الآية(٣) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

و في كتاب ثواب الأعمال: باسناده إلى حنان بن سدير قال: حدّثني رجل من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول: إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة سبعة نفر، أوّلهم ابن آدم الذي قتل أخاه، و نمرود الذي حاجّ إبراهيم في

(١و٢) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٣٥.

(٣) الكافي: ج٨، ص٣٦٨، قطعة من حديث ٥٥٩.

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

(١) الحديث يأتي بقيّته.

وفيه باسناده إلى اسحاق بن عمّار الصيرفي، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام في حديث طويل يقول في آخره: و إنّ في جوف تلك الحيّة سبع صناديق فيها خمسة من الأمم السالفة و اثنان من هذه الأُمّة، قال: قلت جعلت فداك : ومن الخمسة ومن الا ثنان؟ قال: أمّا الخمسة فقابيل الذي قتل هابيل، و نمرود الذي حاجّ إبراهيم في ربّه قال أنا أُحيي و أُميت، و فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى، و يهودا الذي هوّد اليهود، و بولس الذي نصّر النصارى، ومن هذه الأُمّة أعرابيّان(٢).

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ : تقديره أو رأيت، فحذف لدلالة (ألم تر) عليه، و تخصيصه بحرف التشبيه، لأنّ المنكر للاحياء كثير، والجاهل بكيفيته أكثر من أن

---

(١) ثواب الاعمال: ص٢١٤، كتاب عقاب الاعمال،عقاب ابن آدم الذي قتل أخاه،و نمرود الذي حاجّ إبراهيم.

(٢) ثواب الأعمال ص٢١٥ كتاب عقاب الأعمال عقاب ابن آدم الذي قتل أخاه، و نمرود الذي حاج ابراهيم.

يحصى، بخلاف مدّعي الربوبية.

وقيل: الكاف مزيدة، و تقدير الكلام: ألم تر إلى الذي مرّ.

وقيل: أنّه عطف محمول على المعنى، كأنّه قيل: ألم تر كالذي حاجّ، أو كالذي مرّ.

وقيل: إنّه من كلام ذكره جواباً لمعارضته، تقديره: أو إن كنت تحيي فاحي كإحياء الله.

و يؤيّده ما روي عن الصادق عليه السلام: إنّ إبراهيم قال له: أحي من قتلته إن كنت صادقا(١).

قال البيضاوي: الذي مرّ عزير بن شرحيا، أو الخضر، أو كافر بالبعث و يؤيّده نظمه مع نمرود(٢)

وفي مجمع البيان: أو كالذي مرّ، هو عزير، و هو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام. وقيل: هو أرميا، و هو المروي عن أبي جعفر عليه السلام(٣).

أقول: أمّا ما روي أنّه عزير فما روي عن علي عليه السلام أنّ عزيراً خرج من أهله و امرأته حامل وله خمسون سنة، فأماته الله ماءة سنة ثم بعثه، فرجع إلى أهله ابن خمسين وله ابن له ماءة سنة، فكان ابنه أكبر منه، فذلك من آيات الله(٤).

وما رواه في كتاب كمال الدين و تمام النعمة بإسناده إلى محمّد بن إسماعيل القرشي، عمّن حدّثه، عن اسماعيل بن أبي رافع، عن أبيه، عن النبي صلّى الله عليه وآله في حديث طويل وقد ذكر بخت نصر و أنّه قتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريا وخرّب بيت المقدس و تفرّقت اليهود في البلدان، وفي سبعة و أربعين سنة من ملكه بعث الله عزّوجلّ العزير نبيّاً إلى أهل القرى التي أمات الله عزّوجلّ أهلها ثم بعثهم له، و كانوا من قرى شتّى فهربوا فرقاً من الموت فنزلوا في

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص٣٦٧ في تفسيره لآية ٢٥٨ من سورة البقرة.

(٢) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٣٥.

(٣) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص ٣٧٠ في تفسيره لآية ٢٥٩ من سورة البقرة.

(٤) رواه في مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص٣٧٠ في بيان المعنى لآية ٢٥٩، من سورة البقرة.

جوار عزير و كانوا مؤمنين وكان عزير يختلف إليهم و يسمع كلامهم و إيمانهم و أحبّهم على ذلك و آخاهم عليه، فغاب عنهم يوماً واحداً ثم أتاهم فوجدهم موتى صرعى فحزن عليهم و قال: أنّى يحيي هذه الله بعد موتها، تعجّباً منهم حيث أصابهم وقد ماتوا أجمعين في يوم واحد، فأماته الله عزّوجلّ عند ذلك ماءة عام، فهي ماءة سنة، ثم بعثه الله و إيّاهم وكانوا ماءة ألف مقاتل، ثم قتلهم الله عزّوجلّ أجمعين لم يفلت منهم أحد على يدي بخت نصر(١).

وما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره: قال: حدّثني أبي عن إسماعيل بن أبان، عن عمربن عبدالله الثقفي قال: أخرج هشام بن عبدالملك أباجعفر محمدبن علي عليه السلام من المدينة إلى الشام فأنزله معه، وكان يقعد مع الناس في مجالسهم، فبينا هو قاعد و عنده جماعة من الناس يسألونه إذ نظر إلى النصارى يدخلون في جبل هناك ، فقال: ما لهؤلاء القوم؟ ألهم عيد اليوم؟ فقالوا: لا يابن رسول الله، لكنّهم يأتون عالماً في هذا الجبل في كلّ سنة في هذا اليوم، فيخرجونه فيسألونه عمّا يريدون وعمّا يكون في عامهم، فقال أبوجعفر عليه السلام: وله علم؟ فقالوا: هو من أعلم الناس قد أدرك أصحاب الحواريين من أصحاب عيسى عليه السلام قال: فهل نذهب إليه؟ فقالوا: ذلك إليك يابن رسول الله قال: فقنّع أبوجعفر عليه السلام رأسه بثوبه ومضى هو و أصحابه، فاختلطوا بالناس حتى أتوا الجبل، فقعد أبوجعفر وسط النصارى هو وأصحابه فأخرج النصارى بساطاً ثم وضعوا الوسائد، ثم دخلوا فأخرجوه، ثم ربطوا عينيه، فقلّب عينيه كأنّهما عيني أفعى، ثم قصد أباجعفر فقال: يا شيخ أمنّا أنت أم من الأمّة المرحومة؟ فقال أبوجعفر: بل من الأمّة المرحومة، فقال: أمن علمائهم أم من جهّالهم؟ قال: لست من جهّالهم، فقال النصراني: إنّي أسألك أم تسألني؟ فقال أبوجعفر عليه السلام: سلني فقال النصراني: يا معشر النصارى رجل من أمة محمّد يقول: سلني، إنّ هذا لعالم بالمسائل، ثم قال: يا عبدالله

---

(١) كمال الدين و تمام النعمة: ص٢٢٦، الباب الثاني والعشرون، باب اتّصال الوصيّة من لدن آدم عليه السلام و أنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله عزوجلّ على خلقه إلى يوم القيامة، قطعة من حديث٢٠.

أخبرني عن ساعة ماهي من الليل ولا هي من النهار أي ساعة هي؟ فقال له أبوجعفر عليه السلام: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، إلى أن قال النصراني: فأسألك أو تسألني؟ قال أبوجعفر عليه السلام: سلني، فقال: يا معشر النصارى والله لأسئلنه مسألة يرتطم فيها كما يرتطم الحمار في الوحل، فقال له: سل، فقال: أخبرني عن رجل دنا من امرأته فحملت باثنين، حملتهما جميعاً في ساعة واحدة و ولدتهما في ساعة واحدة، وماتا في ساعة واحدة، و دفنا في قبر واحد، عاش أحدهما خمسين و ماءة سنة وعاش الآخر خمسين سنة من هما؟ فقال أبوجعفر: هما عزير و عزرة، كانا حملت أمّهما بهما على ما وصفت، و وصفتهما على ما وصفت، وعاش عزير و عزرة كذا وكذا مبنة، ثم أمات الله عزيراً ماءة سنة ثم بعث الله عزيراً فعاش مع عزرة هذه الخمسين سنة وماتا كلاهما في ساعة واحدة، فقال النصراني: يا معشر النصارى ما رأيت بعيني قط أعلم من هذا الرجل لا تسألوني عن حرف وهذا بالشام، ردّوني، فقال: فردّوه في كهفه و رجع النصارى مع أبي جعفر(١).

وما رواه العياشي في تفسيره، عن علي بن محمد العلوي، عن علي بن مرزوق، عن ابراهيم بن محمد قال: ذكر جماعة من أهل العلم: إنّ ابن الكوا قال لعلي عليه السلام: ما ولد أكبر من أبيه من أهل الدنيا؟ قال: أولئك ولد عزير حين مرّ على قرية خربة وقد جاء من ضيعة له تحته حماره، و معه سلّة فيهاتين ،وكوزفيه عصير مرّ على قرية خربة فقال: «أنّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله ماءة عام» فتوالد ولده و تناسلوا، ثم بعث الله إليه فأحياه في المولد الذي أماته فيه، أولئك ولده أكبر من أبيهم(٢).

و أمّا ما يدلّ على أنّه ارميا.

فما رواه العياشي أيضا في تفسيره، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنّى يحيي هذه

---

(١) تفسير علي بن ابراهيم: ج١، ص٩٨، في تفسيره لآية (زين للناس حب الشهوات) من سورة آل عمران.

(٢) تفسيرالعياشي: ج١، ص١٤١، ح٤٦٨.

الله بعد موتها» فقال: إنّ الله بعث على بني إسرائيل نبيّا يقال له ارميا فقال لهم: ما بلد تنقّيته من كرائم البلدان، و غرس فيه من كرائم الغرس و نقيته من كلّ غريبة، فأخلف فانبت خرنوباً(١) قال: فضحكوا و استهزؤوا به، فشكاهم إلى الله، قال: «فأوحى الله إليه أن قل لهم: إنّ البلد بيت المقدس والغرس بنوا اسرائيل، تنقّيته من كل غرس و نحّيت عنهم كل جبّار، فأخلفوا فعملوا المعاصي، فلأسلطنّ عليهم في بلدهم من يسفك دمائهم و يأخذ أموالهم، فإن بكوا لي لم أرحم بكائهم و إن دعوا لم أستجب دعائهم، فشلتهم و فشلت ثم لأخربنّها مأة عام، ثم لاعمرنّها، فلمّا حدّثهم جزعت العلماء فقالوا: يا رسول الله ما ذنبنا نحن، ولم نكن نعمل بعملهم، فعاود لنا ربّك، فصام سبعاً فلم يوح إليه شيء، فأكل أكلة ثم صام سبعاً فلم يوح إليه شيء فأكل أكلة ثم صام سبعاً، فلمّا أن كان اليوم الواحد والعشرين، أوحى الله إليه لترجعنّ عمّا تصنع، أتراجعني في أمر قضيته أو لأردّن وجهك على دبرك، ثم أوحى إليه قل لهم: لانكم رأيتم المنكر فلم تنكروه، فسلّط الله عليهم بخت نصر، فصنع بهم ما قد بلغك، ثم بعث بخت نصر إلى النبي فقال: إنّك قد نبئت عن ربّك وحدّثتهم بما أصنع بهم، فإن شئت فأقم عندي و إن شئت فاخرج فقال: لابل أخرج، فتزوّد عصيراً وتيناً وخرج، فلّما أن غاب مدّ البصر التفت إليها فقال: «أنّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله ماءة عام» أماته غدوة و بعثه عشيّة قبل أن تغيب الشمس، وكان أوّل شيء خلق منه عيناه في مثل غرقئ البيض(٢) ثم قيل

---

(١) والخروب بالضم والتشديد: نبت معروف، والخرنوب بالنون لغة فيه، مجمع البحرين: ج٢، ص٥٣، في لغة (خرب).

(خرنب) قال الازهري في الرباعي: الخروب والخرنوب شجر ينبت في جبال الشام له حبّ كحب الينبوت، يسمّيه صبيان أهل العراق القثاء الشامي، وهو يابس أسود. لسان العرب: ج١، ص٣٥١، في لغة خرنب.

(٢) والغرقئ كزبرج: القشرة الملتزقة ببياض البيض، أوالبياض الذي يؤكل، ومنه حديث لسفيان الثوري حين دخل على أبي عبدالله عليه السلام فرأى عليه ثياباً كأنّها غرقئ البيض، قال الفراء همزته زائدة، مجمع البحرين: ج٥، ص٢٢٢، في لغة غرق.

له: «كم لبثت قال لبثت يوماً» فلمّا نظر إلى الشمس لم تغب قال: «أو بعض يوم قال: بل لبثت ماءة عام فانظر إلى طعامك و شرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك و لنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً»، قال: فجعل ينظر إلى عظامه كيف يصل بعضها إلى بعض، و يرى العروق كيف تجري، فلمّا استوى قائماً قال: «أعلم أنّ الله على كل شيء قدير» وفي رواية هارون فتزوّد عصيراً ولبناً(١).

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وآله هكذا: ألم تر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلمّا تبيّن له، قال: ما تبيّن لرسول الله إنّها في السماوات قال رسول الله: أعلم أنّ الله على كل شيء قدير، سلّم رسول الله للرب و آمن، بقول الله: فلمّا تبيّن له قال: أعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير(٢).

وما رواه الشيخ الطبرسي في احتجاجه: عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل يقول فيه عليه السلام: و أمات الله ارميا النبي الذي نظر إلى خراب بيت المقدس وما حوله حين غزاه بخت نصر، فقال: «أنّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله ماءة عام ثم أحياه» و نظر إلى أعضائه كيف يلتئم وكيف يلبس اللحم، و إلى مفاصله و عروقه توصل، فلمّا استوى قاعداً قال: «أعلم أنّ الله على كل شي قدير»(٣).

وما رواه علي بن ابراهيم في تفسيره: قال: حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما عملت

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٤٠، ح٤٦٦.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٤١، ح٤٦٧.

(٣) الاحتجاج: ج٢، ص٣٤٤، احتجاج أبي عبدالله الصادق عليه السلام في أنواع شتّى من العلوم الدينيّة على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات

بنوا اسرائيل المعاصي وعتوا عن أمر ربّهم، أراد الله أن يسلّط عليهم من يذلّهم و يقتلهم، فأوحى الله إلى ارميا، يا ارميا ما بلد انتخبته من بين البلدان و غرست فيه من كرائم الشجر، فأخلف فأنبت خرنوباً، فأخبر ارميا أحبار بني اسرائيل، فقالوا له: راجع ربّك ليخبرنا ما معنى هذا المثل؟ فصام ارميا سبعاً، فأوحى إليه يا ارميا، أمّا البلد فبيت المقدس، و أمّا الغرس فاسرائيل و كرائم ولده، و أمّا ما أنبت فيها فبنوا اسرائيل الذين أسكنتهم فيها، فعملوا بالمعاصي وغيّروا ديني و بدّلوا نعمتي كفراً، في حلفت لأمتحننّهم بفتنة يظلّ الحكيم فيه حيراناً ولأسلّطنّ عليهم شرّعبادي ولادة و شرّهم مطعماً، و ليسلّطنّ عليهم بالجبريّة، فيقتل مقاتلهم، و يسبي حريمهم و يخرّب بيتهم الذي يعتزّون به، و يلقي حجرهم الذي يفتخرون به على الناس في المزابل مائة سنة. و أخبر ارميا أحبار بني اسرائيل، فقالوا: راجع ربّك فقل له: ما ذنب الفقراء والمساكين والضعفاء، فصام ارميا سبعاً ثم أكل أكلة فلم يوح إليه شيء، ثم صام سبعاً فأكل أكلة فلم يوحى إليه شيء، ثم صام سبعاً فأوحى الله إليه يا ارميا لتكفنّ عن هذا أو لأردّن وجهك إلى قفاك ، قال: ثم أوحى الله إليه قل لهم لأنكم رأيتم المنكر فلم تنكروه، فقال ارميا: ربّ أعلمني من هو حتّى آتيه و آخذ لنفسي و أهل بيتى منه أماناً؟ فقال: أئت موضع كذا وكذا فانظر إلى غلام أشدّهم زمناً، و أخبثهم ولادة، و أضعفهم جسماً، و أشرّهم غذاءً فهو ذاك ، فأتى ارميا ذلك البلد فإذا هو بغلام في خان زمن ملقٍ في مزبلة وسط الخان،و إذاامّه تربي(١) بالكسر وتفت الكسر في قصعة وتحلب عليه لبن خنزيرة لها، ثم تدنيه من ذلك الغلام فيأكله، فقال ارميا: إن كان في الدنيا الذي وصفه الله فهو هذا، فدنا منه فقال: ما اسمك؟ فقال: بخت نصر، فعرف انّه هو، فعالجه حتّى برء، ثم قال: لا تعرفني؟ قال: لا أنت رجل صالح قال: أنا ارميا نبيّ بني اسرائيل، أخبرني الله أنّه سيسلّطك على بني إسرائيل فتقتل رجالهم، و تفعل بهم

---

(١) الزبيه: حفيرة يشتوى فيها و يختبز، و زبّي اللحم وغيره: طرحه فيها. لسان العرب: ج١٤، ص٣٥٣.

كذا وكذا، فتاه الغلام في نفسه في ذلك الوقت، ثم قال ارميا: اكتب لي كتاباً بأمان منك، فكتب له كتاباً، و كان يخرج إلى الجبل و يحتطب و يدخل المدينة، فدعا إلى حرب بني إسرائيل وكان مسكنهم في بيت المقدس، فأجابوه، و أقبل بخت نصر فيمن أجابه نحو بيت المقدّس، وقد اجتمع عليه بشر كثير، فلمّا بلغ ارميا إقباله نحو بيت المقدس، استقبله على حمار له و معه الأمان الذي كتبه له بخت نصر، فلم يصل إليه ارميا من كثرة جنوده و أصحابه. فصيّر الأمان على خشبة و رفعها، فقال: من أنت؟ فقال: أنا ارميا النبيّ الذي بشّرتك بأنّك سيسلّطك الله على بني اسرائيل وهذا أمانك لي، قال: أمّا أنت فقد أمنتك، و أمّا أهل بيتك فانّي أرمي من ههنا إلى بيت المقدس، فإن وصلت رميتي إلى بيت المقدّس فلا أمان لهم عندي و إن لم تصل فهم آمنون، و انتزع قوسه و رمى نحو بيت المقدس فحملت الريح النشابة حتّى علقتها في بيت المقدس، فقال لهم: لا أمان لهم عندي.

فلمّا وافى، نظر إلى جبل من تراب وسط المدينة، و إذا دم يغلي وسطه كلّما اُلقي عليه التراب خرج وهو يغلي، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا دم نبيّ كان لله فقتله ملوك بني إسرائيل و دمه يغلي كلّما ألقينا عليه التراب خرج يغلي.

فقال بخت نصر: لأقتلنّ بني اسرائيل أبداً حتّى يسكن هذا الدم. وكان ذلك الدم دم يحيى بن زكريا وكان في زمانه ملك جبّار يزني بنساء بني إسرائيل، وكان يمرّ بيحيى بن زكريا، فقال له يحيى: اتق الله أيّها الملك لا يحلّ لك هذا، فقالت له امرأة من اللواتي التي كان يزني بهنّ حين سكر: أيّها الملك اقتل يحيى، فأمر أن يؤتى برأسه فأُتى برأس يحيى في طشت، وكان الرأس يكلّمه و يقول: يا هذا اتّق الله لا يحلّ لك هذا، ثم غلى الدم في الطشت حتّى فاض إلى الارض فيخرج يغلي ولا يسكن. وكان بين قتل يحيى و بين خروج بخت نصر ماءة سنة، فلم يزل بخت نصر يقتلهم، وكان يدخل قرية قرية فيقتل الرجال والنساء والصبيان وكل حيوان والدم يغلي ولا يسكن حتّى أفناهم.

ثم قال: هل بقي أحد في هذه البلاد؟ قالوا: عجوز في موضع كذا وكذا، فبعث إليها فضرب عنقها على الدم فسكن وكانت آخر من بقي.

ثم أتى بابل فبنى بها مدينة و أقام وحفر بئراً فألقى فيها دانيال و ألقى معه اللبوة(١) فجعلت اللبوة يأكل طين البئر و يشرب دانيال لبنها فلبث بذلك زماناً، فأوحى الله إلى النبي الذي كان في بيت المقدس أن أذهب بهذا الطعام والشراب إلى دانيال و اقرأه منّي السلام، قال: و أين هو يا رب؟ قال: هو في بئر بابل في موضع كذا وكذا قال: فأتاه فاطّلع في البئر فقال: يا دانيال قال: لبيّك صوت غريب؟ قال: إنّ ربّك يقرئك السلام وقد بعث إليك بالطعام والشراب، فدلّاه إليه قال: فقال دانيال: الحمدلله الذي لا يخيب من دعاه الحمد لله الذي من توكّل عليه كفاه، الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، الحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره، الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً، الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة، الحمد لله الذي يكشف ضرّنا (حزننا) عند كربتنا، الحمدلله الذي هو ثقتنا حين تنقطع الحيل، الحمد لله الذي هو رجاؤنا حين ساء ظنّنا بأعمالنا.

قال: فاؤري بختنصر في نومه كأنّ رأسه من حديد و رجليه من نحاس وصدره من ذهب، قال: فدعى المنجّمين فقال لهم: ما رأيت؟ قالوا: ما ندري ولكن قصّ علينا ما رأيت، فقال: أنا أجري عليكم الأرزاق منذ كذا وكذا ولا تدرون ما رأيت في المنام، فأمر بهم فقتلوا، قال: فقال له بعض من كان عنده، إن كان عند أحد شيء فعند صاحب الجبّ فإنّ اللبوة لم تعرض له وهي تأكل الطين و ترضعه، فبعث إلى دانيال فقال: ما رأيت في المنام؟ قال: رأيت كان رأسك من حديد و رجليك من نحاس و صدرك من ذهب، قال: هكذا رأيت، فما ذاك ؟ قال: قد ذهب ملكك ، و أنت مقتول إلى ثلاثة أيام، يقتلك رجل من ولد فارس، قال: فقال له: إنّ عليّ سبع مدائن على باب كلّ مدينة حرس، وما رضيت بذلك حتّى وضعت بطة من نحاس على باب كلّ مدينة، لا يدخل غريب الآ صاحت

---

(١) واللبوة بضم الباء: الانثى من الأسود والهاء فيها لتاكيد التانيث كما في ناقة، لانّها ليس لها مذكّر حتّى يكون الهاء فارقة و سكون الباء مع الهمزة و إبدالها واواً لغتان فيها (مجمع البحرين: ج١، ص٣٧١، في لغة لبا).

عليه حتّى يؤخذ، قال: فقال له: إنّ الأمر كما قلت لك ، قال: فبثّ الخيل وقال: لا تلقون أحداً من الخلق إلّا قتلتموه كائناً من كان، وكان دانيال جالساً عنده وقال: لا تفارقني هذه الثلاثة أيام، فإن مضت قتلتك ، فلمّا كان اليوم الثالث ممسياً أخذه الغمّ فخرج فتلّقاه غلام كان يخدم ابناً له من أهل فارس وهو لا يعلم أنّه من أهل فارس فدفع إليه سيفه وقال له: يا غلام لا تلقي أحداً من الخلق إلّا وقتلته و إن لقيتني أنا فاقتلني، فأخذ الغلام سيفه فضرب به بخت‌نصر ضربة فقتله.

فخرج ارميا على حماره ومعه تين قد تزّوده و شيء من عصير، فنظر إلى سباع البرّ و سباع البحر و سباع الجوّ تأكل تلك الجيف، ففكّر في نفسه ساعة، ثم قال: أنّى يحيي هذه الله بعد موتها وقد أكلتهم السباع فأماته الله مكانه، وهو قول الله تبارك وتعالى: «أوكا لذي مرّعلىٰ قرية وهي خاوية على عروشهاقال أنّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله ماءة عام ثم بعثه» أي أحياه.

فلمّا رحم الله بني إسرائيل و أهلك بخت‌نصر ردّ بني اسرائيل إلى الدنيا، وكان عزير لمّا سلّط الله بخت نصرعلى بني اسرائيل هرب و دخل في عين و غاب فيها، وبقي ارميا ميّتاً ماءة سنة ثم أحياه الله تعالى، فأوّل ما أحيا منه عينيه في مثل غرقىء البيض، فنظر فأوحى الله تعالى إليه: «كم لبثت قال لبثت يوماً» ثم نظر إلى الشمس وقد ارتفعت فقال: «أو بعض يوم» فقال الله تعالى: «بل لبثت ماءة عام فانظر إلى طعامك و شرابك لم يتسنّه» ـ أي لم يتغيّر ـ وانظر إلى حمارك و لنجعلك آية للناس و انظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما» فجعل ينظر إلى العظام البالية المتفطّرة تجمع إليه و إلى اللحم الذي قد أكلته السباع يتألّف إلى العظام من هاهنا و هاهنا و يلتزق بها حتّى قام وقام حماره فقال: «اعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير»(١).

فقد ظهر لك من تلك الأخبار: أنّ تلك الحكاية وقعت بالنظر إلى عزير و ارميا كليهما، و يمكن أن يكون قوله: «أو كالذي مرّعلى قرية» إشارة إلى كليهما علي

---

(١) تفسير علي بن ابراهيم: ج١، في تفسيره للآية الشريفة من ص٨٦ الى ص٩١.

سبيل البدل، والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر.

وقيل: القرية التي منها الالوف.

وقيل: غيرهما، و اشتقاقها من القرى وهوالجمع.

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا: خالية ساقطة حيطانها على سقوفها.

قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا: اعتراف بالقصور عن معرفة طريق الإحياء، و استعظام لقدرة المحيي و «انّى» في موضع نصب على الظرف بمعنى متى، أو على الحال بمعنى كيف.

فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ: فألبثه ميتاً ماءة عام.

ثُمَّ بَعَثَهُ: بالإحياء.

قَالَ أي الله، وقيل: ملك، أو نبيّ آخر.

كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ: قال قبل النظر إلى الشمس يوماً، ثم التفت فرأى بقية منها فقال أو بعض يوم على سبيل الاضراب.

قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ: لم يتغيّر بمرور الزمان. واشتقاقه من السنة والهاء أصليّة إن قدّر لام السنة هاء، وهاء سكت إن قدّرت واواً. وقيل: أصله لم يتسنّن، من الحمأ المسنون، فأبدلت النون الثالثة حرف علّه كتقضى البازي(١).

و إنّما أفرد الضمير؟ لانّ الطعام والشراب كالجنس الواحد.

وقد سبق في الخبر إنّ طعامه كان تيناً و شرابه عصيراً ولبناً، وكان الكلّ على حاله.

وقرأ حمزة والكسائي (لم يتسن) بغير الهاء في الوصل(٢).

وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ: كيف تفرّقت عظامه، أوانظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته.

(١) في هامش بعض النسخ التي عندنا ما لفظه (التقضض نزول الطير من الجو، و أصله التقضض ابدلت الضاد الأخيرة ياءً) و في الهامش أيضا (فلما اجتمعت ثلاث نونات قلبت الأخيرة ياء ثم أبدلت الياء بالهاء).

(٢) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٣٦.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ: أي وفعلنا ذلك لنجعلك آية.

وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ :يعني عظام الحمار، أو عظام الموتى التي تعجبت من إحيائها، أو عظامه.

كَيْفَ نُنشِزُهَا : كيف يحييها ، او نرفع بعضها إلى بعض ، و (كيف) منصوب بـ (ننشزها) والجملة حال من العظام، أي انظر اليها محياة.

وقرأ ابن كثير و نافع و أبوعمرو و يعقوب ننشرها من أنشرالله الموتى، و قرئ ننشرها من نشرهم، بمعنى أنشرهم(١).

ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ :فاعل تبيّن مضمر، يفسّره ما بعده و تقديره فلمّا تبين له إن الله على كلّ شي قدير.

قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ : فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، أو ما قبله، أي فلمّا تبيّن له ما أشكل عليه. وقرأ حمزة والكسائي قال: إعلم، على الأمر، والأمر مخاطبه، أو هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت(٢).

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ :قيل: إنما سأل ذلك؟ ليصير علمه عيانا.

وقيل: لمّا قال نمرود: أنا أحيي وأميت، قال له: إنّ إحياء الله تعالى بردّ الروح إلى بدنها، فقال نمرود: هل عاينته؟ فلم يقدر أن يقول نعم، و انتقل إلى تقدير آخر ثم

(١و٢) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٣٦.

سأل ربّه أن يريه ليطمئنّ قلبه على الجواب إن سأل عنه مرّة أُخرى.

قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن: بأنّي قادر على الإحياء، قال ذلك له وقد علم أنّه آمن، ليجيب بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه.

قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي: أي بلى آمنت ولكن سألته لأزيد بصيرة بمضامة العيان إلى الوحي.

وفي محاسن البرقي: عنه، عن محمّدبن عبدالحميد، عن صفوان بن يحيى قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله لإبراهيم «أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» أكان في قلبه شك؟ قال: لا كان على يقين ولكنّه أراد من الله الزيادة في يقينه(١).

وفي تفسير العياشي: عن علي بن أسباط، أنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام سئل عن قول الله عزّوجلّ: «قال ولكن ليطمئن قلبي» أكان في قلبه شك؟ قال: لا ولكن أراد الزيادة في يقينه، قال: والجزء واحدة من عشرة(٢).

وفي روضة الكافي: محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمدبن عيسى، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب الخزاز،عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض إلتفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء و نصفها في البرّ، تجيىء سباع البحر فتأكل ما في الماء، ثم ترجع فيشدّ بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، و تجيء سباع البرّ فتأكل منها، فيشدّ بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، فعند ذلك تعجّب إبراهيم ممّا رأى فقال: «ربّ أرني كيف تحي الموتى» قال: كيف تخرج ما تناسل الذي أكل بعضها بعضاً «قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» يعني أرى هذا كما رأيت الأشياء كلها، فـ «قال خذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثم اجعل

---

(١) المحاسن: ص٢٤٧، كتاب مصابيح الظلم من المحاسن باب ٢٩ باب اليقين والصبر في الدين، ح٢٤٩.

(٢) تفسيرالعياشي: ج١، ص١٤٣، ح٤٧٢.

على كلّ جبل منهنّ جزأ» فقطعهنّ و اخلطهنّ كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع التي أكل بعضها بعضاً، فخلط «ثم اجعل على كلّ جبل منهنّ جزأ ثم ادعهنّ يأتينك سعياً» فلمّا دعاهن أجنبه، وكانت الجبال عشرة(١).

قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ : نسراً، و بطاً، و طاووساً، و ديكاً.

و روي: الطاووس، والحمامة، والديك، والهدهد(٢).

و روي: الديك، والحمامة، والطاووس، والغراب(٣).

و خصّ الطير لأنّه أقرب إلى الإنسان، و أجمع لخواص الحيوان. والطير مصدر سميّ به، أو جمع كصحب.

فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ : واضممهن إليك، لتتأمّلها و تتعرّف شأنها، لئلّا يلتبس عليك بعد الإحياء.

وقرأ حمزة و يعقوب فصرهن بالكسر، وهما لغتان، و قرئ فصرّهنّ بضمّ الصاد وكسرها، مشدّدة الراء من صرّه يصرّه إذا جمعه وحضرهن من التصرية، وهي الجمع أيضاً(٤).

ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا: وقرأ أبوبكر جزء بضم الزاي حيث وقع(٥) أي ثم جزهنّ وفرّق باجزائهنّ على الجبال التي بحضرتك.

ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ : بأسمائهنّ.

يَأْتِينَكَ سَعْيًا: مسرعات طيرانا.

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ : لا يعجز عمّا يريد.

حَكِيمٌ : ذو حكمة بالغة في كلّ ما يفعله و يذره.

وفي عيون الأخبار: حدّثنا تميم بن عبدالله بن تميم القرشي، رضي الله عنه

---

(١) روضة الكافي: ص٣٠٥، قطعة من حديث ٤٧٣.
(٢) الخصال: ص٢٦٥، قطعة من حديث ١٤٦.
(٣) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص٣٧٣، في تفسيره لآية ٢٦٠ من سورة البقرة قال وهوالمروي عن أبي عبدالله عليه السلام و رواه السيوطي في الدر المنثور: عن مجاهد في تفسيره للآية الشريفة ج١، ص٣٣٥.
(٤و٥) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٣٧.

قال: حدّثني أبي،عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن علي بن محمد الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام فقال له: يابن رسول الله أليس من قولك أنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله عزّوجلّ «وعصى آدم ربه» إلى أن قال: فأخبرني عن قول إبراهيم: «ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» قال الرضا عليه السلام: إنّ الله تعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: إنّي متخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام أنّه ذلك الخليل فقال: «رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» على الخلّة؟ قال: «فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثم اجعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أنّ الله عزيز حكيم» فأخذ إبراهيم نسراً و بطاً و طاووساً وديكاً فقطّعهنّ و خلطهنّ ثم جعل على كلّ جبل من الجبال التي حوله، وكانت عشرة،منهنّ جزءاً، وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه ثم دعاهنّ بأسمائهنّ ووضع عنده حبّاً وماءً فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان وجاء كل بدن حتّى انضم إلى رقبته و رأسه فخلّى إبراهيم عن مناقيرهنّ فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحبّ وقلن يا نبي الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم: بل الله يحيي و يميت وهو على كل شيء قدير قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن(١).

وفيه في باب استسقاء المأمون بالرضا عليه السلام بعد جري كلام بين الرضا و بين بعض أهل النصب من حجّاب فغضب الحاجب عند ذلك فقال: يابن موسى لقد عدوت طورك و تجاوزت قدرك أن بعث الله تعالى بمطر يقدر وقته لا يتقدّم ولا يتأخّر جعلته آية تستطيل بها، وصولة تصول بها كأنّك جئت بمثل آية الخليل إبراهيم عليه السلام لمّا أخذ رأس الطير بيده و دعا أعضاءها التي كان فرّقها على الجبال فأتينه سعياً وتركّبن على الرؤوس فخفقن وطرن بإذن الله عزّوجلّ، فإن كنت

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١، ص١٩٨، باب ١٥ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام، قطعة من حديث ١.

صادقاً فيما توهم فأُحيي هذين وسلّطهما عليّ، فإنّ ذلك يكون حينئذٍ آية معجزة، فأمّا ماء المطر المعتاد فلست أنت أحقّ بأن يكون جاء بدعائك من غيرك الذي دعا كما دعوت. وكان الحاجب أشار إلى أسدين مصوّرين على مسند المأمون الذي كان مستنداً إليه وكانا متقابلين على المسند، فغضب علي بن موسى الرضا عليه السلام و صاح بالصورتين دونكما الفاجر، فافترساه ولا تبقيا له عيناً ولا أثراً، فوثبت الصورتان وقد عادت أسدين فتناولا الحاجب و رضّاه وهشماه و أكلاه ولحسادمه والقوم ينظرون متحيّرين ممّا يبصرون، فلمّا فرغا أقبلا على الرضا عليه السلام وقالا له: يا وليّ الله في أرضه ماذا تأمرنا أن نفعل بهذا، نفعل به فعلنا هذا، يشيران إلى المأمون، فغشي على المأمون ممّا سمع منهما، فقال الرضا عليه السلام: قفا، فوقفا، ثم قال الرضا عليه السلام: صبّوا عليه ماء ورد و طيّبوه، ففعل ذلك به، و عاد الأسدان يقولان: أتأذن لنا أن نلحقه بصاحبه الذي أفنيناه؟ قال: فإنّ لله عزّوجلّ فيه تدبيراً ممضيه، فقالا: ماذا تأمرنا؟ فقال: عودا إلى مقرّكما كما كنتما، فعادا إلى المسند و صارا صورتين كما كانتا، فقال المأمون: الحمد لله الذي كفاني شرّ حميدبن مهران، يعني الرجل المفترس، ثم قال للرضا عليه السلام: يابن رسول الله هذاالأمر لجدّكم رسول الله صلّى الله عليه وآله ثم لكم ولوشئت لنزلت عنه لك، فقال الرضا عليه السلام: لو شئت لما ناظرتك ولم أسألك، فإنّ الله عزّوجلّ قد أعطاني من طاعة ساير خلقه مثل ما رأيت من طاعة هاتين الصورتين، إلّا جهّال بني آدم، فإنّهم و إن خسروا حظوظهم فلله عزّوجلّ فيه تدبير، وقال: أمرني بترك الاعتراض عليك؟ و إظهار ما أظهر من العمل من تحت يدك كما أمر يوسف بالعمل من تحت يد فرعون، قال: فما زال المأمون ضئيلاً إلى أن قضىٰ في علي بن موسى الرضا ما قضى(١).

وفي كتاب الخصال: عن أبي عبدالله عليه السلام، في قول الله تعالى: «فخذ

---

(١) عيون اخبار الرضا: ج٢، ص١٧١، باب ٤١، استسقاء المأمون بالرضا عليه السلام وما أراه الله عزّوجلّ من القدرة في الاستجابة له، وفي إهلاك من أنكر دلالته في ذلك، قطعة من حديث١.

أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهنّ جزءاً الآية» قال: أخذ الهدهد والصردوالطاووس والغراب فذبحهنّ وعزل رؤوسهنّ ثم نحز أبدانهنّ في المنحاز(١) بريشهن و لحومهنّ و عظامهنّ حتّى اختلطت ثم جزأهنّ عشرة أجزاء على عشرة أجبل ثم وضع عنده حبّاً و ماءً، ثم جعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثم قال: اتين سعياً بإذن الله، فتطاير بعضها إلى بعض اللحوم والريش والعظام حتّى استوت الأبدان كما كانت و عاد كل بدن حتّى التزق برقبته التي فيها رأسه والمنقار، فخلّى إبراهيم عن مناقيرهنّ فوقعنّ فشربنّ من ذلك الماء ولتقطنّ من ذلك الحبّ ثم قلن يا نبي الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم: بل الله يحيي و يميت، فهذا تفسير الظاهر.

قال عليه السلام: و تفسيره في الباطن، خذ أربعة ممّن يحتمل الكلام فاستودعهنّ علمك، ثم ابعثهنّ في أطراف الأرض حججاً على الناس، و إذا أردت أن يأتوك دعوتهم بالإسم الأكبر يأتوك سعياً بإذن الله تعالى(٢).

وفي هذا الكتاب: و روي أنّ الطيور التي أمر بأخذها، الطاوس والنسر والديك والبط(٣).

وفي تفسير العياشي: عن عبدالصمد قال: جمع لأبي جعفر المنصور القضاة، فقال لهم: أوصى رجل بجزء من ماله، فكم الجزء؟ فلم يعلمواكم الجزء و شكّوا فيه، فأبرد بريداً إلى صاحب المدينة أن يسأل جعفربن محمد عليهماالسلام رجل أوصى بجزء من ماله فكم الجزء؟ فقد أشكل ذلك على القضاة فلم يعلموا كم الجزء، فإن هو أخبرك به، و إلّا فاحمله على البريد و وجّهه إليّ، فأتى صاحب

---

(١) النحز: الدق، والمنحاز: الهاون. لسان العرب: ج٥، ص٤١٤.

(٢) الخصال: ص٢٦٤، قول الله عزّوجلّ لإبراهيم: «فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك» ح١٤٦.

(٣) الخصال: ص٦٤، قول الله عزّوجل لإبراهيم: «فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك» ح١٤٦.

المدينة أبا عبدالله عليه السلام فقال له: إنّ أباجعفر بعث إليّ أن أسألك عن رجل أوصى بجزء من ماله، و سأل من قبله من القضاة فلم يخبروه ما هو، وقد كتب إليّ إن فسّرت ذلك له، و إلاّ حملتك على البريد إليه؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: هذا في كتاب الله بيّن، إنّ الله يقول: ممّا قال إبراهيم «رب أرني كيف تحيي الموتى» إلى قوله:«على كلّ جبل منهن جزءاً» كانت الطير أربعة والجبال عشرة، يخرج الرجل من عشرة أجزاء جزءً واحداً، و إنّ إبراهيم دعا بمهراس(١) فدقّ فيه الطير جميعاً، وحبس الرؤوس عنده، ثم أنّه دعا بالذي أمر به فجعل ينظر إلى الريش كيف يخرج، و الى العروق عرقاً عرقاً حتّى تمّ جناحه مستوياً، فأهوى نحو إبراهيم، فقال إبراهيم: ببعض الرؤوس فاستقبله به فلم يكن الرأس الذي استقبله لذلك البدن حتّى انتقل إليه غيره فكان موافقاً للرأس، فتمّت العدّة و تمّت الأبدان(٢).

وفي الخرائج والجرائح: و روي عن يونس بن ظبيان قال: كنت عندالصادق عليه السلام مع جماعة فقلت: قول الله لإبراهيم: «خذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك» أكانت أربعة من أجناس مختلفة أو من جنس واحد؟ قال: أتحبّون أن أريكم مثله؟ قلنا: بلى، قال: يا طاووس، فإذا طاووس طار إلى حضرته، ثم قال: يا غراب، فإذا غراب بين يديه، ثم قال: يا بازي، فإذا بازي بين يديه، ثم قال: يا حمامة فإذا حمامة بين يديه، ثم أمر بذبحها كلّها و تقطيعها ونتف ريشها، و أن يخلط ذلك كلّه بعضه ببعض، ثم أخذ رأس الطاووس فقال: يا طاووس فرأيت لحمه و عظامه وريشه تتميزعن غيرها حتّى التصق ذلك كلّه برأسه وقام الطاووس بين يديه حيّاً ثم صاح بالغراب كذلك و بالبازى والحمامة كذلك فقامت كلّها أحياء بين يديه(٣).

---

(١) المهراس: بكسر الميم حجر مستطيل ينقر ويدق فيه، وقد اُستعير للخشبة التي يدق فيها الحب فقيل لها المهراس من الحجر (المصباح المنير: ص٨٧٦).

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٤٣، ح ٤٧٣.

(٣) الخرايج والجرائح: ص٣٥، الباب السابع في معجزات الامام جعفرالصادق صلوات الله عليه.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ
لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
٢٦٢ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ
أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ٢٦٣

مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ: على تقدير مضاف، أي مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة. وإسناد الإنبات إلى الحبّة مجاز، والمعنى أنّه يخرج منها ساق ينشعب منها سبع شعب، لكلّ منها سنبلة فيها ماءة حبّة.

وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه، وقد يكون في الذرّة والدخن وفي البرّ وفي الأراضي المغلّة(١).

---

(١) قد تصدى أكثر أرباب التفاسير في تفاسيرهم عند وصولهم إلى هذه الآية في هذا التسائل بأنّه ما معنى هذا المثل مع العلم بعدم وجوده في الخارج و أجابوا عنه بأجوبة وجيهة أو غير وجيهة ونحن نذكر بعضها على سبيل الاجمال و نذر النظر والحكم الى القاري الكريم.

مجمع البيان: ومتى قيل: هل رأى في سنبلة ماءة حبّة حتى يضرب المثل بها، فجوابه أنّ ذلك متصور و إن لم ير، إلى أن قال: و ايضا فقد رأى ذلك في الجاورس ونحوه.

الكشاف: فإن قلت: كيف صح هذا التمثيل و الممثّل به غير موجود؟ قلت: بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما، و ربما فرخت ساق البرة في الاراضي القويّة المقلة فيبلغ حبّها هذا المبلغ، ولولم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير.

←

....

أنوار التنزيل و أسرار التأويل: وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه، وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الأراضي المغلة.

التفسير الكبير: للفخر الرازي: فإن قيل: فهل رأيت سنبلة فيها ماءة حبة حتّى يضرب المثل بها؟

قلنا: الجواب عنه من وجوه.

الأوّل: ان المقصود من الآية انّه لو علم انسان يطلب الزيادة والربح أنّه إذا بذر حبّة واحدة أخرجت له سبعماءة حبة، ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه، فكذلك ينبغي لمن طلب الأجر في الآخرة عندالله أن لا يتركه إذا علم أنّه يحصل له على الواحدة عشرة، و ماءة، و سبعماءة. و إذا كان هذا المعنى معقولا سواء وجد في الدنيا سنبلة بهذه الصفة أولم يوجد كان المعنى حاصلاً مستقيماً، و هذا قول القفّال ره وهو حسن جدّاً.

والجواب الثاني: إنّه شوهد ذلك في سنبلة الجاورس، وهذا الجواب في غاية الركاكة.

جامع البيان للطبري: فان قال قائل: وهل رأيت سنبلة فيها ماءة حبّة؟ أو بلغتك؟ فضرب بها مثل المنفق في سبيل الله ماله. قيل: إن يكن ذلك موجوداً فهو ذاك ، و إلّا فجائز أن يكون معناه كمثل سنبلة أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة ماءة حبّة أن جعل الله ذلك فيها. و يحتمل أن يكون معناه في كلّ سنبلة مائة حبّة، يعني أنّها إذا هي بذرت أنبتت مائة حبّة، فيكون ما حدث عن البذر الذي كانمنهامن الماءة حبّة مضافاً إليها، لأنه كان عنها، وقد تأوّل ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل.

التبيان للطوسي: فإن قيل: هل رأى في سنبلة مائة حبّة حتى يضرب المثل بها؟ قيل: عنه ثلاثة أجوبة أوّلها: أنّ ذلك متصوّر فشبّه لذلك و إن لم ير، كما قال إمرء القيس:

«ومسنونة زرق كانياب اغوال»

و قال تعالى: «طلعها كانه رؤوس الشياطين»

الثاني: إنّه قد رأى ذلك في سنبل الدخن.

الثالث: إن السنبلة تنبت مائة حبّة، فقيل فيها على ذلك المعنى، كما يقال: في هذه الحبّة حبّ كثير، والأوّل هوالوجه.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ثم قيل: المراد سنبل الدخن فهو الذي يكون في السنبلة منه هذا العدد قلت: هذا ليس بشيء، فإنّ سنبل الدخن يجيئ في السنبلة منه أكثر من هذا العدد بضعفين و أكثر على ما شاهدناه قال ابن عطيّة: وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبّة، فأمّا في ساير الحبوب فأكثر، ولكن المثال وقع بهذا القدر، ثم أورد ما نقلناه عن الطبري آنفاً.

تفسير أبي السعود: يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الأراضي المغلّة، بل أكثر من ذلك.

روح البيان للشيخ اسماعيل حق: كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الاراضي المغلّة، بل أكثر

⟵

وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ: تلك المضاعفة.

لِمَن يَشَآءُ: بفضله، وعلى حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه.

وفي تفسير علي بن ابراهيم، وقال أبوعبدالله عليه السلام: والله يضاعف لمن يشاء لمن أنفق ماله إبتغاء مرضات الله(١).

وفي كتاب ثواب الأعمال: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا أحسن العبد المؤمن ضاعف الله له عمله بكلّ حسنة سبعمائة ضعف، و ذلك قول الله تعالى: «والله يضاعف لمن يشاء»(٢).

وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ: لا يضيق عليه ما يتفضّل به.

عَلِيمٌ: بنيّة المنفق و إخلاصه.

وفي تفسير العياشي: عن المفضّل بن محمد الجعفي، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله: «حبّة أنبتت سبع سنابل» قال: الحبّة فاطمة صلى الله عليها، والسبعة السنابل، سبعة من ولدها سابعها قائمهم، قلت: الحسن؟ قال: إنّ الحسن إمام من الله مفترض طاعته، ولكن ليس من السنابل السبعة أوّلهم الحسين و آخرهم القائم عليهم السلام فقلت: قوله: في كلّ سنبلة مائة حبّة، قال: يولد الرجل منهم في الكوفة ماءة من صلبه وليس ذلك إلاّ هؤلاء السبعة(٣).

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ: المنّ أن يعتدّ باحسانه

من ذلك.

الميزان للعلامة الطباطبائي المعاصر: ومن أسخف الإشكال ما أورد على الآية. إنّه تمثيل بما لا تحقّق له في الخارج، وهو اشتمال السنبلة على مائة حبّة. وفيه أنّ المثل كما عرفت لا يشترط فيه تحقق مضمونه في الخارج، فالأمثال التخيليّة أكثر من ان تعدّ و تحصى، على أن اشتمال السنبلة على مائة حبّة وإنبات الحبّة الواحدة سبعمائة حبّة ليس بعزيز الوجود هذا ماتيسّر عاجلاً من أقوال المفسرين في ذلك، والله الهادي إلى الصواب.

(١) تفسير علي بن ابراهيم: ج١، ص٩٢.

(٢) ثواب الاعمال: ص ١٦٨، ثواب الاحسان.

(٣) تفسيرالعياشي: ج١، ص١٤٧، ح٤٨٠.

على من أحسن إليه، والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه، و«ثم» للتفاوت بين الإنفاق وترك المنّ والأذى، ولعلّه لم يدخل الفاء عليه.

وقد تضمّن ما اسند إليه معنى الشرط، إيهاماً بأنّهم أهل لذلك و إن لم يفعلوا، فكيف بهم إذا فعلوا.

وفي كتاب الخصال: عن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله كره لكم أيّتها الأمّة أربعاً و عشرين خصلة ونهاكم عنها، إلى قوله: وكره المنّ في الصدقة(١).

عن أبي ذر عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: ثلاثة لا يكلّمهم الله، المنّان الذي لا يعطي شيئاً إلّا بمنة، والمسبل إزاره(٢) والمنفق سلعته بالحلف الفاجر(٣).

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى كره لي ستّ خصال وكرهتهنّ للأوصياء من ولدي و أتباعهم من بعدي، العبث في الصلاة، والرفث في الصوم، والمنّ بعد الصدقة الحديث(٤).

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ: ردّ جميل.

وَمَغْفِرَةٌ: تجاوز عن السائل الحاجة، أو نيل مغفرة من الله بالرّد الجميل، أو عفو عن السائل بأن يعذره و يغتفر ردّه.

خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى: خبر عنهما، و الإبتداء بالنكرة المخصّصة بالصفة.

وَاللَّهُ غَنِيٌّ: عن الإنفاق بمنّ وأذى.

---

(١) كتاب الخصال: ص٥٢٠، ابواب العشرين وما فوقه، النهي عن أربع وعشرين خصلة قطعة من حديث ٩.

(٢) قد تكرّر ذكر الإسبال في الحديث كما ورد فيه ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة المسبل إزاره، هوالذي يطوّل ثوبه و يرسله إلى الأرض إذا مشى، و إنّما يفعل ذلك كبراً واختيالاً النهاية لابن الأثير: ج٢، ص٣٣٩، لغة (سبل).

(٣) الخصال: ص ١٨٤، ثلاثة لا يكلّمهم الله عزّوجلّ، ح٢٥٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٢، في فضل الصدقة ص٤١، ح٣٤، و تمام الحديث (و إتيان المساجد جنباً و التطلّع في الدور و الضحك بين القبور).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

حَلِيمٌ: عن معاجلة من يمنّ و يؤذي.

وقد روي عن النبي صلّى الله عليه وآله أنـه قال: إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألـته حتى يفرغ منه، ثم ردّوا عليه بوقار، ولين، إمّا بذل يسير أو ردّ جميل، فإنّه قد يأتيكـم من ليس بإنس ولا جان ينظر كيف صنيعكم فيما خوّلكـم الله تعالى، رواه في مجمع البيان(١).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ: لا تبطلوا أجرها بكلّ واحد منهما.

وفي مجمع البيـان: روي عـن أبي عـبدالله عليـه السلام قـال: قـال رسول الله صلى الله عـليه وآله: من أسدى إلى مؤمـن معروفاً، ثم آذاه بالكـلام أو منّ عليه فقد أبطل الله صدقته(٢).

وفي تفسير العياشي: عن المفضّل بن صـالح، عن بعض أصحـابه، عن جعفربن محمد و أبي جعفـر عليهما السلام في قـول الله تعالى: «يا أيّها الـذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى» إلى آخـر الآية قال: نـزلت في عثمان وجرت في معاوية و

---

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص ٣٧٥، في بيان المعنى لآية ٢٦٣ من سورة البقرة.

(٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢- ص٣٧٧، في بيان المعنى لآية ٢٦٤ من سورة البقرة.

أتباعهما(١).

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قوله (يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى) لمحمد وآل محمد عليه الصلاة والسلام هذا تاويل قال: نزلت في عثمان(٢).

كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ: كإبطال المنافق الذي يرائي بإنفاقه ولايريد به رضاالله ولا ثواب الآخرة، أو مماثلين الذي ينفق رئاءً، فالكاف في محلّ النصب على المصدر، أوالحال، و (رئاء) نصب على المفعول له أوالحال بمعنى مرائياً، أو المصدر أي إنفاق رئاء.

وفي تفسير العياشي: عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه فلان وفلان ومعاوية وأشياعهم(٣).

فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ: كمثل حجر أملس.

عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ: مطر عظيم القطر.

فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا: أملس نقيّاً من التراب.

لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟: لا ينتفعون بما فعلوا رئاء، ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى، كقوله:

* وإن الذي حانت بفلج دمائهم(٤).

---

(١) تفسيرالعياشي: ج١، ص١٤٧، ح ٤٨٢.

(٢) تفسيرالعياشي: ج١، ص١٤٧، ح٤٨٣.

(٣) تفسيرالعياشي: ج١، ص١٤٨، ح٤٨٤.

(٤) استشهد به في تفسير التبيان: ج١، ص٢٠٨، وقال في معجم البلدان ج٤، ص٢٧٢، في لغة (فلج) ما لفظه (فلج بفتح اوله وسكون ثانيه وآخره جيم الى أن قال: قال أبومنصور: فلج اسم بلد، ومنه قيل لطريق تأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة: طريق بطن فلج، وأنشد للاشهب:

وانّ الذي حانت بفلج دمائهم ... هم القوم كل القوم ياأمّ خالد

هم ساعد الدهر الذي يتّقى به ... وما خير كفّ لا تنوء بساعد

وقال غيره فلج: واد بين البصرة وحمى ضرية من منازل عدي بن جندب الى آخره.

وفي لسان العرب: ج٢، ص٣٤٩، في لغة (فلج) بعد نقل الأقوال فيه، قال: قال الأشهب بن رميلة:

←

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ : إلى الخير والرشاد.

وفي الآية بناءً على ما سبق من الخبر تصريح بكفر فلان وفلان و أشياعهم.

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ : في تفسير العياشي: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله» قال: علي أميرالمؤمنين أفضلهم، وهو ممّن ينفق ماله ابتغاء مرضات الله(١).

وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ : و تثبيتاً بعض أنفسهم على الإيمان، فإنّ المال شقيق

و إن الذي حانت بفلج الى آخره ثم قال: قال ابن بري: النحويون يستشهدون بهذا البيت على حذف النون من الذين لضرورة الشعر.

وفي جامع الشواهد: ص٣٠٢، باب الواو بعده الالف، قال: هو من قصيدة للأشهب بن رميلة النهشلي، وقوله حانت بالحاء المهملة والنون وتاء التأنيث ماض بمعنى هلكت، والمراد منه هنا أنّه ذهبت هدراً لم يثاربه، وفلج كفلس بالفاء والجيم موضع بين مكة والبصرة، وقوله: هم القوم كلّ القوم، أي هم الكاملون في الرجولية، والمشهورون فيها، وأم خالد إسم إمرة.

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٤٨، ح٤٨٦.

الروح، فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله و روحه ثبتها كلّها، أو تصديقاً للإسلام، و تحقيقاً للجزاء مبتداء من أصل أنفسهم، أو تثبيتاً من أنفسهم عن المنّ والأذى، كما رواه العياشي عن أبي جعفر عليه السلام وقال: أُنزلت في علي عليه السلام(١).

كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ : أي و مثل نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع، فإن شجره يكون أحسن منظراً و أزكى ثمراً.

و قرأ ابن عامر وعاصم (بربوة) بالفتح، وقرئ بالكسر، وثلاثتها لغات فيها(٢).

أَصَابَهَا وَابِلٌ : مطر عظيم القطر.

فَآتَتْ أُكُلَهَا: ثمرتها، وقرئ بالسكون للتخفيف.

ضِعْفَيْنِ :نصب على الحال، أي مضاعفا، والضعف المثل، أي مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل.

وقيل: أربعة أمثاله.

وقيل: مثل الذي كان تثمر، كما أُريد بالزوج الواحد في قوله: «من كل زوجين اثنين»(٣).

فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ: أي فيصيبها طلّ، أو فالذي يصبها.

فَطَلٌّ : أو فطلّ يكفيها، لكرم منبتها و برودة هوائها، لارتفاع مكانها.

و«الطلّ» ما يقع بالليل على الشجر والنبات، والمعنى: إنّ نفقات هؤلاء زاكية عندالله لا تضيع بحال و إن كانت تتفاوت باعتبار ما ينضمّ إليها من أحواله.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ : تحذير عن الريا، و ترغيب في الإخلاص.

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٤٨، ح٤٨٥.

(٢) قال في تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، للمحقق الجزري ص٩٥، مالفظه: «عاصم وابن عامر بربوة هنا وفي المؤمنين بفتح الراء والباقون بضمها انتهى» ولم يتعرض للغات الثلاث فيها، وفي مجمع البيان: ج١ ـ ٢ ص٣٧٧، في الشواذ عن ابن عباس بكسر الراء.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٢٧.

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ: الهمزة للانكار.

أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ: جعل الجنّة منهما مع ما فيها من ساير الاشجار، تغليباً لهما، لشرفهما وكثرة منافعهما، ثم ذكر انّ فيها من كلّ الثمرات، ليدلّ على احتوائها على ساير أنواع الأشجار.

قيل: و يجوز أن يكون المراد بالثمرات المنافع.

وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ: أي كبر السن، فانّ الفاقة في الشيخوخة أصعب.

والواو للحال، أوالعطف حملاً على المعنى، فكأنّه قيل: يوّد أحدكم أن لو كانت له جنّة و أصابه الكبر.

وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ: لا قدرة لهم على الكسب.

فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ: في تفسير العياشي: عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام: إعصار فيه نار قال: ريح(١).

فِيهِ نَارٌ: صفة إعصار.

فَاحْتَرَقَتْ: عطف على أصابه، أو تكون باعتبار المعنى.

وفي تفسير العياشي: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الإعصار الرياح فمن امتنّ على من تصدّق عليه كان كمن كانت له جنّة كثيرة الثمار، وهو شيخ ضعيف له أولاد ضعفاء فتجيئ نار فتحرق ماله كلّه(٢).

كَذَٰلِكَ: أي مثل هذا التبيين.

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ: فيها فتعتبرون.

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٤٨، ح٤٨٧.

(٢) لا يوجد هذه الحديث في تفسير العياشي بل في تفسير علي بن ابراهيم، لاحظ تفسير علي بن ابراهيم: ج١، ص٩٢.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ: من حلاله أو جياده.

وفي الكافي: عن أبي بصير عن أبي عبدالله في قوله تعالى: «أنفقوا من طيبات ما كسبتم» فقال: كان القوم قد كسبوا مكاسب السوء في الجاهليّة، فلمّا أسلموا أرادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدّقوا بها، فأبى الله تبارك و تعالى إلّا أن يخرجوا من أطيب ما كسبوا(١).

وفي تفسير العياشي: عن اسحاق بن عمّار، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: كان أهل المدينة يأتون بصدقة الفطر إلى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وفيه عنق(٢) يسمّى الجعرور(٣) و عذق يسمّى معافارة(٤)، كانا عظيم نواهما، رقيق لحاهما، في طعمهما مرارة، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله للخارص: لا

---

(١) الكافي: ج٤، كتاب الزكاة باب النوادر ص ٤٨، ح١٠.

(٢) وهي عنقود التمر والجمع أعذاق كأحمال (مجمع البحرين: ج٥، ص٢١٢، لغة «عذق»).

(٣و٤) وفي حديث الزكاة: تترك معافارة وأم جعرور للمارين أو للحارس والطيور: معافاره و أم جعرور ضربان رديان من اردئ التمر (مجمع البحرين: ج٣، ص٤٠٩، لغة«عفر») وفي النهاية لابن الأثير: ج١، ص٢٧٦، لغة (جعر) وفيه انه نهى عن لونين من التمرا لجعرور ولون حبيق، الجعرور: ضرب من الدقل يحمل رطباً صغاراً لاخيرفيه.

تخارص عليهم هاذين اللونين لعلّهم يستحيون لا يأتون بهما، فأنزل الله تبارك و تعالى: «يا أيّها الذّين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم» إلى قوله: «تنفقون»(١).

وفي مجمع البيان: وقيل: إنّها نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في ثمر الصدقة عن علي عليه السلام(٢).

و قد روي عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الله يقبل الصدقات، ولا يقبل منها إلّا الطيب(٣).

وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ : أي من طيّباته، فحذف المضاف لدلالة ما تقدّم.

وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ: ولا تقصدوا الردي.

مِنْهُ: أي من المال، وقرئ بضم التاء و كسر الميم(٤).

تُنفِقُونَ: حال مقدّرة من فاعل (تيمّموا) و يجوز أن يتعلّق به «منه» ويكون الضمير للخبيث والجملة حالاً منه.

وقيل: يجوز أن يكون الضمير لما أخرجنا و تخصيصه بذلك، لأنّ التفاوت فيه أكثر.

وفي أصول الكافي: على بن إبراهيم، عن محمدبن عيسى، عن يونس، عن داود قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا زنى الرجل، فارقه روح الإيمان قال: فقال: هذا مثل قول الله عزّوجلّ «ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون» ثم قال: غير هذا أبين منه، ذلك قول الله عزّوجلّ: «و أيّدهم بروح منه» هوالذي فارقه(٥).

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٥٠، الحديث ٤٩٣،

(٢) مجمع البيان؛ ج١ - ٢، ص٣٨٠، في نقل شأن النزول لآية ٢٦٧ من سورة البقرة.

(٣) تفسيرنورالثقلين: ج١، ص٢٨٦، تحت الرقم ١١٢٥.

(٤) قرأ ابن عباس: ولا تيمموا بضم التاء، الكشاف: ج١، ص٣١٤، في تفسير لقوله تعالى (ولا تيمّموا الخبيث منه).

(٥) الكافي: ج٢، ص٢٨٤، كتاب الايمان والكفر، باب الكبائر، ح١٧، وقريب منه الحديث ١١ في تلك الباب.

وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ: أي وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم.

إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ: إلّا أن تتسامحوا فيه، مجاز من أغمض بصره، إذا غضّه. وقرئ من باب التفعيل أي تحملوا على الإغماض، أو توجدوا مغمضين(١).

و في الكافي: الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشا، عن أبان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيّبات ما كسبتم و مما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون» قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا أمر بالنخل أن يزكّى يجيئ قوم بألوان من التمر، وهو من أردئ التمر يؤدّونه من زكاتهم تمراً، يقال له: الجعرور والمعافارة، قليلة اللحا عظيمة النوى، وكان بعضهم يجيئ بها عن التمر الجيّد، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا تخرصوا هاتين التمرتين ولا تجيئوا منها بشيء، وفي ذلك نزل «ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلّا أن تغمضوا فيه» والإغماض أن يأخذ هاتين التمرتين(٢).

وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ: عن إنفاقكم، و انّما يأمركم به لانتفاعكم.

حَمِيدٌ: بقبوله و إثابته.

ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ: في الإنفاق. والوعد في الأصل شايع في الخير والشر. و قرئ الفقر بالضم والسكون، و بضمتين و فتحتين(٣).

وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ: و يغريكم على البخل. والعرف يسمّى البخيل فاحشاً. وقيل: المعاصي.

وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ: أي في الإنفاق.

وَفَضْلًا: خلفاً أفضل ما أنفقتم.

وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ: الفضل لمن أنفق وغيره.

---

(١) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٣٩.

(٢) الكافي: ج٤، ص٤٨، كتاب الزكاة، باب النوادر، ح٩.

(٣) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٤٠.

يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

عَلِيمٌ: بالإنفاق وغيره.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قوله: «الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء» قال: الشيطان يقول: لا تنفق مالك فانّك تفتقر «والله يعدكم مغفرة منه» أي يغفر لكم إن أنفقتم لله، و(فضلا) قال: يخلف عليكم(١).

وفي كتاب علل الشرايع: أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا محمدبن يحيى العطار قال: حدّثنا محمدبن أحمدبن يحيى قال: حدّثنا الحسن بن علي، عن عباس، عن أسباط، عن عبدالرحمن قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي ربّما حزنت فلا أعرف في حال ولا مال ولا ولد، و ربّما فرحت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد؟ فقال: إنّه ليس من أحدٍ إلّا ومعه ملك و شيطان، فاذا كان فرحه كان دنو الملك منه، و إذا كان حزنه كان دنو الشيطان منه، و ذلك قول الله تعالى: «الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم»(٢).

يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ: مفعول أوّل آخر للإهتمام بالمفعول الثاني.

وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ: بناؤه للمفعول، لأنه المقصود.

وقرأ يعقوب بالكسر، أي ومن يؤته الله(٣).

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٩٢.

(٢) علل الشرايع: ج١، ص٨٧، باب ٨٤، العلة التي من أجلها، يغتمّ الانسان و يحزن من غير سبب و يفرح و يسرّ من غير سبب، ح١.

(٣) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٤٠.

فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا: والمراد بالحكمة طاعة الله، ومعرفة الإسلام، معرفة الإمام التي هي العمدة في كلتا المعرفتين الأوّلتين.

في محاسن البرقي: عنه، عن أبيه، عن النضربن سويد، عن الحلبي، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك و تعالى: «ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً» فقال: طاعة الله ومعرفة الإسلام(١).

و في مجمع البيان: و يروى عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الله تبارك و تعالى آتاني القرآن و آتاني الحكمة مثل القرآن، وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلّا كان خراباً، ألا فتفقّهوا و تعلّموا ولا تموتوا جهّالاً(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم : قوله: «يوتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً» قال: الخير الكثير معرفة أميرالمؤمنين والأئمة عليهم السلام(٣).

وفيه خطبة له عليه السلام: وفيها: رأس الحكمة مخافة الله(٤).

وفي تفسير العياشي : عن سليمان بن خالد قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: «ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً» فقال: إنّ الحكمة المعرفة والتفقّه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم، وما أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى ابليس من فقيه(٥).

وفي كتاب الخصال: عن الزهري عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: كان آخر ما أوصى به الخضر موسى بن عمران عليه السلام أن قال: لا تعيّرنّ أحداً بذنب، إلى قوله: و رأس الحكمة مخافة الله تبارك و تعالى(٦).

---

(١) المحاسن: ص١٤٨، كتاب الصفوة والنور والرحمة من المحاسن ١٩باب المعرفة ح٦٠.

(٢) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ـ ص٣٨٢ في بيان المعنى لآية ٢٦٩ من سورة البقرة.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٩٢.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٢٧٢، باب ١٧٦، النوادر وهو آخر أبواب الكتاب، ح٨ ومن ألفاظ رسول الله الموجزة التي لم يسبق إليها.

(٥) تفسيرالعيّاشي: ج١، ص١٥١، ح٤٩٨.

(٦) كتاب الخصال: ص١١١، باب الثلاثة، أحب الأمور ثلاثة، الحديث٨٣ و تمام الحديث (و إنّ

←

عن محمدبن أحمدبن أبي نصر قال: قال أبوالحسن عليه السلام: من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت، إنّ الصمت باب من أبواب الحكمة، و إن الصمت تكسب المحبّة، و إنّه دليل على كلّ خير(١).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات يوم في بعض أسفاره إذ لقيه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، فالتفت إليهم فقال: ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون قال: ما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله والتفويض إلى الله، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: علماء حكماء، كادوا أن يكونوا من الحكمة انبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون، و اتّقوا الله الذي إليه ترجعون(٢).

وَمَا يَذَّكَّرُ: وما يتّعظ بما قصّ من الآيات، أوما يتفكّرون. فإنّ المتفكّر كالمتذكّر لماأودع الله في قلبه من العلوم بالقوّة.

إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ: ذو والعقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون إلى متابعة الهوى.

وفي أصول الكافي: بعض أصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبوالحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: يا هشام إنّ الله ذكر أُولي الألباب بأحسن الذكر و حلّاهم بأحسن الحلية فقال: «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً وما يذّكّر إلّا أُولي الالباب»(٣).

علي بن إبراهيم، عن محمّدبن عيسى، عن يونس، عن أيّوب بن الحرّ، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «ومن يؤت الحكمة فقد أُوتى

أحبّ الأُمور إلى الله عزّوجلّ ثلاثة: القصد في الجدة والعفو في المقدرة، والرفق بعبادالله، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلّا رفق الله عزّوجلّ به يوم القيامة، و رأس الحكمة مخافة الله تبارك و تعالى).

(١) كتاب الخصال: ص١٥٨، باب الثلاثة ثلاث خصال من علامات الفقه، ح٢٠٢.

(٢) كتاب الخصال: ص١٤٦، باب الثلاثة حقيقة الايمان ثلاث خصال ح١٧٥، و قريب منه ما في الكافي: ج٢، ص٤٨، كتاب الايمان والكفر، باب خصال المؤمن، ح٤.

(٣) الكافي: ج١، ص١٥، كتاب العقل والجهل، قطعة من حديث١٢.

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾

خيراً كثيراً» فقال: طاعة الله ومعرفة الإمام(١).

يونس، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً» قال: معرفة الإمام و اجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار(٢).

علي بن إبراهيم، عن أبيه،عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد ذكر القرآن: لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة(٣).

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: الحكمة ضياء المعرفة وميزان التقوى و ثمرة الصدق، ولو قلت ما أنعم الله على عباده بنعمة أنعم و أعظم و أرفع و أجزل و أبهى من الحكمة، لقلت قال الله عزّوجلّ: «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً وما يذّكر إلّا أُولي الألباب) أي لا يعلم ما أودعت وهيّأت في الحكمة إلّا من استخلصته لنفسي، وخصصته بها، والحكمة هي الكتاب وصفة الحكمة الثبات عند أوائل الأمور، والوقوف عند عواقبها وهو هادي خلق الله إلى الله(٤).

وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ: قليله أو كثيرة سرّاً أو علانية في حقّ أو باطل.

---

(١) الكافي: ج١، ص١٨٥، كتاب الحجة باب معرفة الامام والرد إليه، ح١١. وفي تفسير البرهان ج١، ص٢٥٥. وفي تفسير العياشي: ج١، ص١٥١، الحديث٤٩٦، بحذف السند.

(٢) الكافي: ج٢، ص٢٨٤، كتاب الايمان والكفر، باب الكبائر، الحديث٢٠، وفي تفسير البرهان ج١ ص٢٥٥، وفي تفسير العيّاشي: ج١، ص١٥١، ح٤٩٧، نقلاً عن أبي جعفر عليه السلام.

(٣) الكافي: ج٢، ص٥٩٨، كتاب فضل القرآن، قطعة من حديث٢، والحديث طويل.

(٤) مصباح الشريعة: ص٥٧، الباب التاسع والتسعون.

إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَ
تُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن
سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ
عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَ
مَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا
ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾

أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ: في طاعة أو معصية.

فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ: فيجازيكم عليه.

و دخول الفاء، إمّا في خبر المبتدأ لتضمّنه معنى الشرط، أو في جزاء الشرط لكون كلمة «ما» هنا من أداة الشرط.

وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ: الّذين يضعون الشيء في غير موضعه، فينفقون في المعاصي و ينذرون فيها، أو يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذر.

مِنْ أَنصَارٍ: ينصرهم من الله و يمنعهم من عقابه. جمع ناصر كأصحاب جمع صاحب.

إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ: فنعم شيء أبداها(١).

كلمة «ما» تمييز والمضاف محذوف.

وقرأ ابن عامر و حمزة والكسائي بفتح النون و كسر العين على الأصل. وقرأ أبوعمرو و أبوبكر و قالون: بكسر النون وسكون العين. و روي بكسر النون و إخفاء

---

(١) وفي الكشاف: ج١، ص٣١٦، ومعنى (فنعمّا هي) فنعم شيئاً إبداؤها.

حركة العين(١).

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: والمراد بالصدقات سوى الزكاة، وصلة قرابتك الواجبة من الصدقات النافلة، فإنّ الاعلان بالزكاة أفضل.

روي في الكافي: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيّوب، عن أبي المغرا عن أبي عبدالله عليه السلام قلت: قوله: «إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي و إن تخفوها و تؤتوها الفقراء فهو خير لكم» قال: ليس من الزكاة، وصلتك من قرابتك ليس من الزكاة(٢) والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن اسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ (و إن تخفوها و تؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قال: هي سوى الزكاة، إنّ الزكاة علانيّة غير سرّ(٣).

علي بن إبراهيم، عن أحمدبن محمد، عن محمدبن خالد، عن عبدالله بن يحيى، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كلّ ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره، وكلّ ما كان تطوعاً فإسراره أفضل من إعلانه، ولو أنّ رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه علانيّة كان حسناً جميلاً(٤).

علي بن ابراهيم: عن أبيه، عن ابن فضّال، عن ابن بكير، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «إن تبدوا الصدقات فنعمّاهي» قال: يعني الزكاة المفروضة، قال: «و إن تخفوها و تؤتوها الفقراء» قال: يعنى النافلة، إنّهم

---

(١) أنوار التنزيل: و أسرار التأويل: ج١، ص١٤٠.

(٢) الكافي: ج٣، ص٤٩٩، كتاب الزكاة، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق قطعة من حديث٩.

(٣) الكافي: ج٣، ص٥٠٢، كتاب الزكاة، باب فرض الزكاة ومايجب في المال من الحقوق، ح ١٧ .

(٤) الكافي: ج٣، ص٥٠١، كتاب الزكاة، باب فرض الزكاة ومايجب في المال من الحقوق، قطعه من حديث ١٦ .

كانوا يستحبّون إظهار الفرائض و كتمان النوافل(١).

الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن علي بن مرداس، عن صفوان بن يحيى، والحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن عمّار الساباطي قال: قال لي أبوعبدالله: يا عمّار، الصدقة والله في السرّ أفضل من الصدقة في العلانيّة، و كذلك والله العبادة في السرّ أفضل منها في العلانيّة(٢).

وفي تفسير العيّاشي: عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: «و إن تخفوها و تؤتوها الفقراء فهو خير لكم» قال: ليس تلك الزكاة و لكنّه الرجل يتصدّق لنفسه والزكاة علانيّة أفضل(٣).

واعلم أنّ بعض تلك الأحاديث يدلّ على أنّ في الآية استخداماً، والمراد بالصدقات، الصدقات الواجبة، و بضميرها المندوبة.

و يمكن حمل البعض الآخر عليه أيضا، إلّا الخبر الأول، ويمكن أن يقال أيضا أنّه تفسير لقوله: «و إن تخفوها» إلى آخره.

وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ: قرأ ابن عامر و عاصم في رواية حفص بالياء، أي والله يكفّر، أوالاخفاء(٤).

و قرأ ابن كثير و ابو عمرو و عاصم في رواية أبي عيّاش و يعقوب بالنون، مرفوعاً على أنّه جملة فعليّة مبتدأ، أو اسميّة معطوفة على ما بعد الفاء، أي و نحن نكفر(٥) و قرأ نافع و حمزة والكسائي به مجزوماً على محل الفاء وما بعده(٦)، و قرئ مرفوعاً و مجزوماً والفعل للصدقات(٧).

---

(١) الكافي: ج٤، ص٦٠، كتاب الزكاة، باب النوادر،ح ١ .

(٢) الكافي: ج٤، ص٨، كتاب الزكاة، باب فضل صدقة السر،ح ٢ .

(٣) تفسيرالعياشي: ج١، ص١٥١، ح٤٩٩ وفيه (والزكاة علانية ليس بسر).

(٤) أنوار التنزيل وأسرارالتأويل: ج١، ص١٤٠.

(٥)أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٤٠.

(٦) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٤٠.

(٧) أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ج١، ص١٤٠.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ : ترغيب في الإسرار.

﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ﴾ : ليس عليك أن تجعل كلّ الناس مهديين، بمعنى الإلزام على الحقّ، لأنّك لا تتمكّن منه و إنّما عليك إراءة الحق والحثّ عليهم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ : لأنّه يقدر عليه.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ : من نفقة معروفة.

﴿فَلِأَنفُسِكُمۡۚ﴾ : فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم، فلا تمنّوا عليه ولا تنفقوا الخبيث.

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾ : أي حال كونكم غيرمنفقين إلاّ لا بتغاء وجهه.

وقيل: نفي في معنى النهي.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾ : ثوابه أضعافاً مضاعفة. فهو تأكيد للشرطيّة السابقة، أومايخلف المنفق استجابة لقوله عليه السّلام: اللهمّ اجعل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً(١).

﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ : بتنقيص ثواب نفقتكم، أوإذهاب ثوابها.

---

(١) رواه الفريقان بكلمات متقاربة الكافي: ج٤ كتاب الزكاة ص٤٢، باب الانفاق ح(١) ولفظ الحديث (عن أبي جعفرعليه السّلام قال: إنّ الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك : ملك ينادي ياصاحب الخير أتم وابشر، وملك ينادي ياصاحب الشر أنزع وأقصر، وملك ينادي إعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً، وملك ينضحها بالماء ولولا ذلك اشتعلت الارض. وفي اسدالغابة في معرفة الصحابه ج٢ ص٣٩٩ باب الشين والفاء قال: عن شفي بن مانع الاصبحي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: إنّ في السماء اربعة املاک ينادون من أقصاها إلى أدناها: يا صاحب الخير ابشر وياصاحب الشراقصر ويقول الاخر اللهم اعط كل منفق الخ.

وفي مسند احمدبن حنبل: ج٢، ص٣٠٥، ولفظه إنّ رسول اللهصلّى الله عليه وآله وسلم قال: إنّ ملكاً بباب من أبواب السماء يقول: من يقرض اليوم يجزى غداً، وملكاً بباب آخريقول: اللهم اعط منفقا خلفاً وعجّل لممسك تلفاً.

لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ
لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

لِلْفُقَرَآءِ متعلّق بمحذوف، أي اعمدوا للفقراء واجعلوا ماتنفقونه لهم، أوصدقاتكم للفقراء.

ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أي أحصرهم الاشتغال بالعبادة.

لَا يَسْتَطِيعُونَ لاشتغالهم.

ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ذهاباً فيها للكسب.

وفي مجمع البيان قال أبوجعفر عليه السلام: نزلت الآية في أصحاب الصفّة(١).

يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ: بحالهم.

وقرأ ابن عامر وعاصم و حمزة بفتح السين(٢).

أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ: من أجل تعفّفهم عن السؤال.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال العالم عليه السلام: الفقراء هم الذين لايسألون،

---

(١) مجمع البيان: ج١-٢، ص٣٨٧، في بيان شأن النزول لآية (٢٧٣) من سورة البقرة.

(٢) أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ج١، ص١٤١.

لقول الله تعالى في سورة البقرة «للفقراء الذين» إلى قوله «إلحافاً»(١).

تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ: من الضعف ورثاثة الحال، والخطاب للرسول صلّى الله عليه وآله، أولكلّ أحد.

لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ: إلحاحاً وهوأن يلازم المسئول حتّى يعطيه شيئاً من قولهم: لحفني من فضل لحافه، أي أعطاني من فضل ماعنده(٢)

قيل: المعنى إنّهم لايسألون، وإن سألوا عن ضرورة لم يلحوّ.

والخبرالذي رواه على بن إبراهيم عن العالم عليه السلام يردّه، بل هونفي للأمرين. كقوله:

ه على لاحب لا يهتدى بمناره ه(٣)

---

(١) تفسير علي بن ابراهيم: ج١، ص٢٩٨ في تفسيرقوله تعالى: إنما الصدقات للفقراءالآية قال: وبيّن الصادق عليه السّلام من هم فقال: الفقراء هم الذين لايسألون وعليهم مؤنات من عيالهم، والدليل على أنهم هم الذين لايسألون.قول الله في سورة البقرة الحديث.

(٢) قال الازهري: أخبرني المنذري، عن الحرّاني، عن ابن السكيت أنّه أنشده لجرير:

كم قدنزلت بكم ضيفا فتلحفني ... فضل اللحاف ونعم الفضل يلتحف

قال: أراد أعطيتني فضل عطاءك وجودك، إلى أن قال: والمعنى في قوله: «لايسألون الناس إلحافاً» أي ليس منهم سؤال فيكون إلحاف، كما قال امرء القيس:

ه على لاحب لايهتدى بمناره ه

المعنى: ليس به منار فيهتدي به. لسان العرب ج٩ ص٣١٤، في لغة لحف.

(٣) هذاالقول لامرءالقيس وإليك ما قبله:

وإني زعيم إن رجعت مملّكا ... بسير ترى منه الفرانق أزورا

علىٰ لاحبٍ لايُهتدى بمناره ... إذاساقه العود النباطي جرجرا

والزعيم الكفيل والفرانق بضم الفاء: رسول يوصل خبرالخوف. والأزور: المائل، واللحب واللاحب: الطريق الواسع. والمنار: اعلام الطريق. وساقه يوسقه سوقاً: إذاشمّه شمّاً. والعود: الجمل المسن، والنباطي: نسبة للنبط، والجرجرة: صوت يردّده البعير في حنجرته، يعني إنه طريق واسع لامنار فيه يهتدى به، و فيه نوع من البديع يسمونه نفي الشئ بايجابه، و يفسّرونه بأن يكون الكلام ظاهره ايجاب الشئ وباطنه نفيه، بأنْ ينفي ماهومن سببه، و هوالمنفي في الباطن. وفي البيت نفي الاهتداء بالمنار والمقصود نفي المنار. كماذكره السيوطي في شرح عقودالجمان: إذاشمّه الجمل المسن عرف أنّه طريق وعر ←

ونصبه على المصدر، فانّه نوع من السؤال، أوعلى الحال

وفي مجمع البيان: وفي الحديث إنّ الله يحبّ أن يرىٰ أثر نعمته على عبده، ويكره البؤس والتباؤس ويحب الحليم المتعفّف من عباده ويبغض الفاحش البذي السؤال الملحف.

وعنه عليه السلام قال: إنّ الله كره لكم ثلاثاً، قيل: وماهنّ؟ قال: كثرة السؤال وإضاعة المال ونهى عن عقوق الامهات ووأد البنات.

وقال عليه السلام: الأيدي ثلاثة: فيدالله العليا، ويدالمعطي التي تليها، ويدالسائل السفلىٰ إلى يوم القيامة، ومن سأل وله مايغنيه جاءت مسائلته يوم القيامة كدوحاً أوخموشاً أوخدوشا(١) في وجهه، قيل: وما معنى غناه؟ قال: خمسون درهماً أوعدلها من الذهب(٢).

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: ترغيب في الانفاق و خصوصاً على هؤلاء.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: أي يعمون الأوقات والأحوال بالخير.

وفي تفسيرالعيّاشي: عن أبي اسحاق قال: كان لعلي بن أبي طالب عليه السّلام أربعة دراهم لم يملك غيرها، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية، فبلغ ذلك النبي صلّى الله عليه وآله فقال: ياعلي ما حملك على ما صنعت؟ قال: إنجاز موعدالله، فأنزل الله «الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية» الى آخرالآيه(٣).

لتجربته الطرق. وجرجر خوفاً منه لصعوبته عليه مع تمرّنه على السفر، سيّما إذاكان من إبل النبط لكثرة رحيلهم (تلخيص من هامش الكشاف: ج١، ص٣١٨، في ذيل آية (٢٧٣) من سورة البقرة).

(١) والكدح: دون الخدش، والخدش دون الخمش، يقال: خدشت المرأة وجهها إذاخدشته بظفر أوحديدة، والخمش يستعمل على معنى القطع يقال: خمشني فلان أي قطع مني عضواً وفي وجهه كدوح هو بالضم جمع كدح وهو كلّ أثرمن خدش أوعض (مجمع البحرين ج٢، ص٤٠٦، لغة كدح).

(٢) إلى هنا منقول عن مجمع البيان: ج١-٢، ص(٣٨٧) في بيان المعنى لاية (٢٧٣) من سورة البقرة.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٥١، ح٥٠٢.

وفي الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن أبى المغرا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: قول الله عزّوجلّ: «الّذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية» قال: ليس من الزكاة(١)، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن عبدالله بن الوليد الوصافي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: صدقة السر تطفىء غضب الرّب تبارك وتعالى(٢)

وفي من لايحضره الفقيه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في قول الله تعالى: «الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجراهم عندربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون» قال: نزلت في النفقة على الخيل.

قال مصنّف هذاالكتاب: روي أنّها نزلت في أميرالمؤمنين علي بن أبى طالب عليه السلام، وكان سبب نزولها أنّه كان معه أربعة دراهم فتصدّق بدرهم منها بالليل وبدرهم بالنّهار وبدرهم في السرّ، وبدرهم في العلانيّة فنزلت هذه الآية، والآية إذا نزلت في شيئ فهي منزلة في كلّ ما يجري فيه، فالإعتقاد في تفسيرها إنّها نزلت في أميرالمؤمنين وجرت في النفقة على الخيل وأشباه ذلك انتهى(٣).

وفي مجمع البيان: قال ابن عباس: نزلت هذه الآيه في علي عليه السّلام كانت معه أربعة دراهم فتصدّق بواحد ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد سرّاً وبواحد علانيّة، وهوالمروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السّلام(٤).

فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ :

خبر«الذين ينفقون» والفاء للسببية.

---

(١) الكافي: ج٣، كتاب الزكاة باب فرض الزكاة ومايجب في المال من الحقوق ص٤٩٩، قطعة من حديث ح٩.

(٢) الكافي: ج٤، ص٨، كتاب الزكاة باب فضل صدقة السرح٣.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج٢، ص١٨٨ باب٨٩، ثواب النفقة على الخيل، ح١ وذيله.

(٤) مجمع البيان: ج١-٢، ص٣٨٨، في بيان شان النزول لآية(٢٧٤) من سورة البقرة.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

وقيل: للعطف والخبر محذوف، أي ومنهم الذين ينفقون، ولذا جوّز الوقف على (وعلانية)

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ: أي الآخذون للربا، وانّما ذكر الأكل، لأنّه معظم منافع المال.

وهو بيع جنس بما يجانسه مع الزيادة بشرط كونه مكيلاً أوموزوناً، والقرض مع اشتراط النفع.

وانما كتب بالواو كالصلوة، للتفخيم على لغة من يفخم، وزيدت الألف بعدها تشبيهاً بألف الجمع.

لَا يَقُومُونَ إذا بعثوا من قبورهم، أو في المحشر، أو في الدنيا يؤول عاقبة أمرهم إلى ذلك.

في تفسير العياشي عن شهاب بن عبدربه قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: آكل الربا لايخرج من الدنيا حتى يتخبّطه الشيطان(١).

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٥٢، ح٥٠٣.

وفي الأخبار مايدلّ على الأولين(١).

و يمكن الجمع بأنّ ابتداء حصول هذه الآية في الدينا.

إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ : قياماً كقيام المصروع، بناءً على زعم الناس: أنّ الشيطان يمسّ الإنسان فيصرع، و الخبط صرع على غير اتساق، كالعشواء، أوالإفساد.

مِنَ الْمَسِّ : متعلّق بـ(لايقومون) أي لايقومون من المسّ الذي بهم بسبب أكل الربا، أو بـ(يقوم) أو بـ(يتخبّطه) فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين، لا لاختلال عقلهم، ولكن لأنّ الله أربى مافي بطونهم ما أكلوه من الربا فأثقلهم.

وفي تفسير علي بن ابراهيم: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لمّا اُسري بي إلى السماء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلايقدر أن يقوم من عظم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لايقومون إلّا كمايقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ(٢).

ذَٰلِكَ : العقاب.

بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا بسبب إنّهم نظموا البيع والربا في سلك واحد، لإفضائهما إلى الربح، فاستحلّوه استحلالاً له. وهو من باب القلب، والأصل: إنّما الربا مثل البيع، عكس للمبالغة، كأنّهم جعلوا الربا أصلاً وقاسوا البيع به.

وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا في موضع الحال.

في عيون الأخبار: في باب ماكتب الرضا عليه السّلام إلى محمدبن سنان في جواب مسائله في العلل: وعلة تحريم الربا: إنّها نهى الله عنه لما فيه من فساد

---

(١) لاحظ مستدرك الوسائل: ج٢ ص٤٧٨ كتاب التجارة، الباب(١) من أبواب الربا.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٩٣ في تفسيره لآية (الذين يأكلون الربا الآية) من سورة البقرة.

الأموال، لأنَّ الإنسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين، كان ثمن الدرهم درهماً وثمن الآخر باطلاً، فبيع الربا واشتراؤه وكس على كل حال على المشتري وعلى البايع، فحرّم الله تعالى الربا لعلّة فساد الأموال، كما حظر على السفيه أن يدفع إليه ماله لما يتخوّف عليه من إفساده حتّى يؤنس منه رشده فلهذه العلّة حرّم الله تعالى الربا وبيع الدرهم بدرهمين يداً بيد. وعلّة تحريم الربا بعدالبيّنة: لما فيه من الاستخفاف بالحرام المحرّم وهي كبيرة بعدالبيان وتحريم الله تعالى لها، ولم يكن ذلك منه إلاّإستخفافاًبالمحرّم الحرام، والاستخفاف بذلك دخول في الكفر و علّة تحريم الربا بالنسية، لعلّة ذهاب المعروف وتلف الأموال ورغبة الناس في الربح وتركهم القرض وصنايع المعروف ومافي ذلك من الفساد والظلم وفناء الأموال(١).

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا،عن أحمدبن أبي عبدالله،عن عثمان بن عيسى عن سماعة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي رأيت الله تعالى قد ذكر الربا في غيرآية وكرّره، فقال: أوتدري لم ذاك ؟ قلت: لا، قال: لئلاّ يمتنع الناس من اصطناع المعروف(٢).

علي بن إبراهيم،عن أبيه عن إبن أبي عمير،عن هشام بن سالم،عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّما حرّم الله عزّوجل الرّبا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف (٣).

روى علي بن ابراهيم: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: درهم ربا أعظم عندالله من سبعين زنية بذات محرم في بيت الله الحرام، وقال: الربا سبعون جزءاًأيسره أن ينكح الرجل أمّه في بيت الله

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٩٣، باب٣٣، في ذكر ماكتب به الرضا عليه السّلام إلى محمدبن سنان في جواب مسائله في العلل، ح ١ .

(٢) الكافي: ج٥، ص١٤٦، كتاب المعيشة، باب الربا، ح ٧ .

(٣) الكافي: ج٥، ص١٤٦، كتاب المعيشة، باب الربا، ح ٨ .

الحرام(١).

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ﴾ أي وعظ وتوبة.

في تفسير العياشي: عن محمد بن مسلم أنّ رجلاً سأل أبا جعفر عليه السّلام وقد عمل بالربا حتّى كثر ماله بعد أن سأل غيره من الفقهاء فقالوا: ليس يقبل منك شيء إلاّ أن تردّه إلى أصحابه، فلمّا قصّ على أبي جعفر عليه السّلام قال له أبوجعفر عليه السّلام: مخرجك في كتاب الله قوله: «فمن جاءه موعظة من ربّه فانتهى فله ماسلف» والموعظة التوبة(٢).

وفي أصول الكافي: علي بن إبراهيم، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيوب الخزاز، عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّوجلّ «فمن جاءه موعظة من ربّه فانتهى فله ماسلف» قال: الموعظة، التوبة(٣).

﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي بلغه النهي عن الربا من ربّه.

﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ عن أخذه وتاب عنه.

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ ما تقدّم من أخذه، ولايستردّ منه.

(وما) في موضع الرفع بالظرف إن جعلت (من) موصولة. وبالإبتداء إن جعلت شرطيّة على رأي سيبويه، إذ الظرف معتمد على ماقبله.

﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي يجازيه على انتهائه، أو يحكم في شأنه، ولااعتراض لكم عليه.

في الكافي: أحمد بن محمد، عن الوشا، عن أبي المغرا، عن الحلبي قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: كلّ ربا أكله الناس بجهالة ثم تابوا عنه، فإنّه يقبل منهم اذا عرف منهم التوبة. وأيّما رجل أفاد مالاً كثيراً قد أكثر فيه من الربا فجهل ذلك ثم عرفه بعد، فأراد أن ينزعه، فما مضى فله، ويدعه فيما يستأنف(٤).

---

(١) تفسير علي بن ابراهيم: ج١، ص٩٣، في تفسيره لآية «الذين ياكلون الربا» من سورة البقرة.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٥٢، ح٥٠٦.

(٣) الكافي: ج٢، ص٤٣١، كتاب الايمان و الكفر، باب التوبة، ح٢.

(٤) الكافي: ج٥، ص١٤٥، كتاب المعيشه، باب الربا، قطعة من حديث ٤

علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن ا لحلبي، عن أبي عبدالله عليه السّلام في حديث طويل يقول فيه: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله: قد وضع ما مضى من الربا و حرّم عليهم مابقي، فمن جهله وسع له جهله حتّى يعرفه فإذا عرف تحريمه حرم عليه، ووجب عليه فيه العقوبة إذا ركبه كمايجب على من يأكل الربا(١).

عدّة من أصحابنا: عن سهل بن زياد وأحمد بن محمد جميعاً،عن ابن محبوب، عن خالد بن جرير، عن أبي الربيع الشامي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل أربي بجهالة ثم أراد أن يتركه؟ قال: قال: أمّا ما مضى فله، وليتركه فيما يستقبل(٢).

وَمَنْ عَادَ إلي تحليل الربا، إذ الكلام فيه.

فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ :لأنّهم كفروا به كما مرّ في حديث العيون.

وفي الكافي: محمدبن يحيىٰ،عن أحمدبن محمد،عن محمّد بن عيسى، عن منصور، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: سألته عن الرجل يأكل الربا وهو يرى أنّه له حلال؟ قال: لايضّر حتّى يصيبه متعمداً، فهو بالمنزل الذي قال الله عزّوجلّ(٣).

يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ :يذهب بركته، ويهلك المال الذي فيه.

في من لايحضره الفقيه: وسأل رجل الصادق عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ «يمحق الله الربا ويربي الصدقات» وقد أرى من يأكل الربا يربوا ماله؟ قال: فأيّ محق أمحق من درهم ربا، يمحق الدين، فإن تاب منه ذهب ماله و افتقر(٤).

---

(١) الكافي: ج٥، ص١٤٥، كتاب المعيشة، باب الربا قطعة من حديث ح٥.

(٢) الكافي: ج٥، ص١٤٦، كتاب المعيشة باب الربا قطعة من حديث ٩.

(٣) الكافي: ج٥، ص١٤٤، كتاب المعيشة، باب الربا،ح٣.

(٤) من لايحضره الفقيه: ج٣، ص١٧٦، باب ٨٧ الربا،ح١٥.

وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ يضاعف ثوابها ويبارك فيما أُخْرجت منه.

في تفسير العياشي: عن سالم بن أبي حفصة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ الله يقول: ليس من شيْ إلاّ وكّلت به من يقبضه غيري إلاّ الصدقة فإنّي أتلقفها بيدي تلقفاً(١) حتّى أنَّ الرجل والمرأة يتصدّق بالتمرة وبشق تمرة، فأربيها كما يربّي الرجل فلوه وفصيله(٢) فيلق في يوم القيامة وهو مثل أحد وأعظم من أُحد(٣).

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله تبارك و تعالى: أنا خالق كل شي ء، وكّلت بالأشياء غيري إلاّ الصدقة، وذكر نحو ما سبق(٤).

وعن علي بن جعفر، عن أخيه موسى عليه السّلام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّه ليس شيء إلاّ وقد وكّل به ملك غير الصدقة، فإن الله يأخذه بيده ويربيه كمايربّي أحدكم ولده حتّى يلقاه يوم القيامة وهي مثل أُحد(٥).

وفي مجمع البيان: روي عن النبي صلّى الله عليه وآله أنهُ قال: يقبل الصدقات، ولايقبل منها إلاالطيّب و يربيها لصاحبها كمايربّي أحدكم مهره أو

○ ○ ○

---

(١) وفي حديث الصدقة: اتلقفها تلقفاً، اي اتناولها بسرعة، وهوعلى المجاز دون الحقيقة: مجمع البحرين: ج ٥ ،ص١٢١، لغة لقف.

(٢) في الحديث القدسي: الرجل يتصدّق بالتمرة ونصف التمرة فاربيها كمايربي الرجل فلوه وفصيله. الفلوبتشديد الواو وضم اللام المهر يفصل عن امه لأنه يفتلى، أي يفطم والجمع افلاء كعدو واعداء، وإنّما ضرب المثل بالفلو لأنه يريد زيادة تربيته، وكذاالفصيل، مجمع البحرين: ج ١ ،ص٣٣٢ لغه فلا.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص١٥٢، ح٥٠٧.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص١٥٣، ح٥٠٩.

(٥) تفسير العياشي: ج١، ص١٥٣، ح٥١٠.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ
فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾

فصيله حتى أنّ اللقمة لتصير مثل أُحد(١).

وفي أمالي الصدوق رحمه الله بإسناده إلى الصادق عليه السلام أنه قال: من تصدّق بصدقة في شعبان رباه جلّ وعزّ كما يربّي أحدكم فصيله حتى يوافي يوم القيامة و قدصارت مثل أُحد(٢).

وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ لايرضاه.

أَثِيمٍ منهمك في الاثم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ: بالله ورسله وأُوصياء رسله.

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ عطف على (آمنوا) ولايدل على خروج العمل عن الإيمان، كما لايدلّ عطف.

وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ عليه على خروجه عنه.

لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ على آت.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ: فائت.

---

(١) مجمع البيان: ج١-٢، ص٣٩٠، في بيان المعنى لآية(٢٧٩) من سورة البقره.

(٢) الامالي للصدوق: ص٣٧٣، المجلس الحادى والتسعون.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا بقايا ماشرطتم على الناس من الربا .

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ بقلوبكم، فإنَّ دليله امتثال ما أمرتم به.

في تفسير علي بن إبراهيم: إنّ سبب نزولها أنّه لما أنزل الله «الذين يأكلون الربا لايقومون إلاّ كمايقوم الّذي يتخبّطه الشيطان من المسّ» فقام خالدبن الوليد إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: يارسول الله ربا أبي في ثقيف، وقد أوصاني عند موته بأخذه فأنزل الله تبارك وتعالى الآية،قال: ومن أخذالربا وجب عليه القتل وكلّ من أربى وجب عليه القتل(١).

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا فاعلموا من أذن بالشيْ، إذا علم به

وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عباس: (فآذنوا) أي فاعلموا بها غيركم، من الاذن وهوالاستماع، فانّه من طرق العلم (٢).

بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ تنكيره للتعظيم، أي حرب عظيم. وذلك يقتضي أن يقاتل الحربي بعدالإستتابة حتّى يفئي إلى أمرالله، وذلك يقتضي كفره.

وَإِن تُبْتُمْ رجعتم من الارتباء واعتقاد حلّه

فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ فيه دلالة على أنّ المربي لولم يتب لم يكن له رأس ماله، وهو كذلك، لأنّ المصرّ على التحليل مرتد وماله فيىء.

لَا تَظْلِمُونَ بأخذالزيادة.

وَلَا تُظْلَمُونَ بالمطل والنقصان من رأس المال.

وفي تفسيرالعياشي: عن أبي عمروالزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ التوبة مطهّرة من دنس الخطيئة قال: «ياأيها الذين آمنوااتقوالله وذروا مابقي من الربا إن كنتم مؤمنين» إلى قوله «ولا تظلمون» فهذا مادعى الله اليه من التوبة، ووعدهم عليها من ثوابه، فمن خالف ما أمره الله به من التوبة سخط

---

(١) تفسير علي بن ابراهيم: ج١، ص٩٣، في تفسيره لقوله تعالى: «الذين يأكلون الربا».

(٢) أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ج١، ص١٤٣.

وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

الله عليه، وكانت النار أولى به وأحقّ(١).

وفي الكافي: أحمدبن محمد،عن الوشا، عن أبي المغرا،عن الحلبي قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: لو أنّ رجلاً ورث من أبيه مالاً وقد عرف أنّ في ذلك المال ربا ولكن قد اختلط في التجارة بغيره حلال كان حلالاً طيباً فليأكله، وإن عرف منه شيئاً أنّه ربا فليأخذ رأس ماله وليردّ الربا(٢).

وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ: أي إن وقع غريم ذو عسرة.

وقرئ ذا عسرة. والمعسر من لم يقدر على ما يفضل عن قوته وقوت عياله على الاقتصاد(٣).

قال في مجمع البيان: روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام(٤).

والظاهر أنّ المراد ما فضل عن قوت اليوم والليلة.

فَنَظِرَةٌ أي فالحكم نظرة. أوفعليكم نظرة. أوفليكن نظرة، وهي الانظار.

وقرئ فناظرة على لفظ الخبر، على معنى فالمستحق ناظرة، أي منتظرة.

---

(١) تفسيرالعياشي: ج١، ص١٥٣، ح٥١٢.

(٢) الكافي: ج٥، ص١٤٥، كتاب المعيشة، باب الربا، قطعة من حديث٤.

(٣) أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ج١، ص١٤٣.

(٤) مجمع البيان: ج١-٢، ص٣٩٣، في بيان المعنى لآية(٢٨٠) من سورة البقرة.

أوصاحب نظريّة على طريق النسب. أوعلى لفظ الأمر أي فسامحه بالنظرة(١).

وعلى كلّ تقدير فانظار المعسر واجب في كل دين.

قال في مجمع البيان: وهوالمروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام(٢).

إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ: يسار.

وقرأ نافع وحمزة بضم السين، وهما لغتان كمشرقة ومشرقة(٣) وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة. كقوله:

واخلفوك عدا الأمرالذي وعدوا(٤)

في الكافي: محمدبن يحيى، عن محمدبن الحسين، عن محمدبن سليمان، عن رجل من أهل الجزيرة يكنّى أبا محمد قال: سأل الرضا عليه السلام رجل وأنا أسمع فقال له: جعلت فداك إنّ الله تبارك وتعالى يقول «وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة» أخبرني عن هذه النظرة التي ذكرها الله عزوجل في كتابه، لها حدّ يعرف إذا صار هذا المعسر لابدّ له من أن ينظر، وقدأخذ مال هذاالرجل وأنفقه على عياله، وليس له غلة ينتظر إدراكها، ولادين ينتظر محله، ولامال غائب ينتظر قدومه؟ قال نعم: ينتظربقدرما ينتهي خبره إلى الامام فيقضي عنه ما عليه من سهم الغارمين إذاكان أنفقه في طاعة الله، فان كان أنفقه في

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج١، ص١٤٣.

(٢) مجمع البيان: ج١-٢، ص٣٩٣، في بيان المعنى لآية(٢٨٠) من سورة البقرة.

(٣) أنوار التنزيل وأسرارالتأويل: ج١، ص١٤٣.

(٤) لأبي أمية الفضل ابن العباس بن عتبة بن أبي لهب وقيل لزهير، وقبله:

إنّ الخليط أجدّوا البين وانجردوا ... وأخلفوك عدا الأمر الذي وعدوا

والخيط الخالط في العشرة، وهو كالعشيريقال للواحد والمتعدد، وأجدّوا البين: اجتهدوا في الفراق، وانجردوا: مضوا، وعدا الأمر: أصله عدة الأمر، وأصلها وعد، فعوضت التاء عن الواو، ثم حذفت التاء للاضافة، كالتنوين على لغة (عن هامش الكشاف: ج١، ص٣٢٣، في تفسيره لآية (٢٨٠) من سورة البقرة).

معصية الله فلاشيئ له على الامام قلت: فما لهذا الرجل الذي إئتمنه وهولايعلم فيما أنفقه في طاعة الله أم في معصيةالله؟ قال: سعى له في ماله فيردّه وهوصاغر(١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: حدّثني أبي،عن السكوني، عن مالك بن مغيرة، عن حمّاد بن سلمة، عن جذعان، عن سعيد بن المسيب عن عايشة أنّها قالت سمعت رسوالله صلّى الله‌عليه‌وآله يقول: ما من غريم ذهب بغريمه إلى وال من ولاة المسلمين واستبان للوالي عسرته، إلاّ برئ هذاالمعسر من دينه وصار دينه على والي المسلمين فيما في يديه من أموال المسلمين. قال عليه السلام: ومن كان له على رجل مال أخذه ولم ينفقه في إسراف أوفي معصية فعسر عليه أن يقضيه فعلى من له المال أن ينظره حتّى يرزقه الله فيقضيه. وان كان الامام العادل قائماً فعليه أن يقضي عنه دينه، لقول رسول الله صلّى الله‌عليه‌وآله: من ترك مالاً فلورثته،ومن ترك ديناً أوضياعاً فعلى الإمام ماضنمه الرسول(٢).

وَأَن تَصَدَّقُوا: بالابراء.

وقرأ عاصم بتخفيف الصاد(٣).

خَيْرٌ لَّكُمْ: اكثر ثواباً من الانظار.

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ إنّه معسر.

في الكافي: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: صعد رسول الله صلّى الله‌عليه‌وآله المنبر ذات يوم فحمدالله وأثنى عليه وصلّى على أنبيائه صلّى الله عليهم ثم قال: أيهاالناس ليبلّغ الشاهد منكم الغائب،ألا ومن أنظر معسراً كان له على الله في كل يوم صدقة بمثل ماله حتّى

---

(١) الكافي: ج٥، ص٩٣، كتاب المعيشة، باب الدين ح٥.

(٢) تفسير علي بن ابراهيم: ج١، ص٩٤، في تفسيرلآية (فنظرة الى ميسرة) من سورة البقرة.

(٣) انوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ج١، ص١٤٣.

يستوفيه. ثم قال أبوعبدالله عليه السلام: «وإن كان ذوعسرة فنظرة إلى ميسرة وان تصدّقوا خيرلكم إن كنتم تعلمون» أنّه معسر، فتصدّقوا بمالكم عليه فهو خيرلكم(١).

محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أراد أن يظلّه الله يوم لاظلّ إلاّ ظلّه، قالها ثلاثاً، فهابه الناس أن يسألوه، فقال: فلينظر معسراً أوليدع له من حقّه(٢).

محمدبن يحيى، عن عبدالله بن محمد، عن علي بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن عبدالرحمن بن أبي عبدالله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال في يوم حار، وحنا كفّه(٣) من أحب أن يستظل من فور جهنّم(٤)، قالها: ثلاث مرات، فقال الناس في كل مرة: نحن يارسول الله، فقال: من أنظر غريماً أوترك المعسر. ثم قال لي أبوعبدالله عليه السلام: قال لي عبدالله بن كعب بن مالك: إنّ أبي أخبرني أنّه لزم غريماً له في المسجد فاقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله فدخل بيته ونحن جالسان، ثم خرج في الهاجرة(٥) فكشف رسول الله صلّى الله عليه وآله ستره وقال: ياكعب مازلتما جالسين؟ قال: نعم بأبي وأمي قال: فأشار رسول الله صلّى الله عليه وآله بكفّه خذالنصف قال: فقلت: بأبي وأمي ثم قال: إتبعه ببقية حقّك، قال: فأخذت النصف ووضعت له النصف(٦).

وَاتَّقُوا يَوْمًا: نصب على المفعول به على الا تساع، أي مافيه.

---

(١) الكافي: ج٤، ص٣٥، كتاب الزكاة باب إنظارالمعسر ح٤.

(٢) الكافي: ج٤، ص٣٥، كتاب الزكاة باب إنظارالمعسر ح١.

(٣) حنا كفه مخففة ومشددة: لواها وعطفها.

(٤) وفورجهنّم: وَهَجُها وغليانها.

(٥) الهاجرة اشتداد الحر نصف النهار.

(٦) الكافي: ج٤ ص٣٥ كتاب الزكاة باب إنظارالمعسر ح٢.

تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ يوم القيامة، أو يوم الموت، أو الأعم، فتأهبوا لمصيركم إليه.

وقرأ أبوعمر ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم(١).

ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ: جزاء ما عملت من خير أوشر.

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بنقص ثواب وتضعيف عذاب.

قال البيضاوي: وعن ابن عباس إنّها آخر آية نزل بها جبرئيل رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة، وعاش رسول الله صلّى الله عليه وآله بعدها إحدى وعشرين يوماً، وقيل: إحدى وثمانين، وقيل: سبعة أيام، وقيل: ثلاث ساعات(٢).

٭ ٭ ٭

(١و٢) انوار التنزيل واسرار التأويل: ج١، ص١٤٣.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى
فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ
كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ
ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ
مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ
مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ
أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ
وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ: إذا داين بعضكم بعضاً. والتداين والمداينة المعاملة نسية معطياً أوآخذاً. وذكرالدين لدفع توهم أنّه من التداين بمعنى المجازات.

إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى: معلوم بالأيام و الأشهر، فإنّه معلوم، لا بالحصاد و قدوم

الحاج، فانّه لايجوز لأنه غير معلوم.

فَٱكۡتُبُوهُ: لأنّه أوثق وأدفع للنزاع. والأمر بها للاستحباب.

في كتاب علل الشرايع: باسناده إلى أبي جعفرعليه السّلام: إنّ الله عزّوجلّ عرض على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم، قال: فرّآدم باسم داود عليه السّلام، فإذا عمره في العالم أربعون سنة، فقال آدم: يارب ما أقل عمر داود وما أكثر عمري، يارب إن أنا زدت داود ثلاثين سنة، اثبتت ذلك له؟ قال: نعم يا آدم قال: فإنّي قد زدته من عمري ثلاثين سنة، فأنفذ ذلك له وأثبتها له عندك واطرحها من عمري، قال أبوجعفرعليه السّلام: فأثبت الله عزّوجلّ لداود في عمره ثلاثين وكانت له عندالله مثبتة، فذلك قوله عزّوجلّ: «يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب» فمحى الله ماكان مثبتاً لآدم وأثبت لداود مالم يكن عنده مثبتاً. قال فمضى عمرآدم فهبط ملك الموت لقبض روحه فقال له آدم: يا ملك الموت إنّه قد بقي من عمري ثلاثون سنة، فقال له ملك الموت: ياآدم ألم تجعلها لابنك داود النبي وطرحتها من عمرك حين عرض عليك أسماء الأنبياء من ذريّتك وعرضت عليك أعمارهم وأنت يومئذٍ بوادي الأحياء؟ فقال له آدم: ماأذكر هذا، قال: فقال له ملك الموت: ياآدم لاتجحد ألم تسأل الله عزّوجلّ أن يثبته لداود ويمحوها من عمرك، فأثبتها لداود في الزّبور و محاها عن عمرك في الذكر قال آدم: حتى أعلم ذلك. قال أبوجعفر: وكان آدم صادقاً، لم يذكرولم يجحد، فمن ذلك اليوم أمرالله تبارك وتعالى أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل، لنسيان آدم و جحوده ماجعل على نفسه(١).

وفي الكافي: أبوعلي الأشعري، عن عيسى بن أيوب، عن علي بن مهزيار، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله‌عليه السّلام قال: لمّا عرض على آدم ولده نظر إلى داود فأعجبه فزاده خمسين سنة من عمره، قال: ونزل جبرئيل وميكائيل فكتب

---

(١) علل الشرايع: ج٢، ص٢٣٩، الباب(٣٤١) العلة التي من اجلها امرالله تبارك وتعالى عباده اذا تداينوا وتعاملوا ان يكتبوا بينهم كتاباً ح ١ .

عليه ملك الموت صكاً(١) بالخمسين سنة، فلمّا حضرته الوفاة أُنزل عليه ملك الموت فقال آدم: قدبقي من عمري خمسون سنة، قال: فأين الخمسون سنة التي جعلتها لابنك داود؟ قال: فأمّا أن يكون نسيتها أو أنكرها، فنزل جبرئيل وميكائيل فشهدا عليه، وقبضه ملك الموت، فقال أبوعبدالله عليه السّلام: كان أوّل صك كتب في الدنيا(٢).

وفيه حديث آخر طويل نحوه غيرأنّ فيه: أنّ عمر داود كان أربعين سنة فزاده آدم ستين تمام الماءة(٣).

وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ : بالسوية لايزيد و لا ينقص. وهو للاستحباب أيضا.

وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ :لايمتنع أحد من الكتاب. وهوللاستحباب أيضا.

أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ:من كتبة الوثائق،وهو أن يكتب بالعدل. أولايأب أن ينتفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها.

فَلْيَكْتُبْ: تلك المعلمة، أمربها بعدالنهي عن الإباء، تأكيداً.

وقيل: يجوز أن يتعلّق الكاف بالأمر فيكون النهي عن الإمتناع ثم الأمر بها مقيّدة، وهوضعيف.

وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ: لأنّه المقرّ. والإملال والإملاء واحدة.

وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ: أي المملي أوالكاتب.

وَلَا يَبْخَسْ:لاينقص.

مِنْهُ شَيْـًٔا : أي من الحقّ، أومما أُملي عليه.

فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا :ناقص العقل.

---

(١) الصك . الكتاب: نهاية ابن الأثير: ج٣، ص٤٣، باب الصاد مع الكاف الصك بتشديد الكاف: كتاب كالسجل يكتب في المعاملات.مجمع البحرين: ج٥، ص٢٧٩. لغة صكك.

(٢) الكافي: ج٧، ص٣٧٩، كتاب الشهادات، باب اول صك كتب في الارض، ح ٢ .

(٣) الكافي: ج٧، ص٣٧٨، كتاب الشهادات، باب أول صك كتب في الأرض، ح١.

أَوۡ ضَعِيفًا: صبياً.

وفي تفسير العياشي: عن ابن سنان قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: متى يدفع إلى الغلام ماله؟ قال: إذا بلغ وأونس منه رشد، ولم يكن سفيهاً أوضعيفاً، قال: قلت: فإنّ منهم من يبلغ خمس عشرسنة وستة عشر سنة ولم يبلغ، قال: إذابلغ ثلاث عشرة سنة جاز أمره إلاّ أن يكون سفيهاً أوضعيفاً، قال: قلت: وماالسفيه والضعيف؟ قال: السفيه الشارب الخمر،والضعيف الذي يأخذ واحداً باثنين(١).

وفي تهذيب الأحكام: علي بن الحسين، عن أحمد و محمد ابني الحسن، عن أبيهما ،عن أحمدبن عمر الحلبي، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: سأله أبي وأنا حاضرعن قول الله عزّوجلّ «حتّى إذا بلغ» قال: الاحتلام قال: فقال: يحتلم في ستّة عشر وسبع عشرسنة ونحوها، فقال: إذاأتت عليه ثلث عشرسنة كتبت له الحسنات وجاز أمره إلاّ أن يكون سفيهاً أوضعيفاً، فقال: وما السفيه؟ فقال: الّذي يشتري الدرهم بأضفافه، قال: وما الضعيف؟ قال: الأبله(٢).

أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ: هولخرس أوجهل باللغة.

فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ: أي الذي يلي أمره ويقوم مقامه، من الولي الشرعي للصبي والمختل العقل، والوكيل المترجم المعتبر على الوجه الذي اعتبره الشرع، من كونه عدلين خبيرين بقصده.

وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ: واطلبوأن يشهد على الدين شاهدين.

مِن رِّجَالِكُمۡۖ: المؤمنين.

فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ: أي فليشهدا أوفالمستشهد رجل وامرأتان.

مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ: لعلمكم بعد التهم.

في الكافي: أحمدبن محمدالعاصمي، عن علي بن الحسن التيمي، عن ابن

---

(١) تفسيرالعيّاشي: ج١، ص١٥٥، ح٥٢١.

(٢) التهذيب: ج٩، ص١٨٢ باب٨ وصيّة الصبي والمحجور عليه ح٦.

بقّاح، عن أبي عبدالله المؤمن، عن عمّار بن أبي عاصم قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: أربعة لايستجاب لهم دعوة، أحدهم رجل كان له مال فأدانه بغير بيّنة، يقول الله عزّوجلّ: الم آمرك بالشهادة(١).

عدّة من أصحابنا: عن أحمدبن أبي عبدالله، عن محمدبن علي، عن موسى بن سعدان، عن عبدالله بن القاسم، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من ذهب حقه على غير بيّنة لم يوجر(٢).

محمدبن يحيى، عن محمدبن الحسين، عن موسى بن سعدان، عن عبدالله بن القاسم، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله(٣).

وفي تهذيب الاحكام: سعدبن عبدالله، عن أحمدبن محمد، عن محمدبن خالد، وعلي بن حديد، عن علي بن نعمان،عن داود بن الحصين، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: سألته عن شهادة النساء في النكاح بلارجل معهن إذاكانت المرأة منكرة فقال: لابأس إلى قوله: وكان أميرالمؤمنين عليه السّلام يجيز شهادة امرأتين في النكاح عندالانكار، ولايجيز في الطلاق إلاّ شاهدين عدلين، قلت: فأين ذكرالله تعالى وقوله «فرجل وامرأتان» فقال: ذلك في الدين،إذا لم يكن رجل فرجل وامرأتان، ورجل واحد ويمين المدّعى إذا لم يكن امرأتان، قضى بذلك رسول اللهصلّى اللهعليهوآله وأميرالمؤمنين عليه السلام بعده عندكم(٤).

أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا أي تضلّ احدى المرأتين، أي نسيت الشهادة.

فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ:أي إنّما اعتبرالتعدّد في المرأة،لإرادةأن تذكّر إحداهما الأخرى إن ضلّت ونسيت الشهادة، وذلك لنقصان عقولهنّ وقلّة ضبطهنّ. والعلة في الحقيقة التذكير، وضع سببه مقامه وقرأ حمزة (وأن تضلّ)

---

(١) الكافي: ج٥، ص٢٩٨ كتاب المعيشه باب من اذان ماله بغير بينة، ح٢.

(٢) الكافي: ج٥ ص٢٩٨ كتاب المعيشة باب من اذان ماله بغير بينة ح٣.

(٣) الكافي: ج٥، ص٢٩٨، كتاب المعيشة باب من اذان ماله بغير بينة، ذيل الحديث ح٣.

(٤) التهذيب: ج٦، ص٢٨١، باب٩٠ البينتين يتقابلان، اويترجح بعضها على بعض ح١٧٩.

على الشرط (فتذكّر) بالرفع. وابن كثير وأبوعمرو ويعقوب (فتذكر) من الإذكار(١).

وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ : لتحمل الشهادة. وسمّوا شهداء، تنزيلاً لمايشارف منزله الواقع .

و(ما) مزيدة. وقيل: لأداء الشهادة، أوالتحمّل.

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن أبي عبدالله، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّوجلّ: «ولايأب الشهداء إذامادعوا» قال: لاينبغي لأحد إذادعي للشهادة يشهد عليها، أن يقول: لاأشهد عليكم(٢).

عدّة من أصحابنا: عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السّلام في قوله عزّوجلّ: «ولايأب الشهداء إذامادعوا» فقال: إذا دعاك الرجل تشهد له على دين أوحق لم ينبغ لك أن تقاعس عنه(٣).

علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن إبن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّوجلّ: «ولايأب الشهداء إذا مادعوا» قال: قبل الشهادة(٤).

عدّة من أصحابنا: عن سهل بن زياد، عن أحمدبن محمدبن أبي نصر، عن داود بن سرحان، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: لايأب الشهداء أن تجيب حين تدعى قبل الكتاب(٥).

وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ: ولا تملّوا من كثرة مداينا تكم أن تكتبوا الدين.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرارالتأويل: ج١، ص١٤٤.

(٢) الكافي: ج٧، ص٣٧٩، كتاب الشهادات، باب الرجل يدعى إلى الشهادة ح١.

(٣) الكافي: ج٧، ص٣٨٠، كتاب الشهادات، باب الرجل يدعى إلى الشهادة ح٣.

(٤) الكافي: ج٧، ص٣٨٠، كتاب الشهادات، باب الرجل يدعى الى الشهادة ح٤.

(٥) الكافي: ج٧، ص٣٨٠، كتاب الشهادات، باب الرجل يدعى الى الشهادة ح٦.

وقيل: كنّي بالسأمة عن الكسل.

صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا :كان الحق صغيراً أوكبيراً. أوالكتاب مختصراًأومشبعاً.

إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ :متعلق بـ(تكتبوه)أي وقت حلوله الذي أقرّبه المديون.

ذَٰلِكُمْ : اشارة إلىٰ (أن تكتبوه).

أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ :أكثر قسطاً.

وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ:وأثبت لها. وهما مبنيّان من أقسط وأقام على غير قياس. أومن قاسط بمعنى ذي قسط وقوم، وإنّما صحت الواو في أقوم كما صحّت في التعجّب لجموده.

وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ:وأقرب في أن لا تشكّوا في جنس الدين وقدره وأجله والشهود ونحو ذلك.

إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً :استثناء عن مفعول فاكتبوه الراجع إلى دين باعتبار تعلّق الكتابة به، وتعلّقه بالتداين، ومابينهما إعتراض. أي أُكتبوا الدين المتداين به إلاّأن تكون تجارة.

ونصب عاصم تجارة على أنّه الخبر، والاسم مضمر، تقديره إلاّ أن تكون الدّين المتداين به تجارة.وقرأ الباقون بالرفع على أنّ الخبر (تديرونها)، أوعلى كان التامة(١).

حَاضِرَةً :والتجارة الحاضرة يكون بدين وعين.

تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا :وإدارة التجارة تعاطيهم إيّاها يداً بيد، فهو على تقدير كونه صفة مخصصة أي فلابأس بعدم الكتابة حينئذٍ.

وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ مطلقاً، لأنه أحوط.

---

(١) يحتمل البناء للفاعل والمفعول، والدليل عليه قراءة عمرولايضارر بالإظهار والكسر. وقراءة ابن عباس(رض) ولايضارر بالإظهار والفتح (الكشاف: ج١، ص٣٢٧، في تفسيره لآية (٢٨٢) من سورة البقرة (ولايضاركاتب).

وقيل: المراد هذاالتبايع. والأوامرالتي في هده الآية للإستحباب.

وقيل: للوجوب فمن قائل بالأحكام وقايل بالنسخ.

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: يحتمل البنائين ويدلّ عليه قرائة ولايضارر، وبالكسر والفتح(١)، فعلى البناء للفاعل نهي لهماعن ترك الإجابة والتحريف والتغير في الكتبة والشهادة. وعلى البناء للمفعول نهي للمستكتب والمستشهد من أن يضارهما بالتكليف لهما مالايسوغ لهما من جنس جعل الكاتب وحبس الشهيد وغير ذلك.

﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾: مانهيتم عنه.

﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ﴾: خروج عن الطاعة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾: في مخالفة نهيه.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾: أحكامه المتضمّنة لمصالحكم.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: كرّر لفظ (الله) في الجمل الثلاث للمبالغة. فإنّه لمّا كان موضوعاً للذات الكاملة مع جميع صفات الكمال على الكمال، فيكون عقابه في النهاية والكمال فيقتضي الانهاء منه أشد اقتضاء، و يكون تعليمه للأحكام في نهاية الإفضال، فلايجوز مخالفة حكمه بحال، و يكون علمه بقدر الجزاء شاملاً أتمّ شمول، فلا يسوغ إغفال العمل بالذهول.

وقيل: كرّر لإستقلالها. فإنّ الأولى حثّ على التقوى، والثانية عدّ بإنعامه، والثالثة تعظيم لشأنه، ولأنّه أدخل في التعظيم من الكناية.

والوجه الأوّل من تعليله ضعيف، والاضمار لايقتضي عدم الإستقلال، فتأمّل.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرارالتأويل: ج١، ص١٤٣.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا: راكب سفر، أي مسافرين.

فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ : أي فالذي يستوثق فرهان. أوفعليكم رهان. أوفليؤخذ رهان.

وظنّ مجاهد والضحّاك أنّ هذاالتعليق، لإشتراط السفر في الإرتهان(١).

وليس كما ظنا، بل الظاهرأنّه لإقامة التوثيق بالإرتهان مقام التوثق بالكتب في السفرالذي هو مظنّة الإعواز.

وبعضهم استدل بالآية على أنّ القبض بالمعنى الأخص معتبر في الرهن.

وفيه أنّه يحتمل أن يكون ذكر القبض وارداً في الآية على ماهوأكثر موارده. على أنّه يحتمل أن يكون المراد بالقبض مايشمل عدم جواز تصرّف الراهن بدون إذن المرتهن فيه.

ومارواه العياشي: في تفسيره، عن محمدبن عيسى، عن أبي جعفرعليه السّلام قال: لارهن إلاّمقبوضاً(٢).

محمول على هذاالمعنى.

وقرأ ابن كثير وأبوعمرو (فرهن) كسقف، وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون،

---

(١) أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ج١، ص١٤٥.

(٢) تفسيرالعياشي: ج١، ص١٥٦، ح٥٢٥.

وقرئ باسكان الهاء على التخفيف (١).

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: أي عدّ بعضكم بعض الآخر أميناً، واستغنى بأمانته عن الكتبه والإرتهان.

﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾: أي دينه، سمّاه أمانة، لإيتمانه عليه بترك الإرتهان.

ويحتمل أن يكون المراد بالإيتمان: الإستيداع.

وقرئ الذيتمن بقلب الهمزة ياءً. والذّتمن بادغام الياء في التاء. قيل: وهوخطأ لأنّ المنقلبة عن الهمزة في حكمها، فلايدغم.

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥ﴾: في الخيانة. وفي ذكرالرّب والإضافة إلى المؤتمن ـبعدذكر الإسم الدالّ على الذات المستجمع لجميع الصفات، المقتضية للإتقاءعنه ـ زيادة إقتضاء للإتقاء على وجه اللطف والرحمة، لإشعاره بأنّه تعالى مربية، فيجب أن لايرتكب مافيه مناقصة بكمال تربيته، فإنّ فيه كسر للمربّي ظاهراً، ففيه نهاية الإعطاف والافضال وإظهار الملاطفة والاشعار، فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ﴾ أيها الشهود، وقيل: أو المديون، والشهادة شهادتهم على أنفسم.

﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾: أي يأثم قلبه، أوقلبه يأثم وعلى الثاني الجملة خبران، وإسناد الإثم إلى القلب، لأنّ الكتمان يقترفه. أوللمبالغة، فإنه رئيس الأعضاء وأفعاله أعظم الأفعال.

وفي نهج البلاغه: قال عليه السلام: وبما في الصدور يجازي العباد (٢).

وقرئ: قلبه بالنصب كحسن وجهه.

وفي من لايحضرالفقيه: روى جابرعن أبي جعفر قال في قول الله عزوجل:

---

(١) أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ج١، ص١٤٥.

(٢) نهج البلاغة: ص١٠٣، من كلام له عليه السلام لمّا بلغه إتهام بني أميه له بالمشاركة في دم عثمان.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

«ومن يكتمهافإنّه آثم قلبه» قال: كافر قلبه(١).

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾:

في أمالي الصدوق: في مناهي النبي صلّى الله عليه وآله: ونهى صلّى الله عليه وآله عن كتمان الشهادة قال: ومن يكتمها أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلايق، وهو قول الله عزّوجلّ: «ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنّه آثم قلبه»(٢).

وفي الكافي: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن عبدالرحمن بن أبي نجران، و محمّدبن علي، عن أبي جميلة عن جابر، عن أبي جعفرعليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من كتم شهادة أوشهد بها ليهدر بها دم امرءٍ مسلم، أوليزوي مال امرءٍ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه ظلمة مدالبصر، وفي وجهه كدوح(٣) تعرفه الخلايق بأسمه ونسبه(٤).

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: خلقاً وملكاً.

﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ ما استقرّفي أنفسكم من السوء حتّى تعزموا

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج٣، ص٣٥، باب٢٢الامتناع من الشهادة وماجاء في اقامتها وتأكيدها وكتمانها ح ٥

(٢) الأمالي للصدوق: ص٢٥٧، المجلس السادس والستون.

(٣) الكدوح: الخدوش، وكل أثرمن خدش أوعضّ فهوكدح نهاية ابن الأثير: ج٤، ص١٥٥.

(٤) الكافي:ج٧، ص٣٨٠، كتاب الشهادات، باب كتمان الشهادة ح١.

عليه، لاماخطر فيه، فإنّه موضوع عنكم، فإن تبدوه بالعمل أو باللسان.

﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾: يوم القيامة.

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: مغفرته.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: تعذبيه

وقد رفعها عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف. وجزمها الباقون عطفاً على جواب الشرط. ومن جزم بغيرفاء جعلها بدلاً عنه، بدل البعض من الكلّ، أوالاشتمال: كقوله:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حَطباً جزلاً وناراً تأجّجا(١)

وادغام الراء في اللام لحن، إذ الراء لايدغم إلاّ في مثله.

وفي تفسير العياشي: عن سعدان، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السّلام في قوله: «وان تبدوا ما في أنفسكم أوتخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء» قال: حقيق على الله أن لايدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من حبّهما(٢).

وفي كتاب التوحيد: باسناده إلى جرير بن عبدالله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: رسول الله صلّى الله عليه وآله: رفع عن أُمتي تسعة أشياء: الخطأ والنسيان، وما اكرهوا عليه، ومالايطيقون، ومالايعلمون، وما اضطروا إليه،والحسد، والطيرة، والتفكّر في الوسوسة في الخلق مالم ينطق بشفة(٣).

وباسناده الى حمزة بن حمران قال: سألت أبا عبدالله عليه السّلام عن

---

(١) هومن ابيات لعبدالله بن الحر يصف فيها نفسه بحسن القيام في خدمة الضيف. قوله: تأتنا مضارع من الاتيان. وتلمم مضارع من الالمام بمعنى النزول. والدياركتاب جمع دار وهى مسكن الرجل. وتجد مضارع من الوجدان بمعنى الادراك. والجزل بالجيم والزاء المعجمه كفلس اليابس من الحطب وغيره. وتأجج بالجيمين اولها مشدّدة ماض من التأجّج، وهو تلهّب النار (جامع الشواهد :ص٢٧٣، باب الميم بعده التاء).

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٥٦، ح٥٢٨.

(٣) كتاب التوحيد: ص٣٥٣، باب٥٦ الاستطاعة، ح٢٤.

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥

الإستطاعة، فلم يجبني، فدخلت عليه دخلة أُخرى فقلت: أصلحك الله أنّه قدوضع في قلبي منها شئ ولايخرجه إلاشئ أسمعه منك، قال: فإنّه لايضرّك ماكان في قلبك (١) وسيأتى تمام الحديث إن شاءالله.

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ فيقدر على الاحياء والمحاسبة والمغفرة والتعذيب.

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ: شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحّة إيمانه والإعتداد به وأنّه جازم في أمره غيرشاك فيه.

في كتاب الغيبة لشيخ الطائفة رحمه الله باسناده إلى سلام، قال: سمعت أبا سلمى راعي النبي صلّى الله عليه و آله(٢). يقول: سمعت رسول الله صلّى الله

---

(١) كتاب التوحيد: ص٣٤٦، باب٥٦ الاستطاعة، ح ٣ .

(٢) تصدّى لترجمته بالاجمال في الاستيعاب في أسماء الأصحاب، وفي الإصابة في تمييزالصحابة. وتعرض لترجمته في أسدالغابة في معرفة الصحابة، واليك نصّ مانقله «أبوسلمى راعي رسول الله صلّى الله عليه(وآله) وسلم، قيل إسمه حريث، كوفي، وقيل: شامي، روى عنه ابوسلام الاسود وابومعمر، عبادبن عبدالصمد الى ان قال: اخبرنا عباد بن عبد الصمد قال: حدثني ابوسلمى راعي رسول الله صلّى الله عليه(وآله) وسلم قال: سمعت النبي صلّى الله عليه(وآله) وسلم يقول: من لق الله عزّوجلّ يشهد ان لااله الاالله وان محمد رسول الله وامن بالبعث والحساب دخل الجنة، قلت: انت سمعت هذا من رسول الله صلّى الله عليه(وآله) وسلم؟ فادخل اصبعيه في اذنيه وقال: سمعت هذا منه غيرمرة ولامرتين ولا ثلاث ولااربع. و روى الفضل بن الحسين عن عبادبن عبدالصمد قال: بينا أنابالكوفة اذقيل: هذا رجل من اصحاب رسول الله صلّى الله عليه(وآله) وسلم وكان خادما لرسول الله فناداه

←

عليه و آله يقول: ليلة أسري بي إلى السماء قال العزيز جلّ ثنائه: «آمن الرسول بما أُنزل اليه من ربّه» قلت: والمؤمنون، قال: صدقت يا محمد(١).

وروى المقلّد بن غالب رحمه الله، عن محمدبن الحسين، عن محمدبن رهبان، عن محمدبن أحمد، عن عبدالرحمٰن بن يزيد بن جابر قال: سمعت أبا سلمى راعي النبي صلّى الله عليه وآله يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: ليلة أُسري بي إلي السماء قال الرّب عزّوجلّ: «آمن الرسول بما أُنزل اليه من ربه» قلت: والمؤمنون قال: صدقت يا محمّد، من خلّفت على أُمتك؟ قلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قلت: نعم يارب، فقال: يامحمّد إني اطلعت إلى الأرض إطلاعة فاخترتك منها، وشققت لك إسماً من أسمائي، فلا اُذكر في موضع إلاّذكرت معي، فأناالمحمود وأنت المحمد. ثم اطلعت ثانية واخترت علياً فشققت له اسماً من أسمائي، فانا الأعلى وهوعليّ يا محمد إنّي خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين من نوري. يا محمد إنّي عرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرضين فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الظالمين. يا محمّد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يارب قال: إلتفت، فالتفت عن يمين العرش فإذا أنابإسم علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن، والمهدي في وسطهم كأنّه كوكب دري، فقال: يامحمّد هؤلاء حججي على خلقي، وهذاالقائم

رجل يكنى ابا مسعر فقال: ياعبدالله كنت خادما لرسول الله صلّى الله عليه(وآله) وسلم؟ قال: نعم كنت ارعى له، فقال: الا تحدثنا ما سمعته منه؟ قال: بلى حدثني رسول الله صلّى الله عليه(وآله) و سلم انه قال بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله والحمدلله ولاإله إلاّالله والله اكبر ولاحول ولاقوة إلاّ بالله، إلى أن قال: سلمى ضبطه إبن الفرضي بالضم وهوالصحيح (اسدالغابة ج٥، ص٢١٩).

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ص٩٥.

من ولدك بالسيف والمنتقم من أعدائك(١) فعلى هذين الخبرين.

قوله وَٱلْمُؤْمِنُونَ معطوف على الرسول عطف تلقين.

وقوله: كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ: مبتدأوخبر. والضمير الذي ناب عنه التنوين في (كُلٌّ) للرسول وللمؤمنين.

وجوّزالبيضاوي كون (المؤمنون) مبتدأ أولاً وكون الضمير لهم، و(كلّ) مبتدأ ثانياً مع خبره. وهو مع خبره، خبر للأوّل، قال: ويكون إفراد الرسول لتعظيمه، أو لأنّ إيمانه عن مشاهدة وعيان وإيمانهم عن نظر واستدلال(٢).

وقرأ حمزة والكسائي (وكتابه) يعني القرآن، أوالجنس. والفرق بينه و بين الجمع أنّه شايع في وحدات الجنس والجمع في جموعه، ولذلك قيل: الكتاب أكثر من الكتب(٣).

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ بالتصديق لبعضهم والتكذيب لبعض آخر، أي يقولون: (لانفرّق).

ويحتمل عدم تقدير القول، بجعله حالاً من الفاعل وهوالرسول والمؤمنون، ويكون العدول عن الغيبة لتعظيمهم، وذلك أوجه.

وقرأ يعقوب بالياء على أنّ الفعل لكلّ. وقرأ لايفرّقون، حملاً على المعنى(٤).

وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا قولك.

وَأَطَعْنَا: أمرك.

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا: اي إغفر غفرانك، أونطلب غفرانك.

ويحتمل بعيداً كونه معمول (أطعنا وسمعنا) على سبيل التنازع، أي

---

(١) رواه والذي قبله في كتاب الغيبة (اصدار مكتبة نينوى الحديثه في طهران) في ص٩٥، ورواه المحدّث الأكبر محمدبن الحسن الحرّ العاملي نورالله مضجعه في كتاب إثبات الهداة ج١، الباب التاسع ص(٥٤٨) تحت رقم (٣٧٤) كما في المتن من جهة المتن، ولم نعثر على السند الذي نقله المصنّف قدس سره عن المقلدبن غالب، والله العالم.

(٢ و٣و٤) أنوار التنزيل وأسرارالتاويل: ج١، ص١٤٦.

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا
مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا
وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا
وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

غفرانك، أي موجبه وهوالايمان سمعناه وأطعناه فآمنّا.

وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ بعد الموت. وهو إقرارمنهم بالبعث.

وفي كتاب الإحتجاج للطبرسي رحمه الله عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في حديث طويل، وفيه خطبة الغدير، وفيها معاشرالناس: قولوا: ٱلّذي قلت لكم: وسلّموا على عليّ بإمرةالمؤمنين، وقولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير(١).

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ الآمايسعه قدرتها، أومادون مدى طاقتها ويكون يسيراً عليها لقوله: (يريدالله بكم اليسر ولايريد بكم العسر)(٢).

وفيه تصريح بعدم وقوع التكليف بالمحال.

وفي كتاب التوحيد بإسناده إلى أبي جميلة المفضّل بن صالح، عن محمدبن علي الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: ما أُمرالعباد إلآ بدون سعتهم،

---

(١) كتاب الاحتجاج: ج١، ص٦٦، إحتجاج النبي صلّى الله عليه وآله يوم الغدير على الخلق كلّهم وفي غيره من الأيام بولاية علي بن أبي طالب ومن بعده من ولده.

(٢) سورة البقره: الآيه ١٨٥.

وفي كُلّ شيءٍ أُمرالناس بأخذه فهم متّسعون له، ومالايتسعون له فهو موضوع عنهم، ولكن الناس لاخير فيهم(١).

وبإسناده إلى عبدالسلام بن صالح الهروي قال: سمعت أباالحسن علي بن موسى بن جعفرعليهما السّلام يقول: من قال بالجبر فلا تعطوه من الزكاة ولا تقبلوا له شهادة، إنّ الله تبارك وتعالى يقول: «لايكلّف الله نفسا إلّا وسعها» ولايحمل فوق طاقتها «ولا تكسب كل نفس إلّا عليها» «ولاتزروازرة وزرأخرىٰ»(٢).

و باسناده إلىٰ حمزة بن حمران قال: سألت أبا عبدالله عليه السّلام عن الإستطاعة، إلى قوله: قلت: أصلحك الله فإني أقول: إنَّ الله تبارك وتعالى لم يكلّف العباد إلاّ مايستطيعون وإلّا مايطيقون، وأنّهم لايصنعون شيئاً من ذلك إلاّ بإرادة الله ومشيّته وقضائه وقدرته قال: وهذا دين الله الذي أنا عليه وآبائي (عليهما السلام)(٣)

لَهَا مَا كَسَبَتْ من خير.

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ من شر، لاينتفع بطاعتها ولايتضرّر بمعصيتها غيرها.

وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر، لأنّ الاكتساب فيه اعتمال، والشرّتشتهيه الأنفس و تنجذب إليه فكانت أجدّ في تحصيله وأعمل بخلاف الخير(٤).

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا أي لا تؤاخذنابما أدّى بنا إلىٰ نسيان

---

(١) كتاب التوحيد: ص٣٤٧، باب الإستطاعة ح٦.

(٢) كتاب التوحيد: ص٣٦٢،باب٥٩ نفي الجبر والتفويض ح٩.

(٣) كتاب التوحيد: ص٣٤٦، باب٥٦، الإستطاعة قطعة من حديث٣.

(٤) قال في الكشاف: ج١، ص٣٣٢، في تفسيرالآية ما لفظه (فان قلت: لم خص الخير بالكسب والشرّ بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس و هي منجذبة إليه وأمّارة به، كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجعلت لذلك مكتسبةفيه. ومما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بمالادلالة فيه على الاعتمال).

أوخطأ، أو بمايودّي الخطأ والنسيان إليه بالآخرة من عمل آخر، فإنّهما يمكن أن يؤدّي كثرتهما واعتيادهما إلى عمل قبيح. وقيل: أو بأنفسهما، إذ لايمتنع المؤاخذة بها عقلاً فإنّ الذنوب كالسموم، فكما أنّ تناولها يؤدّي إلىٰ الهلاك وإن كان خطاءً، فتعاطي الذنوب لايبعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم يكن عزيمة، لكنّه تعالى وعدالتجاوز عنه رحمة وفضلاً، فيجوز أن يدعوالإنسان به إستدامة واعتداداً بالنعمة فيه.

وفي اصول الكافي: الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن أبي داودالمسترق قال: حدّثني عمروبن مروان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: رفع عن أُمتي أربع خصال: خطاؤها ونسيانها وماأكرهوا عليه ومالم يطيقوه. وذلك قول الله عزّوجل «ربنالا تؤاخذنا إن نسينا أوأخطأنا ربّنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربّنا ولاتحمّلنا مالاطاقة لنابه» وقوله: «إلّا من إكره وقلبه مطمئن بالإيمان»(١).

ويحتمل أن يكون هذا دعوةالرسول صلّى الله عليه وآله قبل رفع الخطأوالنسيان، وبعدها كما رفع، يجيئ في الخبر. والغرض من الدعاء به، التأسّي به وتذكّر ماأنعم الله تعالى بسبب دعوته.

رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا : ثقيلاً يأمر صاحبه، أي يحبسه في مكانه. والمراد به التكاليف الشاقّة. وقرئ (ولاتحمّل) بالتشديد للمبالغة(٢).

كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا: حملاً مثل حملك إيّاه عليهم. أو مثل الذي حملته إيّاهم، فيكون صفة لإصراً. والمراد به ما كلّف به بنوا إسرائيل من الأُمور التي ذكر في الخبر الذي ينقل من الإحتجاج(٣).

---

(١) الكافي: ج٢، كتاب الايمان والكفر، باب مارفع عن الامة، ص٤٦٢، ح١.

(٢) أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ج١، ص١٤٧.

(٣) الإحتجاج: ج١، ص٣٢٧ إحتجاجه عليه السلام على اليهود من أحبارهم ممن قرأ الكتب والصحف في معجزات النبي صلّى الله عليه وآله وكثيرمن فضائله.

وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ: من البلاء والعقوبة. أو من التكاليف التي لا تفي بها القوّة البشريّة. وهو لا يدلّ على جواز التكليف بما لا يطاق، بناءً على احتمال كون المراد بما لا طاقة لنا، العقوبة، لا التكاليف، والتشديد هنا لتعدية الفعل إلى مفعول ثان.

وَٱعْفُ عَنَّا: وامح ذنوبنا.

وَٱغْفِرْ لَنَا: واسترعيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة.

وَٱرْحَمْنَآ: وتعطّف منّا وتفضّل علينا.

أَنتَ مَوْلَىٰنَا: سيّدنا وناصرنا.

فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ: والمراد بهم عامة الكفرة.

وفي كتاب الإحتجاج للطبرسي رحمه الله: وروى موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي، عن أميرالمؤمنين عليه السّلام في حديث طويل، وقد ذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله فدنى بالعلم فتدلّى، فدنى له من الجنة رفرف أخضر وغشى النور بصره، فرأى عظمة ربّه عزّ وجلّ بفؤاده ولم يرها بعينه، فكان كقاب قوسين بينها و بينه أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى. وكان فيما أوحى إليه الآية التي في سورة البقرة قوله تعالى: «لله ما في السموات وما في الارض وإن تبدوا ما في أنفسكم أوتخفوه يحاسبكم به الله فيغفرلمن يشاء ويعذّب من يشاء والله على كل شيء قدير» وكانت الآية قدعرضت على الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى أن بعث الله تعالى محمداً، وعرضت على الأمم فأبوا أن يقبلوا من ثقلها، وقبلها رسول الله صلّى الله عليه وآله وعرضها على أُمّته فقبلوها، فلمّا رأى الله تبارك وتعالى منهم القبول علم أنّهم لايطيقونها.

فلمّا أن سار إلى ساق العرش كرّرعليه الكلام ليفهمه. فقال: «آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه» فأجاب صلّى الله عليه وآله مجيباً عنه وعن أُمّته «والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرّق بين أحد من رسله» فقال جلّ ذكره: لهم الجنّة والمغفرة على إن فعلوا ذلك. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: إذا فعلت ذلك ربّنا فغفرانك ربّنا وإليك المصير، يعني المرجع

في الآخرة، قال: فأجابه جلّ ثنائه. وقد فعلت ذلك بك و بأُمّتك.

ثم قال عزّوجلّ: أمّا إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم مافيها وقدعرضتها على الأُمم فأبوا أن يقبلوها وقبلتها أُمّتك، فحقّ عليّ أن أرفعها عن أُمّتك، وقال: «لايكلّف الله نفساً إلّاوسعها لها ماكسبت» من خير «وعليها مااكتسبت» من شرّ. فقال النبي صلّى الله‌عليه‌وآله لمّا سمع ذلك: أمّا إذا فعلت ذلك بي وبأُمتي، فزدني، قال: سل، قال: «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا» قال الله عزّوجلّ: لست اؤاخذ أُمّتك بالنسيان أوالخطاء لكرامتك عليّ.

وكانت الأُمم السابقة إذا نسوا ماذكّروا به فتحت عليهم أبواب العذاب، وقد رفعت ذلك عن أُمتك. وكانت الأُمة السالفة إذا أخطأوا اخذوا بالخطاء وعوقبوا، وقد رفعت ذلك عن أُمّتك لكرامتك عليّ. فقال النبي صلّى الله‌عليه‌وآله: اذاأعطيتني ذلك فزدني، فقال الله تعالى: سل، قال: «ربنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا» يعني بالإصر الشدايد التي كانت على من كان قبلنا، فأجابه الله إلىٰ ذلك، فقال تبارك اسمه: قد رفعت عن أُمّتك الإصار التي كانت على الأُمم السالفة. كنت لاأقبل صلاتهم إلاّ في بقاع من الأرض معلومة إخترتها لهم وإن بعدت، وقدجعلت الأرض لأُمّتك كلّها مسجداً وطهوراً، فهذه من الإصار التي كانت على الأُمم قبلك، فرفعتها عن أُمّتك.

وكانت الأُمم السالفة إذا أصابهم أذىً من نجاسة قرضوه من أجسادهم، وقد جعلت الماء لأُمّتك طهوراً، فهذه من الإصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمّتك.

وكانت الأُمم السالفة تحمل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس، فمن قبلت ذلك منه ارسلت إليه ناراً فأكلته ورجع مسروراً، ومن لم أقبل ذلك،رجع مثبوراً. وقد جعلت قربان أُمّتك في بطون فقرائها ومساكينها، فمن قبلت ذلك منه اضعفت ذلك له أضعافاً مضاعفة،ومن لم أقبل ذلك منه، رفعت عنه عقوبات الدنيا، وقدرفعت ذلك عن أُمّتك، وهي من الإصار التي كانت على

الأُمم قبلك.

وكانت الأُمم السالفة صلاتها مفروضة عليها في ظُلَمِ الليل وأنصاف النهار، وهي من الشدايد التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمّتك وفرضت عليهم صلاتهم في أطراف الليل والنهار في أوقات نشاطهم.

وكانت الأُمم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتاً، وهي الإصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن أُمّتك وجعلتها خمساً في خمسة أوقات، وهي احدى وخمسون ركعة، وجعلت لهم أجر خمسين صلاة.

وكانت الأُمم السالفة، حسنتهم بحسنة، وسيئتهم بسيئة، وهي من الإصار التي كانت عليهم فرفعتها عن امّتك، و جعلت الحسنة بعشر والسيئة بواحدة.

وكانت الأُمم السالفة، إذا نوى أحدهم بحسنة ثم لم يعملها، لم يكتب له، وإن عملها كتبت له حسنة، وإنّ أُمّتك إذا همّ أحدهم بحسنة ولم يعملها، كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له عشراً، وهي من الإصار ألتي كانت عليهم، فرفعتها عن أُمّتك.

وكانت الأُمم السالفة إذا همّ أحدهم بسيئة ثم لم يعملها، لم يكتب عليه، وإن عملها، كتبت له سيئة، وإنّ أُمّتك إذا همّ أحدهم بسيئة ثم لم يعملها، كتبت له حسنة، و هذه من الإصار التي كانت عليهم فرفعت ذلك عن امّتك.

وكانت الأُمم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم، وجعلت توبتهم من الذنوب إن حرمت عليهم بعد التوبة أحبّ الطعام إليهم، وقد رفعت ذلك عن أُمّتك وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم، و جعلت عليهم ستوراً كثيفة، وقبلت توبتهم بلاعقوبة ولاأُعاقبهم بأن أُحرّم عليهم أحبّ الطعام إليهم.

وكانت الأُمم السالفة يتوب أحدهم من الذنب الواحد مائة سنة وثمانين سنة أوخمسين سنة، ثم لاأقبل توبتهم دون أن أُعاقبهم في الدنيا بعقوبة، وهي من الإصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمّتك. وأن الرجل من أُمّتك ليذنب عشرين سنة، أوثلاثين سنة، أوأربعين سنة، أومائة سنة، ثم يتوب ويندم طرفة عين فأغفر ذلك كلّه. فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: إذا أعطيتني ذلك كلّه فزدني، قال:

سل، قال: «ربّنا ولاتحمّلناما لاطاقة لنا به» قال تبارك اسمه: قد فعلت ذلك بأمّتك وقد رفعت عنهم عظم بلايا الأمم، وذلك حكمي في جميع الأمم أن لاأكلّف خلقاً فوق طاقتهم، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «واعف عنّا واغفرلنا وارحمنا أنت مولانا» قال الله عزّوجلّ: قدفعلت ذلك بتائبي أمّتك، ثم قال: «فانصرنا على القوم الكافرين» قال الله جلّ إسمه: إنّ أمّتك في الأرض كالشامة البيضاء في الثور الأسود، هم القادرون، هم القاهرون يستخدمون ولايستخدمون لكرامتك عليّ، وحقّ عليّ أن أظهر دينك على الأديان حتّى لايبقى في شرق الأرض وغربها دين إلّا دينك، أويؤدّون إلى أهل دينك الجزية(١).

وفي كتاب بصائرالدرجات: أحمدبن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عبدالصمد بن بشير قال: ذكر أبوعبدالله عليه السلام بدو الأذان وقصّة الأذان في إسراء النبي صلّى الله عليه وآله حتّى انتهى إلى سدرة المنتهى قال: فقال: السدرة ماجاز في مخلوق قبل، قال: «ثم دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ماأوحى»(٢) قال: فدفع إليه كتاب أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فأخذكتاب أصحاب اليمين بيمينه ففتحه فنظر إليه، فإذا فيه أسماء أهل الجنّة وأسماء آبائهم وقبائلهم قال: فقال له: «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه» فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته ورسله» فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ربّنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا» فقال الله: قدفعلت، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «ربّنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا» قال الله قدفعلت، قال النبي صلّى الله عليه وآله: «ربّنا ولاتحمّلنا مالاطاقة لنا به واعف عنّا واغفرلنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين» كلّ ذلك يقول

---

(١) الإحتجاج: ج١، ص٣٢٧-٣٣٠، إحتجاجه عليه السلام على اليهود من أحبارهم ممن قرأ الكتب والصحف في معجزات النبي صلّى الله عليه وآله وكثير من فضائله.

(٢) سورة النجم: الآيات ٨ و٩ و١٠.

الله عزّوجلّ: قدفعلت،ثم قال: طوى الصحيفة فأمسكها بيمينه. وفتح صحيفة أصحاب الشمال، فإذا فيها أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم(١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: أمّا قوله: «آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه» فإنّه حدّثني أبي، عن إبن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبدالله عليه السلام إنّ هذه الآية مشافهة لنبيّه صلّى الله عليه وآله لمّا أسري به إلى السماء قال النبي صلّى الله عليه وآله: إنتهيت إلى محل سدرة المنتهى وإذا الورقة منها تظلّ أمة من الأمم، فكنت من ربّي كقاب قوسين أو أدنى، كما حكى الله عزّوجل، فناداني ربّي تبارك وتعالى «آمن الرسول بما أُنزل اليه من ربّه» فقلت أنا مجيبه عنّي وعن أُمتّي «والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرّق بين أحد من رسله» فقلت «سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير» فقال الله: «لايكلّف الله نفساً إلاّ وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت» فقلت: «ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أوأخطأنا» فقال الله: لاأُوآخذك فقلت: «ربّنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا» فقال الله: لاأحملك، فقلت: «ربّنا ولاتحمّلنا مالا طاقة لنابه واعف عنا واغفرلنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين» فقال الله تعالى: قد أعطيت ذلك لك ولأُمّتك. فقال الصادق عليه السلام: ما وفد إلى الله تبارك وتعالى أحد أكرم من رسول الله صلّى الله عليه وآله حين سأل لأُمّته هذه الخصال(٢).

وفي تفسيرالعيّاشي: عن عبدالصمد بن شيبة، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل وفيه نحومافي تفسير علي بن إبراهيم إلاّ قوله: فقال الصادق عليه السلام: الى آخره(٣).

---

(١) بصائرالدرجات: ج٤، ص١٩٠، باب(٥) في الأئمة عليهم السلام عندهم الصحيفة التي فيها أسماء أهل الجنة وأسماء أهل النار، ح(١).

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ج١، ص٩٥، في تفسيره لآية(٢٨٦) من سورة البقرة.

(٣) تفسير العيّاشي: ج١، ص١٥٩، ح(٥٣١) وراوي الحديث عبدالصمدبن بشير، وفي الهامش نقلاً عن إثبات الهداة (عبدالصمدبن مسيب) وفي المتن أيضاً إختلاف كثير، فلاحظ.

في فضل قوله «آمن الرسول» إلى آخرالسورة: روي عن قتادة قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا قرأ هذه الآية «آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه» حتّى يختمها قال: وحقّ الله إنّ لله كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي سنة فوضعه عنده فوق العرش، فأُنزلت آيتين فختم بهما البقرة، فأيّما بيت قرئتا فيه لم يدخله شيطان(١).

وفي كتاب ثواب الأعمال: عن عمروبن جميع رفعه إلى علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من قرأ أربع آيات من أوّل البقرة وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاث آيات من آخرها لم ير في نفسه وماله شيئاً يكرهه، ولم يقربه شيطان ولاينسى القرآن(٢).

وعن جابربن عبدالله عن النبي في حديث طويل يقول عليه السلام فيه: قال لي الله تعالى: وأعطيت لك ولأمّتك كنزاً من كنوزالجنّة فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة(٣).

تمّ الجزء الأوّل من هذاالتفسير القيّم والسفرالجليل حسب تجزءتنا ويليه إن شاء الله الجزءالثاني وأوّله سورة آل عمران.

وقدتمّ الفراغ من استنساخه وتحقيقه في النصف الأوّل من شهر جمادى الثاني من شهور سنة ١٤٠٧ هجريّة.

وذلك تحت الضربات العنيفة من الغارات الجوّيّة لعملاء الاستكبار العالميّة

---

(١) الدرّالمنثور، في التفسير بالمأثور: ج٢، ص١٣٧، ولفظه «وأخرج أبوعبيد والدارمي والترمذي والنسائي وابن الضريس ومحمّدبن نصر وابن حبّان والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات عن النعمان بن بشير: إن رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم قال: إنّ الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والارض بالفي عام، فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولايقرأن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان وأخرجه ايضا في ص١٣٨ بطريق آخر ولم نعثر عليه من طريق قتادة، كما أورده المصنف قدّس سرّه.

(٢) ثواب الأعمال: ص١٠٤، ثواب من قرأ أربع آيات من أوّل البقرة.

(٣) تفسير الصّافي: ج١، في آخر سورة البقرة، وبمضمونه روايات نقلها في تفسير القرآن العظيم لابن كثيرالدمشقي: ج١، ص٣٤١.

وأبناء الشياطين وأتباع الطواغيت صدام المعتدي وحزبه البعث العفلقي على ايران.

وراح ضحيّتها الآلاف من المسلمين المؤمنين الأبرياء من النساء والرجال والأطفال والشيوخ، وخلّف عدداً كثيراً من اليتامى والثكالى والأرامل كما ترك جمعاً غفيراً من المجروحين والمعلولين. هذا بالنسبة إلى الأرواح الطاهرة والنفوس البريئة، وأمّا بالنسبة الى الممتلكات فإنّه هدّم البيوت والجسور والأسواق والمستشفيات والمدارس الغاصّة بطلّابها حين الدّرس والجامعات والكلّيات بل المدارس العلميّة الدينيّة أيضاً.

وهكذا أخذ يقصف بغاراته الجوّية العمياء القبور ومقابر العلماء الأخيار والصلحاء الأبرار فأخذ لايتعطّف حتى على الموتى من تحت الثرىٰ.

نعم أخذ يقصف بكلّ قساوة وشدّة متكرّراً بلا أيّ ترحّم ومروءة أغلب مدن ايران حتى عشّ آل محمد ألا وهي مدينة قم المشرّفة حيث ذكرتني تلك الأحداث الجريحة المؤلمة طرفاً من المصائب التي حلّت بعترة رسول الله صلّى الله عليه وآله في كربلاء المقدّسة حيث هجم جيش ابن زياد وشمر وعمر بن سعد (وهم أهل الكوفة) على خيم أبي الأحرار وسيّدالشهداء الحسين روحي له الفداء فأخذ ينادي بنفسي وأمّي ياآل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لاتخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم أناالذي أقاتلكم وأنتم تقاتلونني والنساء ليس عليهنّ جناح.

فنسأل الله بحق محمّد وآل محمّد وبحرمة القرآن المجيد أن يوفّقنا لإعلاء كلمة الحق وأن ينصرنا على أعدائنا لإحباط دولة الكفر والإلحاد وإنشاء دولة إسلامية فى العراق الجريح إنّه خيرناصر ومعين.

الفهرس

المقدمة	٥
خطبة المؤلف	١٩
سورة الفاتحة	٢٣
فضيلة فاتحة الكتاب	٢٥
الجهر بالبسملة	٢٩
فضل البسملة	٣١
الآية ١-٧	٣٤-٦٣
سورة البقرة	٧١
الآية ١-١٠	٧٢-١٢٢
الآية ١١-٢٠	١٢٩-١٦٠
الآية ٢١-٣٠	١٦٥-٢١٨
الآية ٣١-٤٠	٢٢٤-٢٣٦
الآية ٤١-٥٠	٢٣٧-٢٤٢
الآية ٥١-٦٠	٢٤٤-٢٥٦
الآية ٦١-٧٠	٢٥٩-٢٧٢
الآية ٧١-٨٠	٢٧٤-٢٨٢
الآية ٨١-٩١	٢٨٣-٢٩٨
الآية ٩٢-٩٩	٢٩٩-٣٠٦
الآية ١٠٠-١٠٩	٣٠٧-٣١٥
الآية ١١٠-١٢٠	٣١٧-٣٢٧
الآية ١٢١-١٣٠	٣٢٨-٣٤٥
الآية ١٣١-١٤٠	٣٤٦-٣٥٥
الآية ١٤١-١٥٠	٣٥٦-٣٧٣
الآية ١٥١-١٥٩	٣٧٤-٣٨٩
الآية ١٦٠-١٧٠	٣٩١-٤٠١
الآية ١٧١-١٨٠	٤٠٢-٤١٧
الآية ١٨١-١٩٠	٤١٩-٤٥١
الآية ١٩١-٢٠٠	٤٥٢-٤٨٨
الآية ٢٠١-٢١٠	٤٨٩-٥٠٦
الآية ٢١١-٢٢٠	٥٠٨-٥٢١
الآية ٢٢١-٢٣٠	٥٢٤-٥٤٦
الآية ٢٣١-٢٤٠	٥٥٠-٥٧٤
الآية ٢٤١-٢٥٠	٥٧٥-٥٩٣
الآية ٢٥١-٢٦٠	٥٩٤-٦٣٣
الآية ٢٦١-٢٦٩	٦٤٠-٦٥٢
الآية ٢٧٠-٢٧٩	٦٥٦-٦٧١
الآية ٢٨٠-٢٨٦	٦٧٢-٦٩٢

VETVS TESTAMENTVM NOVVM
DEI SVB NVMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY